

الحمد لله الذي جعل الدنيا داراً لعباده

قد دخل في سلك ملك الله
ابراهيم بن محمد الشافعي
دامه الله تعالى

الحمد لله الذي جعل الدنيا داراً لعباده

تأليف الشيخ الامام العالم العلامة امام الحرمين
وتاج المتصدين تروى في عهد علي بن محمد بن ابي
البغدادى المعروف بالخازن
تعمد الله تعالى برحمته
ورضوانه واستغفره
جانه ونفع به
ونعلمه المنة
في الدنيا
والآخرة



٢٦

Süleymaniye Kütüphanesi
Kisim: AMCA ZADE
Yeni No: 36
Eski No: 1

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الاعراف

روي ذلك عن ابن عباس وبه قال الحسن وبجاءه وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقناب
وروي عن ابن عباس ايضا انها مكتبة الاجناس ايات اولها واسلم عن القرية وبه قال قتادة
وقال مقاتل في سورة الاعراف ثمان ايات مدينة اولها واسلم عن القرية الى قوله واذا احذر
ربك وهي مائتان وست ايات وثلاثة الاف وثلثمائة وخمسون وعشرون كلمة واربعه عشر
الف حرفا وعشرة احرف **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **المصدق** ك ابن عباس
معناه انا الله افضل وعنه انا الله اعلم وافضل وعنه ان المصطفى قسم الله به وهو اسم
اسم الله تعالى وقال قتاده المص اسم من اسم القرآن وقال الحسن هو اسم للسورة وقال السدي
هو بعض اسم الله تعالى والميم مفتاح اسم مجيد والصاد مفتاح اسم صادق وصور وقيل هي
حروف مقطعة استأثر الله بعلمها وهي سره في كتابه العزيز وقيل هي حروف اسم الاعظم
وقيل هي حروف تحوي معاني دل الله بها خلقه على مراده وقد تقدم سبط الكلام في معاني
الحروف المقطعة في اوائل السور في اول سورة البقرة وقوله **كتاب انزل الله** يعني
هذا كتاب انزل الله اليك يا محمد وهو القرآن **فلا يكن في صدوركم حرج منه** يعني فلا
يضيئ صدوركم بالابلاغ وتاديب ما ارسلت به الى الناس **لتتذروه** يعني انزلنا الكتاب
يا محمد لتتذروه من امرك يا تاديه **وذكرى للمؤمنين** يعني ولتذكروا وتفظوا المؤمنين وهذا
من الموعظة الذي بمعناه التذكير بقدره كتاب انزلناه اليك لتتذروه وذكرى للمؤمنين
فلا يكن في صدوركم حرج منه قال ابن عباس فلا تكن في شك منه لان الشك لا يكون
الا من ضيق الصدر وقلة الاتساع وتوجيه ما حصله قوله تعالى **اتبعوا ما انزل اليكم**
من ربكم اي قل يا محمد لقومك اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم من القرآن الذي فيه
الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة مهيدي
الله عليه وسلم والله ما نزلت اية الا وحيي ان تعلم فيها انزلت وما معناها ونحو
هذا قال الزجاج اي اتبعوا القرآن وما انزل به النبي صلى الله عليه وسلم فانه ما انزل
لقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ومعنى الآية ان الله تعالى لما امر
رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار في قوله لتتذروه وكان معنى الكلام انذارا لقوم وقيل
لم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وانزلوا ما انتم عليه من الكفر والشرك وقيل معناه لتتذروه
وتذكروا المؤمنين فتقول لم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقيل هو خطاب للكفار اي اتبعوا
ايها المشركون ما انزل اليكم من ربكم ويدل عليه قوله تعالى **ولا تتبعوا من دونه اولياء**
معناه ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر والشرك اولياء فتتبعوهم يعني والمعنى ولا
تتولوا من دونه شيئا طين الا من والى والجر فيا مروكم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهوا
الفاسدة **قل لا انا تذكرون** يعني ما تتعظون الا قلة لا قوله عز وجل **وكم من قرية**
اهلكناها لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار والابلاغ وامرته باتباع ما انزل
اليهم حذرهم تقية وباسه ان لم يتبعوا ما امر به فذكر في هذه الآية ما في ترك المتابعة

والاعوام عن امره من الوعيد فقال تعالى وكم من قرية اهلكناها قبل ان يبعث اليها نبي

وكم من اهل قرية لان المقصود اهلاكهم لاهلها **فما بها باسناء** يعني عذابا فان قلت يحيى
الاهل اهل القرية قبل اهلاكها فاهلكها فاهلها باسناء قال قتادة معناه وكم من قرية اهلكناها
لغير اهلها واليه قال اعطيتني فاحسنت الي فلم يكن الاحسان

قبل الاعطاء ولا بعده وانما وقع معا وقال غيره لافرق بين قولك اعطيتني فاحسنت
الي فاعطيتني فيكون احدهما بدل من الاخر **بما تايعني** فاجابها عدا ابنا ليل قبل ان يصحوا
او هم قايلون من القيلولة وهي نوم نصف النهار واستراحة نصف النهار وان لم يكن
معها نوم والمعنى فاجابها باسناء غفلة وهم غير متوقعين له ليلاهم نايون او غاراهم
قايلون وقت الظهيرة وكل ذلك وقت الغفلة ومقصود الآية انه جازم العذاب
على حين غفلة منهم من غير تقديم اشارة تدهير على وقت نزول العذاب وفيه وعيد
وتخويف للكفار كانه قيل لهم لا تغتروا باسباب الامن والراحة فان عذاب الله اذ
تزلزل دفعة واحدة **فما كان دعواهم** فاما كان دعواهم القرية التي جازم باسناء والدخول
تكون بمعنى الادعاء بمعنى الدعاء لاسبوبه يقول العرب اللهم اشركا في صالح ودعوى المسلمين
ومنه قوله دعواهم فيهما سبحانه لك اللهم **اذ جاءهم باسناء** يعني عذابا **الان قالوا اننا**
كنا ظالمين يعني انهم لم يقدروا على رد العذاب عنهم وكان حاصل امرهم الاعتراف بالجناية
وذلك حين لا ينفع الاعتراف **فلنسأل الذين ارسل اليهم** يعني نسأل الامم الذين
ارسلت اليهم الرسل ما اذا علمتم فيما جاتكم به الرسل **ولنسأل الذين ارسل اليهم** يعني ونسأل
الرسل الذين ارسلتهم الي الامم هل بلغتم رسالاتي واديتهم الي الامم ما امرتم بتاديبهم
ام قصدت في ذلك قال ابن عباس في معنى هذه الآية يسأل الله الناس عما اجابوا الرسل
المرسلين ويسأل المرسلين عما بلغوا وعنه قال يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما
كانوا يعملون وقال السدي يسأل الامم ما عملوا فيما جات به الرسل ويسأل الرسل هل بلغوا
ما ارسلوا به فان قلت قد اخبر عنهم في الآية الاولى يا اثم اعترفوا على انفسهم بالظلم
في قوله انا كنا ظالمين فما فائدة هذا السؤال مع اعترافهم على انفسهم بذلك قلت لما اعترفوا
بانهم كانوا ظالمين مقصود من سيلوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم والتقصير والمقصود
من هذا التقرير والتوبيخ للكفار فان قلت فما الفائدة في سؤال الرسل مع العلم
بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الي من ارسلوا اليهم من الامم قلت اذا كان يوم القيمة
انكر الكفار تبليغ الرسل فقالوا ما جاتنا من بشير ولا نذير فكان سلة الرسل على وجه
الاستشهاد لهم على من ارسلوا اليهم من الامم فتكون هذه المسئلة كالتقرير والتوبيخ
للكفار ايضا لانهم انكروا تبليغ الرسل فيرد ادب لك حزنهم وهوانهم وعذابهم وقوله تعالى
فلنقصن عليهم بعلمهم يعني فلنخبرن الرسل ومن ارسلوا اليهم بعلمهم يقين بما عملوا في
الدنيا وما كانوا غافلين يعني عنهم وعن افعالهم وعن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما اجابوا
فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسأل الذين ارسل اليهم ونسأل الذين ارسل اليهم وبين قوله
فلنقصن عليهم بعلمهم وما كانوا غافلين فاذا كان عالما فافادة هذا السؤال قلت فافادة

سوال الام والرسول مع علمه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات التوبخ والتعريض للكفار لانهم
اذا اقروا على انفسهم كان البغ في المقصود فاما سوال استرشاد واستنابات فهو منفي عن
الله عز وجل لانه عالم بجميع الاشياء قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها فهو العالم
بالكليات والجزئيات وعلمه بظاهر الاشياء كباطنها قوله تعالى **والوزن يومئذ**
الحق يعني الوزن يوم سوال الام والرسول وهو يوم القيامة العدل وقال مجاهد
المراد بالوزن هنا القضا ومعنى الحق العدل وذهب جمهور المفسرين الى ان المراد
بالوزن وزن الاعمال بالميزان وذلك بان الله عز وجل ينصب ميزانه لسانا وكفتان
كل كفة قدر ما بين المشرق والمغرب قال ابن الجوزي جاني الحديث ان داود عليه
السلام سأل ربه ان يريه الميزان فاراه اياه فقال الهى من يقدر بملاكك فتبين حسنات
قارياد داود اذ ارضيت عن عبدي ملائمتها بشرة وقال قد يغفر جبريل صاحب الميزان
يوم القيامة فيقول له ربه عز وجل ان بينهم وزد من بعضهم على بعض وليس ثم
ذهب ولا فضة فيزيد عن المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فان لم يكن له
حسنة اخذ من سيئات المظلوم فيزد على سيئات الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبل
فان قلت اليس ان الله عز وجل يعلم مقادير اعمال العباد فما الحاجة في وزنها قلت
فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها امتحان الخلق بالايمان
بذلك في الدنيا واقامة الحجة عليهم في العقب ومنها تعريف العباد ما لهم من خير وشر
وحسنة وسية ومنها اظهار علامة السعادة ونظيره انه تعالى اثبت اعمال العباد
في اللوح المحفوظ ثم في صحايف الحفظة الموكلين بيني ادم من غير جوار النسيان عليه
سبحانه وتعالى ثم اختلف العلماء في كيفية الوزن فقال بعضهم وزن صحايف الاعمال
المكتوب فيها الحسنات والسيئات ويدل على ذلك حديث البطاقة وهو ما روي عن عمرو
ابن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل سيخلص رجلا من امتي على
روس الخلايق يوم القيامة فينشر له شعرا وتسمين سجلا كل سجل مثل مد البصر
ثم يقول استلم من هذا شيئا اظلمك كتنبي الحافظون فيقول لا يارب فيقول اظلمك
عند فقال لا يارب فيقول الله تعالى يلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك
اليوم فخرج الله بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول
احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فانه لا ظلم
عليك اليوم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات
وثقلت البطاقة ولا يتحمل مع اسم الله شي اخرجته الترمذي واحمد بن حنبل وقال
ابن عباس يوتي بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة
قبیحة فتوضع في الميزان فعلى قول ابن عباس ان الاعمال تتصور صوراً وتوضع تلك
الصور في الميزان وتخلق الله في تلك الصور ثقلا وخفة ونقل البغوي عن بعضهم
انه يوزن الاشخاص واستدل لذلك بما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح
بعوضة

موصفة اخرجاه في الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص في
الميزان لان المراد بقوله لا يزن عند الله جناح بعوضة مقداره وحرمة لا حده وجمه
هو الصحيح قول من قال ان صحايف الاعمال توزن او تفصل لاعمال تجسد وتوزن والله اعلم
بحقيقة ذلك وقوله تعالى **من ثقلت موازينه** جمع ميزان واورد على هذا انه ميزان
واحد فاوجه الجمع واجب عنه بان العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه
ينصب لكل عبد ميزان واحد وقيل انما جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين
والشاهون واللسان ولا يميز الوزن الا باجتماع ذلك كله وقيل هو جمع موزون يعني
رجحت اعماله للحسنة الموزونة التي لها وزن وقد روي **فاوليك هم المفلحون** يعني هم
الناجون عذاب النار بوزن ثواب الله وجزاؤه **ومن خفت موازينه** يعني موزان
اعماله وهم الكفار بدليل قوله **فاوليك الذين خسروا انفسهم** يعني غبنوا انفسهم
خطوطها من جزيل ثواب الله وكرامته **ما كانوا ياتون بها** يعني سبب ذلك
الخسران انهم كانوا يحسبوا الله وادله توحيداً ولا يقدرون بها روي عن ابي بكر الصديق
انه حين حضره الموت قال في وصيته لعبد من الخطاب انما ثقلت موازين من ثقلت
موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق ليزان يوضع فيها الحق
عند ان يكون ثقيلاً وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم
الباطل في الدنيا وخفت عليهم وحق ليزان يوضع فيها الباطل عند ان يكون خفيفاً قوله
عز وجل **ولقد مكناكم في الارض** يعني ولقد مكناكم ايها الناس في الارض والمراد من
التكئين التمليك وقيل معناه جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً واقدركم على التصرف فيها
وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة يعني به وجوه المنافع التي يحصلها الارزاق
وتعيشون بها ايام حياتكم وهي على قسمين احدها ما انعم الله به على عباده من الزرع والثما
وانواع المأكول والمشرب والثاني ما يحصل من المكاسب والارباح في انواع التجارات
والصنایع وكلا القسمين في الحقيقة انما يحصل بفضل الله وانعامه واقداره وتمكينه
لعباده من ذلك فثبت بذلك ان جميع معايش العالم انعاما من الله تعالى على عباده
وكثرة الانعام توجب الطاعة للنعم بها والشكر له عليها ثم بين تعالى انه مع هذا
الافضال على عباده وانعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغي فقال تعالى **قليل ما يشكروا**
يعني على ما صنعت اليكم وانعمت به عليكم وفيه دليل على انهم قد يشكرون لان الانسان
قد يدرك نعم الله فيشكره عليها فلا يخلو في بعض الاوقات من الشكر على النعم وحقيقته
الشكر تصور النعمة واظهارها وزيادته الكفر وهو نسيان النعمة وسترها قوله تعالى
ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني ولقد خلقناكم ايها الناس المخاطبون بهذا الخطاب
وقت نزوله في ظهر ابيكم ادم ثم صورناكم في ارجام النساء صوراً مخلوقة فان قلت
على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم يقتضي ان الامر بالسجود لادم
كان وقع بعد خلق المخاطبين بهذا الخطاب وتصورهم لان كلمة ثم للتراخي ومعلوم
ان الامر ليس كذلك بل كان السجود لادم عليه السلام قبل خلق ذريته قلت محتمل

مدة النظر والملة في سورة الحجر فقال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك هو
النقطة الاولى حين يموت الخلق كلهم فان قلت ما وجه قوله انك من المنظرين وليس
احد ينظر سواه قلت معناه ان الذين يقوم عليهم الساعة منظرون الى ذلك الوقت
باجالهم فهو منهم **قال** يعني ابليس فيما **اغويته** يعني فباي شي اضللتني فعلي هذا تكون ما
استغاثت به ثم الكلام عند قوله اغويته ثم ابتداء فقال **لا تقدر لهم صراطك المستقيم**
وقيل هي القسم تقديره فباغوا بك لي اياي وقيل معناه فيما اوحت في قلبي الغي الذي كان
سبب هبوطي الارض من السما واضللتني عن الهدى لا تقدر لهم صراطك المستقيم يعني
لا جلسن على صراطك القويم وهو طريق الاسلام وقيل المراد بالصراط المستقيم الطريق
الذي يسلكونه الى الجنة وذلك بان اوسول اليهم وازين الباطل وما يكسبهم المآثم وقيل
المراد بالصراط المستقيم هنا طريق مكة يعني بمنعهم من العبادة وقيل المراد به الحج والقول
الاول والآخر مع الجميع ومعنى الآية لا صدق بنادم عن عبادتك وطاعتك ولا غويتهم
ولا اضلتهم كما اضللتني عن سيرة بن ابي الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الشيطان قد لا يدرى بطريقه قد لهم في طريق الاسلام فقال اسلم وتذ
دين ابايك وانا ابايك فعصاه واسلم وقعد له بطريق الحجرة فقال نهجر وتذر ارضك
وسماك وانا مثل المهاجر كمثل الغرس في الطول فعصاه فهاجر فقعده بطريق الجهاد
فقال تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتبذل المرأة ويقسم المال فعصاه
فجاهد قال فن فعل ذلك كان حقا على الله ان يدخله الجنة وان غرق كان حقا على
الله ان يدخله الجنة او وقصته دابته كان حقا على الله ان يدخله الجنة اخرجه
النسائي وقوله تعالى اخبر اعراب ابليس ثم لا يتهم من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شيايلهم قال ابن عباس من بين ايديهم يعني من قبل الاخرة فاشككهم
فيها ومن خلفهم يعني من قبل الدنيا فارغبهم فيها وعن ايمانهم فاشبه عليهم امر دينهم
وعن شيايلهم اشبه لهم المعاصي وانا جعل الاخرة من بين ايديهم في هذا القول لانهم
منتقلون اليها وصايرون اليها فعلي هذا الاعتبار فالدنيا خلفهم لانهم خلفوها واد
ظهورهم وقال ابن عباس في رواية عنهم من بين ايديهم من قبل دنياهم يعني
ان ينزلوا في قلوبهم ومن خلفهم من قبل الاخرة فاقول لا بعث ولاجنة ولا نار وعن ايمانهم
من قبل حسناتهم وعن شيايلهم من قبل سيئاتهم وانا جعل الدنيا من بين ايديهم
في هذا القول لان الانسان يسعى فيها ويشتاهاها فهي حاضرة بين يديه والاخرة
غائبة عنه فهي خلفه وقال الحكم بن عتيبة من بين ايديهم يعني من قبل الدنيا فانزلها
لهم ومن خلفهم من قبل الاخرة فاشتبهت عندها وعن ايمانهم يعني من قبل الحق فاصدم عنه
وعن شيايلهم من قبل الباطل فارتبه لهم وقال قتادة انا من بين ايديهم فاخبرهم
انه لا بعث ولاجنة ولا نار ومن خلفهم من امر الدنيا فزنها لهم ودعاهم اليها وعن ايمانهم
من قبل حسناتهم فبطاهم عنها وعن شيايلهم من رين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم اليها
انا كيا من كل وجه غير انه لم يأتك من فوقك ولم يستطع ان يحول منك

وبين رحمة الله وقال مجاهد ياتيهم من بين ايديهم وعن ايمانهم وحيث يصبرون ومن خلفهم
وعن شيايلهم حيث لا يصبرون ومعنى هذا انهم مخطيئون ويعلمون انهم مخطيئون ومن حيث
لا يصبرون انهم مخطيئون ولا يعلمون انهم مخطيئون وقيل من بين ايديهم فيما بقي من اعمارهم
فلا يقدمون فيه طاعة ومن خلفهم يعني ما مضى من اعمارهم فلا يتوبون عما اسلفوا فيه من
معصية وعن ايمانهم يعني من قبل الغي فلا ينفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعني من قبل
العقد فلا يمتنعون فيه من مخطورنا لوه قال الشقيق البخاري ما من شقيق صباح الا ويايتني
الشيطان من الجهات الاربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ما من بين يدي
فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأوا في الغفران من تات واسن وعمل صالحا واما من
خلفي فيخوفني من وقوع اولادي في الغفران فاقرأوا من دابة في الارض الا على الله رزقها
واما من قبل يميني فياتي من الشافرا والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتي من
من قبل الشهوات فاقرأوا حيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر هذه الجهات الاربع
انما يريد بها التاكيد والمبالغة في القا الوسوسة في قلب ابن ادم وانه لا يقصر في
ذلك ومعنى الآية على هذا القول ثم لا يتهم من جميع الوجوه المكنة لجميع الاعتبارات
وقوله **ولا تجد اكثرهم شاكركم** يعني ولا تجد ارب اكثر بني ادم شاكركم لك على نعمتك
التي انعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجد اكثرهم موحدين فان قلت كيف
علم الخبيث ابليس ذلك حتى قال ولا تجد اكثرهم شاكركم قلت قاله ظنا فاصاب
ومنه قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازما على المبالغة في
تزيين الشهوات وتحسين القبايح وعلم ميل بني ادم الى ذلك فقال هذه المقالة وقيل
انه راه مكتوبا في اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين والقطع والله
اعلم بمراده قوله عز وجل **قال اخرج منها** اي قال الله لا بليس حين طرده عن بابه وابعده
عن جنابه وذلك بسبب مخالفته وعصيانه اخرج منها يعني من الجنة فانه لا ينبغي
ان يسكن فيها العصاة **مدحورا** يعني معصيا والذام اشد العيب **مدحورا** يعني
مطرودا مبعودا قال ابن عباس صغيرا ممقوتا وقال قتادة لعينا ممقوتا قال الكلبي
ما لوما مقصيا من الجنة ومن كل خير **لمن تنبعك منهم** يعني من بني ادم **لا ملان جهنم**
منكم اجمعين اللام لام القسم اقسم الله ان من تبع ابليس من بني ادم واطاعه ان
يملأ جهنم منه ومن كفر من بني ادم وابتليس وذريته ومن تبعه منهم قوله تعالى
ويا ادم اسكن أنت وزوجك الجنة اي وقلنا يا ادم اسكن أنت وزوجك
يعني جوا الجنة وذلك بعد ان اهبط منها ابليس واخرجه وطرده من الجنة **فكلا**
من حيث شئتما يعني فكلا من ثمار الجنة من اي مكان شئتما فان قلت قال
في سورة البقرة وكلا لواء وقال هنا فكلا لواء فما الفرق قلت قال الامام
نحز الدين الرازي ان الواو تنفيد الجمع المطلق والفاء تنفيد الجمع على سبيل
التعقيب فلفظهم من الفانوع واخر تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين

النوع والجنس ففي سورة البقرة ذكر الجنس وهذا ذكر النوع **ولا تقتربوا هذه الشجرة فتكونوا**
من الظالمين تقدم في سورة البقرة الكلام على تفسير هذه الآية مستوفيا قوله تعالى
فوسوس لهم الشيطان يعني فوسوس اليها والوسوسة حديث يلقيه الشيطان
في قلب الانسان يقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا مكررا واصله من صوت الحمار يعني
وسوس لها فعل الوسوسة والقهاها اليها فان قلت كيف وسوس لها وادم وحوا في الجنة
والبلبل قد اخرج منها قلت قد ذكر الامام محمد الدين في الجواب عن هذا السؤال عن الحسن
انه قال كان يوسوس في الارض الى السما الى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله له وقال
ابو مسلم الاصبهاني بل كان ادم والبلبل في الجنة لان هذه الجنة كانت بعض جنات الارض
والذي يقول بعض الناس من ان البلبل دخل في جوف الحية فدخلت به الحية الى الجنة
فقصصة مشهورة ركيكة وقال اخرون ان ادم وحوا ربما من باب الجنة وكان البلبل
واقفا من خارج الجنة على بابها ففرب احدهما من الاخر فحصلت الوسوسة هناك فان قلت ان
ادم عليه السلام قد عرف ما بينه وبين البلبل من العداوة فكيف قبل قوله قلت محتمل
ان يقال ان ابليل لعق ادم مرارا كثيرة ورغبه في اكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها رجاء
نيل الخلد ومنها قوله وقاسمهما اي لكل من الناصحين فلجل هذه المواقبة والمداومة
على هذا التوبة اثر كلام ابليل في ادم حتى اكل من الشجرة **ليدي لها ما ووري**
عنهما من سواتها ليظهر لها ما غطي ستر من عورتها وقوله ما ووري ما خوذ من المودة
وهو المستر يقال وارسته بمعنى سترته والسوة فرج الرجل والمرأة سمي بذلك لان ظهوره يسو
الانسان وفي الآية دليل على ان كشف العورة من المنكرات المحرمات واللامية
قوله ليدي لها الامر العاقبة وذلك لان ابليل لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتها
واما كان حملها على المعصية فقط فكان عاقبة امرها ان بدت عورتها **وقال**
يعني وقال ابليل لادم وحوا **انما كانا من هذه الشجرة** يعني عن الاكل من هذه
الشجرة **الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين** يعني انما كانا عن هذه الشجرة
لكيلا تكونا ملكين من الملائكة تعلما من الخير والشر وتكونا من الباقيين الذين
لا يموتون وانما اطعم ابليل لادم هذا لانه علم ان الملائكة لهم المنزلة والقرب من
العرش فاستشرف لذلك ادم واحبه وانه يعيش مع الملائكة لطول اعمارهم
او يكون مع الخالدين الذين لا يموتون ابدا فان قلت **ظاهرا** الآية يدل على ان
الملك افضل من الانبياء لان ادم عليه السلام طلب ان يكون من الملائكة وهذا
يدل على فضلهم عليه قلت ليس في ظاهر الآية ما يدل على ذلك لان ادم عليه السلام
لما طلب ان يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل ان يشرف بالنبوة وكانت
هذه الواقعة قبل نبوة ادم فطلب ان يكون من الملائكة او من الخالدين وعلى تقدير
ان تكون هذه الواقعة وقعت في زمان النبوة بعد ان شرف ادم فادام انما طلب
ان يكون من الملائكة لطول اعمارهم لا لانهم افضل منه حتى يلحق بهم في الفضل لانه

خام

طلب ان يكون من الملائكة لطول اعمارهم او من الخالدين الذين لا يموتون ابدا وقوله تعالى
وقاسمهما اي واقسم وحلف لها وهذا من المعاملة التي تختص لواحد **اي لكل من الناصحين**
فلا تقادة حلف لها بالله حتى خدعها وقد خدع المؤمن بالله **فلاها بغرور** يعني خدعها
بغروها يقال ما زال فلان يد ل فلانا بغرور يعني ما زال الخدع ويكلمه بزخرف من القول
باطلاق الازهري واصله ان الرجل العطشان يتدلى في البئر لياخذ الماء فلا يجد فيها
ما فوضعت التدلية موضع الطمع في ما لا فائدة فيه والغرور اظهار النصح مع ابطال
الغش وهو ان ابليل حطها من منزلة الطاعة الى حالة المعصية لان التدلي لا يكون الا
من علو الى سفل ومعنى الآية ان ابليل عثر ادم باليمين الكاذبة وكان ادم ينظر ان احدا
لا يحلف بالله كاذبا وابليل اول من حلف بالله كاذبا فلما حلف ابليل لمن ادم انه صادق
فاغتربه فلما اذا **الشجرة** يعني طعم ثمر الشجرة وفيه دليل على انها تناولها السير من ذلك
فصد الى معرفة طعمه لان الذوق يدل على اكل السير **بدت لها سواتها** يعني ظهرت
لها عورتها قال ابن عباس قيل ان ادم رد اخذتها العقوبة والعقوبة ان بدت وظهرت
لها سواتها ونفقت عنها لما سها حتى ابصر كل واحد منهما ما وري عنه من عورة صاحبه
وكانا لا يريان ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لا يري هذا عورة هذه ولا هذه
عورة هذا فلما اصابا الخطية بدت لها سواتها وقال قتادة كان لباس ادم في الجنة ظفيرا
كله فلما وقع في الذنب كشط عنه وبدت سوته **فطفقا** يعني فاقبلا وجلا **فخصفنا**
عليهما من ورق الجنة يعني انما لما بدت سواتها جعلنا ورقا من ورق الجنة وهو ورق
التيين حتى صار كهيئة الثوب وقال الزجاج جملا ورقة على ورقة ليسترا
سواتها وفي الآية دليل على ان كشف العورة من ابن ادم قبيح الاترا انها بادرا الى ستر العورة
لما تقدر في عقلها من قبح كشفها روي ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كان ادم رجلا طويلا كان له نخلة سمحوق كثير شعر الرأس فلما وقع في الخطية بدت لها
سوته وكان لا يراها في الجنة فانطلق فارا تعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره
فقال لها ارسليني قالت لست امرسلتك فناداه رب يا ادم انني قد قال لا يرب ولكني
استحييتك ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري من طريقين موقوفا ومرفوعا
قوله تعالى **وناداهما انهما الما عن تلك الشجرة** يعني ان الله تعالى نادى ادم
وحوا وخطبها فقال الما عن تلك الشجرة **واقبل لهما ان الشيطان الكاعد**
مبين يعني الما اعلمكما ان الشيطان قد بان عداوته لكم بترك السجود وحسد وبغيا قال
ابن عباس لما اكل ادم من الشجرة قيل له لم اكلت من الشجرة التي هيئت لك لحو امرتي قال
فاني قد اعطيتها الاكل الاكرها ولا تضع الاكرها قال فرت حوا عند ذلك فقيل لها الرنة
عليك وعلي بناتك وقال محمد بن قيس ناداه رب يا ادم لم اكلت منها وقد هيئت لك قال الممعتني
حوا قال لحو الما اعطيتها قال امرتني الحية قال الحية لم امرتها قالت امرني ابليل قال
الله تعالى يا انا انت يا حوا فاك اذ ميت الشجرة تدمين في كل شهر واما انت يا حية فانت قطع
رجليك فتمشين على وجهك وسيشده راسك من لقيك واما انت يا ابليل فلعون

فقال لي خلقت قبلك وانا اعلمتك فانت تعلمني
ارشد كما قال بعض الحكماء

طلب

مدحور يعني مطرودا عن الرحمة وقيل ناداه ربه يا آدم اما خلقك يدي اما نخت فيك من روعي
اما السجد لك ملائكتي اما اسكنك جنتي في جوارتي قوله عز وجل **قالا ربنا اظلمنا انفسنا**
وهذا خير من الله عز وجل عن آدم عليه السلام وحواء اعتراهما على انفسهما بالذنب والندم على
والمعنى قالوا ربنا انا فعلنا بانفسنا من الاساءة اليها نغنا لغة امرك وطاعة عدونا وعدوك ما لم
يكن لنا ان نطيعه فيه من اكل الشجرة التي هيئتنا عن اكلها **وان لم تغفر لنا** يعني وان انت يا ربنا
ان لم تستر علينا ذنوبنا **ونرحمنا** يعني فتفضل علينا برحمتك **لنكون من الخاسرين** يعني
من الخالدين قال قتادة قال آدم رب ارايت ان تبت اليك واستغفرتك قال اذ ادخلتك الجنة
اما ابليس فلم يسأله التوبة وسأله النظرة فأعطى كل واحد منها ما سأل وقال الضحاك
في قوله ربنا ظلمنا انفسنا قال هي الكلمات التي تكلمها آدم من ربه عز وجل فصلا وقد استد
من يري صدور الذنوب من الانبياء عليهم السلام هذه الآية واجيب عنه بان درجة الانبياء في
الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل ما حملهم على الخوف منه والاشتياق من المواصلة لئلا يواخذ
به غيرهم وانهم ربما عوتوا بامور صدرت منهم على سبيل التاويل والسهو فهم بسبب ذلك
خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاصي بالنسبة الى كمال طاعتهم لانها
ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم وعامة
بواظفهم بالوحي السماوي والذكر القدسي وعما رثم ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل
ذنوباً وهي حسنات بالنسبة الى غيرهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين يعني انهم
يرونها بالنسبة الى احوالهم كالسيئات وهي حسنات لغيرهم وقد تقدم في سورة البقرة ان
اكل آدم من الشجرة هل كان قبل النبوة او بعد والخلاف فيه فاعني عن الاعادة والله اعلم قوله تعالى
قال اهبطوا قال الامام محمد بن الحسن ان الذي تقدم ذكره هو آدم وحواء ابليس فقوله اهبطوا
يجب ان يتناول هو الثلاثة وقال الطبري قال الله تعالى لا دم وحواء ابليس والحية اهبطوا
يعني من السما الى الارض **قال السدي** اهبطوا يعني الى الارض آدم وحواء ابليس والحية
بعضكم لبعض عداوة يعني ان العداوة ثابتة بين آدم وابليس والحية وذرية كل واحد
من آدم وابليس **ولكم في الارض مستقر** يعني موضع قرار تستقرون فيه وقال ابن عباس
في قوله ولكم في الارض مستقر يعني مستقر القبور **ومتاع الى حين** يعني ولكم فيها متاع
تستمتعون به الى انقطاع الدنيا او الى نقصها اجالكم ومعنى الآية ان الله عز وجل اخبر آدم
وحواء ابليس والحية انه اذا اهبطهم الى الارض فان بعضهم لبعض عداوة وان لهم في الارض
موضع قرار يستقرون فيه الى نقصها اجالهم ثم يستقرون في قبورهم الى انقطاع الدنيا
قال ابن عباس في قوله تعالى ومتاع الى حين يعني الى يوم القيامة والى انقطاع الدنيا
قال فيها تحيون يعني قال الله عز وجل لادم وذريته وابليس واولاده فيها تحيون
يعني في الارض تعيشون ايام حيوتكم **وفيهما متوفون** يعني في الارض يكون وفائكم
وموضع قبوركم **ومنها تخرجون** يعني ومن الارض تخرجكم ربكم وتحشركم للحساب
يوم القيامة قوله عز وجل يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم اعلم
ان الله عز وجل لما امر آدم وحواء بالهبوط الى الارض وجعلها مستقرا لهم انزل عليهم كلبا يحتاجون

اليه

اليه من صالح الدين والدنيا وكان ما انزل عليهم اللباس الذي يحتاج اليه في امر الدين والدنيا
فاما منفعة في الدين فانه ستر للعورة وسترها شرط في صحة الصلاة واما منفعة
في الدنيا فانه يمنع الحروا ويرد قامت الله على عباده بان انزل عليهم لباسا يواري سوآتكم
فقال تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم يعني لباسا تسترون به عوراتكم
فان قلت ما معنى قوله انزلنا عليكم لباسا قلت ذكر العلماء فيه وجوها احدها
انه معنى خلقواي خلقنا لكم لباسا او بمعنى رزقناكم لباسا الوجه الثاني ان الله انزل
الطر من السما وهو سبب نبات اللباس فكانه انزل عليهم الوجه الثالث ان جميع
بركات الارض تنسب الى السما والى الانزال كما قال تعالى وانزلنا الحديد وربنا الريش
للطائر معروف وهو لباسه وزينته كالثياب للانسان فاستعير للانسان لانه
لباسه وزينته والمعنى وانزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم ولباسا لزيينتكم
لان التزين عرض صحيح كما قال تعالى ليزكبوها وزينة وقال ولكم فيها جمال وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا في معنى الريش المذكور
في الآية فقال ابن عباس وريشاً يعني بالاول وهو قول مجاهد والضحال والسدي لان
المال ما يزين به ويقال شريش الرجل اذا تولى وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع
الى الزينة ايضا وقيل ان الرياش في كلام العرب الاثاث وما ظهر من الثياب والمتاع
ما يلبس او يفرش والريش ايضا المتاع والاموال عندهم وربما استعملوه في الثياب والكسوة
دون سائر المال يقال انه لحسن الريش يعني لحسن الثياب وقيل الريش والرياش يستعمل
ايضاً في الخصب ورفاهية العيش **لباس التقوي** اختلف العلماء في معناه فمنهم من حمله
على نفس الملبوس وحقيقته ومنهم من حمله على المجاز اما من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا
ايضاً في معناه فقال ابن الانباري لباس التقوي هو اللباس الاول واما اعاده اخبارا ان
ستر العورة من التقوي وذلك خير وقيل واما اعاده لاجل ان خبر عنه بانه خير لان
العرب في الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعدي وخلع الثياب في الطواف بالبيت فاجبر
ان ستر العورة في الطواف هو لباس التقوي وذلك خير وقال زيد بن علي لباس التقوي
الات الحرب التي يتقي بها في الحروب كالدروع والمغفر ونحو ذلك وقيل لباس التقوي
هو الصوف والخشن من الثياب التي يلبسها اهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة في
الصلاة واما من حمل لباس التقوي على المجاز فاختلفوا في معناه فقال قتادة والسدي
لباس التقوي هو الايمان لان صاحبه يتقي به من النار قال ابن عباس التقوي هو العمل
الصالح وقال الحسن هو الحياء لا نهت على التقوي وقال عثمان بن عفان لباس التقوي
هو السميت الحسن وقال عروة بن الزبير لباس التقوي خشية الله وقال الكلبى هو
العفاف فكل هذه الاقوال ان لباس التقوي خير لصاحبه اذا اخذ به ما خلق الله
له من لباس التجميل وزينة الدنيا وهو قوله تعالى **ذلك خير** يعني ان لباس التقوي
خير من لباس الجمال والزينة واشهد وافي المعنى اذا انت لم تلبس ثيابا من التقوي
عريت وان وارا القيصر قصير وقوله تعالى **ذلك من ايات الله** يعني انزال اللباس

ملك يا بني آدم من ايات الله العظمى على معرفته وتوحيده **اعلم يا بني آدم ان** يعني لغتهم يذكرون
نعمته عليهم فيشكرونها قوله تعالى **يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما اخرج ابويكم من**
الجنة قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا يخذلكنم بعزوه ولا
يضلكنم فبينكم لكم كشف عورتكم في الطواف وانما ذكر قصة ادم هنا وشدة عداوة ابليس
له ليجد ربه ذلك اولاد ادم فقال تعالى يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما اخرج ابويكم يعني
ادم وحوا من الجنة والمعنى ان من قدر على اخراج ابويكم من الجنة بوسوسته وشدة عداوته
فبان يقدر على فتنتكم بطريق الاولي فحذر الله عز وجل بني آدم وامرهم بالاحتراز عن وسوسة
الشيطان وعزوه وتزيينه القبايح وتحسينه الافعال الرديئة في قلوب بني آدم فنهى
فتنته التي نهى الله عبادة عنها وخذلكنم منها وقوله **يخرج عنها لباسها** اما اضاف نزع
اللباس الى الشيطان وان لم يشر ذلك لان نزع لباسها كان سبب وسوسة الشيطان
وعزوه فاسند اليه واختلغوا في اللباس الذي نزع عنها فقال ابن عباس كان لباسها
الظفر فلما اصابا الخطية نزع عنها وبقيت الاظفار تذكرة وزينة ومنافع وقال وهب
ابن منبه كان لباس ادم وحوا نورا وقال مجاهد كان لباسهما التقى وفي رواية عنه التقوي
وقيل كان لباسهما من ثياب الجنة وهذا القول اقرب لان اطلاق اللباس يطلق عليه
ولان النزع لا يكون الا بعد اللبس **ليزها سواها** يعني ليرى ادم عورة حوا تري حوا
عورة ادم وكان قبل ذلك لا يرى بعضهم سورة بعض **انهم اكرمهم هو وقيل** يعني ان
ابليس يراكم يا بني ادم وهو وقيله اما اعداد الكفاية في قوله هو ليحصر العطف والقبيل
جمع قبيلة وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل جبل من جن
او انس قبيل ومعنى يراكم هو وقيله اي من هو من نسله وحكي ابو عبيد عن ابي يزيد
القبيل ثلاثة فصاعدا من قوم شي والجمع قبل والقبيلة بنو اب واحد وقال الطبري
قبيله يعني صنفه وجيله الذي هو منهم وهو واحد يجمع قبلا وهم الجن وقال مجاهد
الجن والشياطين وقال ابن زيد قبيله نسله وقال ابن عباس هو ولد وقوله
من حيث لا تدرون يعني انتم يا بني ادم قال العلماء ان الله خلق في عيون الجن ادراكا
يروون بذلك الادراك الانس ولم يخافوا في عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن
وقالت المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن رقة اجسام الجن ولطافتها
والوجه في روية الجن الانس كثافة اجسام الانس والوجه في روية الجن بعضهم
بعضا ان الله تعالى قوي شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا ولو جعل
في ابصارنا هذه القوة لرأيناهم ولكن لم يجعلها لنا وحكي الواحدي وابن الجوزي عن ابن
عباس انه قال ان الله تعالى جعلهم يحجرون من ابن ادم مجري الدم وجعل صدور بني ادم
مساكن لهم الا من عصه الله تعالى كما قال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون
بني ادم وبنوا ادم لا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا اربع ثرى ولا ثرى ونخرج
من تحت الثرى ويعود شيخنا في وقال مالك بن دينار عدوا ويراك ولا تراهم لشدة
الموتة الامر عصم الله **انا جعلنا الشياطين اوليا** يعني اعوانا وقرنا **للذين لا يؤمنون**

قال الزجاج

قال الزجاج يعني سلطانهم عليهم يزيدون في عيهم قوله عز وجل **واذا نزلوا فاحشنة** قال ابن عباس
ومجاهد هي طواقمهم بالبيت عراة الرجال والنساء قال عطاء بن السجستاني الفاحشة اسم لكل فعل قبيح
فتنخل فيه جميع المعاصي والكبائر فيمكن جعلها على الاطلاق وان كان السبب مخصوصا بما ورد
من طواقم عراة ولما كانت هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون انها
طاعات وهي في انفسها فواحش ومهم الله عليها ومنها ما حجبوا عن هذه الافعال بما
اخر الله عنهم وهو قوله تعالى **واوعظنا عليها ابانا والله امرنا بها** فذكروا لانفسهم عذر من
اخذها محض التقليد وهو قوتهم وجدنا على هذا التقليد ابانا وهذا التقليد باطل لانه
لا اصل له والعذر الثاني قوتهم والله امرنا بها وهذا العذر ايضا باطل وقد اجاب الله
بقوله **قل ان الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر** والمعنى ان هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها
هي في انفسها قبيحة منكورة فكيف يأمر الله بها والله لا يأمر بالفحشاء بل يأمر بما فيه مصالح
العباد شرقا وتعالى ردا عليهم **انقولون على الله ما لا نقولون** يعني انكم ما سمعتم كلام الله ابتداء
من غير واسطة ولا اخذ بموه عن الانبياء الذين هم وساطة بين الله وبين عباده في تبليغ
اوامره ونواهيه واحكامه لانكم تتكبرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله ما لا تقولون
قوله تعالى **قل امرني بالقسط** اي قلا يا مجاهد لولا الذين يقولون على الله ما لا يعلمون امرني
بالقسط يعني بالعدل وهذا قول مجاهد والسدي وقال ابن عباس لا اله الا الله فالامر
بالقسط في هذه الآية مستعمل على معرفة الله سبحانه وتعالى بداته وصفاته وافعاله وانه
واحد لا شريك له **واقبوا وجوهكم عند كل مسجد** فان قلت قل امرني بالقسط وقال
واقبوا وجوهكم عند كل مسجد امر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فما معناه قلت فيه اضرار
وحذف تقديره قل امرني بالقسط وقال واقبوا وجوهكم عند كل مسجد في حذف قال
لدلالة الكلام عليه ومعنى الآية في قول مجاهد والسدي وجهوا وجوهكم حيث ما كنتم
في الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وانتم عند مسجد فصلوا فيه
ولا يقول احدكم اصلي في مسجد ابي في مسجد قومي قبل معناه اجعلوا سجودكم لله
خالصا ودعوه **مخلصين له الدين** اي وتغذوه مخلصين العبادة والطاعة والدعاء عند
وجل لا غيره **كما بدكم تعودون** قال ابن عباس ان الله عز وجل بدا خلق بني ادم مومنين
وكافرا كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما
بدا خلقكم مومنين وكافرا حجة هذا القول قوله في سياق الآية **فريقا هادي وفريقا حق**
عليهم الضلالة فانه كما لتفسيره ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على امامات عليه اخرج مسند زاذ البغوي في روايته
المومن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتداء الله خلقه على الشقوة صار
الى ما ابتداء عليه خلقه وان على ابناء عمال اهل السعادة كان ابليس كان يعمل بعمل اهل
السعادة ثم صار الى الشقاوة من ابتداء خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال اهل
الشقاوة كان السحرة كانوا يعملون بعمل اهل الشقاوة صاروا الى السعادة وبصح هذا القول
ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل يعمل العمل الطويل يعمل

اهل الجنة ثم ختم له علمه بعمل اهل النار وان الرجل يعمل الحسن الطويل يعمل اهل النار ثم ختم له علمه
بعمل اهل الجنة اخرجته مسلم وقال الحسن ومجاهد في معنى الآية كما بدأكم فخلقكم في الدنيا ولو تكونوا
شيئا فاحياكم ثم يميتكم ثم لا تقومون احيا يوم القيامة ويشهد لصحة هذا القول ما لا يري
عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة فقال ايتها الناس انكم محشورون
الي الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كفافا علينا اخرجته
التخاري ومسلم وقوله تعالى فريقا هادي يعني هداهم الله الي الايمان ومعرفته ووقفهم لطا
وعبادته وفريقا حق عليهم الضلالة وخذل فريقا حتى وجبت عليهم الضلالة السابقة
التي سبقتم لهم في الارل بانهم استغيا وفيه دليل على ان الهدي والضلال من الله عز
وجل ولما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
خلق خلقه في ظلمة فالفق عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدي ومن اخطاه
ضل اخرجته الترمذي قوله تعالى **انهم اخذوا الشياطين اوليا من دون الله** يعني
ان الفريق الذي حق عليهم الضلالة اخذوا الشياطين نصرا واعوانا اطاعوهم فيما روم
به من الكفر والمعاصي والمعني ان الداعي الذي دعاهم الي الكفر والمعاصي هو انهم اخذوا
الشياطين اوليا من دون الله لا ان الشياطين يقدرون على اضلال احد وقوله
ويحسبون انهم مهتدون يعني انهم مع ضلالتهم يظنون ويحسبون انهم على هداية
وحق وفيه دليل ان الكافر الذي يظن انه في دينه على الحق والجاد والمعاد في الكفر سوا
قوله عز وجل **يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد** عن ابن عباس قال كانت المرأة
تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يبيري تطوا فاجعله على فرجها وتقوا اليوم
يبد وبعضه او كله وما بدأ منه فلا احله فتزلت هذه الآية خذوا زينتكم عند
كل مسجد اخرجته مسلم وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا يطوفون
بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وذكر البيت زاد في رواية اخري عنه فامرهم
الله ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال مجاهد كان حي من اهل اليمن كان احدهم اذا قدم
حاجا او معتمرا يقول لا ينبغي لي ان اكون في ثوب قد عصيت فيه فيقول من يعيرني
ميرزا فان قدر عليه والاطاف عريانا فانزل الله فيه ما تشعرون خذوا زينتكم عند
كل مسجد وقال الزهري ان العرب كانت تطوف بالبيت عراة الا الحرس وهم قريش
واحلافهم فمن جاء من غير الحرس وضع ثيابه وطاف في ثوب احمر فانه لا يحل له ان
يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحرس فانه يلبس ثيابه ويطوف عريانا وان طاف
في ثياب نفسه الفاها اذا ذكر قضي طوافه محرمها فجعلها حراما عليه فلذلك قال
الله عز وجل خذوا زينتكم عند كل مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التي تستر العورة
قال مجاهد ما يوارى عورتكم ولو عباءة وقال الكلبي الزينة الثياب التي تستر العورة
كل مسجد لطواف وصلوة وقوله تعالى خذوا زينتكم امر وظاهره الوجوب فقيه دليل
على ان ستر العورة واجبة في الصلاة والطواف وفي كل حال وقوله تعالى **وكلوا واشربوا**
قال الكلبي كانت بنو عامر ياكلون في ايام حجهم الا قوتا ولا ياكلون دما يعطون بذلك

حجهم

بذلك حجهم فقال المسلمون نحن احق ان ننعل ذلك برسول الله قال الله عز وجل واكلوا واشربوا
بمعنى اللحم والدم **ولا تسرفوا** يعني تحريم ما لم يحرمه الله من اكل اللحم والدم قال ابن عباس كل
ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان اشرفا وخيلة وقال علي بن
الحسين بن واقد قد جمع الله الطيب كله في نصف اية فقالوا كلوا واشربوا ولا تسرفوا وفي
الاية دليل على ان جميع المطعومات والمشروبات حلال الا ما خصه الشرع بدليل في
التحريم لان الاصل في جميع الاشياء الاباحة الا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل ينفصل
انه لا يحب المسرفين يعني ان الله لا يحب من اسرف في المأكول والمشروب والملبوس وفي
هذه الآية وعيد وتهديد لمن اسرف في هذه الاشياء لان محبة الله عبارة عن رضاه عن
العبد وايصال الثواب اليه واذا لم يحبه علم انه تعالى ليس هو راض عنه فدللت الآية على
الوعيد الشديد في الاسراف قوله تعالى **قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده** يعني
قل يا محمد لهؤلاء الجملة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التي
خلقها لعباده ان يتزينوا بها ويلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير الزينة قولان
احدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذي يستر العورة والقول
الثاني ذكره الامام فخر الدين الرازي انه يتناول جميع انواع الزينة فيدخل تحته جميع
انواع الملبوس والحلي ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحديد والبرص
لدخل في هذا العموم ولكن ورد النص بتحريمه على الرجال دون النساء **والطيبات من الرزق**
يعني ومن حرم الطيبات من الرزق التي خلقها لعباده واخرجها لهم مذكروا في معنى الله
الطيبات في هذه الآية اقوالا احدها ان المراد بالطيبات اللحم والدم الذي كانوا يحرمونه
على انفسهم ايام الحج يعطون بذلك حجهم فزاد الله عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج
لعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني وهو قول ابن عباس وقتاده ان المراد
بذلك ما كان اهل الجاهلية يحرمونه من الحايض والسوايب قال ابن عباس ان اهل الجاهلية
كانوا يحرمون اشياء احلها الله من الرزق وغيرها وهو قول الله تعالى قل ارايت ما اتزل الله
لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا واتزل الله قل من حرم زينة الله التي
اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث ان الآية على العموم فيدخل تحته
كل ما يستلذ ويشتهي من سائر المطعومات الا ما ورد نص بتحريمه **قل هي للذين امنوا**
يعني قل يا محمد ان الطيبات التي اخرج الله من رزقه للذين امنوا في الحياة الدنيا غير خالصة
لهم لانه يشركهم فيها المشركون خالصة لهم يوم القيامة يعني لا يشركهم فيها احد لانه
لاحظ للمشركين يوم القيامة في الطيبات من الرزق وقيل مناه خالصة لهم يوم القيامة
من التكدير والتغصير والغم لانه قد يقع لهم في الحياة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق
كدر وتغصير فاعلم انها خالصة لهم في الآخرة من ذلك كله **كذلك تفصل الايات لقوم**
يعلمون يعني لذلك نبين الحلال ما احللت والحرام ما حرمت لقوم علما اني انا الله بن
وحدي لا شريك لي فاخبروا حلالا وحراما حراما في قوله عز وجل **قل انما حرم زني الفواحش**
جميع فاحشة وهي ما يقع وفحش من قول او فعل والمعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يجردون

من الثياب ويطوفون بالبيت عراة ويحرمون اكل الطيبات ما احل الله لهم ان الله لم يحرم
ما حرموا من اكله الله لعباده وطيبه لهم وانما حرم ربي الفواحش من الافعال والاقوال
ما ظهر منها وما بطن يعني علانيته وسره فمن عهد الله بن سعد وان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا احد اعير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد
احب اليه المذبح من الله من اجل ذلك مدح نفسه اصل الغيرة تغير القلب وهيجان الحفيظة
بسبب المشاركة فيما يختص به الانسان ومنه غير احد الزوجين على الاخر لاختصاص كل
واحد منهما بصاحبه ولا يرضي ان يشاركه احد فيه فلذلك يدب عنه ومنعه من غيره
واما الغيرة في وصف الله تعالى فهي منعه من ذلك وتحرمة له ويدل على ذلك قوله ومن غيرته
حرم الفواحش وقد احتمل ان تكون غيرته تغيير حاله على ذلك بعقاب والله اعلم وقوله عز
وجل **والاشهر** يعني وحرم الاشهر واختلفوا في الفرق بين الفاحشة والاثم فقيل الفواحش
الكبار لانه قد تقاضى فيها وتزايد ولا شرع بارة عن الصغار من الذنوب فعلى هذا يكون
معنى الآية قل انما حرم ربي الكبائر والصغار وقيل الفاحشة اسم لما يجب فيه الحد من الذنوب
والاثم اسم لما لا يجب فيه الحد وهذا القول هو قريب من الاول واعترض على هذين القولين
ان الائم في اصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر والصغار وقيل ان الفاحشة اسم للكبيرة
والاشهر اسم لمطلق الذنب سواء كان كبيرا او صغيرا والقاعدة فيه ان يقال لما حرم ربي الكبيرة
بقوله قل انما حرم ربي الفواحش اردفه بتحرير مطلق الذنب لئلا يتوهم متوهم ان التحريم
مقتصور على الكبائر فقط وقيل ان الفاحشة وان كانت بحسب اللغة انما الكل ما تقاضى من
قول او فعل لكنه قد صار في العرف مخصوصا بالزنا لانه اذا اطلق لفظ الفاحشة لم يفهم
منه الا ذلك فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا ولما الاثر فقد قيل انه اسم من اسم
الحمد وهو قول الحسن وعطاء الجوهري وقد تسمى الخمر اثما واستدل عليه بقول الشاعر
شربت الاثر حتى ضل عقلي كذا في الاثر يذهب بالعقول
وقال ابن سيد صاحب المحكم وعندى ان تسمية الخمر بالاثم لان شرها اثم وهذا العن
يظهر الفرق بين اللغتين وانكر ابو بكر بن الانباري تسمية الخمر بالاثم قال لان العرب
ما سمته اثما قط في جاهليه ولا اسلام ولكن قد يكون الخمر اخلا تحت الاثر لقوله قل فيهما
ائم كبير وقوله تعالى **والبغي** اي وحرم البغي **بغير الحق** والمعنى هو الظلم والكبر والاستطا
على الناس ومجاورة الحدي ذلك كله ومعنى البغي بغير الحق هو ان يطلب ما ليس له بحق فاذا
طلب ما له بحق خرج من ان يكون بغيا **وان تشركوا بالله** اي وحرم ان تشركوا بالله
ما لم ينزل به سلطانا هذا فيه فحلم بالمشركين والكفار لانه لا يجوز ان ينزل به سلطانا
بان يشرك به غيره لان الاقرار بشي ليس على ثبوته حجة ولا برهان ممتنع فلما امتنع وصو
الحجة والبيئة على صحة القول بالشرك وجب ان يكون باطلا على الاطلاق فان قلت
البغي والاشراك داخلان تحت الفاحشة والائم لان الشرك من اعظم الفواحش واعظم
الاشهر وكذا البغي ايضا من الفواحش والائم قلت انما افردتها بالذكر للتنبيه على عظم
قبحها كانه قال من الفواحش المحرمة البغي والشرك فكانه بين جملة تفصيله وقوله

وان تقولوا

وان تقولوا اعلم الله بالاعمال تقدم تفسيره قوله تعالى **ولكل امية اجل** الاجل الوقت
الموقت لانقضاء وقت المهلة ثم في هذا الاجل المذكور في الآية قولان احدهما انه اجل
لعذاب والمعنى ان لكل امية كذبت رسلها وقتا معينيا واجلا مسمى امهلم الى ذلك الوقت
فاذا جاء اجلهم يعني فاذا جاء وقت عذابهم **لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**
يعني فلا يؤخرون ولا يمتدحون قدر ساعة ولا اقل من ساعة وانما ذكرت الساعة لانها اقل
اسما للاوقات في العرف وهذا حين سألوا نزول العذاب فاخبرهم الله ان لهم وقتا اذا
جاء ذلك الوقت وهو وقت هلاكهم واستيصالهم فلا يؤخرون عنه ساعة ولا يستقدمون
والقول الثاني ان المراد بهذا الاجل هو اجل الحياة والعمر فاذا انقضى ذلك الاجل حضر
الموت فلا يؤخر ساعة ولا يقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم ان يكون لكل واحد اجل لا يتغير
تقديره ولا تاخير وانما قال تعالى لكل امية لتقارب اعمار اهل كل عصر فكانهم كانوا واحد في
مقدار العمر وعلى هذا القول ايضا يكون المقتول اميتا باجله خلافا لمن يقول قطع عليه اجله
وقوله عز وجل **يا بني ادم اما يا تبينكم رسل منكم** هي ان الشرطية ضمت اليها ما موكله لمعنى
الشرط هو القاء وما بعد من الشرط والجزا وهو قوله فمن اتقى واصلى يعني منكم وانما قال
رسل بلفظ الجمع وان كان المراد به واحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبيا
وهو رسل الى كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب
في قوله يا بني ادم لاهل مكة ومن يأتونهم وقيل اراد جميع الرسل وعلى هذا فالخطاب في قوله
يا بني ادم عام في كل بني ادم وانما قال منكم يعني من جنسكم ومثلكم من بني ادم لان الرسول
اذا كان من جنسهم كان اقرب لعدوهم واثبت المحبة عليهم لانه يعرفونه ويعرفون احواله
فاذا اتاهم ما لا يليق بقدرته او بقدرته امثاله علم ان ذلك الذي اتى به محجزة له وحجة على
من خالفه **يقصون عليكم اياتي** يعني يقرأون عليكم كتابي وادلة احكامي وشرابي التي
شرعت لعبادي **فمن اتقى** يعني من اتقى الشرك ونكاح لغة رسل **واصلح** يعني العمل الذي
امرته به رسلي بفطاعة وجنب معصيتي وما هيته عنه **فلا خوف عليهم** يعني حين
يخاف غيرهم يوم القيامة من العذاب **ولا هم يحزنون** يعني على ما فاتهم من دنياهم التي
تركوها **والذين كذبوا باياتنا** ومن محمد باياتنا وكذب رسلنا **واستكبروا عنها**
يعني واستكبروا عن الايمان بها وما جاءت به رسلنا **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون**
يعني لا يخرجون منها ابدا قوله تعالى **فمن اهل من افترى على الله كذبا** يعني من اعظم ظلما
من يقول على الله ما لم يقله او يجعل لله شريكا من خلقه وهو منزلة عن الشريك والولد او
كذب باياتنا يعني او كذب بالقرآن الذي انزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
اولئك يصيبهم من الكتاب يعني ينالهم عظم ما قدر لهم وكتب في اللوح المحفوظ
واختلفوا في ذلك اللوح النصيب على قولين احدهما ان المراد به هو العذاب المعين لهم
في الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن والسدي ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من
سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس في رواية عنه كتب لمن يفتري على الله الذنب
ان وجهه اسود قال الزجاج هو المذكور في قوله فانذرتمكم ان اناظري وفي قوله اذا اغلالت في غنائم

وجواب هذا الشرط

فهذه الاشياء هي نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم والقول الثاني ان المراجع للنصيب المذكور في الكتاب هو شي سوي العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس في رواية اخري عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية في قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا هو السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم من الاعمال وقال في رواية اخري عنه من عمل خيرا جزى به ومن عمل شرا جزى به وقال قتادة جزا اعمالهم التي عملوها وقيل يعني ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير او شر قال مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس ايضا وقال الربيع بن انس ينالهم ما كتب لهم في الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظي علمه ورزقه وعصره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الاعمال والارزاق والاعمار فاذا في هذا جازاتهم رسلنا يتوفونهم وصح الطبري هذا القول الاخير وقال لان الله تعالى تبع ذلك بقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم فابان ان الذي ينالهم هو ما قدر لهم في الدنيا فاذا في توفيتهم رسلهم قال الامام فخر الدين واما حصل الاختلاف لان لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين جملة على العمد والرزق اولى لانه تعالى بين انهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم فانه ليس يمنع ان ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلا من الله سبحانه وتعالى لكي يصلحوا ويتوبوا قوله تعالى **حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم** يعني حتى اذا جاءت هؤلاء الذين يفنونهم على الله الكذب رسلنا يعني ملك الموت واعوانه ليقضوا ارواحهم عند استكمال اعمارهم وارزاقهم لان لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى **قالوا** يعني قال الرسل وهم الملائكة للكفار **ابن ما كنتم تدعون من دون الله** وهذا سوال توبيخ وتقريع وتبكيت لاسوال استعلام والمعنى ابن الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ادعواهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون في الآخرة والمعنى حتى اذا جاءتهم رسلنا يعني ملائكة العذاب يتوفونهم يعني يستوفون عددهم عند حشرهم الى النار قالوا ابن ما كنتم تدعون يعني شركا واوليا تعبدونهم من دون الله فادعواهم ليدفعوا عنكم ما جاءكم من امر الله **قالوا** يعني الكفار يجيبون للرسل **صلوا عنا** يعني بطالوا وذهبوا عنا وتركوا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا **وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كفرون** يقول الله تعالى وشهدوا ولا الكفار عند معاناة العذاب انهم كانوا جاحدين وحدانية الله تعالى واعتروا على انفسهم بذلك قوله عز وجل **قال ادخلوا في ام قد دخلت من قبلكم من الجن والانس** يعني يقول الله عز وجل يوم القيامة لمن افترى عليه الكذب وجعل له شريكا من خلقه ادخلوا في ام يعني في جملة ام قد دخلت يعني قد مضت وسلفت واما قال قد دخلت ولم يقل قد خلوا لانه اطلق الضمير على الجماعة يعني في جملة جماعات قد دخلت من قبلكم من الجن والانس في النار التي هي مستقركم ومثواكم واما عني بالام الجماعة والاضراب واهل الملل الكافرة من الجن والانس **كلما دخلت امة** يعني كلما دخلت جماعة النار لعنت **اختها** يعني كلما دخلت امة النار لعنت اختها من اهل ملتها في الدين لا في النسب قال السدي كلما دخلت امة النار لعنوا اصحابهم على ذلك الدين فيلعن المشركون المشركين

واليهود والنصارى

واليهود والنصارى والصايين والمجوس المجوس تلعن الآخرة الاولى **حتى اذا داركوا** يعني تداركوا وتلاحقوا **فيها جميعا** يعني تلاحقوا واجتمعوا في النار جميعا ادرك بعضهم بعضا واستقرروا في النار **قالت اخرهم اولاهم** قال ابن عباس يعني قال اخراية لاولها وقال السدي قالت اخرهم الذين كانوا في اخر الزمان لاولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل يعني قال اخرهم دخول النار وهم الانبياء لاولاهم دخولهم القادة لان القادة يدخلون النار **اولاهم اولاهم** يعني يقول الانبياء ربنا هو لا القادة والروسا اضلونا عن الهدى وزينوا لنا طاعة الشيطان وقيل انما قال المتأخرون ذلك لانهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين من اسلافهم فسلوكوا سبيلهم في الضلالة واتبوا طريقهم فيها كانوا عليه من الكفر والضلالة فلما كان يوم القيامة وتبين لهم ضلالتهم ما كانوا عليه قالوا ربنا هاهنا اولاهم اولاهم لاننا اتبعنا سبيلهم **قالت اخرهم اولاهم** اي اضعف عليهم العذاب قال ابو عبيدة الضعف هو مثل الشيعة واحدة قال الازهري والذي قاله ابو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم واما كتاب الله فهو عربي مبين ويرد تفسيره الى موضوع كلام العرب والضعف في كلامهم ما زاد وليس بمقصود على مثلين وجاز في كلام العرب هذا ضعفه اي مثله وثلاثة امثاله لان الضعف في الاصل زيادة غير محصورة واولي الاشياء ان تجعل عشرة امثاله فقل الضعف محصور وهو المثل والكثره غير محصور وقال الزجاج في تفسير هذه الآية **قالت اخرهم اولاهم** اي مضاعفا لان الضعف في كلام العرب على ضربين احدهما المثل والاخر ان يكون في تضعيف الشيء زيادته قال يعني قال الله **لكل ضعف** يعني لا ولا كره ولا خراكم ضعف وقيل معناه للتابع ضعف والمتبوع ضعف لانهم قد دخلوا في الكفر جميعا **ولكن لا تعلمون** يعني ما اعد الله لكل فريق من العذاب وقري بالياء ومعناه ولكن لا يعلم كل فريق ما اعد الله من العذاب للفريق الاخر قوله تعالى **قالت اولاهم** يعني في الكفر وهم القادة **لاخرهم** يعني للتابع **فما كان لكم علينا من فضل** يعني قد ضللتكم كاضلنا وكفرتكم ككفرتنا وقيل في معنى الآية وقالت كل امة سلفت في الدنيا لاخرها الذين جاوا من بعدهم فسلوكوا سبيل من مضى قبلهم فاكان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله بسبب كفرنا ومعصيتنا اياه وجاؤكم بذلك الرسل والنذر فما رجعت عن ضلالتكم وكفركم **فدوقوا العذاب** وهذا محتمل ان يكون من قول القادة للتابع والاية الاولى الاخرى التي بعدها ومحتمل ان يكون من قول الله يعني يقول الله للجميع **فدوقوا العذاب** **ما كنتم تكذبون** يعني بسبب ما كنتم تكذبون من الكفر والاعمال الخبيثة قوله عز وجل **ان الذين كذبوا باياتنا** يعني كذبوا بآيات التوحيد فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا **واستكبروا عنها** اي وتكبروا عنها والايان بها والتصدق لها وانفوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل بمقتضاها تكبرا **لا تفتح لهم ابواب السما** يعني لا تفتح لارواحهم اذا خرجت من اجسادهم ولا يصعد لهم الله لهم الى الله عز وجل في وقت حياتهم قوله ولا عمل لان ارواحهم واقوالهم واعمالهم كلها خبيثة واما يصعد الى الله الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس لا تفتح

كلام

معصا

ابواب السما لا رواح الكفار وتفتح لارواح المسلمين وفي رواية عن ابن عباس قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح ابواب السما لارواحهم ولا اعمالهم روي الطبري في مسنده عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح العاجر فانه يصعد بها الى السما قال لا يصعدون بها فلا يمدون على ملائكة الا قالوا ما هذا الروح الجنيث قال فيقولون فلان بافتح اسماءه التي كان يدعها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السما فيستفتحون له فلا يفتحون له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السما ولا يدخلون الجنة حتى يدخل الجمل في سم الخياط وقيل في معنى الآية لا تترك عليهم البركة والخير لان ذلك لا يترك الا من السما فاذا لم يفتح لهم ابواب السما فلا ينزل عليهم من البركة والخير والرحمة شي وقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يدخل الجمل في سم الخياط الولوج الدخول والجمل معروف وهو الذكر من الابل وسم الخياط ثقب الابرة وقال القرطبي الخياط والنخيط ما خاط به والمراد به الابرة في هذه الآية وانما خص الجمل بالذكر من بين سائر الحيوانات لانه اكبر من سائر الحيوانات جساما عند العرب قال الشاعر جسم الجمل واطلام العصفير وصف من هجاه هذا بعظم الجسم مع صغر العقل فجسم الجمل من اعظم الاجسام وثقب الابرة من اضيق المنافد فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الابرة الضيق كمالا فذلك دخول الكافر الجنة محال ولما وصف الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا الشرط محال لا تثبت ان الوقوف على المحال محال فوجب هذا الاعتبار ان دخول الكفار الجنة ما يؤتا قطعا وقال بعض اهل المعاني لما علق الله دخولهم الجنة بولج الجمل في سم الخياط وهو خبز الابرة كان ذلك نقيا لدخولهم الجنة على التاميد وذلك لان العرب اذا علق ما يجوز كونه استحالة كون ذلك الجائز وهذا القول لا يتكح حتى تشيب الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر اذا شاب الغراب انتيت اهلي وصار القار كاللبن الحليب

وقوله تعالى **وكذلك نجزي الجحيميين** اي ومثل الذي وصفنا نجزي المؤمنين يعني الكافرين لانه تقدم من صفاتهم انهم كذبوا بايات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل لفظ المشركين على انهم الكفار ولما بين الله عز وجل ان الكفار لا يدخلون الجنة ابدان انهم من اهل النار ووصف ما اعد لهم فيها فقال تعالى **لم من جهنم ما دعي لهم من نار جهنم فراش** واصل المهاد المتمهد الذي يتعد عليه ويضجع عليه كالفرش والبساط **ومن فوقهم غواش جمع غاشية** وهو العطاء كالخاف وخوه ومعنى الآية ان النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب القرظي والضحاك في السدي المهاد والفرش الغواش الخف **وكذلك نجزي الظالمين** يعني وكذلك تكافى ونشيب المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل **والذين امنوا وعملوا الصالحات لا تكلف نفسا الا وسعها** لما ذكر الله وعيد الكافرين وما اعد لهم في الآخرة اتبعه بذكر وعيد المؤمنين وما اعد لهم في الآخرة فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات يعني والذين صدقوا الله ورسوله وافروا بما جاءهم من ربي الله وتزويله عليه من شرايع دينه وعملوا بما امرهم به واطاعوه في ذلك وجنبوا ما نهاهم عنه لا تكلف نفسا الا وسعها يعني لا تكلف نفسا الا ما يسعها من الاعمال

واسل

وما سهل عليها ودخل في طوقها وقدرتها وما اخرج فيه عليها ولا ضيق قال الزجاج الوسع ما يقدر عليه عليه وقال مجاهد مغاه الا ما افترض عليها يعني ان الذي افترض عليها من وسعها الذي تقدر عليه لا تجز عنه وقد غلط من قال ان الوسع بذل المجهود قال الكثر اصحاب المعاني ان قوله تعالى لا تكلف نفسا الا وسعها اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر لانه من جنس هذا الكلام والتقدير والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لانه من جنس هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر علمهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاعتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحملها يوصل اليها بالعمل السهل من غير تحمل كلفة ولا شقة صعبة وقال قوم من اصحاب المعاني موضع رفع من تمام الخبر والعائد محذوف كانه قال لا تكلف نفسا منهم الا وسعها فحذف العائد للعلم به وقوله تعالى **ونزعنا ما في صدورهم من غل** يعني وقلعنا واخرجنا ما في صدورهم من غل يعني من غش وحسد وحقد وعداوة كانت بينهم في الدنيا ومعنى الآية ان لنا تلك الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شي خسر الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية الطباع واستقاط الوسواس ومنعها عن ان ترد على القلب روي عن علي قال فينا والله اهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروي عنه ايضا انه قال لا رجوا ان اكون انا وعثمان وطحمة والزبير من الذين قال الله فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة ح عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحسبون على فتطورة بين الجنة والنار فيقتصر لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا وتقوا اذن الله لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لا حدم اهدي بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وقال السدي في الآية ان اهل الجنة اذا استبقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في اصل ساقيها عينان فشربوها من احداهما فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فخرجت عليهم بنصرة النعيم فلن يشعثوا ولن يستجثوا بعدها ابدا وقيل ان درجات الجنة متفاوتة في علوها والكمال فبعض اهل الجنة اعلى من بعض فاخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وان الله عنهم ونزعهم من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة العالية والنعمة العظيمة وهو محبوس عنها ولا يصيب اليها فكيف لا يميل بطبعه اليها ولا يغم بسبب حرمانه عنها وان كان في نعيم ولذة واجيب عن هذا بان الله عز وجل قد وعد بارائه الحقد والحسد من قلوب اهل الجنة حتى تكمل لهم اللذة والسرور حتى ان احدهم لا يرى نفسه الا في كمال وزيادة من النعيم الذي هو فيه فيرضي بما هو فيه ولا يحسد احدا ابدا وهذا من تعميده ولذته وكل سروره وهجته وقوله تعالى **نجزيهم من تحتهم الا نارا** لما اخبر الله بما انعم على اهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحقد من صدورهم اخبرنا انهم عليهم من اللذات والخيرات والمسرات **وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا** يعني ان المؤمنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذي وفقنا وارشدنا للعمل الذي هدانا اليه وتفضل علينا به

النجيم

الغالب صاحب العالين وورد على هذا القول كيف يعقل ان الانسان يرى الدرجات

شورجيل بن سعد اصحاب الاعراف قوم خرجوا في الغزو وغير اذن آبايهم ورواه الطبري بسند
البحري بن شبل مولي لبي هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن ابيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا عصاة آبايهم فنتهم قتلهم في سبيل الله عن النالي
وسنتهم معصية آبايهم ان يدخلوا الجنة زاد في رواية فهم اخر من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزي
انهم قوم رضوا آباهم دون امهاتهم دون آبايهم ورواه عن ابراهيم وذكر عن ابي صالح
مولى التؤمة عن ابن عباس انهم اولاد الزنا وقيل انهم الذين ماتوا في الفترة وفيه بعدة
اخر اصحاب الاعراف الى الجنة وهما ولا الذين ماتوا في الفترة الله اعلم بحالهم وهو متولي
امرهم وقيل انهم اولاد المشركين الذين ماتوا اطفالا وهذا القول يرجع معناه الى القول
الذي قبله لانه داخل في حكمه فلهذا الاقوال تدل على ان اصحاب الاعراف دون اهل الجنة
في الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله وقال مجاهد اصحاب الاعراف قوم صلوا
فقها علما فلهذا القول انما يكون لبثهم على الاعراف انما يكون على سبيل التزهة او ليري
غيرهم شرفهم وفضلهم وقيل انهم انبياء حكاه ابن الانباري وانما اجلسهم الله على ذلك لكان
العالي تمييزهم على سائر اهل القيامة واظهار الفضل لهم وعلو مرتبتهم وليكونوا مشرفين على
اهل الجنة والنار ومطلعين على احوالهم ومقادير ثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار وقال
ابو مجلز اصحاب الاعراف ملائكة يعرفون الغريقين بسيماهم يعني يعرفون اهل الجنة واهل
النار فيقبل لابي مجلز ان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وان تقول انهم ملائكة فقال
ان الملايكة ذكور ليسوا باناث وضعف الطبري قوله لابي مجلز قال لان لفظ الرجال في
لسان العرب لا يطابق الا على الذكور من بني ادم دون اناثهم ودون سائر الخلق وحاصل هذه
الاقوال ان اصحاب الاعراف افضل من اهل الجنة لانهم اعلى منهم منزلة وافضل وقيل انما
اجلسهم الله في ذلك المكان العالي ليميزوا بين اهل الجنة واهل النار والله اعلم بمراده
واسرار كتابه وقوله تعالى يعرفون **كلا بسيماهم** يعني ان اصحاب الاعراف يعرفون
اهل الجنة بسيماهم وذلك بياض وجوههم من نظرة النعيم عليها ويعرفون اهل النار
بسيماهم وذلك بسواد وجوههم وزرقة عيونهم والسيما العلامة الدالة على الشيء واصلة من
السمة قال ابن عباس اصحاب الاعراف اذ اراوا اصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه فان قلنا
ان اصحاب الاعراف من استوت حسناتهم وسيئاتهم وهم دون اهل الجنة من الدرجة فاقولهم
الله على الاعراف ليكونوا درجة متوسطة بين الجنة والنار فاذا راوا اهل الجنة عرفوهم
ببياض وجوههم نادوهم ان سلام عليكم وهو قوله تعالى **ونادوا اصحاب الجنة ان سلام**
عليكم يعني نادى اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني سلمت من الافات
وحصلتم الامن والسلامة واذا راوا اهل النار عرفوهم بسواد وجوههم قالوا ربنا
لا تجعلنا مع القوم الظالمين وان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشرف والافاضل
من الجنة كان جلوسهم على الاعراف ليطلعوا على احوال اهل الجنة واهل النار ثم لينقلهم
الله عز وجل الى الدرجات العالية في الجنة وقوله تعالى **يدخلوها وهم يطعمون** يعني في
دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله ذلك الطعم في قلوبهم الا لكرامة يرد بها بهم وقوله تعالى

اهل

واذا صرفت انهارهم **تلكما اصحاب النار** يعني واذا صرفت اصار اصحاب الاعراف تلقا اصحاب
النار يعني وجاههم وحيالهم تنظروا اليهم والى سواد وجوههم وما هم فيه من العذاب **قالوا ربنا**
لا تجعلنا مع القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بالشرك وقال ابن عباس ان اصحاب
الاعراف اذا نظروا الى اهل النار عرفوهم وقالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين والمعنى ان
اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار وما هم فيه من العذاب تضرعوا الى الله وسالوه الا
يجعلهم منهم قوله تعالى **ونادى اصحاب الاعراف رجالا** يعني ونادى اصحاب الاعراف رجالا كانوا
عظما في الدنيا وهم من اهل النار يعرفونهم **بسيماهم** يعني بسيما اهل النار **قالوا** يعني اصحاب الاعراف
لهؤلاء الذين عرفوهم في النار **ما اعني عنكم جمعكم** يعني ما كنتم تجمعون من الاموال والعدد
في الدنيا وما كنتم **تستكبرون** يعني وما اعني عنكم تكبركم عن الايمان شيئا قال الكوفي ينادونهم
على السور يا وليدين المغيرة يا ابا جهل بن هشام يا فلان ويا فلان ثم ينظرون الى الجنة
فيرون فيها الفقر والضعف ثم كانوا يستهزون بهم مثل مصعب وسلمان وخباب وبلال
واشباههم فيقول اصحاب الاعراف لا وليك القفار **ها ولا** لفظ استفهام يعني ها ولا الضعفا
الذين اقسمت لا ينالهم الله برحمة يعني انكم حلفتم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم
يقول الله لاصحاب الاعراف **ادخلوا الجنة** بفضلي ورحمتي **لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون**
وقيل ان اصحاب الاعراف اذا قالوا لاهل النار ما اخبر الله عنهم قال لهم اهل النار ان اوليك
دخلوا الجنة وانتم لم تدخلوها فيعبدونهم بذلك ويعتقون انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالهم
الله برحمة فتقول الملايكة لاهل النار اها ولا يعني اصحاب الاعراف الذين اقسمت لا ينالهم
الله برحمة ثم تقول الملايكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
قوله عز وجل **ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء** قال ابن عباس
لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار في الفرج فقالوا يارب ان لنا قرايات من
اهل الجنة فاذا نلنا حتى نراهم ونكلمهم فياذن لهم فينظروا الى قراياتهم في الجنة وما هم فيه
من النعيم فيعرفونهم وينظروا اهل الجنة الى قراياتهم من اهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم
فينادون اصحاب النار اصحاب الجنة باسمائهم فينادي الرجل اباه واخاه فيقول قد اخترت
افضل علي من الماء فيقال لهم ان الله حرمها على الكافرين ومعنى الآية ان
اهل النار يستغيثون باهل الجنة اذا استقروا فيها وذلك عند نزول البلاء باهل
النار وما يلحقون من شدة العطش والجوع عقوبة من الله على ما سلف منهم في الدنيا من
الكفر والمعاصي يقول اهل النار لاهل الجنة يا اهل الجنة افيضوا علينا من الماء يعني
صبوا علينا من الماء **او ما رزقكم الله قالوا** يعني والطعونا ما رزقكم الله وسعوا علينا من
طعام الجنة فيجيبهم اهل الجنة **ان الله حرمها على الكافرين** وهذا الجواب يفيد الحرمان
قال بعضهم لما كانت شهواتهم في الدنيا في لذة الأكل والشرب عندهم الله في الآخرة بشدة
الجوع والعطش فسالوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من طلب الأكل والشرب فاجيبوا
بان الله حرمها على الكافرين يعني طعام الجنة وشربها ثم وصفت الكافرين فقال تعالى
الذين اتخذوا دينهم هواهم يعني اتم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم ولها وعنه

بالله

برحمة الله

واصل الله وما يشغل الانسان عما يعنيه به وبه يقال لهوت بكذا ولهيت عن كذا اي اشتغلت عنه قال
ابن عباس هم المستهزون وذلك انهم كانوا اذا دعوا الى الامان سخر وامس دعاهم اليه وهذوا به
اعتزوا بالله عز وجل وقيل هو ما زبن لهم الشيطان من تخيير الحماير والسوايب والمكا والتصدقات
حول البيت وسائر الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل معني دينهم عيدهم
اتخذوه لهوا ولعبا لا يذكرون الله فيه **وعزتهم الحياة الدنيا** يعني وخذعتهم عاجل ايامهم
فيه من خفض العيش والدعة وشغلهم بما هم فيه من ذلك عن الايمان بالله ورسوله وعن الاخذ
بنصيبتهم من الاخرة حتى اتهم المنية وهم على ذلك والغرة غفلة في البقطة وهو طمع الانسان
في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات فاذا حصل له ذلك صار يحجوا عن
الدين وطلب الخلاص لانه غريق في الدنيا بلذاته وما هو فيه من ذلك ولما وصفهم الله بهذه الصفات
الذميمة قال **فاليوم** يعني يوم القيامة **تنسواهم كما نسوا القايومهم هذا** يعني فاليوم تركهم
في العذاب المهين جيا عا طاشا كما تركوا العمل للقايومهم هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي
قال ابن عباس نسواهم من الخير ولم ينسوا من الشر وقيل معناه يعاملهم معاملة من نسى فتركهم
في النار كما تركوا العمل واعرضوا عن الايمان اعراض الناس سمي الله تعالى جزا نسيانهم بالنسيان
على المجاز لان الله تعالى لا ينسي شيئا فهو كقوله وجزا سية سية مثلها فيكون المراد بهذا النسيان
ان الله تعالى لا يجيب دعاهم ولا يرحم ضعفهم وذلك لم يتركهم في النار كما تركوا الايمان والعمل
وما كانوا باياتنا نجحون يعني وتركهم في النار كما كانوا يبدلون لاي واحدنا يكدون قوله
تعالى **ولقد جئناهم بكتاب** يعني ولقد جئناهم هولا الكفار بالقران الذي اتركنا عليك يا محمد
فصلناه على علم اي بيناه على علم منا ما نفصله ونبينه هدي ورحمة لقوم يؤمنون اي
جعلنا القران هاديا وذارحة لقوم يؤمنون **هل ينظرون الا اتاويله** يعني هل ينظرون
ها ولا الكفار الذين كذبوا باياتنا وحدها ولم يؤمنوا بها الا اتاويله يعني هل ينظرون ويتوقعون
الاما وعدوا به على السنة الرسل من العذاب وان مصيرهم الى النار والتاويل ما يؤول اليه
الشي **يوم ياتي تاويله** يعني يوم القيامة لانه يوم الجزا وما يؤول اليه امورهم **يقول الذين**
نسوه من قبل يعني يقول الذين تركوا العمل بالقران ولم يؤمنوا به يوم القيامة عند معاناة
العذاب **قد جات رسلنا بالحق** اقر واعيا انفسهم واعترفوا حين لا ينفعهم ذلك الاعتراف
والاقرار والمعني ان الكفار اقروا بان الله الذي جات به الرسل من الايمان والتصدق والحق والشر
والبشر والبعث يوم القيامة والثواب والعقاب حق وصدق وانما اقروا به الان في الدنيا
شاهدوها معاينة وذلك حين لا ينفعهم ولما راوا انفسهم في العذاب قالوا **اهل لنا من شئنا**
فيشفعوا لنا او **نزدنعمل غير الذي كنا نعمل** يعني انه ليس لنا طريق الى الخلاص ما نحن فيه
من العذاب الا ان يشفع لنا شفيع عند ربنا فتقبل شفاعة فينا فيخلصنا من هذا
العذاب او نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها فنبدل الكفر بالتوحيد والالهاة
والمعاصي بالطاعة والالاة **قد خسروا انفسهم** يعني ان الذي طلبوه لا يحصل لهم فتيين
خسرانهم وهلاكهم انفسهم لانهم كانوا في الدنيا اول مرة فلم يعلموا بطاعة الله ولوردوا الى الدنيا
لعادوا لما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله فيهم **وضل عنهم ما كانوا يفترون**
يعني

يعني وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون في الدنيا من ان الاصنام تشفع لهم فلما افضوا الى
الاخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا انهم كانوا في دعواهم كاذبين قوله عز وجل **ان ربكم الله** يعني
ان سيدكم وما لكم ومصلح اموركم وبوصل الخيرات اليكم ويدفع عنكم المكارة هو الله **الذي**
خلق السموات والارض في ستة ايام اصل الخلق في اللغة التقدير المستقيم ويستعمل
في ابداع الشيء من غير اصل سبق ولا ابتدا تقدم فقوله خلق السموات والارض يعني ابتدعها
وانشا خلقها على غير مثال سبق وقد راها في ستة ايام فان قلت اليوم عبارة عن مقدار
من الزمان وذلك المقدار هو من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال في ستة ايام ولم يكن
شمس ولا ساء قلت معناه في مقدار ستة ايام فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
يعني على مقدار البكرة والعشي في الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار واحتلف العلماء في اليوم
الذي ابتد الله عز وجل خلق الاشياء فقول في يوم السبت وهو قول محمد بن اسحق وغيره ويدل
على صحة هذا القول ما روي مسلم في افراده من حديث ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيدي فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق
الشجر يوم الاثنين وخلق المدروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق فيها الدواب
يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر في يوم الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة
فيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث وان كان في صحيح مسلم ففيه مقال وقد انكره بعض العلماء
لما فيه من المخالفة للاية الكريمة لان الله تعالى يقول خلق السموات والارض في ستة ايام وقال
في اية اخرى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام فدل بهذين النصين على ان
جميع الخلق تفرق في ستة ايام والذي في الحديث ان بعض الخلق وقع في سبعة ايام وذلك
مجموع ايام الاسبوع فلهذا السبب انكره من انكره من العلماء وقد ذكر الازهري في كتابه فقه ذيب
اللغة ما يقوي الحديث فقال قال ابن الانباري السبت القطع وسمي يوم السبت لان الله تعالى
ابتد الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق الارض وقيل ان ابتدا الخلق كان يوم الاحد
وهو قول عبد الله بن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبري قال
الطبري خلق الله السموات والارض في ستة ايام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء
والخميس والجمعة وروي بسنده عن مجاهد قال بدأ الخلق العرش والماء والهوا وخلق
الارض من الماء وخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وجمع الخلق
في يوم الجمعة وتوود اليهود يوم السبت ويوم من الستة ايام كالف سنة ما تقدمون
وبعض هذا القول ما حكاه صاحب المحكمين سيد قال وسمي سابع الاسبوع سبعا لان
ابتدا الخلق كان من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن في السبت خلق قال الصحاب
الاجار والسير والتواريخ ان الله عز وجل خلق التربة التي هي الارض بلاد حوا ولا يسط
في يوم الاحد والاثنين ثم استوي الى السماء فسواهن سبع سموات في يومين وهما الثلاثاء
والاربعاء ثم دحا الارض وبسطها وطمها واخرج ماها ورمعها وخلق دوابها وحشها
وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخلق ادم يوم الجمعة اخر الخلق في اخر ساعة
من ساعات الجمعة وقيل خلق الله التربة يوم الاحد ثم استوي الى السماء فخلقها وجميع

ما فيها يوم الاثنين والثلاثاء ثم من الارض ودحاها يوم الاربعاء والخميس وخلق ادم يوم الجمعة
 واسكنه الجنة هو وزوجته حواء اهبطها الى الارض في اخر ساعة من يوم الجمعة وقيل
 اول ما خلق الله القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما هو خالق وما هو الخلق الي يوم
 القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش ثم خلق السما من درة بيضا ثم خلق التربة
 ثم خلق السموات وما فيها من نجوم ومشمس وقمر ثم من الارض وبسطها من التربة التي خلقها اول الامر
 خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خلق ادم اخر الخلق في اخر ساعة من
 ساعات يوم الجمعة وفيه اهبط الى الارض فتكامل جميع الخلق في ستة ايام كل يوم مقدار
 الف سنة وهذا قول جمهور العلماء وقيل في ستة ايام من ايام الدنيا فان قلت ان الله عز
 وجل قادر على ان يخلق جميع الخلق في لحظة واحدة ومنه قوله وما امرنا الا واحدة كلم بالبصر
 فما الفائدة في خلق السموات والارض وما الحكمة في ذلك قلت ان الله سبحانه وتعالى
 وان كان قادرا على خلق جميع الاشياء في لحظة واحدة الا انه تعالى جعل لكل شي حدا محددا وداووقا
 معلوما فلا يدخل في الوجود الا في ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده التثبت
 والتأني في الامور قال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق السموات والارض
 في لحظة فخلقهن في ستة ايام تعليمنا خلقه التثبت والتأني في الامور كما في الحديث
 الثاني من الله والعجلة من الشيطان وقيل ان الشيء اذا احدث دفعة واحدة فعمله ان
 يحظر به بعضهم ان ذلك الشيء انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا احدث شيئا بعد شي على سبيل
 المصلحة والحكمة كان ذلك المبلغ في القدرة واقوي في الدلالة وقيل ان الله تعالى اراد ان يوقع في
 كل يوم امر امر حتى يستعظم الملائكة وغيرهم من شاهدهم وقيل ان التعجيل في الخلق
 يبلغ في القدرة والتثبت يبلغ في الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشياء بالتثبت كما اظهر
 قدرته في خلق الاشياء بكونه فيكون وقوله تعالى **ثم استوي على العرش** العرش في اللغة السرر
 وقيل هو ما على فاعل وسمى مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه وبكبره عن العز والسلطان
 والملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان ثل عرشه يعني ذهب عزه وملكه
 وسلطانه قال الراغب في كتابه معجرات القرآن وعرش الله عز وجل ما لا يعلمه البشر الا
 بالاسم على الحقيقة وليس كما يذهب اليه اوهام العامة فانه لو كان كذلك لكان حامله
 تعالى من ذلك وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلى والكوكب واما استوي بمعنى
 استقر فقد رواه البيهقي في كتابه الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من
 السلف وضعفها كلها وقال اما الاستواء المتقدمون من اصحابنا كانوا لا يفسدونه ولا يتكلمون
 فيه كقوم ذهبهم في امثال ذلك وروي بسنده عن عبد الله بن وهب قال كنا عند مالك
 ابن انس فدخل رجل فقال يا ابا عبد الله الرحمن على العرش استوي كيف استواءه قال
 فاطرق مالك واخذته الرخصة ثم رفع راسه فقال الرحمن على العرش استوي كما وصف
 نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنده مرفوع وانت رجل سوء صاحب بدعة اخرجوه فاخرج
 الرجل وفي رواية يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن انس فاجار رجل فقال يا ابا عبد الرحمن الله
 على العرش استوي كيف استواءه فاطرق مالك براسه حتى علاه الرخصة ثم قال الاستواء

في ستة ايام

غير محمول

غير محمول وكيف غير معقول والايان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اراك الاستدعاء فارجو
 ان يخرج وروي البيهقي بسنده عن ابن عبينه قال كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسره
 تلاوته والسكوت عنه قال البيهقي والانا عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة
 يدل مذهب الشافعي واليه ذهب احمد بن حنبل والحسن بن الفضل البجلي ومن المتأخرين ابو سليمان
 الخطابي قال البغوي اهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب
 على الرجل الايمان به وبكل العلم به الى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن انس مع الرجل الذي
 سأل عن الاستواء وقد تقدم وروي عن سفياك الثوري والاوراعي والليث بن سعد
 وسفياك بن عبينه وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الايات التي جاءت
 في الصفات المتشابهة امورها كما جاءت بلا كيف وقال الامام خازن الدين الرازي بعد ذكره
 الدلائل العقلية والسمعية انه لا يمكن حمل قوله تعالى **ثم استوي على العرش** على الجلوس
 والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلماء الراشدين مذهبان الاول
 ان نقطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة ولا تخوض في تأويل الآية على التفصيل
 بل نفوض علما الى الله عز وجل وهو الذي قررنا في تفسير قوله وما يعلم تأويله الا الله
 والراشدين في العلم يقولون امنا به وهذا المذهب هو الذي تختاره ونقول به ونعتمد
 عليه والمذهب الثاني ان تخوض في تأويله على التفصيل وفيه قولان لمختصان الاول
 ما ذكره القفال فقال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملك ثم جعل العرش كناية
 عن نقص الملك يقال ثل عرشه اي انتقص ملكه واذا استقام له ملكه واطرد امره وحكمه
 قالوا استوي على عرشه واستوي على سرير ملكه وهذا ما قاله القفال والذي قاله
 القفال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره العالم على
 الوجه الذي القوه من ملوكهم واستقروا في قلوبهم عظمة الله جل جلاله وكما قدرته وذلك
 مشروط بنفي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشية قال ويدل على صحة هذا
 قوله في سورة يونس **ثم استوي على العرش** يدبر الامر بقوله يدبر الامر جري مجري
 التفسير لقوله استوي على العرش واورد على هذا القول بان الله تعالى لم يكن مستويا
 على الملك قبل خلق السموات والارض والله تعالى منزّه عن ذلك واجيب عنه بان الله
 تعالى كان قبل خلق السموات والارض ما لكها لكن لا يصح ان يقال شبع زيد الا بعد اكله
 الطعام فاذا شرب العرش بالملك صح ان يقال انه تعالى بما استوي ملكه بعد خلق السموات
 والارض والقول الثاني ان يكون استوي بمعنى استوي وهذا مذهب المعتزلة
 وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر
 قد استوي بشر على العراق من غير سيف ودم مراح
 وعلى هذا القول انما اخبر العرش بالاجابة عنه بالاستيلاء عليه لانه اعظم المخلوقات
 ورد هذا القول بان العرب لا تعرف استوي بمعنى استوي وانما يقال استوي فلان على
 كذا اذا لم يكن في ملكه ثم ملكه واستوي عليه والله تعالى لم يزل ما كالا لاشياء كلها
 ومستوي عليها فاي تخصيص للعرش هذا دون غيره من المخلوقات ونقل البيهقي عن ابي

الحسن الاشعري ان الله تعالى فعل في العرش فعلا ساء استوا كما فعل في غيره فعلا ساءا رزقا ونعمة
او غيرها من افعاله ثم لم يكف الاستواء الا انه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوي
على العرش ثم التراجي والتراجي انما يكون في الافعال وافعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه
ايها ولا حركة وحكي الاستاد ابو بكر بن فورك عن بعض اصحابنا انه قال استوي بمعنى علام
العوالم ولا يزيد بذلك علوا بالمسافة والتحيز والكون في المكان متمكنا فيه ولكن يزيد
معني نفى الحيز عنه وانه ليس بما يحويه طبق او محيط به نظره ووصف الله تعالى بذلك طريقة
الخبر ولا يتعدي ما ورد به الخبر قال البيهقي وهو على هذه الطريقة من صفات الذات
وكلمة ثم تعلقت بالمستوي عليه لا بالاستواء قال وقد اشار ابو الحسن الاشعري الي
هذه الطريقة حكاية فقال قال بعض اصحابنا انه صفة ذات قال وجوابي هو الاول
وهو ان الله تعالى مستوي على عرشه وانه فوق الاشياء بان منها معني انه لا تحله ولا تحلها ولا
يما سها ولا يشبهها وليست البينونة بالعزلة تعالى الله ربنا عن الحول والمجاسة
علو اكبر او قد قال بعض اصحابنا ان الاستواء صفة لله تعالى تنفي الاعوجاج عنه وروى
ابن الاعرابي جاء رجل فقال يا ابا عبد الله ما معني قوله الرحمن على العرش استوي قال انه
مستوي على عرشه كما اخبر فقال الرجل انما معني قوله استوي اي استوي فقال له ابن الاعرابي
ما يدريك العرب لا تقول استوي على الشي فلان حتى يكون له فيه مضادا فابها غلب قبل من
غلب قد استوي عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما اخبر لا كما يظنه البشر والله
اعلم وقوله تعالى **يغشي الليل النهار** يعني انه تعالى ياتي بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه حتى
يذهب بنوره وفيه حذف تقديره ويغشي النهار الليل وانما لم يذكر النهار دلالة الكلام عليه
يطلبه حثيثا يعني سريعا وذلك انه اذا كان يعقب احدهما الاخر ويحلفه فكانه يطلبه
حكي الامام فخر الدين عن القفال انه قال ان الله تعالى لما اخبر عباده باستوايه على العرش
اخبر عن استمرار امور الخلق على وفق مشيئته وراهم ذلك فيما يشاهدونه منها لينضم
العيان الي الخبر وتزول الشبهة عن كل الجهات قال الامام واعلم انه سبحانه وتعالى وصف
هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب الليل والنهار انما يحصل بحركة الفلك
الاعظم وتلك الحركة اشد الحركات سرعة فان الانسان اذا كان في اشد عدوه بمقدار
دفع رجله ووضعها يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة الاف ميل وهي الف فرسخ فلهذا قال
تعالى **يطلبه حثيثا** السرعة حركته **والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره** يعني
التخير والتدليل وقال الزجاج وخلق هذه الاشياء جاريات في مجاريها بامرهم وقال المفسرون
يعني تسخيرهم تدليلهم لما يراهم من طلوع وغروب وسير ورجوع اذ ليس من قدرات
بانفسهم وانما هم يتصرفون في متصرفاتهم على ارادة المدير لهم الحكيم في تدبيرهم وتصرفهم
على ما ارادهم والمراد بالامر في قوله بامرهم فاعاد ارادته لان الغرض من هذه الآية تبير عظمة
قدرته ومنهم من حمل الامر على الامر الذي هو الكلام وقال انه تعالى امر هذه الاجرام بالسير
الدائم والحركة المستمرة الي انقضاء الدنيا وخراب هذا العالم فان قلت ان الشمس والقمر
من النجوم فلم امرها بالسير عطف عليها ذكر النجوم قلت انما امرها بالسير لبيان شرفها

على

على سائر الكواكب لما فيها من الاشرار والنور وبسرها في المنازل تعرف الاوقات فهو قوله من كان
عدوا لله وملائكته وجبريل وميكائيل تغطف جبريل وميكائيل على ذكر الملائكة وان كانا من الملائكة
ليبان شرفهما وفضلهما على غيرهما من الملائكة وقوله تعالى **الاله الخلق والامر** يعني له الخلق
لانه خلقهم وله ان يامرهم بما اراد وله ان يحكم فيهم بما يشاء وعلى هذا المعني الامر هنا الذي هو
تفويض النبي واستخراجه سفيان بن عيينه من هذا المعني ان كلام الله عز وجل ليس مخلوق
تقال ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر من جمع بينهما فقد كفر يعني ان من جعل الامر الذي
هو كلامه من جملة ما خلقه فقد كفر لان الخلق لا يقوم لمخلوق مثله وقيل معناه ان جميع ما في
العالم لله عز وجل والخلق له لانه خلقهم وجميع الامور تجري بقضائه وقدره فهو مجرب ومبتدئها
فلا يبقى بعده الاحدثي وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض من الآية تعظيم القدرة
وفي الآية دليل على انه لا خالق الا الله عز وجل ففيه رد على من يقول ان للشمس والقمر والكواكب
تاثيرات في هذا العالم فاخبر الله انه هو الخالق المبدئ لهذا العالم لا الشمس والقمر والكواكب
وله الامر المطلق وليس لاحد امر غيره فهو الامر والناهي الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
لا اعتراض لاحد من خلقه عليه **تبارك الله** يعني تجدد وتعظم وارتفع وقال الزجاج تبارك
تفاعل من البركة ومعني البركة الكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى وتعظم الله **رب العالمين**
يعني الله هو الذي يستحق التعظيم وذلك ان الله تعالى اتمم هذه الآية بقوله ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض وذكر اسميا من عظم خلقه وان له الخلق والامر والنهي والقدرة
عليهم ختم الآية بالتعاليه لانه هو المستحق للمدح المطلق والشا والتعظيم وقال ابن
عباس معناه تبارك بركة وقيل تبارك بعنه تقديس والتعديس الطهارة وقيل معناه
تبارك باسمه يتسمك في كل شيء وقال المحققون معني هذه الصفة ثبت ودام كما لم يزل
ولا يزال واصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لانه
لم يرد به التوقيف قوله عز وجل **ادعوا ربكم** قبل معناه اعبدوا ربكم لان الدعاء طلب
الخير من الله تعالى وهذه صفة العباد والادعاء تعالي عطف عليه قوله وادعوه خوفا
وطمحا والمعطوف يجب ان يكون مغاير للمعطوف عليه وقيل المراد به حقيقة الدعاء
وهو الصحيح لان الدعاء هو السؤال والطلب وهو نوع من انواع العباد لان الداعي لا يقدم
على الدعاء الا اذا عرف من نفسه الحاجة الي ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله
وعرف ان ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على ايصالها الي الداعي
فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والتقص ويعرف ربه بالقدرة والكمال وهو
المراد من قوله تعالى **تضرعا** يعني ادعوا ربكم تذللا واستكانة وهو اظهار الدل الذي
في النفس والخشوع يقال اضرع فلان فلان اذ اذله وخشع وقال الزجاج تضرعا
يعني تملقا وحقيقته ان ندعوه خاضعين خاضعين متعبدين بالدعاء له تعالى
وحقيقته يعني سرا في انفسكم وهو ضد العلانية والادب في الدعاء ان يكون خفيا لهذه
الاية قال الحسن بن دعوة السريين دعوة العلانية سبغون ضعفا ولقد كان المسلمون
يحتدرون في الدعاء ولا يسمعون لم صوت ان كان الاهساينهم وبينهم وذلك انه تعالى يقول

تبارك

ادعوا ربكم تضرعا وخفية وانه تعالى ذكره عبادا صالحا ورضى فعله فقال تعالى اذ نادى ربه ندا
خفيا **قوله** عن ابي موسى الاشعري قال كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من الناس مجنون
بالكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون احدا
ولا غايبا انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم والذي تدعون اقرب الي احدكم من عنق رحله
قال ابو موسى وانا خلفه اقول لاحول ولا قوة الا بالله في نفسي قال يا عبد بن قيس الا ذلك علي
لن من كنوز الجنة قلت بلى رسول الله قال لاحول ولا قوة الا بالله قوله صلى الله عليه وسلم
اربعوا على انفسكم يعني ارفعوا بها واقصدوا عن الصباح في الدعاء وقوله تعالى **انه لا تحب**
المعتدين يعني في الدعاء قال ابو مجلز هم الذين يسألون منازل الانبياء عن عبد الله بن مسعود
انه سمع ابنه يقول اللهم اني اسالك القصر الابيض عن عمن الجنة اذا دخلتها قال اي بني رسول الله
الجنة وقود به من النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الامة قوم
يعتدون في الطهور والدعاء اخرجهم ابو داود وقال ابن جرير من الاعتد ارفع الصوت
والنداء والصباح في الدعاء وقيل الاعتد احوالهم في كل شيء فكل من خالف امر الله ونهيه
مقد اعتدي ودخل تحت قوله تعالى انه لا يحب المعتدين وفرع بعض ارباب الطريقة
على قول الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية هل الافضل اظهار العبادات ام لا فذهب بعضهم الى ان
اخفاء العبادات والطاعات افضل من اظهارها هذه الالية ولكونها بعد عن الرياء وذهب بعضهم
الى ان اظهارها افضل ليقترن به الغير فيعمل مثل عمله وتوسط الشيخ مهدي علي الحكيم الترمذي
فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى اخفاء العبادات صونا لعمله عن البطالان وان
كان قد بلغ في الصفا وقوة اليقين الى التمكن حيث صار مهيئا عن شايبة الرياء كان الاولى
حقه الاظهار لتحصل فائدة الاقتداء به وذهب بعضهم الى ان اظهار العبادات المفروضة
افضل من اخفائها فصلاة المكتوبة في المسجد افضل من صلاته في بيته وصلاة التفل في
البيت افضل من صلاتها في المسجد وكذا اظهار الزكوة افضل من اخفائها واخفا صدقة
التطوع افضل من اظهارها ويقاس على هذا سائر العبادات قوله تعالى **ولا تنفسدوا في**
الارض بعد اصلاحها يعني ولا تنفسدوا اياها الناس في الارض بال كفر والمخاصي والدعا الى
غير طاعة الله بعد اصلاح الله اياها ببعثة الرسل وبيان الشرايع في الدعا الى طاعة الله عز
وجل وهذا معني قول الحسن والسدي والضحاك والكوفي وقال عطية لا تعصوا في الارض فيمك
الله المطر وهلك الحرث بسبب معاصيكم فعلي هذا يكون معني قوله بعد اصلاحها يعني بعد
اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وقيل معني الالية ولا تنفسدوا في الارض شيئا بعد ان اصلحه
الله تعالى فيدخل فيه المنع من اكلات النفس بالقتل او افسادها بقطع بعض الاعضاء وفساد
الاموال بالغصب والسرقة واخذ من الصغير بوجوه الجلب وفساد الارياك بالكفر واعتقاد
البدع والاهواء المضلة وفساد الانساب بالانكاح على الزنا وفساد العقول بسبب
شرب السكر وذلك لان المصالح المعتبرة في الدنيا هي هذه الخمسة فمنع الله من ادخال الفساد
في ما هيئتها وقوله **وادعوه خوفا وطمعا** اصل الخوف انزعاج في الباطن لما لا يوسن من الخوار
وقيل في توقع مكروه فيما يحصل فيما بعد الطمع توقع محبوب يحصل له والمعني وادعوه

الله

القصص
يقول

خوف

خوفاً منه ومن عقابه وطمعاً فيما عنده من جزيل ثوابه وقال ابن جرير معناه خوف العدل وطمع
الفضل وقيل معناه ادعوه خوفاً من الزنا والذكر في الدعاء وطمعاً في الاجابة فان قلت قال في اول
الاية ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال هنا وادعوه وهذا عطف الشيء على نفسه فما الغاية في ذلك
قلت الغاية فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم اي ليكن الدعاء مقرونا بالتضرع والاختبات
وقوله وادعوه خوفا وطمعاً ان فائدة الدعاء احدهما من الامر من فلكنت الالية الاولى في بيان
شروط صحة الدعاء والالية الثانية في بيان فائدة الدعاء وقيل معناه كونوا جامعين في انفسكم بين
الخوف والرجاء في اعمالكم كلها ولا تطمعوا انكم وفيتم حق ذلك تعالى في العبادة والدعاء وان اجتهدتم
فيها **ان رحمة الله** اصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم وتستعمل تارة في الرقة المجردة
وتارة في الاحسان المجرد عن الرقة واذا وصف بها البارئ جل وعز فليس يراد بها الا الاحسان
المجرد دون الرقة فرحة الله عز وجل عبارة عن الافصال والانعام على عباده والايصال للخير
اليهم وقيل هي عبارة عن ارادة ايصال الخير والنعمة الى عباده فعلى القول الاول تكون الرحمة من
صفات الانفال وعلى القول الثاني تكون من صفات الذات **فريب من المحسنين** قال
سعيد بن جبير الرحمة ها هنا الثواب فرجع النعت الى المعني دون اللفظ وقيل ان تانيث الرحمة
ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتانيث عند اهل اللغة وكون الرحمة قريبة
من المحسنين لان الانسان في كل ساعة من الساعات في ادبار عن الدنيا واقبال على الآخرة واذا
كان كذلك كان الموت اقرب اليه من الحياة وليس بينهم وبين رحمة التي هي الثواب في الآخرة
الا الموت فانه قريب من الانسان قوله عز وجل **وهو الذي يرسل الرياح** هذا عطف على
ما قبله والمعني ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وهو الذي يرسل الرياح **نشر** قري
بشرا بالنون اراد جمع نشور وهي الزرع الطيبة المبوب التي تقب من كل ناحية وقيل هو جمع ناشر
يقال انشر الله الزرع يعني احيها وقال الفراء النشر الزرع الطيبة اللينة تنشي الحباب وقال
ابن الانباري النشر المنشرة الواسعة المبوب وقيل النشر خلاف الطي فيحتل انها كانت
بانقطاعها كالطوبية فانشرت يعني اسلت وقري بشرا بالجمع بشيرة وهي التي تشرب بالمطر
والزرع هو الهواء المتحرك بمنة ويسرة والرياح اربع الصبا وهي الشرقية والديورية والغربية
والشمال وهي التي تقب من تحت القطب الشمالي والجنوب وهي القبلة وعن ابن عمر ان الرياح
ثلاث اربع منها عذاب وهي القاصف والعاصف والصرصرو العقيم واربع منها رحمة وهي الناشر
والمبشرات والمرسلات والذاريات **بين يدي رحمة** يعني امام المطر الذي هو رحمة
وانما سمى رحمة لانه سبب حياة الارض الميتة قال ابو بكر بن الانباري البذر ان تستعملها الغز
في المجاز على معني التقديم تقول هذه تكون الفتن بين يدي الساعة يريدون قبل ان
تقوم الساعة تشبهها وتشبها اذا كانت بيد الانسان يتقدمانه كذلك الرياح تتقدم
المطر وتؤذن به عن ابي هريرة قال اخذت الناس ربح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت
فقال عمر لمن حوله ما بلغكم في الزرع فلم يرجعوا اليه شيئا وبلغني الذي سأل عنه من امر
الربح فاستحثت راحتي حتى ادركت عمر وكنت في موخر الناس فقلت يا امير المؤمنين
اخبرت انك سالت عن الربح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الربح من روح

الله تاني بالرحمة وتاني بالعذاب فاذا رايتموها فلا تسبوه واسبلوا الله من خيرها واستعينوا بالله
من شرها وواه الشافعي بطوله واخرج ابوداود والمسند منه وقال كعب الاحبار لو حذر الله الزرع على
الامم عن عبادة ثلاثة لانت اكثر اهل الارض وقوله تعالى **حيث اذا اقلت سبحا باثقالا** يقال اقل فلان
الشيء اذا حمله واشتقاق الالفاظ من القلة فان من يرفع شيئا يراه قليلا والسحاب جمع سحابة
وهو الغيم فيه ما اولم يكن فيه ما سمي سحابة لان سحابه في الهواء والمعني حتى اذا حملت هذه الرياح
سحابا ثقالا ما فيها من الماء قال السدي ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب من بين
الطرفين وهو طرف السما والارض حيث يلتقيان فيخرجه من ثمر شر يشربه فيبسطه في السما
كيف يشاء ثم تفتح له ابواب السما فيسيل الماء على السحاب ثم يطر السحاب بعد ذلك وقيل ان الله
تعالى يبرح حكمته ان الرياح تتحرك تحركا شديدا فتثير السحاب ثم يظم بعضه الي بعض فيتراكم
وينعقد ويحمل الماء فيسوقه الي حيث يشاء الله عز وجل وهو قوله تعالى **سقنا له ببلد ميت**
يعني الي بلد ميت فتكون اللام معني الي وقيل معناه لاجل حياة بلد ميت وانما قال سقنا لان الله
لفظ السحاب مذكوران كان جمع سحابة فكان ورود الكناية عنه على سبيل التذكير كما ان نظر الي
اللفظ قال الازهري قال الليث البلد كل موضع من الارض عامرا وغير عامر خال او مسكونا
والطائفة منها بلدة والجمع بلاد زاد غيره والمفارقة تسمى بلدة لكونها مسكونا للوحش والجن
قال الاعشي وبلدة مثل طهر الترس ووحشة المعن بالليل في حافاتها زجل
ومعني الاية اننا سقنا السحاب الي بلد ميت محتاج الي الماء ليزيل فيه غيث ولترتبت خضرة فانزلنا
به الماء اختلفوا في الضمير في قوله تعالى به الي ما ذا يعود فقلا الزجاج وابن الانباري جاز
ان يكون المعني فانزلنا بالبلد الميت الماء ويزان يكون المعني وانزلنا بالسحاب الماء لان
السحاب آلة لانزال الماء **فاخرجنا به** اي بذلك الماء لان انزال الماء كان سببا لاجراخ الثمرات
وقيل يحتمل ان يكون المعني فاخرجنا بذلك الميت **من كل الثمرات** يعني فاخرجنا بذلك
البلد بعد موته وجد وبه من اصناف الثمار والزرع **كذلك يخرج الموتي** يعني كما احيينا
البلد الميت كذلك يخرج الموتي احياء من قبورهم بعد ثباتهم ودروس اثارهم واختلفوا في
وجه التشبيه فقيل ان الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر كذلك يحيي الموتي
بواسطة انزال المطر ايضا قال ابو هريرة وابن عباس ان الناس اذا ماتوا في النخلة
الاولى امطر عليهم ما من تحت العرش يدعي ما الحيوان اربعين سنة فينبئون كما ينبئون النزع
في المادني رواية اربعين يوما فينبئون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت اجسامهم
نزع فيهم الروح ثم يلقى عليهم النوم فينامون في قبورهم فاذا نزع في الصور النخلة الثانية
عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم النور في رؤسهم واعينهم كما يجد النائم في
يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا فيناذهب المادي
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد اذا اراد الله ان يخرج الموتي امطر السما
حتى تنشق الارض يرسل الارواح فتعود كل روح الي جسدها فكذلك يحيي الموتي بالمطر
كاحياء الارض وقيل انما وقع التشبيه باصل الاحياء والمعني انه تعالى كما احيى هذا البلد
الميت بعد خرابه وموته فانبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الله

الموتي

الموتي ويخرجهم من قبورهم الي حشرهم ونشورهم **لعلكم تذكرون** الخطاب لمنكري
البعث يقول الله انكم شاهدتم الاشجار وهي مزهرة مورقة ثمرة في ايام الربيع والصيف ثم انكم
سأهتوها يا بسة عارية من تلك الازهار والاوراق والثمار ثم انه تعالى احيها مرة اخري
فانقاد رعا احياءها بعد موتها قادرا على احياء الاجساد بعد موتها والمعني انما وصفت ما وصفت
من التشبيه والتشبيها لكي تعتبروا وتذكروا وتعلموا ان من فعل ذلك كان هو الذي يعبد
وتحتي قوله تعالى **والبلد الطيب** يعني والارض الطيبة التربة السهلة السمحة **يخرج نباته**
باذن ربه يعني انه اذا اصابه المطر اخرج نباته باذن الله عز وجل **والذي خبت لا تخروج**
الا نكدا يعني والبلد الذي خبت ارضه فهي سمحة لا تخرج يعني لا تخرج نباته الا نكدا يعني
عسرا مشقة وكلفة قال الشاعر يذمر انسانا
لا تخرج الوعدان وعدت وان اعطيت اعطيت ثا فها نكدا
يعني بالنكاه القليل والنكد العسير ومعناه انك ان اعطيت القليل بعسر ومشقة
وقال المفسرون هذا مثل ضرب الله للمؤمن والكافر فشبّه المؤمن بالارض الحرة الطيبة وشبه زول
القران على قلب المؤمن بستر المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها اخرجت انواع
الازهار والثمار وكذلك المؤمن اذا سمع القران امن به وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات
في انواع الاخلاق الحميدة وشبه الكافر بالارض الردية الغليظة السبخة التي لا ينتفع بها وان
اصابها المطر فذلك الكافر اذا سمع القران لا ينتفع به ولا يصدق به ولا يزيد الا اعتوان
وكفرا وان عمل الكافر حسنة في الدنيا كانت مشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الآخرة قال
ابن عباس هذا مثل ضرب به الله للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد الطيب ثمره
طيب ثم ضرب مثل الكافر بالبلدة السبخة المالحة التي خرجت منها البركة فالكافر خبيث
وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضرب به الله لادم وذريته كلهم منهم خبيث وطيب
ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طائفة
طيبة قبلت الماء فانبثت الكلا والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنبث الله
بها الناس فشربوها ومنها وسقوا ورعوا واصاب طائفة منها اخري انما هي قيعان لا تسلك
ما ولا تثبت كذا ذلك مثل من فقه في دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله به فعمل وعلم
ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدي الله الذي ارسلت به اخرجاه في الصحابين
وقوله تعالى **كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون** يعني كما ضربنا هذا المثل كذلك
نبين الايات الدالة على التوحيد والايان اية بعد اية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون
الله على انعامه عليهم بالهداية وجنتهم سبل الضلالة وانما خص الشاكرين بالذكر لانهم هم
الذين ينتفعون بسما القران قوله عز وجل **لقد ارسلنا نوحا الي قومه** اعلم ان الله تبارك
وتعالى لما ذكر في الايات المتقدمة دلائل اثار قدرته وعزايب خلقه وصنعتة الدالة على
توحيد ربوبيته واقام الادلة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص
الانبياء عليهم السلام وما جرى لهم مع ائمتهم وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن

اعراض قومه عن قبول الحق فقط بل قد اعرض عنه غالب الامم الخالية والعقرون الماضية وفيه
تنبيه على ان عاقبة اولئك الذين كذبوا الرسل كان الي الخسار والهلاك في الدنيا وفي الآخرة الى
العذاب العظيم فمن كذب محمد صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل اولئك الذين خلوا
من قبلهم من الامم المكذبة وفي ذكر هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
لانه كان اميالا يقرأ ولا يكتب ولم يلق احدا من علماء زمانه وقد اتى مثل هذه القصص والاحاديث
عن القرون الماضية والامم الخالية بما لم ينكره عليه احد علم بذلك انه انما اتى به عنده الله
عن وجل وانه اوحى اليه ذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم فنقله تعالى في قوله لقد ارسلنا نوحا الي قومه لقد ارسلنا جواب قسم محذوف تقديره
والله لقد ارسلنا نوحا وهو نوح بن ملك بن متوشلح بن اخنوخ وهو ادريس وكان نوح نجارا وقيل معنى الارسل
ارسلنا يعني بعثنا نوحا وهو اول نبى بعثه الله بعد ادريس وكان نوح نجارا وقيل معنى الارسل
ان الله تعالى حملته رسالة ليودعها الي قومه فعلى هذا التقدير فالرسالة تكون متضمنة للبعث
ايضا ويكون البعث كالتابع لانه اصل قال ابن عباس بعثه الله وهو ابن اربعين سنة وقيل
وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقيل وهو ابن مائة سنة قال
ابن عباس سمي نوحا لكثرة ما نوح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه فقيل لدعوته على قومه
بالهلاك وقيل لمرأجعتة ربه في شان ابنه كنعان وقيل لانه مر بقلب مجذوم فقيل له اخبر
يا قبيح فادعى الله اليه اعبتني وعبت الكلب فقال يعني نوحا لقومه يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره يعني اعبدوا الله فانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله
معبود سواه فانه هو الذي يستحق ان يعبد **اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم** يعني ان لم
تقبلوا اما امركم من عبادة الله واتباع امره وطاعته واليوم الذي خافه عليهم هو ما يوم
الطوفان واهلاكهم فيه او يوم القيامة وانما قال اخاف على الشك وان كان على يقين من
حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم ايعاجلهم ام يتأخر عنهم
العذاب الي يوم القيامة **قال الملا** وهم الجماعة المشركون **من قومه انا لراى** يعني يا نوح
في ضلال مبين يعني في خطأ وزوال عن الحق **قال** يعني نوحا **يا قوم ليس بضلالة**
يعني ما يظنون من الضلال **ولكني رسول من رب العالمين** يعني هو ارسلني اليكم
لا تذكروا وخوفكم ان لم تؤمنوا به وهو قوله **المفكر رسالات ربي وانصع لكم** يعني في تحذيري
اياكم عقابه على كفركم ان لم تؤمنوا به وانصع لكم بقا نصحتي ونصحت له كما يقال شكرت
وشكرت له والنصح ارادة الخير لغيره كما يريد له لنفسه لنفسه وقيل النصح تحري قول
فعل فيه صلاح للخير وقيل حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من
شوائب المكروه والمعنى انه قال بلغكم جمع تكليف الله وشرايعه وارسلكم بالوجه الاصلح
والاصوب لكم وادعوك الي ما دعاني اليه واجب لكم ما احب لنفسى في بعضهم والفرق بين
الابلاغ الرسالة وبين النصيحة وهو ان تبليغ الرسالة ان يعرفهم جميع او امر الله ونواهيهم جميع
انواع التكليف التي اوجبها الله عليهم واما النصيحة فهو ان يرغبهم في قبول تلك الاوامر
والنواهي والعبادات وتحذيرهم عقابه ان عصوه **واعلم من الله ما لا تعلمون** يعني واعلم انكم

لانه

يستوجب

ان عصيت

ان عصيت امره عاقبكم بالطوفان والفرق في الدنيا وبعدكم في الآخرة عذاب عظيم وقيل اعلم
ان مغفرة الله لمن تاب وعقوبته لمن اصر على الكفر وقيل لعزل الله طائفة علي سر من اسرار
فقال اعلم من الله ما لا تعلمون **او عجبتم** الالف استفهام والواو للعطف والمطوف عليه
محذوف وهذا الاستفهام استفهام انكار ومعناه او كذبتم وعجبتم **ان جا كذركم من ربكم**
يعني وحيا من ربكم **علي رجل منكم** تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك لان كونه منهم يزيد
التعجب وقيل المراد بالذكر الكتاب الذي انزله الله على نوح عليه السلام سماه ذكرا كما سمي القرآن
ذكرا وقيل المراد بالذكر المعجزة التي جاء بها نوح عليه السلام فعلى هذا تكون على معنى مع اي
مع رجل سلك قال الفدا على هذا المعنى **ليندركم** يعني جاءكم لاجل ان يندركم **ولتتقوا** اي ولا تظنوا
ان تتقوا **ولعلمكم من حمون** لان المقصود من ارسال الرسول الانذار والمقصود من الانذار
التقوي على كل ما لا ينبغي والمقصود بالتقوي الغور بالرحمة في الدار الآخرة **فكذبوه** يعني
كذبوا نوحا **فاجنبناه** يعني من الطوفان والفرق **والذين معه** يعني من امن من قومه معه
في الفلك يعني في السفينة **واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عاكين** قال ابن عباس
عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى قال الزجاج عمواعن الحق والايان يقال رجل عمري
البصيرة واعني في البصر وانشدوا قوله زهير
واعلم ما في الامر في اليوم قبله **و** ولكنني عن علم ما في غد عم
وقال مقاتل عمواعن نزول العذاب بهم وهو الفرق قوله تعالى **واليعاد** اي وارسلنا الي عباد
وهو عا د بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الاولى **اخاهم هو دا** يعني اخاهم في النسب
لا في الدين وهو هو د بن عبد الله بن رباح بن الحلود بن عا د بن عوص قال ابن اسحق هو هو د
ابن شالخ ابن ارفخشذ بن سام بن نوح واتفقوا على ان هو دا عليه السلام لم يكن اخاهم في
الدين شراختلفوا في سبب الاخوة من اين حصلت فقيل انه كان واحدا من القبيلة فبتوجه
قوله اخاهم لانه واحد منهم وقيل انه لم يكن من القبيلة ثم ذكر وا في تفسير هذه الاخوة وجهين
الاول قال الزجاج انه كان من بني ادم ومن جنسهم من الملائكة ويكنى في هذا القدر في تسمية
الاخوة والمعنى انا ارسلنا الي عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانس بكلامه اتم
واكمل ولم يبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك والجان والثاني انه اخاهم يعني صاحبهم والعز
لتم صاحب القوم اخاهم وكانت منار اعدا بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند
عمان وحضر موت **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** اي اعبدوا الله وحده ولا
تجمعوا معه الها اخر فانه ليس لكم اله غيره والفرق بين قوله في قصة نوح فقال وهذا قال
ان نوحا كان مواظبا على دعوته قومه غير متوان فيها لان القائد على التعقيب واما هو فلم
يلزم ذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعا فاخبر الله عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره افلا تتقون يعني افلا تخافون عقابه بعبادتهم غيره ولما كانت هذه القصة
منسوبة على قصة قوم نوح وقد علموا ما حل بهم من الفرق حسن قوله هنا **افلا تتقون**
يعني افلا تخافون ما تزل بهم من العذاب والملم يكن قبل واقعة قوم نوح شي حتى يخوفهم من
العذاب فقال هناك اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم **ل الملا الذين كفروا من قومه انا لراى**

في سفاهة يعني اننا نراك يا هود في حق وجهالة وضلاله عن الحق والصواب اخبر الله عن قوم
نوح انهم قالوا له اننا نراك في ضلال مبين واخبر عن قوم هود انهم قالوا له اننا نراك في سفاهة
والفرق بينهما ان نوحا لما خوف قومه بالطوفان وطفق في عمل السفينة فعند ذلك قال له
قومه اننا نراك في ضلال مبين حيث قال ينبغي في اصلاح سفينته في ارض ليس فيها من الاثم شي ولما هود
عليه السلام فانه لما زيف عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهوقلة العقل فاباهوه مثله
فقالوا اننا نراك في سفاهة **وانا لنظنك من الكاذبين** يعني في ادعائك انك رسول من رب
العالمين **قال** يعني قال هود لهؤلاء الملا الذين نسبوه الى السفه **يا قوم ليس بي سفاهة** يعني
ليس الامر كما تدعون ان بي سفاهة **ولكني رسول من رب العالمين** يعني اليكم **بلغكم رسالات ربي**
يعني اودي اليكم ما ارسلني به من اوامره ونواهيه وشرايعه وتكاليفه **وانا لكم ناصح** يعني فيها
امركم به من عبادة الله عز وجل وترك ما سواه **امير** يعني علي تبليغ الرسالة واداء النصح والامير
الثقة علي ما اوتمن عليه حكى الله عن نوح وانصح لكم وتحكي عن هود وانا لكم ناصح فالاول بصيغة
الفعل والثاني بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما ان صيغة الفعل تدل علي تجدده ساعة
بعد ساعة فكان نوح يدعو قومه ليلا ونهارا كما اخبر الله عنه بقوله قال رب اني دعوت قومي
ليلا ونهارا فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال وانصح لكم ولما هود فلم يكن كذلك
بل كان يدعوهم وقتا دون وقت فلما قال وانا لكم ناصح امين ومدح النفس باعظم صفات
المدح غير لائق بالعقل واما فعل هود ذلك وقال هذا القول لانه كان يحب عليه اعلام قومه
بذلك ومقصوده الرد عليهم في قوتهم وانا لنظنك من الكاذبين فوصف نفسه بالاثانة وانه
امتن في تبليغها ارسله من عند الله فغيبه تقديرا للرسالة والنبوة وفيه دليل علي حوان
مدح الانسان نفسه في موضع الضرورة الي مدحها **اعجبتم ان انا اذ اكون منكم علي رجل**
منكم ليندركم يعني اعجبتم ان انا اذ الله وجه علي رجل تعرفونه ليندركم باس وكم تعرفونكم
عقابه **واذكر ان اذ جعلكم خلفا من بعدهم نوح** يعني واذكر وانفة الله عليكم اذ اهلك
قوم نوح وجعلكم خلفهم في الارض **واذ اذكم يعني في الخلق بسطة** يعني طول لاوقته قال
الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا وقيل
سبعون ذراعا وعن ابن عباس ثمانون ذراعا وقال مقاتل اثني عشر ذراعا وقال وهب كان
راس ادهم مثل القبة العظيمة **فاذكروا الله** يعني نعم الله وفيه اضرار تقديره واذكروا
نعمه الله عليكم واعملوا عملا يليق بذلك الانعام وهوان تؤمنوا به وتتركوا ما انتم عليه
من عبادة الاصنام **لعلكم تفقهون** يعني ليكن تنوروا بالافلاح وهو البقا في الآخرة **قالوا** يعني
قال قوم هود مجيبين له **اجبتنا يا هود لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا**
يعني من الاصنام **فانتا بما نعدنا** يعني من العذاب **ان كنت من الصادقين** يعني في
قولك انك رسول الله **قال** يعني قال هود مجيبا لهم **قد وقع يعني تزل وجه عليكم من ربي**
رجس وغضب اي عذاب وسخط **اجادلوني في اسما سميتموها انتم واباؤكم يعني** سميتم
لها اسما من عند انفسكم والمراد منه الاستفهام علي سبيل الانكار عليهم سوا الاصنام بالالهية
وذلك مخدع فيهم **ما نزل الله بها من سلطان** يعني من حجة وبرهان علي هذه التسمية واما

قوله

سميتموها انتم من عند انفسكم بغير دليل **فانتظروا** يعني العذاب **اي علم من المنتظرين** يعني نزول
العذاب بكم **فاجيبنا** يعني فاجيبنا هودا عند نزول العذاب بقومه **والذين معه باياتنا بركة**
مننا يعني واجيبنا اتباعه الذين امنوا به وصدقوه لانهم كانوا مستحقين للبركة **وقطعنا دابر**
الذين كذبوا باياتنا يعني واهلكنا الذين كذبوا هودا من قومه وارادوا بايات معجزات هود
الاله علي صدقه وهذا هلاك استيصال فاهلكهم جميعا ولم يبق منهم احد **وما كانوا مؤمنين**
يعني لانهم لم يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود عليه السلام وكان **قصة عاد**
علي ما ذكره محمد بن اسحق واصحاب السير والخبار قالوا جميعا كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث
الله فيهم هودا عليه السلام الاحقاف والاحقاف الرمل فيها بين عمان وحضرموت من ارض
اليمن وكانوا قد فسقوا في الارض كلها وفقدوا اهلها بفضل قوتهم التي جعلها الله فيهم وكانوا اصحاب
اوثان يعبدونها من دون الله عز وجل صنم يقال له صدأ وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهيا
الله عز وجل فيهم هودا عليه السلام وهو من اوسطهم نسبا وفضلهم موضعا فامرهم ان يوحدوا الله
ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس لم يامرهم بغير ذلك فيما ذكر فابوا عليه وكذبوه
وقالوا من اشد منا قوة واتبعه منهم ناس فامنوا به وهم يسير يكتُمون ايمانهم وكان ممن صدقه
وا من به رجل يقال له مرثد بن سعيد بن عفير وكان يكتُم ايمانه فلما اعتوا علي الله وكذبوا انبيهم
والكثروا في الارض الفساد وجبروا وبنوا لكل ريع اية واتخذوا المصانع لعلمهم بخلدون فلما فعلوا
ذلك امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان
اذا نزل بهم بلا وجهد يطلبون الفرج من الله عز وجل وذلك عند بيته الحرام مكة فمكة مؤمنهم
ومشركهم وكان يجتمع مكة ناس كثير مختلفي اديانهم وكلام معظم مكة معترف بحرمتها ومكانها
من الله عز وجل وكان البيت معدوفا مكانه من الحرم وكان سكان مكة يومئذ العالمين واما سوا
العالمين لان اباهم كان عليق بن لاوذ بن نوح وكان سيد العالمين يومئذ رجلا يقال له معاوية
ابن بكر وكانت ام معاوية كهلدة بنت الخسري وهو رجل من عاد فكانت عاد احوال معاوية
سيد العالمين فلما قحطوا عاد وقل عنهم المطر قالوا اجهذوا منكم وفدا الي مكة ليستسقوا لكم
فانكم قد هلكتم فبعثوا قتيلا من عنبري وقيم بن هلال بن هذيل وعشيل بن صبيد بن عاد الاكبر ومرثد
ابن سعيد بن عفير وكان سلميكم اسلامه وطلهه بن الخسري خال معاوية بن بكر سيد العالمين
ولقمان بن عاد فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه جماعة من قومه فبلغ عدة وفد عاد سبعين رجلا فلما
قدوا مكة نزلوا علي معاوية بن بكر وهو يظاها مكة خارجا عن الحرم فالتزموا الرمم وكانوا احواله
واصهاره فاقاموا عنده شهر ايشربون الخمر وتقيمهم الجرادتان وهما قنيتان لغوية بن بكر فلما
راي معاوية ابن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم من البلاء الذي اصابهم شق ذلك
عليه وقال لهلك اصهارى واخولى وهو لا مقيمون عندي وهم ضعيفي تان لون علي والله ما ادري
كيف اصنع فاني استحيي ان امرهم بالخروج لا بعثوا اليه فيظنون انه ضيق ثمك انهم يحيي عندي
وقد هلك من وراهم من قومهم جهدا وعطشا قالوا وشكي ذلك من امرهم الي قنيتيه الجرادتين
فقالتا قل شعرا نقيمهم به ولا يدرون مني قاله لعل ذلك ان يحركهم فقال معاوية
الايا قتل وحك قنيتيه لعل الله يصححنا عما لنا فقتلني ارض عاد ان عاد

منهم

قد اسوا لا يمينون الكلام من العطر الشديد فليس يرجوا به الشيخ الكبير ولا الغلام
وقد كانت مساوهم خبير فقد استساوهم عياسا وان الوحر يا تيم جهارا
ولا تخشي لعادي سنا ما وانتم هاهنا فيما اشتهيتم فهاكم وليكم السما
ففتح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلام فلما قال معاوية هذا الشعر وغنتم به
للجناد تان وسمع القوم ما غنتم به قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم ليتغنوا بكم من هذا
البلا الذي نزلهم وقد ابطا عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا القومكم فقال لمرثدين سعد بن عفير
انكم والله لا تستقون بدعايم ولكن ان اطعم نبيكم وانتم الي ربيكم سقيتم واظهر اسلامه عند ذلك
وقال لشعرا عصت عاد رسولهم فاسوا عطا شاما تبلم السما لم صنم يقال له صمود
يقابله صدا والهباء فبصرنا الرسول سبيل رشد فابصرنا المهدي وجلي العماوان الهود هو اله
علي الله التوكل والرجاء زادني روية لقد حكم الاله وليس جورا وحكم الله اذ غلب الهوا
علي عاد وعاد شر قوم فقد هلكوا وليس لهم بقاء واي لن افارق دين هود طوال الدهر واي في الفتا
تقال جليلة بن الليثي مجيبا لمرثدين سعد بن فرغ من مقالته وعرف انه قد اتبع دين هود
واسم به اباسعد فانك من قبيل ذوي كرم وامك من ثود فانا لا نطيعك ما بقينا
ولنا فاعلين لما تريد ان امرنا لنترك دين وفده ورمل والصد والعود وتزلد بن ابا كرام
ذوي راي وتنفع دين هود ثم قال جليلة لمعوية بن بكر وابنه بكر احبسا عن امرنا فلا
يقدر من معنكم فانه قد تبع دين هود وترك ديننا فخرجوا الي مكة يستسقون بها لعا د فلما ولوا
الي مكة خرج مرثدين سعد من منزل معوية بن بكر حتي ادركهم مكة قبل ان يدعوا الله عز وجل
بشيء مما خرجوا اليه فلما انتهى اليهم قام بدعوا الله وهما وفد عاد يدعون فقال مرثد اللهم اعطني
سولي وحدي ولا تدخلي فيما يدعوك به وفد عاد وقام قبيل ابن عتر راس وفد عاد يدعوا فقال
اللهم اعط قبلا ما سالك وقال الوفد معه واجعل سولنا مع سوله وكان قد تخلف وفد عاد ولقمان
ابن عاد وكان سيد عاد حتي اذا فرغوا من دعوتهم قام لقمان فقال اللهم اني حينك وحدي في حاجتي
فا عطني سولي وسال طول العر فمر عرس سبعة اسد وقال قبيل بن عتر حين دعا يا الهنا ان كان
هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشا الله تعالي بحايب ثلاثا بيبضا وحر او سودا اثر ناداه
مناد من السحاب يا قبيل اختر لقومك ولنفسك من هذه السحاب فقال قبيل قد اخترت
السحابة السوداء فانها اكثر السحاب ما فاداه مناد اخترت رمادا دمدد لا يتقي من العاد احد
وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قبيل بما فيها من النعمة الي عاد حتي خرجت عليهم من واد
لم يقال له المغيث فلما راوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض مطرنا يقول الله عز وجل
بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء ابي كل شيء ممرت عليه بامر ربها وكان اول
من ابصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها من
العذاب صاحت ثم صغقت فلما ان افقت قالوا لها ماذا رايت قالت رايت الريح فيها كمثل النار
امامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليا ل وثمانية ايام حصوصا فلم تدع من العاد احدا
الا اهلكته واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح الا
ما تبلى عليه الجلود وتلكها الانفس وانما في قوتها التمر بالطنع من عاد فكلهم بين السما
والارض

والارض تدمنهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتي روافع معوية بن بكر ففرلوا عليه فيمنهم عنده
اذا قبل اليه رجل على ناقه له في ليلة مقمرة وذلك سبي ثلثه من مصاب عاد فاخبرهم الخبر فقالوا
له فابن فارقت هودا واصحابه فقال فارقتهم بساحل البحر وكانهم شكوا فيها حديثهم به فقال
هذيلة بنت بكر صدق ورت الكعبة وقال السدي بعث الله عز وجل علي عاد الريح العقيم فلما
دنت منهم نظروا الي الابل والرجال تطير بهم الريح بين السما والارض فلما راوها تبادروا الي
اليوت فدخلوها واغلقوا الابواب فحالت الريح فقلعت ابوابهم ودخلت عليهم فاهلكتهم فيها
ثم اخرجهم من اليوت فلما اهلكتهم ارسل الله عليهم طيرا سودا فتقلتهم الي البحر فاقتلهم فيه
وقيل ان الله تعالي امر الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليا ل وثمانية ايام تسبع
لم انين تحت الرمل ثم امر الريح فكشفت عنهم الرمل ثم اخرجتهم فرمتهم في البحر ولم يخرج من
الا مكيال الا بوميد فانهما عنت علي الخزنة فقلبتهم فلم يعلموا ان كان مكيالها وفي الحديث انما
خرجت علي مثل خرت الحاتر وقيل ان مرثدين سعد ولقمان بن عاد وقيل ابن عتر حين دعوا مكة
قبيل لم قد اعطيت منكم فاختاروا لانفسكم غير انه لا سبيل الي الخلود ولا بد من الموت فقال
مرثد اللهم اعطني سرا وصدقا فاعطني ذلك وقال لقمان اللهم اعطني عمرا فقيل له اختر فاختر عمر
سبعة اسد وكان ياخذ الفرح حين يخرج من البيضة وكان ياخذ الد كلفوته في ربه حتي
موت فاذا مات اخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتي اتي السابيع وكان كل تسربيع ثمانين سنة
وكان السابيع من التسوراسه لبد فلما مات السابيع مات لقمان معه واما قبيل فانه اختار لنفسه
ما يصيب قومه فقيل له انه الهلاك فقال لا ابالي لاحاجة لي في المقابعد قومي فاصابه الله
اصاب عاد اهلك ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستسقون لعا د فانت الريح لما خرجوا من
الحرم فاهلكتهم جميعا فلما اهلك الله عاد ارحل هود ومن معه من المؤمنين من ارضهم بعد هلاك
قومهم الي موضع يقال له التجدر من بلاد اليمن هناك ثمر اركه الموت فدفن بارض حضر موت يروي
عن علي بن ابي طالب ان قبر هود عليه السلام بحضر موت في كنيش حمر وقال عبد الرحمن بن سبابه
بين الركن والمقام وزمن قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسماعيل في
تلك البقعة ويروي ان اي نبي من الانبياء اذا هلك قومه جاهوا بالصالحون من قومه معه
الي مكة يعبدون الله حتي يموتوا فلما قوله عز وجل **والجود اخاهم صالحا** يعني وارسلنا اليهم
وهو ثود بن غابر بن ارم بن سام بن نوح وهو اخو جد بش بن غابر وكانت مساكن ثود المجرمين
الحجاز والشام الي وادي القري وما حوله ومعني الكلام والي بني ثود اخاهم صالحا لان ثود قبيلة
قال ابو عمرو بن العلام سميت ثود لقبلة ما بها والتمد لما القليل وقيل سوا ثود ابا سم ايهم الذي
ينسبوا اليه اخاهم صالحا يعني في النسب لافي الدين وهو صالح بن عبيد بن اسف بن ماشخ
ابن عبيد بن خادر بن ثود **فان يا قوم اعبدوا الله ما لم من المعيرة** يعني قال لهم صالح حين
ارسله الله اليهم يا قوم وحدوا الله لا تشركوا به شيئا فلما لم من المعيرة ان يعبد سواه **قد**
كانكم بيعة من ربيكم يعني كما تكلمت حجة من ربيكم وبرهان علي صدق ما اقول وادعوا اليه من عبادة
الله وعلي فقد بقي يا بني رسول من الله اليكم يفر فسر تلك البيعة فقال **هذه ناقة الله لكم**
اية يعني انا علامة علي صدق في قال العلماء ووجه كون هذه الناقة اية علي صدق صالح

يلكوا

فزلهم

ومحجرة له خارقة للعادة خرجت من صخرة في الجبل وكونها لا من ذكر وانثى وكما خلقها من غير حمل
ولا تدريج لانها خلقت في ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان لها شرب يوم ولجميع
قبيلة مؤد شرب يوم وهذا من المعجزات لان ناقة تشرب ما تشربه قبيلة معجز وكانوا
يحملونها في يوم شربها قدر ما يكفيهم جميعهم ويقوم لهم مقام الماء وهذا ايضا معجز وقيل ان
سائر الوحوش والحيوانات كانت تستع من شرب الماء في يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات
الماء في غير يوم الناقة وهذا ايضا معجز وانما اضافها الله في قوله هذه ناقة الله على سبيل
التشريف والتفضيل كما يقال بيت الله وقيل لان الله خلقها بغير واسطة ذكر وانثى وقيل
لانه لم يملك احد الا الله تعالى وقيل لانها كانت حجة الله على قوم صالح **فذروها تاكل في ارض**
الله يعني فذر روال ناقة تاكل الشعب من ارض الله فان ارض الله والناقة ايضا لله وليس لكم
في ارض الله شيء لانه هو الذي انبت فيها العشب **ولا تشوها بسوء** يعني ولا تطردوها ولا تقربوها
بشي من انواع الاذي ولا تقربوها **فياخذكم عذاب اليم** يعني بسبب عقربها واذها **واذكروا**
اذ جعلكم خلقا من بعد عاد يعني ان الله اهلك عاد وجعلكم تخلفونهم في الارض وتقرنوا
وبوالم يعني واسكنكم واترككم **في الارض تتخذون من سهولها قصورا** يعني تبنيون القصور
من سهولة الارض لان القصور ما تبني من اللبن والاجر المتخذ من الطين السهل اللبن
وتختون من الجبال بيوتا يعني وتشقون بيوتا من الجبال وقيل كانوا يسكنون السهول في
الصيف والجبال في الشتاء وهذا يدل على انهم كانوا يستعينون من ترهات **فاذكروا الا الله** اي
فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروه عليها **ولا تغفلوا في الارض مفسدين** قال قتادة معناه
ولا تفسدوا في الارض مفسدين فيها والعبث اشد الفساد وقيل اراد النبي عن عقرب الناقة
وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النبي عن جميع انواع الفساد **قال الملا الذين استكبروا من**
قومه يعني قال الاشراف للذين تغفلوا عن الايمان بصالح **للدن استغفوا منهم** يعني
المساكين **من اس منهم** يعني قال الاشراف المتعطلون في انفسهم لا تباعهم الذين استوا
بصالح وهم الضعفاء من قومهم **يعلمون ان صالحا مرسل من ربه** يعني ان الله ارسله اليها
واليكم **قالوا انما ارسل به مومنون** يعني قال الضعفاء انما ارسل الله به صالحا من الذين
والهدي والحق مصدقون **قال الذين استكبروا** يعني عن امر الله والايمان به ورسوله صالح
اننا الذي امنتم به كافرون اي حادون منكرون **فغفروا الناقة** يعني فغفرت مؤد
الناقة والعقرب قطع عروق البعير فحصل الفزع والان فاحرا البعير بعقره فخرخره
وعتوا عن امر ربهم اي تكبروا عن امر ربهم وعصوه والعنوا العلو في الباطل والتكبر عن الحق
والمعني انهم عصوا الله وتركوا امره في الناقة وكنوا بانيهم صالحا عليه السلام **وقالوا يا صالح**
ايتنا ما نقدر يعني من العذاب **ان كنت من المرسلين** يعني ان كنت كما ترع انك رسول الله
فان الله ينصركم على اعدائه وانما قالوا ذلك لانهم كانوا مكذبين في كل ما خبرهم به من
العذاب فجعل الله لهم ذلك فقال تعالى **فاخذتهم الرجفة** قال الغر والرجاج الرجفة الزلزلة
الشديدة العظيمة وقال مجاهد والسدي هي الصيحة فيحتمل انهم اخذتهم الزلزلة من تحتهم
والصيحة من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله **فاصبحوا في دارهم جاثمين** يعني فاصبحوا في ارضهم
وبلدهم

اليم

وبلدهم جاثمين وكذا لك وحدك الدار كما يقال دار الحرب ودار بني فلان بمعنى موضعهم ومجمعهم وجمع في
اية اخرى فقال ديارهم لانه اراد ما لكل واحد منهم من الديار والمساكن وقوله جاثمين يعني ياركن ولشوم
للناس والطير منزله البروك للبعير وجثوم الطير هو وقوعه لا طيا بالارض في حال تومعه وسكونه
بالليل والمعني انهم اصبحوا جاثمين موتي على جوفهم لا يتحركون **فتولى عنهم** يعني فاعرض عنهم صالح
وفي وقت هذا التولي قولان احدهما انه تولى عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا ويدل عليه قوله فاصبحوا
في دارهم جاثمين فتولى عنهم والآخر للتعقيب فدل على انه جعل هذا التولي بعد جثومهم وهو
موتهم **والقول الثاني** انه تولى عنهم وهم احيا قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه انه خاطبهم **وقال**
يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصفت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وهذا الخطاب
لا يليق الا بالاحياء فلي هذا القول يحتمل ان يكون في الاية تقدما وتأخيرا تقدما بقره فتولى عنهم
وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصفت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة
فاصبحوا في دارهم جاثمين واجاب اصحاب القول الاول عن هذا انه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم
تويحنا وتقدر بها كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قبيل بدر حين القوا في القليب
فجعل يناديهم باسمائهم الحديث في الصحيح وفيه **فقال** عمر بن عبد الله كيف تكلم اقواما
قد جيفوا فقال ما انتم باسم لما اقول منهم ولكن لا تحبون وفيل انما خاطبهم صالح بذلك ليكون
عبرة لمن ياتي من بعدهم فيزجر عن مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها **كانت قصة**
مؤد على ما ذكره محمد بن اسحق ووهب بن منبه وغيرهما من اصحاب السير والخبار قالوا جميعا
ان عاد الماهلك وانقضت امرها عمرت مؤد بعدها واستخلفوا في الارض فدخلوا فيها فاكثروا
وعمدوا حتى ان احدهم لبني المسكن من المدر فيهم مدر الرجل فلما راوا ذلك اتحدوا من الجبال
بيوتا وكانوا في سعة من العيش والرخاء فغفلوا فسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث الله
اليهم صالحا نبيا وكانوا قوما عربا وكان صالح من اوسطهم نسبيا وافضلهم بيتا وحسبا فبعثه
الله اليهم وهو غلام فلم يزل يدعوهم الى الله والى عبادة توحيد حتى شط وكبر فلم يتبعه منهم الا قليل
مستضعفون فلما لم يجد عليهم صالح بالدعاء والتبليغ واكثرهم التمدد والتخويف سالوه ان
يربهم اية تكون مصداقا على ما يقول **فقال** صالح اي اية تريدون فقالوا اخرج معنا
الي عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه اصنامهم وذلك يوم معلوم من السنة قالوا تدعو
الهك وتدعوا الهتنا فان استجب لك اتبعناك وان استجب لنا اتبعنا قال لهم صالح نعم فخرجوا
باصنامهم الي عيدهم وخرج صالح معهم فدعوا اولئهم وسالوا هان لا يستجاب لصالح في شيء ما يدعوا
به ثم قال جندع بن عمرو بن جوار وهو يوسف سيد مؤد يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة
لصخرة سفرة في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء ورا عشر او المحترجة
ما شاكلت البحث من الاطلاق فقلت انما بك وصداقك فاخذ عليهم صالح مواشيهم ليت
فعلت لنصدقني ولتؤمن بي قال نعم قال ففعل ركعتين ودعا ربه عن وجل فخرجت الصخرة
كأنها تنجس لتخرج لولدها ثم تحركت الهضة عن ناقة جوفاء عشتاريا كاسالوا وصغفوا غير انه
لا يعلم ما بين جنبيها الا الله عطا وهم ينظرون اليها ثم تحت سقما مثلها في العظم فامس به
جندع بن عمرو ورهط من قومه واراد بنية اشراف مؤد ان يؤمنوا به ويصدقوه فمعهم دواب

ابن عمرو بن لبيد والحباب وكانا صاحبي او ثمانهم ورباب بن منيع وكان كاهنهم وكانوا من اشراف ثمود
فلما خرجت الناقة من الصخرة قال لهم صاحب هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة
ومعها سقيها في ارض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت تزد الماء غبا فاذا كانت يوم ورودها
وصنعت راسها في بئر في الحجر يبقا لها بئر الناقة فماتت راسها حتى تشرب كل ما فيها فلا بدع قطرة
تترفع راسها فتدفع حتى يخرج لهم فيحلبون ما شاؤوا من لبن فيشربون ويدخلون حتى يملوا
او انهم كلها تترصد من الناقة من غير الفج الذي وردت منه ولا تقدر ان تصدر من حيث
وردت حتى اذا كان من الغد كان يوم ثمود فيشربون ما شاؤوا من الماء ويدخلون ما شاؤوا واليوم
الناقة فماتت على ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة تضعف اذا كان الحر يظلم الوادي فيهرب
منها مواشيهم الابل والبقر والغنم فتسبط الى بطن الوادي فتكون في حرة وجديفة واذا كان
الشتا فتشق الناقة في بطن الوادي فترب المواشي الى ظهره فتكون في البرد والجذب فاضر
ذلك بمواشيهم للامر الذي يريد الله لهم والبلا والاختبار فكبر ذلك عليهم وعتوا عن امر ربهم
وحلمهم ذلك على عقور الناقة فاجمعوا على عقورها وكانت امرأتان من ثمود يقال لاهدهما عنيزة
بنت غنم بن مجلز وتكنى بام غنم وكانت عجوزا مسنة وهي امرة دواب بن عمرو وكانت ذات بنات
حسان وذات مالا من ابل وبقر وغنم والامراة الاخرى يقال لها صدوق بنت الحيا وكانت
جميلة غنية ذات مواش كثيرة وكانت من اشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانت
تجان عقور الناقة لما اضررت بمواشيها فتحيكتا في عقور الناقة فدعت صدوق رجلا من ثمود
يقال لها الحباب لعقور الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فابي عليها فدعت ابن عم لها يقال
له مصدع بن مخرج بن الحيا وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة وكانت من احسن الناس
وجها والثرهم ما لا فاجاها اليه لك ودعت عنيزة بنت غنم قد ارسلت سالف وكان رجلا احمد
ازرق قصيرا وزعمون انه كان ابن زينة ولوركن لسالف ولكنه ولد على فراشه فقالت عنيزة
لفقد اري بنا في شئ اعطيتك على ان تعقر الناقة وكان قد ارسل برا شيعا في قومه عن
عبد الله بن رمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يحطب وذكر الناقة والذي عقورها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث استقاها انبعث لها رجل عن بن عازم سبيع في رهطه
مثل ابي زمعة فوله انبعث قام بسرعة والقارم الخبيث الشرير والعداوة الشدة والقوة
والشراسة والسبع الممنوع ممن اراده قال اصحاب الاخبار فانطلق قد ارسل سالف ومصدع
ابن مخرج فاستغوثا غواة ثمود فاتبهم سبعة نفر وكانوا شعبة رهط فانطلق قد ارسل مصدع
 واصحابها فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في اصل صخرة على طريقها ولكن
لها مصدع في اصل صخرة اخرى فترت على مصدع فرماها بهم فانظم به عضلة ساقتها وخرت
لم عنيزة وامرت ابنتها فسفرت عن وجهها وكافن من احسن الناس وجها ليراه قدار ثم دمرت
يعني جثته على عقورها واغرته به فشد قدار على الناقة بالسيف فكشفت عرقها فخرت
ورغت رعاة واحدة فتحد راسها من الجبل شطعن قدار في لبتها فخرها فخرج اهل البلدة
فاقتسموا لحمها فلما راي سقيها ذلك انطلق هارب حتى اتي جبلا منيعا يقال له صبور
وقيل فاره واتي صالح فقيل له ادرك الناقة فقد عقرت فاقبل نحوها وخرج اهل البلدة

يتلقونه

يتلقونه ويعتدرون اليه ويقولون يا بني الله انما عقرتنا فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل
يتدركون فصيحها فان ادركتموه فنعسي ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا في طلبه فزادوا على الجبل فذهبوا
ليأخذوه فاوجي الى الجبل ان تطاول فتطاول حتى اثنائه الطير وحاصلا فلما رآه الفصل بكاجي
سالت دموعه ثم رغا ثلاثا ثم انفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل دعوة اجل يوم تمتعوا في
داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحاق سمع السقبة اربعة نفر من الذين
عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مخرج واخوه دواب قرماه مصدع يسهم فاصاب قلبه شر حذب
فاترله ورموا لحمه مع لحم امه وقال لهم صالح انت كنتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقته قالوا
وهم مهدون به ومتي ذلك يا صالح وماتية ذلك وكان يسمون الايام في ذلك الوقت الاحد اول
والاثنين اهون والثلاثا دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت
شيار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك يوم مؤنس ووجوهكم
مصفرة ثم يصحون يوم العروبة ووجوهكم حمرة ثم يصحون يوم شيار ووجوهكم سودة
ثم يصحون العذاب يوم اول فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلم فلنقتل
صالحا فان كان صادقا فاعجلناه قبلنا وان كان كاذبا كما قد الحقناه بناقته فانوه لئلا يبييتوه
في اوله فدفعتهم الملائكة بالحجارة فلما ابطوا على اصحابهم اتوا من ارض فوجدوهم قد رضوا بالحجارة
فقالوا الصالح انت قتلتم ثم هموا به فقامت عشيرة دونه وقالوا لا تقتلوه ابدلناه قد
وعلم العذاب انه نار لكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزيد واربع الاغصبا عليكم وان
كان كاذبا فانتقم من ورا ما تزيدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم
مصفرة كما نما طليت بالخلوف صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فابقوا بالعذاب وعرفوا
ان صالحا قد صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتلوه فهدب منهم ولحق يحيى من بطون ثمود يقال لهم
بنوا غنم فتر على سيدهم واسمه نفيل ويكنى بابي هذب وهو مشرك ففزع صالحا فلم يقدروا
عليه فعدوا الي اصحاب صالح ليدلوه عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له مبدع بن هثم
يا بني الله انهم يعدون ان يدلكم عليك فندلكم عليكم قال نعم فدلوه عليه فاقوا اياه ديب
فكلموه في امر صالح فقال هو عندي وليس لكم عليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم
ما نزل من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا ما يرون في وجوههم فلما اسوا صاهاوا بجمعهم
الا قدمضي يوم من الاجل فلما اصبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم حمرة كما نما خضبت بالدم
فصاهاوا وخجوا وبكوا وايقنوا انه العذاب فلما اسوا صاهاوا بجمعهم الا قدمضي يوم من
من الاجل وحضرهم العذاب فلما اصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم سودة كما نما طليت
بقار فصاهاوا بجمعهم الا قدمضيهم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح من بين ظهرهم
ومن اسلم معه الى الشام فتر رملة فلسطين فلما اصبحوا في اليوم الثالث تكفون
وتخطوا والقوا بانفسهم الى الارض يقبلون ابصارهم في السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون
من اين ياتيهم العذاب فلما اشتد الضحك من يوم الاحد انهم صيحة عظيمة من السماء فيها
صوت كصا عقة وصوت كل شئ له صوت في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وهم
وهلكوا جميعا الاجارية متعذرة يقال لها ذريعة بنت سلف وكانت كافرة شديدة

التسعة

العداوة لصالح فاطلق الله تعالى رجلاه بعد ما عابته العذاب وما اصاب ثود فخرجت بسرعة
حتى انت وادي القرى فاحبرهم بما عابته من العذاب الذي من ثود ثم استسقت ما فسقت
فلما شربت ماتت في الحال وذكر السدي في عقرة الناقة فقال اوحى الله الي صالح عليه السلام
ان قومك سيعفرون الناقة فقال لم صالح ذلك فقالوا ما كنا لتفعل فقال صالح انه سيولد
في شهرهم غلام يعقدها فيكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الا قتله
قال فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر اولاد فذبحهم ثم ولد للعاشر ولد فابى ان يذبحه لانه
كان لم يولد له قبل ذلك ولد وكان الولد الذي ولد له في ذلك الشهر احمر ازرق فثبت نباتا
سريعا فكان اذا مر بها التسعة فزادوا قالوا لو كان اولادنا احياء لكانوا مثل هذا الغلام فغضب
التسعة على صالح لانه كان سبب قتل ابناءهم فقالوا سموا بالله يعني فتحوا الله باله لنبيقت
واهلكه وقالوا اخرج فيري الناس اننا قد خرجنا الي سفر فباني الغار فيكون فيه اذا جاء الليل
وخرج صالح الي مسجد ايتناه فقتلناه ثم رجع الي الغار فكان فيه ثم تنصرت الي رحلنا
فنتقول ما شهدنا مهلك اهلكه وانا لصادقون فيصدقونا فيظنوا اننا قد خرجنا الي سفر وكان
صالح لا ينام معهم في القرية بل كان يبيت في مسجد له خارج القرية فاذا اصبح اناهم فيعظم ويذكرهم
فاذا امسى الي مسجد خرج فيتعبد فيه قال فانطلق التسعة الي الغار فسقط عليهم فقتلهم
فاطلق رجال من كان قد اطلع على امرهم لينظروا ما فعلوا وليك النفر فزادهم وهم رضع فخرجوا
الي القرية يصيحون ما رضى صالح يقتل اولادهم حتى قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقرا لئلا
وقال ابن اسحاق كان التسعة قد تقاسموا على نبييت صالح بعد عقرة الناقة وقال السدي
 وغيره لما ولد للعاشر ولد ساء قد ارا فكان يشب سريعا فلما كبر جلس مع ناس يشربون
 الخمر فارادوا ان يمزجوا به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شرب
 الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نصنع نحن ببلد الناقة ولو كانا خذ هذا الماء الذي تشربه
 الناقة فنسقيه لانما نازرونا كان خيرا لنا فقال العاشر هل لكم ان اعقرها لكم قالوا
 نعم فعقرها **ق** عن ابن عمر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن
 الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم الا ان تكونوا باكين ثم رفع راسه واسرع السير
 حتى جاء وادي وفي رواية لمسلم لا تدخلوا بها ولا المعدنين ثم ذكر مثله ولما عنه
 ان الناس نزولوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر ارض ثود فاستقوا من ابارها وعجنوا
 به العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهرقوا ما استقوه ويعلقوا الابل
 العجين وامرهم ان يسقوا من البير التي كانت تردها الناقة والبحاري ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا من بيارها ولا يستقوا منها
 فقالوا قد عجننا منها واستقيننا فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرحوا العجين ويهرقوا
 ذلك الماء في بعض الاحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسالوا رسولكم الايات
 هو لا قوم صالح سالوا رسولهم فبعث الله الناقة فكانت ترث من هذا الفخ وتضد من هذا الفخ
 وتشرب ما هم يوم وردوها وراهم رثي النصيل من القارة فتعوا عن امرهم وعقروها
 فاهلك من تحت اديم السماء منهم مشارق الارض ومغارها الارجل واحد يقال له ابو رغال

وهو ابو عمرو

وهو ابو ثقيف كان في حرم الله منعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه
 فدفن ودفن معه غصن من ذهب واراهم قبر ابي رغال فنزل القوم فابتدوه باسياقهم وحفروا
 عنه فاستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المومنة من قوم صالح اربعة الاف خرج لهم صالح
 الي حضرموت فلما دخلها مات صالح فسمي حضرموت ثم بني الاربعة الاف مدينة وسموها حضورا
 وقال قوم من اهل العلم توفي صالح عليه السلام مكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة واقام في
 قومه عشرين سنة قوله تعالى **وَلَوْ ظَا** يعني وارسلنا لوطا وقيل معناه واذا كبريا لوطا وهو
 لوط بن هاران بن تارح وهو ابن اخي ابراهيم وابراهيم **ع** **اِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ** يعني اهل سدوم
 واليهم وكان قد ارسل ذلك ان لوطا عليه السلام لما هاجر مع عمه ابراهيم عليه السلام الي الشام
 فنزل ابراهيم ارض فلسطين وانزل لوطا الاردن فارسله الله الي اهل سدوم يدعوهم الي الله وبيناهم
 عن فعلهم القبيح وهو قوله **اَنَا تَوْنُ الْفَاحِشَةِ** يعني اتفعلون الفاحشة الحسية
 التي هي غاية في الفجح وكانت فاحشتم اثبات الذكر ان في اديارهم **مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ**
 الْعَالَمِينَ من الاولين ايدة لتأكيد النفي افادة معنى الاستغراق والثانية للتبعية
 والمعنى ما سبقكم ايها القوم هذه الفاحشة احسن العالمين قبلكم وفي هذا الكلام
 توبيخ لهم وتقرير على فعلهم تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار ما تراذكري في الدنيا حتى
 كان قوم لوط **اِنَّكُمْ لَنَا تَوْنُ الرِّجَالِ** يعني في اديارهم **شهوة من دون النساء** يعني ان
 ادبار الرجال اشبه عندكم من فروج النساء **اِنَّكُمْ لَتَوْنُ قَوْمٍ مُّسْرِفُونَ**
 اي مجاوزون للحلال الي الحرام وانما ذمهم وغيرهم ووتهم هذا الفعل الجيث لان الله تبارك
 وتعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة النكاح لبناء النسل وعمارة الدنيا وجعل النساء محلا لتلك
 الشهوة وموضع النسل فاذا تركهن الانسان وعدل عنهن الي غيرهن من الرجال فكانما قد اشرف واد
 واعتدي لانه وضع الشيء في غير موضعه الذي خلق له لان ادبار الرجال ليس محلا للولادة
 التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الانسان وكانت **قصه قوم لوط** علي ما ذكره
 محمد بن اسحق وغيره من اهل الاخبار والسير انه كانت قري قوم لوط محصبة وثمار وزروع لم
 يكن في الارض مثلهما فقصدهم الناس فاذوم وضيقوا عليهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ
 وقال لهم ان فعلتم بهم كذا وكذا تجوز منهم فايوا فلما لم الناس عليهم وقصدوهم فاصابوا غلمانا
 حسنا ناصبا حافا ختنوا واستحكم ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا يشكون الا الغرباء وقيل
 استحكم فيهم ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال الكلبي ان اول من عمل قوم لوط
 ابليس وذلك لان بلادهم خصيت فقصدوا اهل البلد ان فتمثل لهم ابليس في صورة شاب
 امر فدعا الي نفسه فكان اول من نكح في دبره فارسله تعالى السما ان تحصيه والارض ان تحسب
 بهم وقوله تعالى **وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ** يعني وما كان جواب قوم لوط لوط اذ وتهم علي
 فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله تعالى عليهم من العمل الخبيث **اَلَا اَنْتَ قَالَا** اي قال بعضهم
 لبعض **اتخرجوهم من قريبتكم** يعني اخزجوا لوطا واتباعه واهل دينته من بلدكم **اِنَّهُمْ اَنَاسٌ**
 يَبْطَلُونَ يعني انهم يبتزهون عن فعلكم وعن ادبار الرجال لانه موضع الخاسة ومن تركه فقد
 تظلم وقيل ان البعد عن المعاصي والاثام يمي طمارة فمن تباعد عن المعاصي والاثام فقد

منظور فلهذا قالوا انهم اناس يتظاهرون بعيني من فعل المعاصي والانام **فَأَجْنِبْنَاهُ وَآهْلَهُ** يعني فاجنبنا
لوطا ومن آمن معه وابتنع علي دينه وقيل المراد باهله المتصلين به بسبب النسب والمراد باهله
ابنتاه **إِلَّا أُمَّةً** يعني زوجته **كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ** يعني كانت من الباقين في العذاب لانها
كانت كافرة وقيل معناه كانت من الباقين المعذبين قد اتي عليها وهو طويل فخر هلكت مع من
هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين ولم يقل من الغائبات لانها هلكت مع الرجل فغلب
ذكر الرجال فقال من الغابرين **وَلَنُظَنِّرَنَّ عَنْهُمْ سَخِرًا** يعني نجارة من سجيل قد عجت بالكبريت
والنار يقال مطرت السماء وامطرت وقال ابو عبيدة يقال في العذاب امطروني الرحمة **نُظَر**
فَأَنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ يعني انظر يا محمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين كانوا
بايات الله ورسوله وغنوا الفواخر كيف اهلكهم قال مجاهد نزل جبريل فاذا دخلنا حجة تحت
مدائن قوم لوط فاقتلها ورفعها الي السماء ثم قلبها فجعل اعلاها اسفلها ثم اتبعوا بالجماعة وقوله
فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وان كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لكن
المراد به غيره من امته فيعتبرون انما جري علي اولئك فيزجروا بذلك الاعتبار عن الافعال
القبحة والفواخر الخبيثة قوله عز وجل **وَالْيَبْدِينَ أَطْلَقَ شُعَيْبًا** يعني وارسلنا الي مدين
اكثر المفسرين علي ان مدين اسم رجل وهو مدين وقيل مديان بن ابراهيم الحليل عليه السلام
فجعل هذا يكون المعني وارسلنا الي ولد مدين ومدين اسم للقبيلة كما بقا ذبونيم وبنو عدي وبنو
اسد وقيل مدين اسم لثما الذي كانوا عليه وقيل هو اسم للمدينة وعلي هذين القولين يكون
المعني وارسلنا الي اهل مدين والصحيح هو الاول لقوله اخاهم شعيبا يعني في النسب لا في الدين
وشعيب هو بن توبة بن مدين بن ابراهيم عليه السلام قاله عطاء وقال محمد بن اسحق هو محمد بن
ميكيل بن يسجر بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان شعيب اعجمي كان يقال له خطيب
الانبياء الحسن راجعته قومه وكان قومه اهل لحد ونحس في المكيال والميزان **قَالَ** يعني شعيبا
يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ يعني قد جاءكم حجة وبرهان
من ربكم بحقيقة ما اقول وصدق ما ادعي من النبوة والرسالة اليكم لانه لا بد لكل في معجزة
تدلي على صدق ما جاء به من عند الله غير ان تلك المعجزة التي كانت لشعيب لم تذكر في القرآن
وليست كل ايات الانبياء مذكورة في القرآن وقيل اراد بالبينة محجة شعيب بالرسالة اليهم
وقيل اراد بالبينة الموعظة وهي قوله **فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ** يعني فاتموا المكيال والميزان
واعطوا الناس حقوقهم وهو قوله **وَلَا تَحْسَبُوا النَّاسَ شَيْئًا** يعني لا تظلموا الناس
حقوقهم ولا تشقصوهما اياها فتطفنوا الكيل والوزن يقال نحس فلان في الكيل والوزن
اذا نقصه وطفقه **وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ** يعني بعد ان اصلحها الله
بعثة الرسل واقامة العدل وكل شيء يبعث الي قوم فهو صلاحهم **ذِكْرُكُمْ** يعني الذي ذكرت
لكم وامرناكم به من الايمان بالله ووقا الكيل والميزان وترك الظلم والبغض **خَيْرَ لَكُمْ** مما انتم
عليه من الكفر وظلم الناس **إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** يعني مصدقين ما اقول **وَلَا تَقْعُدُوا عَلَى**
أَعْيُنِ النَّاسِ يعني ان شعيبا قال لقومه الكفار ولا تقعدوا علي كل طريق من الدين
والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهددونهم علي ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون علي

شعيب
وام ميكيل بن يسجر بن مدين بن ابراهيم عليه السلام
وقيل هو شعيب بن يثوب بن
ثوب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام

الطرق

الطرقات وتخوفون من يريد الايمان بالله ورسوله شعيب وهو قوله **وَقَصِدْ** **وَن عَنْ سَبِيلِ**
أَنْتُمْ مِنْ أَمْنٍ يعني وتمنعون من يريد الايمان بالله وتقولون ان شعيبا كذابا وتخيفون
بالقتل قال ابن عباس كانوا يجلسون علي الطريق فيخبرون من اتي عليهم ان شعيبا الذي تريدون
كذاب فلا يفتنكم عن دينكم **وَتَقْوُوا** يعني وحذروا **أَعْوَجَ** الطريق عن
الحق وعدوها عن القصد وقيل معناه وتلتصمون لها الرمح والهلاك ولا يستقيموا علي طريق
الهدى والرشاد **وَأَذْكُرُوا** **الَّذِينَ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرُوا** يعني ان شعيبا عليه السلام ذكرهم نعمة الله
عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة اوجه كثر عدوكم وكثر لكم بالغا بعد الفقر وكثر لكم القدر
بعد الضعف ووجه ذلك انهم اذا كانوا فقرا وضعفوا فثم بمنزلة القليل والمعني انه كثر بعد
الفقر واعزكم بعد الدلة فاشكروا نعمة الله عليكم وامنوا به **وَأَنظُرُوا** **كَانَ عَاقِبَةُ**
الْمُفْسِدِينَ يعني وانظروا وانظروا اعتبارا من كان قبلكم من الامم السالفة والفقرون
الحالية حين عتوا علي ربهم وعصوا رسلهم من العذاب والهلاك واقرب الامم اليكم قوم لوط فانظروا
كيف ارسل الله عليهم جماعة من السما عاصوه وكذبوا رسله **قَالَ** **طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا**
بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وطائفة ابراهيم يعني وان اختلفتم في رسالاتي فصرتم فرقتين
فرقة امنت بي وصدقت برسالاتي وفرقة كذبت ومحدت رسالاتي **عَصَبُوا** فيه وعيد
وتهديد **عَنِ حَكَمِ اللَّهِ** **يُنشَأُ** يعني يحيي بقضي الله بيننا ويفصل بيننا فيعز المومنين المصدقين
وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين وبعدهم **وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** يعني انه عالم عادك
منزه عن الجور والميل والحيث في حكمه وانما قال خير الحاكمين لانه قد لسمي بعض الحكماء
حاكما علي سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة فلهذا قال وهو خير الحاكمين **قَالَ الْمَلَأُ**
الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ يعني قال الجماعة من اشراف قومه الذين تكبروا عن الايمان
بالله ورسوله وتكلموا عن اتباع شعيب **لَخَرَجْنَاكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَوْمِنَا**
أُولَئِكَ قَوْمٌ فِي مِلَّتِنَا يعني ان قوم شعيب اجابوه بان قالوا لا بد من احد امرين لما اخرجك
ومن تبعك علي دينك من بلدنا اولئك من ديننا وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه اشكال
وهو ان شعيبا عليه السلام لم يكن قط علي ملتهم حتي يرجع الي ما كان عليه فاما معني قوله
اولئك قوم في ملتنا واجيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل الايمان
به علي ملة اولئك الكفار فحاطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب وان لم
يكن علي ملتهم قط وقيل معناه لتقيرن الي ملتنا فوقع العود علي معني الابتداء كما تقول
قد عاد علي من فلان مكروه معني قد لحقني منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكروه
فهو كما قال الشاعر **فَان تَكُنِ الْاَيَّامُ احْسَنَ مَرَّةٍ** الي فقد عادت لهن ذنوب
اراد فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان وقوله **قَالَ أَوْكُوا**
كُنَّا كَارِهِينَ يعني لانعود في ملتكم وان اكرهتمونا واجبرتمونا علي الدخول فيها فلا نقبل
ولا ندخل **قَدْ افترينا علي الله كَذِبًا** ان عدنا في ملتكم بعد اذ تجانا الله منها يعني
ان شعيبا اجاب قومه اذ دعوه ومن امن الي العود الي ملتهم والدخول فيها فقال قد افترينا
علي الله كذبا يعني قد اخترعنا علي الله كذبا وتخوضنا عليه من القول باطلا ان نحن

رجعنا الي ملتكم وقد علمنا فساد ما انتم عليه من الملة والدين وقد انقذنا الله وظلنا منها
وتصونا خطاهم وهذا ايضا فيه من الاشكال مثل ما في الاول وهو ان شعيبا عليه السلام
ما كان في ملتكم قط حتى يقول ان عدنا في ملتكم بعد اذ جانا الله منها والجواب عنه مثل
ما اجيب عن الاشكال الاول وهو ان نقول ان الله نجاه قومه الذين امنوا به من تلك الملة
الباطلة الا ان شعيبا نظم نفسه في حملتهم وان كان ربيا بما كانوا عليه من الكفر فاجري
الكلام على حكم التعليل وقيل معنا جانا الله منها علمنا فيه ملتكم وفسادها فكانه خلاصنا
منها وقوله **وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا** يعني وما يكون لنا ان نرجع
الي ملتكم ونترك الحق الذي نحن عليه الا ان يشاء الله ربنا يعني الا ان يكون قد سبق لنا في علم
الله ان نعود فيها الخبيثه معصية قضا الله وقدره فينا وينفذ سابق مشيئته علينا وقال الواحد
معنى العود هنا الابتداء والذي عليه اهل العلم والسنة في هذه الآية ان شعيبا واصحابه
قالوا لما كالمنا الرجوع الي ملتكم بعد ان وقفنا على انها ضلالة تكسب دخول النار الا ان يريد الله
اهلاكنا فامورنا راجعة الي الله غير خارجة عن قبضته ليسعد من يشاء بالطاعة ويشقي من
يشاء بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام للشبهة ولما نزل الانبياء والاكابر
بخافون العاقبة وانقلاب الامر لا تزي الي قول الحليل ابراهيم صلى الله عليه وسلم
واجنبي وبني ان تعبوا الاصنام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب
القلوب ثبت قلبي على دينك قال الزجاج المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد
سبق في علم الله ومشيئته ان نعود فيها ونضد بوق ذلك قوله تعالى **وسمع ربنا اكل في علم** يعني
انه تعالى يعلم ما يكون قبل ان يكون وما سيكون وانه تعالى كان عالما في الارزاق جميع الاشيا
فالسعيد من سعد في علم الله والشقي من شقي في علم الله **توكلنا** يعني على الله نعمته
واليه نستند في امورنا كلها فانه الكافي لمن توكل عليه والمعني على الله توكلنا لا على غيره
فكانه ترك الاسباب ونظر الى سبب الاسباب **ربنا افخ بيننا وبين قومنا بالحق** لما
ايسر شعيب من ايمان قومه دعاهم فقال ربنا افخ اي افضر وافضل واحكم بيننا
وبين قومنا بالحق يعني بالعدل الذي لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف **وانت خير الفاضلين**
يعني خير الحاكمين قال الفران اهل عمان يسمون القاضي الفاضل وقال غيره من اهل اللغة
هو لغة مراد وانشد بعضهم **الابلخ بني عزم رسولا** فاني عن فتاحكم غني
اراد انه غني عن حاكمهم وقاضيه وقال ابن عباس ما كنت ادري ما معني قوله ربنا افخ
بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاضلين حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول تعال
افتحك يعني افاضيك وهذا قول قتادة والسدي وابن جرير وجمهور المفسرين
ان الفاضل هو القاضي والحاكم سمي بذلك لانه يفتح اغلاق الاشكال بين الخصوم ويفصلها
وقال الزجاج وجاز ان يكون معناه ربنا اظهر امرنا حتى يفتح بيننا وبين قومنا وينكشف
والمراد منه ان يترك عليهم عداياهم على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين
وعلى هذا الوجه فالفتح به براديه الكشف والتمييز **وقال الملأ الذين كفروا من**
قومه لين اتبعتم شعيبا انكم اذا الخاسرون يعني وقال جماعة من اشراف قوم

شعيب

شعيب من كفر به لاحزن من منهم لين اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم وملتكم وما انتم عليه انكم
اذا الخاسرون يعني انكم لمغبونون في فعلكم **فاخذتم الرجفة** يعني الزلزلة الشديدة **فاصبحوا**
في دارهم جاثمين قال ابن عباس وغيره فتح الله عز وجل بابا من جهنم فارسل عليهم حراشيدا
فاخذ ما نفاسهم فلم ينفعهم ظرولا ولا ما قد خطوا في الاسراب ليبردوا فيها فوجدوها اشتد حرا
من الظاهر فخرجوا هربا الي البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاطلنتهم وهي
الظلة فوجدوها باردا ونسيما فنادي بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجاء لهم
ونساء لهم وصبياتهم الهبها الله عليهم نار او رجفت لهم الارض من تحتهم فاحترقوا كما احترقت
الجراد في المقبل وصاروا رمادا وروي ان الله تعالى جلس عنهم الريح سبعة ايام ثم سلط عليهم
الحرق حتى هلكوا وقال قتادة بعث الله شعيبا الي اصحاب الايكة والي اهل مدين فاما اصحاب
الايكة فاهلكوا بالظلة واما اهل مدين فاخذتهم الصيحة صاحتهم جبريل صيحة هلكوا جميعا
قال ابو عبد الله الجاهلي كان ابوجاد وهو زحطي وكلمن وسعفر وقرشيتات ملوك مدين
وكان ملكهم في زمن شعيب يوما الظلة اسه كلمن فلما هلك قالت ابنته شعرا ابتكيه وترثيه
كلمن هدركي هلكه وسط المحلة سيد القوم اناه هلكة نار تحت ظله جعلت نار عليهم
دارهم كالمضحلة وقوله تعالى **الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها** يعني كان لهم قيم
فيها ولم يزلوها يوما من الدهر يقال غنيت بالمكان اي اقلت به والمغاني المنازل التي لها
اهل واحداهم غني قال الشاعر ولقد غنوا فيها باغم عيشة في ظلم ملك ثابت الاوتاد
اراد فيها اقاما وقيل في معنى الآية كان لهم عيشوا فيها متعدين مستغنين يقال غني الرجل اذا
استغني وهو من الغني الذي هو ضد الفقر **الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرون** يعني
خسروا انفسهم هلاكهم **فتولي عنهم** يعني فاعرض عنهم شعيب شاخصا من بين اظههم حين
اتاهم العذاب **وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم** يعني انه قال لهم ذلك
لما يتقن نزول العذاب بقرينهم واختلفوا اهل كان هذا القول قبل نزول العذاب او بعده
على قولين سبقا في قصة هود عليه السلام قوله **فكيف اسي** يعني احزن على قوم كافرين
والاسي اشتد الحزن وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاستجابة
والايمان فلما نزل بهم ما نزل من العذاب عزي نفسه فقال كيف احزن على قوم كافرين
لانهم هم الذين اهلكوا انفسهم باصرارهم على الكفر وقيل في معنى الآية ان شعيبا قال لقد
اعدت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتخدير فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصيحتي فكيف
احزن عليكم معني انكم لستم مستحقين بان تحزن عليكم فبطل القول الاول انه حصل لشعيب
حزن على قومه وعلى القول لم يحزن عليهم والله اعلم قوله تعالى **وما ارسلنا في قومه من نبي**
فيه اضمار وحذف تقديره فكذبوه **الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء** قال ابن
سعود الباساء الفقر والضرر المرض وهذا معنى قول الزجاج فانه قال الباسا كلما لهم
من الشدة في اموالهم والضرر كلما لهم من الامراض وقيل الباسا الشدة وضيق العيش
والضرر الضر وسؤل الحال **لعلهم يفتشرون** يعني انما فعلنا بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا
والنضرع الخضوع والانقياد لا مرا الله تعالى عز وجل والمراد من هذه الآية ان الله عز وجل

لما عرف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم احوال الانبياء مع انهم المكذبة وقصر عليه من اخبارهم وعرفه
سنته في الامم الذين طوا من قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب عرفه في هذه الآية
انه قد ارسل رسلا الي امم اخرفك بوارسلهم فاحذروا بالاسا والضررا كما فعل من كذب ربه
وفيه تحوير وتحذير لكفار قريش وغيرهم من الكفار ليزجروا عامهم عليه من الكفر والكذب
شربن نقالي انه لا يحوي تديرة في اهل القري على منط واحد وسنة واحدة انما يدبرهم ما ياتون
الي الايمان اقرب وهو قوله تعالى **فَرَبِّدْنَا مَا كَانَتِ السَّبِيحَةُ الْحَسَنَةُ** لان ورود النعمة على
البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعي الاقياد للطاعة والاستغفار بالشكر قال اهل
اللغة السبحة كل ما يتوصا به والحسنة كلما يستحسنه الطبع والعقل فالسبحة والحسنة
هنا الشدة والرضا والمعني انه تعالى بدل مكان الباسا والضررا النعمة والسعة والخصب
والسعة والصحة في الابدان فاخبر الله تعالى في هذه الآية انه ياخذ اهل المعاصي والكفر
تارة بالشدة وتارة بالرخا على سبيل الاستدراج وهو قوله **حَتَّىٰ عَفَوا** يعني انه فعل ذلك
بهم حتى كثروا وكثرت اموالهم فقال عفا الشدة اذا كثروا طال قال مجاهد كثرت اموالهم
واولادهم **وَقَالُوا** يعني من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الي الرخا والسعة **قَدَسَتْ اَبَابُنَا**
الْقُرَىٰ وَالْشَّعْرَاءُ يعني انهم قالوا هكذا عاده الدهر قدما وحديثنا ولا ياتنا ولم يكن مامسا
من الشدة والضرر اعقوبة لنا من الله علي ما نحن عليه فكونوا على ما انتم عليه كما كان اباؤكم
من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما اصابهم من الضرر والسرا قال الله تعالى **فَاَخَذْنَا مِنْهُمُ**
بِعَمَلِهِمْ يعني اخذناهم فحاة امن ما كانوا ليكون ذلك اعظم لحسرتهم **وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** يعني ينزل
العذاب بهم والمراد بذلك هذه القصة اعتبار من سمعوا ليتزجر عامهم عليه من الذنوب قوله
عز وجل **وَلَوْ اَنَّ اَهْلَ الْقُرَىٰ اٰمَنُوا وَاتَّقَوْا** يعني لما بين الله تعالى في هذه الآية الاولى
ان الذين عصوا وتمردوا اخذهم بعذابه بين في هذه الآية انهم لو امنوا يعني بالله وبرسوله
واطاعوه فيما امرهم به واتقوا يعني ما نهاي الله عنه وحرمة عليهم **لَنُخَفِّضَنَّهُمْ رِجَالًا**
وَلَا يَصْلَوْنَ السَّمَاءَ وَلَا يُرْجَوْنَ مِنَ الْمَطَرِ وَلَا يُنْزَلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ
وَالْخَيْرَاتُ وَالْاَنْعَامُ وَالْارْزَاقُ وَالْاَمْنُ وَالسَّلَامَةُ مِنَ الْاَفَاتِ وكل ذلك من فضل الله
واحسانه على عباده واصل البركة ثبوت الخير الالهي في الشيء وسمي المطر بركة السماء
لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة في نبات الارض لانه نشأ عن بركات السماء وهي
المطر وقال البغوي اصل البركة المواظبة على الشيء تابعا عليهم بالمطر من السماء والنبات
من الارض وورعنا عنهم القحط والجذب **وَلَكِنْ كَذَّبُوا** يعني بغلنا بهم ذلك ليؤمنوا فما
امنوا ولكن كذبوا يعني الرسل **فَاَخَذْنَا مِنْهُمُ** يعني بافواج العذاب **بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** يعني
اخذناهم بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة قوله تعالى **اَفَاَمِنَ اَهْلُ الْقُرَىٰ** هو استغناءهم يعني
الانكار وفيه وعيد وتقديد وزجر والمراد بالقري مكة وما حولها وقيل هو عام في كل
اهل القري كفروا وكذبوا **اَنْ يَأْتِيَهُمْ بَاسُنَا** يعني عذابنا **يَئِذَا نَا** يعني ليلا **وَهُمْ نَائِمُونَ**
اَوْ اَمِنَ اَهْلُ الْقُرَىٰ اَنْ يَأْتِيَهُمْ بَاسُنَا يعني نهارا لان الضحى صدر النهار **وَهُمْ**
يَبْعَثُونَ يعني وهم ساهون لا همون غافلون عما يرادهم والمقصود من الآية ان الله خفهم

ينزل

ينزل العذاب وهم في غاية الغفلة وهم حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذي يغلب
على الانسان الشغل فيه بامور الدنيا وامور الدنيا كلها لعب ويحتمل ان يكون المراد خوضهم في
كفرهم وذلك لعب ايضا لانه يصدر ولا يمنع **اَفَاَمِنُوا** الله يعني استدراجه اياهم
بما انهم عليهم من الدنيا وقيل المراد به ان ياتيم عذابه من حيث لا يشعرون وهذا الوجه فيكون
المعني التحذير وسمي هذا العذاب مكر الزواله وهم في غفلة عنه لا يشعرون به **فَلَا يَأْتِيَنَّ**
مَكْرَ اللَّهِ الا القوم **الْخَاسِرُونَ** يعني انه لا يات من ان يكون ما اعطاهم من النعمة مع كفرهم
استدراجا الامن خسريه اخره وهلك مع الهالكين **اَوْ كَذَّبُوا** يعني اولم يبين **لِلَّذِينَ**
يُرْتَوْنَ اَلْاَرْضَ مِنْ بَعْدِ اَهْلِهَا يعني من بعد هلاك اهلها الذين كانوا من قبلهم فورتوها عنهم
وحلفوها فيها **اَنْ لَوْ نَشَاءُ اُتَيْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ** يعني لو نشاء اخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم
وَنَطْبَعُ اِي وَنَخْتَمُ عَلَيْهِمْ قُلُوبَهُمْ فهم لا يسمعون يعني لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الايمان
ونطبع منقطع عما قبله والمعني ونحن نطبع على قلوبهم فحجوز ان يكون معطوفا على الماضي
ولفظه لفظ المستقبل والمعني ولوشينا طبعنا على قلوبهم **تِلْكَ الْقُرَىٰ** يعني هذه القري
التي ذكرنا لك يا محمد امرها وامر اهلها وهي قري قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم
شعيب **نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ اَنْبَايَهَا** يعني نخبرك عنها وعن اخبار اهلها وما كان من امرهم وامر
رسلهم الذين ارسلوا اليهم لتعلم يا محمد انا لننصر رسلا والذين امنوا معهم على اعدائنا واعدائهم
من اهل الكفر والعناد وكيف اهلكناهم بكفرهم ونخالفتهم رسلهم ففهم تسليية للنبي
صلي الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش ان يصيهم مثل ما اصابهم **وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ** يعني اهل
تلك القري **رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ** يعني جاءتهم بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة على
صدقهم **فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ** اختلف اهل التفسير في معنى ذلك فقيل
معناه فما كان هاهنا المشركون الذين اهلكناهم من اهل القري ليؤمنوا عند ارسالنا
اليهم رسلهم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهرا دمر عليه
السلام فاقرروا باللسان واضمروا التكذيب وهذا معني قول ابن عباس والسدي قال
السدي امنوا كرها يوم اخذ الميثاق وقال مجاهد فما كانوا لواحينناهم بعد اهلاكهم
ومعانيهم العذاب ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم وقيل معناه فما كانوا ليؤمنوا عند مجي
الرسول بما سبق لهم في علم الله انهم يكذبون به حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام قال
ابي بن كعب كان سبق لهم في علمه يوم اقرؤا له بالميثاق انهم لا يؤمنون وقال الربيع بن انس
سبق على العباد ان ياخذوا من العلم ما ابدى لهم ربه وان لا يتاوا لو اعلم ما اخفى الله عنهم
فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفي ذلك قال تعالى **وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ**
فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال فقد علمه
فيهم ايم المطيع من القاضي حيث خلقتهم في صلب ادم عليه السلام قال الطبري واولي
الاقوال بالصواب قول ابي بن كعب والربيع بن انس وذلك ان من سبق في علم الله انه
لا يؤمن به فلا يؤمن ابد او قد كان سبق في علم الله لمن هلك من الامم الذين قص خبرهم
في هذه السورة انهم لا يؤمنون ابد فاخبر عنهم انهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم مكذبون في سابق

علم

عليه قبل بحج الرسل عند مجيئهم اليهم **كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين** يعني كطبع الله
على قلوب كفار الامم الخالية واهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم
انهم لا يؤمنون قلوبهم **وما وجدنا الا اكثرهم من كفر** يعني وما وجدنا الا اكثر الامم الخالية
والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد وقا بالعهد الذي عهدناه اليهم وارضينا
به يوم اخذ الميثاق قال ابن عباس انما اهلك الله اهل القرى لانهم لم يكونوا يحفظوا ما وصاهم
به **وان وجدنا اكثرهم لفاستبين** اي ما وجدنا اكثرهم الا فاستبين خارجين عن طاعتنا
وامرنا قوله عز وجل **شعرا بعثنا من بعدهم موسى** يعني شعرا بعثنا من بعد الانبياء الذين تقدم
ذكرهم وهم هود ونوح وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام **وموسى بالآيات** يعني بحجنا وادلتنا
الالهة على صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك من الآيات التي جاءها موسى عليه السلام **الي**
فرعون وملأه قيل ان كل من ملك مصر يسمى فرعون في ذلك الزمان مثل ما كان يسمى
ملك الفرس كسري وملك الروم قيصر وملك الحبشة النجاشي وكان اسم فرعون الذي
ارسل اليه موسى عليه السلام الوليد بن مصعب بن الريان وكان ملك القبط والملا اشرف
قومه وانما خصوا بالذكر لانه اذا من الاشرف امن الاتباع **فقلوا لها** يعني فخذوا لها لان
الظلم وضع الشيء في غير موضعه ولما كانت هذه الآيات معجزات ظاهرة قاهرة شر كفرها
نؤمنوا الكفر بوضع الايمان **فاظنر كيف كان عاقبة المفسدين** اي انظروا يا محمد
بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف اهلكناهم **وقال موسى يا فرعون اني**
رسول رب العالمين يعني ان موسى عليه السلام لما دخل على فرعون دعاه الي
الله والى الايمان به وقال له اني رسول يعني رسل اليك والى قومك من رب العالمين
يعني ان الله خالق الخلق وهو سيدهم ومالكهم هو الذي ارسلني اليك **حقيق** اي واجب
علي ان لا افول على الله الا الحق يعني اني رسول والرسول لا يقول على الله الا الحق في وصفه
وتزويده وتوحيده وانه لا اله غيره **قد جئتكم ببينة من ربكم** يرهان على
صديقي فيما ادعي من الرسالة والمراد ببينته معجزته وهي العصا واليد البيضاء ثم
ان موسى عليه السلام لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم فقال موسى **فا نزل**
معي بن اسرائيل يعني خل عنهم واطلقهم من اسرله وكان فرعون قد استعبد بني اسرائيل
واستعالمهم في الاعمال الشاقة مثل ضرب اللين ونقل التراب ونحو ذلك من الاعمال
الشاقة **قال فرعون ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين**
يعني ان فرعون قال لموسى عليه السلام بعد تبليغ الرسالة ان كنت جئت من عند
من ارسلك ببينة تدل على صدقك فاتيني بها واحضرها عندي لتصح دعواك
ويثبت صدقك فيما قلت **قال لقي عصاه فاذا هي ثعبان مبين** اي بين واثعبان
الذكر من الحيات وصفه هنا بانه ثعبان والثعبان من الحيات العظام الضخمة وهو
في اية اخرى كاهها جان والجان الحية الصغيرة والجمع بين هذين الموضعين بانها
كانت في عظم الحية كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة وهي
الجان قال ابن عباس والسدي انه لما القي قصارت حية عظيمة صفرا شعرا

كانم

الذي

فاغرة

فاغرة فاهها بين لحيها ثمانون ذراعا وارفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها
واضعة لحيها الاسفل في الارض ولحيها الاعلى على سور القصر وتوجت نحو فرعون لما خذ
فوش فرعون عن صدره هاربا واحدا وقيل انه احدث في ذلك اليوم ما رجع مائة مرة وقيل
انها احدثت قبة فرعون بين انبياها وحملت على الناس فانهم مروا وصاحوا وقتل بعضهم
بعضا فمات منهم في ذلك اليوم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى
انشدك بالذي ارسلك ان تاخذها وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فعادت
في يده عصا كما كانت وفي كون الثعبان مابين وجوه الاول انه تميز وبيان ذلك عما
عملته السحرة من التمثيل والتلبس وبذلك تتميز معجزات الانبياء عن تمويه السحرة
وتحليلهم **الوجه** الثاني انهم شاهدوا العصا قد انقلبت حية ولم يشكبه ذلك عليهم
فلذلك قال ثعبان مابين اي بين **الوجه** الثالث ان ذلك الثعبان لما كان معجزة لموسى
عليه السلام كانه اهان صدق موسى في انه رسول من رب العالمين قوله تعالى **وترع يد**
الترع في اللغة عبارة عن اخراج الشيء عن مكانه والمعني انه اخبر يد من جيبه او من تحت
جناحه **فاذا هي عصا للناس** قال ابن عباس وغيره اخبر يد من جيبه فراهها
بيضا من غير سوي يعني من غير برص وقيل ان موسى ادخل يده تحت جيبه ثم ترعها منه
وقيل اخبر يد من تحت ابطه فاذا هي بيضا لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى عليه
السلام ادم اللون ثم ردها الي جيبه ثم اخبرها فاذا هي كما كانت ولما كان البيضا المفطر
عيبا في الجسد وهو البرص قال تعالى في اية اخرى بيضا من غير سوي يعني من غير برص
والمعني فاذا هي بيضا للظنارة ولا تكون بيضا للظنارة الا اذا كان بيضا لها شعاعا
عجيبا خارجا عن العادة ينتج منه **فصل** في بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق
الرسول اعلم ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على خلق المعرفة والايمان في قلوب عباده
ابتداء من غير واسطة ولكن ارسل اليهم رسولا يعرفهم معالم دينه وجميع تخليفاته وذلك
الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده يبلغهم كلامه ويجريهم احكامه وجايز
ان يكون ذلك الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الانبياء وجايز ان يكون الواسطة
من جنس البشر كالانبياء مع اممهم ولاننا نعلم ان جهة العقل اذا جاز هذا في دليل العقل
وقد جات الرسل عليهم السلام لمعجزات دلت على صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما اتوا
به لان المعجزات مع التهدي من النبي صلى الله عليه وسلم قايما مقام قول الله عز وجل صدق
عبدني فاطيعوه واتبعوه ولان معجز النبي شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة
معجزة لان الخلق عجزوا عن الايمان بمثلها وهي على ضربين **فصل** منها هو على
نوع قدرة البشر ولكن عجزوا عنه فعجزهم عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق
نبيه صلى الله عليه وسلم لتمني الموت في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فلما
صرفوا عن تمنيه مع قدرته عليه علم انه من عند الله ودل على صدق النبي صلى الله
عليه وسلم **الضرب** الثاني ما هو خارج عن قدرة البشر كاحيا الموتي وقلب
العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام الشجر والحجاء والحيوان وفتح الما من بين

الاصابع وغير ذلك من المعجزات التي عجز البشر عن مثلها فاذا اتى النبي بشي من تلك المعجزات
الخارقة للعادات علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو الذي اظهر ذلك المعجز
على يد نبيه لتكون له حجة على صمد قديمهما فثبت به عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل العقل
والبرهان القاطع ان الله تعالى قادر على خلق الاشياء وابداعها من غير اصل سبق لها واخراجها
من العدم الى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان وخوارق العادات والله اعلم قوله تعالى
قَالَ الْمَلَأْتُ قَوْمَ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا عِبْنُ مِصْرَ لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يعنون انه لياخذ باعين
الناس حتى يخيل لهم ان العصا صارت حية ويرى الشيء بخلاف ما هو عليه كما اراه يده بيضا
وهو ادم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغالب في ذلك الزمان فلما اتى بما يعجز
عنه غيره قالوا انه لساحر عليم فان قلت قد اخبر الله في هذه السورة ان هذا
الكلام من قول الملا لفرعون وقال في سورة الشعرا وقال فرعون للملاحول ان هذا الساحر
عليم فكيف الجمع بينهما قلت لا يمتنع ان يكون قاله فرعون اولاً ثم انهم قالوه بعد فاجاب
الله عنهم هنا واخبر عن فرعون في سورة الشعرا وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول
شراً للملا من قومه وهم خاصته سمعوه منه ثم انهم بلغوه الى العامة فاخبر الله عز وجل
هنا عن الملا واخبر هناك عن فرعون وقوله **يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ** يعني
يريد موسى ان يخرجكم ايها القبط من ارض مصر فاذ انما **مُذْرُونَ** يعني فاي شيء تشيرون
ان تفعل به وقيل ان قوله فاذ انما مذكور من قول الملا كان كلام فرعون ثم عند قوله
يريد ان يخرجكم من ارضكم فقال الملا يحجبون لفرعون فاذ انما مذكور وانما خاطبوه بلفظ
الجمع وهو واحد على عادة الملوك في التعظيم والتخميم والمعنى فاذ اتروا ان تفعل به
والقول الاول اصح لسياق الآية التي بعده وهذا هو قوله تعالى **قَالُوا الرِّجِيَّةُ وَأَخَاهُ**
يعني اخراهما ولا يخجل فيه فتصير عجلتك عليك لا لك والارجاء التأخير في اللغة وقيل
معنى ارجيه احبسه واخاه وهذا القول ضعيف لان الارجاء في اللغة هو التأخير
لا الخس لان فرعون لما كان يقدر على جبر موسى بعد ما راي من امر العصا ما راي
وَأَرْسَلْنَا فِي الْمَدْيَنَ جمع مدينة واشتقاقها من مدن بالمكان اي اقام به يعني
مدائن صعيد مصر **كَاشِفِينَ** يعني رجالا يحشرون اليك السحرة من جميع
مدائن الصعيد والمعنى انهم قالوا لفرعون ارسل الي هذه المدائن رجالا من اعوانك
وهم الشرط يحشرون اليك من غير اسن السحرة وكان رؤسا السحرة باقضي مدائن
الصعيد فان عليهم موسى صمد قناه وتبعناه وان غلبوه علمنا انه ساحر فذلك قوله
بِأُوتَى يعني الشرط **بِكُلِّ سَاحِرٍ** وقري سحار والفرق بين الساحر والسحار ان الساحر
هو المبتدي في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر الذي يتعلم منه
السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتادون وقت والسحار الذي يدوم سحره ويعمل
في كل وقت **عَلِيمٌ** يعني ماهر بصناعة السحر وقال ابن عباس وابن اسحق والسدي
ان فرعون لما راي من سلطان الله وقدرته في العصا فقال انا لا نقابل موسى الا
من هو منه فاخذ علما من بني اسرائيل وبعث بهم الي مدينة يقال لها القومس
يعلمونهم

يعلمونهم السحر فعلمهم سحر الكهنة واعد فرعون موسى فبعث الي السحرة فجاوهم معلم
فقال فرعون للمعلم اذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحرا هل الارض الا ان يكون
امر من السماء فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك ساحرا الا اتى به واختلفوا في
عدد السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنا منهم من القبط
وهما رؤسا القوم وسبعون من بني اسرائيل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم السحر رجلين مجوس
من اهل نينوى وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال **كعب الاحبار** كانوا اثني عشر الفا واثنا
مئتين اسحق كانوا خمسة عشر الفا وقال عكرمة كانوا سبعين الفا وقال محمد بن المنذر
كانوا ثمانين الفا وقال السدي كانوا بضعا وثمانين الفا ويقال رؤسا القوم شعرون وبقا
يوحنه قوله عز وجل **وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ** يعني لما اجتمعوا وجاءوا الي فرعون **قَالُوا إِنَّ**
كُنَّا لَأَجْرًا يعني جعلا وعطا تكرمنا به **إِنْ كُنَّا جُنَّ غَالِبِينَ** يعني لموسي قال الامام جرجان
ولقائل ان يقول كان حق الكلام ان يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا يا لفا وجوابه هو علي
تقدير سائل لما قالوا اذا جاءوا فاجيب بقوله قالوا ان لنا اجرا ان كنا جرن الغالبين
قَالَ نَعَمْ يعني قال لهم فرعون لكم الاجر والعطا **وَأَنْتُمْ لِمَنِ الْمَقْدِرِينَ** يعني ولكم المنزلة
الرفيعة عندي مع الاجر والمعنى ان فرعون قال للسحرة اني لا قصدكم على الاجر الا ازيدكم
عليه وتلك الزيادة اني اجعلكم من المقدرين عندي قال الكلبي كانوا اول من يدخل علي
واخر من يخرج من عندي **قَالُوا** يعني السحرة **يَا مُوسَى إِنَّا أَن نَّبْلَقَ بِعِصَاكَ وَإِنَّا أَن**
نَكُونُ جُنَّ الْمُلْقِينَ يعني عصينا وحبالنا في هذه الآية دقيقة لطيفة وهي ان السحرة
راعوا مع موسى عليه السلام حسن الادب حيث قدموه على انفسهم في الالتقاء جرم ان الله عز
وجل عوضهم حيث نادى به امع نبيه صلى الله عليه وسلم ان من علمهم بالايان والهداية ولما
راعوا الادب اولوا واطهر وما يدل على رغبتهم في ذلك **قَالَ** يعني قال لهم موسى **الْقَوَا** يعني
انتم تقدمهم علي نفسه في الالتقاء فان قلت كيف جاز لموسي ان يامر بالالتقاء وقد علم انه
سحر وفعل السحر كفر قلت ذكر العلماء عنه اجوبة احدها ان معناه ان كنتم محققين
في فعلكم فالقوا والا فلا تلقوا الجواب الثاني انما امرهم بالالتقاء ليطهر معجزته لانه اذا لم
يلتقوا حبالم وعصيم لم تظهر معجزة موسى في عصاه الجواب الثالث ان موسى عليه
السلام علم انهم لا بد ان يلتقوا تلك الحبال والعصي وانما وقع التخمين في التقدم والتأخير
فاذن لم في التقدم لتظهر معجزته ايضا بغيرهم لانه لو القوا له لم يكن له غلب وظهور عليهم
فلما المعنى امرهم بالالتقاء **وَالْقَوَا** يعني جبالهم وعصيمهم **سَحَرُوا** **وَالْعَيْنَ النَّاسِ** يعني
صرفوا عيون الناس عن ادراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتجليل وهذا هو السحر وهذا
هو الفرق بين السحر الذي هو فعل البشر وبين معجزة الانبيا التي هي فعل الله وذلك لان
السحر قلب الاعين وصرفها عن ادراك ذلك الشيء والمعجزة قلب نفس الشيء وحقيقته كقلب
عصمي عليه السلام حية تسعي **وَأَسْرَفْنَاهُمْ** يعني اربهم ووافرهم بما فعلوه من السحر وهو
قوله تعالى **وَجَاءَ** يعني السحرة **بِحِجْرِ عَظِيمٍ** وذلك انهم القوا حبالا غلاظا وخشيا طولا فاذا
هي حيات كاشا الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا ويقال انهم طأوا الملك الجبال

بالنبي وجعلوا داخل تلك العصي زينة ايضا والقوها على الارض فلما اثر حر الشمس فيها تحركت
 والنوي بعضها على بعض حتى تحيل للناس انها حيات ويقال ان الارض كانت سعتها ميلا في ميل
 فصارت كلها حيات وافاعي ففزع الناس من ذلك واوجس في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة
 لم تحصل لموسى عليه السلام لاجل سحرهم لانه عليه السلام كان على ثقته ويقين من الله انهم لن
 يغلبوه وهو غال لهم وكان عالما بان ما اتوا به على وجه المعارضة لمعجزته فهو من باب السحر والخيال
 وذلك باطل ومع هذا الخوف متمنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه السلام لاجل
 فزع الناس واضطرارهم مما راوا من امر تلك الحيات فخاف موسى عليه السلام ان يتفردوا قبل
 ظهور معجزته وحجته فلذلك اوجس في نفسه خيفة موسى قوله تعالى **واوحينا الى موسى**
ان الق عصاك يعني قل لها **فاذا هي تلقف** تبتلع **ما يافكون** يعني ما يكدبون فيه السحر
 لان اصل الافك قلب الشيء عن وجهه ومنه قيل للكذاب افك لانه يقلب الكلام عن وجهه
 الصحيح الى الباطل قال المفسرون اوحى الله عز وجل الى موسى الاتخف والق عصاك فلقاها
 فصارت حية عظيمة حتى نبتت الافق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية فيقال
 بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فخت فاهها ثمانين ذراعا فاذا هي تلقف اي تبتلع كل شيء اتوا
 به من السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيم واحد او احدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين
 حضروا ذلك الجمع ففزعوا ووقع الزحام عليهم فمات من ذلك الزحام خمسة وعشرون
 الفا ثم اخذها موسى فصارت في يده عصا كما كانت اول مرة فلما راوا السحرة ذلك عرفوا انه من
 امر السما وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم فعند ذلك خروا سجدا
 وقالوا انما رب العالمين وذلك قوله تعالى **فوق الحق** يعني فظهر الحق الذي جاء به موسى
وبطل ما كانوا يعملون يعني من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحر البقيت
 حيا لنا وعصينا فلما تقدمت وتلاشت في عصي موسى علموا ان ذلك من امر الله وقدرته **فقلبو**
هناك يعني تغند ذلك غلب فرعون وسحرته وجوعه **وانقلبوا اصا غرين** يعني ورجعوا
 ذليلين مقهورين **والقي السحرة ساجدين** يعني ان السحرة لما غابوا من عظم قدرة
 الله ما غابوا وليس في قدرتهم مقابلة بسحره خروا لله ساجدين وذلك ان الله عز وجل
 لهم معرفته والايان به **فقالوا امنا رب العالمين** فقال فرعون اياي تعنون
 قالوا بل **رب موسى وهرون** قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة تؤمن بي ان غلبتك
 فقال لا تين بسحره لا يغلبه سحرولين غلبتني لا ومن بك وقيل ان الحبال والعصي التي كانت مع
 السحرة كانت حمل ثلاث مائة بعير فلما ابتلعها عصي موسى كلها قال بعضهم لبعض هذا
 امر خارج عن حد السحر وما هو الا من امر السما فامنوا وصعدوا فان قلب **كان** جل
 يجب ان ياتوا بالايمان قبل التجرد فافادة تقديم الجود على الايمان قلب لما قد فاته
 في قلوبهم الايمان والمعرفة خروا سجدا لله تعالى شكروا على ما هداهم اليه والهمهم به من الايمان
 بالله ونصديق رسوله ثم اظهروا بعد ذلك ايمانهم وقيل لما راوا من عظم قدرة الله وسلطا
 في امر العقبي وانه ليس بقدر على ذلك احد من البشر و زالت كل شبهة كانت في قلوبهم
 بادروا الى السجود لله تعظيما لشانه لما راوا من عظم قدرته ثم انهم اظهروا الايمان باللسان

يا نورا

قال ابن عباس لما رأت السحرة ما رأت عرفت ان ذلك من امر السما وليس بسحر خروا سجدا وقالوا انما
 رب العالمين رب موسى وهرون قوله عز وجل **قال فرعون انتم بمى** يعني قال فرعون للسحرة انتم بمى
 يعني قال فرعون للسحرة انتم بمى وصعد قومه قبل ان امرهم بذلك واذا لم فيه **ان هذا**
لمكر مكرتوه في المدينة يعني ان هذا الصنع صنعتوه انتم وموسى في مدينة مصر قيل
 خروا جل هذا الصنع الموضع وذلك ان فرعون راى موسى يحدث كبير السحرة فظن فرعون
 ان موسى وكبير السحرة قد توأما عليه وعلى اهل مصر وهو قوله **لنخرنوا منها اهلها**
 وتستولوا عليها انتم **فستفعلون** فيه وعيد وتقدير يعني فسوف تعلمون ما فعل بكم
 ففسر ذلك الوعيد فقال **لا قطعن ايديكم وارجلكم من خلاف** وهوان يقطع
 احدي اليدين واحدي الرجلين فيخالف بينهما فيقطع **ثم لا صليتنكم جمعين** يعني
 علي شاطئ نيل مصر قال ابن عباس اول من صلب واو من قطع الايدي والارجل فرعون **قالوا**
 يعني مجيبين لفرعون حين وعد بالقتل **انا الى ربنا منتقلون** يعني انا الى ربنا راجعون
 واليه صائرون في الآخرة **وما تنقم منا** يعني وما تذكره منا وما ننتقم علينا وقال اعطاهمناه
 وما لنا عندك من ذنب تعد بنا عليه **الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا** ثم فرغوا الى الله
 تعالى وسألوهم لصبر على فرعون ايام فقالوا **ربنا افزع علينا صبرا** اي اصيب علينا
 صبرا كاملا تاما ولهذا اتي بلفظ التكبير يعني صبرا واي صبر عظيم **وقولنا مستسلمين**
 يعني واقبضنا على دين الاسلام وهو دين خليلك ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس
 كانوا في اول النهار رحمة وفي آخر النهار شهدة قال الكلبي ان فرعون قطع ايديهم وارجلهم
 وصلبهم وقال غيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى لا يصلون اليك باياتنا اتما ومن اتبعك
 الغالبون قوله تعالى **وقال الملأ من قوم فرعون ائذ رزقهم وقومهم** يعني وقال
 جماعة من اشراف قوم فرعون لفرعون اتدع موسى وقومه **لنفسدوا في الارض** يعني
 ارض مصر وارادوا بالافساد فيها انهم يامرونهم لخالف فرعون وهو قوله **ولنفسدوا في الارض**
 يعني وتذرة لنفسدك ويدرك الهتك فلا يعبدك ولا يعبد هاتك قال ابن عباس كان فرعون
 بكرة وكان يعبدها وكان اذ اراى بكرة حسنة امرهم بعبادتها ولذا كان اخرجهم من السما
 عجلا وقال السدي كان فرعون قد اتخذ لقومه اصناما وكان يامرهم بعبادتها قال لهم انا
 ربكم ورب هذه الاصنام وذلك قوله انا ربكم الا على والا قرب ان يقال ان فرعون كان
 دهر يامرهم بالوجوه الصانع وكان يقول سمعوا هذا العالم السيفي الكواكب فاخذ اصناما
 على صورة الكواكب كان يعبدها ويامرهم بعبادتها وكان يقول في نفسه انه هو المطاع
 والمخدوم في الارض فلما قال انا ربكم الا على وقرا ابن سعد وابن عباس والشعبي
 والضحاك ويذكر الهتك بكسر الهمزة ومعناه ويدرك وعبادتك فلا يعبدك
 لان فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل اراد بالالهية الشمس والكواكب لانه كان يعبدها
 قال الشاعر **ترودنا من الكعبا قصدا** فاعلمنا الالهة ان قودنا
 اراد بالالهة الشمس **قال** يعني فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له اتدع موسى وقومه
سقطنا ايمانهم يعني نتركهم احياء وذلك ان قوم فرعون لما ارادوا جل

تغريب

فرعون على قتل موسى وقومه او حبس موسى وانزل العذاب بقومه ولم يقدر فرعون ان يفعل لموسي
عليه السلام شيئا ما اراد وابه لقوم موسى بما معه من المجدزة عدل الي قومه فقال سنقتل ابناءهم
ونستحيي نساءهم وقال ابن عباس كان قد ترك القتل في بني اسرائيل بعد ما ولد موسى فلما جاءهم
موسى بالرسالة وكان من امره ما كان قال فرعون اعيدوا عليهم القتل فاعادوا القتل على بني
اسرائيل والمعنى ان فرعون قال انما يتقوي موسى بقومه فخبر نبي في تقليل عدد قومه بالقتل
لتقل شوكتهم ثم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله **وَاَنَا قَوْمُكُمْ قَاهِرُونَ** يعني بالغلبة
والقدرة عليهم ولما نزل ببني اسرائيل ما نزل شكوا الي موسى ما نزلهم **قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ**
يعني لما شكوا اليه **اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا** يعني استعينوا بالله على فرعون وقومه
فيما نزلكم من الافات الله هو الكافي لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره في انفسكم
وابنايكم **ان الارض لله** يعني ارض مصر وان كانت الارض كلها لله تعالى يورثها من يشاء من
عباده وهذا الطاع من موسى لبني اسرائيل ان يهلك فرعون وقومه وملك بنو اسرائيل ارضهم
وبلادهم بعد اهلاكهم وهو قوله **وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** يعني ان النصر والظفر للمتقين على
عدوهم وقيل اراد الجنة يعني ان عاقبة المتقين الصابرين الجنة **قَالُوا أَوْ ذِينَا مِنْ**
قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا مِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قال موسى ابن عباس لما امتت السحرة تبع موسى ستمائة
الف من بني اسرائيل والمعنى ان بني اسرائيل لما سمعوا ما قال فرعون ووعدهم به من القتل مرة
ثانية قالوا لموسي قد اودينا من قبل ان تأتينا يعني بالرسالة وذلك ان بني اسرائيل كانوا
يستضعفون في يد فرعون وقومه وما كان يستعلمهم في الاعمال الشاقة الي نصف النهار
فلما جاء موسى بالرسالة وجري له ما جري شدد فرعون في استعلمهم فكان يستعلمهم جميع النهار
واعاد القتل عليهم فقالوا اودينا من بعد ما جئتنا يعني بالرسالة وظاهر هذا الكلام موهم
بان بني اسرائيل كرهوا بحج موسى بالرسالة وذلك كفر والجواب **عن هذا** ايها بان
موسى عليه السلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والشقة فظنوا ان ذلك
يكون على الفور فلما راوا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا اودينا من قبل ان تأتينا ومن بعد
ما جئتنا فيكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه فقال لموسي مجيبا لهم **عَنِ ذِكْرِهِمْ أَنْ**
فَقَالُوا كَذِبٌ يعني فرعون وقومه **وَيَسْتَعْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ** يعني ويجعلكم تخلفونهم في
ارضهم بعد هلاكهم **فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** يعني فيري ربكم كيف تعملون من بعدهم قال
الزجاج فيري ذلك بوقوع ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم بما يعملون منهم انما يجازيهم
على ما يتبع منهم قوله عز وجل **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ** يعني بالجذب والخط
تقول العرب مستهم السنة يعني اخذهم الجذب في السنة ويقال اسنوا كما يقال اخذوا
قال الشاعر **ورجال مكة مستنئون عجاف** ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم
اجعل اسنين كسني يوسف ومعنى الآية ولقد اخذنا آل فرعون بالجذب والخط
والجوع سنة بعد سنة **وَنَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ** يعني وثلاث الفلات بالافات قال قتادة
اما السنون فلاهل البوادي واما نقص الثمرات فلاهل الامصار **لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**
يعني لعلمهم يتعلمون فيرجعون عامهم فيه من الكفر والمعاصي وذلك لان الشدة ترفق القلوب

درع

وترغب فيها عند الله عز وجل من الخير ثم بين الله عز وجل انهم عند نزول تلك المحن عليهم والشدة
لم يزدادوا والآن زدوا وكفر اقله تعالى **فَاذْكُرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا فِي سَكَنٍ** يعني الغيث والخصب والسعة
والعافية والسلامة من الافات **قَالُوا لَنَنْتَهِزَهُ** اي نحن مستحقون لها ونحن اهلها على العادة
التي جرت لنا في سعة الارزاق وصحة الابدان ولم يزد ذلك من فضل الله عليهم فيذكروه
على انعامه **وَأَنْ تَضْمَنَهُمْ سَيِّئَةٌ** يعني الخط والجذب والمرض والبلا والويل والويل في انفسهم
فَقَطَّرُوا يعني يشاموا واصله يتطيروا والتطير التثام في قول جميع جمهور المفسرين **فَلَمَّا جَاءَ**
وَمِنْ مَعَهُ يعني انهم قالوا ما اصابنا بلا الا حين رايناهم وما ذاك الا بشوم موسى وقومه قال
سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر كان ملك فرعون اربع مائة سنة وعاش ستمائة سنة وعشرين
سنة لم يمرض يوما قط ولو كان حصل له في تلك المدة جوع يوم او حمي ليلة او وجع ساعه لما ادعى
الرومية قط **الْأَنَّا ظَالِمٌ لَكُمْ** يعني ان نصيبهم من الخير والجزا والحذب والخير
والشركة من الله قال ابن عباس ظالمهم ما قضى لهم وقد راعاهم من عند الله وفي رواية عنه
شومهم عند الله ومعناه انما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشوم العظم هو الذي لم عند الله من
عذاب النار **وَلَكِنْ أَجْرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** يعني انما اصابهم من الله تعالى وانما قال اكثرهم
لا يعلمون لان اكثر الخلق يضيقون الحوادث الي الاسباب ولا يضيفونها الي القضا والقدر
قوله تعالى **وَقَالُوا** يعني قوم فرعون وهم القبط لموسي عليه السلام **مَهَانًا تَنَاهَاهُمْ مِنْ آيَةٍ**
يعني من عند ربك في عندنا سحر وهو قومه **لَتَحْمِلَنَّهُمْ** يعني لتضربنا عما نحن عليه
من الدين **فَمَا خُنَّكَ لَهُمْ** يعني بمصدقين وكان موسى عليه السلام رجلا حديدا سخيا
الدعوى فدعا عليهم فاستجاب الله دعاه فقال تعالى **فَأَوْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ** قال
ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق دخل كلام بعضهم في بعض قالوا المشا
امتت السحرة ورجع فرعون مغلوبا الي هو وقومه الا الاقامة على الكفر والتأدي في
المشرق تابع الله عز وجل عليهم بالآيات فاخذهم اول السنين وهو الخط ونقص الثمرات
ولما راهاهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يا رب
ان عبدك فرعون علا في الارض وبغا وعتا وان قومه قد نقصوا العهد رب فيذهب
بعتوبة تجعلنا عليهم نعمة ولقوي عظة ولمن بعدهم آية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان
وهو الماء فاسل الله عليهم المطر من السماء وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مختلطة
مشتبكة فامتلات بيوت القبط حتى قاموا في الماء الي تراقيمهم ومن جلس منهم غرق ولم
يدخل من ذلك الماء في بيوت بني اسرائيل شي وركد الماء على ارضهم فلم يقدر على التحريك
ولا يلهوا شيئا ودام ذلك الماء عليهم سبعة ايام من السبت الي السبت وقال مجاهد وعطا
الطوفان الموت وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة اليمين وقال ابو قلابسة
الطوفان الجدري وهم اول من عدوا به قريبا في الارض وقال مقاتل الطوفان
الماط غافق حروثهم وفي رواية ابن عباس ان الطوفان امر من امر الله عز وجل
طاف لهم فغند ذلك قالوا لموسي ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر ففحن فومن بك
ونزل معك بني اسرائيل فدعا موسى عليه السلام ربه فرفع عنهم الطوفان وانبت الله لهم

اهل

تلك السنة شيئا لم ينبت فبذل لك من الكلا والزرع والثمار واخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا
الما الا نعمة علينا فلم يؤمنوا واقاموا شرا في عافية فبعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زرعهم
وامثارهم وورق الشجر حتى اكل الابواب وستوف البيوت والخشب والقياب والامثلة حتى
اكل سائر الحديد التي في الابواب وغيرها وانتلي الجراد بالجمع فكان لا يشبع وانتلات
دور القبط ولم يصب بني اسرائيل من ذلك شيئا فنجوا وضحوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك لين
كشفت عنا هذا الرجز لنؤمن لك واعطوه عهدا لله وميثاقه بذلك فدعا موسى ربه
عن وجل فكشف الله عنهم الجراد بعدما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت وفي
الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم ويقال ان موسى عليه السلام خرج الى الفضاء
فانار بعضاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جاءه وكان قد بقي من زرعهم وثمارهم
بقية فقالوا قد بقي لنا ما هو كافي لنا نحن بنو ارضنا فلم يؤمنوا ولم يقولوا عاهدوا عليه
وعادوا الى اعمالهم الخبيثة فاقاموا شرا في عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختلفوا
فيه فروي سعيد بن جبير عن ابن عباس ان القمل هو السور الذي يخرج من الحنطة وقال
بجاهد وقتادة والسدي والكلبي القمل الدبا وهو صفار الجراد الذي لا اجنحة له وقال
ابو عبيدة هو الحمقان وهو ضرب من الجراد وقال عطاء الخراساني هو القمل نفسه وكان الحسن
يقول ان القمل القفاف وسكون اليم قال اصحاب الاخبار امر الله عز وجل موسى عليه السلام ان يمشي
الى كتيب رمل اعرف بقرية من قري مصر يسمى عين الشمر فمشى الى ذلك الكتيب فضر به
بعضاه فاذا هم عليه القمل فتبع ما بقي من حرثهم وزرعهم وثمارهم فاكل كل واحد من الارض
وكان يدخل بين ثوب احدهم وجلده فيعضه فاذا اكل احدهم طعاما امتلأ فقال سعيد
ابن المسيب القمل السور الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم يخرج بعشرة اجرة الى
الرحا فلا يرد منها بثلاثة اقترق فلم يصاوا ابلا كان عليهم اشد من القمل واخذت اشعارهم
وابشارهم وحواجهم واشعار عيونهم ولم يجلوهم كانه الجدي عليهم ومنهم الغنم والقران
فصرخوا موسى انا نتوب فاذا دعا لئلا يكشف عنا هذا البلا فدعا موسى ربه فرفع عنهم القمل
بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فذكروا بعد ذلك ورجعوا الى احيث
ما كانوا عليه من الاعمال الخبيثة وقالوا ما كنا نظن ان نستيقن انه ساحر منا اليوم يجعل
الرمال دواب فدعا موسى عليهم بعدما اقاموا شرا في عافية فارسل الله عليهم الضفادع
فامتلات منها بيوتهم واقيبتهم واظمتهم وانبتهم فلا يكشف احد انا ولا طعاما الا وجد
فيه الضفادع وكان الرجل منهم يجلس في الضفادع فيبلغ الى حلقه فاذا اراد ان يتكلم
ينبت الضفادع فيدخل في فيه وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطغى نيرانهم
وكان احدهم اذا اضطجع ركبته الضفادع حتى تكون عليه ركاما فلا يستطيع ان ينقلب الى
شقه الاخر واذا اراد ان ياكل سبقة الضفادع الي فيه ولا يحسن احدهم عجينا الا امتلا
ضفادع ولا يفتح قدرا الا امتلا ضفادع فلقوا من ذلك بلا شديدا وروي عكرمة عن
ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما ارسلها الله عز وجل على افرعون وسمعت واطاعت
وجعلت تقذف بانفسها في القدر وهي تغلي على النار وفي التناوير وهي تنور فانها باله عز

وجعل عن طاعتها برية فلما اراد ذلك بكوا وشكوا الى موسى ما يلقوه من الضفادع وقالوا هذه المرة
نتوب ولا نعود فاخذ موسى عليهم العهد والمواثيق ثم دعا الله عز وجل فكشف عنهم الضفادع
بعد ما اقامت سبعا من السبت الى السبت فاقاموا شرا في عافية ثم تقضوا العهد وعادوا
الى كفرهم فدعا عليهم موسى فارسل الله عز وجل عليهم الدم فسال النمل عليهم دما وصارت مياههم
كلها دما وصارت مياههم كلها دما وكل ما يستقون من الابيار والناهار وجدوه دما غليظا
فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا ليس شراب الا الدم فقال سحركم فقالوا من اين يسحرنا ونحن
لا نجد في او عيتنا شيئا من الما الا دما غليظا وكان فرعون يجمع بين القبطي والاسرائيلي انا
واحد فيكون ما لي بالاسرائيلي وما لي بالقبطي دما ويقومسان للجرة فيها الما فتخرج للقبطي
دما وللأسرائيلي ما حتى ان المرأة من افرعون تاتي الى المرأة من بني اسرائيل حين جهدهم
العطش فتقول لها اسقيني من مايك فتصب لها من قريتها فيصير في الاناء ما حتى كانت
تقول اجعليه في فيك ثم يجبه في في فتفعل ذلك فيصير دما ثم ان فرعون اعتراه العطش
حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار دما وما دما فمكثوا على ذلك
سبعة ايام لا يشربون الا الدم وقال زيد بن اسلم ان الدم الذي سلط الله عليهم عز
وجل عليهم كان الرعاف فاذا موسى وشكوا اليه ما يلقون وقالوا ادع لنا ربك ليكشف عنا
هذا الدم فمكث يومين بك ونزل معك بني اسرائيل فدعي موسى ربه فكشف ذلك فلم يؤمنوا فذكر
قوله تعالى **فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدمَ اَيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ**
يعني تتبع بعضها بعضا وتفصيلها ان كل عذاب كان يقيم عليهم اسبوعا وبين كل عذاب
مد شهر **فَاَسْكَبُوا** يعني عن الايمان فلم يؤمنوا **وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ** يعني افرعون
قوله تعالى **وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ يُعْنِي** ولما تركهم العذاب الذي ذكر في الآية
المتقدمة من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب
السادس بعد الايات الخمس التي تقدمت فتركهم الطاعون حتى مات منهم في يوم واحد
سبعون الفا فامسوا وهم لا يتدافعون **وَقَدْ** عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الطاعون رجز ارسل على طائفة من بني اسرائيل او على من كان قبلكم فاذا
سعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض انتم لها فلا تحرجوا فزاراه وقوله تعالى
قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ مَا عَهِدَ عِنْدَكَ يعني ما اوصاك وقيل ما نباك وقيل
ما عاهد عندك من اجابة دعوتك **لَئِنْ كَشَفْتُمْ عَنَّا الرِّجْزَ** يعني العذاب الذي وقع
بِنَا لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ بِكَ يعني لنعبدن من ما جئت به ولنخلص
بني اسرائيل حتى يدعوا حيث شئوا **وَقَالُوا كَشَفْتُمْ عَنَّا الرِّجْزَ** يعني يدعوا موسى الى
اَجَلْ هَٰذَا لَعْنَةُ يعني الى الوقت الذي اجل لهم وهو وقت اهلاكهم بالغرق في اليم
اِذَا هُمْ يَكُونُونَ يعني اذا هم ينقضون العهد الذي التزموه فلم يفوا به واعلم ان ما ذكر
الله تعالى من هذه الايات هي معجزات في الحقيقة دالة على صدق موسى عليه السلام
ووجه ذلك ان العذاب كان مختصا بافرعون دون بني اسرائيل فاختصاصه بالقبطي
دون الاسرائيلي معجز وكون بني اسرائيل في امان منه وعافية دون فرعون في شدة

لنا

الطوفان

شكرا لله عز وجل **قَالُوا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامِهِمْ** يعني فتركوا اسرائيل بعد مجاورة البحر على قوم يعكفون اي يقبضون ويواطون على اصنامهم يعني تماثيل كانوا يعبدونها من دون الله عز وجل قال ابن جرير كانت تلك الاصنام تماثيل بغير ذلك اول شان العجل قال قتادة كان اوليك القوم من لحم وكانوا زولا بالرقعة يعني بالرقعة ساحل البحر وقيل كان اوليك الاقوام من الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم **قَالُوا** يعني قال بنوا اسرائيل لموسى لما راوا ذلك التمثال **يَا نُوْحِي اِنَّ فِتْنًا اَجْعَلْ لَنَا هَٰذَا** يعني تمنا لا نعبد ونعظه **كُلُّهُمُ الْهَتَّةَ** يعني كلهم اصنام يعبدونها وبغضونها فاجعل لنا انت الهنا نعبد ونعظه وقال النبوي ولم يكن ذلك شكا من بني اسرائيل وحداية الله تعالى وانما معناه اجعل لنا شيئا نعظه ونتقرب بتعظيمه الي الله تعالى ووطنوا ان ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم وقال غيره هذه تدل على غاية جهل بني اسرائيل وذلك انهم توهّموا انه يجوز عبادة غير الله بعد ما راوا الايات الدالة على وحدانيته تعالى وكما قدرته وهي الايات التي توات على قوم فرعون حتي اغرقهم الله في البحر بعبادتهم وعبادتهم غير الله فلهم جهلهم علي ان قالوا لنبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا الها كلهم الهة فرد موسى عليه السلام بقوله **اِنَّكُمْ قَوْمٌ جَاهِلُونَ** يعني تجهلون عظمة الله وانه لا يستحق ان يعبد سواه لانه هو الذي انجاهم من فرعون وقومه فاغرقهم في البحر واجاكم عن اي واقيد النبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الي غزوة حنين مر بشجرة المشرك كانوا يعبدونها عليها اسلمتهم بقا لها ذات انواط فقالوا يرسل الله اجعل لنا ذات انواط كلهم ذات انواط فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كلهم الهة والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم اخرجه الترمذي وقوله تعالى **اِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَآ فَعَمِي فِيهِ** اي مهلك والتنبيه لهلاك **وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** البطلان عبارة عن عدم الشيء اما بعد ذاته او بعد ما فادته ونفعه المراد من يطلان علمهم انهم لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضرر لانه عمل لغير الله وكان باطلا لانفع فيه **قَالَ اَعْتَبِرْ اَللّٰهُ اَبْغَيْكُمْ اَلْهَٰ** لما قال بنوا اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كلهم الهة حكم عليهم بالجهالة وقال بحياهم على سبيل التجب والانكار عليهم اغير الله ابغىكم الها يعني اطلب لكم وابغى لكم الها **وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ** والمعني ان الهه ليس هو شيئا يطلب ويلتمس ويخير بل الهه هو الذي فضلكم على العالمين لانه القادر على الانعام والافضال فهذا هو الذي يستحق ان يعبد ويطاع لاعبادته غير ومعني قوله فضلكم على العالمين يعني علي عالمي زمانكم وقيل فضلهم بما خصهم به من الايات الباهرة التي لم تحصل لغيرهم وان كان غيرهم افضل منهم قوله تعالى **وَإِذْ أَخْبَرْنَا لَكُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ يُسْتَوُونَ** **سَوَاءٌ لَّكُمْ سَوَاءٌ الْعَذَابُ يَنْتَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْبُونَ نَسَاءَكُمْ** وفي ذلك ثلاثين دليل عظيم هذه الآية تقدم تفسيرها في سورة البقرة والغاية في ذكرها في هذا الموضع انه تعالى هو الذي انعم عليكم هذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاستغفار لعبادة غيره حتي تقولوا اجعل لنا الها كلهم الهة قوله عز وجل **وَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً** يعني ووعدا موسى لثلاثين ليلة وهي نو القعدة واتمناها بعشر يعني عشر ذي الحجة وهذا قول

ابن عباس ومجاهد قالوا المفسرون ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل اذا اهلك الله عدوهم
فرعون ان ياتيهم بكتاب من الله عز وجل فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما اهلك فرعون
سا موسى ربه عز وجل ان ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني اسرائيل فامرهم ان يصوموا ثلاثين
يوما فصاموا فلما تمت انكروا خوفه ففسخوا بعود خزنوب وقيل بل اكل من ورق الشجر فقات
الملائكة كنانهم من فيك راحة المسك فافسدت به بالسواك فامرهم الله ان يصوموا عشرين ليلة
وقال له اما علمت ان خلوف في الصائم اطيب عندي من ريح المسك فكانت فتنة بني اسرائيل
في تلك العشرة التي زادها الله لموسى وقيل ان الله امر موسى عليه السلام ان يصوم ثلاثين
يوما ويعمل فيها ما يتقرب به ثم كلفه واعطاه الا لواح في العشر الذي زادها قال **واشماسها**
عشر وهذا التفصيل الذي ذكره هنا هو تفصيل ما اجمعه في سورة البقرة وهو قوله تعالى
وواعدنا موسى اربعين ليلة فذكره هناك على الاجمال وذكره هنا على التفصيل وقوله تعالى
فَمِ مِثْقَاتِ رَبِّهِ اَرْبَعِينَ لَيْلَةً يعني فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى وعبادته
اربعين ليلة لان الميثقات هو الوقت الذي قدر ان يعمل فيه عمل من الاعمال ولهذا قيل
مواقيت الحج **وقال موسى لاجبيه هارون اخلفني في قومي** يعني كن انت خليفتي
فيهم من بعدي حتى ارجع اليك **واصلح** يعني واصلاح اخواني واصلاحهم على عبادة الله تعالى
وقال ابن عباس يريد الرفق بهم والاحسان اليهم **ولا تتبع سبيل المفسدين** يعني ولا
تسلك طريق المفسدين في الارض ولا تطعمهم والمقصود من هذا الامر التاكيد لان
هرون عليه السلام لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين فهو كقوله ولكن ليظنين قلبي وكقولك
للقاعد اقم دعيتي ومر علي ما انت عليه من التعود قوله تعالى **ولما جاء موسى لميقاتنا**
يعني للوقت الذي وقتناه ان ياتي فيه لمناجاة وهو قوله **وكلمه ربه** وفي الآية
دليل على ان الله عز وجل كلم موسى عليه السلام واختلف الناس في كلام الله تعالى فقال
الزمخشري كلمة ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في
بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في الا لواح هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا شك في
بطلانه وضاده لان الشجرة او ذلك الجرم لا يقول اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقمر
الصلاة لذكري فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهب الحنابلة ومن وافقهم الي ان كلام الله
حروف واصوات منقطعة وانه قديم وذهب جمهور المتكلمين الي ان كلام الله تعالى
صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات وتلك الصفة قديمة ازلية والقايلون بهذا القول
قالوا ان موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية قالوا كما انه لا يبعد روية ذاته
وليست جسما ولا عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه ليس بصوت ولا حرف ومذهب
اهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف ان الله تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن
الحوادث في تاويله وحقيقته قال **اهل التفسير** وال اخبار لما جاء موسى عليه السلام
لميقات ربه فظهر وطهر ثيابه وصام ثم اتي بطور سيناء وفي القصة ان الله تعالى انزل طلة
تغشت الجبل على اربع فرائج من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهولم الارض ونحي عنه
الملكين وكشط له السما فزاي الملائكة قياما في الهوي وراي العرش بارزا وادناه ربه حتى سمع

صرفت القلم على الا لواح وكلمه الله تبارك وتعالى ونجاه واسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه
فلم يسمع ما كلم الله تعالى به موسى فاستخفى كلام ربه عن وجل واشتاق الي رويته **فقال رب اريني**
انظر اليك قال الزجاج فيه اختصار تقديره اريني نفسك انظر اليك وقال ابن عباس معناه
اعطني انظر اليك وانما سأل موسى عليه السلام الروية مع علمه بان الله تعالى يري في الدنيا لما
هاج به من الشوق وقاض عليه من انوار الجلال واستغفر في بحر المحبة فعند ذلك سأل
الروية وقيل انما سأل الروية ظنا منه بانه تعالى يري في الدنيا فقال الله تعالى له لن تراني
يعني انه ليس لشدة ان يراني في الدنيا ولا يطبق النظر الي في الدنيا ومن نظر الي في الدنيا
ما ت فقال موسى عليه السلام الهي سمعت كلامك فاشتقت النظر اليك ولان انظر اليك
ثم امتوت احب الي من ان اعيش ولا اراك وقال السدي لما كلم الله تعالى موسى عليه السلام غاب
عدو الله ابليس في الارض حتى خرج من بين قديمي موسى فوسوس اليه ان مكلمك شيطان فعند
ذلك سأل موسى الروية فقال رب اريني انظر اليك **فالت** يعني قال الله تبارك وتعالى
لموسى **لن تراني** **فصير** وقد تمسك من نفي الروية من اهل البدع الخوارج والمعتزلة
وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية وهو قوله تعالى لن تراني قالوا اولن تكون لنا بيدك والدم
ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل يشهد لهم في ذلك كتاب ولا سنة وما قالوا في ان لنا بيدك خطا
بين ودعوي علي اهل اللغة اذ ليس يشهد لما قالوه نصر عن اهل اللغة والعربية ولم يقل
به احد منهم ويدل على صحة ذلك قوله تعالى في صفة اليهود ولن يتمنوه ابدامع انهم يتمنون الموت
يوم القيامة يدل عليه قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ركب وقوله يا ليتنا كانت القاضية
فان قالوا ان لن معناها تاكيدا للنفي كلا التي تنفي المستقبل قلنا ان صح هذا التأويل فيكون معني
لن تراني محولا علي الدنيا اي لن تراني في الدنيا جمع بين دليل الكتاب والسنة فانه قد ثبت
في الحديث الصحيح ان المؤمنين يرون ربه عز وجل يوم القيامة في الدار الآخرة وايضا فان
موسى عليه السلام كان عارفا بالله وبما يحب وبما يمتنع علي الله عز وجل وفي الآية دليل على انه
سأل الروية ولها كانت الروية ممتنعة علي الله تعالى لما سألها موسى وحيث سألها علمنا ان الروية
جائزة علي الله تعالى وايضا فان الله عز وجل علق رويته علي امر جائز والمعلق علي الجائز جائز
فيلزم من ذلك كون الروية في نفسها جائزة وانما قلنا ذلك لانه تعالى علق رويته علي
استقرار الجبل وهو قوله تعالى **ولن انظر الي الجبل فان استقر مكانه فسوف**
نراي امر جائز الوجود في نفسه واذا كان كذلك ثبت ان رويته جائزة الوجود لان
استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلي اذا جعل الله له قوة علي ذلك والمعلق بما لا
يستحيل لا يكون محالا والله اعلم بمراده قال وهب ومحمد بن اسحق لما سأل موسى عليه
السلام ربه عز وجل الروية ارسل الله الضباب والصواعق والرعد والبرق والظلمة
حتى احاطت بالجبل الذي عليه موسى اربع فرائج من كل جانب وامر الله اهل السموات
ان يعترضوا علي موسى عليه السلام فترت به ملائكة السما الدنيا كثيرا ان البقعة تتبع
افواههم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال
موسى رب اني كنت عن هذا غنيا ثم امر الله تعالى ملائكة السما الثانية ان اهبطوا علي

موسي فاعترضوا عليه فقبضوا عليه اسناله الاسود لم يحب بالتسبيح والتقدس فغزع العبد الضعيف
موسي بن عمران ما راي وسمع واقشعرت كل شعرة في راسه وبدرته ثرقا لقد ندمت على سألتي
فهل تجيني من مكاي الذي انا فيه شي فقال له خير الملائكة وريهم يا موسي اصبر لما سالت
فقليل من كثير ما ريت ثمر الله ملائكة السما الثالثة ان اهبطوا على موسي فاعترضوا عليه
فاهبطوا عليه كاشا النور لم قصفت ورجعت ولجب شديد واوام تنبع بالتسبيح والتقدس
لم جلب جلب الجيش العظيم الوانم كلب النار فغزع موسي واشتد فرعه وايس من الحياة فقال
له خير الملائكة وريهم مكاي يا ابن عمران حتي تري ما لا صبر لك عليه ثم امر الله ملائكة السما
الرابعة ان اهبطوا على موسي فاعترضوا عليه فقبضوا عليه لا يشبههم شي من الذين مروا قبلهم
الوانم كلب النار وساير خلقهم كالنار الابيض اصواتهم عالية بالتسبيح والتقدس كيقارنهم
شي من اصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبته وارتعد قلبه واشتد بكاه فقال له
خير الملائكة وراسهم يا ابن عمران اصبر لما قلت سالت فقليل من كثير ما ريت ثم امر الله
تعالى ملائكة السما الخامسة ان اهبطوا على موسي فاعترضوا عليه فقبضوا عليه لم سبعة الوان
فلم يستطع موسي ان يتبهم بصره ولم ير مثاهم ولم يسمع مثل اصواتهم فاستلجوه فنه خفا واشتد
حزنه وكثر بكاه فقال له خير الملائكة وراسهم يا ابن عمران مكاي حتي تري ما لا تصبر عليه
ثم امر الله تعالى ملائكة السما السادسة ان اهبطوا على موسي فقبضوا عليه وفي يد كل واحد
سهم مثل الخلة العظيمة الطويلة الشديدة نارا اشتدضوا من الشمس ولباسهم كلبيب
النار اذا سجوا وقد سوا جواهرهم من كان قبلهم من الملائكة كلهم يقولون بشدة اصواتهم سبح
قدوس رب العزة ابد الابوت في راس كل ملك منهم اربعة اوجه فلما راى موسي رفع صوته يسبح
معهم وهو يبكي ويقول يا رب اذكرني ولا تنس عهدي فلا ادري انفلت ما انا فيه ام لا ان
حزجت احترقت وان اقممت فقال له كبير الملائكة وراسهم قد اوشكت يا ابن عمران ان
يشد خوفك ويخلع قلبك فاصبر للذي سالت ثم امر الله ان يحمل عرشه في ملائكة السما
السابعة فلما بد انوار العرش اضدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى ورفعت الملائكة
اصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة ابد الابوت فاربح الجبل
لشدة اصواتهم واندر كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسي صغقا على وجهه
ليس معه روحه فارسل الله تعالى برحمته الروح تنفسته وقلب عليه الحجر الذي كان
جلس عليه موسي فصار عليه كهية القبة ليلا تحترق موسي واقامت الروح عليه مثل
الام فلما افاق موسي قام يسبح ويقول امتك بك وصدقت انه لا يراك احد فخرج من
نظر الملائكة اخلع قلبه فما اعظمك واعظم ملائكتك انت رب الارباب ملك
الملوك والاله العظيم لا يبعد لك شي ولا يقوم لك شي رب نبت اليك الحمد لا شريك
لك ما اعظمك وما اجلك برب العالمين فذلك قوله تعالى **فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ**
دَكًّا قال ابن عباس ظهور نور ربه للجبل فصارت ابا واسم الجبل زير وقال الضحاك
اظهر الله عز وجل من نور الحجب مثل منحر النور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار
ما تجلي للجبل من عظمة الله تعالى الا مثل سم الخياط حتي صار دكا وقال السدي ما تجلي

الامثلة

الا قدر المختصر يد اعليه ما روي ثابت عن ابن ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال هكذا
وضع الالهام على المعصّل الا على من المختصر فشاخ الجبل ذكره البغوي هكذا بغير سند واخرجه
الترمذي ايضا عن ابن ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلي ربه للجبل جعله
دكا قال احمد هكذا واسك سليمان بطرف ايهامه على ائمة اصبعه اليمنى فصاح الجبل وخر
موسي صغقا قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب لا يعرفه الا من حديث حماد بن سلمه
وبروي عن سهل بن سعد الساعدي ان الله اظهر من سبعين الف حجاب نور اقدار الدرهم
فجعل الجبل دكا يعني مستويا بالارض وقال ابن عباس جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل
حتي وقع في البحر فهو يد هب فيه وقال عطية العوفي صار رملا هابلا وقال الكاكي جعله دكا يعني
كسرا جبالا صغارا وقيل انه صار لعظمة الله تعالى ستة اجبل فوق ثلاثة بالمدينة وهي احد
ودرقان ورضوي ووقع ثلاثة مكة وهي ثور وشير وحرا وقوله تعالى **وَوَجَّهَ رُؤُسَهُمْ فَمَا يَصُفُّونَ**
قال ابن عباس والحسن يعني مغشيا عليه وقال قتادة يعني ميتا والاول اصغر لقوله فلما
افاق والميت لا افاقة له انما يقال افاق من غشيته قال الكاكي صغق موسي يوم الخميس
وهو يوم عرفة واعطي التوراة يوم الجمعة يوم النحر وقال الواقدي لما خر موسي صغقا قالت
الملائكة السموات ما لابن عمران وسوال الروية وفي بعض الكتب ان ملائكة السموات
اتوا موسي وهو في غشية فجعلوا يركبونه ويقولون يا ابن النسا الحيف اطعمت في روية
رب العزة **فَلَمَّا اَفَاقَ** يعني من غشيته ورجع عقله اليه وعرف انه سأل امر اعظمه لا ينبغي
له **قَالَ سُبْحَانَكَ** يعني تنزهها لك من النقا يصح كلها **ثَبَّتَ إِلَيْكَ** يعني من مسألتي الروية
بغير اذنك وقيل من سوال الروية في الدنيا وقيل لما كانت الروية مخصوصة لمحمد صلى
الله عليه وسلم فمنعها قال سبحانك ثبت اليك يعني من سوال ما ليس لي وقيل لما سالت
الروية ومنعها قال ثبت اليك يعني من هذا السؤال وحسنات الابرار سياست
المقربين **وَأَنَا أَوَّلُ الْمُرْسَلِينَ** يعني يا رب لا تري في الدنيا وقيل وانا اول المرسلين
يعني من بني اسرائيل في الآية سوالات الاول الروية عين النظر فكيف قال اربي
انظر اليك وعلى هذا يكون التقدير اربي حتي اراك والجواب ان معني قوله اربي
اجلني متمكنا من رويتك حتي انظر اليك وراك السؤال الثاني كيف قال لن
تراني ولم يقل لن تنظر الي حتي يكون مطابقا لقوله انظر اليك والجواب ان النظر
لما كان مقدمة الروية كان المقصود هو الروية لا النظر الذي لا روية معه السؤال
الثالث كيف انقل الاستدراك من قوله ولكن انظر الي الجبل بما قبله والجواب
ان المقصود منه تعظيم امر الروية وان احدا لا يقوي على روية الله تعالى الا من قواه
الله بمعونته وتأييده الا تري انه لما ظهر اثر التجلي للجبل اندك وتقطع هذا هو المراد
من هذه الآية يدل على تعظيم امر الروية والله اعلم براده قوله عز وجل **قَالَ يَا مُوسَى**
إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبَخْلَافِي يعني قال الله تعالى لموسي يا موسي
اني اخذتك واخترتك صفوة والاصطفاء استخلاص الصفوة والاجتباء والمعني
اني فضلتك واجتبيتك علي الناس وفي هذا تسليم لموسي عليه السلام عن منع الروية

يكون معنى رفته
باركاهم

علي

حين طلبها لان الله تعالى عدد عليه نعمه التي انعم بها عليه وامره ان يشغل شكرها كما انه قال انه
ان كنت منعت من الروية التي طلبت فقد اعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا تضيقن
صدرك بسبب منع الروية وانظر الى سائر انواع النعم التي خصصتك بها وهي الاصطفاء على
الناس برسالة التي وبكلامي يعني من غير واسطة لان غيره من الرسل سمع كلام الله بواسطة الملك
فان قلت كيف قال اصطفيتك على الناس برسالة التي مع ان كثيرا من الانبياء قد ساءوا في
الرسالة قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال جوابين احدهما ذكره العلماء البغوي فقال المالم تكن
الرسالة على العموم في حق الناس كافة استفهام قوله اصطفيتك على الناس وان شاركه فيه غيره
كما يقول الرجل للرجل خصصتك لمشورتي وان كان قد ساء و غيره اذ الم تكن المشورة على العموم
فيكون مستقبها وفي هذا الجواب منظر لان من جملة من اصطفاه الله رسالته محمد صلى الله عليه
وسلم وهو افضل من موسى عليه السلام فلا يستقيم هذا الجواب الثاني ذكره الامام
فخر الدين الرازي فقال ان الله تعالى بين انه خصه بمجموع امرين وهما الرسالة مع الكلام
وبغير واسطة وهذا المجموع ما حصل لغيره فثبت انه انما حصل التخصيص ما هاهنا لانه
سمع ذلك الكلام بغير واسطة ولما كان الكلام بغير واسطة سببا لزيد الشرف بنا على العرف
الظاهر لان من سمع كلام الملك لعظم من فيه كان اعلى واشرف من سمعه بواسطة الحجاب والتواب
وهذا الجواب فيه نظرا ايضا لان محمد صلى الله عليه وسلم اصطفاه برسالته وكلمة ليلة المعراج
بغير واسطة وفرض عليه وعلى امته الصلوات وخطبه بيا مهدد لعل عليه قوله فاوحى الي عبده
ما اوحى ورفعني الى حين سمع صريف القلم الا قلم وهذا كله يدل على مزيد الفضل والشرف
على موسى وغيره من الانبياء فلا يستقيم هذا الجواب ايضا والذي يعتمد في الجواب عن هذا
السؤال ان الله اصطفى موسى عليه السلام برسالته وبكلامه على الناس لذلك كانوا في زمانه
وذلك لانه لم يكن في ذلك الوقت اعلى من صباه ولا اشرف ولا افضل منه وهو صاحب
الشريعة وعليه نزلت التوراة فدل على ذلك انه اصطفاه على الناس زمانه كما اصطفى قومه
على عالمي زمانهم وهو قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم
على العالمين قال المفسرون يعني على عالمي زمانهم وقوله تعالى **خذ ما آتيتك** يعني يا فضلنا
وكرمنا **ولكن من الشاكرين** يعني على انما هي عليك وفي القصة ان موسى عليه السلام
كان بعد ما كلفه ربه ولا يستطيع احد ان ينظر اليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل
على وجهه برقع حتى ماتت وقالت الملائكة له راجعه انالم اركب من ذلك ربك فكشف
لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وحزت ساجدة
وقالت ادع الله ان يجعلني ووجهك في الجنة قال ذلك لك ان لم تزوجي بعدي فان
المرأة فان المرأة لا خزان ولها قولها تعالى **وكتبنا له في الألواح** قال ابن عباس
يريد الألواح التورية والمعنى وكتبنا لموسى في الألواح التورية قال البغوي وفي الحديث كانت
من سدر الجنة طول اللوح اثني عشر ذراعا وحي في الحديث خلق الله ادم بيده وكتب التوراة
بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الألواح من خشب وقال الكلبي من رزق
خضر او قال سعيد بن جبير من ياقوته حمرا وقال ابن جرير من زرد امر الله جبريل حتى

السؤال

جاء

جاءها من جنة عدن وكتبها بالقلم الذي كتب بها الذكر واستمد من نهر النور وقال الربيع بن انش
كانت الألواح من بزد وقال وهب امره الله بنقطع الألواح من محبرة مما ليتها له ففقطها بيده
شرفها باصبعه وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشرة وكان ذلك في اول يوم من ذي
الحجة وكان طول الألواح عشرة اذرع على طول موسى وقيل ان موسى خر صغارا ومعرفة واعطاه
الله تعالى التورية يوم النحر وهذا اقرب الى الصحيح واختلفوا في عدد الألواح فروي عن ابن عباس
انها كانت سبعة ألواح وروي عنه انها كانت لوحين واختاره الفراء قال وانما جمعت على
عادة العرب اطلاق الجمع على الاثنين وقال وهب كانت عشرة ألواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال
الربيع بن انس نزلت التورية وهي وقرسبعين بغير ايقرا الجزمها في سنة ولم يقرأها الا اربعة
نفر موسى وبوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم السلام والمراد بقوله لم يقرأها يعني لم يحفظها
ويقرأها عن ظهر قلبه الاها ولا الاربعة وقال الحسن هذه الآية في التورية بالفاء اي يعني
قوله وكتبنا له في الألواح **من كل شيء** يعني يحتاج اليه من امر وني **موعظة** يعني تنبيه عن
الجهل وحقيقة الموعظة التذكير والتخبر بما خاف عاقبته **وتفصيلا لكل شيء** يعني
وتبيين لكل شيء من الامر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام مما يحتاج اليه في امور الدين
روي الطبري بسنده عن وهب بن منبه قال كتبني في التورية لا يشركني شيئا من اهل
السماء ولا من اهل الارض فان كل ذلك خلقي ولا يحلف باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا
اركيه وقر والدك وروي البغوي باسناد الثعلبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه السلام
نظر في التورية فقال اني اجد امة خيرا لام اخزجت للناس يا مرون بالمعروف وينهون
عن المنكر وبومنون بالكتاب الاول والكتاب الاخر ويقاثلون اهل الضلالة حتي يقاثلون
الاعور الدجال رب اجعلهم امتي قال هي امة محمد يا موسى فقال رب اني لاجد امة هم المادون
رعاة الشمس المحكمون اذ ارادوا امرا قالوا ننفل ان شا الله فاجعلهم امتي قال هي امة محمد
قال رب اني اجد امة ياكلون كفارا ثم وصدقاتهم وكان الاولون محرقون صدقاتهم
بالنار وهم المستحيون والمستجاب لهم الشافقون المشفع لهم فاجعلهم امتي قال هي امة
محمد فقال رب اني اجد امة اذا اشرف احدكم على شرف كبر الله واذا هبط واذبا
حمد الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيث ما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم
بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء فمحوون من اثار الوضوء فاجعلهم امتي قال
هي امة محمد قال رب اني اجد امة اذا هم احدكم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة مثلها وان
عملها كتبت بعشر امثالها الى سبع مائة ضعف فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني
اجد امة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم منهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا اجد احدا منهم الا مرحوما فاجعلهم امتي قال هي امة
محمد قال رب اني اجد قوما مصاحفهم في صدورهم يلبسون الوان ثياب اهل الجنة
يصنعون في صلاتهم صفوف الملائكة اصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار
احدا منهم ابدا الا من يري الحساب مثل ما يري الحجر من وراء البحر فلما عجب موسى من
الخبر الذي اعطاه الله محمد وامته قال يا ليتني من اصحاب محمد فاوحى الله اليه ثلاث

آيات برضيه من يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي الي قوله ساركم دار
الفاسقين ومن قوم موسى لمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضى موسى كل الرضى وقوله
تعالى **فخذها بقوة** يعني وقلنا لموسى اذ كتبنا له في الألواح من كل شيء حجة واجتهاد وقيل معناه
فخذها بقوة قلب وصحة عزيمة ونية صادقة لان من اخذ شيئا بضعف نية اذاه الي الفتور
وامر قومك ياخذوا باحسنها قال ابن عباس حملوا حلالها وتحرموا حرامها ويتدبروا امثلها
ويعلموا حكمها ويقفوا عند مشتاكلها وكان موسى اشده عبادة من قومه فامرهم بالم يومروا به وقبل
ظاهروا قوله وامر قومك ياخذوا باحسنها يدل على ان بين التكليفين فرق ليكون في هذا
الفصل فائدة وهي ان التكليف كان على موسى اشده كانه تعالى لم يرض له ما رخص لغيره
من قومه فان قلت ظاهروا قوله ياخذوا باحسنها يدل على ان فيها ما ليس بحسن وذلك لم
يقربه احدنا معنى قوله ياخذوا باحسنها قلت ان التكليف كله حسن وبعضه
احسن كالقضاء من حسن والعفو عنه احسن وكالاتنا من حسن والصبر احسن منه فامروا
ان ياخذوا بالاشد على انفسهم ليكون ذلك اعظم في الثواب فهو كقوله اتبعوا احسن ما انزل
اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل ان الحسن يدخل تحت
الواجب والتدب والمباح والاحسن الاخذ بالاشد والاشد على النفس وقيل معناه باحسنها
محتسبا وكلها حسن وقوله تعالى **ساركم دار الفاسقين** وقال مجاهد يعني مصيركم في
الآخرة وقال الحسن وعطايه يذهبهم تخذروا ان يكونوا مثلهم وقال قتادة ساد خلكم الشام
فاربع منار دار الفاسقين القرون الماضية الذين خالفوا الله ليعتبروا بها وقال
عطية العوفي يعني دار فرعون وقومه وهي مصر وقال السدي يعني منار الكفار وقال الكلبي
في منار اعداء يهود القرون الذين اهلكوا فكانوا يرون عليهم اذاسا فزوا قوله عز وجل
ساركم دار الفاسقين الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال ابن عباس يريد
الذين يتكبرون على عبادي وعارون اوليائي سارهم عن قبول آياتي والتصديق
بها حتى يؤمنوا بي عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق وقال سفيان بن عيينه سارهم
فهم القدران وقيل معناه سارهم عن التفكير في خلق السموات والارض وما فيها من
الآيات والعبر وقيل حكم الآية لاهل مصر خاصة واراد بالآيات الآيات التسع التي
اعطاها الله موسى والاثرون على ان الآية عامة وفيها دليل لذهب اهل السنة
على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويصرف عن آياته وقبول الحق من يشاء ويوفق
للتفكير في آياته وقبول الحق من يشاء لانه القادر على ما يشاء ويصرف لا يسأل عما يفعل
وهم يسألون ومعني الذين يتكبرون انهم يرون انهم افضل الخلق وانهم من الحق ما ليس
لغيرهم والتكبر على هذه الصفة لا يكون الا الله عز وجل لانه هو الذي له القدرة
والفضل الذي ليس لاحد سواه فالتكبر في صفة الله عز وجل صفة مدح وفي صفة
الخلق صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر اظهار كبر النفس على
غيرها فهي صفة ذم في حق جميع العباد وقوله يتكبرون من الكبر لا من الشكر اي يتغفلون
التكبر ويرون انهم افضل من غيرهم فلذلك يتكبرون في الارض بغير الحق بالباطل وان

سرقا

لمح حاتم

وامر قومك ياخذوا باحسنها يعني طريق الحق والهدي والهدى والصواب **لا تأخذوه سبيلا** يعني
لا تأخذوه لا تقسم طريقا يسلكونه الي الهداية **وان برؤا سبيلا** يعني طريق الضلال
تأخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا يعني ذلك الذي اختاروه لا انفسهم من الكفر
ترك الرشد واتبع الفسبب انهم كذبوا بايات الله الدالة على توحيد **وكأنوا غافلين**
يعني عن التفكير فيها والاتعاظ بها **والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة** يعني ولقاء الدار
الآخرة التي فيها الثواب والعقاب **حيث اعلم** يعني بطلت وصارت كان لم تكن
والمعني انه قد يكون في الذين يكذبون بايات الله من يعمل البر والاحسان والخير فيبين
الله تعالى هذه الآية ان ذلك ليس ينفعهم مع كفرهم وتكذيبهم بايات الله وانكارهم الدار
الآخرة والبعث **هل تأخذون الا ما كانوا يفعلون** يعني هل تجزون في العقبي الاجزا
العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا قوله تعالى **واخذ قوم موسى من بعده** يعني من بعد
انطلاق موسى الي الجبل لما جاءه ربه **من جليلهم** يعني التي استعاروها من قوم فرعون وذلك
ان بني اسرائيل كان لهم عبيد فاستعاروا من القبط الحاليين بنو ابيه في عبيدهم فبقي عندهم
اليات اهلك الله فرعون وقومه فبقي الحاليين اسرائيل ملكا لم فذلك قال الله تعالى من جليلهم
فلما اباط موسى عليهم السلام جمع السامري ذلك الحالي وكان رجلا مطاعا في بني اسرائيل
فذلك قالوا **واخذ قوم موسى** والمتخذ هو واحد فغلب الكل الي الفعل لانه كان برضاهم
فكانهم اجمعوا عليه وكان السامري رجلا صايفا فصاع لهم **عجلا جسد** من ذلك الحالي
وهو الذهب والفضة والفضة في ذلك العجل من تراب اتر فرس جبريل فتحول عجل الجسد
لحم ودم **له خوار** وهو صوت البقر وهذا معني قول ابن عباس والحسن وقادة وجوه
اهل التفسير وقيل كان جسد الارواح فيه وكانت يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت
كان خفيف الرنح وذلك انه جعله مجفوا وضع في جوفه انايب على موضع مخصوص
فاذا هبت الريح دخلت في تلك الانابيب يسمع لها صوت كصوت البقرة والقول الاول
اصح انه كان يخور وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه كان يخور كثيرا وكلما خار مجدوا
له واذا سكت رنحوا رنحهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك وقال السدي
كان يخور ويمشي **الم يروا** يعني الذين عبيد والعجل قيل ان بني اسرائيل كلهم عبيدوا
العجل الالهون عليه السلام بدليل قوله واخذ قوم موسى وهذا يفيد العموم وقيل
ان بعضهم عبيد العجل وهو الصحيح **واجب** عن قوله واخذ قوم موسى انه خرج على
الاغلب وكذا قوله الم يروا **افه** يعني العجل الذي عبيده **لا يكلمهم ولا يهديهم**
سبيلا يعني ان هذا العجل لا يمكنه ان يتكلم بصواب ولا يهدي الي رشد ولا
يقدر على ذلك ومن كان كذلك كان جامدا او حيوانا فضا غا جزا وعلى كلا التقديرين
لا يصلح ان يعبد **واخذوه** **وكأنوا غافلين** يعني لانفسهم حيث اعرضوا عن عبادة
الله الذي يضر وينفع واشتغلوا بعبادة العجل الذي يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا
يهدى الي رشد وصواب قوله عز وجل **ولما سقط في ايديهم** يعني ولما اندموا
على عبادة العجل يقول العرب لكل نادم على امر قد سقط في يده وذلك لان من شان من

اشتد ندمه على امر ان يعرض يده ثم يضرب على فخذه فتصير يده ساقطة لان السقوط عبارة
عن النزول من اعلى الى اسفل **ورأوا انهم قد ضلوا** يعني ويتفقوا انهم على الضلالة في عبادتهم
العجل **قالوا الذين لم يترحمنا ربنا وبقيهم لنا** يعني يتب علينا ويتجاوز عنا **لكن كون من**
الخاسرين يعني الذين خسروا انفسهم بوضعهم العبادة في غير موضعها وهذا كلام من اعترف
بعظيم ما اقترع عليه من الذنب وندم على ما صدر منه ورغب الى الله تعالى في ازالة غيظه
واعترافهم على انفسهم بالخسران ان لم يغفر لهم ذنبهم ورحمهم وهذا كلام النابى النادر على ما فرض منه
وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه السلام اليهم وهو قوله تعالى **ولما رجع موسى الى قومه**
غضبان اسفا يعني ولما رجع موسى من مناجاة ربه الى قومه من بني اسرائيل رجع غضبان
اسفا لان الله كان قد اخبره انه قد قتل قومه وان السامري قد اضلهم فكان موسى في حال
رجوعه غضبان اسفا قال ابو الهرد الاسف اشد الغضب وقال ابن عباس والسدي الاسف
الحزن والاسياف الحزن قال الواحدي والقولان متقاران لان الغضب من الحزن والحزن
من الغضب فاذا جال ما تكره من هود ونك غضبت واذا جاك من هوفوك حزنت فتسمى
احدي هاتين الحالتين حزنا والاخرى غضبا فعلى هذا كان موسى عليه السلام غضبان على
قومه لاجل عبادتهم العجل اسفا حزنا لان الله قتلهم وان الله تعالى كان قد علمه بذلك فحزن لاجل
ذلك **قال** يعني موسى **يستموا خلفتموني من بعدى** اي ليس الفعل لعلمه بعد فراقى اياكم وهذا
الخطاب محتمل ان يكون لعبد العجل من السامري واتباعه او هرون والمومنين من بني اسرائيل
فعلى الاحتمال الاول في انه خطاب لعباد العجل يكون المعنى يسما خلفتموني حيث عبدتم العجل
وتركتم عبادة الله وعلى الاحتمال الثاني وهو ان يكون الخطاب لهرون ومن معه من المومنين يكون
المعنى يسما خلفتموني حيث لم تمنعوه من عبادة الله غير الله وقد رايتهم من الامر بتوحيد الله
واخلاص العبادة له ونفي الشرك عنه وحمل بني اسرائيل على ذلك ومن حق الخلفاء ان يسيروا
بسيرة مستخفينهم قوله **اعجلتم امر وتكلم** يعني العجلة التقدمة التي قبل وقته ولذلك
مضات مدومة والسرعة غير مدومة لان معناها عمل الشيء في اول وقته وتعالى ان
يقول لو كانت العجلة مدومة لم يقل موسى عليه السلام وعجلت اليك رب لترضى ومعنى
الاية اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم الاربعين
وذلك انهم قدروا ان امرات على راس الثلاثين فقدمت وقيل معناه اعجلتم سخط ربكم
بعبادة العجل وقال الكلبي معناه اعجلتم عبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم ولما ذكر الله
ان موسى رجع الى قومه غضبان ذكر بعده ما اوجبه الغضب فقال تعالى **والتي الاواح**
يعني التي فيها التوراة وكان حاملا لها فلما هاهنا من شدة الغضب قالت الرواة واصحاب
الاخبار كانت التوراة سبعة اسباع فلما التي موسى الاواح وتكسرت فرفع منها ستة اسباع
وبقي سبع واحد فرفع منها ما كان من اخبار الغيب وبقي ما فيه المواعظ والاحكام والحلال
والحرام وروي ان الله تعالى اخبر موسى بفتنة قومه وعرف موسى ان ما اخبره الله به حق
وصدق ومع ذلك لم يلق التوراة من يده فلما رجع الى قومه وعابن ذلك وشاهدهم القى
التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة **واخذوا من احبهم حجارة** اي قتل الله

عدو شكلي هذا بقوله رجع
فلما اسفوا انهم قد ضلوا
فلما تأويل لم يرد شمس

اخذ بشعر راسه وحبسته من شدة غضبه وقال ابن الانباري لما رجع موسى ووجد قومه مقبلين
على المعصية اكبر ذلك واستعظمه فاقبل على اخيه هرون يلومه ومد يده الى راسه لشدة
موجدته عليه اذ لم يلحق به فيعرفه خبر بني اسرائيل فيرجع ويتلا قام فاعلمه هارون انه انما
اقام بين اظهريهم خوفا على نفسه من القتل وهو قوله تعالى **قال** يعني هرون **يا ابن ام**
هرون لموسى ابن ام وان كانا لابل ولم يرققه ويستعظمه عليه **ان القوم** يعني الذين عبدوا
العجل **استضعفوني** اي استدلوني وفقدوني **وكادوا يقتلوني** اي وقاربوا او هموا
ان يقتلوني **فلا تفتشني** **الا عدا** اصل الشاة الفرح بيلية من تقاديه ويعاديك يقال
شمت فلان بفلان اذا سر مكرهه نزل به والمعنى لا تشد الاعداء بما تال مني من مكرهه **ولا**
تجعلني مع القوم الظالمين يعني الذين عبدوا العجل **قال رب اغفر لي** يعني ان موسى
عليه السلام لما تبين له عذر اخيه هرون قال رب اغفر لي ما صنعت الي اخي هرون يريد
ما اظهر لي من المودة عليه في اصل الغضب **ولا اخي** يعني واغفر لاني هرون ان كان
وقع منه تقصير في الانكار على عبد العجل **واذ خلنا** يعني جميعا **في رحمتك** يعني في سعة
رحمتك **وانت ارحم الراحمين** وهذا فيه دليل على الترغيب في الدعاء لان من هو ارحم الراحمين
توكل منه الرحمة وفيه تقوية لطع الداعي في حاج طلبته **ان الذين اتخذوا العجل** يعني الهاعبد
من دون الله **سبنا لهم غضب من ربهم** **ودلة في الحياة الدنيا** يعني سينالهم عقوبة من ربهم
وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك في عا جل الحياة الدنيا **الذين اتخذوا العجل**
توكلان احدهما ان المراد بالذين اتخذوا العجل باشرعوا عبادته وعلى هذا القول ففي الاية
سؤال وهو ان اولئك الاقوام الذين اتخذوا العجل تابوا الى الله بقتلهم انفسهم كما امرهم
الله فتاب عليهم فكيف ينالهم الغضب والدلة مع التوبة والجواب ان ذلك الغضب انما
حصل لهم في الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد بالدلة هو اسلامهم
انفسهم للقتل واعترافهم على انفسهم بالضلالة والخطا فان قلت السين في قوله سبنا لهم
للاستقبال فكيف يكون لماضي قلت هذا الكلام انما هو خبر عما اخبر الله به موسى عليه
السلام حين اخبره ما قتل قومه واتخذهم العجل ثم اخبره الله في ذلك الوقت انه سبنا لهم
غضب من ربهم ودلة فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل الذي امرهم الله به بعد
ذلك وقال ابن جرير في هذه الاية ان هذا الغضب والدلة لمن مات منهم على عبادة العجل
ولمن قتل وهذا الذي قاله ابن جرير وان كان له وجه لكن جميع المفسرين على
خلافه القول الثاني ان المراد بالذين اتخذوا العجل اليهود الذين كانوا في زمن النبي
صلي الله عليه وسلم قال ابن عباس هم الذين ادركو النبي صلي الله عليه وسلم واباؤهم هم
الذين عبدوا العجل او ارادوا بالغضب عذاب الاخوة وبالذلة في الدنيا الجزية وقال
عطية العوفي سبنا لاولاد الذين عبدوا العجل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله صلي
الله عليه وسلم ارادوا بالغضب والدلة ما اصاب بني النضير وبني قريظة من القتل والجل
وعلى هذا القول ففي تقدير الاية وجهان الاول ان العرب تغير الاثنا بقبائح افعال
الاعمال كما يفعل ذلك في المناقب فتقول للابنا فعلتم كذا وفعلتم كذا وانما فعل ذلك من مضي من

ايام فلك ذلك هاهنا وصف اليهود الذين كانوا في زمان النبي صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا
العجل وان كان اباؤهم فعلوا ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا في زمانه بانهم سبناهم غضب
من ربهم في الاحزة وذلة في الحياة الدنيا **الوجه** الثاني ان يكون الآية من باب حذف المضاف
والمعنى ان الذين اتخذوا العجل وابشروا عبادته سينال اولادهم ثم حذف المضاف والمعنى
لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى **وَكذلك نجزيك** يعني وكما جزينا هؤلاء الذين اتخذوا
العجل الها كذلك نجزي كل من اقترى على الله كدبا او عبده غيره قال ابو فلانة هي والله جزا كل من
اليوم القيامة ان يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا في كل مبتدع الي يوم القيامة
وقال مالك بن انس ما من مبتدع الا وهو جحد فوق راسه ذلة ثم قرأ هذه الآية قال
والمبتدع مبتدع في دين الله **والذين عملوا السيئات** يعني عملوا الاعمال السيئة ويدخل في
ذلك كل ذنب كبير وصغير حتى الكفر فادونه **ثم تأتوا من بعد ها** يعني ثم رجعوا الى الله
بعد اعلم السيئة **وانسوا** يعني وصدقوا بالله تعالى وانه يقبل توبته التائب ويغفر الذنوب
ان ربك يا محمد اوبياها الانسان التائب **من بعد ها** يعني من بعد توبتهم **لغفور رحيم**
يعني انه تعالى يغفر الذنوب ويرحم التائبين وفي الآية دليل على ان السيئات باسرها صغيرة
وكبرها مشتركة في التوبة وان الله يغفرها جميعا بفضل وبرحمته وتقدير الآية ان
من اعظم السيئات ثم تاب الى الله واخلص التوبة فان الله يغفرها له ويقبل توبته وهذا
لان السكون اصله الاسكان من الشيء ولما كان السكون بمعنى السكون استعمل في سكون
الغضب لان الغضب لا يتكلم لكنه لما كان بغورته والاعلى ما في نفس الغضب كان بمنزلة
الناطق فاذا سكنت تلك الغيرة كان بمنزلة السكون عما كان متكلم به وقيل معناه ولما
سكت موسى عن الغضب فهو من المقلوب كما تقول ادخلت القلنسوة في راسي والمعنى ادخلت
راسي في القلنسوة والقول الاول اصح لانه قول اهل اللغة والتفسير **احد الاواح** يعني
التي القاها قال الامام جعفر الدين وظاهر هذا يدل على ان الاواح لم تنكسر ولم يرفع من التوراة
شي **وفي نسخها** النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب حرف
فقد نسخت ذلك الكتاب فهو نقل ما في الاصل الى الفرع فعلى هذا قيل ارادها الاواح لانها
نسخت من اللوح المحفوظ وقيل ارادها النسخة المكتوبة من الاواح التي اخذها موسى
بعد ما تنكست وقال ابن عباس وعمر بن دينار لما القي موسى الاواح فتكسرت صام
اربعةين يوما فردت عليه في لوحين وفيها ما في الاولي بعينه فتكون نسختها وعلي قول من
قال ان الاواح لم تنكسر واخذها موسى بعينها بعدما القاها يكون معنى في نسختها
المكتوب فيها **هدى** و**رحمة** قال ابن عباس يعني هدي من الضلالة ورحمة من العذاب
للذين هم لربهم يرهبون يعني للمايعين من ربهم قوله عز وجل **واخذ موسى قومه**
سبعين رجلا لميثاقنا الاختيار انتقال من لفظ الخيار يقال اخذت الشيء اذا اخذخيره
وخياره والمعنى اخذ موسى من قومه فحذف كلمة من ذلك شائع في العربية لدلالة
الكلام عليه قال اصحاب الاخبار ان موسى عليه السلام اخذ من كل سبط من قومه سبعة

نفر

نفر فكانوا اثني وسبعين فقال ليختلف منكم رجلا فنتشاور فقالوا من قعد منكم اجر مثل من
خرج فنعقد يوشع بن نون وكالب بن يونا وقيل انه لم يجد الاستين شيئا فاجاب الله اليه ان
تختار من الشباب عشرين فاختارهم فاصبحوا شيوخا فامرهم ان يصوموا ويصوموا ويصوموا
ثيابهم ثم ذهب بهم الى ميثقات ربه واختلف اهل التفسير في ذلك الميثقات فقيل انه الميثاق
الذي كلمه فيه ربه وسال فيه الروية وذلك انه لما خرج الى طور سيناء اخذ معه هاولا
السبعين فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى احاط بالجبل كله ودخل موسى فيه
وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا وسعوا كلام الله وهو يكلم موسى
يامره وينهاه افعل كذا لا تفعل كذا فلما انكشف الغمام اقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى
نري الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة المذكورة في هذه الآية وقال
السدي ان الله امر موسى ان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل
ودعاهم موعدا فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميثقات ربه ليعتدروا
فما اتوا ذلك المكان فقالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نري الله جهرة فانك قد كلمته فارنا
فاخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يكي ويدعوا لله ويقول رب ماذا اقول لبني اسرائيل اذا
اتيتم وقد اهلكتم خيارهم رب لو شئت اهلكتهم واياي وقال يهود بن اسحاق اخذ موسى من قومه
من بني اسرائيل سبعين رجلا لخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه ما صنعتكم واسألو
التوبة على ما تركتم وراكم من قومكم صوموا واطهروا واثابكم فخرجهم الى طور سيناء
لميثقات وقتله ربه وكان لا ياتيه الا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكر لي حين
فعلوا ما امرهم به وخرجوا معه للقاربة لموسى اطلب لنا نزع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى
من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى غشي الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا
فكان موسى اذا كلمه ربه وقع على جبهته فورا طمع لا يستطيع احد من بني ادم ان ينظر
اليه فغضب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا فسمعوه وهو
يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ اليه من امره انكشف عن موسى الغمام فاقبل
اليهم فقالوا له لن نؤمن لك حتى نري الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا
جميعا فقام موسى شديدا ربه ويدعوه ويرغب اليه يقول رب لو شئت اهلكتهم من قبل
واياي وقال ابن عباس كان الله امر موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين
رجلا فبرزهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا الله ان قالوا اللهم اعطنا ما لم نعطه احدا قبلنا
ولا نعطه احدا بعدنا فذكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة قال رب لو شئت
اهلكتهم من قبل واياي وقيل انما اخذتهم الرجفة من اجل انهم ادعوا على موسى انه قتل
هرون قال علي بن ابي طالب انطلق موسى وهرون الى سفح جبل فنام هرون على سبيل
فتوفاه الله فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له انت قتلته حسدا على خلقه ولينه
وكان هرون حسن الخلق محبا في بني اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من شيتهم فاختاروا
سبعين رجلا فلما اتوا اليه قالوا يا هارون من قتلك قال ما قتلني احد ولكن الله
توفاني فاخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع بينا وشيلا ويقول يا رب لو شئت اهلكتهم واياي

نفر

الاية قال فاحياهم الله عز وجل وقيل انما اخذتهم الرجفة لنزكهم فراق عبدة العجل لانهم كانوا من عبدة الله قال ابن عباس انما ابتلوا الرجفة لانهم لم يزلوا القوم حين نصبوا العجل وقد كرهوا ان يجامعهم عليه قال ابن جريج فلما خرجوا الكهنة ودعوا الله انما انهم ثم احياهم وقال لمجاهد واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا والميقات الموعد فلما اخذتهم الرجفة بعد ان خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسألونه ان يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم من اجل انهم لم ينهوا عن المنكر ولم ياربوا مع المعروف فاخذتهم الرجفة فاثامهم احياهم الله وقوله تعالى **فلما اخذتهم الرجفة** اصل الرجف الاضطراب الشديد الذي يحصل معه التخير والهلاك ولهذا قالوا في تلك الرجفة التي حصلت لها ولا هل كان معها موت ام لا يعظم الروايات التي تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجفة وقال وهب ابن منبه لم تكن الرجفة موتا ولكن القوم لما راوا تلك الهيبة اخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت ان تبين مفاصلهم فلما راى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقد هم وكانوا له وزرا على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا موسى ربه وبكى وناسد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمانوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة **قال يعني موسى رب اي يرب لوشيت اهلكتهم من قبل اي يعني من قبل عبادتهم العجل واياي** وذلك انه خاف ان ينهد بنو اسرائيل على السبعين اذ ارجع اليهم وماتم معه ولم يصدقوه بانهم ماتوا فقل رب لوشيت اهلكتهم يعني قبل خروجهم الى الميقات واياي معهم فكانوا بنوا اسرائيل يعاينون ذلك ولا يثبوني **افعل كما بنا فعل الشهابا منا** قال العنبراني موسى انهم اهلكوا باخذ اصحاب العجل العجل فقالوا اهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني عبدة العجل وانما اهلكوا بسبب مسا لثمت الروية وهو قولهم ارنا الله جهرة وهذا قول الكلبى وجماعة وقال جماعة من اهل العلم لا يجوز ان يظن بموسى ان الله تعالى هلك قوما من نوب غيرهم ولكن اهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني عبدة العجل استهانوا بمعني المحمدي لست تفعل ذلك وهذه اقوال ابن الانباري وقال المبرد هذا استهان استعطاف اي لا تفعل كما ان في الاقتتال قال الواحدي الكناية في هي تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الازيد والمعني ان تلك الفتنة التي وقع بها السفهاء لم تكن الاقتتال اي اختيارك وابتلاك وهذا تأكيد لقوله اهلكنا بما فعل السفهاء منا لان معناه لا تهلكنا بنفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاك اضللت بها قوما فاقتنوا وهديت قوما فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله **نقل** **فما من تشا وهدى من تشا** قال الواحدي وهذه الاية من الحج الظاهرة على القدرية التي لا يبقا لهم عذر **انت وليت** يعني انت يا ربنا ناصرنا وحافظنا وهذا بعيد الحصري لاولي لنا ولا ناصر ولا حافظ الا انت **فا غفر لك** سار موسى عليه السلام لنفسه ولقومه الغفران انما لنفسه فلقوله ان هي الاقتتال وهذا فيه اقدم على الحضرة المقدسة ولما لقومه فلقولهم ارنا الله جهرة وفي هذا اقدم على الحضرة المقدسة فلهمذا السبب سار موسى الغفران له ولقومه **وارحمنا اي واشملنا برحمتك التي وسعت كل شيء** **وانت خير الغافرين** يعني ان كل من سواك انما يغفر الذنب طلبا للشنا الجليل اولدفع ضررنا واما انت برحمتك تغفر

ذ نوب عبادك لا لطلب عوض ولا غرض بل المحض الفضل والكرم فانت خير الغافرين قوله تعالى **واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة** يعني قال موسى في دعائه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي واجعلنا ممن كتب له حسنة وهي ثواب الاعمال الصالحة وفي الآخرة اي واكتب لنا في الآخرة مغفرة لذنوبنا **انا هذنا اليك** قال ابن عباس معناه انا تبنا اليك وهذا قول جميع المفسرين واصل اليهود الرجوع برفق قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم لانه وهو لازم لهم **قال** يعني قال الله عز وجل لموسى عليه السلام **عدايتي اضيت به من اشائ** يعني من خلفي وليس لاحد علي اعتراض لان الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف في خالص ملكه فليس لاحد عليه اعتراض **ورحمتي** **وسعت كل شيء** يعني ان رحمته سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام اريد به الخاص فرحمته الله عمت البر والعاجز في الدنيا وهي للمومنين خاصة في الدنيا والآخرة ولكن الكافر يروق ويدفع عنه بركة المومن بسعة رحمة الله له فاذا كان يوم القيامة وجت للمومنين خاصة قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء تطاول البليين اليها وقال انما من ذلك الشيء فترعا الله تعالى من البليين فقال تعالى **مسأ كتبنا للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون** اي ليس منها وقالت اليهود نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤتي بايات ربنا فترعا الله من اليهود وابنتها هذه الامة فقال **الذين يتقون الرسول النبي الامي** الاية وقال نون البكالي لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله تعالى لموسى اجعل لك الارض سجدا وطورا تصلون حيث ادرتكم الصلاة الا عند سوط او حمام او قبر واجعل السكينة في قلوبكم واجعلكم تقرون التورية عن ظهور قلوبكم بقرها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد ان نصلي الا في الكايسر ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا ولا نستطيع ان نقرأ التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقرأها الا بنظر اقال الله تعالى فسا كتبنا للذين يتقون الي قوله اوليك هم المفاحون فجعلها الله لهذه الامة فقال موسى رب اجعلني بينهم قال بينهم منهم قال اجعلني منهم قال انك لن تدركهم قال موسى رب انتك بوقد بني اسرائيل فجعلت وقادتنا لغيرنا فانزل الله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فزعي موسى اما التقدير فقوله الذين يتقون يعني الشرك وسائر ما نهوا عنه لان جميع التكليف محصورة في نوعين الاول التزك وهي الاشياء التي يحب على الانسان تركها والاختزان عنها ولا يقرها واليه الاشارة بقوله الذين يتقون والثاني الافعال المأمور بها وتلك الاعمال يدنية او قلبية اما البدنية فاليه الاشارة بقوله ويؤتون الزكاة وهذه وان كانت في حق المال لكن تختص البدن باخراجها والاعمال القلبية فالايان والمعرفة واليه الاشارة بقوله والذين هم بآياتنا يؤمنون قوله عز وجل **الذين يتقون الرسول النبي الامي** ذكر الانام لخر الدين في معني في هذه الآية التبعية وجهين احدهما ان المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجد واصفته في التوراة اذ لا يجوز ان يتبعوه في شرايعه قبل ان يبعث الي الخلق قال

الاخر وقيل للمومنين خاصة في

معها

وفي قوله والاخيلا ان المراد وسجدونه مكتوبا في الانجيل لان من المحال ان يجده فيه
قبل ما انزل الله الانجيل الوجه الثاني ان المراد من الحق من بني اسرائيل زمان النبي صلي
الله عليه وسلم فبين تعالى ان هاولا اللاحقين لا تكتب لهم رحمة الا اذا اتبعوه قال
وهذا القول اقرب لان اتباعه قبل ان يبعث لا يمكن فبين هذه الآية ان هذه الرحمة
لا يفتوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى واتى الزكاة واسم بالايات في زمن موسى وكانت
هذه صفته في ايام رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان مع ذلك متبعا للنبي صلي الله عليه
وسلم في شرايعه فعلي هذا الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتبعون الرسول من
بني اسرائيل خاصة وجمهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد به جميع امته الذين
امنوا به واتبعوه سواء كان من بني اسرائيل او غيرهم واجمع المفسرون على ان المراد بقوله
الذين يتبعون الرسول محمد صلي الله عليه وسلم وصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين
الله وبين خلقه المبلغ رسالاته واوامره ونواهيه وشرايعه اليهم ثم وصفه بكونه نبيا
وهذا ايضا من اعلى المراتب واشرفها وذلك يدل على انه رفيع القدر عند الله المحبر عنه
ثم وصفه بالامية قال ابن عباس هو نبىكم صلي الله عليه وسلم كان اميا لا يكتب ولا يقرأ
ولا يحسب قال الزجاج في معنى الامي هو الذي على صفة امته العرب لان العرب اكثرهم
لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب فالنبي صلي الله عليه وسلم كان كذلك فلهذا وصفه الله تعالى
بكونه اميا وصح في الحديث انه صلي الله عليه وسلم قال نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب قال
اهل التحقيق وكونه محمدا صلي الله عليه وسلم كان اميا اكبر معجزاته واعظمها وبيانه انه صلي الله
عليه وسلم اني هذا الكتاب العظيم الذي اعجز الخلائق فصاحته وبلاغته فكان يقرأ عليهم
بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله
تعالى سنقرئك فلا تنفي وقيل انه لو كان محسن الكتابة ثرائه اني هذا القرآن العظيم
لكان متما فيه لاحتمال انه كتبه ونقله عن غيره فلما كان اميا وانى هذا الكتاب العظيم
الذي فيه علم الاولين والآخرين والمغيبات دل ذلك على كونه معجزة له صلي الله عليه
وسلم وايضا فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيل ثرائه اني هذه
الشرعية الشريفة والاداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقايق دقيقة من غير مطالعة
كتب ولا اشتغال على احد دل ذلك على كونه معجزة له صلي الله عليه وسلم وقيل في معنى الامي
الذي هو منسوب الي امة كان لم يخرج عن ما ولدته وقيل سمي اميا لانه منسوب الي ام القرى
وهي مكة وقوله تعالى **الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يعني يجدونه** وصفته
ونعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علما وهم واخبارهم ولكنهم كتبوا ذلك وبدلوه وغيروه
حسد منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم
وقعوا في الذل والهوان خ عن عطاء بن يسار قال لقيت عبدا لله بن عمرو بن العاص
فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلي الله عليه وسلم في التوراة فقال اجل انه لموصوف
في التوراة ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا
للانبياء انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس يفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق

والدخيل

فهو من

والدخيل

ولا يدفع بالسيرة السيرة ولكن يعفو ويغفر ولن يقتضيه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا
لا اله الا الله ويفتح بها اعيناعيا واذا ناصوا وقلوبا غلفا شرح غريب الفاظه اللفظ السبي
الحلق والغليظ الجا في القاي وقوله سخاب يقال سخاب بالسين والحا لصا وهو الكثير الصباح
في الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة واراد بالملة العوجا الكفر والقلب الاغلف التي
لا يصل اليه شي ينفعه شبهه بالاغلف كانه في غلاف وروي البغوي بسنده عن كعب الاحبار
قال اني اجد في التوراة مكتوبا بمحمد رسول الله لافظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق
ولا يجزي السيرة ولكن يعفو ويغفر امته الحامدون يمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على
كل نجديا تزرون على انصافهم وبوضوح اطرافهم صغهم في الصلاة وصغهم في القتال سوا
منا دهم ينادي في جواسم في خوف الليل دوي كدوي التحمل مولده ملة ومهاجرة بطيبة
وملكه بالشام وقوله **يا محمد بالمعروف** يعني بالايان وتوحيد الله **ونبهاهم عن المنكر**
يعني عن الشرك بالله وقيل المعروف ما عرفت في الشريعة والستة والمنكر ما لا يعرف في
شريعة ولا سنة وقال عطاء يامرهم بالمعروف مخرج الانداد ومكارم الاخلاق وصلة
الارحام ونبهاهم عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع الارحام **وتحل لهم الطيبات** يعني
بذلك ما كان محرما عليهم في التوراة من الطيبات وهو لحم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر
وقيل هو ما كانوا يحرمونه على انفسهم في الجاهلية من البحار والسوايب والوصايل والحاي
وقيل هي المستلذات التي تستطيبها الانفس **وتحرم عليهم الخبائث** قال ابن عباس
يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما يستخبثه الطبع ويستقدره النفس
فان الاصل في المضار الحرمه الاماله دليل منفصل **الحل ويضع عنهم اصرهم** يعني
ثقلهم واصل الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي تحبسه عن الحركة لثقله
والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق الذي اخذ على بني اسرائيل ان يعملوا بما في
التوراة من الاحكام وكانت تلك شديدة **والاغلال التي كانت عليهم** يعني ويضع الاثقال
والشدائد التي كانت عليهم في الدين والشرعية وذلك مثل قتل النفس في التوبة
وقطع الاعضاء الخاطية وفرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقداس وتعيين القصار
في القتل وتخريم اخذ الدية وترك العمل في السبت وان صلاتهم لا تجوز الا في الكاثير وتبيع
العروق من اللحم وغير ذلك من الشدايد التي كانت عليهم على بني اسرائيل شبت بالاغلال
بحان الان التخدير يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبت بالاغلال
التي تجمع اليد الي العنق كما ان اليد لا تمتدح وجود الغل فذلك لا تمتدح الي الحدام
التي شبت عنه وكانت هذه الاثقال في شريعة موسى عليه السلام فلما جاء محمد صلي
الله عليه وسلم نسخ ذلك كله ويبدل عليه قوله صلي الله عليه وسلم يبعث بالحنيفية
السهلة السمحة **قال ابن عباس** يعني محمد صلي الله عليه وسلم **وعزوه** يعني وقروه
وعظموه واصل التعزير المنع والنصرة وتعزير النبي تعظيمه واجلاله ورفع الاعدا
عنه وهو قوله **ونصروه** يعني على اعدائه **واتبعوا التوراة التي انزلنا** يعني القرآن
سمي القرآن نورا لان به يستنير قلب المؤمن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الي

الذي

صيا اليقين والعلم **أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** يعني هم الناجون الفايزون بالهداية قوله تعالى **قُلْ**
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد
لناس اني رسول الله اليكم جميعا لا الي بعضكم دون بعض ففي الآية دليل على عموم رسالته
الي كافة الخلق لان قوله يا ايها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم اراد الله عز
وجل بان يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الي جميع الناس وعن
جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل
نبي يبعث الي قومه خاصا وبعثت الي كل احر واسود واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد
قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فاما رجل ادر كته الصلاة صلى حيث
كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة وفي
رواية اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا فاما رجل من امتي ادر كته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم
ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الي قومه خاصة وبعثت الي
الناس عامة وقوله في الرواية الاولى بعثت الي كل احر واسود قيل اراد بالاحمر العجم
وبالاسود العرب وقيل اراد بالاحمر الانس وبالاسود الجن فعلي هذا تكون رسالته
صلى الله عليه وسلم عامة الي كافة الخلق من الانس والجن **مر** عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء است اعطيت جوامع الكرم ونصرت بالرعب
واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الي الخلق كافة وحثمتني
النبيون وقوله تعالى **الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** لما امر الله عز وجل رسوله
محمد صلى الله عليه وسلم بان يقول يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ارفة ما يدل على صحة
دعواه يعني ان الذي له ملك السموات والارض هو محمد بها وما لك امرها هو الذي ارسلني
اليكم واسموني ان اقول لكم اني رسول الله اليكم جميعا **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ** وصف الله نفسه
بالاهمية وانه لا شريك له فيها وانه القادر على احيا خلقه وماتهم ومن كان كذلك فهو القادر
على ارسال الرسل الي خلقه **فَاٰمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** لما امر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم
بان يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعا امر الله جميع خلقه بالايمان به ورسوله وذلك
لان الايمان بالله هو الاصل والايمان برسوله فرع عليه فلهذا بدأ بالايمان بالله ثم ثني بالايمان
برسوله فقال فامنوا بالله ورسوله ثم وصفه فقال تعالى **النَّبِيِّ الْأَخِي** وتقدم معناها
الَّذِي يُؤْتِي مِنَ بَيْنِ يَدَيْهِ قال قتادة يعني اياته وهي القدرات وقال مجاهد والسدي
اراد بكلماته عيسى بن مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل هو علي العمور يعني يوم من جميع
كلمات الله تعالى **وَاتَّبَعُوهُ** يعني واقتدوا به ايها الناس فيها ما مركبه او بينها كعبه
وقيل المتابعة على قسمين متابقة في الاقوال ومتابعة في الافعال **المتابعة في**
الاقوال بان تتشبه التابع بجميع ما يامر به المتبوع على طريقة الامر والنهي والترغيب
والترهيب واما المتابعة في الافعال بان يقتدي به في جميع اذابه وافعاله الاماخص
به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت الدليل انه من خصايصه فلانما بعة فيه وقوله

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ يعني لكي تهتدوا وترشدوا وتضيوا الحق والصواب في متابعتكم اياه قوله
عز وجل **وَمِنْ قَوْمٍ مُّؤْتَوَنَ** يعني من بني اسرائيل **امّة** اي جماعة **تُخَذُّونَ بِالْحَقِّ** يعني يهتدون
بالحق ويستقيمون عليه ويعلمون به ويرشدون اليه **وَبِهِ يُعْذَرُونَ** يعني وبالحق يحكمون
وبالعدل ياخذون ويعظمون ويتصفون واختلفوا في هاهنا ولازم فقيل هم الذين اسلموا
من بني اسرائيل مثل عبد الله بن سلام واصحابه فانهم امنوا بموسى والتوراة واسلموا لمحمد صلى
الله عليه وسلم والقرآن واعترض على هذا بانهم كانوا قليلين ولغظ الامة يقتضي الكثرة
واجيب عنه بانهم لو كانوا مخلصين في الدين جاز اطلاق لغظ الامة عليهم كما في قوله ان
ابراهيم كان امة وقيل هم قوم بقوا على الحق الذي جاءه موسى عليه السلام قبل التوراة
والتبديل ودعوا الناس اليه وقال السدي وابن جرير وجماعة من المفسرين ان بني اسرائيل
لما قاتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم ما صنعوا واعتذروا وسألوا
الله ان يفرق بينهم وان يبعدهم عنهم ففزع الله لهم فقفا في الارض فصاروا فيه حتى خرجوا من ورا
الصين فم هناك حنقا سلبين مستغلبين قبلتنا قال ابن جرير قال ابن عباس ساروا في
السرب سنة ونصفا رواه الطبري وحكي البغوي عن الكلبي والضحك والديع قال هم قوم
خلف الصين باقضي الشرق على فزع جري الرمل يسمى فزاردان ليس لاحد منهم ملك
دون صاحبه يمتطرون بالليل ويصبحون بالزهار ويرعون ولا يصل اليهم احد منا وهم
على الحق وذكر لنا ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكلهم فقال
لم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا
يا رسول الله ان موسى وصانا ان من ادرك منكم احد فليقرني عليه السلام فزدر رسول
الله صلى الله عليه وسلم علي موسى عليهم السلام واقراهم عشر سور من القرآن نزلت عليهم
مكة وامرهم بالصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا
ويتزكوا السبت وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الاول قولهم ان احدا منا لا يصل
اليهم واذا كان الامر كذلك فمن الذي اوصل خبرهم اليها **الوجه الثاني** قولهم ان جبريل
ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم اليهم ليلة اسري به وهذا لم يرد بنقل صحيح ولا رواه
احد من ائمة الحديث ولا يلتفت الي قول الاخباريين والخصاص في ذلك **الوجه**
الثالث قولهم انهم بلغوا النبي صلى الله عليه وسلم سلام موسى وقد صرح في حديث المعراج
انه سلم عليه في السما السادسة وايضا قولهم اقراهم عشر سور وقد نزل عليه مكة
الكثير من ذلك وكان قرض الزكوة بالمدينة فكيف يامرهم بها قبل فرضيتها فاذا ثبت
ما ذكرناه بطلان هذه الرواية فالمختار في تفسير هذه الآية انها اما ان تكون نزلت
في قوم كانوا متمسكين بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك ولما
ان تكون قد نزلت فيمن اسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد
واصحابه والله اعلم مراده وقوله تعالى **وَقَطَّعُوا** يعني وفرقنا بني اسرائيل **الثنائي**
عَشْرَةَ اَسْبَاطًا يعني من اولاد يعقوب لان يعقوب هو اسرائيل واولاده الاسباط

مطلب عجيب

في تضعيف
الحكاية

وكانوا اثني عشر ولدا **أما** يعني جماعات وقبائل **وأوحينا إلى موسى** إذ استشفاه قومه
يعني في التيه **أن اضرب بعصاك الحجر فاجحست** يعني انجرت وقيل عرقت وهو
الانجاس منه أي من الحجر **اثني عشر غنما** يعني لكل سبط عین **قد علم كل إناس**
مشهورهم يعني لا يدخل سبط على سبط في مشروهم **وظللنا عليهم الغمام** يعني في التيه
يقوم حر الشمس **وأمرنا أن نأكل من طيبات ما رزقناكم** يعني وقلمنا كلوا
الله عز وجل ذلك طعاما لهم في التيه **كلوا من طيبات ما رزقناكم** يعني وقلمنا كلوا
من طيبات ما رزقناكم **وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** في الكلام حدث
ترك ذكره للاستغناء عنه ودلالة الكلام عليه تقديره كانوا من طيبات ما رزقناكم
فاجمعوا ذلك وساموه وقالوا لن نضرب على طعام واحد وسألوه غيره لأن المكلف إذا
امر شي فتركه وعدل عنه إلى غيره يكون عاصيا بفعله ذلك فذلك قال وما ظلمونا يعني
وما ادخلوا علينا في ملكنا وسلطاننا فقلنا ما ظلمونا يعني
يعني تخالفهم ما أمروا به وقد تقدم بسط على تفسير هذه الآية في سورة البقرة قوله تعالى
وإذا قيل لهم إياي وإذ ثريا بهم لغومك اذ قيل لهم يعني لبني اسرائيل **اشكروا هذه القرية**
يعني بيت المقدس وقال في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لأن كل
سكن في موضع لا بد له من الدخول اليه **وكلوا منها حيث شئتم** يعني وكلموا من ثار
القرية وزروعها وحبوها وبقولها حيث شئتم وابن شيم قال في البقرة فكلوا مما
وهنا بالواو والفرق بينهما ان الدخول حاله مقتضية للأكل عقيب الدخول الحسن
دخول الفا التي هي للتعقيب ولما كانت السكنى حالة استمرار حسن دخول الواو عقيب
السكنى فيكون الأكل حاصل متي شاؤا وانما قال في سورة البقرة رغدا ولم يقله هنا لأن
الأكل عقيب الدخول الذي واكلا واما الأكل مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن
دخول لفظة رغدا هناك دون هنا **وقولوا حطة أي حط عنا ذنوبنا** **وإذا حوالباب**
سجدا وقال في سورة البقرة عكس هذا اللفظ ولا منافاة في ذلك لأن المقصود من
ذلك تعظيم امر الله وإظهار الخضوع والخشوع له فلم يتقوا وت الخاضع التقدير والظاهر
تغفروا لكم خطاياكم يعني تغفروا لكم ذنوبكم ولا فواخذتم بها وانما قال هنا خطيتكم وفي البقرة
خطاياكم لأن المقصود غفران ذنوبهم سواء كانت قليلة أو كثيرة إذا اتوا بالبراءة والنزع
سجدوا للمحسنين وقال في سورة البقرة وسجدوا لواء ومعناه انه وعد بشيئين
بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخل بذلك المعنى لأنه
استيناف مرتب على تقدير قول القبائل وماذا بعد الغفران فقل له سجدوا للمحسنين
فبذلك الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم يعني غير الذين ظلموا أنفسهم
تخالفوا امرنا من بني اسرائيل فقالوا غير الذي قيل لهم وأمرنا به وذلك أنهم أمروا
أن يقولوا حطة فقالوا حطة في شعيرة فكان ذلك تبديلهم وتغييرهم **فأرسلنا عليهم**
رجوا من السماء يعني بعثنا عليهم من السماء عذابا اهلكهم ولا منافاة بين قوله هنا أرسلنا

ربين

وبين قوله في البقرة انزلنا بها لا يكونان الا من اعلى إلى اسفل وقيل بينهما فرق وهو ان
الانزال لا يشعر بالكثرة والارسال يشعر بذلك فكانه تعالى بدأ بانزال العذاب قليلا
ثم ارسله عليهم كثيرا **فما كانوا يظلمون** يعني ان ارساله العذاب عليهم بسبب ظلمهم وتخالفهم
امر الله وقال في البقرة بما كانوا يفسقون والجمع بينهما انهم لما ظلموا أنفسهم بما غيروا وبدلوا
فتفاوتوا ذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى وقد تقدمت هذه القصة ايضا في تفسير سورة
البقرة قوله عز وجل **واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة الخطاب** النبي صلى الله عليه وسلم أي
سراياهم هو لا اليهود الذين هم جيرانك عن حال اهل القرية وهذا السؤال سؤال توبيخ
وتقريع لسؤال الاستعلام لأنه صلى الله عليه وسلم كان قد علم حال هذه القرية بوحى الله عز
وجل اليه واجاره اياه حاله وانما المقصود من هذا السؤال تقريع واعتذار اليهود واقذارهم
على الكفر والمعاصي قدما وان اصرارهم على الكفر لمصلحة الله عليه وسلم وانكار ربوته
ومعجزاته ليس بشيا قد حدث الا ان في زمانه بل اصرارهم على الكفر كان حاصل في اسلافهم
في قديم الزمان وفي الاخبار هذه القصة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان اميا
لم يقرأ الكتب القديمة ولم يعرف الاخبار الاولى ثم اخبرهم بما جرى في اسلافهم في قديم
الزمان وانهم بسبب مخالفتهم امر الله عز وجل سخوا فزوة واختلوا في هذه القرية
فقال ابن عباس هي ابله بين مصر والمدينة والعرب تسمى المدينة قرية وقال الزهري
هي طبرية الشام وفي رواية عن ابن عباس قال هي مدين وقال وهب هي مقنايين مدين
وعيون التي كانت حاضرة البحر يعني عن القرية التي كانت على ساحل البحر وقرية منه
اذ يبعثون في السبت يعني يتجاوزون حد الله فيه وما امرهم به من تعظيمه فخالفوا امر
الله وصادوا فيه السك **اذ تاتهم جئناهم يوم السبت** يعني ظاهرا على ما كثره وقال
الضحاك تاتيتهم متتابعة يتبع بعضها بعضا وقيل كانت تاتيتهم يوم السبت مثل الكباش
السان والبيض **ويوم لا يسمعون له نداءهم** يعني الحيثان **كذلك بناؤهم** يعني مثل هذا
الاختيار الشديد بخبرهم ونحن علم بحالهم **فما كانوا يفسقون** يعني ان ذلك لا يتلا
والاختيار بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله وما امروا به قال اهل التفسير ان اليهود
امروا يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فاتبوا به وهو ان الله امرهم بتعظيمه
ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما اراد الله ان يبتليهم كانت الحيثان تظهر
لهم في يوم السبت ينطرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تزل الى السبت
المقبل لا يتلوا به فوسوس اليهم الشيطان وقال ان الله لم يمنكم عن الاصطياد
انما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل انه وسوس اليهم انكم انما نهيتهم عن الاخذ فاخذوا
حيضا على ساحل البحر وسوقوا اليها الحيثان يوم السبت فاذا كان يوم الاحد اخذوها
فعلوا ذلك زمانا ثم انهم حجروا على السبت وقالوا لما نرى السبت الا قد حل لنا
فاصطادوا واكلا وابتاعوا فصار اهل القرية احزابا ثلاثا وكانوا نحو من سبعين الفا
ثلاث نوا عن الاصطياد وثلاث سكتوا ولم ينهوا وقالوا لنا هين لم نغفون قوما الله
سهلهم وثلاث هم اصحاب الخطية الذين خالفوا امر الله واصطادوا وابتاعوا واكلا فلما

ثلاث

البحر

بينوا عام فيه من المعصية قال المناهون لاسا ككلم في قرية واحدة فقسوا القرية بينهم بحدار
لنا هين باب يدخلون منه ويخرجون به وللعاصيين باب ولعنهم ولود عليه السلام ن
كانوا في زمنه فاصبح المناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا لاهم شانا
لعل لهم قد غلبتهم فعملوا على الهدار الذي بينهم فاذا هم قد سقوا قرعة فغفوا عليهم الباب
ودخلوا عليهم فصار القرعة يعرفون اناسا من الناس ولم يعرف الناس اناسا منهم من القرعة
فجعلت القرعة تأتي نساءها من الناس فتعدهم فتشم ثيابهم فيقول لهم اهلواهم الم نساكم
فتقول القرعة براسها نعم فيجي المناهون وهلك سائرهم فذلك قوله تعالى **واذ قال الله لهم**
تقظون قوما الله مهلككم واختلفوا في القائلين هذه المقالة فقال بعض المفسرين ان اهل القرية
افترقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت واصابت الخطية وفرقة نتهم عن ذلك الفعل وفرقة
امسكت عن الصيد وسكتت عن موعظة المعتدين وقالوا لنا هين لم تقظون قوما الله مهلككم
او معة انهم عذابا شديدا يعني انهم لا موعظة قوم يعلمون انهم غير متعطين ولا مترحبن
تقال الفرقة الناهية للذين لا موعظة قالوا **معدرة الى ربكم** يعني ان موعظتنا ايام
معدرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا فموعظتنا لها ولا عدركا
عند الله **ولعلمهم يتقون** اي وجاز عندنا ان يتقوا بالموعة فيتقوا الله ويتركوا ما هم
فيه من الصيد وقال بعضهم ان اهل القرية كانوا فرقتين فرقة نحت وزجت عن السور وقرعة
عملت بالسور فلي هذا يكون الذين قالوا لم تقظون قوما الله مهلككم الفرقة المعتدية
وذلك ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية لم تقظون قوما الله مهلككم او معدرة
عذابا شديدا والمعني فلم تقظونا وقد علمتم ان الله مهلككم او مترلها عذابا والقول الاول
اصح لانهم لو كانوا فرقتين لكان قولهم معدرة الى ربكم خطا با من الناهية المعتدية وقوله
تعالى **فكلمنا نساء ما ذكرناهم اي فلما تركوا ما وعظوا به انجينا الذين ينهون عن السور** هو
الفرقة الناهية **واخذنا الذين ظلموا** يعني الفرقة المعتدية العاصية **بعذاب بيس**
اي شديد وجيع من الناس وهو الشدة **بما كانوا يعشقون** يعني انا اخذناهم بالعذاب
بسبب فسقهم واعتدائهم وحزهم عن طاعتنا وروي عكرمة عن ابن عباس قال اسمع
الله عز وجل يقول انجينا الذين ينهون عن السور واخذنا الذين ظلموا بعذاب بيس فلا
ادري ما فعلت الفرقة الساكنة وجعل بيكي قال عكرمة فقلت له جعلني الله فداك الا
تراهم قد انكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تقظون قوما الله مهلككم وان لم يقبل الله
انجيتهم لم يقبل اهلككم قالوا فاعجبهم قولي ورضي به وامر لي بدين فكساينما وقال نجت
الساكنة وقال ليمان بن ريان نجت الطايفتان الذين قالوا لم تقظون والذين قالوا
معدرة واهلك الله الذين اخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت الطائفة
الناهيية وهلك الفرقتان وهي اشداية في ترك النهي عن المنكر وقوله تعالى **فلما عتوا**
عما نهوا عنه قال ابن عباس ابوا ان يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الايمان
والعصيان والمعني فلما عتوا عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا في العصيان من اعتدائهم في
السبت واستخلاهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك في يوم السبت واكله **فلما هلك**

كوتوا

كوتوا قرعة طريين يعني صاعزين مبعدين من كل خير قال قتادة لما عتوا عما نهوا عنه سخطهم
فصيرهم قرعة تتعادي بعد ما كانوا رجالا وناوا قال ابن عباس جعل الله منهم القرعة والخيار
فرغم ان شباب القوم صاروا قرعة وان المشيخة صاروا خيارا برقتل انهم بقوا ثلاثة ايام
ينظر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا قوله تعالى **واذ تاذن ربك** الخطاب فيه للنبي صلى الله
عليه وسلم ومعني تاذن اذن والاذن الاعلام يعني علم ربك وقيل معناه قال ربك وقيل
حكم ربك وقيل تاذن لا ربك معني اقسم ربك لان اللام في قوله لبيعث جواب القسم لان قوله
واذ تاذن جار مجري القسم لا لكونه جرما وجواب القسم لبيعث عليهم واختلفوا في الصافي
عليهم الي من يرجع فقيل يقتضي ان يكون راجعا الي قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا همر
كوتوا قرعة خاسيين لكن قد علم ان الذين سخطوا لم يبق منهم احد فحتمل ان يكون المراد
الذين بقوا منهم فالحق الدلالة بهم وقيل بان المراد سائر اليهود من بعدهم لان الذين بقوا من اهل
القرية كانوا صالحين والذي بعثه الله على اليهود هو نحت نصر وسحار ريب وملوك الروم
فما هو سوا العذاب وقيل المراد بقوله لبيعث عليهم اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي بعثه الله عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته فالزم
من لم يسل منهم الصغار والدلة والجزية كرامة لليهود الي يوم القيامة واورد على هذا بان
في اخر الزمان يكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لان اليهود اتباعه واشياعه
واجيب عنه بان ذلك العز الذي يحصل لهم هو في نفسه غاية الدلة لانهم يدعون
الاهية الدجال فيزدادون كفرهم فاذا هلك الدجال اهلكهم المسلمون وقتلهم
جميعا فذلك هو الدلة والصغار المشار اليه بقوله **لبيعث عليهم الى يوم القيامة من**
يسومهم سوا العذاب وهذا نص في ان هذا العذاب انما يحصل لهم في الدنيا مستمر عليهم
الي يوم القيامة ولهذا فسره هذا العذاب بالاهانة والدلة واخذ الجزية منهم فاذا
افضوا الي الاخرة كان عذابهم اشد واعظم وهو قوله تعالى **ان ربك الشريع القابض** لمن
اقام على الكفر فيه دليل على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الاخرة فيكون العذاب
مستمرا عليهم في الدنيا والاخرة ثم ختم الآية بقوله تعالى **انه لغفور رحيم** يعني
لمن امن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام قوله تعالى **وقطعناهم**
في الارض انما يعني وفرقنا بني اسرائيل في الارض جماعات متفرقة فلا تجد بلدا الا وفيه
من اليهود طائفة وجماعة قال ابن عباس في كل ارض يدخلها قوم من اليهود **وقطعناهم الصالحون**
يعني من قها ولا الذين وصفهم الله من بني اسرائيل صالحون وهم من امن بالله ورسوله ونبت
علي دينه قبل بيعث عيسى عليه السلام وانما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم
بهم ذكره الطبري ولم يذكر غيره وروي البغوي وغيره من المفسرين عن ابن عباس
ومجاهد ان المراد بالصالحين الذين ادر كوا النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وكنوا
به والصحيح ما ذكره الطبري يد اعليه قوله بعده فخلع من بعدهم خلف والخلف انما
كان بعدهما ولا الذين وصفهم بالصالح من بني اسرائيل وقوله **وقطعناهم قوت** ذلك يعني
الذين كفروا من بني اسرائيل وبدلوا وغيروا **واكلوا ناهم** يعني جميعا الصالح وغيره

مطلبهم

وهي باوي اختبار وامتحان **بالحسنات** يعني بالحسب والعافية **والنسات** يعني الهذب والشدة
لقلتم يعني لكي يرجعوا الى طاعة ربهم ويتوبوا اليه قال اهل المعاني كل واحد من الحسنات
والسيئات اذا فسرتا بالنعمة والسدة تدعو الى طاعة الله تعالى لما النعمة فيزداد عليها شكره فيغيب
في الطاعة واما السدة فيحذف سوا قبتها فيهرب منها قوله تعالى **خلف من بعدهم** يعني من بعد
ها ولا الذين وصفناهم **خلف** يعني خلف سوي يعني حدث من بعدهم وتبدل منهم بدل سوي قال
من هو خلف صدق بفتح اللام وخلف سوي سكونها فاكتر ما يقال بالمدح بفتح اللام وفي الذم
بسكونها وقد تحرك في الذم وتشكر في المدح قال احسان بن ثابت في المدح
لنا القدم الاولى اليك وخلفنا **لاولنا** في طاعة الله تابع
فسكن اللام في قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال لبيد في الذم
ذهب الذين بعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجدا لاجرب
فسكن اللام وهو يريد الذم واصله من الفساد يقال خلف اللين اذا فسد وتغير في السقا
ويقال للردى من القول خلف وخلف الشيء تغير ومنه خلوف فخر الصائم والمعني جامن بعد
ها ولا الذين وصفناهم خلف والخلف الغش الذي يحجب بعد قرن كان قبله **ورثوا الكتاب**
يعني اتقل اليهم الكتاب عن ابايهم والمراد بالكتاب التوراة **ياخذون عرض هذا الاذني**
العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر باكل منها البر والقاجر
والعرض بسكون الراء جميع المال سوي الدرهم والدنانير والمعني انهم كانوا ياخذون الرشي
في الاحكام وعلى تدليل الكلام وتغييره وذلك الذي ياخذونه من حطام الدنيا هو الشيء
الثافه الخسيس الحقير لان الدنيا باسرها فانية حقيرة والراغب فيها احقر منها فاليهود
ورثوا التوراة وعلوا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوه واخذوا الرشي في الاحكام **وكان**
انه حرام ثراهم مع اقدارهم على هذا الذنب العظيم واصرارهم عليه يقولون سيغفر لنا
يعني ذنوبنا فيتمنون على الله الاما في الباطلة الكاذبة عن شراد بن اوسان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع
نفسه هو اها وتني على الله اخرجهم الترمذي وقال في قوله صلى الله عليه وسلم دان
نفسه يعني كاسبها في الدنيا قبل ان تحاسب يوم القيامة وموضع الاستشهاد ومن
الحديث على الآية قوله وتني على الله لان اليهود كانوا يقدمون على الذنوب **ويقولون سيغفر**
لنا وهذا هو التمني بعينه وقوله تعالى **وان يا ايتهم عرض مثله ياخذون** هذا اخار
عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعني انهم اذا اتاهم شيء من الدنيا اخذوه
اخذوا **حلالا** كان او حراما ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغدثلة قال السدي كانت
بنوا اسرائيل لا يستقضون قاضيا الا ارتشي في الحكم فيقال له مالك ترتشي فيقول
سيغفر لي فيطعن عليه الاخرون فاذا مات او نزع من الحكم جعل مكانه اخر
من كان يطعن عليه ارتشي ايضا يقول الله عز وجل وان يات الاخرين الدنيا ياخذوه
الم يؤخذ عليهم سباق الكتاب يعني الم يؤخذ على ها ولا المرتشين في احكامهم اليهود والنصارى
في الكتاب وهو التوراة **الا يقولوا اعط الله الحق** يعني انا اخذنا عليهم الميثاق على ان
يقولوا

يقولوا الحق فقالوا الباطل وخالفوا امر الله وهو قولهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ **و**
والتقديع لليهود في ادعائهم على الله الباطل قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غفران
ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها **ودرسوا ما فيه** يعني ما في الكتاب والمعني
انهم ذكروا لما اخذ عليهم من العهود والواثيق في الكتاب لانهم دارسون له لم يتركوه ولكن
درسوه وضيعوا العمل به **والدار الاخرف** يعني وما في الدار الاخرة ما اعد الله لوليائه
واهل طاعته العالمين بما امرهم الله به في كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتسوا في
الاحكام **خير للذين يتقون** يعني يتقون عقابه **افلا يعقلون** يعني افلا يعقل اهل
الكتاب ها ولا الذين يرضون بعرض الدنيا ان ما في الاخرة خيرا وبقي لانها دار المتقين **والذين**
تمسكون بالكتاب يقال تمسكت بالشيء وتمسكت به واستمسكت به وتمسكت به والمراد
بالتمسك بالكتاب العمل بما فيه واحلال حلاله وتخبر بحرامه واقامة حدوده والتمسك باحكامه
نزلت هذه الآية في الذين اسلموا من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه لانهم تمسكوا
بالكتاب الاول ولم يحرفوه ولم يغيروه فاذا هم ذلك التمسك الى الايمان بالكتاب الثاني وهو
القران **واقاموا الصلاة** يعني وداوموا على اقامتها في مواقيتها وانما افرد بها بالذكر وان
كانت الصلاة داخلية في التمسك بالكتاب تنبيهها على عظم قدرها وانما من اعظم العبادات بعد
الايمان بالله ورسوله **انا لا نصنع اجرا للمحسنين** قوله عز وجل **واذ نتقنا الجبل فوقهم**
كانه ظلة يعني واذ كرنا به واذ قلنا للجبل فرغناه فوق بني اسرائيل كانه ظلة يعني جعلناه
فوقهم كالظلة والظلة كلما علا الانسان كالستف ونحوه **وظنوا** يعني وعلموا وايقنوا **انته**
واقعهم يعني الجبل **خذوا** يعني وقلنا لهم خذوا واضمار القول كثير في القران وكلام العرب
ما اتيناكم يعني في التوراة **بقوة** يعني بمجد واجتهاد **واذ كروا ما فيه** يعني واعلموا بما فيه
من الاحكام **تتقون** قال اصحاب الاخبار ان بني اسرائيل لما ابوا ان يقبلوا احكام
التوراة لما فيها من النكاليف الشاقة امر الله جبريل فرفع جلا عظيما حتى صار على رؤسهم
كالظلة فلما نظروا الى الجبل فوق رؤسهم خروا ساجدين فحمد كل واحد على خده وحاجبه الا يبر
وجعل ينظر بعينه اليهم الى الجبل خوفا ان يسقط عليه وكذلك لا يحمد اليهود الا على شئ
وجوهم اليسري قوله تعالى **واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم**
انفسهم الشئ **ترى كلامه** الآية عن مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب سئل عن قوله
تعالى **واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم** الآية قال سئل عنها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بميمينه فاستخرج منه ذرية
فقال خلقت هؤلاء الجنة ويعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال
خلقت هاؤلاء النار ويعمل اهل النار يعملون فقال رجل يرسول فقيم العمل فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال
اهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل
من اعمال اهل النار فيدخل النار اخرجته مالك في الموطا وابوداود والترمذي وقال
حديث حسن وسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الاسناد بين مسلم بن يسار

الذين يتقون

عليه

وعمر رجلا قلت ذكر الطبري في بعض طرق هذا الحديث الرجل فقال عن سلم بن يساف عن محمد بن
ربيع عن عمر بن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة فجعل
بين عيني كل إنسان وبياض ما بين عيني فقال آدم فقال أي رب من هاهنا ولا قال هو ذريتك أي
رجلا منهم فاعجبه وبياض ما بين عيني فقال أي رب من هاهنا ولا قال هو ذريتك أي
قال ستين سنة فقال أي رب زاده من عمري أربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
انقضى عمر آدم الأربعين جاء ملك الموت فقال آدم أولم يبق من عمري أربعين قال أولم تقطعها
ابنك داود فجاءه فحدث ذريته ونبي آدم فاكل من الشجرة ففسدت ذريته وخطي خطيت
ذريته أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فاما تفسير الآية فقولته تعالى وإذا أخذ
ربك بعبي واذكر يا محمد إذا أخذ ربك من ظهورهم ذريتهم يعني من ظهور بني آدم وإنما لم يذكر
ظهر آدم وإن كان الله أخرج جميع الذرية من ظهره لأن الله تعالى أخرج ذرية آدم وبعضهم
من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الأناس إلا بالذليل قال تعالى من بني آدم من ظهورهم فما تغني
عن ذكر ظهر آدم لما علم أنهم كلهم بنو آدم وأخرجوا من ظهره فترك ذكر ظهر آدم استغناء للعلماء
في تفسير هذه الآية مذهب أحد ما هو مذهب أهل التفسير والأثر وظاهر ما جاءت
به الروايات عن السلف فيها روي عن ابن عباس عن طرق كثيرة وروايات مختلفة رواها
عنه الطبري بأسانيد منها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفه فأخرج من صلبه كل ذرية ذراعه
فشرهم بين يديه كالذئب فكلهم قبلا وقال الست بركم قالوا إلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة
أنا كنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس في هذه قال مسح ركب ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو
خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا الذي وراعه وأخذ ميثاقهم الست بركم قالوا
إلى شهدنا وعن ابن عباس أيضا أن أول ما أهبط الله آدم إلى الأرض أهبطه بدهنا
أرض الهند فمسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو بارها إلى يوم القيامة ثم أخذ عليهم
الميثاق وأشهدهم على أنفسهم الست بركم قالوا إلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة أنا
كنا عن هذا غافلين زادي رواية عنه فحفت القلم عما هو كائن إلى يوم القيامة وفي
رواية عنه قال لما خلق الله آدم أخذ ميثاقه أنه ربه وكتب وزقه وأجله ومصابيه
واستخرج ذريته كالذئب وكتب أجالهم وأزاقهم ومصابيهم وفي رواية عنه قال
أن الله عز وجل مسح صلب آدم فاستخرج كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة وأخذ منهم
الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالأرزاق ثم أعادها في صلبه فلن
تقوم الساعة حتى يولد كل من أعطى الميثاق يومئذ فمن أدرك منهم الآخر فوفى به نفعه
الميثاق الأول على العطرة ومن أدرك الميثاق فلم يفت به لم ينفعه الأول ومن مات
صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على العطرة وروي الطبري
بسند عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا من ظهرهم
كل ما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم الست بركم قالوا إلى شهدنا أن الملائكة شهدنا أن

يقولوا

قال

يقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين وقال **ابن عباس** أخرج ذرية آدم من
ظهرهم فكلمهم الله وانطقهم فقال الست بركم قالوا إلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة
أنا كنا عن هذا غافلين قال الست بركم قالوا إلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة
وقال **السدي** أخرج الله آدم من الجنة ولم يصبه من السما ثم أخرج من صفة ظهره إلى بني
فأخرج منها هبة الدريضا وقال **ابن عباس** أخرج من صفة ظهره إلى بني
فأخرج منها هبة الدريضا فقال **ابن عباس** أخرج من صفة ظهره إلى بني
وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال الست بركم قالوا إلى فاعطاه طائفة طائعين
وطائفة كارهين على وجه البقية زادي رواية وذلك حين يقول وله أسلم من في السماوات
والأرض طوعا وكرها وقال **محمد بن كعب القرظي** إقرله بالإيمان والعرفة الأرواح قبل خلق
أجسادها وقال مقاتل مسح صفة ظهر آدم إلى بني فخرج منها ذرية بيضا هبة الدريضا
ثم مسح صفة ظهره إلى بني فخرج منها ذرية سودا هبة الدريضا فقالوا إلى آدم هو
ذريتك ثم قال لهم الست بركم فقالوا إلى فقال للبياض هاهنا وللجنة برحمتي وهم أصحاب
اليمين وقال للسودا هاهنا وللنار ولا إلى بني فخرج منها ذرية سودا هبة الدريضا
أدم فاهل القبور محبوبون حتى يخرج أهل الميثاق جميعا وروي أن الله تعالى قال لهم جميعا
أعلموا أنه لا اله الا أنا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيئا فاني سأنتقم ممن أشرك
بي ولهم يومئذ واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدتي وميثاقتي وستر عليكم كتابا فتكلموا
جميعا وقالوا شهدنا أنك ربنا لا رب غيرك فآخذ بذلك مواثيقهم فكتب أجالهم
وأزاقهم ومصابيهم فنظر إليهم آدم عليه السلام فزاي منهم الغني والفقير وحسن الصو
ر ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال أي أحب أن أشكر فلما قرروا بتوحيده
وأشهد بعضهم على بعضا أدم إلى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه
الميثاق قال الزجاج وجاز أن يكون الله تعالى جعل لآدم مثال الذر عقلا وهما تعقل به كما
قال في النملة قالت نملة يارب النمل أدخلوا مساكناكم ودكا قالوا وسخرنا مع داود الجبار يسبح
والطير وقال **ابن الأنباري** مذهب أصحاب الحديث وكبرا أهل العلم في هذه الآية
أن الله تعالى أخرج آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم صور الذر وأخذ عليهم الميثاق
أنه خالقهم وأنهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد أن ركب فيهم عقولا
عزوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى خوطبوا بقوله يا جبال أوبى معي وكما
جعل للبحر عقولا حتى سجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك للشجرة حتى سمعت له سره
وانقادا ومعنى قوله الست بركم على هذا التفسير قال الله للذرية الست بركم
فجواب للربوبية عليهم قالوا إلى يعني قالت الذرية إلى أنت ربنا فاجواب منهم له
وأقرار منهم له بالربوبية واعترافهم بالعبودية وفي قوله **شهدنا** قولان
أحدهما أنهم لما أقرؤوا بالربوبية قال الله عز وجل للملائكة أشهدوا قالوا شهدنا على
أفرائهم فعلى هذا القول يحسن الوقوف على قوله تعالى إلى كلام الذرية ثم وانقطع
وقوله شهدنا فلام مستانف والقول الثاني أن قوله شهدنا من كلام الذرية

والمعنى شهدنا على أنفسنا هذا الاقرار وعلي هذا الاصل الوقوف على ما يتعلق به ما بعد
وقوله تعالى **ان يقولوا** فري بالتعليق خطاب الذرية معناه لئلا يقولوا ايها الذرية
انا كنا عن هذا يعني الميثاق عاجلين وفري ان يقولوا بالايان على الغيبة ومعناه لئلا يقولوا
الذرية انا كنا عن هذا عاجلين والمذهب الثاني في معنى هذه الآية وهو مذهب
اهل الكلام والمطارنة تعالى اخرج الذرية وانشأهم بعد ان كانوا مطفاني اصلا بالآباء
وهم اولاد بني ادم فاخرج الذرية الى الدنيا على ترتيبهم في الوجود واشهدهم على انفسهم بما ركبهم
فيهم من العقول واراهم من عجائب خلقه وعزائب صنعته ودلائل وحدانيته فهذا الاشهاد
صاروا كالهم قالوا ايلي واشهدهم على انفسهم انه منهم وذلك بما اظهر لهم من دلائل اياته وبراهينه
التي تضطرهم الي ان يعلموا انه خالقهم وبارئهم ورازقهم ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم
ذلك الى التصديق بوجدانيته وروبيته فقالوا ايلي شهدنا على انفسنا انك انت ربنا وخالقنا
فعلى هذا القول يكون قولهم على شهدنا على انفسنا على المجاز لا على الحقيقة وهذا النوع من
المجاز والاستعارة مشهورة في كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد اخذ عليه الميثاق بما
جعل فيه من السبب الذي به يؤخذ الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى الآية
واذ ياخذ ربك من بني ادم ويشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به
الفهم والتكليف ويترتب على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيامة فان قلت فالاحتار
من هذين المذهبين في تفسير هذه الآية قلت المذهب الاول هو المختار
لانه مذهب للجمهور والمفسرين من السلف وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه
وسلم فان قلت اذا كان المختار في تفسير هذه الآية هو مذهب السلف في ذلك وان
الله اخرج الذرية من ظهر ادم لاخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث ايضا فكيف يحمل
تفسير الفاظ هذه الآية على هذا القول قلت قد صح الحديث بان الله مسح ظهر ادم فاخرج
ذريته واخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الآية والحديث كما تقدم في تفسير الفاظ
الآية من الله اخرج ذرية ادم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما في الخارج
وكلامهم باجمعهم من ظهر ادم الذي هو اصلهم فهذا الطريق امكن الجمع بين الآية
والحديث اذ ليس في معنى الفاظ الآية ما يدل على بطلان ذلك وتقيده وقد ورد
الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير اليه والاخذ به جمعا بين الآية والحديث
وحكي الواحد عن صاحب النظم انه قال ليس بين قوله صلى الله عليه وسلم ان الله مسح
ظهر ادم فاخرج منه ذريته وبين الآية اختلاف بخلاف ما ذهب اليه لانه تعالى اذا اخرجهم من
ظهر ادم فقد اخرجهم من ظهور ذريته لان ذرية ادم ذرية كذرية بعضهم من بعض
قال وحصل الغاية من هذا الفصل انه تعالى اثبت الجنة على كل منفوس من بلغ ومن لم
يلبغ بالميثاق الذي اخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم الجنة بالآيات والدلائل التي
نص بها بالرسالة المنفذة اليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ وقال غيره فايده
اخذ الميثاق عليهم في العدم ان من مات منهم صغيرا دخل الجنة باقراره بالميثاق
الاول وعلى هذا قول من يقول ان اطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا

صفارا

صغاراً فاما من لم يحكم لهم الجنة فانه يقول من كان من اهل الشقاوة من الذرية السوداء
وانما افروا بالمعرفة كرها فلم يرغب عنهم ذلك شيئا ومن بلغ وعقل لم يرغب عنه افرازه بالميثاق
الاول شيئا حتي يوم ويصدق عند بلوغه وعقله بان ربه وخالقه ويصدق رسله فيما
كنا وابه من عنده وانما فعل ذلك لئلا يقول الكفار اننا كنا عن هذا الميثاق او الايمان بان الله
ربنا غافلين او لئلا يقول اخلافتهم انما اشرك ابائنا ونحن نسير على اثارهم فلنا منهم ان الحق
ناكوا عليه فان قلت ذلك الميثاق لا تذكره احد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم
وكيف يذكرونه يوم القيامة حتي يحجج عليهم به قلت لما اخرج الذرية من صلب ادم
ركب فيهم العقول واخذ عليهم الميثاق فلما اعيدوا الي صلب ادم بطل ما ركب فيهم
فتوالدوا ناسين لذلك الميثاق لاقتضا الحكمة الالهية نسيانهم له ثم ابتداهم الخطاب
على السنة الرسل واصحاب الشرايع فكان ذلك مقام الذكر اذ الدار اذ انكليف
واستحسانهم ولم ينسونه لاشتت الحجة المحنة والابتلاء والتكليف فقامت الحجة عليهم
لامدادهم بالرسول واعلامهم بحجرات اخذ الميثاق عليهم وبذلك قامت الحجة عليهم ايضا
يوم القيامة لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق في الدنيا من انكره كان معاندا ناقضا
للعهد ولزمتهم الحجة ولا تستفط الحجة عليهم بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار الصادق
صاحب الشرع والمعجزات الماهرات وقوله تعالى **اَوْ يَتُوبُوا** يعني الذرية
اِنَّمَا اشْرَكَ اَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ يعني انما احدث الميثاق عليهم لئلا يقول المشركون انما اشرك
ابائنا من قبل **وَكَاذِبَةٌ مِنْ تَحْتِهِمْ** يعني وكنا ابتاعناهم فافتديناهم في الشرك **اَفْتَهْلِكُنَا**
يعني افتعذبنا **فَعَلِ الْمُنَظِّلُونَ** قال المنسرون هذا قطع لعذر الكفار فلا يستطيع
احد من الذرية ان يقول يوم القيامة انما اشرك ابائنا من قبلنا ونقضوا العهد
والميثاق وكنا نحن الذرية من بعدهم فنقدناهم وافتديناهم وكنا نبي غفلة عن هذا
الميثاق فلا ذنب لنا فلا يمكنهم ان يحقوا بمثل هذا وقد اخذ عليهم جميعا الميثاق وحام
الرسول وذكرهم به وثبتت الحجة عليهم بذلك اليوم القيامة واما الذين حملوا
معني الاية علي ان المراد منه مجرد نصب الدلائل وهو مذنب اهل النظر قالوا معناه
ان الله نصب هذه الدلائل واظهرها للعقول لئلا يقولوا انما اشركنا على سبيل
التقليد لا باينا لان نصب ادلة التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه
والاقتبال علي تقليد الابائي الشرك وقوله تعالى **وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْاَيَاتِ** يعني ليتدبرها
العباد فيرجعوا الي الحق والايمان ويعرضوا عن الباطل والكفر وهو المراد من قوله
وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ يعني من الشرك الي التوحيد وقيل معناه ولعلمهم يرجعون الي الميثاق
الاول فيذكرونه ويتهلوا بموجبه ومقتضاه قوله عز وجل **اِنَّهُمْ عَلِيمٌ** يعني واقدا
علي قوميك يا محمد **بَيِّنَاتٍ** يعني خبر الذي **اَشْتَبَاهُ اَبَائُنَا** اختلفوا فيه فقال ابن عباس هو
بقام بن باعور او قال مجاهد هو بعام بن عامر وقال عبد الله بن مسعود هم بلعم
ابن ابر قال عطية قال ابن عباس انه كان من بني اسرائيل وفي رواية اخرى عنه
انه كان من الكنعانيين من بلد الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة البلقاء وكانت

قصته على ما ذكره ابن عباس ومحمد بن اسحاق والسدي وغيرهم من اصحاب الاخبار والسير
قالوا ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين تزل ارض كنعان من ارض الشام التي قوم بلعام
وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل جديد وان معه جنودا كثيرة وانه قد اجبرنا
من بلادنا وبقبلتنا ونحلبها بني اسرائيل وانت رجل مجاب الدعوة فاجزج وادع الله ان يردم عنا
فقال ويحكم بني الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف ادعوا عليهم وانا اعلم من الله ما اعلم واني
ان فعلت هذا ذهبت دنيائي واخوتي فراجعوا والحو عليه فقال حتي او امر ربي وكان
لا يدعوني بومر به في المنام فاني في المنام ففعل له لا تدعوا عليهم فقال لقومه اني قد و امرت
ربي فنهاي ان ادعوا عليهم فاهدوا اليه هدية فقبلها وراجعوه فقال حتي او امر ربي فواسر
فلم يخ اليه فيه شي فقال قد و امرت ربي فلم يخ شي فقالوا له لو كره ركب ان تدعوا عليهم لنهاك
كانها كاول مرة فلم يزلوا يتضرعون اليه حتي فتنوه فافتت فركب اتانا له متوجها الي جبل
يطلعه علي عسكر بني اسرائيل فقال لذلك الجبل جيل حسان فلما سار علي اتانه علي عبيد رخصت
فتراد عنها وضربها فقامت فركبها فلم تسرب كثيرا حتي رخصت فضرها حتي ادلقها فاذا
الله عز وجل لها في الكلام وانطقها فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعام ان تدري ان تذهب
الا تري الملائكة اما هي يردوني عن وجهي هذا ويحك اتذهب الي بني الله والمؤمنين قد دعوا
عليهم فلم ينزع فخالي الله سبيل الاتان فانطلقت به حتي اذا اشرفت به علي جبل حسان ومعه
قومه فجعل يدعوا عليهم فلم يدع عليهم بشي الا صرف الله لسانه الي قومه ولا يدعوا لقومه
خير الا صرف الله به لسانه الي بني اسرائيل فقال له قومه يا بلعام ان تدري ما نصنع انا ندعو
لهم وتدعوا علينا فقال هذا ما لا املكه هذا شي قد غلب الله عليه وان دلع لسانه فوقع علي
صدره فقال لقومه قد ذهبت من الدنيا والاحرة ولم يبق لي الا المكرو الحيلة فسامكركم
واحتال شرقا وجملا والنساء وبنوهن واعطوهن من السلع ثرا ساوهن الي عسكر بني اسرائيل
ليبعنهن عليهم ومروهن ان لا تمنع امرأة نفسها من رجل ارادها فانه ان زني رجل منهم
بواحدة منكم فليمنوهم ففعلوا ذلك فلما دخلوا النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين
اسمها كستي بنت صور علي رجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن شلوم وكان راس
سبط شمعون بن يعقوب فقام الي المرأة واخذ بيد ها حين اعجبها جمالها ثم اقبل بها
حتي وقف علي موسى عليه السلام وقال اني لا ظنك تقول هذه حرام عليك فقال اجلي
حرام عليك لا تقدرها قال والله لا نطيعك في هذا ثم دخلها الي قبته فوقع عليها فارسل
الله عز وجل الطاعون الي بني اسرائيل في ذلك الوقت وكان فنجاص بن العيزار بن
هارون وهو صاحب امر موسى وكان رجلا فظا قد اعطي بسطة في الخلق وقوة
البطش وكان غاييا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع فجا والطاعون يحوش علي
بني اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حريته وكانت من جديد كلها ثم دخل عليها القبة
وها منتضا جعان فطعنهما بحريته فانتظما ثم خرج بها وهو رافعا الي السماء وقد
اخذ الحربة بدراعه واعتد بمرافقه علي خاصرته واسند الحربة الي حميمته وكان
بكر العيزار او جعل يقول اللهم هكذا تفعل بمن عصاك ورفع الطاعون عن بني اسرائيل

حسب

حسب من مات منهم في ذلك فيما بين ان اصاب ذلك الرجل المرأة التي قتله فنجاص فوجدوا قد هلك
سبعين الفا في ساعة واحدة من النهار فمن هناك يعطي بنو اسرائيل لولد فنجاص من كل
ذبيحة يدعونها القبة والذراع والحي لا عتاده بالحرية علي خاصرته واخذ اياها بدراعه
واسناده اياها الي حميمته ويعطوهم البدر من كل امواله لانه كان بكر العيزار وفي بلعام انزل
الله عز وجل واتل عليهم نبأ الذي اتينا الاية وقال مقاتل ان ملكا بلقا قال لبلعام
ادع الله علي موسى فقال بلعام انه من اهل ديني لا ادعوا عليه فنصب له خشبة ليصلبه
عليها فلما راي ذلك خرج علي اتان له ليدعوا علي موسى فلما غاب عسكرهم قامت به الاتان
ووقعت فضرها فقامت لم تضرب في فاني مامورة وهذه نار اماي قد منعتني ان اشفي
فرجع الي الملك فاخبره بذلك فقال لتدعون عليه او لا صلبتكم فدعا علي موسى بالاسم
الاعظم ان لا يدخل المدينة فاستجب له ووقع موسى ومن معه من بني اسرائيل في التيه
بدع بلعام عليه فقال موسى يرب باي ذنب وقعت في التيه قال بدع بلعام قال انكم سمعت
دعاه علي فاسمع دعاه عليه فدعا موسى عليه ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايان فترج الله
منه المعرفة وسلحه منها فخرجت من صدره كحامة بيضا فذلك قوله تعالي اتينا
اياتنا فانسح منها قلت هذه القصة ذكرها جماعة من المفسرين وفيها ان موسى دعا
علي بلعام بان ينزع عنه الاسم الاعظم والايان فان قلت كيف يجوز لموسى عليه
السلام مع علم منصبه في النبوة ان يدعوا علي انسان بالكفر بعد الايمان او يرضي له
بذلك قلت الجواب من وجوها عدة منها صحة هذه القصة لانها من الاسرايليات
ولا يلتفت الي ما سطر اهل الاخبار اذا خالف الاصول الوجه الثاني ان سبب
وقوع بني اسرائيل في التيه هو عبادتهم العجل او قولهم لموسى عليه السلام اجعل لنا
الها فكان ذلك هو سبب وقوعهم في التيه لادعوا بلعام عليه **الوجه الثالث** علي
تقدير صحة هذه القصة وان موسى عليه السلام دعا علي بلعام ان يدعو موسى عليه السلام
يدع الا بعد ان ثبت عنده ان بلعام كفور ارتد عن الايمان بدعاه علي موسى واثاره الحيوة
الدنيا فدعا عليه مقابله لدعاه عليه والله اعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من
ذلك تنزيه منصب النبوة عما ينقله اصحاب الاخبار في كتبهم من غير نظر فيه ولا
محتش بعينه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب ويريد بن اسلم زلت
هذه الاية في امية بن ابي الصلت التثني كانت قصته انه قد اقر الكتب كان
القديمه وعلم ان الله مرسل رسول فرجا ان يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد
صلي الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان امية صاحب شعر
وحكمة وموا عظ حسة فقصد بعض الملوك فلما رجع مر علي قتيل بد رفسا اعظم فقبل
له قتله محمد فقال لو كان نبيا ما قتل اقرباه فلما مات امية انت اخته فازعة الي رسول
الله صلي الله عليه وسلم فسأها رسول الله صلي الله عليه وسلم عن وفاة اخيه فقالت بينا
هو راقد اتاه اثنا فلشفتا سقف البيت وتلا فقعد احدهما عند راسه والاخر
عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند راسه او عي قال وعي قال اني قال

لا يلتفت الي ما سطر
اهل الاخبار اذا
خالف الاصول

م

ابن مسالته عن ذلك فقال خير اريد في تصرف عني شر عني عليه فلما افاق من غشيته قال
كل عيش وان تطاول دهره صابرة الى ان يزولا
ليتي كيت قبل ما قد منه الي في قلا الجبال اربع الوعلا
ان يوم الحساب يوم عظيم شاب فيه الصغير يوما ثقيلا
ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدني من شعر اخيك فانشده بعض قصائد
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شعره وكفر قلبه فانزل الله عز وجل واتل عليهم
نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها الآية وفي رواية عن ابن عباس انها نزلت في البسوس
وهو رجل من بني اسرائيل وكان قد اعطى ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امرأة ثيبا
اولا وفعالت له اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة فما تريد بن قالت ادع الله ان
يجعلني اجمل امرأة في بني اسرائيل فدعاها فصارت اجمل النساء فلما علمت انه ليس في ثيبا
اسرائيل مثلها رغبت عنه فغضب ودعا عليها فصارت كلبية نباحة قد هبت فيها
دعوتان فجاوبوها الي ابيهم وقالوا ليس علي هذا الامر قرر قد صارت امنا كلبية نباحة والثا
يعبرونا بذلك فادع الله ان يردنا الي حالها الاول فدعا الله فعدت كما كانت فذهبت
فيها الدعوات جميعا والقولان الاولان اشهر وقال الحسن وابن كيسان نزلت في منافي
اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم ببعته وصفته كما يعرفون اباهم
شانكروه وقال قتادة هذا مثل ضرب به الله لمن عرض عليه الهدي فلم يقبله وقوله تعالى
اتيناه اياتنا قال ابن عباس كان يعلم اسم الله الاعظم وقال ابن زيد كان لا يسال الله شيئا الا اعطا
وقال السدي كان يعلم اسم الله الاعظم وفي رواية اخري عن ابن عباس انه اوتي كتابا وقل
ان الله اتاه حجة وادلتة وهي الايات التي اوتيتها **فانسلخ منها** يعني تخرج من الايات
التي كان الله اتاه اياها كما تنسلخ الحية من جلدها وقال ابن عباس منزع العلم **فاتبته**
الشيطان يعني لحقه وادركه وصيره الشيطان لنفسه تابعا في معصية الله وخالف
امرربه ويطيع الشيطان وهو **فكان من الغاوين** يعني من الهالكين الضالين بما
خالف ربه واطاع هواه وشيطانه وقوله تعالى **ولو شئنا لرفعناه بها** يعني رفعنا
درجته ومنزلته تلك الايات التي اوتيتها وقال ابن عباس لرفعناه بعملها وقال
مجاهد وعطاء معناه ولو شئنا لرفعناه عنه الكبر وعصمناه بالايات **ولكنه اخذ**
الي الارض يعني ولكنه سكن الي الدنيا وما لا اليها ورضي بها واصله من الخلود وهو
الدوام والمقام والارض هنا عبارة عن الدنيا لان الارض عبارة عن المغاور والقفار
وفيها المدن والضياع والمعادن والنبات ومنها يستخرج ما يعاش به في الدنيا
قاله نياكلها هي الارض **واستبح هواه** يعني انه اعرض عن التمسك بما اتاه الله من
الايات واتبع الهوي فخرس دينه واجزته ووقع هاوية الردي والهلاك وهذه
الاية من اشد الايات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس
ويتبعون الهوي وذلك لان الله عز وجل خسر هذا الرجل باياته وحكمته وعلمه اسه
الاعظم وجعل دعاه مستجابا ثمرانه لما اتبع هواه وركن الي الدنيا ورضي بها عوضا عن

الآخرة

عجيب

بلغ مقام

الآخرة فترع عنه ما كان اعطيه وانسلخ من الدين فخرس الدنيا والآخرة ومن الذي يسلم من
الميل الي الدنيا واتباع الهوي الامن عصمه الله بالورع وثبته بالعلم وبصره بعيوب نفسه
عن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذيبا نجا يقات
ارسلا في غم باقصد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه اخرجته الترمذي ثم
ضرب الله عز وجل مثلا لهذا الرجل الذي اتاه اياته فانسلخ منها واتبع هواه فقال تعالى
فمثل الكلب ان نحمل عليه لثا او تركه لثا يقال لث الكلب يلث اذا دلع
لسانه من العطش وشدة الحر وعند الاعيان والتعب وهذا مثل ضرب به الله عز وجل لمن
اتاه اياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع هواه وترك اخرته واثرونها باخر الحيوانا
وهو الكلب في اخر احواله وهو اللث لان الكلب في حال لثته لا يقدر على نفع نفسه ولا
منها كدلك العالم الذي يتبع هواه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضره في الآخرة لان
التشبيه علي انه يلث علي كل حال ان حملت عليه او تركته كان لا هتاف ذلك عادة منه
وطبيعة وهو موطنه علي اللث دائما فكذلك من اتاه الله العلم والدين واغناه عن
التعرض لحطام الدنيا الخسيسة ثمرانه مال اليها وطلبها كانت حاله كمال الكلب اللث
وقيل ان العالم اذا توصل الي طلب الدنيا فانه يظهر علومه عند اهلها ويدلح لسانه
في تقدير تلك العلوم ويباهيها وذلك لاجل ما يحصل عنده من حرارة الحرص وشدة العطش
الي لغوت مطلوبة من الدنيا فكانت حاله شبيهة بحالة الكلب الذي ادلح لسانه من اللث
في غير حاجة ولا ضرورة ومعني ان نحمل عليه يلث او تركه يلث اي ان شددت عليه
واهتجت لث او تركته علي حاله لث لان اللث طبيعة اصلية فيه فذلك حال الحرص
علي الدنيا ان وعظته فهو حرص لا يقبل الوعظ ولا يجمع فيه وان تركته ولم يقظ فهو
حرص ايضا لان الحرص علي طلب الدنيا صار طبيعة له لا رمة كما ان اللث طبيعة لازمة
للكلب **ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا** يعني ان المثل الذي ضربناه للذي اتيناه
اياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا باياتنا نعم هذا المثل جميع من كذب بايات الله
ومجدها فوجه التشبيه بينهم وبين الكلب اللاهث انهم ان جاءهم الرسل ليهدوهم فلم يهتدوا
وان تركوا فلم يهتدوا ايضا بل هم في ضلال في كل حال ثم قال تعالى **فانقصر القصص** وهذا خطأ
لنبي صلى الله عليه وسلم يعني فانقص القصص لمجد علي قومك اخبار من كذب بايات الله **فكلمتم**
يتفكرون يعني فيتفكرون وقيل هذا المثل للكفار مكية وذلك انهم كانوا يمتنون هاديا
يفداهم ويدعوهم الي طاعة الله فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم الي الله والاطاعة عنه
وهم يعرفونه ويعرفون صدقه فكدبوه ولم يقبلوا منه ثم قال تعالى **فكلمتم**
كذبوا باياتنا يعني يمس مثل القوم الذين كذبوا باياتنا **وانفسهم كانوا يظلمون**
يعني يتكذبون باياتنا قوله عز وجل **من يهدي الله فبالحق** يعني من يرشده الي دينه
فهو المهتدي وقيل معناه من يتول الله هدايته وارشاده فهو المهتدي **ومن يضل**
يعني ومن يتول الضلالة **فاللهم الخاسرون** يعني في الآخرة وفي الاية دليل على ان
الله تعالى هو الهادي للضل **واللهم** يعني خلقنا **لجنتهم** كثير من الحق والاشد اخبر

غيرم

الله انه خلق كثيرا من الجن والانس والنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة ومن خلقه الله النار فلا حيلة له في الخلاص منها واستدل البغوي على صحة هذا التأويل بما رواه عن عائشة قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت برسول الله طوي لهذا عصقور من عصافير الجنة لم يجعل السور ولم يدركه فقال او غير ذلك يا عائشة ان الله خلق الجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلااب ابايهم وخلق النار اهلا خلقهم لها وهم في اصلااب ابايهم اخرجهم مسلم قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم اجمع من يعتد به من علماء المسلمين ان من مات من اطفال المسلمين فهو من اهل الجنة لانه ليس يكلفا وتوقف فيه بعض من لا يعتد به لحديث عائشة هذا واجاب العلماء عنه بانه لعلة صلى الله عليه وسلم فهاها عن المشاركة الى القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما انكر علي سعيد ابن ابي وقاص اعطاه اني لاراه مومنا فقال او سلم الحديث ويحتل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم ان اطفال المسلمين في الجنة فلما علم قال ذلك واما اطفال المشركين فقيم ثلاثة مداهب قال الاكثر منهم في النار تبعها ابايهم وتوقف طائفة منهم وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ويستدل به باشيائها حديث ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله اولاد النار قالوا يا رسول الله واولاد المشركين قالوا واولاد المشركين رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا معدين حتى يبعث رسولا ولا يتوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والله اعلم وفي الآية دليل وحجة واضحة لذهب اهل السنة في ان الله خلق اعمال العباد جميعها خيرا وشرا لان الله بين بصريح اللفظ انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار ولا يريد علي بيان الله عز وجل لان العاقل المختار لنفسه دخولا النار فلما عمل ما يوجب عليه دخولا النار به علم ان له من يضطره الى ذلك العمل الموجب لدخول النار وهو الله عز وجل وقيل اللام في لجهنم للغاظة اي عاقبتهم جهنم ثم وصفهم فقال تعالى **لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ** يعني لا يفهمون بها ولا يعقلون بها واصل الفقه في اللغة الفهم والعلم بالشيء فصار علما على اسم العلم في الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل يفقه فهو فقيه اذا فهم ومعنى الآية لهم قلوب لا يفقهون بها في آيات الله ولا يتدبروها ولا يعلمون بها الخير والهدى لا عراضهم عن الحق وتركهم قبوله **وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ** يعني لا يبصرون بها طريق الحق والهدى ولا ينظرون بها في آيات الله وادلة توحيد **وَلَهُمْ آذَانٌ لَا تَسْمَعُونَ** يعني لا يسمعون ايات القرآن ومواعظه فيعتبرون بها قال اهل المعاني ان الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولهم اعين يبصرون بها المربيات واذ ان يسمعون بها الكلام وهذا لا يشك فيه ولما وصفهم الله عز وجل بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس الماركة علم بذلك ان المراد بذلك يرجع الى مصالح الدين وما فيه تنهم في الآخرة وحاصل هذا الكلام انهم مع وجود هذه الحواس لا يفتقنون بها فيما ينفعهم في امور الدين والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا يصلح له

والثالث

ومنه

ومنه قول الشاعر وعور الكلام ضمنت عنها واي ان اشأها سميع فانه اشبه له صمم مع وجود السمع قال مجاهد لم يفتقروا بها شيئا من امر الآخرة ولم اعين لا يبصرون بها الهدى ولهم اذان لا يسمعون الحق فترضب لم مثلا فقال تعالى **أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ** يعني ان الذين ذراهم لجهنم وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية انهم كالانعام وهم البهائم التي لا تفهم ولا تعقل وذلك لان الانسان وسائر الحيوانات مشاركون في هذه الحواس الثلاث التي هي القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان على سائر الحيوان بالعقل والادراك والفهم المؤدي الى معرفة الحق من الباطل والخير والشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التي لا تدرك شيئا فقال تعالى **لَهُمْ قُلُوبٌ أَفْئُتٌ** يعني بل ان الكفار اضل من الانعام لان الانعام لم تخط القوة العقلية والانسان قد لا يعرف ذلك فصار اضل من الانعام ولان الانعام لم تخط القوة العقلية والانسان قد اعطيهما فاذ لم يستعمل العقل فيما ينفعه صار اضر حال من الحيوان وقيل ان الانعام مطبوعة لله عز وجل والكافر غير مطبوع لله عز وجل فصارت الانعام افضل منه ثم قال الله تعالى **أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ** يعني عن ضرب هذه الامثال لم قوله تعالى **وَاللَّهُ أَسْمَاءُ الْخَيْرِ** قال مقاتل ان رجلا دعي الله في صلاته ودعا الرحمن فقال بعض شدي مكة قال ابن الجوزي هو ابو جهل ان يدا واصحابه يزعمون انهم يعبدون ربوا واحدا فبال هذا يدعوا اثنين فآثر الله هذه الآية والله اسما الحسي والحسي تانيث الاحسن ومعنى الآية ان اسما الله المقدسة كلها حسي وليس المراد ان فيها ما ليس بحسن والمعنى ان اسما الحسي ليست الله لان هذا اللفظ يفيد الحصر وقيل ان اسما الفاظ الالة على معاني فهي انما تحسن بمعانيها ولا يعي الحسن في حق الله تبارك وتعالى لاذكر بصفات الكمال ونفوذ الجلال وهي محصورة في نوعين احدهما عدم اقتناع الي غيره الثاني اقتناع غيره اليموانه هو السمي بالاسما الحسي **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة والله وترحب الوتر وفي رواية انه من احصاها وفي رواية اخرى لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحد لا يحفظها احد الا دخل الجنة وهو وترحب الوتر قال البخاري احصاها حفظها وفي رواية الترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرفع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المحيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي المهيمن المحصي المبدي المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواحد الماجد الواحد الصمد القادر المقدر المقدم المؤخر الاول الاخر الظاهر الباطن الوالي المتعال البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المعني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور

قال **الترمذي** حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا تعرفه الا من حديث صفوان
ابن صالح وهو ثقة عند اهل الحديث قال وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسماء التي في هذا الحديث
قال ابن الاثير في رواية ذكرها رزين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله والله الاسماء
الحسنى فادعوه بها وروا الذين يحدون في اسماء يجزون ما كانوا يعملون فقال ان الله
تبارك وتعالى تسعة وتسعون اسما الحديث قال الشيخ جبي الدين النواوي رحمه الله اتفق
العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمايه سبحانه وتعالى وليس معناه انه ليس
له اسم غير هذه التسعة والتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة والتسعين
اسما من احصاها دخل الجنة باحصابها لا الاخرى بحصر الاسماء ولهذا جاء في الحديث
الاخر اسما لك بكل اسم سميت به نفسك او استأذنت به في علم الغيب عندك وقد ذكر لفظ
ابوبكر بن العربي المالكى عن بعضهم ان الله الف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله
صلى الله عليه وسلم احصاها دخل الجنة تقدم فيه قول البخاري ان معناه حفظها وهو
قول اكثر المحققين وبعضهم الرواية الاخرى من حفظها دخل الجنة وقيل المراد من
الاحصا اي عدّها في الالهام وقيل معناه من اطاعتها واحسن المراعات لها والمحافظة
عليها ما تقتضيه وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معنى احصاها احضر
بها عند ذكره معناها وتكرارها في يد لولها معتبرا مستدرا ذكر اراغب اراهبا معطالها
ولسماها ومقدسا لذات الله سبحانه وتعالى وانه تحطربا له عند ذكر كل وصف اسم
الوصف الدال عليه وقوله تعالي ان الله وتر يحب الوتر الوتر الفرد ومعناه في وصف
الله تعالي انه الواحد الذي لا شريك له ولا نظير وفيه تفصيل الوتر في الاعمال لان
اكثر الطاعات وتر وفيه دليل على ان اشهر اسمائه سبحانه وتعالى الله لا صفة الاسماء اليه
فيقال الروف والكرم والطيف من اسماء الله ولا يقال من اسماء الروف والكرم و
اللطيف الله وقد قيل ان لفظة الله هو الاسم الاعظم قال **ابو القاسم القشيري**
فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غير لكانت الاسماء لغير لقوله تعالي والله الاسماء
الحسنى قال الامام فخر الدين حلت الآية على ان الاسم غير المسمى لانه تعالى على ان اسماء الله
كثيرة لان لفظ الاسماء لفظ الجمع وهي تفيد الثلاثة فما فوقها ثبت ان اسماء الله كثيرة ولا
شك ان الله واحد فلزم القطع بان الاسم غير المسمى وايضا قوله والله الاسماء الحسنى يقتضي
اضافة الاسماء الى الله واضافة التي الى نفسه محال وقال **غيره** الاسم عبارة عن اللفظ
الدال على الشيء المسمى به فهو غير وقال **اهل اللغة** انما جعل الاسم تنويها على المعنى لان
المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم لان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف
ذات الشيء والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر قال **العلماء** ويجب
تنزيه الله عن جميع النقايص فكذلك يجب تنزيه اسمائه ايضا وقوله تعالي **فادعوه بها** يعني
ادعوا الله باسمائه التي سمى بها نفسه واسماءها وسوله ففيه دليل على ان اسماء الله تعالي
توقيفيه لا اصطلاحية وما يدل على صحة هذا القول وبوكده انه يجوز ان يقال

يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سمي ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا عاقل ويجوز ان يقال يا حكيم
ولا يجوز ان يقال يا طبيب ولله عاشر ايط منها ان يعرف الداعي معاني الاسماء التي يدعوا
بها ويستحضر في قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى وتخلص النية في دعائه مع كثرة
التعظيم والتجمل والتقدير لله تعالي ويعزم المسئلة مع رجا الاجابة ويعترف لله عز وجل
بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء وكان له اثر
عظيمة وقوله تعالي **وذكرنا الذين يجذون في اسمائه** يعني الالحاد في اللغة الميل عن
القصود والكلفة والعدو وعن الاستقامة وقال ابن السكيت المحدث العادل عن الحق المدخل فيه
ما ليس منه يقال للمدعي في الدين الحاد اذا عدل عنه وما لا يغيره قال المحققون الالحاد يقع في
اسماء الله على وجه احدها اطلاق اسماء الله عز وجل على غيره وذلك ان المشركين سمو اصنامهم
بالالهة واشتقوا لها اسماء من اسماء الله فسموا اللات والعزى ومناة واشتقاق اللات
من الالة والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا يعني قول ابن عباس ومجاهد القول
الثاني وهو قول اهل المعاني ان الالحاد في اسماء الله هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد
فيه نص من كتاب ولا سنة لان الاسماء كلها توقيفيه لا تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع
بل يدع الله باسمائه التي وردت في الكتاب والسنة على وجه التعظيم الوجه الثالث
مراعات حسن الادب في الدعاء فلا يجوز ان يقال يا صار يا مانع يا خالق القردة على الافراد
بل يقال يا صار يا مانع يا معطي يا مانع يا خالق الخلق الوجه الرابع ان لا يسم الله العبد باسم
لا يعرف معناه فانه ربما سماه باسم لا يليق باللاقة على جلاله الله سبحانه وتعالى ولا يجوز
ان يسميه لما فيه من الغرابة وقوله تعالي **يسبحون** **ملاكوا يقولون** يعني في الآخرة ففيه
وعيد وتهديد لمن احدى في اسماء الله عز وجل وقوله عز وجل **ومن خلقنا امّة** يعني جماعة
وعصاة **يهدون** **يا الحق** **وبه تعبدون** قال ابن عباس يريد امّة محمد صلى الله عليه وسلم وهم
المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قال قتادة بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا قرأ هذه الآية قال هذه لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسي امّة يهدون
بالحق وبه يعدلون **عن معاوية** قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا يزال من امتي امّة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذله ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم
على ذلك وفي الآية دليل على انه لا يخافون من قاييم بالحق ويعملون به ويهدي اليه **والدين**
كذبوا باياتنا يريد به جميع الكفار وقيل المراد بهم اهل مكة والاول اولى لصيغة
العموم تتناول الكل الا ما دل الدليل على حروجه منه **سكتند وجهم من حيث لا يعلمون** قال
الازهري سناخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك ان الله تعالي يغتصم عليهم من
النعم ما يغتبطون به ويرون اليه ثم يخذلهم على عزهم اغفل ما يكونون وقيل
معناه سنفقهم الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراهم كأنهم
كانوا اذا اتوا بمجرم او اقدموا على ذنب فتح الله عليهم من ابواب الخير والنعم في الدنيا فزادوا
بذلك تماديا في الغي والضلال ويند رجون في الذنوب والمعاصي فيأخذهم الله اخذ
واحدة اغفل ما يكونون عليه وقال **الفحاك** معناه كلما جددوا معصية جددنا

نعمه وقال **الكلمة** فزمن اعمالهم ثم فعلكم هذا وقال سفيان الثوري فسمع عليهم النعم ثم
فعلكم تسليهم الله لشكر روي ان عمر بن الخطاب لما حمل اليه كنز كسري قال اللهم اني اعوذ بك
ان اكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سمعت رجلا من حيث لا يعلمون قال اهل المعاني
الاستدراج ان يندرج الشيء الي الشيء في خفية قليلا قليلا ومنه درج الصبي اذا قرب بين
خطاه في المشي ومنه درج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شيئا **وانبى لهم** يعني وامهلهما اطبل
مدة اعمارهم والاملاية اللغة الامهال واطالة المدة والمعني اني اطبل مدة اعمارهم لئلا ينادوا
في الكفر والمعاصي ولا اعاجلهم بالعقوبة ولا افزع لهم باب التوبة **ان كيدي شنيع** يعني انه
اخذني شديد والمتبين من كل شيء هو القوي الشديد وقال ابن عباس معناه ان مكري شديد
قال المفسرون تركت هذه الآية في المستزين من قريش وذلك ان الله تعالى امهلهما ثم قتلهم
في ليلة واحدة وفي هذه الآية دليل على مسلة القضاء والقدر وان الله يفعل ما يشاء وحكمه
ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قوله تعالى **اولم يتفكروا** **واما بصاحبه** يعني محمد اصلي
الله عليه وسلم **من جنة** يعني من جنون قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
قام على الصفا لئلا يجعل يدعو قريشا فخذوا يا بني فلان يا بني فلان ثلاث مرات اني لكم
نذير مبين وكان يحذرهم بار الله وقايعة فقال قائلهم ان صا حاكم هذا المجنون بات
يصوت الي الصباح فانزل الله عز وجل اولم يتفكروا وانفكروا التامل واعمال الخاطر في غيبة
الامر والمعني اولم يتفكروا فبعلوا ما بصاحبه يعني محمد اصلي الله عليه وسلم من جنة والجنة
حالة من الجنون وادخال لفظة من في قوله من جنة والجنة فوجب ان لا يكون به نوع من
انواع الجنون وانما نسبوه الي الجنون وهو بري منه لانهم راوا انه صلى الله عليه وسلم خال لهم
في الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذا انها مقبلا على الآخرة ونعيمها
وشتغلا بالدعاء الي الله عز وجل وانذارهم بانه وفقته ليلادها رامن غير ملال ولا حجب
فعند ذلك نسبوه الي الجنون فبراه الله من الجنون وقال تعالى **ان هو** يعني ما هو الا نذير
مبين ثم ختم على النظر المودي الي العلم بالوحدانية فقال تعالى **اولم يتفكروا** يعني نظر
اعتبار واستدلال **في ملكوت السموات والارض وما خاف الله من شيء** والقصود
التنبيه على ان الدلالة على الوحدة اية وجود الصانع القديم غير مقصورة على ملك السموات
والارض بل كل شيء خلقه الله وبراه الله فيه دليل على وحدانية الله تعالى وانا قد رتته كاقال
الشاعر **وفي كل اية شيء له اية تدل على انه واحد**

وان عسي ان يكون قد اقترب اهلهم والمعني ولعل اهلهم يكون قد اقترب فيموتوا على الكفر
قبل ان يؤمنوا فيصيروا الي النار واذا كان الامر كذلك وجب على العاقل المبادرة الي التفكير
والاعتبار والنظر المودي الي الفور بالتعظيم **فيا اي حديث بعد يومئذ**
يعني يصدقون والمعني فباي كتاب بعد الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
يصدقون وليس بعد مهدي ولا بعد كتابه لانه خاتم الانبياء وكتابه خاتم الكتب
لانقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر علة اعراضهم عن الايمان فقال تعالى
من يقبل الله فلا هادي له يعني ان اعراض هؤلاء عن الايمان لا ضلال الله اياهم

ولو هدام

ولو هدام **ويذكرهم في ضلالتهم** وتناديهم في الكفر
يترددون متحيرين لا يهتدون سبيلا قوله عز وجل **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ**
مُرْسَاهَا قال قتادة قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاسرا لينا
الساعة فانزل الله هذه الآية وقال ابن عباس قال جل بن ابي قشير وشول بن زيد وهما من اليهود
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فاننا نعلم متى هي فانزل
الله عز وجل يا محمد عن الساعة يعني عن خبر القيامة سميت ساعة لانها تقوم في ساعة غفلة
وبغثة ولان حساب الخلايق ينقضي فيها في ساعة واحدة **آيات** سوا استغفارهم عن الوقت
الذي يقوم فيه الساعة ومعناه متى **مرسها** قال ابن عباس يعني متهاها متى وقوعها قال
والساعة الوقت الذي يموت الخلايق فيه واصل الارسل الثبات يقال رسا رسوا اذا ثبت
قل اي علمها عند ربي اي لا يعلم الوقت الذي تقوم فيه الا الله استأثر الله بعلمها فلم
يطلع عليه احد ومنه الحديث الايمان وسوال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم قال فاخبرني
عن الساعة قال ما المسؤول عنها با علم من السائل قال **المحققون** وسبب اخفاء علم الساعة
ووقت قيامها عن العباد لئلا يكونوا على خوف وحذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت
كانوا على خوف ووجل واشتاق منها فيكون ذلك ادعى لهم الي الطاعة والتوبة وازجر لهم عن
المعصية **لا يعلمها الا هو** قال مجاهد لا يأتيها الا هو وقال السدي لا يرسلها
لوقتها الا هو والتجلية اظهار الشيء بعد خفايه والمعني لا يظهرها لوقتها المعين الا هو الله
ولا يقدر على ذلك غير **ثقلت في السموات والارض** يعني ثقل امرها وخفي علمها
علي اهل السموات والارض وكل شيء خفي فهو ثقيل وقال الحسن اذا جات ثقلت وعظمت علي
اهل السموات والارض وانما ثقلت عليهم لان فيه فناهم وموتهم وذلك ثقل على القلوب
لا تأتكم الا بغتة يعني فجأة على حين غفلة من الخلق **وق** عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبها بينهما فلا
يتبايعانه ولا يطويانه ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل لمن لقته فلا يطعمه
ولتقوم الساعة وهو يلطحوضه فلا يسيقي فيه ولتقوم الساعة وقد رنغ اكلته الي نبيه
فلا يطعمها اللقحة بفتح اللام وكسرهما الناقحة القترية العهد بالتاج قوله يلبطحوضه
ويروي يلو طحوضه يعني يطينه ويصلحه يقال لاطحوضه يلبطحه ويلوط اذا طينه واصله
من اللصوق والاكلحة بضم الهجزة اللقحة وقوله تعالى **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ**
يسالك قومك عن الساعة كانك حفي بهم يعني يارهم شفيق عليهم فعلي هذا القول فيه تقدير
وتاخير تقديره ويسالونك عنها كانك حفي بهم قال ابن عباس يقول كان بينك وبينه مودة وكانك
صديق لهم قال ابن عباس لما سأل الناس محمد صلى الله عليه وسلم عن الساعة سألوه سوال
قوم كانهم يرون ان محمد صلى الله عليه وسلم حفي بهم فاجابهم الله عز وجل اليه انما علمها عنده
استأثر بعلمها فلم يطلع عليه ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسالونك عنها كانك حفي بها اي عالم
بها من قولهم احفيت في المسئلة اذا بالغت في السوال عنها حتى علمتها **قل** يعني يا محمد **انما علمها**
عند الله يعني استأثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل فان قلت قوله

يسألونك عن الساعة اياك مرساها وقوله ثانيا يسألونك كأنك حفي عنها فيه تكرار قلت ليس فيه تكرار لان السؤال الاول سؤال عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني سؤال عن احوالها من ثقلها وشدها ايدها فلم يلزم التكرار فان قلت عبر عن الجواب في السؤال الاول بقوله علمها عند ربي وعن الجواب في السؤال الثاني بقوله علمها عند الله فهل من فرق بين الصورتين في الجوابين قلت فيه فرق لطيف وهو انه لما كان السؤال الاول واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله علم وقت قيامها عند ربي ولما كان السؤال الثاني واقعا عن احوالها وشدها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله علم وقت قيامها عند ربي لحي ولما كان السؤال الثاني واقعا عن احوالها وشدها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله علم وقت قيامها عند ربي لحي ولما كان السؤال الثاني واقعا عن احوالها وشدها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله علم وقت قيامها عند ربي لحي ولما كان السؤال الثاني واقعا عن احوالها وشدها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله علم وقت قيامها عند ربي لحي

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قال ابن عباس ان اهل مكة قالوا يا محمد لا تخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتره وترخ فيه عند الغلا وبالارض التي تريد ان تخدب فتزحل عنها اليما قد اخصب فاتر الله قل لا املك اي قل يا محمد لا املك ولا اقدر لنفسي نفعًا ولا اجتلاب نفع بان اربح فيها اشتره ولا ضرا يعني ولا اقدر ان ادفع عن نفسي ضررا لتها بان ارحل الي الارض الخصبة وانزل المدينة **إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ** يعني ان املكه واقدر عليه **وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ** يعني ولو كنت اعلم وقت الغضب والجذب لاستكترت من المال **وَمَا مَسْنِي السُّؤَالُ** يعني الضرر والفقر والجمع وقال ابن جريج معني لا املك لنفسي نفعًا ولا ضرا من الهدى والضلالة ولو كنت اعلم الغيب بريد وقت الموت لاستكترت من الخير يعني من العمل الصالح وقيل ان اهل مكة لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة اثنى الله الاية الاولى وهذه الاية ومعناه انا لا ادعي علم الغيب حتى اخبركم عن وقت قيام الساعة وذلك لما طالبوه بالاخبار عن الغيوب فذكر ان قدرته قاصرة عن علم الغيب فان قلت قد اخبرني الله عليه وسلم عن الغيبات وقد جات احاديث في الصحيح بذلك وهو من اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكترت من الخير قلت يحتمل ان يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعني لا اعلم الغيب الا ان يطالعني الله عليه ويقدره لي ويحتمل ان يكون قال ذلك قبل ان يطالع الله عز وجل على الغيب فلما اطالع الله اخبره كما قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول او يكون خرج هذا الكلام مخدج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك اظهره الله تعالى على اشياء من الغيبات فاجبر عنها ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله وما مسني السوي يعني الجنون وذلك انهم نسبوه الى الجنون وقيل معناه ولو كنت اعلم الغيب لاستكترت من تحصيل الخير واحترزت عن الشر حتى اصير بحيث لا يسني السوء وقيل معناه ولو كنت اعلم الغيب لاستكترت بوقت قيام الساعة حتى تؤمنوا

وما مسني

وما مسني السوي يعني قولا كقولك لو كنت نبيا علمت متى تقوم الساعة **إِنَّ أُنَا إِلَّا نَذِيرٌ** يعني ما انا الا رسول ارسلني الله اليكم انذركم واخوفكم عقابه ان لم تؤمنوا **وَنَذِيرٌ** يعني وابشروا بوابه **لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** يعني يصدقون قوله عز وجل **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ** يعني ادم عليه السلام **وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** يعني وخلق منها زوجها حوا وقد تقدم كيفية خلق حوا من ضلع ادم في اول سورة النساء **لِيَتَنَبَّهَ بِهَا وَيَاوِي إِلَيْهَا فَلَمَّا تَفَشَّاهَا** يعني واقعا وجامعها لتي به عن الجماع احسن كناية لان الغشيان اتيان الرجل المرأة وقد غشيها وتغشاها اذا علاها وتخللها **حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا** يعني النطفة والمني لان اول ما تحمل النطفة وهي خفيفة عليها **فَرَّتْ بِهِ** يعني انها استمرت بذلك الحمل فقامت وتعدت وهو خفيف عليها **فَلَمَّا أَتَتْكَ** اي ضارت اليك الى حال التقل وكبر ذلك الحمل ودنت ولادتها **دَعَا اللَّهَ رَبَّهَا** يعني ان ادم وحوا دعوا الله ربهما **لِيُنْزِلَ إِلَيْنَا صَالِحًا** يعني لين اعطينا بشرا سويا مثلنا لنكون من الشاكرين يعني لك علي انعامك علينا قال المفسرون لما هبط ادم وحوي الى الارض لقيت الشهوة في نفس ادم فاصاب حوا فحملت من ساعته فلما اقبل الحمل وكبر الولد اتاها ابليس فقال لها ما الذي في بطنك قالت ما ادري قال اني اخاف ان يكون هبة او كلبا او خنزيرا اترين في الارض الالهية او خوها قالت اني اخاف بعض ذلك قال وما يدريك من اين يخرج امن دبرك ام من فيك او يثقب بطنك فيقتلك فخافت حوا من ذلك وذكرته لادم فلم يزل في غم من ذلك فترعاه اليها ابليس فقال اني من الله منزلة فاتي دعوت الله ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه وتسميه عبد الحارث وكان اسم ابليس في الملايكة الحارث فذكرت ذلك حوي لادم فقال لعله صاحبنا الذي قد علمت نغادوها ابليس فلم يزل بها حتى غرها فلما ولدت سمياه عبد الحارث قال ابن عباس كانت حوا تلد لادم فيسميه عبدا لله وعبدا لله وعبدا الرحمن فيصيبهم الموت فاتاها ابليس فقال ان سركا ان يعيشت لكما ولد فسمياه عبد الحارث فولدت افسياه عبد الحارث فعاش عن سمرق بن جندب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت حوا طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال لسميه عبد الحارث فسمته فعاش وكان ذلك من وحى الشيطان وامره اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال وقد رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك من وحى الشيطان يعني من وسوسته وحديثه كما جاء انه خدعها مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض قال ابن عباس لما ولده اول ولد اتاه ابليس فقال اني سافع لك في شان ولدك هذا سميه عبد الحارث وكان اسمه في السما الحارث فقال ادم اعوذ بالله من طاعتك اني اطعتك في اكل الثمرة فاخرجتني من الجنة فلن اطيعك فأت ولد ثم ولده بعد ذلك ولد اخر فقال الطعن الامات كآفات الاول فصحاء فأت ولد فقال لا ان اقلهم حتى تسميه الحارث فلم يزل به حتى سمياه عبد الحارث فذلك قوله عز وجل فلما اتاها **صَالِحًا جَعَلَا لَهْ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهَا** قال ابن عباس شركه في طاعته في غير عبادة ولم يشرك بالله ولا كن اطاعه وقال عكرمة ما اشرك ادم ولا حوا وكان لا يعيش لها ولد

فانها الشيطان قال ان سركا ان يعبد لكا ولد فسياء عبد الحارث فهو قوله جعله شركا فيها
انا هاري شركا بكسر التاء تسعين مع التنوين ومعناه شركة وقال ابو عبيدة معناه حظا
ونصيبا وفري شركا بضم الشاين مع المد جمع شريك يعني ليس عبر عن الواحد بل عن الجمع
يعني جعله شركا اذ سمي ولد هارث الحارث قال العلماء لم يكن ذلك شركا في العبادة
ولان الحارث وقبيلها لان ادم عليه السلام كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصد انتميتها
الولد بعبد الحارث ان الحارث كان سبب حياة الولد وسلامته وسلامة امه وقد يطلق
اسم العبد على من لا يراد به انه ملوك كما قال الشاعر واي لعبد الضيف مادام ثاويا
اخرى نفسه انه عبد الضيف ما اقام عنده مع بقا الحرية عليه وانما اراد بالعبودية
خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه كما يقوم العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق
اسم الرب بغير الف ولام على غير الله كقول يوسف عليه السلام لعزير مصر انه ربي لحن
شواي اي اراد به الترقية ولم يرده انه ربه ومعبوده فكذلك هذا وانما اخبر عن ادم
بقوله جعله شركا فيما اتاها لان حسنات الابرار سيئات المقربين ولان منصب النبوة
اشرف المناصب واعلاها فغالبه الله على ذلك لانه نظر الى السبب واهه اعلم بمراده واسر
كنايه قال العلماء وعلي هذا فقد تم الكلام عند قوله فيما اتاها شرابا في الخبر عن الفار
بقوله **فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** نزه نفسه سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين من
اهل مكة وعلى هذا العموم ولو اراد ادم وحوا القائل فتعالى الله عما يشركون على التشبيه لا على
الجمع وقال بعض اهل المعاني ولو اراد به ما سبق من معنى الآية فستقيم ايضا من حيث ان
المعنى كان الاول هما الافعال ما اتياه من الاشراك في التسمية فكان الاول ان يسمياه عبد
الله لا عبد الحارث وفي معنى الآية قول اخر وهو انه راجع الى جميع المشركين من ذرية ادم
وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل اولادها شركا في ذلك ذكر الاولاد واقام مقامهم
كما اضاف فعل الابا الى الابنا بقوله شرأخذتم الجمل اذ قلتم نفسا فغيره اليهود الذين
كانوا موجودين زمن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك من فعل ابايهم وقال عكرمة تخاطب كل
واحد من الخلق بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة اي خلق كل واحد من ابيه وجعل منها
زوجها اي وجعل من جنسها زوجها ادمية مثله وهذا قول حسن لان القول الاول
اصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرين وورد
الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله اولاد
فقد دهم ونقصوهم وقال ابن كيسان هم الكفار سمو اولادهم بعبد العزي وعبد شمس
وعبد الدار ونحو ذلك وقوله تعالى **يُشْرِكُونَ** فري بالتا على خطاب الفار وفري باليا
على الغيبة **مَا لَا تَخْلُقُ شَيْئًا** يعني ليس الاصنام **وَهُمْ يَخْلُقُونَ** اي وهم يخلقون فان
قلت كيف وحد خلق شرع فقال وهم يخلقون قلت ان لفظة ما تقع على الواحد
والاشياء والجمع فهي من صيغ الواحد ان محسب ظاهر اللفظ محتملة للجمع بحسب الخلق
فوجد قوله ما لا تخلق رعاية لحكم ظاهر اللفظ وجمع قوله وهم يخلقون رعاية لطائفة المعنى
فان قلت كيف جمع بالواو وبالنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس قلت

وغيرهم

ذكر

لما اعتقد

لما اعتقد عابدوا الاصنام انها تعقل وتميز وورد هذا الجمع بنا على ما يعتقده ونه ويتصور ونه
وقوله تعالى **وَلَا يَسْتَنْصِفُونَ** لهم نصرا يعني ان الاصنام لا تقدر على نصر من اطاعها وعبد
ولا تنصر من عصاها والنصر المعونة على الاعداء والمعنى ان المعبود الذي يجب عبادته يكون
قادرا على ابطال النفع ودفع الضرر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالقائل ان
يعبد هارثا قال تعالى **وَلَا انفسهم ينصرون** يعني ولا يقدر على ان يدفعوا عن انفسهم
مكر وهافان من اراد كسر هارثا قدر عليه وهي لا تقدر على دفعه عنها ثم خاطب المؤمنين فقال تعالى
وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى يعني وان تدعوا اليها المومنون المشركين الى الهدى لا يتبعوكم
لان الله تعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلوا الهداية **سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْهُمْ** اي ادعوا اليهم
والهدى الهداية **أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ** اي ساكتون عن دعائهم فهم في كلا الحالين لا يومنون وقيل
ان الله تعالى لما بين في الآية المتقدمة عجز الاصنام بين في هذه الآية انه لا علم لها بشي البتة
والمعنى ان هذه الاصنام التي يعبدونها المشركون معلوم من حالها انها لا تفهم ولا تتفهم ولا
تسمع لمن دعاهم الى خير وهدى شرقي هذا المعنى بقوله سواء عليكم ادعوا اليهم ام انتم صامتون
وذلك ان المشركين كانوا اذا دعوا في شدة وبلا تنصروا الاصنامهم فاذا لم يكن لهم
الى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقبل لهم لافرق بين دعائهم الاصنام او سكوتهم عنها
فانها عاجزة في كل حال قوله تعالى **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَشْأَلُكُمْ**
يعني ان الاصنام التي يعبدونها هؤلاء المشركون انما هي ملوك لله اشألهم وقيل انها مسخرة
مذلة مثل ما انتم مسخرون مذلولون وقال مقاتل في قوله عباد امثالكم ايها الملايكة
والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملايكة والقول الاول اصح وفيه سوال وهو انه وصفا
بانها عباد مع انها جاد والجواب ان المشركين لما ادعوا ان الاصنام تنصرون وتتبع وجب
ان يعتقدوا كونها عاقلة فاهة فوردت هذه الالفاظ على قوم معتقدين بتلكها ونحوها
ولذلك قال فادعهم **فَلْيَسْتَجِيبُوا الْكَلِمَةَ** ان كنتم صادقين في كونها الهة وجواب اخر وهو
ان هذا اللفظ انما ورد في معرض الاستهزاء بالمشركين والمعنى ان قصاري هذه الاصنام
التي يقبدها احيا عاقلة على معتقدكم نعم عباد لله امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم يدعوا
وجعلتهم الهة وجعلتم انفسكم لهم عبيدا ثم وصفهم بالعجز فقال تعالى **الْهَمُّ أَوْ جَلَّ**
يَسْتَوُونَ بها ام لهم اي يسطون بها ام لهم **أَعَيْنَ يَنْصُدُونَ** بها ام لهم **أَدَانِ**
يَسْمَعُونَ بها يعني ان قدرة الانسان المخلوق انما يكون هذه الجوارح الاربعة فانها آلات
يستعين بها في جميع امورهم والاصنام ليس لها من هذه الاعضاء والجوارح شي فهم منضلون
عليهم هذه الاعضاء لان الرجل الماشية افضل من الرجل العاجزة عن المشي وكذلك
اليد الباطشة افضل من اليد العاجزة عن البطش والعين البصيرة افضل من
العين العاجزة عن الادراك والاذن السامعة افضل من الاذن العاجزة عن
السمع فظهر هذا البيان ان الانسان افضل من هذه الاصنام العاجزة بكنسها بالفضل
لها البتة لا حجارة وجاد لا تنصرون ولا تتفهم واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالانسان
القائل افضل ان يشغل بعبادة الاخر لا دون الارذل الذي لا فضل له البتة

ولا يضر ولا ينفع فاستمع هذه الحجة كون الاصنام الهة شرًا قال تعالى **قُلْ لِمَ اشركوا** اي قلايهم
 لهؤلاء المشركين ادعوا شركاءكم هذه الاصنام التي تعبدونها حتى يتبين عجزها **ثُمَّ كَيْدُ وَبَنِي** يعني
 انتم وشركاؤكم وهذا متصل بما قبله في استكمال الحجة عليهم لانهم لما فرغوا العبادة من لا يملك
 ضرر ولا نفع اقبلوا على الله عليه وسلم قائلين ان معبودي بملك الضر والنفع فلو اجتهدت في كيدي
 لم تقبلوا الي ضري لان الله يدفع عني وقال الحسن كانوا يخوفونه بالهتيم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم
 شركيدون **فَلَا تَنْظُرُوا** اي لا تنظروا ولا تجلوا في كيدكم انتم وشركاؤكم **اِنَّ دَلِيلَ اللَّهِ** يعني
 ان الذي يتولي حفظي وينصرتي عليكم هو الله **الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ** يعني القرآن والمعني كما ايدني
 بانزال الكتاب علي كذلك يتولي حفظي وينصرتي **وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ** يعني يتولاكم من نصرتهم
 وحفظهم فلا يضرهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم من ارادهم بسوا او كادهم بشد
 قال ابن عباس يريد بالصلحين الذين لا يشركون بالله شيئا ولا يعصونه وفي هذا مدح
 للصلحين لان من تولاه الله محفظه فلا يضره شي قوله عز وجل **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ**
لَا يَسْمَعُونَ نَجْوَاهُمْ يعني لا يسمعون نصرتهم **وَلَا يَنْصُرُونَ** هذه الآية قد تقدم تفسيرها والظاهر
 في تكريرها ان الآية الاولى مدكون على جهة الفرق بين من يجوز له العبادة وهو الله الذي
 يتولي الصالحين بنصره وحفظه وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون معبودة وقوله
 تعالى **وَاَنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا** وترجموا **يَسْمَعُونَ** اليك **وَهُمْ لَا يَنْصُرُونَ**
 قال الحسن المراد بهذا المشركين ومعناه وان تدعوا ايها المومنون المشركين الى الهدى
 قد لا يسمعون ادعائكم لان اذانهم صمت عن سماع الحق وترجموا ينظرون اليك يا محمد وهم لا يسمعون
 يعني يصيرون قلوبهم وذهب اكثر المفسرين الى ان هذه الآية ايضا واردة في صفات الاصنام
 لانها جامدة تضرو ولا تنفع ولا تستمع ولا تبصر قوله تعالى **خُذِ الْعَفْوَ** العفو هنا الفضل
 وما جابلا كلفة والمعني اقبلوا الميسور من اخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستقصوا
 عليك فيتولد منه العداوة والبغضا وقال مجاهد يعني خذ العفو من اخلاق الناس
 واعمالهم من غير تحسيس وذلك مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشياء والعفو
 المساهلة في كل شيء عن عبد الله بن الزبير قال ما تزلت خذ العفو وامر بالعرف
 الا في اخلاق الناس وفي رواية قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من
 اخلاق الناس كذا في جامع الاصول وفي الجمع بين الصحيحين للحميد قال امر نبيه
 صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اقوال الناس او كما قال وقال ابن عباس يعني خذ
 ما عفواك من موالم فما اتوك به من شيء فخذ وكان هذا قبل ان تنزل براءة بغرانيض
 الصدقات وتفصيلها وما انتهت اليه وقال السدي خذ العفو اي الفضل من المال
 فنحتها اية الزكاة وقال الضحاك خذ ما عفوا من موالم وهذا قيل ان يفرض الصدقة المفروضة
وَالْمَرْءُ بِالْعُزْفِ يعني وامر بكل ما امرك الله به وهو كلما عرفته بالوجي من الله عز وجل
 وكلما يعرفه الشرع وقال عطاء وامر بقول الله الا الله **وَاغْرُضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** امر
 الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصيح عن الجاهلين وهذا قبل ان يورث قتال
 القفار فلما امر الله بقتالهم صار الامر بالاعراض عنهم منسوخا بآية القتال قال بعضهم

والله اعلم
 بالصواب

اول هذه الآية واخرها منسوخ ووسطها محكم يريد بنسخ اولها اخذ الفضل من الاموال فنسخ
 بغير الزكاة والامر بالعرف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ بآية القتال روي انه
 لما تزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا قال لا ادري حتى اسألكم
 ان رجع فقال له ربك يامر ان فصل من قطعك وتطعن من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره
 البغوي بغير سند وقال جعفر الصادق امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بخاتم
 الاخلاق وليس في القرآن اية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه عن عائشة قالت لم يكن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق ولا يجزي بالسينة السيئة ولكن
 يعفو ويصفح اخرجه الترمذي وروي البغوي بسند عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ان الله يعطي لتمام مكارم الاخلاق وتام محاسن الافعال قوله عز وجل **وَأَمَّا بَيْنَكُمْ**
وَالشَّيْطَانِ نَزْعٌ قال ابن زيد لما تزل قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
 قال النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يارب فانزل الله واما ينزع عنك من الشيطان
 نزعه فاستعد بالله انه سميع عليم وترغ الشيطان عبارة عن وسوسة وخنسه في القلب
 وقيل النزغ الانزعاج والكثرة ما يكون عند الغضب واصله الانزعاج بالحركة الى الشر
 والافساد يقال ترغت بين القوم اذا افسدت بينهم وقال الزجاج النزغ ادني حركة تكون
 ومن الشيطان ادني وسوسة والمعني واما يصيبك يا محمد ويعرض لك من الشيطان
 وسوسة او خنسة **فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ** يعني فاستجبر بالله ولجأ اليه في دفعه عنك **اِنَّهُ**
سَمِيعٌ يعني له عليك عليم يحاكك وقيل ان الشيطان تجدد مجالا في حمل الانسان على ما لا ينبغي
 في حالة الغضب والغيظ فامر الله بالتجاليه والعوذ به في تلك الحالة فهي تجري
 مجرى العلاج لذلك المرض **فَصَلِّ** واجتنب الطاعنون في عصاة الانبياء هذه الآية
 فقالوا لو كان النبي معصوما لم يكن للشيطان عليه سبيل حتى ينزع في قلبه ويختل الى
 الاستعاذة والجواب عنه من وجوه الاول ان معنى الكلام ان حصل في قلبك
 ترغ فاستعد بالله وانه لم يحصل ذلك له البتة فهو كقوله لين اشركت وهو بري من
 الشرك البتة والوجه الثاني على تقدير انه لم يصح لم يحصل ذلك البتة فهو كقوله
 لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله عز وجل قد عصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن
 قبولها وثباتها في قلبه م عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم
 من احد الا قد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا يا رسول الله قال
 واياي الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بخير قال الشيخ يحيى الدين النواوي يروي
 فاسلم بفتح الميم وضمها من رفع قال معناه فاسلم اناس شتم وقتلوه من فتح قال معناه ان
 القدرين اسلم من الاسلام يعني صار مومنا لا يامرني الا بخير قال **الخطابي الصحيح**
 المختار الرفع ورجح القاضي عياض الغنى قال الشيخ وهو المختار لقوله فلا يامرني الا
 بخير قال **القاضي عياض** واعلم ان الامانة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله
 عليه وسلم من الشيطان في جسمه وظاهره ولسانه وفي هذا الحديث اشارة الى التخيير
 من فتنه القدرين ووسوسته واغوايه اعلمنا انه معناه لئلا يخر من منته بحسب الامكان

من الشيطان

والله اعلم الوجه الثالث محتال ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والراوية غيره والمعنى
واما ينزغك ايها الانسان من الشيطان نزغ فاستعد بالله فهو قوله فاذا قرأت القرآن
فاستعد بالله قوله تعالى **ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان** وما
لغتان ومعناه التي يلزم بالانسان وقيل بينهما فرق فالطائف ما يطوف حول الانسان والطيف
الوسوسة وقيل الطائف ما طاف به من وسوسة الشيطان والطيف الم والمر وقال الازهري
الطيف من كلام العرب الجنون وقيل للغضب طيف لان الغضب ان يشبه المجنون وقيل سمي
الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه من الشيطان يشبه لمة الخبال فذكر في الآية
الاولى النزغ وهو اخف من الطيف المذكور في هذه الآية لان حالة الشيطان مع الانبياء الضعف
من حاله مع غيرهم **تذكروا** يعني عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكده قال سعيد
ابن جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه وقال مجاهد هو الرجل يلزم
بالذنب فيذكر الله فيقوم ويذكره **فانهم مبصرون** يعني انهم يبصرون مواقع الخطا
بالتذكر والتفكير وقال السدي اذ انزلوا ابوا وقال مقاتل اذا اصابه نزغ من الشيطان تذكر
وعرف بانه معصية فابصر ونزغ عن مخالفة الله عز وجل **واخوانهم** يعني واخوان
الشياطين من المشركين **تذكروا** اي تذكروا الشياطين **تذكروا** يعني يذكرون
عن الضلالة ولا ينزغونها هذا خلافا لآل المؤمنين المتقين لان المؤمن اذا اصابه طيف
من الشيطان تذكر وعرف ذلك فترفع عنه وناب واستغفر والكافر يستمر في ضلالتة
لا يتذكر ولا يرعوي وقال ابن عباس الانس لا يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين
يمسكون عنهم فعلى هذا القول يحل قوله لا يقصرون على فعل الانس والشياطين جميعا قوله عز
وجل **واذا لم تأتكم بآية** يعني واذا لم تأت المشركين يا محمد بآية ومعجزة باهرة **الوا** يعني قال
المشركون **اولا اجنبية** يعني اتعلتها وافشاها من قبل نفسك واختيارك تقول
العرب اجنبيت الكلام اذا اختلقته واقتلعه وقال الكلبي كان اهل مكة يسألون النبي
صلى الله عليه وسلم الايات تعنتا فاذا تاخرت اتموه وقالوا لولا اجنبيتها يعني هلا حشرتها
وانشأتها من عندك **قل** اي قل يا محمد لولا المشركين الذين سألوا الايات **انما اتبع**
ما يؤتىني من ربي يعني القرآن الذي انزل علي وليس لي ان اقترح الايات والمعجزات
هذا بصائر من ربكم يعني هذا القرآن فيه حج وبرهان واصل البصائر لا بصائر وهو
ظهور الشيء حتى يبصره الانسان ولما كان القدر ان سببا البصائر العقول في دلائل التوحيد
والنبوة والمعاد اطلق عليه اسم البصيرة فهو من باب تشبيه السبب باسم السبب **وهدي**
يعني وهو هدي **ورحمة** يعني وهو رحمة من الله **لقوم يؤمنون** وهنا لطيفة وهي
في الفرق بين هذه المراتب الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون في درجات العلوم
فمنهم من بلغ الغاية في علم التوحيد حتى صار كالمشاهد وهم اصحاب عين اليقين ومنهم
من بلغ درجة الاستدلال والتطهر وهم اصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستلم وهم عا
المؤمنين وهم اصحاب حق اليقين فالقرآن في حق الاولين وهم السابقون بصائر
وفي حق القسم الثاني وهم المستدلون هدي وفي حق القسم الثالث وهم عامة المؤمنين

في الغي

رحمة من الله

رحمة قوله تعالى **واذا قرأ القرآن فاستمعوا له وانصتوا** لما ذكر الله عز وجل عظم شأن
القرآن بقوله هذا بصائر من ربكم وهدي ورحمة لقوم يؤمنون اتبعه بما يحب من تعظيم شأنه
عند قرانه فقال تعالى واذا قرأ عليكم ايها المؤمنون القرآن فاستمعوا له وانصتوا يعني
اصغوا اليه باسما علم لتعلموا معانيه وتتدبروا مواظمة وانصتوا يعني عند قرانه والانصات
السكوت للاستماع يقال نصت وانصت وانصت معني واحد واختلف العلماء في الحال
التي امر الله عز وجل بالاستماع للقرآن والانصات له اذا قرأ في حال
له وانصتوا امر وظاهر الامر الوجوب فقتضاه ان يكون الاستماع والسكوت واجبين
وللعلماني ذلك اقوال القول الاول وهو قول الحسن واهل الظاهر ان تجري هذه الآية
على العموم ففي اي وقت واي موضع فري القرآن فيجب على كل احد الاستماع له والسكوت القول
الثاني انها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة روي عن ابي هريرة انهم كانوا يتكلمون في الصلاة
بحواجيم فامروا بالسكوت والاستماع لقراءة القرآن وقال عبد الله بن مسعود بعضنا على بعض
في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان قال فجاء القرآن واذا قرأ القرآن فاستمعوا
له وانصتوا القول الثالث انها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الامام روي عن
ابي هريرة قال نزلت هذه الآية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرءون مع الامام فلما انصرف قال اما ان لم انصتوا واذا
قرأ القرآن فاستمعوا له وانصتوا كما امركم الله وقال الكلبي كانوا يرفعون اصواتهم في
الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار القول الرابع انها نزلت في السكوت عند
الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء قال مجاهد الانصات للامام
يوم الجمعة وقال عطاء وجب الصمت في اثنتين عند الرجل يقرأ القرآن وعند الامام وهو
خطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لان الآية مكية والخطبة انما وجبت بالمدينة
وانتقوا على انه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روي عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك انصت والامام يخطب يوم الجمعة
فقد لغوت اخراجهم في الصحيحين واختلف العلماء في لقراءة خلف الامام فذهب جماعة
الي اجابها سوا جهر الامام بالقراءة او سر بروي ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس
ومعاده وهو قول الاوزاعي واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الي انه يقرا فيها سر
الامام فيه القراءة ولا يقرأ اذا جهر بروي عن ابن عمر وهو قول غررة بن الزبير والقاسم
ابن محمد وبه قال الازهري ومالك وابن المبارك واحمد واسحق وذهب قوم الي انه
لا يقرأ سوا سر الامام او جهر بروي ذلك عن جابر واليه ذهب اصحاب الراي حجة
من لا يرى القراءة خلف الامام ظاهر هذه الآية وحجة من قال يقرأ في السرية
دون الجهرية قال **ان الآية تدل على الامر بالاستماع لقراءة القرآن ودلت**
السنة على وجوب القراءة خلف الامام فحلنا مدلول الآية على صلاة الجمعة وحملنا
مدلول السنة على صلاة السرية جميعا بدليل الكتاب والسنة وحجة من اوجب
القراءة خلف الامام في صلاة السرية والجهرية قال الآية واردة في غير الغائبة

لان دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يعرف بين السرية والجمعة
 قالوا اذا قرأ الفاتحة خلف الامام تنبع سكاكه ولا يبارعه في القراءة ولا يجهر بالقراءة خلفه
 ويدل عليه ما روي عن عباد بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فقلت
 عليه القراءة فلما انصرف قال اراكم تتفردون وراي امامكم قال قلنا يرسل الله اي والله قال
 لا تغفلوا الايام القرآن فانه لا صلاة لمن لم يقرأها اخرج الترمذي بطوله واخرجه
 في الصحيحين انصرف منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة
 الكتاب مر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة
 الكتاب فهي خداج يتوكلها ثلاثا غير تمام فتقبل لا يبي هرون انا نكون ورا الامام قال اقرأها في
 نفسك وذكر الحديث وقوله تعالى **لَعَلَّكُمْ تَزْجُرُونَ** يعني لكي يوحكم ربكم باتباعكم ما امركم
 به من اوله وفرايضه وقوله عز وجل واذا ذكر ربك في نفسك **الخطاب للنبي صلى الله عليه**
 وسلم ويدخل فيه غيره من امته لانه عام لسائر المكلفين قال ابن عباس يعني بالذكر في القراءة
 في الصلاة يريد تقرا سرا في نفسك والفايدة فيه ان انتفاع الانسان بالذكر انما يكمل اذا
 رفع الذكر هذه الصفة لان ذكر النفس اقرب الى الاخلاص والبعد عن الرياء وقبل المراد
 بالذكر في النفس ان يستحضر في قلبه عظمة المذكور وجل جلاله واذا كان الذكر باللسان
 عاريا عن ذكر القلب كان عدم الفايدة لان فايدة الذكر حضور القلب واستشعاره
 عظمة المذكور تعالى **يُضَلُّوا** يقال ضل الرجل يضل عن صراطه اذا خضع وذلل واستكان لغيره
وجيفة ودون الجهر من القول يعني وخوفا والمعنى يتضرع الى وخاف من عذابي وقالت
 مجاهد وابن جزي امر ان يذكره في الصد وبالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت
 في الدعاء هنا لطيفة وهي ان قوله تعالى اذكر ربك في نفسك فيه اشعار بقرب العبد
 من الله عز وجل وهو مقام الرجال لان لفظ الرب مشعر بالشريعة والرحمة والفضل والاحسان
 فاذا تذكر العبد انعام الله عليه واحسانه اليه فعند ذلك يقوي مقام الرجاء ثابته
 بقوله تضرعا وخيفة وهذا مقام الخوف فاذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجاء
 قوي ايمانه والمستحب ان يكون الخوف اغلب على الرجاء في حال صحته وقوته فاذا قارب
 الموت ودنا اخراجه فيستحب ان يغلب رجاءه على خوفه عن ان ينسأ ان النبي صلى الله
 عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك فقال ارجو الله برسول الله واني
 اخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن
 الا اعطاه الله ما يرجو منه وامنه ما يخاف اخرج الترمذي وقوله تعالى **يا عبادي**
جمع غدة والاصال جمع اصيل وهو ما بين صلاة العصر الى المغرب والمعنى اذكر ربك
 بالبكر والعشيان وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم بالغداة من النوم
 الذي هو اخو الموت فاستحب له ان يستقبل حالة الانتباه من النوم وهو وقت الحياة
 من موت النوم بالذكر ليكون اول اعماله ذكر الله عز وجل واما وقت الاصال وهو اخر
 النهار فان الانسان يريد ان يستقبل النوم الذي هو اخو الموت فيستحب له ان
 يستقبله بالذكر لانها حالة تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة فيكون موته

الشبه

علي ذكر الله عز وجل وهو المراد من قوله تعالى **وَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَاقِلِينَ** يعني عما يقرئك الي الله عز
 وجل وقيل ان اعمال العباد تضرع اول النهار واخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد
 عمل النهار بعد العصر الى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين ليكون ابتداء عمله
 بالذكر واختتامه بالذكر وقيل لما كانت الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر
 مكرهه استحب للعبد ان يذكر الله في هذين الوقتين ليكون في جميع اوقاته مستغلا بما يقرئه
 الي الله عز وجل من صلاة او ذكر قوله عز وجل **إِنَّ الدِّينَ عِندَ رَبِّكَ** يعني الملايكة المقربين
 لما امر الله عز وجل رسوله والمؤمنين بالذكر في حالة التضرع والخوف اخبر ان الملايكة الذين
 عندهم مع علوم مرتبتهم وشرفهم وعصمتهم **لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ** وطاعته لا تم عبيده
 خاضعون لعظمته وكبريائه عز وجل **وَيَسْجُدُونَ** يعني وينزهونه عن جميع النقا يصرون ويقولون
 سبحان ربنا **وَلَهُ يَسْجُدُونَ** لا نعبد غيرك فان قلت التسبيح والسجود داخلان في قوله لا يستكبرون
 عن عبادته لانهما من جملة العبادات فكيف افردهما بالذكر قلت **اخبر الله عز وجل**
 عن حال الملايكة انهم خاضعون لعظمته لا يستكبرون عن عبادته ثم اخبر عن صفة
 عبادتهم وانهم يسبحونه وله يسجدون ولما كانت الاعمال تنقسم الى قسمين اعمال القلوب
 واعمال الجوارح فاعمال القلوب هي تزييه الله عز وجل عن كل سوء وهو الاعتقاد القلبي بغير عنه
 بقوله ويسبحونه وعبر عن اعمال الجوارح بقوله وله يسجدون وهذه السجدة من عزائم سجود
 القرآن فيستحب للقاري والمستمع ان يسجد عند قوله وله يسجدون لتوافق الملايكة
 المقربين في عبادتهم عن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن
 فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد وسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضع لما كان جهته في غير
 وقت صلاة **مر عن ابي هريرة** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن ادم السجدة
 فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتي امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت
 بالسجود فابيت في النار عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك
 الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة الانفال

مدنية كلها الاسبع ايات منها تزلت بمكة وهي من قوله تعالى واذا يذكرك الذين كفروا
 الي اخر سبع ايات والاصح انها تزلت بالمدينة وان كانت الواقعة مكية وهي خمسة
 وسبعون اية والف وخمس وسبعون كلمة وخمسة الاف وثمانون حرفا لسم الله الرحمن
 الرحيم قوله عز وجل **يَسِّرْ لَكَ الْغَنَاءَ** عن **الانفال** عن سعيد بن جبير قال قلت لابن
 عباس سورة الانفال قالت تزلت في بدر واختلف اهل التفسير في سبب نزولها
 فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا
 وكذا فله كذا وكذا ومن اتى مكان كذا فله كذا ومن قتل قتيلا فله كذا فصارع الشباب
 وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاوا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى
 الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبون به دوننا ولا تستأثروا به علينا فاننا كنا

اهل العلم على ما حكاه الواحد في ان كل من كانت الدلائل عنده اكثر واكثر كان ايمانه ازيد
لان عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله ن
اقوي فيزداد ايمانه **الوجه الثاني** وهو انهم يصدقون بكل ما ينجلي عليهم من عند الله
ولما كانت التكليف متوالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما تجد
تكليف صدقوا به فيزدادون بذلك الاقرار صدقوا وايماننا ومن المعلوم ان من صدق
انسانا في شئين كان اكثر من يصدق في شئ واحد فقولنا تعالى واذا تكلم عليهم اياته
اتوا من رادتهم ايمانا معناه انه كلما سمعوا اية جديدة باقرار جديد وصدق جديد فكان ذلك
زيادة في ايمانهم واختلف الناس في ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقص ام لا
فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا يقبل الزيادة لانه جماع اهل
اللغة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال
ان الايمان عبارة عن مجموع امور ثلاثة وهي التصديق بالقلب والقرار باللسان والعمل
بالمواجيز والاركان فقد استدل على ذلك بهذه من وجهين احدهما ان قوله زادتهم
ايمانا صريح في ان الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما
قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص **الوجه الثاني** انه ذكر في هذه الآية
اوصافا متعددة من احوال المؤمنين ثم قال تعالى بعد ذلك اولئك هم المؤمنون حقا وذلك
يدل على ان تلك الاوصاف داخلية في سمي الايمان وروى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله واذا هـا
اساطة الاذي عن الطريق والها شعبة من الايمان اخراجها في الصحيحين ففي هذا الحديث
دليل على ان الايمان اعلا واذا كان كذلك كان قابلا للزيادة والنقص قال
عمر بن حبيب وكانت له صحيفة ان للايمان زيادة ونقصا قيل له فما زيادته قال اذا ذكرنا
الله وحدها فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز
الى عدي بن عدي ان للايمان فرايض وشرائط وشرايع وحدود وسنن لمن استكملها
فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وقوله تعالى **وعلى رءسهم شؤكلون**
معناه يقضون جميع امورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه واعلم ان المؤمن
اذا كان واقفا بوعده الله ووعيد كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهي درجة عالية
ومرتبة شريفة لان الانسان يصير بحيث لا يبغي له اعتماد في شئ من امور الا على الله
عز وجل واعلم ان هذه المراتب الثلاث اعني الوجه عند ذكر الله وزيادة الايمان
عند تلاوة القرآن والتوكل على الله من اعمال القلوب وذلك ولما ذكر الله هذه الصفات
الثلاث اتبعها بصفتين من اعمال الجوارح فقال تعالى **الذين يقيمون الصلاة ويؤتون**
الزكاة **وهم** يعني يقيمون الصلاة المفروضة محذووها واركانها في اوقاتها
وينفقون اموالهم فيما امرهم الله به من الاتفاق فيه ويدخل فيه النفقة في الزكاة وفي
الحج والجهاد وغير ذلك من الاتفاق في انواع البر والقرابات ثم قال تعالى **اولئك**
يعني من هذه صفته **هم المؤمنون** حقا يعني بقينا لا شك في ايمانهم قال ابن عباس

بريور من الكفر وقال قتادة استحقوا الايمان واحقه الله لهم وفيه دليل على انه لا يجوز ان
يصف احد نفسه بكونه مؤمنا حقا لان الله انما وصف بذلك اقواما مخصوصين على اوصاف
مخصوصة وكل احد لا يتحقق تحقق وجود تلك الاوصاف فيه وهذا يتعلق بمسئلة اصولية
وهي ان العلماء اتفقوا على انه يجوز للرجل ان يقول انا مؤمن واختلفوا في ايمه هل يجوز له ان
يقول انا مؤمن حقا ام لا فقال اصحاب ابي حنيفة الا ولي ان يقول انا مؤمن حقا ولا يجوز ان
يقول انا مؤمن ان شاء الله واستدلوا على صحة هذا القول بوجوه **الاول** ان المتحرك
لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شاء الله وكذا القول في القيام والقاعد فكذلك هذه المسئلة
سحب فيها ان يكون المؤمن مؤمنا حقا ولا يجوز ان يقول انا مؤمن ان شاء الله **الوجه الثاني** انه
تعالى قال اولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا وفي قوله انا مؤمن ان
شاء الله تشكيك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز وقال **اصحاب الشافعي** **الاول**
ان يقول الرجل انا مؤمن ان شاء الله واحتجوا بصحة هذا القول بوجوه **الاول** ان الايمان عند
عبارة عن الاعتقاد والافراز والعمل وكون الانسان اتيابا لاعمال الصالحة المقبولة امر
مشكوك فيه والشك في احد اجزا الماهية بوجوب الشك في الماهية فيجب ان يقول انا مؤمن
ان شاء الله وان كان اعتقاده واقاره صحيحا وعند اصحاب ابي حنيفة ان الايمان
عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل عن سمي الايمان فلم يلزم حصول الشك **الوجه الثاني** ان
قولنا انا مؤمن ان شاء الله ليس هو على سبيل الشك ولكن اذا قال الرجل انا مؤمن فقد مدح
نفسه باعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال ان شاء الله زاد ذلك العجب وحصل
له الانكسار روي ان ابا حنيفة قال لقتادة لم تستثن في ايمانك فقال قتادة اتبا عا
ابراهيم عليه السلام في قوله والذي اطعم ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال ابو حنيفة
هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى فانقطع قتادة قال بعضهم كان لقتادة ان
يقول ان ابراهيم قال بعد قوله بلى ولكن ليطين قلبي فطلب يزيد الطمانينة **الوجه**
الثالث ان الله تعالى ذكر في اول الآية انما المؤمنون ولغة انما تفيد المصدر يعني انما
المؤمنون الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك اوصافا فاحسبه وهي الخوف من الله والاعمال
لله والتوكل على الله والاتيان بالصلاة كما امر الله وايتا الزكوة كذا ثم قال بعد ذلك
اولئك هم المؤمنون حقا يعني من اتي مجموع هذه الاوصاف كان مؤمنا حقا ولا يمكن لاحد
ان يقطع حصول هذه الصفات له فكان الاول عليه ان يقول انا مؤمن ان شاء الله قال ابن ابي
نجيم سأل رجل الحسن فقال امون انت فقال الحسن ان كنت متبنا لتبني عن الايمان بالله ن
وسلايكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانابها
مومن وان كنت سالتني عن قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية
فلا ادري انا منهم ام لا قال **علقة** كفا في سفر فلقينا قوما نقلنا من القوم فقالوا
نحن المؤمنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبيد الله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا قال
فما رددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيئا قال هلا قلتم لهم امن اهل الجنة انتم ان المؤمنين هم
اهل الجنة وقال **سفيان الثوري** من زعم انه مؤمن حقا عند الله ثم لم يشهد انه في

في الجنة فقد امن بنصف الآية دون النصف الاخر الوجه الرابع ان قلنا قلنا انا
مومن ان شاء الله للتبرك لا للشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقوه
مع العلم القطعي انه لاحق باهل القبور الوجه الخامس ان المومن لا يكون مونا حقا
الا اذا ختم له بالايان ومات عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن
ان يقال انا مومن ان شاء الله فالمراد بصرف هذا الاستثناء الى الخاتمة واجاب اصحاب هذا
القول وهم اصحاب الشافعي عن استدلال اصحاب ابي حنيفة بقولهم ان المتحرك لا يجوز ان
يقول انا متحرك ان شاء الله ان الفرق بين وصف الانسان بكونه مونا وبين وصفه بكونه
متحركا ان الايمان يتوقف حاله على الخاتمة والحركة فعل يقيني فحصل الفرق بينهما والجواب
عن الوجه الثاني وهو قولهم انه تعالى قال اولئك هم المومنون حقا لم يبق لهم بكونهم
مومنين حقا انه تعالى حكم الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية بكونهم مومنين
حقا اذا اتوا بتلك الاوصاف الخمسة وهذا لا يقدر عليه احد انه ياتي بتلك الاوصاف
على الحقيقة ونحن نقول ايضا ان من اتي بتلك الاوصاف على الحقيقة كان مونا حقا ولكن
لا يقدر على ذلك احد والله اعلم وقوله تعالى **هَمْدٌ وَدُجَاتٌ غَيْرُ بَرٍّ** يعني لم مراتب بعضها
اعلى من بعض لان المومنين تتفاوت احوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تفاوتت
مراتبهم في الجنة كان درجات الجنة على قدر الاعمال قال عطارد درجات الجنة يرتقوا فيها
باعمالهم وقال الربيع بن انس سبعون درجة ما بين كل درجتين حضرة الفرس المضمرة سبعون
سنة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة
ما بين كل درجتين مائة عام اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان في الجنة مائة درجة لوان العالمين اجتمعوا في احداهن لوسعتهم **وتغيب**
يعني ولم يغفروا لذنوبهم **ورق كرم** يعني اعد لهم في الجنة وصفه بكونه كريما لان
منافعه خالصة لهم دائمة عليهم مقرونة بالكرام والتعظيم قوله تعالى **كما اخرجك**
رثك من بيتك بالحق اختلفوا في الجالب لهذه الكاف ما هو فقال المبرد قد يراد
الانقال لله والرسول وان كرهوا كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل
معناه امض لا مردك في الانقال وان كرهوا كما مضيت لمر ربك في الخروج من البيت
لطلب العبر وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان ذلك
خير لكم كما انكم ان اخرجكم من بيتكم بالحق خير لكم وان كرهه فريق
منكم وقيل هو راجع الى قوله لم درجات عند ربهم تقدروا وعد الله المومنين
والمومنات بالدرجات حق حتى يحجزه الله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
واخرج الوعد بالظن والضمير وقيل هي متعلقة بما بعدها تقدروا كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق على كرم فريق منهم كذا انك بكم هوون القتال وبجاد لون فيه فقيل الكاف
معنى على اي مضى على الذي اخرجك ربك من بيتك بالحق فانه حق وقيل الكاف
معنى القسم تقدروا والذي اخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل المراد بهذا الاخراج اخرجه
من مكة الى المدينة المنورة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه

من المدينة

من المدينة الى بدر ومعناه كما امرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة بالحق يعني بالوحي لطلب
المشركين **وان فريقا من المؤمنين كآلهون** يعني للقتال وانما كرهوه لقلة عددهم
وقلة سلاحهم وكثرة عدوهم وكثرة سلاحهم **يخادونك في الحق** وذلك ان المومنين لما ابقنوا
بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم نعلمنا اننا لنلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا لطلب
العبر فكذلك جد المهر **فعد ما تبنت** لهم يعني انك لا تنقض شيئا الا بمر ربك وتبين لهم صدقك
في الوعد **كما ينافقون الى الموت** يعني لشدة كراهيتهم القتال **وهم ينتظرون** يعني
الى الموت شبه كالهمة في فرط فرغهم بحال من يجري الى القتل ويساق الى الموت وهو ينتظر
اليه ويعلم انه اتيه قوله عز وجل **واذا بعدل الله احدى الطائفتين** يعني احدى الفريقين
فرقة ابي كسفيان مع القير وفرقة ابي جهل مع النضير **انما لكم** يعني احدى الفريقين
لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحق والسدي اقبل ابوسفيان بن حرب من
الشام في غير فريش في اربعين راكبا من كبار فريش منهم عمر بن العاص ومخرمة بن نوفل
الزهري ومعهم تجارة كثيرة وهي اللطمة يريد اللطمة الجال التي تحمل العطر والزعفران
حتى اذا كانوا قريبين بدربلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فتدب اصحابه اليهم واخبرهم
بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه غير فريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان
ينفلكوها فانتدب الناس خفت بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلقي حربا فلما سمع ابوسفيان مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استأجر مضم
بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وامره ان ياتي فريشا يستغفروهم ويخبرهم ان مهادني اهل
قد عرض لغيرهم فخرج مضم الى مكة سريرا وكانت غائكة تبنت عبد المطلب قد رات
رويا قبل قد ومضم مكة بثلاث ليل لا فرغتها فبعثت الى اخيها العباس بن عبد المطلب
فقال يا اخي والله لقد رايت الليلة روي اقطعني خشيت ان يدخل على قومك
منها شر ومصيبه قال لها وما رايت قالت رايت راكبا اقبل علي بعيره حتى وقف
بالايح ثم صرخ يا علاصوته الا انفر وايا الغدر لمصارعكم في ثلاث فاري الناس قد اجتمعوا
اليه ثم دخل المسجد والناس تبعونه فبينما هم حوله مثل بغيره على ظهر الكعبة فصرخ
منها يا علاصوته الا فانفروا يا الغدر الى مصارعكم في ثلاث ثم مثله بغيره على راس ابي
قيس فصرخ مثلها ثم اخذ صخرة فارسلها فاقبلت تخوي حي اذا كانت باسفل الجبل
ارفضت فابقي بيت من بيوت مكة ولاد من دورها الا ودخل منها فلقه فقال
العباس والله ان هذه لرويا فاكتمها ولا تدكر بها لاحد ثم خرج العباس فلقى الوليد
ابن عتبة وكان صديقا للعباس فذكر روي عاتكة له واستحلفه اياها فذكرها الوليد
لابيه عتبة فغشي الحديث حتى تحدث به فريش مكة قال العباس فعدت اطوف
بالبيت وابوجهل بن هشام في غد من فريش يتحدثون بروي عاتكة فعدت اطوف
فلما رايت ابوجهل قال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك اقبل الينا قال العباس فلما
فرغت من طوافي اقبلت اليهم حتى جلست معهم قال ابوجهل يا بني عبد المطلب مي
حدثت هذه النبئية فيكم قلت وما ذا قالوا لرويا التي رات عاتكة قلت وما رات

قال يا بني عبد المطلب اما رضىتم ان ينجي رجالكم حتى يتبنا نسائكم لقد زعمت غائكة في رواها
انه قال انفر واني ثلاث فسنبر بكم هذه الثلاث فان يك ما قالت حق فسيكون وان حضر
الثلاث ولم يكن من ذلك شي نكتب عليكم كتابا بانكم الكذب اهل بيت في العزب قال العباس فوالله
ما كان مني اليه من كبير عي لا ابي محمدت ذلك وانكرت ان تكون عائكة رات شيئا ثم تعرفنا
فلما اسيت لم يبق امرأة من بني عبد المطلب الا انتني فقلن افر رتر هذا الفاسق الخبيث
ان تنع في رجالكم حتى يتا ولا النساء انت لسمع ولم يكن عندك غيرك لشي ما سمعت قال
قلت قد والله فقلت ما كان مني اليه من شي وانيم الله لا تعرضن له فان عاد لا كفيته قال فعدت
في اليوم الثالث من روا عائكة وانا حديد مغضب اري ابي قد فاتي شي احب ان ادركه
منه قال فدخلت المسجد فرايته فوالله ابي لمرخوه اغرضه ليعود لبعض ما قال فافزع به
وكان ابو جهل رجلا خفيا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب
المسجد يشند قال العباس فقلت في نفسي ما له لعنه الله اكل هذا فقامني ان اشانه قال
واذا هو قد سمع ما لم اسمع سمع صوت ضمضم من عمر وهو بصرخ سبطن الوادي واقفا
علي بعيره وقد جدد بعيره وحول رجله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطمة
اللطمة المظلمة هذه امواكم مع ابي سفيان وقد عرض لها محمد في اصحابه ولا اري ان تدركوها
الغوث الغوث قال **فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الامر قال فجهش الناس**
سراعا ولم يتخلف من اشراف قريش احدا الا ان ابلهت قد تحلف وبعث مكانه العال
من هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للسير ذكرت الذي بينها وبين بني كبر بن عبدنا
من كانه من الحرب فقالوا اخشي ان ياتونا من خلفنا فكا ذلك ان يثبتهم فتبد الهمر
ابليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم وكان من اشراف بني بكر فقال انا جاركم من
ان ياتيكم كانه من خلفكم بشي تكمونه فخرجت قريش سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم في اصحابه لليل لمضت من شهر رمضان حتى بلغ وادي يقال له دفران فاته الخبر عن
سير قريش ليمنعوا عن غيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحا اخذ
عبينا له من جهمينه حليفا للانصار يدعاه ريقظ فاته خبر القوم وسبقت العير رسول
الله صلى الله عليه وسلم فزل جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدم احدي الطائفتين
افعالكم واما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصحابه في طلب العير وحرب النغير فقام ابو بكر فقال واحسن وقام عمر
فقال واحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال برسول الله امض لما امرك الله فنحن معك
والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون
ولكن نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت
بنا الي برك الغاد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معكم من دونه حتى تبلغه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم له خير اودعاه له بخبر ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم اشيرا
على ابيها الناس واما يريد الانصار وذلك انهم عدد الناس وانهم يابغوه بالعقبه
قالوا برسول الله انا براء من ذمامك حتى تصل لبي وارنا فاذا وصلت اليها فانت في ذمامنا

للقوم فاخرجهم وغرم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا صرح

منعك

منعك ما منع منه ابنا وانا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف الا ان تكون الانفا
تري عليها نصرة الامن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسير وامعه الي عدو
من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لك انك
تريد يا رسول الله قال اجل قال قد اسنا بك وصدقنا ان شهدنا ان ما جيت به هو الحق
واعطيناك على ذلك عهدونا ومو اتيقنا على السمع والطاعة فامض برسول الله لما اردت
فوالذي بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا احد
وما نكره ان تلقي بنا عدونا وعدوك انا نصبر عند الحرب صدق في اللقاء ولعل الله عز
وجل ان يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسار رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال يسروا على بركة الله وابشروا فان الله عز وجل
قد وعدني احدي الطائفتين والله لك اني انظر الي مصارع القوم ومن اس من مالك
ان عمر بن الخطاب حدثه عن اهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرمي اصراع
اهل بدر بالاسير يقول هذا مصرع فلان غدا ان شا الله تعالى قال عمر فوالذي بعثه
بالحق ما اخطا والحدود التي جدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في بيير بعضهم
على بعض فاطاق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتهم اليهم فقال يا فلان بن فلان
ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله وراسوله حقانا في قد وجدت ما وعدني الله
حقا فقال عمر برسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها فقال لما انتم باسمع لما اتوا
منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا على شيئا فذلك قوله تعالى اذ يعدكم الله احدي
الطائفتين انها لكم يعني يا بينة ابي سفيان مع العير وطائفة ابي جهل مع النغير
وَتَوَدُّونَ اِي وَتَرِيدُونَ وَتَمْنُونَ اَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّكَّةِ تَلُونَ لَكُمْ والمعنى
وتتمنون ان العير التي ليس فيها قتال ولا شوك تكون لكم والشوك السدة والقوة
ويقال السلاح **وَرَبُّكَ اللَّهُ اَنْ يَحْقُ الْمَوْءِدَ اِي يظفر الحق ويعليه بكلماته يعني باسمه**
اياكم بالقتال وقيل بعد الله التي سبقت لكم من اظهار الدين واعزازه **وَيَقْطَعُ ذَابِرَ**
الْكَافِرِينَ اِي وَيَسْتَأْصِلُهُمْ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ اَحَدٌ لِحَقِّ الْحَقِّ يعني ليعتد الاسلام
وَيَبْطُلُ الْبَاطِلُ يعني ويعني الكفر **وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ** يعني المشركون وفي الآية
سؤال وهو ان قوله يريد الله ان يحق الحق ثم قال بعد ليعق الحق وهذا تكرير فاما معنا
والجواب انه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تقيت ما وعد في هذه الواقعة
من النصر والظفر بالاعداء والمراد بالثاني تقوية القرآن والدين واظهار منار
الشريعة لان الذي وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قتلهم وفقد الكافرين مع
كثرتهم كان سببا لعز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل
يعني الذي هو الشرك **السؤال الثاني** الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما
المراد من تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق اظهار كون
ذلك الحق حقا والمراد من ابطال الباطل اظهار كون ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار ذلك
الحق وتقويته وتبعه وانا الباطل ونهزم قوله عز وجل **اِنْ تَسْتَفْتِيْنَهُمْ رُبُّكُمْ اِي واذكر**

وهذا مصرع فلان غدا ان شا الله تعالى

سؤاله

يا محمد اذ تسبحون وتكبرون عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر وفي المستغيثين
قولان احدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الان هري والقول
الثاني انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التظيم له
مر عن ابن عباس قال حدثني عن الخطاب قال لما كان يوم بدر فظفر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله
صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مديده فجعل يهتف بربه يقول اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم
انتي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصاة من اهل الاصنام لا تعبد في الارض فزال
يهتف بربه ماد ايديه حتى سقط رداه عن منكبيه فاتاه ابو بكر فاخذ رداه فلقاه على
منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كهلك مناشدتك ربك فانه سيخبر لك
ما وعدك فاترله الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني مهيأ اليكم من الملائكة
سرودين قامده الله بالملائكة قال **سأله في حديثي ابن عباس** قال بينما رجل من المسلمين
يوسيد يشتد في رجل اخيه اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالصوت فوقه
وصوت الفارس يقول اقدم جيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خرم مستلقيا فنظر اليه فاذا
قد حطم انفه وشق وجهه كضربة السوط فاحضر ذلك اجمع فجا الانصاري فحدث
بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مددا السما لثله فقتلوا
يومئذ سبعين واسروا سبعين وقوله تعالى **فاستجاب لكم** يعني فاجاب دعاكم
اني بمدة كم اصله باني مذكر اي مرسلك اليكم مددا وادرككم **يا ليل من الملائكة** **سرودين**
يعني يردون بعضهم بعضا معني يتبع بعضهم بعضا روي انه نزل جبريل عليه السلام
في خمس مائة وسبعمائة في خمس مائة في صور الرجال على خيل يلق عليهم ثياب بيض وعوامير
بيض قد ارجوها بين اكنافهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه وقال
ابوبكر ان الله يخبرك ما وعدك خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في
العرش ثرائنه فقال يا ابا بكر اتاك نصر الله هذا جبريل اخذ بعنان فرسه ففوداه
على شايها المنفع ج عن ابن عباس كان سينا الملائكة يوم بدر عوامير بيض ويوم حنين
عوامير خضراء ولم يقاتل الملائكة في يوم سوى بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه
عددا و مددا و روي عن ابي اسيد مائة الف رجل وكان قد شهد بدر انه قال
بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعي بصري لاريتكم الشعب الذي
حزبت منه الملائكة وقد تقدم الكلام في سورة الاحزاب هل قاتلت الملائكة ام لا
والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس في الذي ضرب به
بالسوط في حطم انفه وشق وجهه وكانوا فيما سوي يوم بدر مددا وعونا وقيل
انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثر واسود المسلمين ويثبتونهم ويدل عليه قوله تعالى
وما جعله الله الا بشري يعني وما جعل الله الارداث اباء الملائكة الا بشري
ولست من به قلوبكم وهذا يحق انهم انما نزلوا لذلك لا للقتال والصحيح هو الاول
وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الايام وقوله تعالى **وما النصر الا**

من عند الله

قوله وما جعله الله الا بشري يعني وما جعل الله الارداث اباء الملائكة الا بشري

من عند الله يعني ان الله هو بنصركم اي المومنون فتقوا بنصره ولا تشكوا على قوتكم وشدة
باسكم وفيه تنبيه على ان الواجب على العبد المسلم الاتوكل الا على الله في جميع احواله ولا يثق
بغيره فان الله تعالى يبدد النصر والاعانة **ان الله عز وجل** يعني انه تعالى قوي متين لا يقهره
شي ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شي ويغلبه **حكم** يعني في تدبيره ونصره ينصر من يشاء
ويخذل من يشاء من عباده قوله تعالى **اذ يغشاكم النعاس امنه منه** اي واذا اذيلت
عليكم النعاس وهو النوم الخفيف امنه منه اي امانا من الله لكم من عدوكم ان يغلبكم
فلا عبد الله بن مسعود النعاس في القتال امنه من الله وفي الصلاة من الشيطان والفايدة في
كون النعاس امنه في القتال ان الحايض على نفسه لا يأخذ النوم فصار حصول النوم وقت الخوف
الشديد دليل على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على انفسهم لكثرة عدوهم وعدوهم
وقلة المسلمين وقلة عدوهم وعدوهم وعطشوا عطشا شديدا الذي عليهم النوم حتى حصلت
لهم الراحة والنعيم الكلال والطول العطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في
حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدوا العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عندهم
وقيل في كون هذا النوم كان امنه من الله انه وقع عليهم النعاس وثقة واحدا فاموا كلهم
مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد امر خارج عن القادة
فهذا السبب قيل ان ذلك النعاس كان في حكم المحزنة لانه امر خارج للقادة وقوله
تعالى **ونزل عليكم من السماء ماء** يعني المطر **ليطهركم به** وذلك ان المسلمين نزلوا يوم
بدر على كتيب رمل اعفر فتسوخ فيه الاقدام وحوا فر الخيل وكان المشركون قد سبقوهم الي
مآبدر فتر لواعليه واصبح المسلمون على غير ما وبعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم
العطش فوسوس اليهم الشيطان وقال ترعون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانتم اوليا
الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم تصلون محدثين ومجنبيين فليف ترجوا ان تظهروا
على عدوكم فاترله الله مطرا سالسه الوادي فشرب منه المومنون واغتسلوا ووقضوا
وسقوا الركاب وملاوا الاسقية واطفا القبار ولبد الارض حتى تثبت عليها الاقدام والتمس
عنهم وسوسة الشيطان وطابت انفسهم وعطت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا
على حصول النصر والظفر فذلك قوله تعالى **يتر عليكم من السماء ماء ليطهركم به** يعني من
الاحداث والجنابة **وليوطئ على قلوبكم** يعني يا لصبر واليقين والربط في اللغة الشد
وكل من صبر على امر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدي ويشبه ان يكون لفظة على
صلة والمعني ليربط قلوبكم بالصبر وما وقع فيها من اليقين وقيل ان لفظة على ليس
بصلة لانه تفيد الاستعلاء فيكون المعني ان القلوب امتلات من ذلك الربط حتى فانه
علا عليها وارتفع فوقها **ويثبت به الاقدام** يعني ان ذلك المطر لبد الارض وقوي الربط
حتى تثبت عليه الاقدام وحواقر الدواب وقيل المراد تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب
لان من يكون ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفر ويهرب عند اللقاء وقوله تعالى **اذ يوحى**
ربك الي الملائكة اني معكم يعني ان الله تعالى اوحى الى الملائكة الذين امدهم النبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه اني معكم بالنصر والمعونة **فتثبتوا الذين امنوا** اي قوتوا

قوله ونزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعني من الاحداث والجنابة

قلوبهم واختلفت في تقوية الله كيفية هذا التقوية والتثبيت فقبل كان للشيطان
 قوة في القلوب وسوسة في قلب ابن ادم بالشرك فلهذا الملك قوة في القلوب الهام في قلب ابن ادم
 بالخير ويسمى ما يلقي الشيطان وسوسة وما يلقي الملك قوة في القلوب الهام في قلب ابن ادم
 ان ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعونتهم لم اي تثبتهم بقتالهم معهم للمشركين
 وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يسمي في صورة رجل امام الصف ويقول
 اشروا فان الله ناصركم عليهم **سأفني في قلوب الذين كفروا الرعب** يعني الخوف
 وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث الف الرعب والخوف في قلوب الكافرين **فاضربوا**
فوق الاعناق قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعاً عما قبله وقيل هو خطاب مع
 الملائكة فيكون متصلاً بما قبله قال ابن الانباري ما كانت الملائكة تعرف تقابل بني ادم
 فعلمهم الله ذلك بقوله فا ضربوا فوق الاعناق قال عكرمة يعني الروس لها فوق الاعناق
 وقال الضحاك فا ضربوا الاعناق وفوق صلة وقيل معناه فا ضربوا على الاعناق فتكون
 فوق معني على **واضربوا اكل نبات** يعني كل مفصل وقال ابن عباس يعني الاطراف وهي جمع
 بناة وهي اطراف اصابع اليد سميت بذلك لان بها اصلاح الاحوال التي يمكن الانسان ان
 يبين ما يريد ان يعمله بيديه وانما خصت بالذكر من سائر الاطراف لان الانسان
 بها يقاتل بها يمسك السلاح في الحرب وقيل انه تعالى امرهم بضرب اعلا الجند وهو الراس
 وهو اشرف الاعضاء وبضرب البناك وهو اضعف الاعضاء فيدخل في ذلك كل عضو والجند
 وقيل امرهم بضرب الراس وفيه هلاك الانسان وبضرب البناك وفيه تبطل حركة الانسا
 عن الحرب لان بالبناء يتمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنائه فغفل
 عن ذلك كله وروي عن ابي داود المازني وكان شهيداً راقاً قال اني تتبع رجلاً من المشركين
 لا ضربه اذ وقع راسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قد قتل غيري وعن سهل بن
 حنيف قال لقد رايتنا يوم بدر وان احداً ليسير بسيفه الى المشرك فيقطع راسه عن
 جسده قبل ان يصل اليه السيف وروي عكرمة عن ابي رافع مولي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وكان الاسلام قد دخل علينا اهل البيت فاسلمت ام الفضل واسلمت وكان العباس
 يهاب قومه ويكره خلافتهم وكان يكتم اسلامه وكان ذاماً لكثير متغرق في قومه وكان
 عدو الله ابو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما
 حان الحزب من قتل اصحاب بدر كبتهم الله واخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزاً قال
 ابو رافع وكنت رجلاً ضعيفاً وكنت اعمل القداح واخترتها في حجر زمزم فوالله اني
 لما لست تحت القداح وعندني ام الفضل جالسة اذا قبل القاسق ابو لهب عجز عليه
 حتى جلس علي طنب الحجر فكان ظهري في ظهري فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابو
 سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم فقال ابو لهب الي يا ابن اخي فعندك
 الخبر اليقين فجلس اليه والناس قيام عليه فقال ابو لهب يا ابن اخي اخبرني كيف كان
 احوال الناس قال لا شيء والله ان كان الان لاني انا فمخناهم اكلنا يقتلوننا ويأسروننا

منهم

كيف ساوا

كيف ساوا وايم الله ما لمت الناس لقينا رجلاً لا ييضاً على خيل بلق بين السما والارض والله ما يلقي
 كذا شيئا ولا يقوم لم شقاً ابورافع فرغت طرف الحجر بيدي وقلت تلك والله الملائكة فرقع
 ابو لهب يدك فضرب وجهي ضربة شديدة فتناورته فاحتملي فضربني لارض ثم برك علي
 صدري وكنت رجلاً ضعيفاً فقامت اليه ام الفضل بعد من عدا الحج فضرته به ضربة
 فلقت راسه شجرة منكرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه سيدك فقام مولى اذ ليل الله
 ما عاش الاسبع لياحي وماه الله بالعدسة فقتلته وروي مقيم عن ابن عباس قال
 كان الذي اسرا العباس ابو اليسر كعب بن عمرو اخو بني سلمة وكان ابو اليسر رجلاً مجمو
 وكان العباس رجلاً جسيماً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يي اليسر كيف استر
 العباس قال يرسول الله لقد اغاني عليه رجل ما رايته قبل ذلك ولا بعد هيبته لنا ولنا
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اغانيك عليه ملك كريم كانت وفعة بدر في
 صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية وقول
 تعالى **ذلك** يعني الذي وقع من القتل والاسر يوم بدر **ما تمشا قوا الله ورسله**
 يعني بانهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة واصحابها المجانبة كانت صاروا في شق
 وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم وهذا مجاز معناه انهم شا قوا اوليا الله وهم المؤمنون
 او شا قوا دين الله ثم قال تعالى **ومن يشاق الله ورسله فان الله شديد العقاب**
 يعني ان الذي تركهم في ذلك اليوم من القتل والاسر شي قليل فيما اعد الله لهم من العقاب
 يوم القيامة ثم قال تعالى **ذلكم** اشارة الى القتل والاسر الذي تركهم **قد وقوة** يعني
 عاقل في الدنيا لان ذلك يسير بالاضافة الى الموجه الذي اعد الله لهم في الآخرة من
 العذاب وهو قوله **وان للكافرين عذاب النار** يعني في الآخرة عن ابن عباس قال لما
 فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك العير ليس دونها شي قال فتأداة
 العباس من وثاقه لا تصلح لك لان الله وعدك احدي الطائفتين وقد اعطاك ما وعد
 قال صدقت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا**
اذ القيمم الذين كفروا يعني مجتمعين متراهين بعضكم الي بعض والتراحف التداين
 في القتال واصل الزحف شي مع جوارجل كما نبعاث الصبي قبل ان يمشي وسمي شي الطائفتين
 بعضهم الي بعض في القتال زحفاً لانه مشي كل طائفة الي صاحبتها مشياً ويدا وذلك
 قبل التداين في القتال وقال تغلب الزحف المشي قليلاً قليلاً الي التي **فلا تقولوا الاذيان**
 يعني فلا تقولوا ظهوركم منهن منهن فان المنهزم يولي ظهره ويري **ومن يقولوا يومئذ**
 يعني ومن ينهزم ويولي يري يوم الحرب والقتال **الا نتخذ القتال** يعني لا نتخذ
 الي القتال يري عدوه من نفسه الانهزام وقصد طلب الكرامة على العدو والعود اليه وهذا
 هو احد ابواب الحرب وخدعها ومكايدها **او تحبوا الي فيضة** يعني اوسضا واصيارا
 الي جماعة من المؤمنين يريدون العود الي القتال **فقد يا محض من الله** يعني من انهم
 من المسلمين وقت الحرب الا في هاتين الحالتين وهي الخوف للقتال والتحيز الي قية
 من المسلمين فقد رجع بغضب من الله **وما واوه جهنم وبئس المصير** فصل

في حكم هذه الآية اختلاف العلماء في ذلك فقال ابو سعيد الخدري هذا في اهل بدر
خاصة لانه ما كان بجون لم الانه لم يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم يكن
لهم فيه تخيرون اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولو اتخاها واخاها والمشاركين
ولانه اول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشد الله
عليهم امر الانهزام وحرمة عليهم يوم بدر فاما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فيه بعض
فيكون الفار مخيرا الي فية فلا يكون زاره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة والضحك
قال يزيد بن ابي جبيب اوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم احد قال تعالى انما
استرهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعث الله تعالى
وليهم مدبرين يثربوب الله من بعد ذلك علي من يشا وقال عبد الله بن عمر كان في جيش بختنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاص الناس حبيصة فانهم فقلنا برسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بل انتم الكرارون انا فية المسلمين قوله فخاص الناس حبيصة فانهم فقلنا برسول
الله يعني جالوا جولة يطلبون الفرار من العدو والمحيط المهرب وقال محمد بن سيرين لما
قتل ابو عبيدة جاحا الخبر لي عمر بن الخطاب فقالوا لوانا الي كنت له فية انا فية كل مسلم
وقال بعضهم حكم الآية عام في حق كل من ولي ظهره شهرا ما بدليل ان قوله يا ايها الذين امنوا
وهذا خطاب عام فيتناول جميع الصور وان كانت الآية نزلت في غزاة بدر لكن العبرة
بهموم اللفظ لا بخصوص السبب وجاء في الحديث من الكبار الفرار من الزحف وقال عطاء بن
ابي رباح هذه الآية مفسوخة بقوله الان حقت الله عنكم فليس لقوم ان يفروا من مثلهم
نفخت بذلك الا في هذه العدة وعلي هذا اكثر اهل العلم ان المسلمين اذا كانوا على الشطر
من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا منهم او يولوهم ظهورهم وان كان العدو اكثر من المسلمين
حازلهم الفرار منهم قال ابن عباس من فر من ثلاثة لم يفروا من فر من اثنين فقد فر
قوله تعالى **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ** قال مجاهد سبب نزول هذه الآية
انهم لما انصرفوا عن قتال اهل بدر كان الرجل يقول انا قتلت فلانا ويقول الاخر انا قتلت
فلانا فترت هذه الآية ومعناه فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم يعني بنصر اياكم وتقوم
عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداد اياكم بالملائكة قال الرمخشري الفاني قوله فلم
تقتلوهم جواب شرط محذوف تقديره وان اقتدرتم بقتلهم فلم تقتلوهم انتم ولكن الله
قتلهم **وَمَا رَمَيْتَ اَوْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى** قال اهل التفسير والمغازي لما ندب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس انطلقوا اخي نزلوا ابدرا ووردت عليهم روايا قريش
وفيهم اسلم غلام اسود لبني الحجاج وابويسا ر غلام لبني الحاص بن سعد فاحذوها وانوا
بها الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن قريش
قال لا ورا الذي يري بالعدوة القصوي والكيب العتقلي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كرم القوم قالا كثيرا قالا لا ندري قال كرم تجرون كل يوم قالا
يوما عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم مابين التسعاية
الي الالف ثم قال لها من فيهم من اشرف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة

والله اعلم

وابو العزري بن هشام وحكيم بن حزام والحراث بن عامر وطعمة بن عدي والنضرب
الحارث وابو جهل بن هشام وامية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد اقلت اليكم افلاذكبها فلما اقبلت قريش
وراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبوب من العتقيل وهو الكيب الرمل ورا الي الوادي
قال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفجها تجادل وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي
وعدي قاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما اليق للجمع
تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصا عليه تراب فري في وجوه القوم وقال
شاهت الوجوه يعني فحمت الوجوه فلم يبق مشرك الا ودخل في عينه وفمه ومخاريه
من ذلك التراب شي فانهم واوتهم المومنون يقتلونهم ويأسرونهم وقال قتادة بن
زيد ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ يوم بدر ثلاث حصيات فري حصيا
في سبينة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين اظهريهم وقال شاهت الوجوه
فانهم فاذلك قوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اذ ليس في وسع احد
من البشر ان يري كفا من حصي في وجع جيش فلا يقي فيهم عين الا وقد دخل فيها من
ذلك شي فنصرة الرمي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتاثيرها صدر من الله
عز وجل فلهذا المعنى صريح النفي والاثبات وقيل في معنى الآية وما بلغت اذ رميت
ولكن الله بلغ رميك وقيل وما رميت بالرعب في قلوبهم اذ رميت محصايك ولكن
الله رمى بالرعب في قلوبهم حين انهزموا **وَلَيْسَ لَكَ مِنَ الشَّيْءِ عِلْمٌ** يعني وليست على
المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والاجر والثواب وهذا اجماع المفسرين
ان البلا هنا معنى النعمة **ان الله سميع عليم** يعني لدعاكم **عَلَيْكُمْ** وقوله تعالى
وَلَكُمْ يعني الذي ذكرت من امر القتل والرمي والبلا الحسن من القتل والنصر عليهم
فعلنا ذلك الذي فعلنا **وان الله** يعني واعلموا ان الله مع ذلك **يوقن** اي مضعون
كيد الكافرين يعني يكره ويكيدهم قوله تعالى عز وجل **ان الله يستغفر** **ان الله**
هذا خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك
ان ابا جهل قال يوم بدر لما التقى الجمعان اللهم اينا كان الفجر يعني نفسه ومحمد صلى الله
عليه وسلم قاطع الرحم فاحنه اليوم وقيل انه قال اللهم اينا كان خيرا عندك فافصره
وقيل قال اللهم انصر اهدي الغيتين وخير الفريقين وافضل الخيدين اللهم من كان
الفجر واقطع لرحمه فاحنه اليوم فانزل الله ان تستغفروا ومعنى الآية ان تستجفروا الله
عليه اقطع الخيدين للرحمة والظلم الغيتين فينصر المظلوم على الظالم فقد جاءكم الفتح
يعني جاءكم حكم الله بنصره المظلوم على الظالم والمحق على المبطول والمغفور على القاطع
ق عز عبد الرحمن بن عوف قال اني لواقف في الصف يوم بدر فظننت عن يميني
وعن شمالي فاذا انا بغلامين من الانصار حديثه اسنانها فتمنيت ان اكون بين
اضلع منها فتمني احداهما فقال اي عم هل تعرف ابا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه
يا بن احيي قال اخبرت انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده

لان رايته لا يفرق سواي سواده حتى يموت الاعجل منا فتجبت لذلك قال وغزني الاخر
فقال لي مثلها فلم انسب ان نظرت الي ابي جهل بحول في الناس فقلت ان ترى ان هذا صاحبك
الذي تسالني عنه قال فابعد راه بسيفها فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا الي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبراه فقالا لا يكافئ قتله فقال كل واحد منهما انا قتلته فقال هل سمعتم
سيفيكما فقال لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الي السيفين فقال كلاهما قتله وفتي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبله لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان معا ذين عمرو بن الجموح
ومعاذ بن عفراء **عن** انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا
ما صنع ابو جهل فاطلق ابن مسعود فوجده قد ضرب به ابناء عفراء حتى سواد فاخذ بلحيته
وقال انت ابو جهل وفي كتاب البخاري انت ابا جهل هكذا قاله امرئ فقال وهل فرق رجل
قتلتموه او قال قتله قومه وفي رواية قال ابو جهل فلو غيرا كما رقتني عن عبد الله بن
مسعود قال مررت فاذا ابو جهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله يا ابا جهل قد
اخزي الله الاخر قال ولا اها به منهم لك فقال ابعده من رجل قتله قومه فضربه بسيف
عز طائل فلم يغن شيئا حتى سقط سيفه من يده فضربه حتى برد اخرجه ابو داود واخرجه
البخاري مختصرا قال انه اتى ابا جهل يوم يرد ربه ومق فقال هل اعد من رجل قتلتموه
وقال عكرمة قال المشركون والله ما نعرف ما جابه به فافتح بيننا وبينه بالحق فارتل
الله عز وجل ان تستغفروا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستغفروا فقد جاءكم الفضا وقال
السدي والكبي كان المشركون لما خرجوا الي النبي صلى الله عليه وسلم من مكة اخذوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر علي الجندين واهدي الغبتين والكره للزبين
وافضل الدينين فقيه تزل ان تستغفروا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستغفروا فقد
جاءكم النصر وهو علي ما سألوه فقد كان النصر لاهدي الغبتين وهم اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجموح
لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عده امر ابي جهل بن هشام ان يلتمس سيفه
القتلي وقال اللهم لا تجعل في قلبي سمعة جعلته من شاني فعدت نحوه فضربه ضربة
طيرت قدمه بنصف ساقه قال وضربني ابيه عكرمة علي عاتقي فطوح يدي فتعلقت
مجلدة من جنبي واجهضني القتال عنه فلفه قاتلت عامه يوي واني لا احبها خلفي
فلما اذنتي جعلت عليها قدسي ثم تطيت بها حتى طرحتها ثم راني جهل وهو غير معود
ابن عفراء فضربه حتى اثنته وتركه وبه ومقن به عبد الله بن مسعود قال وجدته باخر
موقن فرفته فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت هل اخراكم الله يا عدو الله قال وماذا
اخراني اعد من رجل قتلتموه اخبرني لمن الديرة فقلت لله ولرسوله روي عن ابن
مسعود انه قال قال لي ابو جهل لقد ارتقيت يار وبي مرتقا صعبا ثم اجترزت راسه
فخرجت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا راس عدو الله ابي جهل
فقال الله الذي لا اله غيره فقلت نعم والذي لا اله غيره ثم القينته بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهداه الله وقال **ابن** كعب هذا خطاب لاصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم

عبد الله بن مسعود

ابن كعب

صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للمسلمين ان تستغفروا اي تستغفروا فقد جاءكم
الفتح اي النصر **عن** جابر بن الارث قال اشكونا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
متوسد ردة له في ظل الكعبة فقلنا الاستغفر لنا الا ندعونا فقال قد كان من قبلكم يوحى
الرجل فيحفر له في الارض فجعل فيها ثم يوتي بالمسار فيوضع على راسه فيجعل بضغتين
ومشط بامشاط الحديد مادون لحيه وعظمه ما يصدقه ذلك عن دينه والله ليمتن الله
هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعنا الي حضرموت **الخفاف** الى الله والذبي على غنمه
ولكنكم تستعجلون قلتم استدل بخوي هذا الحديث علي ما ضرع ابي بن كعب الاية
وفيه نظرون هذه الواقعة المذكورة في الحديث كانت مكة والاية مدنية فلا تلاق
الحديث بتفسير الاية والله اعلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله بيدر وسأله
انجاز ما وعد من احدي الطائفتين ولم يزل الدعاء والمسئلة حتى سقط رداءه قال الله تعالى
بجيبا له ان تستغفروا يعني تطلبوا النصر والجاز ما وعدكم به فقد جاءكم الفتح فقد
حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله على ما انعم به عليكم من اجابة دعائكم والجاز ما وعدكم
وهذا القول اولي لان قوله فقد جاءكم لا يليق الا بالمؤمنين هذا اذا ضربنا الفتح بالنصر
والظفر على الاعدا اما اذا ضربنا بالفضا والحكم لم يمتنع ان يرايه الكفار اما قوله
تعالى **ان تستغفروا** فهو خير لكم هذا خطاب للكفار يعني وان تنهتوا عن قتال محمد صلى
الله عليه وسلم وعن تكذيبه فتوجه لكم في الدين والدنيا اما في الدين بان تؤمنوا به وتلقوا
عنه فيجعل لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص من العقاب واما في الدنيا فهو الخلاص
من القتل والاسر **وان تعودوا** يعني وان تعودوا القتال محمد صلى الله عليه وسلم
فعد بلسيطه عليكم وضرب عليكم **ولن يغني عنكم فينكم** يعني جماعتكم شيئا يعني
لا تقن عنكم شيئا **ولو كثرت** يعني جماعتكم **وان الله مع المؤمنين** يعني بالنصر لكم
عليكم يا معشر الكفار قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا رسوله** يعني
في امر الجها لان فيه بذل المال والنفس **ولا تولوا عنه** يعني عن الرسول الله صلى الله
عليه وسلم لان التولي لا يصح الا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لا في حق الله والمعني
لا تغضوا عنه وعن معونته وضربه في الجهاد **وانتم تسعون** يعني القتران يتلي عليكم
ولا تكونوا كالدن قالوا بالسنتهم **سبعنا وهم لا يسمعون** يعني وهم لا يسمعون ولا يستغفرو
لما سمعوا من القرآن والمواظط وهذه صفة المنافقين **ان شهدوا ذواب عند الله**
يعني ان شروا من ديب على وجه الارض من خلق الله عند الله **الضم** عن سماع الحق **البلهم**
عن النطق به فلا يقولونه **الذين لا يصدقون** يعني لا يقرهون عن الله امره ونهيه
ولا يقبلونه وانما ساءهم دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم قال **ابن عباس** هم نفر من
بنو عبد الدار من قضي كانوا يقولون نحن صمكم وعمى عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا
جميعا يوم احد وكانوا اصحاب الوار لم يسلم منهم الا رجلا من مصعب بن عمير وسويط بن
حرملة **ولو علم الله** فيهم خيرا **لا سمعهم** يعني سماع نفهم واستماع وقبول الحق ومعني ولو علم
الله قال الانام خرا الذين ان كان ما كان حاصلا يجب ان يعلمه الله فعدم علم الله بوجوده

يعني

وتقدير الكلام لو حصل فيهم خبر الاستعانة بالله والمواعظ سماع تعليم وتفهيم **ولو استعملهم**
يعني بعد ان علم انه لا خير فيهم لم ينتفعوا بما يشيرون من المواعظ والدلائل **ولو استعملهم**
مفروضون يعني ولقولوا عن سماع الحق وهم معرضون عنه لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره
وقيل الكلام انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احي لنا قضيائنا فانه كان شيخا مباركا
حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن بالحق قال الله تعالى ولو اوجيهم قضيائهم سمعوا كلامه لتولوا عنه
وقم معرضون قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا استجبوا لله وللرسول** يعني اجيبوها
الطاعة والالتزام لامرهما **اذا دعاكم** يعني الرسول صلى الله عليه وسلم انما واحد الضمير
قوله اذا دعاكم لان استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكر احدهما
مع الآخر للتوكيد واستدراك البتة لفقها هذه الآية على ان ظاهر الامر للوجوب لان
كل من امره الله ورسوله بفعل فقد دعاه اليه وهذه الآية تدل على انه لا بد من الاجابة
في كل ما دعا الله ورسوله اليه **ح** عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد
فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه فاتيته فقلت يا رسول الله اني كنت
اصلي فقال لم يقل الله استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي بن كعب وهو يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا ابي فالتفت ابي فلم يجبه وصلي ابي وخفت ثم انصرف ابي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام
ما منعك يا ابي ان تجيبني اذ دعوتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني كنت في الصلاة قال فلم تجد
فيها اوجي الله الي استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال لي ولا اعود ان شا
الله وذكر الحديث اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة
بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس احد ان يقطع صلاته **ل** دعا احد اخر وقيل
لو دعا احد لامرهم لا يحتمل التأخير فله ان يقطع صلاته وقوله تعالى **لما يحييكم**
يعني اذا دعاكم لما فيه حياتكم قال السدي هو الايمان لان الكافر ميت فيجب بالايمان
وقال قتادة هو القدران لانه حيوة القلوب وفيه النجاة والعصمة في دارين
وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحاق هو الجهاد لان الله اعز به بعد الذل وقيل
في الشهادة لان الشهاد احياء عند ربهم يرزقون **واعلموا ان الله يحول بين المرء**
وقلبه قال ابن عباس يحول بين المومن وبين الكفر والمعاصي الله يحول بين الكافر
وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول الحسن سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال
السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن او يكفر الا باذنه وقد
دلت البراهين العقلية على هذا القول لان احوال القلوب اعتقادات ودواعي
وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد ان يتعد منها الارادة وتلك الارادة لا بد لها
من فاعل مختار وهو الله تعالى فثبت بذلك ان المتصرف في القلب كيف شا هو
الله تعالى **مر** عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك **عن انس**
ابن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على
دينك فقلنا يا رسول الله قد امننا بك وبما جيت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين
اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شا اخرجه الترمذي وهذا الحديث من احاديث
الصفات فيجب على المسلم ان يبره على ما جامع الاعتقاد الجزم بتزيه الله تعالى عن الجارية
والجسم وقيل في معنى الآية ان الله عز وجل يحول بين المروق له حتى لا يدري ما يصنع ولا
يعقل شيئا وقيل ان القوم لما دعوا الى القتال والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلة
خافت قلوبهم وصانقت صدورهم فقبل لهم قائلوا اني سبيل الله واعلموا ان الله يحول بين
المروق له فيبدل الخوف امانا والجهن جرة وقوله تعالى **وانه اليه تخشعون** يعني في
الآخرة فيجزي كل عامل بعمله فيثيب الحسن ويعاقب العاصي قوله تعالى **وانتوا قسمة**
الذين ظلموا منكم لما اخبر الله عز وجل انه يحول بين المروق له حد من وقوع الفتن والمغيب
واحدروا قسمة ان نزلت بكم لم يقتصر على الظالم خاصة بل يتعدى اليكم جميعا فكل
الى الصالح والطالح واراد بالفتنة الابتلاء والاختبار وقيل تقديره وانتوا قسمة ان لم
تتقوها اصابكم جميعا الظالم وغير الظالم قال الحسن نزلت هذه الآية في علي وعمار وطحمة
والزبير قال الزبير لقد فرانا هذه الآية زمانا وما اري انا من اهلها فاذا نحن المعينون
بها يعني ما كان منهم في يوم الحلة وقال السدي ومقاتل والضحاك وقاتلة هذا في قوم
مخصوصين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اصابتهم الفتنة يوم الحلة وقال ابن
عباس امر الله عز وجل المومنين الا بقر والمنكرين اطهرهم فيهم الله بالهداب فيصيب
الظالم وغير الظالم روي البغوي بسند عن عدي بن عدي الكندي قال حدثني مولي
لنا انه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب العامة
بعمل الخاصة حتى يبروا المنكرين طهرانهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا
فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الاثير في جامع الاصول
عن عمر بن عويمر الكندي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا علمت الخطية في الارض
كان من شهدها فانكرها لمن غاب عنها ومن غاب عنها فزنيها كان من شهدها اخرجه
ابوداود عن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من
رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرهون على ان يغيروا عليهم ولم يغيروا الا
اصابهم الله منه بعقاب قيل انهم نوا اخرجه ابوداود وقال ابن زيد اراد بالفتنة
افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ستكون قتن القاعد فيها خير من القايم والقايم فيها خير من الماشي والماشي
خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد شيئا او مغاد فليعده فان
قلبت ظاهرا قوله تعالى وانتوا قسمة لا نصيب من الذين ظلموا منكم خاصة
يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه ان يوصل
الفتنة الي من لم يذنب قلت انه تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيد

وفي ملكه وتصرفه يتصرف فيهم كيف شاء لا يسأل عما يفعلون فيحسن ذلك منه علي
سبيل المالكية اولانه تعالى علم اشغال ذلك علي انواع من انواع الصلحة والله اعلم بمراده وقوله
تعالى **واعلموا ان الله شديد العقاب** فيه تحذير وعيد لمن واقع الفتنة التي حذر
الله منها قوله عز وجل **واذ انتم قليل مستضعفون في الارض** لما امر الله المؤمنين
بطاعة الله وطاعة رسوله وحذر من الفتنة ذكرهم بضعفهم فقال تعالى يا معشر
المؤمنين المهاجرين اذ انتم قليل يعني في العدد مستضعفون في الارض يعني في ارض مكة
في ابتداء الاسلام **فانتم** اي انتم **تخطفكم الناس** يعني كفار مكة وقال عكرمة يعني كفار العرب
وقال وهب بن منبه يعني فارس والروم **فاولئك** يعني الي المدينة **وانتم** يعني وقولكم
بالانصار وقال الكلبي وقولكم يوم بدر بالملائكة **ورزقكم من الطيبات** يعني الغنائم اكلها
لكم ولم يحمل احد فيكم **لعلكم تشكرون** يعني تشكرون الله علي نعمه عليكم قوله تعالى **يا ايها**
الذين آمنوا لا تحزنوا لله والرسول قال الزهري والكلبي نزلت هذه الآية في ابي
لبابة هرون بن عبد المنذر الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم خاص بهود قرظبة احدي وعشرين ليلة فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصلح علي ما صالح عليه اخوانهم بني النضير علي ان يسيروا الي اخوانهم الي اذرعاء
وارحاض من ارض الشام فاجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك الا ان يترلوا علي
حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحا
لم لان ماله وولده وعباله كان عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم
فقالوا يا ابا لبابة ما تري ان نزل علي حكم سعد بن معاذ فاشار ابولبابة بيده الي خلقه
يعني انه الذبح فلا تقبلوا **قال** ابولبابة والله ما زالت قدماي عن مكانهما
حتي عرفت اني قد خضت الله ورسوله ثم انطلق علي وجهه ولم يات رسول الله صلى الله
عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعما
ولا شربا حتي اموت او يتوب الله علي فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره
قال اما لو جاني لاستغفرت له فاما اذا فعل ما فعل فاني لا اطلقه حتي يتوب الله
عليه فثكث سبعة ايام لا يذوق طعما ولا شربا حتي خرمغشيا عليه ثم تاب الله
عليه فقبل ابا لبابة قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسي حتي يكون رسول الله صلى
الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاه فخله بيده ثم قال ابولبابة ان تمام توبتي ان
اهجر دار قومي التي اصبحت فيها الذنب وان اخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بخيرك التثاقل ان تصدق به وتزل فيه يا ايها الذين آمنوا لا تحزنوا لله والرسول
وقال السدي كانوا يسمعون النبي صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتي يبلغ المشركين
فترلت هذه الآية وقال جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فاتي جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا تصحبه ان ابا سفيان في موضع كذا وكذا فاجروا اليه والتموا اقا فثكث
رجل من المنافقين اليه ان محمد ابريدكم محمد واحد ركن فارتل الله لا تحزنوا الله والرسول

واذكروا

وتحزنوا **اما انتم** ومعني الآية لا تحزنوا الله والرسول ولا تحزنوا اماناتكم **وانتم تعلمون**
ايها امانته وقيل معناه وانتم تعلمون ان ما فعلتم من الاساة الي الخلق خيانة واصلا للحياة
من الموت وهو النقص لان من خان شيئا فقد انقصه والخيانة ضد الامانة وقيل 2 معني
الامانة لا تحزنوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم ذلك فقد ختمت اماناتكم وقال ابن عباس
معناه لا تحزنوا الله بترك فرايضه ولا تحزنوا الرسول بترك سنته ولا تحزنوا اماناتكم وقال
ابن عباس هو ما يخفي علي اعين الناس من فرائض الله تعالى في الاعمال التي ائتمن عليها العباد
وقال قتادة اعلموا ان دين الله امانة فادوا الي الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدود
ومن كانت عليه امانة فليودها الي من ائتمن عليها ومنه الحديث عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اؤا امانة الي من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه
ابوداود والترمذي وقال حديث حسن غريب وقوله عز وجل **واعلموا انما اموالكم**
واولادكم فتنة قيل هذا ما نزل في ابي لبابة وذلك لان امواله واولاده كانت في بني قريظة
فلذلك قال ما قال خوفا عليهم وقيل انه عام في جميع الناس وذلك انه لما كان الاقدم علي
الحياة في الامانة هو حب المال والولد لله تعالى بقوله واعلموا انما اموالكم واولادكم
فتنة علي انه يحب علي العاقل ان يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد لان ذلك
يشغل القلب ويصيره محجوبا عن خدمة المولى وهذا من اعظم الفتن روي البغوي بسند
عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي فقبله وقال اما انهم بمخلة مجتنة وانهم
لمن ربحان الله واخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة خولة
بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن احدي ابني امته
وهو يقول انكم لتبخلون وتخبثون وتجهلون وانكم لمن ربحان الله قال الترمذي لا تعرف
لعمري عبد العزيز سمعا عن خولة قوله لمن ربحان الله اي لمن رزق الله والرحمان في
الرزق وقوله تعالى **وان الله عنده اجر عظيم** يعني لمن ادي الامانة ولم يخن وفيه
تنبيه علي ان سعادة الآخرة وهو ثواب الله افضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد
قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله** يعني بطاعته وترك معاصيه **يجعل لكم**
فرقا يعني يجعل لكم فرقا وتوفيقا في قلوبكم بقرآن به بين الحق والباطل والفرقات
اصلة الفرق بين الشيعين لكنه ابلغ من اصله لانه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل
والحجة والشبهة قال المجاهد يجعل لكم مخرجا في الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخرجا في الدين
من الشبهات وقال عكرمة نجاة اي يفرق بينكم وبين ما تخافون وقال محمد بن اسحق
فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويظفي بطلان من خالفكم وقيل يفرق
بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويعلي ويظهر الكفر ويوهنه **ويجعل لكم سبيلا**
ويخرجكم من ظلمات من ذنوبكم **ويخرجكم** ويستخرجكم بان لا يضلكم في الدنيا ولا
في الآخرة **والله ذو الفضل العظيم** لانه هو الذي يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم
عليكم وعلي غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشي وفي به قيل انه يتفضل
علي الطائفتين بقبول الطاعات ويتفضل علي العاصين بعفوان السيئات وقيل

معناه ان يدع الفضل العظيم فلا يطلب من عند غيره قوله تعالى **واذ تذكرك الذين**
كفروا لما ذكر الله المؤمنين نعمه عليهم بقوله واذكروا انتم قليل فكثر كفرهم ذكر نبيه صلى
الله عليه وسلم نعمه عليهم فيما جري عليه مكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه
الواقعة كانت مكة قبل ان يهاجروا الى المدينة والمعنى واذكروا يا محمد اذ يذكرك الذين كفروا
وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من اهل التفسير قالوا جميعا ان قريشا
فرقوا لما اعلنت الانصار ان يتفاحم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهره فاجتمع نفر
من كبار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
روسم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وابوسفيان وطبيعة بن عدي والنضرب
الحارث والواخيذ بن هشام ورمعة بن الاسود وحكيم بن حزام وبنيرة ومنبه ابنا
الحجاج وابية بن خلف واعترضهم ابليس في صورة شيخ فلما راوه قالوا له من انت قال
انا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن نقدوا مني زاياء فصحا فقالوا
ادخل فدخل فقال ابو الخزي اما انا فاري ان تاخذوا منهم وتحبسوه في بيت مقيد وتشدوا
وثاقه وتشدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه وتزبصوا به ريب
المنون حتى يهلك كما يهلك من قبله من الشعرا فصرخ عدو الله ابليس وهو الشيخ النجدي
وقال ليس اراي رايتم لبن حبستموه ليجزى من امره من ورا الباب الذي غلقتم دونه الى
اصحابه فيوشك ان يتبوا عليكم فيقتلوكم ويأخذوه من ايديكم فقالوا صدق الشيخ النجدي
فقام هشام بن عمرو بن بني عامر بن لوي فقال اما انا فاري ان تملوه علي بعيد وتخرجوه من
بين اظركم فلا يضركم ما صنعوا به من وقع اذا غابكم واسترحتم منه فقال ابليس
ما هذا لكم باري تعمدون الي رجل قد فسد سفيهاكم تخرجوه الي غيركم فيفسدهم الله
تروا الي حلاوة منطقته وطلاقة لسانه واخذ القلوب ما تسمع من حديثه والله لين
فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم اخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من
بلادكم فقال لصدق الشيخ النجدي فقال ابو جهل والله لا شريك عليكم باري ما اري
غيره اني اري ان تاخذوا من كل بطن من قريش شيئا نسيبا وسيطا فينا ثم نقتل كل
فتي سيفا صارما ثم يصنربوه جميعا ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرد في دمه في
القبائل كلها ولا اظن هذا الي من بني هاشم بقوون على حرب قريش كلها وانهم اذا
ارادوا ذلك قالوا العقل فتودي قريش ديتته فقال ابليس صدق هذا القتي هو
اجودكم رايا والقول ما قال لا اري غيرهم فتقدروا على قول ابليس جهلهم مجتعون
عليه فاتي جبريل صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فاجزم بذلك وامره
ان لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه واذن الله عز وجل عند ذلك بالخروج لهم
الي المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب ان يبيت في مضجعه
وقال له تنج بردي فانه لن يخلص اليك منهم امر تتركه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخذ قبضة من تراب واخذ الله عز وجل ابصارهم عنه فخرج وجعل ينثر
التراب على رؤسهم وهو يقول انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الي قوله ثم لا يصرون ومضى
الي الغار

قا

الي الغار من ثور هو وابوبكر وخلف عليا مكة حتى يودي عنه الودائع التي قبلها وكانت الودائع
توضع عند الصدقة وامانتها قالوا ويات الشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحرسون انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا اتاروا اليه ليقتلوه
واواليا فقالوا له ابن صاحبك قال لا ادري فاقفوا اثره وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار فرأوا
علي بابهم فنج العنكبوت فقالوا للودخله لم يكن النجم العنكبوت على بابهم اثر فكث في الغار ثلاثا ثم
خرج الي المدينة فذلك قوله تعالى واذ يذكرك الذين كفروا واصل المكر احتيا في خفية
ليستنزلوك اي ليحبسوك ويوثقوك لان كل من شديدا ووثقه فقد اشتهت لانه لا يقدر على الحركة
او يقتلوك يعني كما اشار عليهم ابو جهل **او تحبذوك** يعني من مكة **وتنزلون** يعني تنزلون
ويبدرون في اسركم **وتنزلون الله** يعني يحجزهم الله جزا مكرهم ضمي الجزا مكر لانه في مقابلة
وقيل معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم والمكر هو التدبير وهو من الله التدبير
الحق والمعني انهم احبوا ان يابطال امر محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى اظهره وقواه
ونصره فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله وتدبيره **والله خير الماكرين** فان قلت
كيف قال والله خير الماكرين ولا خير في مكرهم قلت **يحتل ان يكون المراد**
والله اقوي الماكرين فوضع خير موضع اقوي وفيه تنبيه على ان كل مكر يسطل بفعل الله
وقيل يحتل ان يكون المراد ان مكرهم فيه خير بزعمهم فقال تعالى في مقابله والله خير
الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله خير مطلقا قوله عز وجل **واذا**
تشكى عليكم اياتنا قالوا قد سمعنا لوتشا قلنا مثل هذا نزلت في النضرب الحارث
ابن علقمة من بني عبد الدار وذلك انه كان يختلف الي ارض فارس في الحيرة فيسمع اخبارهم
عن رستم واسفنديار واحاديث العجم وكان يملأ لسانه باليهود والنصارى فيراهم
يقراون التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون ويكون فلما جاء مكة وجد النبي صلى
الله عليه وسلم قد اوجى اليه وهو يقول اوصلي قال النضرب الحارث قد سمعنا يعني مثل
هذا الذي جاء به محمد لوتشا قلنا مثل هذا فذمهم الله بدفعهم الحق الذي لا شبهة فيه
بادعائهم الباطل يقولهم لوتشا قلنا مثل هذا بعد التحدي وابان عجزهم عن ذلك ولو قدروا
ما تخلفوا عنه وهم اهل الفصاحة وفرسات البلاغة فبان بذلك كذبهم في قولهم لوتشا
قلنا مثل هذا **ان هذا الا ساطير الاويلين** يعني اخبار الماضين قوله تعالى **واذا**
قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ايتنا
بعذاب اليم نزلت في النضرب الحارث ايضا قال ابن عباس لما قرأ رسول الله صلى
الله عليه وسلم شان القدر والماضية قال النضرب الحارث لو شئت لقتل مثل هذا
فقال له عثمان بن مظعون اتق فان محمد صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وانا اقول الحق قال
فان محمد صلى الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله قال وانا اقول لا اله الا الله ولكن هذه بتات
الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان كان هذا هو الحق يعني القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل يعني ان كان الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد وادعاء النبوة
وغير ذلك هو الحق فامطر علينا حجارة من السماء يعني كما امطر على قوم لوط او ايتنا بعذاب

اليم يعني مثل ما عذبت به الام الماضية وفي الضر من الحارث ترد سال سائل عذاب واقع قال
 عطا القدر ترد في الضر بضع عشرة اية فحاق به ما سال من العذاب يوم بدر قال سعيد بن
 جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة من قريش صبرا طيبة بن عدي بن
 وعقبة بن ابي معيط والضر من الحارث وروي ان من مالك ان الذي قال ذلك ابو
 جهل بن عكر بن اسد بن مالك قال قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
 حجارة من السماء الآية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الآية فلما اخرجوه قالوا نزلت
 وما لم الابعدهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام قوله عز وجل **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ**
وَأَنْتَ فِيهِمْ اختلوا في معنى هذه الآية فقال محمد بن اسحق هذه الآية متصلة بما قبلها وهي
 حكاية عن المشركين وذلك انهم قالوا ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا نقرب امة ونبيها
 معها فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكركم الله عنهم واستغفروا عنهم
 على انفسهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
 وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم قال تعالى رد اعليهم وما لهم الابعدهم الله وان
 كنت بين اظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام وقال اخرون هذا
 كلام مستأنف يقول الله عز وجل اخبرنا عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم
 وانت فيهم واختلوا في معناه فقال الضحاك وجماعة تاويلها وما كان الله ليعذبهم وانت
 يا محمد مقيم فيهم بين اظهرهم قالوا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم
 بحكمة ثم لما خرج منها بقي بقية من المسلمين يستغفرون فأنزل الله وما كان معذبهم
 وهم يستغفرون ثم لما خرج اولئك المشركون من بين اظهر الكافرين اذن الله في فتح
 مكة فهو العذاب الذي وعدهم وقال ابن عباس لعذاب الله قرية حتى يخرج نبيها
 منها والذين امنوا معه ويحتمل حيث امر الله فقال الله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
 مقيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله وما لهم
 الابعدهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك انهم كانوا
 يقولون بعد فزغهم من الطواف غفرانك غفرانك وقال زيد بن رومان قالت قريش
 اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فلما اسودوا على
 ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ**
 وقال قتادة والسدي معناه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي لو استغفروا
 ولكنهم لم يكونوا يستغفرون ولو اقرؤا لذب واستغفروا لكانوا مؤمنين وقيل
 هذا دعاء لهم الى الاسلام والاستغفار هذه الكلمة كالرجل يقول لعبدك لا اعاقبك
 وانت تطيعني اي المعنى حتى لا اعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون اي يملكون
 يعني لو اسلموا لما عذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العناية انه يومئذ
 ويستغفر مثل ابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل
 ابن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون اي وفي اصلاهم من
 يستغفرون وقيل في معنى الآية ان الكفار لما بالغوا في قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم

علينا حجارة من السماء فخير الله ان محمد محقق في قوله وانه مع ذلك لا يطرح على اعدائه ومنكري نبوته
 حجارة من السماء دام بين اظهرهم وذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم واورده على هذا لما كان
 قائمته ما غامر نزول العذاب بهم فكيف قال في غير هذه الآية قاتلوهم بعد انهم ابايكم
 فالجواب ان المراد بالعذاب الاول هو عذاب الاستيصال والمراد من العذاب الثاني
 وهو قوله بعد انهم ابايكم هو عذاب القتل والسبي والاسر وذلك دون عذاب
 الاستيصال قال اهل المغاني دلت الآية على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب
 عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل على امانين كل مكي
 وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت
 تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة اخرجها الترمذي وقوله تعالى **وَمَا لَهُمْ آلَاءُ**
يَعْبُدُونَ إِلَّا الْإِلَٰهَ الْأَوَّلَ يعني ان يعذبهم الله يعني بعد خروجه من بين اظهرهم لانه
 تعالى بين في الآية الاولى انه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم وبين في هذه الآية انه معذبهم
 شراختلوا في هذا العذاب فقيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل اراد به عذاب
 الآخرة وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الاستيصال واراد بالعذاب الثاني عذاب
 الآية العذاب بالسيف وقيل المراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وهذا العذاب على
 وقال الحسن الآية الاولى وهو قوله وما كان الله ليعذبهم مفسوخة بقوله وما لهم الا
 يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخله النسخ شريفا لما لاجله يعذبهم فقال تعالى
وَهُمْ قَتَلُوا نَبِيَّكَ وَكَانُوا كَاذِبِينَ يعني وهم منعون المؤمنين عن الطواف بالبيت
 وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية
وَمَا كَانُوا اُولَٰئِكَ لَئِيْزِينَ قال الحسن كان المشركون يقولون عن اولياء المسجد الحرام فرد الله
 عليهم بقوله وما كانوا اولياءه يعني ليسوا اولياء المسجد الحرام **اِنْ اَوْ تَوَّعَّتْهُ اِلَّا التَّوَّعُّتُ**
 يعني **وَلَكِنَّ الْكُفْرَ** يعني المشركين لا يفعلون ذلك قوله تعالى **وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ**
عِنْدَ النَّبِيِّ اِلَّا مَكَا وَتَضَدُّةً لما ذكر رسول الله عز وجل ان الكفار ليسوا باولياء البيت
 الحرام ذكر عقيب السبب في ذلك وهو ان صلاتهم عنده كانت مكا وتضدية والمكا في
 اللغة الصغير يقال مكا الطير مكا اذا صغر والمكا اسم طائر ابيض يكون بالحجاز له
 صغير وقيل هو طائر الريف سمي بذلك لكثرة مكايه يعني صغيره والتضدية
 التصفيق وفي اصله واشتقاقه قولان احدهما انه من الصدي وهو الصوت الذي
 يرجع من الجبل كالجبب للتكلم ولا يرجع قوله الي شي الثاني قال ابو عبيد اصليه
 تضد فابتدت الدال الواحده يا قال الازهري والمكا والتضدية ليسا بصلاة ولكن
 انه اخبرناهم جعلوا مكان الصلاة التي امروا بها المكا والتضدية قال حسان بن ثابت
 صلاتهم التضدية والمكا قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة
 يصغرون ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى
 الله عليه وسلم في الطواف ويستزؤون به ويدخلون اصابعهم في افواههم ويصفقون
 فاما جعل الاصابع في الشدق والتضدية الصغير وقال جعفر بن ربيعة سالت

هذه

اباسلمة بن عبد الرحمن عن قوله الامكا والتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيها صقرا وقال مقاتل
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قام رجلا عن يمينه يصفران ورجلا عن يساره
يصفقان ليخلطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلواته وهم من بني عبد الدار فيقولون ابن
عباس كان المكا والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع اذى للنبي صلى الله عليه
وسلم وقول ابن عباس صحيح لان الله سمى ذلك صلاة فان قلت ساهها صلاة وليس ذلك
من جنس الصلاة قلت **انهم كانوا يعتقدون ذلك المكا والتصدية صلاة**
فخرج ذلك على حسب معتقدهم وفيه وجه اخر وهو ان كان المكا والتصدية صلواته
فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان السخا عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن جبير
التصدية صدم المومنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعمل هذا التصدية
من الصد وهو المنع وقوله تعالى **فَذُوقُوا الْعَذَابَ** يعني عذاب القتل والاسر في الدنيا
وقيل يقال لهم في الآخرة فذوقوا العذاب **بما كنتم تكفرون** يعني بسبب كفرهم في الدنيا
قوله عز وجل **ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله** لما ذكر الله
عبادة الكفار البدنية وهي المكا والتصدية ذكر عقبيه عبادتهم المالية التي لا جدوي
لهم في الآخرة قال الكلبي ومقاتل تزلت في المطعين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا
ابو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن
ابو البختري بن هشام والتضرب الحارث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة
ابن الاسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان
يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزر اسلم من هاهنا والعباس بن عبد المطلب عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام وقال للحكم بن عتبة تزلت في ابني سفيان
ابن حرب حين انفق على المشركين يوم احد اربعين او قية كل اوقية اثنان واربعون
منقلا وقال ابن ابي شيبة استاجر ابوسفيان يوم احد الفين ليقاتلهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم سوي من استجاش من العرب وقيل استاجر يوم احد الفين من
الاحابيش من كنانة فقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما اصيب برصاص
من قريش يوم بدر ورجع ابوسفيان بعبر الى مكة مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة
ابن ابي جهل وضفوان بن امية في رجال من قريش قد اصيب اباؤهم وابناؤهم واخوانهم
يوم بدر فكلوا اباسفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة قالوا
يا معشر قريش ان هذا قد وتركه وقيل خياركم فاعينونه هذا المال على حربه لعلنا نذكر
منه ثارا ومن اصيب منا فقمهم تزلت ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن
سبيل الله اي ليصدوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون اموالهم على
امثالهم من المشركين ليقوا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
فَسَبِّحُوا ثَمَّ يعني اموالهم في ذلك الوجه **ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً** يعني يندمون
يعني ما انفقوا من اموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لان اموالهم تذهب
ويقبلون ولا يظفرون بما يمولون **وَالَّذِينَ كَفَرُوا** يعني منهم لان منهم من اسلم لهذا

قال

قالوا الذين كفروا يعني من المتفكرين اموالهم **التي جهنم تحترقون** يعني يساقون الى
النار **لِيَمْزَجَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** يعني ليفرق الله بين فريق الكفار وفريق المؤمنين
وبين فريق المؤمنين وفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال لميز اهل
السعادة من اهل الشقاوة وقال لميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازي على العمل
الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل المراد به اتفاق الكفار في سبيل الشيطان
وا اتفاق المؤمنين في سبيل الله **وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ** يعني بعضه فوق بعض
فَيَرْكَبُهُ جَمِيعًا يعني فيجعله جميعا ويضم بعضه الى بعض حتى يتركه **فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ**
يعني الخبيث **او لِيَكُنْ** اشارة الى المتفكرين في سبيل الشيطان او الى الخبيث **فهم الخاسرون**
يعني انهم خسروا الدنيا والآخرة لانهم اشترىوا باموالهم عقاب الآخرة قوله تعالى **قل**
قل يا محمد للذين كفروا ان ينتهوا يعني عن الشرك **يغفر لهم ما قد سلف**
يعني ما قدموا من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام **وان يعوذوا** **افتدست سنة**
الاولين يعني في اهلاك اعدائهم ونصر اوليائهم ومعنى الآية ان هاهنا الكفار ان
استهوا عن الكفر ودخلوا في الاسلام والتزموا شرايعه غفر الله لهم ما قد سلف من
كفرهم وشركهم وان عادوا الى الكفر واصرروا عليه فقدمت سنة الاولين باهلاك
اعدائهم ونصر انبيائهم واوليائهم واجمع العلماء على ان الاسلام يحب ما قبله واذا سلم
الكافر لم يلزمه شي من فضا العبادات البدنية والمالية وهو ساعة اسلامه
كيوم ولدت له امه يعني بذلك انه ليس عليه ذنب قال يحيى بن معاذ الرازي توحيد
من لم يجز عن هدم ما قبله من كفر ارجوا لا يجز عن هدم ما بعد من ذنب **وقالوا**
حي لا تكون فتنة قال ابن عباس يعني حي لا يكون شرك وقال الحسن حي لا يكون
بلا **ويكون الدين كله لله** يعني تكون الطاعة والعبادة لله خالصة دون غيره
وقال قتادة حتى يقال لا اله الا الله عليه قاتل نبي الله صلى الله عليه وسلم واليهادعا
وقال محمد بن اسحق في قوله **وقالوا** **حي لا تكون فتنة** ويكون الدين كله لله يعني
لا يفتتن مومن عن دينه ويكون التوحيد لله خالسا ليس فيه شرك وتخلع مادونه
من الابداد والشركا **فان انتهوا** يعني عن الشرك واقتان المؤمنين وابدانهم
فان الله يهديهم **بصير** يعني فان الله لا يخفي عليه شي من اعمال العباد ونياتهم حتى
يوصل اليهم ثوابهم **وان تولوا** يعني وان اعرضوا عن الايمان واصرروا على الكفر
وعادوا الى قتال المؤمنين وابدانهم **فاعلموا** يعني ايها المؤمنون **ان الله مولاكم**
يعني ان الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم **نعم المولى** **ونعم النصير** يعني المولى
هو نعم المولى ونعم النصير قوله عز وجل **والاعلموا انما غنمنا من شي فان الله غني**
والغنى الغنى بالشي يقال غنم غنما فهو غنا واختلف العلماء هل الغنية
والغنى اسان لسمي واحدا مختلفان في التسمية فقالوا عطاء المساكين الغنية ما ظهر
المسلمون عليه من اموال المشركين فاحذوه عنوة واما الارض فهي في وقال
سفيان الثوري الغنية ما اصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال فقيه الحنف

كلوا

واربعة اخاسه لمن شهد الواقعة والغني ما صولحو عليه بغير قتال فليس فيه جنس هو لمن سمي الله قيل
الغنية ما اخذ الله من اموال الناس الكفار عنوة عن قنر وغلبة والغني ما لم يوجف عليه بحيل
ولا ركاب كالغشور والجزية واما الصلح والمهادنة وقيل ان الغني والغنية معناهما واحد
وهما انسان لشي واحد والصحيح انها مختلفان فالغني ما اخذ من اموال الكفار بغير اجاف
حيل ولا ركاب والغنية ما اخذ من اموالهم على سبيل القهر والغلبة بان يجاف خيل وركاب
نذكر الله في هذه الآية حكم الغنية فقال تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء يعني من اي شيء كان حتي
المحيط والمحيط فان الله خمسته فذكر اكثر المفسرين والفقه ان قوله الله اقتتاحت كلام علي
سبيل التبرك واما اضافته الي نفسه تعالى لانه هو لما كرم فيه فيقسمه كيف شا وليس المراد
منه ان سها منه لله معز الان الدنيا والاخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقادة وعطا
وابراهيم النخعي قالوا اسم الله وسهم رسول الله واحد والغنية تقسم خمسة اخماس اربعة اخماسها
لمن قال عليها واحرزها والخمس الباقية الخمسة اصناف كذا ذكر الله عز وجل للرسول ولذي
القربى واليتامي والمساكين وابن السبيل وقال ابو العالوية يقسم خمس الخمر على ستة
اسم سهم الله عز وجل فيصرف علي الكعبة والقول الاول اصح ان خمس الغنية يقسم علي خمسة
اسم سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما
فيه قوة الاسلام وهذا قول الشافعي واحمد وروي الاعمش عن ابراهيم قال كان ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والصلاح وقال قتادة
هو الخليفة وقال ابو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في خمس
فيقسم الخمر علي اربعة اصناف المذكورين في الآية وهم ذوالقربى واليتامي والمساكين
وابن السبيل فقوله تعالى **ولذي القربى** يعني ان سها من خمس الخمر لذي القربى
وهم اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتلوا فيهم فقال قومهم جميع فريش
وقال قومهم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد وعلي بن الحسين هم بنو هاشم
وقال الشافعي رحمه الله هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل
سنة شي وان كانوا اخوة ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال سميت انا وعثمان
ابن عفان الي النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله اعطيت بني عبد المطلب
وتركتنا ونحن بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو عبد المطلب
وبنو هاشم شي واحد وفي رواية اعطيت بني المطلب من خمس الخمر وتركتنا وفي رواية
قال جبير فلم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئا اخرج
البخاري وفي رواية ابي داود ان جبير بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما يقسم من الخمر في بني هاشم وبني عبد المطلب فقلت يارسول
الله قسمت لاخواننا بني عبد المطلب ولم تعطنا شيئا وقرابتنا وقرابتهم واحدة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شي واحد وفي رواية النسي
قال لما كان يوم خيبر وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذي القربى في بني هاشم
وبني المطلب وترك في بني نوفل وبني عبد شمس فانطلقت انا وعثمان بن عفان حتي اتينا

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله هؤلاء بنو هاشم لانكر فضلهم للموضع الذي
وضعك الله به منهم فابال اخواننا بني المطلب اعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب لا نفرق في جاهلية ولا اسلام واما نحن هم
شي واحد وشي بين اصابعه واختلف اهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت
اليوم ام لا فذهب **الكثير** الي انه ثابت فيعطى فقرائهم واغنيائهم من خمس الخمر للذكر
مثل حظ الانثيين وهو قول مالك والشافعي وذهب **ابو حنيفة** واصحاب الراي
الي انه غير ثابت قالوا سهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى مردود في الخمر فيقسم
خمس الغنية علي ثلاثة اصناف اليتامي والمساكين وابن السبيل فيصرف الي فقرائهم
القربى مع هذه الاصناف دون اغنياء حجة الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان علي سهم
سهم ذوي القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوي
القربى ولا يفضل فقير علي غني لان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى العباس بن عبد المطلب
مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه والحقه الشافعي الميراث الذي يستحق بام
القرابة غير انه يعطون القريب والبعيد قال ويفضل الذكر علي الانثي فيعطى الذكر
سهمين والانثي سها وقوله تعالى **واليتامي** جمع يتيم يعني ويعطي من خمس الخمر لليتامي
واليتيم الذي له سهم في الخمر هو الصغير المسلم الذي لا اب له فيعطى مع الحاجة اليه
والمساكين وهم اهل الفاقة والحاجة من المسلمين **وابن السبيل** وهو المسافر البعيد
عن ماله فيعطى من خمس الخمر مع الحاجة اليه فهذا مصرف خمس الغنية ويقسم اربعة اخماسها
الباقية بين الغائبين الذين شهدوا الواقعة وحازوا الغنية فيعطى للغائبين ثلاثة اسهم
له وسهمان لغرسه ويعطى الرجل سهم واحد لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قسم في الغنل للفرس سهمين وللرجل سها وفي رواية نحوه باسقاط لفظ الغنل اخرج
البخاري وسلم وفي رواية ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسهم للرجل ولفرسه
ثلاثة اسهم سها له وسهمين لغرسه وهذا قول اكثر اهل العلم واليه ذهب الثوري
والاوراعي ومالك وابن المبارك والشافعي واحمد واسحق وقال **ابو حنيفة** للغائبين
سهمان وللرجل سهم ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان اذا حضر والقتال
ويقسم العقار الذي استوي عليه المسلمون كالمنقول وعند لي حنيفة بخير الاسام
في العقارين ان يقسم بينهم وبين ان يجعله وقفا علي المصالح وظاهر الآية يدل علي
انه لا فرق بين العقار والمنقول ومن قتل شركا من المسلمين في القتال يستحق سلبه
اخرجه الترمذي واخرجه البخاري وسلم في حديث طويل والسلب كل ما يكون
علي القتول من ملبوس وسلاح والفرس الذي راكبه ويجوز للامان ان ينقل بعض
الجيش من الغنية لزيادة عتاد ولا يكون منهم في الحرب يخصم به من بين سائر الجيش
ثم يجعلهم اسوة الجماعة في سهم الغنية عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان ينقل بعض من سعت من السرايا لانفسهم خاصة سوي عامه الجيش عن جيب
ابن سلمة الثوري قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نغل الربيع في البداة

ثبوتهم

والثالث في الرجعة اخرجهم ابوداود واختلف العلماء في ان النفل من اين يعطى قال
 قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب وبه
 قال الشافعي وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت
 قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وبرة من جنب بعير فقال ايها الناس انه
 لا يجزى بما افاض الله عليكم قدر هذه الا الخمس والخمس مردود عليكم اخرجهم الشافعي وقال
 قوم ها ولا من الاربعة اخماس بعد افراز الخمس كسهم الغزاة وهو قول احمد واسحق
 وذهب قوم الى ان النفل من راس الغنمة قبل التخييس كالسلب للقاتل واما الذي هو
 ما اصابه المسلمون من اموال الكفار بغير ايجاب خيل ولا ركاب بان صالحوهم على مال
 يودونه وكذا الجزية وما اخذ من اموالهم اذا دخلوا دار الاسلام للتجارة او بوث
 احد منهم في دار الاسلام ولا وارت له فهذا كله في مال الفتي كان خالصا لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم في مدة حياته قال عمران الله تفيض لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم في هذا الفتي بشي لم يخص به احدا غيره ثم فزع ما افاض الله على رسوله منهم الاية
 فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وكان ينفق على اهله وعياله
 نفقة سنتهم من هذا المال ثم ما بقي جعله مجعلا لاله في الكراع والسلاح واختلف
 اهل العلم في مصرف الفتي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للامة بعده
 وللشافعي فيه قولان احدهما انه للمقاتلة الذين اثبت اسما وهم في ديوان الجهاد لا هم
 هم القاسمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم في ارباب العدو والقول الثاني انه
 لمصلحة المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالامم فالامم من المصالح واختلف
 اهل العلم في تخيير الفتي فذهب الشافعي الى انه خمس وخمسة لاهل الخمس من الغنمة
 على خمسة اسهم واربعة اخماسه للمقاتلة والمصالح وذهب الاكثر الى انه لا خمس بل
 يصرف جميعه مصرفا واحدا لجميع المسلمين فيه حق عن مالك بن نضس اوس قال ذكر
 عمر يوما الفتي فقال انا احق بهذا الفتي منكروما احدنا احق به من احدنا انا اعلى
 منار لنا من كتاب الله وقصة رسوله صلى الله عليه وسلم والرجل وقدمه والرجل
 وبلاؤه والرجل وعياله والرجل وجال جنته اخرجهم ابوداود واخرج البغوي بسنده
 عنه انه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم الا له في هذا الفتي حق الا
 ما ملكك ايما نكرو قوله تعالى **ان كنتم امنتم بالله** يعني واعلموا ايها المؤمنون
 ان خمس الغنمة مصروف الى من ذكر في هذه الآية من الاصناف فاقطعوا عنه
 اطاعكم واتقوا اربعة اخماس الغنمة ان كنتم امنتم بالله وصدقتم بوحدايته
وما ازلنا على عبدنا يعني واسنم بالمتزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم
 وهذه اضافة تشريف وتظيم للنبي صلى الله عليه وسلم والذي اتر له على عبدك
 صلى الله عليه وسلم يسألوك عن الانفال الآية **يوم الفرقان** يعني يوم بدر قال
 ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله عز وجل فيه بين الحق والباطل **يوم النقي**
الجمعان يعني يوم جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر قال عروة بن الزبير

يوم الفرقان

يوم الفرقان يوم فرق الله بين الحق والباطل وهو يوم بدر وهو اول مشهد شهد رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وكان راس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع
 عشرة اول سبع عشرة من رمضان واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
 ثلثماية وبضعة عشر رجلا والمشركون مائتا الف والتسع مائة فصرم الله المشركين
 وقتل منهم زيادة على سبعين واسروهم مثل ذلك **والله على كل شيء قدير** يعني على
 نصركم ايها المؤمنون مع قتلكم وكثرة اعدائكم قوله تعالى **انتم اي واذكروا نعمة**
الله عليكم يا معشر المسلمين اذ انتم بالعدوة الدنيا يعني بشفير الوادي الاواني
 من المدينة ما يلي مكة والدنيا هنا تانيث الادني **وهم** يعني المشركين **بالعدوة القصوى**
 يعني بشفير الوادي الاقصي من المدينة ما يلي مكة والقصى تانيث الاقصي **والركب**
اسفل منكم يعني ابا سفيان واصحابه وهم غير فريش التي خرجوا لاجلها وكانوا في موضع
 اسفل من موضع المؤمنين الى ساحل البحر على ثلاثة اميال من بدر **ولو نواعدتم**
 يعني انتم والمشركين **لاختلفتم في الميعاد** وذلك ان المسلمين خرجوا لياخذوا العير
 وخرج الكفار لينعروها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد والمعني ولو نواعدتم انتم
 والكفار على القتال لاختلفتم انتم وهم لقتلتكم وكثرة عدوكم **ولكن** يعني ولكن الله جعلكم
 على غير ميعاد **ليقتضي الله امر اكان مفعولا** يعني من نصر اوليائه واعزاز دينه واهلاك
 اعدائه واعدا دينه **لهلك من هلك عن بينة** يعني لموت من مات عن بينة واهل وعيرة
 عاينها ووجه قامت عليه **ويحي من حي عن بينة** يعني ويعيش من عاش على بينة واهل
 وعيرة شاهدوا حجة قامت عليه وقال محمد بن اسحق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت
 عليه ويؤمن من امن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هي الايمان ونحوه وقال قتادة
 ليضل من ضل على بينة ويهتدي من اهتدي على بينة **وان الله** **جميع** علم يعني
 يسمع وعالم ويعلم نياتكم ولا يخفي عليه خافية قوله عز وجل **اذ يريك الله** يعني واذكر
 يا محمد نعمة الله عليك اذ يريك المشركين **في منامك** يعني في نومك **قليل** قال
 مجاهد اراه الله في منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك وكان
 تعبيتا وقال محمد بن اسحق فكان ما اراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم ينتجهم على
 عدوهم فكف با عنهم ما يحزنهم من ضعفهم لعله بما فيهم وقيل لما اري الله النبي
 صلى الله عليه وسلم كفار قريش في منامه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فقالوا ويا النبي
 صلى الله عليه وسلم حق فصار ذلك سببا لجراتهم على عدوهم وقوة لقائهم وقال الحسن
 ان هذه الآراء كانت في البيضة والمراد من المنام العين لانها موضع النوم **ولو اراهم**
كثيرا **الفتنة** يعني لجبنتم والفتل ضعف مع جبن والمعني ولو اراكم كثيرا اذكرت
 ذلك لاصحابك لغشوا وجبنوا عنهم **ولتأزمنهم في الاسر** يعني اختلفتم في اسر
 الاقدام عليهم او الاحجام عنهم وقيل معنى التنازع في الامر هو الاختلاف الذي يكون
 معه مخاصمة ومجادلة ومجادلة قل واحد الى ناحية والمعني لا يضطرب امركم واختلفت
 كلمتكم **ولكن الله** **سلم** يعني ولكن الله سلم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه

ولكن الله سبحانه من الهدية والفشل **انه علم بذات الصدور** يعني انه تعالى يعلم ما يحصل
 في الصدور من الجراءة والجهن والصبر والجوع وقال ابن عباس معناه انه علم ما في صدوركم
 من الحب لله عز وجل واذن **يكونون اذا التقيتم في اعينكم قليلا** يعني ان الله عز وجل قلل
 عدد المشركين في اعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا في القتال ليتأكد في البقعة ما رآه
 النبي صلى الله عليه وسلم في منامه واخبر به اصحابه قال ابن سعد لقد قالوا في اعيننا
 حتى قلت لرجل الجبني تراهم سبعين قال اراهم ما يه فاسرنا رجلا فقلنا كركتم قال الفا
ويقتلكم في اعينهم يعني ويقللكم يا معشر المؤمنين في اعين المشركين قال السدي
 قال ناس من المشركين ان لعير قد انصرفت فارجموا فقال ابو جهل الان اذ يرونكم محمد
 واصحابه فلا ترجعوا حتى تستاصلوهم انما يهدوا واصحابه اكله جزور يعني لقلتم في عينه
 ثم قال فلا تقتلوه واربطوهم في الجبال يتولون من القدر على نفسه والحكمة في تقليل المشركين
 في اعين المؤمنين قصد بقرى النبي صلى الله عليه وسلم ويتوي بذلك قلوب المؤمنين
 وتزداد جراتهم عليهم ولا يهابون عند قتالهم والحكمة في تقليل المؤمنين في اعين المشركين
 ليلا يهربوا واذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد والتأهب لقتالهم
 فيكون ذلك سببا لظهور المؤمنين عليهم فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير
 وتكثير القليل قلت ذلك ممكن في القدرة الالهية فان الله تعالى علم ما يشاء ويحكم
 ذلك بحجة النبي صلى الله عليه وسلم والحجة هي من خوارق العادات فلا ينكر ذلك **لنفي**
الله امرا كان مفعولا يعني امرا كان مفعولا في الية المتقدمة ولكن ليقضي الله امرا
 الشرك وحذف ان اهله فان قلت قد قال في الية المتقدمة ولكن ليقضي الله امرا
 كان مفعولا وقال في هذه الية ليقضي الله امرا كان مفعولا فاعني هذا التكرار قل
 المقصود من ذكر في الية المتقدمة كحصول استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه
 الفهم والغلبة ليكون ذلك بحجة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود
 من ذكر في هذه الية لانه تعالى قلل عدد الغريقين في اعين بعضهم بعضا بالحكمة
 التي قضاهما فلذلك قال ليقضي الله امرا كان مفعولا **والى الله ترجع الامور** يعني في الآخرة
 فيجازي كل عامل على قدر عمله فالمحسن باحسانه والمسي باسائه او يعقر قوله تعالى **يا لها**
الذين امنوا اذا التقيتم فيهم يعني جماعة كافر فاثبتوا يعني لقتالهم وهو ان يوطنوا
 انفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا يجد ثوبها بالتولي **واذكروا الله كثيرا** يعني لو نواذ الذين
 الله عند لقاءكم ذكر كثيرا بقلوبكم واستنكم امر الله عباده المؤمنين واوكياه
 الصالحين بان يذكروه في استد احوالهم وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه تنبيه
 على ان الانسان لا يجوز ان يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكر
 هو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الامعوفة الله تعالى فامر الله عباده
 ان يسألوه النصر على العدو عند اللقاء قال تعالى **لعلكم تفلحون** يعني وكونوا
 على رجا الفلاح والنصر والظفر فان قلت ظاهر الية يوجب الثبات على كل حال
 وذلك يومهم الا ناسخة لاية التحرف والتحيز قلت المراد من الثبات هو الثبات
 عند

منهم

عند المحاربة والمقاتلة في الجملة واية التحرف والتحيز قلت المراد من الثبات هو
 الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجملة واية التحرف والتحيز لا تقتض في حصول
 هذا الثبات في المحاربة بل كان الثبات في المقصود الا بذكر التحرف والتحيز ثم قال
 تعالى مؤكدا لذلك **واطيعوا الله واطيعوا رسوله** يعني في امر الجهاد والثبات عند لقاء العدو
ولا تنازعوا فتفشلوا يعني ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف يوجب الفشل
 والضعف والجهن وقوله تعالى **وتذهب زحركم** يعني قوتكم وقال المجاهد نصرتمكم
 قال وذهبت ريح اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم احد وقال السدي
 جرتكم وجدمكم وقال مقاتل جدمكم وقال الاخفش وابوعبيدة دوتكم والريح هنا
 كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد بقوله العرب هبت ريح فلان اذا اقبل امره على
 ما يريد وقال قتادة وابن زيد هي ريح النصر ولم يكن نصر قط الا ريح يبعثها الله
 تضرب وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت
 عاديا لدبور وعن النعمان بن مقرن قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا
 لم يقاتل من اول النهار اخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر اخرج
 ابو داود وقوله تعالى **واصبروا** يعني عند لقاء العدو عدوكم ولا تنزعوا عنهم **الله مع**
الصابرين يعني بالصبر والمعونة عن عبد الله بن ابي وفي ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في بعض ايامه التي لقي فيها العدو وانتظر حتى اذا مات الشرفاء فيهم فقال
 ايها الناس لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا التقيتهم فاصبروا واعلموا ان
 الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري
 السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرونا عليهم عن ابي هريرة قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لا تمنوا لقاء العدو فاذا التقيتهم فاصبروا وتولوا عز وجل **ولا تكونوا**
كالذين خرجوا من ديارهم بطرا يعني فخرا واشرا وقيل البطرا الطغيان في النعمة وذلك
 ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها في المعافاة على الاقران وكان نزها
 ابنا الزمان والفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة وان صرفها في طاعة
 الله وابتغى مرضاته فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان في النعمة
 وترك شكرها **وقبيل الناس** الريا اظهار الجليل لبراءة الناس مع ابطال القبيح والفرق
 بين الريا والنفاق ان النفاق اظهار الايمان مع ابطال الكفر والرياء اظهار الطاعة
 مع ابطال المعصية **ويصدون عن سبيل الله** يعني ومنعون الناس عن الدخول في دين
 الله نزلت هذه الية في لغار قريش حين خرجوا الى بدر ولم يندوبوا فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد اقبلت خيلاها وخيولها تحادك وتكذب رسولك
 اللهم فصدك الذي وعدتني به قال ابن عباس ان اباسغيان بن اريانه قد احرز غيره
 ارسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم واموالكم فقد نجحها الله
 فاجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدر او كان بدر موسما من مواسم العرب
 يجتمع بها سوق في كل عام قال فتنعيم عليه ثلاثا ونجر الجوز ووسطم الطعام ونسقي المحو

وتعترف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابونا ابد افامضوا راد غيره فقال
قلما واثواب راسقوا كورس الحام عوضا عن الخمر وناحت عليهم التوايح فكان القيان فتوى الله
عباده المؤمنين ان يكونوا مثلهم والمعني لا يكون من اسلم اليه المومنون دبا وسعة ولا لالتماك
ما عند الناس ولكن اخلصوا لله عز وجل النية وقاتلوا احسبة في نصر دينكم وموازرة
ينبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعلموا الا ذلك ولا تطلبوا غيره وقوله **والله بما تعملون**
خبيط فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى عالم بجميع الاشياء لا تخفي عن علمه شيء لانه محيط
بأعمال العباد كلها فيجازي المحسنين ويعاقب المسيئين قوله تعالى **واذ من لهم**
الشیطان اعمالهم يعني اذكروا ايها المومنون نعمة الله عليكم اذ زين الشيطان بريد
ابليس للمشركين انما لهم الخبيثة **وقال الاغالب لكم اليوم من النار في جارككم** قال
بعضهم كان تزينه وسوسة القاها في قلوبهم من غير ان يتحول في صورة غير صورته
وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم وكان تزينه ان يريشا
لما اجتمعت على السير الى يد رذات الذي بينها وبين بني بكر بن الحارث من الحروب فكان ذلك
التيهينم فتبدي لهم ابليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم المدلج وكان من اشراف
بني كنانة فقال انا جار لكم ان ياتكم من كنانة شي تكرهونه فخرجوا سراعا وقال ابن عباس
جا ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايت في صورة رجل من رجال بني مدح
سراقه بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جاركم
فلما اصطف الناس اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فومي بها وجوه الكفار
المشركين فلو امد يمينه واقبل جبريل عليه السلام اليه ابليس لعنه الله فلما راى كانت يده في يد
رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولي مدبر او شيعته فقال الرجل يا سراقه انت عم انك
جار لنا فقال ابي اري ما لا تزون ابي اخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين راى
الملائكة وقوله ابي جاركم يعني يحيركم من كنانة **قلما انتزأت القيثان** اي التي للجماع راى
ابليس للملائكة قد نزلا من السماء على عدو الله ابليس انه لا طاقة له بهم **نكص على عقبيه وقال**
اني بريء منكم يعني رجع القهقري وولي مدبرا هاربا على قفاه وقال الكبي لما التقي للبعث
كان ابليس في صف المشركين على صورة سراقه بن مالك بن جعشم وهو اخذ بيد الحارث
ابن هشام فنكص ابليس على الله على عقبيه فقال له الحارث افرار من غير قتال وجعل
مسكه فذبح في صدره وانطلق فانهم الناس فلما قدموا من مكة قالوا هزم الناس سراقه
فبلغ ذلك سراقه فقال ابغضني انكم تقولون اني هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم
حتى بلغني هزيمتكم قالوا لما اثبتنا في يوم كذا وكذا فخلت لهم فلما اسلموا علوا ان ذلك
كان شيطان قال الحسن في قوله **اني اري ما لا تشرون** قال راى ابليس جبريل عليه
السلام متجرا ببر وشمسي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده الحمار يتقود الفرس
ماركب وقال قتادة قال ابليس ابي اري ما لا تزون وصدق وقال **اني اخاف الله**
وكذب ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة فاوردتهم واسلمهم وتلك عادة عدو
الله ابليس لمن اطاعه اذا التقي الحق والباطل اسلمهم وتبرأ منهم وقيل انه خاف ان يهلك

فمن هذا

فمن هلك وقيل خاف ان ياخذ جبريل فيعرف حاله فلا يطيعوه وقيل معناه ابي اخاف الله
اعلم صدق وعدلا وليا له لانه كان على ثقة من امره وقيل لما راى الملائكة قد نزلت من السما
خاف ان تكون القيامة **والله شديد العقاب** قيل معناه ابي اخاف الله لانه شديد
العقاب فعليه هذا يكون من تمام قول ابليس وقيل بقر كلامه عند قوله ابي اخاف الله وقوله
والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله والله شديد العقاب لمن خالف الله وكفر به
عن طاعة بن عبد الله بن كرز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما راى الشيطان
يوما هو فيه اصغر ولا احر ولا احقر ولا اغنيظ منه في يوم عرفة وما ذلك الا لما يري
من تنزل الرحمة ونجا من الله عن الذنوب العظام الاما راى يوم بدر فانه قد راى جبريل
يرفع الملائكة اجزاه ما لك في الموطن قوله ولا احر هو بالعدا والحا المملكتين من الدحور
وهو الاعداء والطرد مع الالهة وقوله يرفع الملائكة اي يكفهم ويحبسهم ليلا يتقدم
بعضهم على بعض الوارع هو الذي يتقدم ويتأخر في الصف ليصالحه فان قلت
كيف يقدر ابليس على ان يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمي
شياطا نا قلت ان الله عز وجل اعطاه قوة واقدرة على ذلك كما اعطى الملائكة قوة
واقدرهم ان يتشكلوا بصورة البشر لكن النفس الباطنة تتغير فلم يلزم من تغير الصورة
تغير الحقيقة قوله عز وجل **واذ يقول المنافقون** يعني من اهل المدينة **والذين**
قلوبهم مرض اي شك وارتباب وهم قوم من اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقولوا بالاسلام في
قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم
الي بدر فلما نظروا الي قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا **اغتر هو لا دينهم** يعني ان
هو لا نفر قليلون يقاتلون اضعا فم فقد غرهم دينهم الاسلام على ذلك وحلمهم على قتل
انفسهم رجاء الثواب في الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر وقال مجاهد ان فئة المسلمين
من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وابوقيس بن الفاكه من المغيرة والحارث بن
زمية بن الاسود بن المطلب وعيل بن امية بن خلف والفاص بن منبه بن الحجاج خرجوا
مع قريش من مكة وهم على الارتباب فحبسهم ارتبابهم فلما راوا قلة اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا غرناها ولا دينهم ثم قال تعالى **ومن يتوكل على الله** يعني ومن يسلم
امره الى الله ويثق بفضله ويعول على احسانه **فان الله حافظه** وناصره **لانه عزيز**
لا يغلبه شيء **حكيم** يعني فيما قضى وحكم فيوصل الثواب الي وليا به والعقاب الي
اعدائه قوله تعالى **ولو شئنا لاذبحن في الدين كفرة والملائكة** يعني ولو عانيت
يا محمد وشاهدت ان تقتل الملائكة ارواح الذين كفروا وعند الموت لرايت امرا
عظيما ومنظرا فظيما وعذابا شديدا اينما هم في ذلك الوقت **يضربون وجوههم**
واذ بارهم اختلفوا في وقت هذا الضرب فتبيل هو عند الموت تضرب الملائكة وجوه
الكفار وادبارهم بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت
الملائكة تضرب وجوههم وادبارهم وقال ابن عباس كانت المشركون اذا اقبلوا بوجوههم
الي المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف واذا ولوا ادبارهم ضربت الملائكة ادبارهم

لهم

وقال **ابن جرير** يزيد ما قبل من اجسادهم وادبر يعني يضربون جميع اجسادهم **وذوقوا**
عذاب الحريق يعني وتقول لهم الملائكة عند القتل وذوقوا عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة
مقامع من حديد محمية بالنار يضربون بها الكفار قتلته النار في جراحاتهم وقال
ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيامة تقول لهم الزبانية
ذوقوا عذاب الحريق **ذلك** يعني الذي نزلهم من الضرب والقتل والحرق **بما قدمت**
ايديكم يعني انما حصل لكم ذلك ما كسبت ايديكم من الكفر والمعاصي فان قلت اليد
ليست محلا للكفر وانما محله القلب لان الكفار اعتقادوا الاعتقاد محله القلب وظاهر
الاية يقتضي ان فاعله هذا الكفر هو اليد وذلك ممنوع قلت اليد هنا عبارة عن
القدرة لان اليد الاله العارضة في الموترة في العمل تجعل اليد كناية عن القدرة وقوله
تعالى **وان الله ليس بظلام للعبيد** يعني انه تعالى يعذب احدا من خلقه الاجرم اجرة
لان لا يظلم احدا من خلقه وانما نفي الله الظلم عن نفسه مع انه يعذب الكافر على كفره
والعاصي على عصيانه لانه متصرف في ملكه كيف يشاء ومن كان كذلك استحال نسبة
الظلم اليه فلا ينوهم متوهم انه تعالى مع خلقه كفر الكافر وتغذيه عليه ظلم فلهذا قال
تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد لانهم في ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم كيف شاقوله
تعالى **كتاب الفرقون** يعني ان عادة قاول الكفار في كفرهم كعادة الفرعون في كفرهم
فجورهم هاولا بالقتل والاسر يوم يرد كما جوتي الفرعون بالاعراق واصل الداب
في اللغة اداة العمل يقال فلان يد ابني كذا اذا داوم عليه ويتعب نفسه فيه ثم
سميت العادة داب لان الانسان يداوم على عادته ويواظب عليها قال ابن عباس معناه ان ال
فرعون ايقنوا ان موسى عليه السلام نبي من الله تعالى فذبحوه فذلك هاولا لما جاء به
محمدا صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبحوه فانزل الله بهم عقوبته كما انزل بالفرعون **والذين**
من قبلهم يعني من قبل الفرعون **كفروا بايات الله** يعني ان عادة الامم السالفة هو
كفرهم بايات الله **فاخذهم الله بذنوبهم** يعني بسبب كفرهم وذنوبهم **ان الله قوي**
يعني في اخذ وانتقامه من كفره **ذلك بان الله لم يتركهم** يعني ان الله لم يتركهم
على قوم حتى يغير واما ما نفهم يعني ان الله انعم على اهل مكة بان اطعمهم من جوع ولهم
من خوف وبعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فقابلوا هذه النعمة بان تركوا شكرها وكذبوا
رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وعيروا ما نفهم فسلهم الله تعالى للغة واخذهم
بالعقاب قال السدي نعمة الله محمدا صلى الله عليه وسلم انهم راى في ريش كفر وابوه وكذبوه
فقتله الله الى الانصار **ان الله جميع عليهم** يعني لا توال خلقه لا يخفي عليه شيء من
كلامهم **عليهم** بما في صدورهم من خير او شر فيجازي كل واحد على عمله **كتاب الفرقون**
يعني ان هؤلاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر وغيره نعمة الله عليهم كصنيع الفرعون **والذين**
من قبلهم كذبوا باياتهم يعني اهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم
بالخشف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمنع لذلك اهلكنا كفار قريشا بالسيف
واغرقنا ال فرعون وكل كاذبا يعني الاولين والاخرين فان قلت ما

الفايدة

يعني من قبلهم

الفايدة في تكرير هذه الاية مرة ثانية قلت فيها فوايد منها ان الكلام الثاني بحري بحري
التفصيل للكلام الاول لان الاية الاولى فيها ذكر اخذهم وفي الاية الثانية ذكر اغراقهم
فذلك تفسير للاول والفايدة الثانية انه ذكر في الاية الاولى انهم كفروا بايات الله وفي الاية
الثانية انهم كذبوا باياتهم وفي الاية الاولى الاشارة الى انهم انكروا ايات الله ومحمد وهاوي
الثانية اشارة الى انهم كذبوا باياتهم كجودهم لها وكفرهم بها **الفائدة** الثالثة ان تكرير هذه
القصة لتأكيد وفي قوله كذبوا باياتهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق في
ذكر الاعراق بيان للاخذ بالذنوب وقوله تعالى **ان شر الة واث عند الله** يعني شر
علمه وحكمه **الذين كفروا وانهم لا يؤمنون** والمعنى ان شر الة واث من الانس والجن
المصريون على الكفر تركت في يهود بني قريظة رطط لعين الاشرف **الذين عاهدت منهم**
قيل من صلحهم الذين عاهدتم وقيل من التبعيض لان المعاهدة مع بعض القوم وهم الروما
والاشراف **تم ينقضون عهدهم في كل مرة** قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان عاهد يهود بني قريظة ان لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد واعاونا شري
مكة بالسلح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم قالوا انسينا واخطانا
فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد ايضا واما الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقه على مخالفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم **ولهم لا يتقون** يعني انهم لا يخافون الله في نقض العهد لان عادة من يرجع الى دين عقل
وحزم ان يتقي نقض العهد حتى يسكن الناس الى قوله ويتقون الكلامه فيبين الله عز
وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد انه من شر الة واث **فاما يتقونهم في الحرب**
يعني فاما تجدد هاولا الذين نقضوا عهدهم وتظفروهم في الحرب **فشردهم من خلفهم**
قال ابن عباس معناه فكلهم من وراءهم وقال سعيد بن جبير انهم من خلفهم واصل
التشديد في اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الاية انك اذا ظفرت هؤلاء الكفار
الذين نقضوا العهد فافعلهم فعلا من القتل والتكيد تغرق به جمع كل ناقض للعهد
حتى يخافك من وراءهم من اهل مكة واليمن **لعلمهم بذكروك** يعني لعلمهم بذلك النكال
بمنعهم من نقض العهد **واما تخافون** يعني واما تعلمن يا محمد من قوم يعني معاهدين **حياتة**
يعني نقضا للعهد بما يظهر لك منهم من اثار الغدر كما ظهر من بني قريظة والنضير **فانذروا**
اي فاطرح اليهم يعني عهدهم وارم به اليهم **عليهم** يعني على طريق ظاهر مستوي يعني اعلمهم
قبل حربك اياهم انك قد فخت العهد بينك وبينهم حتى تكون انت وهم في العلم
بنقض العهد سوا فلا يتوهموا انك نقضت العهد اولا تنصب الحرب معهم **ان الله**
لا يحب الخائنين يعني في نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حبيروا كان بين
معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليغزوهم حتى اذا انقضى العهد
غزاهم فجاء رجل على فرس او برذون وهو يقول الله اكبر الله اكبر وقال لا عذرا فاذا هو
عمر بن عتبة فارسل اليه معاوية فساله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقض امدها

او ينبذ اليهم علي سوا فزع معاوية اخرجهم ابوداود واخرجهم الترمذي عن سليم بن عمار
نفسه بلا زيادة ورجل من حيدر وعنده الله اكبر وفيه جارية او فرس واما
حكم الآية فقال اهل العلم اذا ظهرت اثار نقض العهد من هادنهم الامام من المشركين بامر
ظاهر مستغنى استغنى الامام عن نيل العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات
تأولح وتفتح له من غير امر مستيقض فحينئذ يجب علي الامام ان ينبذ اليهم العهد ويعلمهم بالحرب
وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم فاجابوا باسغينان ومن معه
من المشركين الي مظاهرتهم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم خوف الغدر به وباصحابه فها هنا يجب علي الامام ان ينبذ اليهم علي سوا ويعلمهم بالحرب
واما اذا ظهر نقض العهد بطور امقطوعا به فلا حاجة للامام الي نيل العهد بل يتبعه كما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة النبي
صلى الله عليه وسلم فلم يرهم الا وجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر الظهران وذلك
علي اربع فراسخ من مكة وقوله تعالى **وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا** يعني فأتوا وانهم يوم بدر وقري
بالسيف الغيبة ومعناه ولا يحسن الذين كفروا سبقوا يعني خلصوا من القتل والاسد
يوم بدر **وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا** يعني انهم هذا سبقوا يعني من الانتقام منهم لما في الدنيا
بالقتل واما في الآخرة بعد ذاب النار وفيه نسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم فتمن فاته من
المشركين ولم ينتقم منهم فاعلم الله انهم لا يعجزونه قوله عز وجل **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ**
مِنْ قُوَّةٍ الاعداد التي لوقت الحاجة اليه وفي المراد بالقوة اقوال اعداها
جميع انواع الاسلحة والالات التي تكون لكم قوة في الحرب علي قتال عدوكم الثاني ان الحصون
والمقاتل الثالث الرمي وقد جات تفسيره عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه
عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو علي المنبر يقول واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي ثلاثا اخرجهم مسلم **رح** عن ابي سعيد قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صفقنا القرش اذا اكتبوكم يعني غشوكم
وفي رواية اكثر وكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية اذا اكتبوكم فعليكم بالنبل
رح عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول استفتح عليكم الروم
ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم ان يلهو باسهم **رح** عن نعيم الحلي قال قلت لعقبة بن
عامر تختلف بين هذين الغرضين وانت شيخ كبير ويشق عليك فقال لعقبة لولا كلام
سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم اعانه قال قلت وما ذا قال سمعته يقول من تعلم
الرمي فترزكه فليس منا او قد عصي عن ابن جريح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من بلغ بهم فهو له درجة في الجنة فبلغت يومئذ عشرين اسما قال وسمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمي بسهم في سبيل الله فهو عدل محروم اخرجهم النسائي
والترمذي بمعناه وعنده قال عدل رقبة محررة واخرجهم ابوداود ايضا عن عقبة
ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل لي بدخل بالسهم
الوليد

الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعة محاسب في عمله الخير والراي به والملا في رواية ومنبله
فادموا واركبوا واحب الي من تزموا من ان تركبوا كل هو باطل ليس من الله ومحمدا الا ثلاثة
تاديب الرجل فرسه وملاعبته اهله ورميه بقوسه اي نبيله فان من الحق ومن ترك
الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فانها رغبة تركها او كفرها اخرجهم ابوداود واخرجهم
الترمذي مختصرا الي نبيله **رح** عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم
علي نفر من اسلم ينتضلون بالسيوف فقال صلى الله عليه وسلم ارئيتني اسما عيل فان
الاسم كان راميا ارموا وانا مع بني فلان فاسك احد القديقين بايديهم فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون فقالوا كيف نرمي وانت معهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ارموا وانا معكم كلكم القول الرابع ان المراد بالقوة جميع ما يتقوي به في الحرب علي
العدو ونكل ما هوالة يستعان به في الجهاد فهو من جملة القوة المأمور باستعدادها وقوله
صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمي لا ينبغي كون غير الرمي من القوة فهو كقوله صلى الله
عليه وسلم الحج عرفة وقوله النعم قوية لهذا لا ينبغي اعتبار غيره بل يدل علي ان هذا
المذكور من افضل المقصود واجله فكذاها هنا نحل معنى الآية علي الاستعداد للقتال
في الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الالات كالرمي بالنبل والنبش والدرع والسيف
وتعليم الغرضية كل ذلك مأمور به الا انه من فروض الكفايات وقوله تعالى **وَمِنْ رِبَاطِ**
الْخَيْلِ يعني اقتنائها وربطها للغزو في سبيل الله والربط شد الفرس وغيره بالمكان للحفظ
وسمي المكان الذي تخصن باقامة حفظه فيه رباط والمرابطة اقامة المسلمين بالثغور والحرا
فيها وربط الخيل اليها ومن اعظم ما يستعان به روي ان رجلا قال لابن سيرين ان فلانا
اوصي بثلث ماله لخمصون فقال ابن سيرين يشتري به الخيل ويربطها في سبيل الله وقال
عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل يعني الالات ووجه هذا ان العرب تربط الالات
من الخيل بالافنية للنسل وروي ان خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال الا الالات
لفعلة صميلها وعن ابن محيريز قال كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصغور
واناث الخيل عند البيات والغارات وقيل ربط الفحول اولي من الالات لانها اقوي
علي الكرو والغزو والعدو فكانت المحاربة عليها اولي من الالات وقيل ان لفظ الخيل
عام فيتناول الفحول والانات فاي ذلك ربط بنية الغزاة كان في سبيل الله **رح**
عن عروة بن الجعد الباري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في
نواصيها الخير الي يوم القيامة الاجرو والغنيمة **رح** عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الخيل في نواصيها الخير الي يوم القيامة **رح** عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من احتسب ثرا في سبيل الله ايمان بالله وتصدق يقابو عدو فان
شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات **رح** عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هي لرجل اجر ولرجل ستر وعلي رجل
وزر قاما الذي هي له لرجل رباطها في سبيل الله زاد في رواية لاهل السلام فاطال
لها في مرج اوروضة ثا اصابت في طيلها ذلك من المرج او الروضة كانت له حسنات

ولوانها قطعت طيلها فاستنفت شرفا وشرفين كانت له اثارها وارواها حسنات ولوانها
مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقيها كانت له حسنات فهي لك الرجل اجر ورجل ربطها
تفتنا وتغفنا ولم ينسحق الله في رقابها ولا ظهورها في ذلك الرجل ستر ورجل ربطها خنزا
وربا ونوا لاهل الاسلام في ذلك وزر وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امرئ فقال
ما انزل علي فيها شي الا هذه الآية الجامعة الفارة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره الطيل الجبل الذي يشد به الفرس وقت الرمي والاستنان الجري
والشرب الشوط الذي تجري فيه الفرس وقوله تغنيا يعني استغناها عن الطلب لما في
ايدي الناس اما حق ظهورها فهو ان يحمل عليها ينقطع الى اهلها واما حق رقابها فتقبل
اراد به الاحسان اليها وفيل اراد به الجمل عليها فغير الرقبة عن الذات وقوله نوا لاهل
السلام التوام المعادة ينادواوات الرجل مناواة اذا عاديته وقوله تعالى **يَتَوَهَّبُونَ** به
عَدُوَّهُ الله **وَعَدُوَّهُ** يعني يتخفون بتلك القوة وبذلك الرباط والله وعدوكم يعني الكفار
من اهل مكة ومن غيرهم وقال ابن عباس مخزونكم به عدو الله وعدوكم وذلك لان
الكفار اذا كانوا على ان المسلمين متاهبون للجهاد مستعدون له مستكملون لجميع
السلحة والالات الحرب واعداد الخيل مربوطة للجهاد وخافوهم فلا يقصدون دخول
دار السلام بل يصير ذلك سببا لدخول الكفار في الاسلام او بدلا الجزية للمسلمين وقوله
تعالى **وَأَخْرَجَ مِنْ دُونِهِم** يعني وخرجهون اخريين من دونهم اختلف العلماء فيهم فقال
مجاهد بن قزيفة وقال السدي هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى
لَا تَقُولُوا لانهم معكم يقولون بالستيم لا اله الا الله **لَا تَقُولُوا** يعني انهم منافقون واراد
على هذا القول ان المنافقين لا يقاتلون لظهارهم كلمة الاسلام فكيف يخفون باعداد
القوة ورباط الخيل واجيب عن هذا اليراد ان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين
وكثرة الاتيم والستيم كان ذلك ما يخفون وتخزنهم فكان ذلك ارفاههم وقال الحسن
لما والجن وصح هذا القول الطبري قال لان الله تعالى قال لا تعلمون ولا شك ان
المؤمنين كانوا على ما بين بعداوة فزيفة وفارس لعلمهم بانهم مشركون ولا هم حزب
للمؤمنين اما الجن فلا يعلمونهم الله يعلمهم يعني يعلم احوالهم واما كنهم ذونكم ويقصد
هذا القول ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم الجن والاشيطان لا يخجل احدا
في داره فترى متيق ذكر هذا الحديث ابن الجوزي وغيره من المفسرين بغير اسناد وقال
الحسن صهيل الخيل يذهب الجن وقوله تعالى **وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** قبل
اراد به نفقة الجهاد والغزو وقيل هو عام في كل وجه الخير والطاعة فيدخل فيه نفقة
الجهاد وغيره **يُوقِىَ الْيُسْرَى** اجره يعني في الآخرة ويجعل لكم عوضه في الدنيا وانتم لا تعلمون
يعني وانتم لا تنتقصون من ثواب اعمالكم شيئا قوله تعالى **وَأَنْ جَعَلُوا السَّلَامَ فَاجْزَوْا** لها
لما امر الله عباده المؤمنين باعداد القوة وما يرهب العدو امرهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم
الصلح ان مالوا اليه وسألوه فقال تعالى وان جفوا يعني مالوا الى السلم يعني المصالحة
فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله فاجزوها اي مل اليها يعني الى المصالحة وروي الحسن وقادة

الزهد

ان هذه الآية منسوخة بالسيف وقيل انها غير منسوخة لكنها تضمن الامر بالصلح اذا كان فيه
مصلحة ظاهرة فان راي الامام ان يصلح اعداء من الكفار وفيه قوة فلا يجوز ان يهاذمهم
سنة كاملة وان كانت القوة للشركيين جان ان يهاذمهم عشرين وللاجور الزيادة
عليها اقتدار رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح اهل مكة مدة عشرين ثم تقضوا
العهد قبل انقضاء المدة وقوله تعالى **وَتُوبَ إِلَيْهِ** يعني توبوا الى الله يعني توبوا الى الله
معهم ليكون عونك في جميع احوالك **إِنَّهُ هُوَ الْبَاقِي** يعني لا توالهم **الْعَلِيمُ** باحوالهم قوله
عز وجل **وَأَنْ يَرْبُدَ** **وَأَنْ يَخْذَ عَوكَ** يعني يغدر ووابك قال مجاهد يعني بني فزيفة
والمعني وان ارادوا باظهار الصلح خذ يعنك لتكف عنهم **فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ** يعني
فان الله كافيك بنصره ومعونه **هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنُفْسِكَ** يعني هو قواك واعانك
بنصره يوم بدر وفي ساير ايامك **وَالْمُؤْمِنِينَ** يعني وايدكم المؤمنين يعني الانصار فان قلت
اذا كان الله قد ايد بنصره فاي حاجة الى نصر المؤمنين حتي يقول والمؤمنين قلت
التأييد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون باسباب باطنة غير معلومة وباسباب
ظاهرة معلومة فاما الذي يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذي ايدك
بنصره لان اسبابه باطنة بغير وسيط معلومة واما الذي يكون بالاسباب الظاهرة
فهو المراد بقوله والمؤمنين لان اسبابه ظاهرة بوسيط وهم المؤمنون والله تعالى هو سبب
الاسباب وهو الذي اقامهم لنصره ثرين كيف ايد بالمؤمنين فقال تعالى **وَأَلْفَ نِجِينَ**
قَاتِلِهِمْ **لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ يَتَرُ قُلُوبَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ الْفَتِينُ** وذلك
ان العرب كان فيهم من الحمية الشديدة والافتة العظيمة والافتة القوية والعصبية والانطلا
على الضغينة في ادبي شي حتي لو ان لرجلا من قبيلة لطم لطة واحد قال عنه اهل قبيلته
حتي يدركوا اثارهم لا يكاد ياتلف منهم قلبا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وانوا
به واتبعوه وانتقلت تلك الحالة فانتلفت قلوبهم واستجعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية
من قلوبهم وابدلت تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة لله تعالى وفي الله وانتقوا
على الطاعة وصاروا انصارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعوانا يقاتلون عنه ويحمونه
وقم الاوس والخزرج وكانت بينهم في الجاهلية حروب عظيمة ومغادرة شديدة ثم زالت
تلك الحروب وحصلت الالفة والمحبة وهذا ما لا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك
معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم يا معشر الانصار اريدكم ضللا لا تفقدوا الله في وكنتم متعديين فالفكم الله في
وعالة فاعلم الله في وفي الآية دليل على ان القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء و ارادوا
ذلك لان تلك الالفة والمحبة انما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه
وسلم ثرائه تعالى ختم هذه بقوله **إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** يعني انه تعالى قادر قاهر متمكن
التصرف في القلوب فيقبلها من العداوة الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل ذلك
على وجه الحكمة والصواب قوله تعالى **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**
روي سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير

اسمع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا دست نسوة ثم اسلم عمر فترت هذه الآية
في هذا القول تكون الآية مكينة كتبت في سورة مدنية يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل
انما نزلت بالبيداء في غزوة بدر فقل القتال فعلى هذا القول اراد بقوله ومن ابتغى من المؤمنين
يعني الى غزوة بدر وقل اراد بقوله ومن ابتغى من المؤمنين الانصار والاية نزلت بالمدية
وقيل اراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الآية يا ايها النبي حسبك الله وحسب من ابتغى
من المؤمنين وقل معناه حسبك الله ومتبعك من المؤمنين قوله عز وجل **يا ايها النبي**
خز من المؤمنين على القتال يعني خذهم على قتال عدوهم والخز يض في اللغة الحث على الشيء
بكثرة التزج وتسهيل الخطب فيه كانه في الاصل ازالة الحصر وهو الهلاك **ان يكن**
منكم عشرين يعني رجلا صابرا **وان يكن** يعني عند القامحتين انفسهم **يغلبوا مائتين**
يعني من عدوهم وظاهر لفظ الآية خبر ومعناه الامر فانه قال ان يكن منكم عشرين
فليصبروا وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على ان المراد بهذا الخبر
الامر قوله الان خفف الله عنكم لان التبع لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك
على ان الله تعالى وجب اولا على المؤمنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله وعد
بالنصر وتكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء **وان يكن منكم مائة**
يعني صابره **يغلبوا الف** من الذين كفروا فحصل وجوب ثبات الواحد من المؤمنين في مقاتلة
العشرة من الكفار ذلك **يا ايها الذين آمنوا فاقموا الصلوة** يعني ان المشركين لا يقاتلون لطلب ثواب
و خوف عقاب انما يقاتلون حمية فاذا صدقتموه في القتال فانهم لا يثبتون معكم **لان**
خفف الله عنكم وقل **ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين**
وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله **ح** عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن
منكم عشرين صابرون يغلبوا مائتين كتب الله عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ولا عشرين
من مائتين ثم نزلت الان خفف الله عنكم الآية فكتب ان لا يفر مائة من مائتين وفي
رواية اخري عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرين صابرون يغلبوا مائتين شق
ذلك على المسلمين فنزلت الان خفف الله عنكم الآية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص
عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله الان خفف الله عنكم لما تقدم
في الآية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله تعالى على الرجل الواحد من المؤمنين
قتال عشرة من الكافرين فتقل ذلك على المؤمنين فنزل الان خفف الله عنكم اي المؤمنين
وعلم ان فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد للعشرة فان يكن مائة صابرة محسبة يغلبوا
مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله فرد من العشرة الى اثنين فاذا كان
المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا فاما رجل فرس ثلاثة فلم يفر
ومن فرس اثنين فقد فر **والله مع الصابرين** يعني بالنصروا المعونة قال لسفيان قال
ابن شبرمة واري الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك قوله تعالى **ما كان للنبي**
ان يكون له أسرى روي عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر ورجى الاسارى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في ها ولا فقال ابو بكر رسول الله فومك

واهلك

واهلك استبقهم واستاتك بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون المأخوذة على الفار
وقال عمر رسول الله كذبوا واخرجوك قد هم بضرب اعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب
عنقه ومكني من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان ها ولا ائمة الكفر وقال عبد الله بن
واحده رسول الله انظر واديا كثيرا الخطب فادخلهم فيه ثم اضرمه عليهم نار فقال له
العباس فقلت رحمتك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه ثم دخل فقال لانس
ياخذ بقول ابني كذبوا وقال ناس ياخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن ويثقل قلوب رجال حتى يكون اشد
من الحجارة وان شئت يا ابا بكر مثل ابراهيم قال من تبني فانه مني ومن عصاني فاني فاني فاني
وشئت يا ابا بكر مثل عيسى قال ان تغدوهم فاني اغدوهم فاني اغدوهم فاني اغدوهم فاني اغدوهم
الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تدري على الارض من الكافرين ديارا ومثلك كمثل موسى
قال ربنا اطس على اسواهم واشد دعي قلوبهم الآية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليوم انتم عائلة فلا يفلتن احد منهم الا بفدا او ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الا
سبيل بن بيضا فاني سمعته يذكر الاسلام فقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما
رايتني في يوم اخوف ان تقع على الحجارة من السماء ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الاسهيل بن بيضا قال **ابن عباس** قال لعمر بن الخطاب فقوي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولهم هو ما قلت واخذ منهم الفدا فلما كان من الغد
جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدان بيكمان قلت يا رسول الله
اخبرني من اي شيء تنكي انت وصاحبك فان وجدت بكائكيت وان لم اجد بكائكيت لبك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لذي عرض علي اصحابك من اخذهم الفدا لقد
عرض علي عدايتهم اذني من هذه الشجرة لشجرة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله عز وجل ما كان لابي ان تكون له اسرى حتى يخرج من الارض الآية اخرج هذا
الحديث الترمذي مختصرا وقال في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها
البغوي واخرج مسلم في افراذه من حديث عمر بن الخطاب قال لانس لما اسروا
الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكره عمر ما نزلت في ها ولا الاسارى
فقال ابو بكر رسول الله هم بنو النعم والعشيرة اري ان تاخذ منهم فدية تكون لنا قوة
على الكفار فغضب الله ان يخذلهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تري
يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يا رسول الله ما اري الذي اري ابو بكر ولكي اري ان
تمكنا فتضرب اعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيب العر
فاضرب عنقه فان هولا ائمة الكفر وصناديد ففوي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما قال ابو بكر ولم هو ما قلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر قاعدان بيكمان فقلت يا رسول الله من اي شيء تنكي انت وصاحبك فان وجدت
بكائكيت وان لم اجد بكائكيت لبكايك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لذي
عرض علي اصحابك من اخذهم الفدا لقد عرض علي عدايتهم اذني من هذه الشجرة لشجرة قريبة

عمر قال ناس ياخذ بقول

من نبي الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله عز وجل ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يخرج من الارض
الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا فاحل الله الغنيمة لمسلم ذكره الحميدي في مسنده عن الخطاب من اوله
سلم بزيادة فيه اما تفسير الآية فقوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى يعني ما كان ينبغي
ولا يجب لنبي قال ابو عبيد معناه لم يكن لنبي في ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لنبي ان
يحتسب كما فارق عليه وصار في يد اسير الفداء والمن والاسرى جمع اسير واسارى جمع الجمع
حتى يخرج من الارض الاثخان في كل شيء عبارة عن قوته وشدة يقاتل اخوته المرض اذا اشتدت
قوته عليه والمعنى حتى يبالغ في قتل المشركين ويغلبهم ويغترهم فاذا حصل ذلك فله ان يقدم
على الاسرى في اسارى **يزيدون عرض الدنيا** اخذكم الفداء من المشركين وانما سمي منافع الدنيا
بمعنى يزيدون ايها المومنون عرض الدنيا باخذكم الفداء من المشركين وانما سمي منافع الدنيا
عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام فثباتها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الآخرة فانها دائمة
لا انقطاع لها وقوله تعالى **والله يريد الأجرة** يعني انه تعالى يريد لكم ثواب الآخرة بغير
المشركين ونصركم الدين لا تهاد ايمته بلا ذوال ولا انقطاع **والله عز وجل** لا يغير ولا يغلب
حكيم يعني في تدبير مصالح عباده قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل
فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله في الانباري فاما ما بعد واما قبل فجعل الله نبيه صلى الله
عليه وسلم والمومنين بالخيار ان شاءوا قتالهم وان شاءوا الاستعبد بهم وان شاءوا فادوهم
وان شاءوا اعتقوهم قال الامام فخر الدين ان هذا الكلام يومهم ان قوله فاما ما بعد واما
فد ابن بلحكم الآية التي نحن في تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلنا الاتيين متوافقين
وكلاهما يدل على انه لا بد من تقدم الاثخان ثم بعد اخذ الفداء قال العلماء كان الفداء الكل
اسير اربعين اوقية والافقية اربعون درهما فيكون مجموع ذلك الف وستماية درهم
وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل اسير اربعة الاف اربعة الف فصد **لقد صدق**
هذه الآية من يقدر في عصمة الانبياء وبيانه من وجوه الاول ان قوله ما كان لنبي ان
تكون له اسرى صريح في النبي عن اخذ الانباري وقد وجد ذلك يوم بدر **والوجه**
الثاني ان الله امر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فلما يقتلهم
بل اسروهم ولذا ذلك على صدد والذنب منهم **الوجه** الثالث ان النبي صلى الله عليه
وسلم حكم باخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب **الوجه** الرابع ان النبي صلى الله عليه
وسلم وابا بكر قد ايسكان لاجل اخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله **والجواب**
عن الوجه الاول ان قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يخرج من الارض ويدل
على انه كان له الاسرى مشروعا ولكن بشرط الاثخان في الارض وقد حصل لان الصحابة
قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظماء المشركين وصناديدهم واسر وسبعين وليس من
شرط الاثخان في الارض قتل جميع الناس فدل ذلك هذه الآية على جواز الاسرى بعد الاثخان
وقد حصل **والجواب** عن الوجه الثاني ان الامر بالقتل اما كان مختصا بالصحابة
لاجماع المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يوزعها شرف قتال الكفار بنفسه واذ اثبت
الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذائب صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم

والقول

والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفداء وهو محرم
فتقول **لانسلم** ان اخذ الفداء كان محرما واما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا والله
يريد الآخرة ففيه عتاب لطيف لغرض اخذ الفداء من الانباري والمبادرة اليه ولا يدرك
ايضا على تحريم الفداء اذ لو كان حراما في علم الله لمنهم من اخذ مطلقا **والجواب** عن الوجه
الرابع وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر قد ايسكان لاجل اخذ الفداء لاجل ان بعض
الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكي النبي
صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر واخذ
الفداء والله اعلم قوله عز وجل **لولا كتاب من الله سبق لمنسكم فيما اخذتم عذاب عظيم**
قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة على الانبياء والامم فكافوا اذا اصابوا غنائم بصلوة
للقربان فكانت النار تنزل من السماء فتاكله فلما كان يوم بدر اسرع المومنون في اخذ الغنائم
والفداء انزل الله لولا كتاب من الله سبق يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل
لكم الغنائم لمسلم فيما اخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب
من الله سبق انه لا يعذب احدا ممن شهد بدر رافع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج
لولا كتاب من الله سبق انه لا يفضل قوما بعد اذ هدام حتى بين لهم ما يتقون وانه لا يأخذ
قوما فعلا وبجها لة لمسلم يعني لا صابكم بسبب ما اخذتم من الفداء قبل ان توروا عذاب
عظيم قال محمد بن اسحاق لم يكن من المومنين احد ممن حضر بدر الا واحب الغنائم والامر
ابن الخطاب فانه اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ
فانه قال رسول الله كان الاثخان في القتل احب من استبقا الرجال فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء ما نجما منه غير عمر وسعد بن معاذ وقوله تعالى
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا يعني فقد احللت لكم الغنائم واخذ الفداء فكلوا مما غنمتم حلالا
طيبا وروي انه لما نزلت هذه الآية الاولى كف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايدهم عما اخذوا من الفداء فتركوا فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنائم بهذه الآية
لهذه الامة وكانت قبل ذلك حراما على سائر الامم الماضية مع من حديث جابر بن عبد الله
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واحللت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلم تحل الغنائم لاحد قبلنا شرأحل الله لنا الغنائم
ذلك بان الله رأي ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا وقوله تعالى **وانتقوا الله ان الله عفور**
رحيم يعني وكافوا الله ان تعودوا وان تفعلوا شيئا من قبل انفسكم قبل ان تؤمروا
به واعلموا ان الله قد غفر لكم ما تقدمت عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قوله
وانتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله عفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية
قوله تعالى **يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الأسارى** نزلت في العباس بن
عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان احد العشرة الذين ضمنوا ان يطعموا
الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج معه عشرون اوقية من ذهب
ليطعم بها حتى اذا جاءت نوبته فكان يوم الواقعة يدبر نوبته فاراد ان يطعم ذلك اليوم

حرمة الغنائم

مطلب في اسلام العباس
وعقيل رضي الله عنه

فاقتلوا فلم يطعم شيئا وبقيت العشرة اوقية معه فلما اسراخذت منه فكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان تحسب العشرة اوقية من فدايه فاني رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال لما شئ خرجت به لتستعين علي فلما انزله لك وكلف قدامي اخيه عقيل بن
ابطالب ونوفل بن الحارث فقال العباس يا محمد تزكيتك في شئ ما بقيت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فابن الذهب الذي دفعته ام الفضل وقت خروجك من مكة وقت
لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث في حديث هذا لك ولعبد الله ولعبيد
الله وللفضل وقتم يعني بنيته فقال العباس وما يدريك يا ابن اخي قال اخبرني به ربي فقال
العباس اشهد انك الصادق واشهد ان لا اله الا الله وانك عبدك ورسوله لم يطعم عليه احد
الا الله واسراخي اخيه عقيل ونوفل بن الحارث فاسما ذلك قوله تعالى يا ايها النبي قل لمن
ايديكم من الاساري يعني الذين اسركم واحذم منهم الفدا **ان يعلم الله في قلوبكم خيرا**
يعني ايماننا ونصديقا **يؤتكم خيرا مما اخذ منكم** يعني من الفدا **وبقصد لكم** يعني ما سلف
منكم قبل الايمان **والله عفو رحيم** يعني لمن امن وتاب من كفره ومعاصيه **رحيم** يعني باهل
طاعته قال العباس فابدي الله خيرا ما اخذ مني عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال
كثير اذ نام يضرب بعشرين الف درهم مكان العشرة اوقية واعطاني زمره وما
احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي عز وجل وقوله تعالى
وان يؤيدوا يعني الاسد خيانتك يعني ان يكفروا بك **فقد خالفوا الله** يعني فقد
كفروا بالله **من قبل** وقيل معناه وان تقضوا العهد ورجعوا الي الكفر فقد خالفوا الله
بذلك **فامكن** يعني فامكن المؤمنين منهم بيد رحتي قتلوا منهم واسروا منهم وهذا نهاية
الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بان يتمكن من كل احد يخونه او ينقض عهده
والله عليم يعني بما في بواطنهم وصايرهم من ايمان وقصد او خيانة ونقض عهد **حليم**
يعني حكيمانه بخاري كلابه الخيرة بالتواب والشر باللعاب قوله عز وجل **ان الذين**
امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله يعني ان الذين امنوا بالله
ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقهم بما جاءهم به وهاجروا ويعني وهجروا ديارهم وتوهم
في ذات الله عز وجل وابتغوا رضوانه وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعني وابدلوا
انفسهم في سبيل الله يعني طاعة الله وابتغوا رضوانه **والذين اووا ونصروا يعني اووا**
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه من المهاجرين واسكنوهم منازلهم
ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار **او تلك** يعني المهاجرين والانصار
بعضهم او كيا بعض يعني في العوت والنصرة دون اقربائهم من الكفار وقال ابن عباس
في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون اقربائهم
وذوي ارحامهم وكان من امن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة
وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حيث ما كانوا وصاروا ذلك مستوخا بقوله واووا
الارحام بعضهم اولي ببعض في كتاب الله وقوله تعالى **والذين امنوا ولم يهاجروا يعني**
امنوا واقاموا بمكة ما لكم من ولايتهم من شئ يعني من الميراث **حتى يهاجروا يعني الي**
المدينة

المدينة **وان استنشدوكم في الدين** يعني ان استنشدوكم الذين امنوا ولم يهاجروا
فعليكم النصر يعني فعليكم نصرتهم واعانتهم **الا على قوم بينكم وبيننا ميثاق اي**
عهد فلا تنصروهم عليهم **والله بما تعملون بصير** والذين كفروا انقضهم **او كيا بعض** يعني
في النصر والمعونة وذلك ان كفار قريش كانوا معادين لليهود فلما بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم تغاؤروا عليه جميعا قال ابن عباس يعني في الميراث وهو ان يرث الكفار
بعضهم من بعض **الانتقلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير** قال ابن عباس الا ياخذوا
في الميراث مما امرتكم به وقال ابن جريح الانتقاؤ ونواوتنا صروا وقال ابن الحنات جعل
الله المهاجرين والانصار اهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم
او كيا بعض ثم قال تعالى الانتقلوه وهو ان يتولي المؤمن الكافر دون المؤمنين تكن فتنة
في الارض وفساد كبير فالفتنة في الارض في قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف
المسلمين **والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك**
هم المؤمنون حقا يعني لا شك في ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة والمهاد وبدل
النفس والمال في نصر الدين **لهم مغفرة** يعني لتوبتهم **ورزق كريم** يعني في الجنة فان
قلت ما معني هذا التكرار قلت ليس فيه تكرار لانه تعالى ذكر في الآية الاولى حكم
ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا ثم ذكر في هذه الآية ما من به عليهم من المغفرة
والرزق الكريم **وقيل** ان اعادة الشئ مرة بعد اخرى يدل على مزيد الاهتمام
به فلما ذكرهم ولا شراعا ذكرهم ثانيا دل ذلك على تعظيم شأنهم وعلو درجاتهم وهذا هو
الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه الآية من وجوه المدح ثلاثة انواع احدها قوله
اولئك هم المؤمنون حقا وهذا يغني عن الجسد وقوله تعالى حقا يغني عن المبالغة في وصفهم بكونهم
محققين في طريق الدين وتحقيق هذا القول ان من فارق اهله وداره التي نشأ فيها وبدا
النفس والمال كان مومنا حقا النوع الثاني قوله تعالى لهم مغفرة وتشكير لفظ المغفرة
يدل على ان لهم مغفرة واي مغفرة لا ينالها غيرهم والمعني لهم مغفرة تامة كاملة سائر
جميع ذنوبهم النوع الثالث قوله تعالى ورزق كريم تشكر وعظم في بابه قيل
له كريم والمعني ان لهم الجنة رزقا لا يلحقهم فيه غصانة ولا تعب وقيل ان المهاجرين
كانوا على طبقات فمنهم من هاجر اولا الى المدينة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر
الي ارض الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم اصحاب الهجرة ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية
وقيل فتح مكة فذكر الله في الآية الاولى اصحاب الهجرة الاولى وذكر في الثانية اصحاب الهجرة
الثانية والله اعلم برأيه وقوله تعالى **والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا**
معكم اختلوا في قوله من بعد تنقل من بعد صلح الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل
من بعد تولد هذه الآية وقيل من بعد غزوة بدر والاصح ان المراد به اهل الهجرة
الثانية لانها بعد الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام
بعد الفتح ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخطاه
في الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة وبما بان هذا بان المراد منه الهجرة المخصوصة

حديث الهجرة

من مكة الى المدينة فاما من كان من المؤمنين في بلد يخاف على اظهر دينه من كثرة الكفار وجب عليه ان يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على اظهر دينه وقوله تعالى **فَاُولَئِكَ نَبْشِطُكُمْ** يعني انهم منكم وانتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولى اشرف واعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالهجرة لان الله تعالى الحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا ان المهاجرين الاولين افضل واشرف لما صح هذا الالحاق وقوله **وَاُولَئِكَ اَرْحَامُ بَعْضِكُمْ اَوْلَى بِبَعْضٍ** كتاب الله قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخا حتى نزلت هذه الآية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في الميراث فبين هذه الآية ان سبب القرابة اقوي واولى من سبب الهجرة والاخا ونسخ هذه الآية ذلك التوارث وقوله في كتاب الله يعني في حكم الله وقيل ارادة اللوح المحفوظ وقيل اراده القرآن وهي اقسام الموارث المذكورة في سورة النساء كتاب الله وهو القرآن ونسك اصحاب ابي حنيفة هذه الآية في توريث ذوي الارحام واجاب عنه الشافعي بانه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الآية الذي بينه في سورة النساء فصار هذه الآية مقيدة بالاحكام التي ذكرها في سورة النساء من قسمة الموارث واعطا اهل الغرض فوضهم وما بقي فللعصبات وقوله تعالى **اِنَّ اِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ عِلْمٌ** يعني انه تعالى عالم بكل شيء لا يخفي عليه خافية والله اعلم باسرار كآبته

تفسير سورة التوبة

وهي مدنية باجمعهم قال ابن الجوزي سوي اثنتين في احزها لقد جاءكم رسول من انفسكم فانها نزلت بمكة وهي مائة وتسع وعشرون اية وقيل مائة وثلاثون اية وهي اربعة الاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة الاف واربع مائة وثمانية وثمانون حرفا وهذه السورة اسم عشرة سورة التوبة وسورة براءة وهذا ان اسما مشهورا وهي المعتقشة قاله ابن عمر سميت بذلك لانها تقتل من النفاق اي تيري منه وهي البعثة لانها تبغض عن اخبار المنافقين وتحت عنها وتنيرها والفاضة قاله ابن عباس لانها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهي الخزية لان فيها خزي المنافقين وهي المدقرة سميت بذلك لانها اثارته مخاري المنافقين وكشفت عن لحوالم وهتكت استارهم عن سعي ابن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال بل هي الفاضة ما زالت تقول ومنهم من قال حتى ظنوا ان لا يبقى احد الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت في بدر قال قلت سورة الحشر قال بل سورة البضير احزها في الصحيحين **فصل** في بيان سبب ترك كتابة التسمية في اول هذه السورة عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حكمكم على ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المبين فقدرتم بينهما ولم تكتبوا بطرسم الله الرحمن الرحيم ووضعتوها في السبع الطوال ما حكمكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينزل عليه زمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول وضعتوا هذه الايات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا واذا نزلت عليه الآية يقول وضعتوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا

انفق

في قوله تعالى
وَالَّذِينَ
يَتَّبِعُونَ
الْبَغْيَ
يَتَّبِعُونَ
الْبَغْيَ
يَتَّبِعُونَ
الْبَغْيَ

باني

ولذا كانت

وكذا وكانت الانفال من اويل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من اخر القرآن نزولا وكان قصتها شبيهة بقصتها وظننت انها من قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها من اجل ذلك فترت بينها ولم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما في الانفال ذكر اليهود وفي براءة تقصتها قال كان قتادة يقول لها سورة واحدة وقال يهدى الحنفية قلت لا يعني علي بن ابي طالب لم لا يكتبون براءة بسم الله الرحمن الرحيم قالوا يا بني ان براءة نزلت بالسيف وان بسم الله الرحمن الرحيم امان وسيل سفيا بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية رحمة والرحمة امان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقال المبرد لم تفتح هذه السورة بسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح للخير واول هذه السورة وعيد ونقص عهود فلذلك لم تفتح بالتسمية وسيل ابي بن كعب عن هذا فقال انما نزلت في اخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر به كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يامر به براءة بذلك فقصمت الى الانفال لشبهها بها وقيل ان الصحابة اختلفوا في ان سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة ام سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لانها نزلت في القتال ومجوعها معاميات وخرايات فكانت هي سورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تنبها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبها على قول من يقول انهما سورة واحدة اما التفسير في قوله تعالى **بِرَّاهِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** يعني هذه براءة واصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان ابرأ براءة اي انقطعت بيننا علقته وقيل معناها التباعدا مما يكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فكان المنافقون يرفعون الاراجيف وجعل المشركون يفتقون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى **وَأَمَّا خُنَازِنُ قَوْمِ خِيَانَةِ الْآيَةِ** تفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امر به ونهى اليهم عهودهم قال الزجاج اي قد بري الله ورسوله من اعطاهم اليهود والوفاء اذا نكثوا **إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** الخطاب مع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم واصحابه بذلك راضون فكانهم هم عقدوا وعاهدوا قوله تعالى **فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ** اي فسيروا في الارض مقبلين ومبشرين امنين غير خائفين احدا من المسلمين واصل السياحة الضرب في الارض الانتاع فيها والبعده عن مواضع العارة قال ابن الانباري قوله فسيحوا في الارض قوله مضمري اي قل لهم فسيحوا وليس هذا من باب الامر بل المقصود منه الاباحة والاطلاق والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف يعني سيحوا في الارض وانتم امنون من القتل والقتال **الْبَغْيَ** انهم يعني مدة اربعة اشهر واختلف العلماء في هذا التأجيل وفي ما ولا الذين يري الله ورسوله اليهم من اليهود التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بجاهد هذا التأجيل من الله للمشركين فكانت مدة عهدهم اقل من اربعة اشهر ورفع الي

العصمة ولم يبق

الا انه هو عاهدكم

اربعة اشهر ومن كانت مدته اكثر حطة الي اربعة اشهر ومن كان عهده بغير اجل محدود حله باربعة اشهر وهو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث ادرك ويوسر الا ان يتوب ويرجع الي الايمان وقيل ان المقصود من هذا التأجيل ان يتفكروا ويختاروا ما ينقسم ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام او القتل فيصير هذا اعياء لهم الي الدخول في الاسلام ولا ينسب المسلمون الي الغدر وكان ابتداء هذا الاجل فيصير هذا اعياء لهم يوم الحج الاكبر وانقضاؤه الي عشر من ربيع الاخر فاما من لم يكن له عهد فاما اجله اصلاح الشهر الحرام وذلك خمسون يوما وقال الان هري الشهر اربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه الالية تزل في شوال والقول الاول اصوب وعليه الاكثر وقال الكلبى انما كانت الاربعة اشهر لمن كان له عهد دون الاربعة اشهر فاما من كان عهده اكثر من اربعة اشهر فاما من كان له عهد بقوله فامحوا اليهم عهدهم الي مدتهم وقيل كان ابتداءها في العاشر من ذي القعدة واخرها العاشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة في العاشر من ذي القعدة واخرها العاشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة في العاشر من ذي القعدة بسبب النبي فصار في السنة المستقبل في العاشر من ذي الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار الحدين وقال الحسن امر الله عز وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل من قاتله من المشركين فقال تعالى قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل الا من قاتله شر امره بقتل المشركين والبراة ولا من لم يكن له عهد فكان الاجل لجميعهم اربعة اشهر واحل دما جميعهم من اهل اليهود وغيرهم بعد انقضاء الاجل وقال محمد بن اسحق ومجاهد وغيرهما تزلت في اهل مكة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غابا هدا قد بشا عام الحديبية على ان يضعوا الحرب عشرين سنين يا من فيه الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش فثعدت بنو بكر على خزاعة فمالوا منهم واعانهم قريش بالصلاح فلما نظا هرب بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمر بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تم ابني ناشدكم خلف ابينا وابيه الان لا اكنتم لنا اباء ولا ولدنا تمت اسلمنا ولم نزع يدك فانصر هذاك الله نصرنا اعتدا وادع عباد الله يا قوامدنا فيهم رسول الله قد تجردا في فياق كالبحر تجري مزبدا ايض مثل الشرب يسوعدا ان سيم خطا وجهه تزيلا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك الموعدا هم اثبتونا بالخير هجدا وقتلونا ركلنا وججدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم وتجهز للمكة فتفتحها سنة ثمان من الهجرة فلما كان سنة ثمان اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج فقبل له المشركون بحصرون ويطوفون بالبيت عراة فبعث ابا بكر تلك السنة اميرا على الموسم ليقم للناس الحج وبعث معه اربعة اشهر من صدر براءة ليقترها على اهل الموسم فبعث بعده عليا على قنقه العضا ليقتر على الناس صدر براءة وامره ان يؤذن بمكة ومنا وعرفه ان قد عريت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فوجع ابو بكر فقال

هذا الحديث في نسخة اخرى

برك الله

فقال رسول الله باحيات وامي انزل في شاني شي فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي اما ترضي يا ابا بكر انك كنت معي في الغار وانك معي في الخوض قال لي رسول الله صارا ابو بكر اميرا على الحاج وعلي بن ابي طالب يؤذن براءة فلما كان قبل التروية يوم قام ابو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم واقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على مناد لهم النبي كانوا عليها في الجاهلية من امر الحج حتى اذا كان يوم الفجر قام علي بن ابي طالب يؤذن براءة فلما كان قبل التروية فاذن في الناس بالذي امر به وقرأ عليهم اول سورة براءة وقال يزيد بن نبيع سنا لنا عليا ياي شي بعثت في الحجة قال بعثت باربعة لا يطوف بالبيت عريان ومن كانت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الي مدته ومن لم يكن له عهد فاجله اربعة اشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مومنة ولا تجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في حج فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع عن ابي هريرة ان ابا بكر بعثه في الحجة التي امره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في ربهط يؤذون في الناس يوم النحر ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب فامره ان يؤذن براءة قال ابو هريرة فاذن معاني اهل منابرة ان لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية وبوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر والحج وانما قيل الحج الاكبر من اجل قول الناس للعرم الحج الاصغر قال شهيد ابو بكر الي الناس في ذلك فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وانزل الله في العام الذي نبت فيه ابو بكر الي المشركين يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الية

فصل في تدبيرهم متوهمان في بعث علي بن ابي طالب براءة اول براءة عزل ابي بكر عن الامارة وتفضيله على ابي بكر وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على ان ابا بكر لم يزل اميرا على الموسم في تلك السنة اول حديث ابي هريرة المتقدم ان ابا بكر بعثه في ربهط يؤذون في الناس الحديث وفي لفظ ابي داود والنسائي قال بعثني ابو بكر فيمن يؤذن يوم النحر في ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثني ابو بكر فيه دليل على ان ابا بكر كان هو الامير على الناس وهو الذي قام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم واجاب العلم عن بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليؤذن في الناس براءة لان عادة العرب جرت ان لا يتولي تقدير العهد ونقضه الا سيد القبيلة وكبيرها او رجل من اقاربه وكان علي بن ابي طالب اقرب الي النبي صلى الله عليه وسلم من ابي بكر لانه ابن عمه ومن ربهط فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليؤذن عنه براءة ازاحة هذه الحلة لئلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عادتنا في عقد اليهود ونقضها وقيل لما خص ابا بكر توليته على الموسم خص علينا بتبليغ هذه الرسالة نظيبا لقلبه ورعاية لجانبيه وقيل لما بعث عليا في هذه الرسالة حتى يصل خلف ابي بكر ويكون جاريا بحري التنبيه على امامه ابي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث

دولاه
ابا بكر امير علي الحاج الموسم وبعث عليا خلفه ليقدر علي الناس براءة فكان ابوبكر الامام وعلي الموت
وكان ابوبكر الخطيب وعلي المستمع وكان ابوبكر المتولي امر الموسم والامير علي الناس ولم يكن ذلك
علي فذلك ذلك علي تقدم ابوبكر علي علي وفضلته عليه والله اعلم وقوله تعالى **واعلموا انكم**
غير محجزي الله يعني ان هذا الامتياز ليس بجزء منكم ولكن الصلحة والطف بكم لينوب الله
تأب وقيل معناه فسبحوا في الارض اربعة اشهر عالمين انكم لا تجزون الله بل هو المجزكم وبما ختم
لانكم في ملكه وقبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما امنكم هذه المدة لانه لا يخاف
الغوث ولا يعجزه شيء **وان الله محجزي الكافرين** يعني بالقتل والعذاب في الآخرة قوله عز وجل
واذان من الله ورسوله الاذان في اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة لانه اعلام
بدخول وقتها والمبج واعلام صاد من الله ورسوله واصيل **الى الثاني يوم الحج الاكبر**
اختلفوا في يوم الحج الاكبر فروي عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة ويروي ذلك عن ابن
عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعن علي بن ابي
طالب قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر اخرجه
الترمذي وقال ويروي موقفا عليه وهو اصح وعن عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال اي يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال
هذا يوم الحج الاكبر اخرجه ابو داود ويروي ذلك عن عبد الله بن ابي وني والمغيرة بن
شعبة وهو قول الشعبي والفتح وسعيد بن جبير والسدي وروي ابن جرير عن مجاهد
ان يوم الحج الاكبر حين الحج ايام بني كلبا وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج الاكبر ايام بني
كلها لان اليوم قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقولك يوم صنفين ويوم الحمل
لان الحروب دامت في هذه الايام ويطلق عليها يوم واحد وقال عبد الله بن الحارث بن نوفل
يوم الحج الاكبر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع
حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد للمشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبلك
ولا بعد ففظم ذلك اليوم عند المؤمنين والكا فزين واختلفوا في سمي الحج الاكبر فقال مجاهد
الحج الاكبر القدران لانه قرن بين الحج والعمرة وقال الزهري والشعبي وعطاء الحج الاكبر الحج
والحج الاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لتقصان اعمالها عن الحج وقيل سمي الحج الاكبر لواقعة
حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة وودع الناس
فيه خطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر في خطبته ان الزمان قد استدار واظلال الناس وجميع
احكام الجاهلية وقيل الحج الاكبر اجتماع اعياد جميع الملالي في ذلك اليوم وقوله تعالى **ان**
الله بري من المشركين ورسوله فيه حذف والتقدير بري من الله ورسوله بان الله
بري من المشركين وانما حذف الباء لدلالة الكلام عليها وفي رفع رسوله وجوه **الاول**
انه رفع بالابتداء وخبره مضمرة التقدير ان الله بري من المشركين ورسوله ايضا بري من
الثاني في تقدير بري الله ورسوله من المشركين **الثالث** ان الله في محمل الرفع
بالابتداء بري خبره ورسوله عطف على المبتدأ **الاول** فان قلت لا فرق بين
بقوله براءة من الله ورسوله الي الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان الله بري من

المشركين

المشركين ورسوله فما فائدة هذا التكرار قلت **المقصود** من الآية الاولى البراءة
من العهد ومن الآية الثانية البراءة التي هي تقيض الموالاتة الجارية مجري الزجر والوعيد
والذي يدل على صحة هذا الفرق انه قال في الآية الاولى براءة من الله ورسوله الي يعني
بري اليهم وفي الثانية بري منهم وقوله تعالى **فان تبتم** يعني فان رجعت عن شرككم
وكفركم **فلهو خير لكم** يعني من الاقامة على الشرك وهذا ترغيب من التوبة والاقلاع
عن الشرك الموجب لدخول النار **وان تولى** يعني اعرضتم عن الايمان والتوبة من
الشرك **فاعلموا انكم غير محجزي الله** فيه وعيد عظيم واعلام لمصر بان الله تعالى قادر علي
انزال العذاب لهم وهو قوله **وبشر الذين كفروا بعذاب اليم** يعني في الآخرة ولفظ
البشارة هنا انما ورد علي سبيل الاستهزاء كما يقال تخيتم الضرب واكرامهم الشتم قوله تعالى
الا الذين عاهدتم من المشركين هذا الاستشعار ارجع الي قوله تعالى براءة من الله
ورسوله الي الذين عاهدتم من المشركين الامن عهد الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو
ضمير حي من كناية امر الله رسول الله صلى الله عليه وسلم بانما عهدهم الي مدتهم وكان قد بقي من
مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله **فمن ينقض عهدهم**
يعني من عهدهم التي عاهدتهم عليها **ولم يظاها** يعني ولم يحاوتوا **عليكم احدا** من عدوكم
وقال صاحب الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في لان الكلام خطاب للمسلمين
ومعناه براءة من الله ورسوله الي الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا في الارض
الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا عهدهم **الي مدتهم** والاستثناء معني
الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فالتوا اليهم
عهدهم ولا تجزؤهم مجزاهم ولا تجعلوا الوافي كالغادر **ان الله يحب المتقين** يعني ان قضية
التقوي تقتضي ان لا يستوي بين القبيلتين يعني الوافي بالعهد والناكث له والغادر فيه
قوله عز وجل **فاذا انسحل الشهر الحرام** يعني فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهي رجب
وذو القعدة وذو الحجة والحرم قال مجاهد في معناه اسحاق في شهر العهد سميت حرما
لحرمة تقض العهد فيها ان كان له عهد فعهد اربعة اشهر ومن لا عهد له فاجله الي انقضاء
الحرم وذلك خمسون يوما وقيل انما قيل لها حرم لان الله حرم على المؤمنين دماء المشركين
والتعرض لهم فان قلت **على هذا القول** هذه المدة وهي الخمسون يوما بعض
الاشهر الحرم والله تعالى يقول فاذا انسحل الشهر الحرام قلت **لما كان هذا**
القدر من الاشهر متصلا بماضي اطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة
التي يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** يعني في
الحل والحرم وهذا امر اطلاق يعني اقتلوا في اي وقت واي مكان وجدتموهم **وخذوهم**
يعني واسروهم **واحصوهم** اي واحبسوهم وقال ابن عباس يريد ان تحصوا فاحصوهم
وامنعوهم من الخروج وقيل الامنعوهم من دخول مكة بالنصرف في بلاد الاسلام **وانفذوا**
لهم كل مرد يعني في كل طريق والرصد الموضع الذي يتعد فيه للعدو من رصدت الشيء
الرصد اذا ترقبته والمعج لولوا لهم رصدا حتي تاخذوهم من اي وجه توجهوا وقيل معناه

افقدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها **فان تابوا** يعني من الشوك ورجعوا الى الايمان **واقاموا**
الصلاة يعني وانما الاركان الصلاة المفروضة **واقاموا الزكاة** الواجبة عليهم طيبة بها
 انفسهم **فخافوا سبيلهم** يعني الى الدخول الى مكة والتصرف في بلادهم **ان الله غفور** يعني لمن تاب
 ورجع من الشرك الى الايمان ومن المعصية الى طاعة **رحيم** يعني باوليائه واهل طاعته
 وقال الحسن ابن الفضل نخت هذه الآية كناية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر
 على اذي الاعداء قوله تعالى **وان احدا من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله**
 يعني وان استامنك يا محمد احدا من المشركين الذين امرتك بقتلهم وقتلهم بعد انسلاخ
 الاثر الحرم لسمع كلام الله الذي انزل عليه وهو القران فاجره حتى يسمع ويعرف ما له
 من الثواب ان آمن وما عليه من العقاب ان اصر على الشرك **ثم ابغضه ما منه** يعني ان لم
 يسلم ابغضه الى الموضع الذي يامن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه
 فاقتله **ذلك بانهم قوم لا يعلمون** اي لا يعلمون دين الله وتوحيدهم فمحتاجون الى سماع
 كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة **كيف يكون للمشركين**
عهد عند الله وعند رسوله هذا على وجه التعجب ومعناه المحمدي لا يكون لهم عهد
 عند الله ولا عند رسوله وهم يخدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال تعالى **الا الذين**
عاهدتم عند المسجد الحرام قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم اهل مكة الذين عاهدهم
 رسول الله يوم الحديبية وقال السدي ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحق هم بنو حزيمة وبنو الدئل
 قبايل من بني كنانة كانوا دخلوا في عهد قريش وعقد يوم الحديبية وقال مجاهد اهل
 العهد من خزاعة **فما استقاموا لكم** يعني على العهد **فاستقيموا لهم** يعني ما اقاموا لكم على
 العهد ثم انهم لم يستقيموا او تنقضوا العهد وانما بنو كنانة على خزاعة فنقض رسول الله صل
 الله عليه وسلم بعد الفتح اربعة اشهر فمخارون من امرهم اما ان يسلموا واما ان لا يسلموا فابايل
 شافا فاسلوا بعد اربعة اشهر والصواب من ذلك قول من قال انهم من قبايل بني كروم جزيمة
 وبنو مدح من ضهير وبنو الدئل وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية ولم
 يكن نقض العهد الا قريش وبنو الدئل من بني كنانة فاما تمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو
 واما كانت الصواب هذا القول لان هذه الايات نزلت بعد نقض العهد وذلك قبل فتح
 مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشي قد مضى فاستقيموا لهم فاستقيموا لهم واما الذين
 قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لا ينقضون شيئا كما نقضكم قريش
 ولم يظاهروا عليكم احدا كما ظهرت قريش بنو كنانة على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صل
 الله عليه وسلم وقوله تعالى **ان الله يحب المتقين** يعني انه تعالى يحب الذين يوفون
 بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه **كيف وان يظهر عليكم** فيل هذا مودود على الآية
 الاولى تقديره كيف يكون لهم عهد وان يظهر عليكم لا يرقبوا عليكم الا ولا ذمة وقال
 الاخفش معناه كيف لا تقتلونهم وهم ان يظهر عليكم اي يظهر وابلم ويقتلونكم ويعلموا
 عليكم **لا يرقبوا** اي لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه لا يراعوا **فيلكم** لا
 قال ابن عباس يعني قراية وقيل رحا وهذا معنى قول ابن عباس ايضا وقال قتادة لان الحلف

صلى الله عليه وسلم

قريش

وقال السدي هو العهد وكذلك الذمة وانما كره التأكيد او لاختلاف اللفظين وقال ابو جابر
 ومجاهد الا هو الله ومنه قول ابي بكر الصديق لما سمع كلام سبيعة الكذاب ان هذا الكلام لم
 يخرج من الرعي من الله وعلي هذا القول يكون معنى الآية لا يرقبون الله فيكم ولا يحفظونه ولا
 يراعونه **واكثرهم فاسقون فان قلتم** ان الموصوفين بهذه الصفة كفار الكفر
 اخبت وانتم من الفسق فكيف وصفهم بالفسق في معرض الذم وما القايدة في قوله واكثرهم
 فاسقون مع ان الكفار كلهم فاسقون **قلتم** قد يكون الكافر عدلا في دينه
 وقد يكون فاسقا خبيث الفسق في دينه فالمراد بوصفهم فاسقين لانهم نقضوا العهد وبالفوا
 في العداوة فوصفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم فيكون ابلغ في الذم وانما قال اكثرهم ولم يقل
 كلهم فاسقين لان منهم من وقي العهد ولم ينقضه واكثرهم نقضوا العهد فلهذا قال تعالى
 واكثرهم فاسقون وقوله تعالى **اشتر وايايات الله ثمنا قليلا** يعني استبدلوا ايات
 القران والايام بها عرضا قليلا من متاع الدنيا وذلك انهم انما نقضوا العهد الذي كان بينهم
 وبين رسول الله صل الله عليه وسلم بسبب اكله اطعمهم ابوسفيان بن حريث ذمهم الله بذلك
 قال مجاهد اطعم ابوسفيان حلفاءه وترك حلفاء الله صل الله عليه وسلم **فصد واعين يثله**
 يعني وسعوا الناس عن الدخول في دين قال ابن عباس وذلك ان اهل الطائف امدوهم
 بالانوال ليقتلوه على حرب رسول الله صل الله عليه وسلم **انهم ساء ما كانوا يعملون** يعني
 من الشرك وتنقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول في دين الله **لا يرقبون في مؤمن**
الا ولا ذمة يعني ان هاتوا لا المشركين لا يراعون في مؤمن عدلا ولا ذمة اذا قدروا عليه
 قتالوه فلا يتقوا انتم عليهم كما لم يتقوا عليكم اذا ظهر واعليكم **واوليك هم المعتدون**
 يعني في نقض العهد قوله عز وجل **فان تابوا** يعني فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن
 نقض العهد الى لوقاه **واقاموا الصلاة** يعني المفروضة عليهم بجميع حدودها واركانها
واقاموا الزكاة يعني وبذلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها انفسهم **فاخوانكم**
في الدين يعني اذا فعلوا لهم اخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم **وتفصل الايات لقوم**
يعلمون يعني ويبين حجج ادلتنا ونوضح بيان اياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس
 حرمت هذه الآية دينا اهل القبلة وقال ابن مسعود امرهم بالصلاة والزكاة لمن لم
 يترك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما واني
 ان يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال برحم الله ابا بكر ما كان افعه يعني بذلك ما ذكره ابو بكر
 في حق منع الزكاة وهو قوله والله لا افرق بين شيئين جمع الله بينهما يعني الصلاة والزكاة
عن ابي هريرة قال لما اتوا في النبي صل الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر وكفر من كفر من
 العرب قال عمر بن الخطاب لا يبي بكر كيف ثقاتل الناس وقد قال رسول الله صل الله عليه
 وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله من قال لا اله الا الله فقد عصم سني
 ماله ونفسه الا محقه وحسابه على الله عز وجل فقال ابو بكر والله لا قاتلن من فرق بين
 الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لومنعوني في غنائها كانوا يودونها وفي رواية
 عفاها كانوا يودونها الى رسول الله صل الله عليه وسلم لقاتلنهم على منعها فقال عمر فوالله

ولا ذمة
 يعني لا يحفظون عهدكم
 يعني بطيعةكم
 يعني بطيعةكم
 يعني بطيعةكم

رسولهم

الايام



فوالله ما هو ان رايته ان الله شوح صدره ابي بكر بالقتال فعرفت انه الحق عن ان قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي
له ذمة الله وذمة رسوله ولقوله عز وجل **وان تكتوا ايمانهم** اي وان نقضوا عهودهم
من بعد عهدهم يعني من بعد ما عاهدوا عليه الا يقاتلوا ولا يظهروا عليكم احدا من اعدائكم
وطعنوا في دينكم يعني وعابوا دينكم الذي اتمتم عليه وقدوافيه وكنوه وفي هذا دليل
على ان الذي اذا طعن في دين الاسلام وعابه ظاهر لا يبقى له عهد والمراد بالاول الذين نقضوا
العهد كفار قريش وهو قوله تعالى **تقاتلوا اهل الكفر** يعني روس المشركين وقادتهم قال
ابن عباس نزلت في ابي سفيان بن الحارث والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وابي جهل وابنه
عكرمة وسائر رؤساء قريش وهم الذين نقضوا عهدهم وهو باخراج رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل ارد جميع الكفار وانما ذكر الائمة لانهم الرؤسا والقادة فقتلنا لهم قتال الانتاع
وقال بجاهدكم فارس والروم وقال احدى يفة بن اليان ما قتل اهل هذه الامة بعد ولم يات
اهلها ولعل احدى يفة اراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال من اليهود فانهم ائمة الكفر
في ذلك الزمان والله اعلم امر احدى يفة وقوله تعالى **انهم لا ايمان لهم** ايمان جمع ميم
اي لا عهد لهم وقيل معناه انهم لا وفا لهم بالعهد وفري لا ايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا
لم ولا تصديق وقيل هو من الامانة اي اقلواهم حيث وجدتموه ولا تؤمنوهم **لعلهم**
يتنبهون اي لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم ويرجعوا عن الكفر الى ايمان ثم حض المومنين على
جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى **الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم** يعني
نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية واعانوا بني بكر على خراعة **وهو**
باخراج الرسول يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة **وهم بدوكم بالقتال اول**
سورة يعني يوم بدو ذلك انهم قالوا لا ننصرف حتى يستاصل جهدا واصحابه وقيل اراد به
انهم بدوا بعتنا لخراعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اختشوه يعني اتخافوهم
ايها المومنون فتركوا قتالهم **قاله احق ان تحشوه** يعني في ترك القتال **ان كنتم مومنين**
يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعد نبيه تعالى **قاتلوهم بعد بكم الله بايديكم**
يريد بالتعذيب القتل يعني يقتلهم الله بايديكم فان قل **كيف الجمع بين**
قوله بعد بكم الله بايديكم وقوله وما كان الله ليعذبكم وانت فيهم قل
المراد بقوله وما كان الله ليعذبكم وانت فيهم عذاب الاستيعاب يعني وما كان الله ان
ليستاصلهم بالعذاب جميعا وانت فيهم والمراد بقوله قاتلوهم يعني الذين نقضوا اوبدا
بالقتال فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بقتال من قاتلهم او نقض عهدهم
والفرق بين العذابين ان عذاب الاستيعاب يتعدى الى المذنب وغير المذنب والى
المخالفة والمواظبة وعذاب القتل لا يتعدى الا الى المذنب المخالفة وقوله تعالى **وتحزبهم**
يعني ويذلهم بالقتل والاسر ويتركهم الذل والهوان **وينصوكم عليهم** يعني بان يظهروكم
بهم **ويشتف صدور قوم مومنين** يعني ويبري ذاقوا لهم بما كانوا ايا لومته من الاذي
منهم ومن المعلوم ان من طالت اذية من خصمه ثم ملكه الله منهم فانه يفرح بذلك ويعظم
سرورهم

b

سروره ويصير ذلك سببا لقوة اليقين وبيان الحق قال بجاهد والسدي اراد صدور خراعة
من بني بكر حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اعانت قريش بني بكر على خراعة حتى قتلوا نبيهم
شرفي الله صدور خراعة من بني بكر حتى اخذوا ثارهم منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه **ويذهب غيظ قلوبهم** يعني ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بني بكر روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيوف الخراعة من بني بكر الى العصر
ذكره البغوي بغير سند ثم قال تعالى **ويتوب الله على من يشاء** وهذا الكلام مستأنف ليس له
تعلق بالاول والمعني ويهدي الله من يشاء الى الاسلام فيمن عليه بالتوبة عن الشرك والكفر
وتهديه الى الاسلام كافتل بابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو ولولا كانوا
من ائمة الكفر وروسا المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا **والله عليهم**
يعني بسدا برعايده ومن سبقت له العناية بالازلية بالسعادة فيتوب عليه وتهديه الى
الاسلام **حكيم** يعني في جميع افعاله قوله عز وجل **ان تترأوا هذا من الاستفهام**
المعترض في وسط الكلام ولذلك ادخلت فيه لم يفرق بينه وبين استفهام التنبه والمعني
اظنتم ايها المومنون ان تتركوا افلا تقوموا بالجاهد ولا تنقضوا البيعة الصادق من الكاذب
ولما يعلم الله الذين جاؤوا بكم يعني بالعلم المعلوم لان وجود النبي يلزمه معلوم
الوجود لا جل من حرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قاله الامام خراساني الرازي
ونقل الواحد عن الزجاج اي العمل الذي يجاري عليه لانه انما يجاري على ما علوا **ولم**
يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة قال الغزالي وليجة البطانة من
المشركين يتخذونهم يفشون اليهم اسرارهم وقال قتادة وليجة خيانة وقال الضحاك خديعة
وقال عطاء اوليا يعني لا يتخذوا المشركين اوليا من دون الله ورسوله والمومنين وقال
ابوعبيدة كل شيء دخلته في شيء ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة
من الولوح فوليجة الرجل من تحتضه بخيلة امره دون الناس وقال الراغب كل ما يتخذ الانسان
معتدا عليه وليس من قومه فلان وليجة في القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذا
نهي المومنين من موالاته المشركين وان يفشوا اليهم اسرارهم **والله خير بما يعلمون** يعني
موالاته المشركين او اخلاص العمل لله وحده قوله تعالى **ما كان للمشركين ان يعمروا مسجدا**
الله يعني به المسجد الحرام وفري مساجد الله بالجمع والمراد به المسجد الحرام ايضا وانما ذكره
بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد كلها وسبب ترك هذه الآية ان جماعة من رؤساء كفار قريش
اسروا يوم بدر ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليهم
نقد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبرونهم بالشرك وجعل علي بن ابي طالب
يوضح العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال
العباس ما لكم تذكرون مساونا وتكتمون محاسنا فقتل له وهل لكم من محاسن قال انهم
نحن افضل منكم نعمر المسجد الحرام ونحج الكعبة ونسقي الحجيم ونفك العاني يعني الاسير
فتركت هذه الآية ما كان للمشركين اي لا ينبغي للمشركين ان يعمروا مساجد الله اوجب
الله على المسلمين منهم من ذلك لان المساجد انما تبنى لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافرا

عند الله

الوليعة

بالله فليس له ان يعمر مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين احدهما ان المراد بالعمارة
العمارة المعروفة من بنا المسجد وتشبيدها ومزيتها عند خرابها فيمنع منه الكافر حتى لو اوي
بمسجد لم يقبل وصيته والقول الثاني ان المراد بالعمارة دخول المسجد والتعود فيه
فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير اذن مسلم حتى لو دخل بغير اذن مسلم عزروا ان دخل باذن
لم يعزروا بل على جواز دخول الكافر المسجد الا ان النبي صلى الله عليه وسلم شدد تنافه
ابن ابي نجر الى سارية من سواري المسجد وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها
وقوله تعالى **شاهد من على انفسهم بالكفر** يعني لا يدخلون المساجد في حال كونهم شاهدين
وقيل تقدمه وهم شاهدون فلما حدثت وهم نصب قال ابن عباس شهادتهم على انفسهم بالكفر
بجوارهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا اصنامهم خارج البيت الحرام عند
القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا واصنامهم فلم يزدوا وابتدأ
من الله الابداد وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولنا كلامهم بالكفر شهادة عليهم بالكفر
وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان النصراني يسأل من انت فيقول انصرايني
واليهودي يقول يهودي والمشركي يقول مشرك وقال ابن عباس في رواية عنه شاهدت
على رسول الله بالكفر لانه من انفسهم **او ليك تحطت اعمالهم** يعني الاعمال التي عملوها في حال
الكفر من اعمال البر مثل اقر الضيف وسقي الحاج وفك العاني لانهم لم تكن لله فلم يكن لها ثابر
مع الكفر **وفي التارخ خالذون** يعني من مات منهم على كفره قوله عز وجل **انما يقدر**
مساجد الله من امن بالله واليوم الآخر لا بين الله عز وجل ان الكافر ليس له ان
يعمر مساجد الله بين في هذه الآية من هو المصدق لعمارة المسجد وهو من امن بالله فان
الايمان شرط فيمن يعمر المسجد لان المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم
يكن مؤمنا بالله امتنع ان يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الآخر يعني وامن باليوم
الآخر وانه حق كائن لان عمارة المسجد جل عبادة الله وجزا أجره انما يكون في الآخرة لمن
انكر الآخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا فان قل **لم يذكر الايمان**
برسول الله مع ان الايمان به شرط في صحة الايمان قل **ان الايمان برسول**
الله صلى الله عليه وسلم داخل في الايمان بالله فان من امن بالله واليوم الآخر فقد امن برسول
الله لان من جهته عرف الايمان بالله واليوم الآخر لانه هو الداعي الى ذلك وقيل ان
المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعي النبوة طلبا للرياسة والملك اخبر الله عز وجل
ان محمدا انما ادعي الى الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر وترك ذكر الايمان بالنبي صلى الله عليه
قال انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الآخر **واقام الصلاة واتى الزكاة**
وسلم وقيل انه تعالى ذكر بعد الايمان بالله واليوم الآخر **واقام الصلاة واتى الزكاة** فقد امن
وكان ذلك ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقام الصلاة واتى الزكاة فقد امن
برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان الاعتبار باقامة الصلاة واتى الزكاة في عمارة
المساجد ان الانسان اذا عمر المسجد لازمه اقامة الصلاة فيه ولا يشتغل بعمارة
المساجد الا اذا كان موديا للزكاة لان الزكاة واجبة وعمارة المساجد نافلة ولا يستل

الانسان بالنافلة الا بعد كمال الفريضة الواجبة عليه وقوله تعالى **ولم تحش الى الله يعني**
ولم تحش في الدين غير الله ولم ينزك امر الله لخشيته الناس **فصلي او ليك ان يكونوا من المشرك**
وعني من الله واجب يعني واوليك هم المنتدون المستمسكون بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة
عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد
فاشهدوا له بالايان فان الله عز وجل يقول انما يعمل مساجد الله من امن بالله واليوم
الآخر الآية اخرج الترمذي وقال حديث حسن **وق** عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من عدا الى المسجد او راح اعد الله له في الجنة نزلا كلما عدا او راح التراب
ما يهيا للضيف عند نزوله بالغوم **وق** عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بني مسجدا يبتغي وجه الله بني الله له بيتان في الجنة
وفي رواية بني الله له في الجنة مثله وعن ابن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
بني لله مسجدا صغيرا كان او كبيرا بني الله له بيتان في الجنة اخرج الترمذي عن عمرو بن
عبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بني لله مسجدا ليدكر الله فيه بني الله له بيتان
في الجنة اخرج النسائي **اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام** الآية عن النعمان
ابن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل يا اباي ان لا عمل عملا بعد
الاسلام الا ان امر المسجد الحرام وقال اخرج الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجروا عن ذلك
لا تزفوا اصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة
دخلت فاستقيت فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل **اجعلتم سقاية الحاج وعمارة**
المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الآخر الى اخرها وقال ابن عباس قال العباس حين اسر
يوم بدر حين كنتم سيقتمونا بالاسلام والجمعة والجمعة كانتم المسجد الحرام وسقي الحاج
فانزل الله هذه الآية فاحبرهم ان عمادتهم المسجد الحرام وقيامهم السقاية لا ينفعهم مع الشرك
بالله وان الايمان والجمعة خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب
القرظي نزلت في علي بن ابي طالب والعباس بن عبد المطلب وطالبة بن شيبه افتخروا
بقال طلمحة وانا صاحب البيت يدي مفااتيحه وقال العباس وانا صاحب السقاية
والقيام عليها وقال علي ما ادري ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل النكاح
وانا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الآية **اجعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر**
كالرعاية والحماية وهي سقي الحاج وكان العباس بن عبد المطلب يدير سقاية الحاج
وكان يديرها في الجاهلية فلما جاء الاسلام واسلم العباس اقر رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعني بناه وتشبيده ومزنته **كن امن بالله واليوم**
الآخر فيه حذف تقديره كايمن من امن بالله واليوم الآخر **وجاهد في سبيل الله**
اي الجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى السقاية والعمارة والعمارة
تقديره اجعلتم ساقى الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الآخر وجاهد في
سبيل الله **لا يستون عند الله** يعني لا يتوي كالقهاولا الذين امنوا بالله وطهروا
في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله لا يقبل

عملا الامع ايمان به **والله لا يهدي القوم الظالمين** خرج عن ابن عباس ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم جاء الى السقيفة فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى امك فائت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فشرب من عندها فقال استسقى فقال رسول الله انهم يجعلون ايديهم
 فيه قال استسقى فشرب منهم ثم اتى زمزم وم يستقون ويعلمون فيها فقال اعلوا فانكم على عمل
 صالح ثم قال لولا ان تغلبوا لنزلت حتى اضع الحبل يعني عاتقه **هو عن بكر بن عبد الله المزني**
 قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه اعرابي فقال مالي اريدكم يسقون في
 العسل واللبن وانتم تستقون النبيذ من حاجة بكم ام من نخل فقال ابن عباس الحمد لله
 ما بنا من حاجة ولا نخل وانما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحته وخلفه اسامة فأتى
 فأتيناه باننا من نبيذ فشرب وسقى فضله اسامة فقال احسنتموا واجلستم كذا فاصنعوا
 فلا يزيد تغيير ما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيذ يترفع في الماء عدة ويشرب
 او ينقع عشا وشيرة غدة **عشرا** وهذا احلال فان غلا ونخض حرم قوله عز وجل **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا**
في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله يعني ان من كان موصوفا بهذه الصفات
 يعني الايمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان اعظم درجة عند الله من اقتحرا بالسقا
 وعارة المسجد الحرام وانما لم يذكر القسم المرجوح لبيان فصل القسم الراجح على الاطلاق على من
 سوام والمراد بالدرجة المترتبة والرفعة عند الله في الاخرة **اوليك** يعني من هذه صفته
هم القابضون يعني بسعادة الدنيا والاخرة **يشترهم وهم** يعني يخبرهم بهم والبشارة
 الخبر السار الذي يفرح الانسان عند سماعه وتستبشر بشيرة وجهه عند سماع ذلك الخبر
 السار ثم ذكر الذي يشترهم فقال تعالى **درجة منه ورضوان** وهذا اعظم البشارات لان
 الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصودة **وجنات لهم فيها نعيم مقيم**
 يعني ان نعيم الجنة دائم غير منقطع ابدا **خالدين فيها** يعني في الجنات وفي النعيم ابدا يعني
 لا انقطاع لها **ان الله عنده اجر عظيم** يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الآباء واولادكم اوليا قال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها
 نزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس لما امر النبي صلى الله عليه
 وسلم الناس بالهجرة الى المدينة فمنهم من تعلق به اهله واولاده ويقولون نشدك بالله ان
 تقيعنا فيرق عليهم فيقيم عندهم ويدع الهجرة فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في
 التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا مكة فنهاى الله المؤمنين عن موالاتهم واترلها
 الذين آمنوا لا تتخذوا الآباء واولادكم اوليا يعني بطانة واصدقا يفشون اليهم اسرارهم
 ويؤثرون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حمل هذه الآية على ترك الحج مشكلا لان هذه
 السورة نزلت بعد الفتح وهي من اخر القرآن نزولا والافزب ان يقال ان الله تعالى لما امر
 المؤمنين بالتبيري من المشركين قالوا كيف يمكن ان يقطع الرجل اباه واخاه وابنة وهو
 قوله تعالى **ان استحبوا الكفر على الايمان** يعني ان اختاروا الكفر واقاموا عليه وتركوا
 الايمان بالله ورسوله **ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون** يعني ومن يختار المقام
 معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه تخالفا لغيره امر الله واختيار الكفار على المؤمنين ولما نزلت

هذه الآية

هذه الآية قال الذين اسلموا ولم يهاجروا ان نحن ما جئنا صاعنا اموالنا وذهبت تجارتنا ونشتر
 دورنا وقطعنا ارحامنا فانزل الله تعالى **قل اي قلوبكم لها ولا الذين قالوا هذه المقالة ان كان**
اباؤكم وابناؤكم واولادكم واولادكم وعشيرتكم وقري على الجمع وعشيرتكم والعشيرة هم
 الادنين من اهل الانسان الذين يعاشرونه دون غيرهم **واموال اقتزفتوها** يعني اكتسبوا
وتجارة تخشون كسادها يعني يخشون كسادها **وساكن فريضونها** يعني تستوطنونها راضين
 بسكاها **احب اليكم من الله ورسوله** يعني احب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله **وجهاد في سبيله**
 فبين الله تعالى انه يحب نخل المضارب الدنيا ليسيقي الدين سليما واخبرانه ان كانت رعاية
 هذه المصالح الدنياوية عندكم اولي من طاعة الله وطاعة رسوله ومن الجاهدين في سبيل
 الله **فترضوا اي فانتظروا حتى ياتي الله بامر** يعني يقضاه وهذا امر تديد وتحويف
 وقال مجاهد ومقاتل يعني بفنح مكة **والله لا يهدي القوم الفاسقين** يعني الخارجين عن
 طاعته وفي هذه دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم
 ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا فوله عز وجل **لقد نصركم الله** النصرة المعونة على
 الاعدا باظهار المسلمين عليهم **في مواطن كثيرة** يعني اما كن كثيرة والمراد به غزوات رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 ما ذكره في الصحيحين من حديث زيد بن ارقم تسع عشرة غزوة زاد بريرة في حديثه قال في
 ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله
 تعالى **لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين** يعني ونصركم الله يوم حنين ايضا
 فاعلم الله انه هو الذي يتولي نصر المؤمنين في كل موطن وموقف ومن يتولي الله نصره فلا
 غالب له وحنين اسم واد قريب من الطائف بينهما وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال
 عروة الي جنب ذي المجاز وكانت **قصص** **حنين** على ما نقله الرواة ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه ايام من شهر رمضان فخرج الى حنين
 لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر الفا عشرة الاف من المهاجرين والانصار والفاك
 من الطلقاء وقال عطا كانوا ستة عشر الفا وقال الكلبي كانوا عشرة الاف وكانوا يومئذ
 الثرما كانوا فط وكان المشركون اربعة الاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن ملك
 ابن عوف النصردي وعلي ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار
 يقال له سلمة بن سلامة وقير بن ثعلب اليوم عن قله فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كلامه ووكلاوا الي كلمة الرجل وفي رواية فلم يرض الله قوله ووكلامهم الي انفسهم وذكر ابن
 الجوزي عن سعيد بن المسيب ان القليل لك ابو بكر الصديق **وحكي** ابن جبر
 الطبري ان القليل لك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الي رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لانه صلى الله عليه وسلم كان في جميع احواله منوكلا
 على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدد ولا غير بل يظفره الي ما ياتي من عند الله عز
 وجل من النصر والمعونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون
 وخوا عن الذراري فترتادوا يا حمة السوء اذكروا الفضاخ فترجعوا واكتشف

هذه الآية
 قوله تعالى
 ومن يتولهم
 فاولئك هم
 الظالمون

المسلمون وقال قتادة ذكر لنا ان الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل الغوم هربوا عن ابي اسحق
قال جابر الى البراء فقال انتم ولبنتم يوم حنين يا ابا عمار فقال استند علي بن ابي الله عليه
وسلم ما ولي ولكنه انطلق اخفا من الناس وحشروا الي هذا الذي هو اذن وهم قوم رماة فزوم
برشق من نبل كانوا رجل من جراد فانكشروا فاقبل الغوم الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سفيان
ابن الحارث يقتوده بغلته فترددوا واستنصروا وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن
عبد المطلب اللهم انزل نصرك زاده ابو خيثمة ثمر صغيم قال البراء والله اذا امر الناس
برسول الله صلى الله عليه وسلم وان الشجاع منا الذي يحب الله يعني النبي صلى الله عليه
وسلم ولمسلم عن ابي اسحق قال قال رجل للبراء عاذب يا ابا عمار فترددت يوم حنين قال
لا والله ما ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان اصحابه واخفا وهو
حشروا ليس عليهم سلاح او كثير سلاح فلغوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هو اذن
وبني فضير فزشقوهم رشقا ما يكادون يحيطون فاقبلوا هناك الي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم علي بغلته البيضاء وابو سفيان بن الحارث بن عبد
المطلب يلوده فترددوا واستنصروا قال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب ثم صغيم وروى
شعبة عن ابي اسحق قال قال البراء ان هو اذن كانوا قوما رماة ولما لقيناهم حملنا عليهم فانهم
فاقبل المسلمون علي الغنيم فاستقبلونا بالسهام فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر
قوله ولكنه انطلق اخفا من الناس الاخفا جمع خفيث وهم المشركون من الناس الذين
ليس لهم ما يعوقهم والمسر جمع خاسر وهو الذي كدر على عليه يقال اذ اري الغوم باسهم الي
جهة واحدة رمينار شقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله اذا امر الناس
يعني اذا اشتد الحرب والباس بالبا الموحدة من تحت الشدة والخوف قال الكلبي كان حول
النبي صلى الله عليه وسلم ثلثماية من المسلمين وانهم ساءوا الناس وقال غيره لم يبق مع النبي
صلى الله عليه وسلم يومئذ غير عمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه ابي سفيان بن الحارث
وايمن بن لم ايمن قتل يوم حنين بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ايمن اخو
اسامة بن زيد لامه امها بركة مولا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخا حبيته عن العباس
ابن عبد المطلب قال استندت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت انا وابو سفيان
ابن الحارث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تفارقه ورسول الله صلى الله عليه
وسلم علي بغلة له بيضا اهداها له فزوة بن نقاشة الحذابي فلما التقى المسلمون والكفار وولي
المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته فقتل الكفار وقال
العباس وانا اخذ الجمام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الكفا ارادة ان لا تشدع وابو سفيان
اخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عباس
ناد اصحاب السمة فقال العباس وكان رجلا صبيتا فقتلني يا علي صوتي ابن اصحاب السمة
قال فوالله لكان عطفتم حين سمعوا صوتي عطفة البقرة عيا اولادها فقالوا لبيك
يا لبيك قال فاقبلوا هم والكفار والعدو في الانصار يقولون يا معشر الانصار يا معشر
الانصار ثم قصرت الدعوة علي بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو علي

وهو علي بغلته كالمتطاول عليها الي قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس
قال ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بها وجوه الكفار ثم قال انهزوا ورب
سهم قال فذهبت انظر فاذا القتال علي هيئة فيما اري قال فوالله ما هو الا ان رماهم حصياته فا
رلت اري حدهم قليلا وامرهم مدبرا قوله حمي الوطيس اي اشتد الحرب قال الخطابي هذه الكلمة
لم تسع قبل ان يتولها النبي صلى الله عليه وسلم ولم من العرب وهي اقتضبه وانشاه والوطيس في
الغلة التور وقوله حدهم قليلا يعني لا يقطع شيا وعن سلمة بن الاكوع قال غزونا مع النبي
صلى الله عليه وسلم حبيبا فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تره عن بغلته ثم قبض قبضة
من تراب الارض ثم استقبل به وجوههم وقال اشأهت الوجوه فاطق الله منهم انسانا الا
ملاعينية تراب تلك القبضة فلولوا مدبرين لغزهم الله وقسم غنائهم بين المسلمين واخره
سلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبير امد الله نبيه الخمسة الاف من الملائكة مسومين
وروي ان رجلا من بني نضير يقال سحره قال للمومنين بعد القتال اين الحيل البلق والرجال
عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم الا كهية الشامة وما كان قتلنا الا بدمهم فاخبرهم ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة وروي ان رجلا من المشركين قال يومئذ
لما التقينا نحن واصحاب محمد لم يبقوا لنا حلب شاة الي ان كشفناهم فبينما نحن نسوقهم حتى انتهينا
الي صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقتلنا عنده رجال
بيض الوجوه حسن الوجوه فقالوا لنا اشأهت الوجوه ارجعوا قال فاهزمنا وركبوا الكناقنا
فكانت اياها واختلفوا اهل قاتلت الملائكة يوم حنين علي قولين والصحيح انها لم تقا (لا يوم)
بدروا كانت الملائكة يوم حنين مددوا وعونا وذكر البغوي ان الزهري قال بلغني ان
شبيبة بن عثمان قال استدرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وانا اريد قتله
بطاحنة بن عثمان وعتبان بن ابي طلحة وكانا قد قتلا يوم احد فاطلع الله رسول الله صلى
الله عليه وسلم علي ما في نفسي فالتفت الي وضرب في صدري وقال اعيدك بالله يا شبيبة
فاعدت فرايطي فنظرت اليه وهو اصب الي من سمعي وبصري فقلت استند انك رسول
الله قد اطلعك علي ما في نفسي فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى
اتوا اوطاس ونها عياهم واما لهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من المشركين
يقال له ابو عامر وامره علي الجيش فصار الي اوطاس فاقبلوا بها وقتل دريد بن الصمت
وهزم الله المشركين وسبي المسلمون عيال المشركين وهرب اميرهم مالك بن عوف
النضري فاني الطاييف فتخص بها واخذ ماله واهله فيمن اخذ واقتل ابو عامر امير
المسلمين وقال الزهري اخبرني سعيد بن المسيب انهم اصابوا يومئذ ستة الاف صبي
نثران رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الطاييف فحاصروهم بقية ذلك الشهر فلما
دخلوا القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم واني للجعرانة فاحرم منها بكرة وقسم
بها غنائهم حنين واطاس وتالف انا سامنهم ابو سفيان بن حرب والحارث بن هشام
وسلم بن عمرو والاقوع بن كاسب فاعطاهم عن السن من مالك ان ناسا من الانصار
قالوا يوم حنين حين اقا الله علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما افانطق رسول الله صلى

صلى الله عليه وسلم

السافر وهو ثلاثة ايام **مر** عن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يخرج
 اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلم يخرج ابوبكر ذلك واجلاهم عمر في خلافته واحل
 لمن يقدم تاجرا ثلاثة ايام عن ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا اجتماع دينك
 في جزيرة العرب اخرج ما لك في الموطن برسلا **مر** عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول ان الشيطان قديس ان يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحول بينهم
 قال سعيد بن عبد العزيز جزيرة العرب ما بين الوادي الي قضي اليمن الي تخوم الارض
 العراق الي البحر وقال غيره حد جزيرة العرب من اقصى عدن ابين الي ريف العراق في
 الطول ومن جلع وما والاها من ساحل البحر الي اطراف الشام عرضا والقسم الثالث
 سائر بلاد الاسلام فيخون للكافرين فيقيم فيها بعهد وامان وذمة ولكن لا يدخلون المسا
 الا باذن سلم وقوله تعالي **بعد غابهم هناك** يعني القام الذي حج فيه ابوبكر الصديق رضي
 الله عنه بالناس ونادى بغير رضي الله عنه براه وان لا يخرج بعد العام مشرك وهو سنة تسع
 من الهجرة **وان خفتم عيلة** يعني فتر اوقافه وذلك ان اهل مكة كانت معايشهم من
 التجارات وكان المشركون يجلبون الي مكة الطعام ويخبرون فلما منعوا من دخول الحرم
 اهل مكة الفقير وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارتد الله عز
 وجل وان خفتم عيلة **فوف بغيركم الله من فضله** قاله عكرمة فاغناهم الله من فضله
 بان اتوا المطر مدرا واكثر خبرهم وقال مقاتل سلم اهل مكة وصنعوا وجوش من اليمن
 وحبوا الميرة الكثيرة الي مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقادة عزمهم
 الله منها الجزية فاغناهم **ان شأ** قيل انما شرط المشية في الغني المطلوب ليلو الانسان
 دأيم التضرع والابتداء الي الله تعالي في طلب الخيرات ودفع المفاتن وان يقطع العبد املة
 من كل احد الا من الله عز وجل فانه هو القادر على كل شي وقيل ان المقصود من ذكر هذا
 الشرط تعليم رعاية الادب كما في قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شأ الله **ان الله عليهم**
 يعني بما يصالحهم **حكيم** يعني انه تعالي لا يفعل شي الا عن حكمة وصواب فمن حكته بان
 منع المشركين من دخول الحرم واوجب القوبة الجزية والدلو والصغار على اهل
 الكتاب فقال تعالي **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر** قال المجاهد نزلت
 هذه الآية حين امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فتمزوا بعد تزولها عزوة تنوك
 وقال الكلبي نزلت في قريظة والضمير من اليهود فصالحهم وكانت اول جزية اصابها اهل
 الاسلام واول ذل الاصحاب اصاب اهل الكتاب بايدي المسلمين وهذا خطاب للنبي
 صلى الله عليه وسلم واصحابه المؤمنين والمعني قاتلوا ايها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون
 بالله ولا باليوم الآخر فان قلت اليهود والنصارى يزعمون انهم يؤمنون
 بالله واليوم الآخر فكيف اخبر عنهم انهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قلت
 لان ايمانهم بالله ليس كما يمان المؤمنون وذلك ان اليهود يعتقدون التقسيم والتشبيه
 والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس بمؤمن بالله وقيل ان من اعتقد
 ان العزيز بن الله وان المسيح بن الله فليس بمؤمن بالله بل هو مشرك بالله وقيل من

من حاضرة العرب في

كذب رسولاً من رسل الله فليس يؤمن بالله واليهود والنصارى يكذبون أكثر الانبياء فليسوا
مؤمنين بالله ولما آمنهم باليوم الآخر فليس كباي المؤمنين وذلك انهم يعتقدون بعثة الارواح دون
الاجساد ويعتقدون ان اهل الجنة لا ياكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون ومن اعتقد ذلك
فليس ايماناً كما يمان المؤمنون وان زعم انه مؤمن وقوله تعالى **ولا تخرمون ما حرم الله ورسوله**
يعني ولا تخرمون الحرام والحذر وقيل معناه انهم لا يخرمون ما حرم الله في القرآن ولا ما حرم الله
ورسوله في السنة وقيل معناه لا يعلون بما في التوراة ولا لا تحيل بل حرفوها وانوا باحكام من قبل
انفسهم **ولا يدينون من الحق يعني** ولا يعتقدون صحة الاسلام الذي هو دين الحق وقيل الحق
هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الاسلام بدليل قوله ان الذين عند الله
الاسلام وقيل معناه ولا يدينون دين اهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله لطاعتهم
من الذين اوتوا الكتاب يعني اعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى **حتى يعطوا الجزية**
وهي ما يعطى المعاهد من اهل الكتاب على عهد وفي الخراج المضروب على رعاياهم سميت جزية
لا جزا ايها في حق من اياهم **عن يد** يعني فهو وغلبة يقال لكل من اعطى شيئا كرها من غير
طيب نفس اعطي عن يد قال ابن عباس يعطونها بايديهم ولا يرسلون بها على يد غيره
وقيل يعطونها نقدا لا نسيئة وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام المسلمين عليهم بقبولها منهم
وهم صاغرون من الصغار وهو الذل والاهانة يعني يعطون الجزية وهم اذ لا مقهورو
وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قيام والقابض حالس وقال ابن عباس يؤخذ الجزية من اعدائهم
وتؤطا عنقه وقال الكلبي اذا اعطا يصنع قفاه وقيل هو ان يؤخذ بلحيته ويضرب في
لحيته ويقال له **اد حق الله يا عدو الله** قال الشافعي الصغار وجريان احكام المسلمين
عليهم **فصل** في بيان حكم الآية اجتمعت الامة على جواز اخذ الجزية
من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اذ لم يكونوا عربا و**احد** لفوائد الكتابي العربي
وفي غير اهل الكتاب من لفاء العلم **ذهب** الشافعي الى ان الجزية على الاديان لا على
الانسان يؤخذ من اهل الكتاب عربا كانوا او عجماء ولا يؤخذ من عبدة الاوثان بحال واحتم
بما روي عن ابن ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى ابي بكر رومه فاخذه
فاقابه فحقت دمه وصالحه على الجزية **اخرجه** ابو داود قال الشافعي وهو رجل من
العرب يقال انه من عسان واحذ من اهل ذمته اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك
والاوزاعي الى ان الجزية تؤخذ من جميع الكفار الا المرتد وقال ابو حنيفة تؤخذ من
اهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركي العجم ولا تؤخذ من مشركي العرب وقال ابو يوسف
لا تؤخذ من العربي كتابيا كان او مشركا ولا تؤخذ من العجم كتابيا كان او مشركا واما
المجوس فاتفقت الصحابة على جواز اخذهم ويدل عليه ما روي عن جالة بن عبدة
ويقال عبدة لم يكن عمر اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجر **اخرجه البخاري** عن جعفر بن محمد عن ابيه
ان عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما ادري كيف اصنع في امرهم فقال عبد الرحمن بن عوف
استهد سعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنواهم سنة اهل الكتاب **اخرجه**

کذب رسول

ما لك في الموطا عن ابن شهاب قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس
البحرين وان عمر اخذها من مجوس فارس وان عثمان بن عفان اخذها من البربر واخرج
ما لك في الموطا وفي امتناع عمر عن اخذ الجزية من المجوس حتى يشهد عبد الرحمن بن عوف ان النبي
صلى الله عليه وسلم اخذها منهم دليل على ان رأي الصحابة كان على انها لا تؤخذ من كل مشرك
وانما تؤخذ من اهل الكتاب واختلفوا في ان المجوس هل هم من اهل الكتاب فروي عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه انه قال كان لم كتاب يد رسونه فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من
بين اظهروا واتفقوا على تحريم ذبايحهم ومناخحتهم خلافا لاهل الكتاب واما من دخل في
دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين فظنوا ان كان قد دخلوا فيه قبل الفسخ والتبذير
فيقرون بالجزية وتعلم مناخحتهم وذبايحهم وان دخلوا في دينهم بعد الفسخ فمجيهم صلى الله عليه
وسلم ونسخ شريعتهم بشريعته فلا يقرون بالجزية ولا تخلص ذبايحهم ومناخحتهم ومن شككنا
في امرهم انهم هل دخلوا فيه بعد الفسخ او قبله يقرون بالجزية تغليبا لحق الدم ولا
تخلص ذبايحهم ومناخحتهم تغليبا للتحريم فممن نصاري العرب من تنوخ وهرا وبنو تغلب
اقدمهم على الجزية وقالوا لا نذبايحهم واما الصائبة والسامرة فسيبيلهم سبيل اهل
الكتاب فممن في اهل الكتاب كاهل البدع في المسلمين واما قدر الجزية فانها دينار ولا يجوز ان
ينقص عنه ويقبل الدينار من الغني والفقير والمتوسط ويدل عليه ما روي عن معاذ بن جبل
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجهه اليه من اسره ان ياخذ من كل كاهل يعني محتلم دينارا
او عدله من المغاري ثياب تكون باليمن اخرجها ابوداود قال النبي صلى الله عليه وسلم اسره
ان ياخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغني والفقير والمتوسط وفيه
دليل على انه لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وانما تؤخذ من الاحرار البالغين وذهب
قوم الى ان على كل مائة دينار وعي كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينار وهو قول اصحاب
الراي ويدل عليه ما روي عن اسم ان عمر بن الخطاب ضرب الجزية على اهل الذهب اربعة
دينارين وعلى اهل الورق اربعين درهما ومع ذلك ارضى المسلمين وضيافة ثلاثة ايام اخرج
ما لك في الموطا قال اصحاب الشافعي اقل الجزية دينار لا يزاد على الدينار الا بالراضي فاذا رضي
اهل الذمة بالزيادة من بنينا على المتوسط ثمانين وعلى الغني اربعة دينار قال
العلماء انما اقراهم الكتاب على دينهم الباطل بخلاف اهل الشرك حرمة لا بايهم الذين انقضوا
على الدين من شريعة التوراة ولا تخيل قبل الفسخ والتبديل وايضا فان بايهم كتبنا قدمة
فما تفكروا فيها فيرجعوا فيعرفوا صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فامهلوا
هذا المعنى وليس ياخذ الجزية من اهل الكتاب اقراهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن
دمائهم وامهالهم رجاء ان يعترفوا الحق فيرجعوا اليه بان يؤمنوا ويصدقوا اذ اراوا محاسن
الاسلام ونفوذه عليه وكثرة الداخلين فيه قوله عز وجل **وقالت اليهود عزير بن الله**
وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم الآية لما ذكر الله في الآية التقد
ان اليهود والنصارى لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق بينه في هذه الآية واخبر
عنهم انهم اثبتوا الله ولما ومن جور ذلك على الله فقد اشرك به لانه لا فرق بين من يعبد

صلى الله عليه وسلم من يعبد المسيح فقد بان هذا انهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم
سبب اخذ الجزية منهم وابقاها على هذا الشرك وبوحمة الكتب القديمة بايديهم ولعلمهم بتفكر
فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه روي سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال اني رسول
الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود وسلام بن مشيكم والنعمان بن اوفى وشاش بن قيس وما لك
ابن الصبيغ فقالوا كيف تتبعك وقد تركت قبلتنا وانت لا تزعم ان عزير بن الله فآثر الله
تعالى هذه الآية وقال عبد بن عمير انما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فحماص من
عازروا وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنيا فعلى هذين القولين القائل لهذه المقالة
جماعة من اليهود او واحد انما نسب ذلك الي اليهود في وقالت اليهود جريا على عادة العرب
في ايقاع اسم الجماعة على الواحد يقولوا العرب فلان يركب الخيل وانما يركب فرسا واحدا منها ويقول
العرب فلان بجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحد منهم وروي عطية العوفي عن ابن عباس
انه قال انما قالت اليهود ذلك من اجل ان عزير كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت
فيهم فاصنعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت وانشأهم التوراة ونسخها
من صدورهم فدعا الله عز وجل وابتهل اليه ان يرد اليه التوراة فيينا هو يصلي ستهلا الي
الله عز وجل نزل نور من السماء دخل حوته فعادت التوراة اليه واذن في قومه وقال يا قوم
قد اتاني الله التوراة وردها الي فعلكموا به يعلم ثم مكثوا ما شاء الله ثم ان التابوت نزل بعد
ذهابه منهم فلما راوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عن عزير ما في التابوت فوجدوه مثله
فقالوا ما اوتي عزير هذه الا انه ابن الله وقال الكلب ان تحت نصر لما خرب بيت المقدس
وظهر على بني اسرائيل وقتلهم من قرا التوراة وكان عزير اذا ذا كصغيرا لم يقتله لصغر فلما رجعوا
اسرائيل الي بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله عز وجل عزيرا ليجدد لهم التوراة
ويكون لهم اية بعد ما اماته الله مائة سنة قال فاتاه ملك بانا فيه ما فشرب منه فثقلت
التوراة في صدره فلما اتاهم قال انا عزير فكدبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة
فكتبها لهم من صدره ثم ان رجلا منهم قال ان ابي جدتي عن جدي ان التوراة جعلت في خاية
ودفنت في كرم فانتطفقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها ما كتب لهم عزير فلم يجدوه عاردا
حرفا فقال ان الله لم يقذف التوراة في قلب عزير الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود
عزير بن الله فعلى هذين القولين ان هذا القول كان فاشيا في اليهود جميعا ثم انتقم الله
فاخبر الله عنهم واظهر الله عليهم ولا عبرة بانكار اليهود ذلك فان خبر الله عز وجل اصدق
واثبت من انكارهم واما قول النصارى المسيح بن الله فكان السبب فيهم انهم كانوا
على الدين الحق بعد دفع عيسى عليه السلام احدي ثمانين سنة يصلون الي القبلية ويصومون
رمضان حتي وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة
من اصحاب عيسى ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرناو النار مصيرنا فحق يغبونون
ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فاني سأحتال واصلمهم حتي يدخلوا النار معنا ثم انه عدل في نرس
كان يقاتل عليه فعرفته وظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على راسه ثم انه اتى الي
النصارى فقالوا له من انت فقال انا عدوكم بولص قد نوديت من السماء انه ليس لك توبة

انهم

والله ثلاثة وعشرون
ان عيسى هو

حتى تنصرف وقد ثبت واثبتكم فادخلوه الكنيسة ونصروه ودخل بينا فيها لم يخرج منه سنة حتى تعلم
الاخيل شريح وقال قد نوديت ان الله قد قبل توبتك فصدقوه واحبوه وعلا شأنه فيهم ثم انه عمد
الي ثلاثة رجال اسم الواحد نسطور والاخر يعقوب والاخر ملكا فعلم نسطور ان عيسى بن مريم ليس
بإنسان ولكنه ابن الله وعلم ملكا ان عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل
واحد منهم في الخلوة وقال له انت خالصتي ادع الناس الي ما علمتك واسمع ان يذهب الي
ناحية من البلاد ثم قال لهم اني رايت عيسى في المنام وقد رضي عني وقال لكل واحد منهم اني
ساذع نفسي تقربا الي عيسى فذهب الي المذبح فذبح نفسه وتذوق اوليك الثلاثة فذهب
واحد الي الروم وواحد الي بيت المقدس والاخر الي ناحية اخري واخر كل واحد منهم مقاتله
ودعا الناس اليها فقبه الي ذلك طوايف من الناس فتقدقوا واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك
سبب قتل المسيح بن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال الامام فخر الدين بعد ان حكى هذه
الحكاية والاخر عندي ان يقال لعله ورد لفظ الابن في الانجيل على سبيل التشريف كما
ورد لفظ الخليل في حق ابراهيم على سبيل التشريف فبالغوا وضروا لفظ الابن بالنسبة الحقيقية
والطاهر قبلوا ذلك منهم وفي هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام والله اعلم
بمحققة الحال **ذلك قولهم يا نواهم** يعني انهم يقولون ذلك القول باسنتهم من غير علم ترجعون
اليه قال اهل المعاني لم يذكر الله قولا مقدر ونابا لا فواه والاسن الا كان ذلك القول زورا
وكذا لا حقيقة له **بعضا هون** قال ابن عباس يشبهه هون والمضاهاة المشابهة وقال
معناه مجاهد بواطيوت وقال الحسن يوافقون **قول الذين كفروا من قبل** قال قتادة والسدي
معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا للمسيح بن الله كما قالت اليهود عزير بن
الله وقال مجاهد معناه ايضا هون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون ان المليك
بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكاف
وقال القتيبي يريد من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قالوا
اولهم **قاتلهم الله** قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جرير قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق
المقاتلة ولكنه يعني التعجب اي حقا او يقا لم هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم كايما لم يفعل
فعلا يتعجب منه قاتله الله ما اعجب فعله **اني بوقولك** يعني اني يصدفون عن الحق بعد وضوح
الدليل واقامة الحجة بان الله تعالى واحد واحد فجعلوا له ولله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
وهذا التعجب راجع الي الخلق لان الله تعالى لا يتعجب من شيء ولكن هذا الخطاب على عادة العرب
في مخاطبة من قاله تعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل قوله
تعالى **اتخذوا اجارهم ورضيهم اربابا من دون الله** يعني اتخذوا اليهود والنصارى
علماء وقراءهم والاحبار والعلماء من اليهود واليهود اصحاب الصوامع من النصارى اربابا
من دون الله يعني انهم اطاعوهم في معصية الله تعالى وذلك انهم اكلوا من اشياء حرموا عليهم
اشياء من قبل انفسهم فاطاعوهم فيها فأتخذوهم كالارباب لانهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الالهية
عن عدي بن حاتم قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي
اطرحه عنك هذا الوثن وسمعت يقرأ في سورة براءة **اتخذوا اجارهم ورضيهم اربابا من دون**

الله

الله قال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا اكلوا من اشياء استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا حرموه
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال عبيد الله بن المبارك وهلبة لالدين الاموال واخبار
سوءهم بها **والسبح من مريم** يعني اتخذوه الها وذلك لما اعتقدوا فيه النبوة والحوال واعتقدوا
فيه الالهية **وما امرنا** يعني وما امرنا في الكتب الالهية المترلة عليهم على السنة انبياءهم **الا**
ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو انه هو المستحق للعبادة لا غير **سبحانه عايشرون**
اي تعالى الله وتزه عن ان يكون له شريك في العبادة والاحكام وان يكون له شريك في الالهية
يستحق التعظيم والاجلال **يريدون** يعني يريدون رؤسا اليهود والنصارى **ان يطفئوا نور الله**
يا نواهم يعني يريدون هاهنا ولا يبالون دين الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه
وقيل المراد من النور الدليل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي امور احدها
المجرات الباهرات الحارقة للعادة التي ظهرت على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه
وثانيها القرآن العظيم وثالثها الذي نزل عليه من عند الله تعالى فهو معجزة له باقية
الي الابد الدالة على صدقه وثالثها ان دينه الذي امر به وهو دين الاسلام ليس فيه
شيء سوي تعظيم الله والشئ عليه ولا انقياد امر وفيه واتباع طاعته والامر بعبادته
والنهي عن كل معبود سواه فلهذا امور نبوة ودلائل واضحة في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
من اراد ابطال ذلك بكذا وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم ان الله تعالى وعد نبيه
محمد بمزيد النصر واعلا الكلمة واطهار الدين بقوله **ويا ايها الله لا ان يتم نوره ولو لم**
الكا فزون يعني ويا ايها الله لا ان يعطى دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم ذلك الكافرون قوله عز وجل **هو الذي ارسل رسوله**
يعني ان الله تعالى الذي ياتي الان يتم دينه هو الذي ارسل رسوله يعني محمد صلى الله عليه
وسلم **بالهدى** يعني بالقرآن الذي انزل عليه وجعله هاديا اليه **ودين الحق** يعني دين
الاسلام **ليظهره** يعني ليعلمه على الدين **كلهم** يعني على سائر الاديان وقال ابن عباس الهاجج
ليظهر عايدة الي الرسول صلى الله عليه وسلم والمعني ليعلمه شرايع الدين كلها ويظهر عليها كحق في
عليه شي منها وقال غيره من المفسرين الهاججة الي الدين الحق والمعني ليعلم دين الاسلام
على الاديان كلها هو ان لا يعبد الله الا به قال ابو هريرة والفحاح وذلك عن محمد بن زيد بن عيسى
عليه السلام فلا يبقى اهل دين الا دخلوا في الاسلام ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي
هريرة حديث في نزول عيسى عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وسلم وهلك في زمانه الملل
كلها الا الاسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه
الارض بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام اما بعز عن نزول بذر دليل انما يعزهم
فيجعلهم من اهله فيعزوا به واما ان يد لم فيدينون له اخرجوه البغوي بغير سند
عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى
تعبد اللات والعزى فقلت يارسول الله ان كنت لا ظن جين انزل الله تعالى هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهر على الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون ذلك ما شا
الله ثم يبعث الله رجلا طيبه تنوفي من كان في قلبه متعال حجة من خذل من ايمان فينبغي

من لاخبر فيه فخرجون الي دين ابايهم قال الشافعي رضي الله عنه فقد اظهر الله دين رسول الله عليه وسلم على الاديان بان لكل من سمعه انه الحق ومن خالفه من الاديان باطل قال واظهر بان جماع الشوك دينان دين اهل الكتاب ودين الامير فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل اهل الكتاب وسبي حتى دان بعضهم بالاسلام واعطى بعضهم الجزية صا غيرهم وحري عليهم حكمه فذا اظهر على الدين كله **ولو كره المشركون** قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان** قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى وفي قوله ان كثيرا دليل على ان الاقل من الاحبار والرهبان لم ياكلوا اموال الناس بالباطل ولعلم الذين كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن اخذ الاموال بالاكل في قوله تعالى **لياكلون اموال الناس بالباطل** لان المقصود الاعظم من جميع المال الاكل فسمى النبي باسم ما هو اعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من اجله اكلوا اموال الناس بالباطل فقل انهم كانوا يأخذون الرشاً من سفلة في تخفيف الشرايع والمساخمة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بآيديهم كتباً يخفونها ويبدلون ويقولون هذه من عند الله ويأخذون بها ثمناً قليلاً وهي الماكل التي كانوا يصيبونها من سفلة في تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته من كتبهم لانهم كانوا يخافون لو اسنوا به وصدقوا لذهبت عنهم تلك الماكل وقيل ان التوراة كانت مشتملة على ايات دالة على بعث النبي صلى الله عليه وسلم فكان الاحبار والرهبان يدكرون في تأويلها وجوهاً فاسدة باطلة وعرفون معانيها طلباً للرياسة واخذ الاموال ومنع الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى **ويصدون عن سبيل الله** يعني ويصدون الناس عن الايمان لمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام **والذين يكنزون الذهب والفضة** اصل الكنز في اللغة جعل المال بعضه على بعض وحفظه وما لم يكنز اي جموع واختلفوا في المراد بها والذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب والفضة فقل هو اهل الكتاب قاله معاوية بن ابي سفيان لان الله تعالى وصفهم بالحرم الشديد على اخذ اموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالخل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدي تزلت في مانعي الزكاة من المسلمين وذلك انه لما فتح طريفة الاحبار والرهبان في الحرم على اخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال ابو ذر تزلت في اهل الكتاب وفي المسلمين ووجه هذا القول ان الله وصف اهل الكتاب بالحرم على اخذ المال بالباطل فذكرهم في ذلك وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء كان من اهل الكتاب او من المسلمين خ عن زيد بن وهب قال امرت بالربذة فاذا ابى ذر فقلت ما اترك هذا المتر قال كنت في الشام فاختلفت انا ومعاوية في هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية تزلت في اهل الكتاب فقلت تزلت فينا وفيهم وكان بيني وبينه كلام في ذلك فكتب الي عثمان يشكو في فكت الي عثمان ان اقدم المدينة فقد سئمتها فكثر على الناس حتى كانوا لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت نجيحت فكت فربما قد اذ الذي اتركني هذا المنزل ولو امرت على حبشياً لسمعت

والعلم

والعلمت واختلف **العلماء** في معنى الكنز فقل هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم ينفق في زكاته روي عن ابن عمر انه قال له اعراني اخبرني عن قول الله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشدهم بعدا ليم قال ابن عمر كنزها فلم ينفقها في زكاتها ولا هذا كان قبل ان تزل الزكاة فلما تزلت جعلها الله طهراً للوال اخبرنا البخاري وفي رواية مالك بن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يقول يسأل عن الكنز ما هو فقال هو المال الذي لا ينفق منه الزكاة ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل مال اديت زكاته فليس يكنز وان كان مدفوناً وكل مال لم ينفق منه زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يكون به صاحبه وان لم يكن مدفوناً وروي عن علي بن ابي طالب قال اربعة الاف فادونها نفقة وما فوقها كنز وقيل **الكنز** كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه روي الطبري بسنده عن ابي امامة قال توفي رجل من اهل الصفة فوجد في ميزره ديناراً فقال النبي صلى الله عليه وسلم كية شرف في اخر فوجد في ميزره ديناراً فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيان كان هذا في اول الاسلام قبل ان يعرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شيء من المال اخراجه لا يحتاج غيره اليه فلما فرضت الزكاة نزع ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما تزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين فقال عمر انا اخرج عنكم فانطلق فقال يا بني الله انه كبر على اصحابك هذه الآية فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا لتطيب ما بقي من اموالكم وانما فرض الموارث وذكر كمله لشكون لمن بعدكم فكبر عمر عن قوله الا اخبركم بما يكنز امرأ المرأة الصالحة اذا نظرت اليها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته اخبرنا ابو داود عن ثوبان قال لما تزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كنام رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فقال لبعض اصحابه اترك في الذهب والفضة فلو علمنا اي المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل له لسان ذاك وقلب شاكر ووجه صالحة تعين المؤمن على ايمانه اخبرنا الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه الاقوال القول الاول وهو ما ذكرنا عن ابن عمر ان كل مال اديت زكاته فليس يكنز ولا يحرم على صاحبه اكتنازه وان كثروا كل مال لم ينفق منه زكاته فصاحبه معاقب عليه وان قل اذا كان ما يجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله الا ان يتفضل الله عز وجل عليه بنفوه وغفرانه ويبدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سر صاحب ذهب ولا فضة لا يودي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صمغته له صفاً من نار فامي عليها نار جهنم فيلوي بها جبينه وجنبه وظهره فلما بردت اعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يعضني بين العباد اما الى الجنة واما الى النار وقيل برسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صاحب لئلا يودي منها حقها حلها يوم ردها الا اذا كان يوم القيامة يسلط لها بقاع قرقر او ما لا كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه باخفافها وتغصه بافواها كلما ر عليه اولها ر عليه اخرها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يعضني بين العباد فيري سبيله اما الى الجنة واما الى النار وقيل برسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صاحب

فيري سبيله

بقرو لا غنم لا يودي حقها الا اذا كان يوم القيامة بطولها بقاء فزق لا يفقد منها شيئا ليس فيها عتقا ولا حيا ولا عضبا تنطحه بقرونها وتنطاه باطلاها كلما مر عليه او لاها ردي عليه اخرها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي بين العباد فيري سبيله اما الى الجنة واما الى النار اخرجه سلم بزيادة فيه قوله كلما ردت اعيدت له هكذا هو في بعض المنع من معصية مسلم ردت بضم الراوي بعضها بردت بالياء وهذا هو الصواب والرواية الاولى هي رواية الجمهور قوله هلينا هو بفتح اللام على المشهور وحكي اسكانها وهو ضعيف قوله بقاء فزق هو سنوي من الارض الواسع الاملس والعقصة في الشاة الملتوية القرنين واما استئناسها لانها لم تولد بطنها وكذا الجملح وهي الشاة التي لا قرن لها وكذا العضبا وهي الشاة المكسورة القرن خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلما يود زكاته مثل له ماله شجاعا افرغ له زيباتان بطوقه يوم القيامة ثوبا خذ بطوقه يعني شدة ثوبه ثوبه ثوبا ماله انا كذا انا كذا ثوبه ثوبا لا يحسن الذين يحلون بما اتاهم الله من فضله هو خير لهم الاية الشجاع الحية الا فرغ صفة اه بطول العمر ان من طال عمره منق شعرة وذهب وصفة اخبث الحيات والزيباتان هما الزايدان في الشدقين والهمزتان عطان نائبان في الحيين تحت الاذنين قوله تعالى **ولا ينفقونها في سبيل الله** يعني ولا يودون زكاتها واما قال ينفقونها ولم يقل ينفقونها لانه رد الكفاية الى المال المتصور وهذا الكاف الذهب والفضة وقيل رد الكفاية الى الفضة لانها اغلب اموال الناس **في شهرهم بعذاب اليم** يعني للكا فيمن الذين لا يودون زكاة اموالهم **ف** عن ابي ذر قال انتميت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رايتي قال لهم الا خسرون ورب اللعبة قال لجيت حتى طست فلم اتقار حتى قتقت قلت يارسول الله نذاكر ابي واممي منكم قال لهم الا كثرون اموالا الامن قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقرو ولا غنم لا يودي زكاتها الا جأت يوم القيامة اعظم ما كانت واسمه تنطحه بقرونها وتنطاه باطلاها كلما نفدت اخرها عادت عليه او لاها حتى يقضي بين الناس هذا العنق سلم وفرقه البخاري في موضعين وقوله **يوم نحشي عليهما في نار جهنم** يعني على الذنوب فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة **فتلوي بها جباههم** يعني بالذنوب جباهه كانت جباهه **وجنونه وظهورهم** قال ابن مسعود لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولا كبريوس على درهم حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على آخرته قال بعض العلماء اما خصر هذه الاعضاء بالتي من بين ساير الاعضاء لان الغني صاحب المال اذا اتاه السائل فطلب منه شيئا فيبده ومنه اثار الراحة والمنع فعند ذلك يقطب وجهه ويكلم ويجمع اشارير وجهه فيجعد جنبه ثم ان كرر السائل الطلب تأجابه عنه وماله عن جهته وتركه خائبا ثم ان كرر الطلب والحاجة السوال ولا ظهره واعرض عنه واستقبل وجهه اخري وفي النهاية في الرد والغاية في المنع الدال على كراهة العطا والبذل وهذا داب ما نفي البر والاحسان وعادة الخلافه لك خصر هذه الاعضاء الثلاثة باليوم القيامة واد قوله تعالى **هذا ما كنتم لا تعلمون** اي يقال لهم ذلك يوم القيامة **فدوقوا ما كنتم تكفرون**

او مودوا

اي قد وقوا عذاب ما كنتم في الدنيا من الاموال وسعتم حق الله منها فحق عن الاحنف بن قيس قال لما قدمت المدينة فبينما انا في حلقة فيها ملا من قريش اذ جاء رجل حسن الثياب الحسن الوجه فقام عليهم فقال بشرا الكاذبين برصفتي عليه في نار جهنم ويوضع على حلة ثدي احدهم حتى يخرج من نفض كنفه ويوضع على نفض كنفه حتى يخرج من حلة ثديه ينزل قال فوضع القوم رؤسهم فاريت احدا منهم رجعا اليه شيئا قال فادبر فاتبعته حتى جئت الى سارية ن قلت ما رايت ها ولا الاكر هو انا قلت لهم فقال ان ها ولا لا يعقلون شيئا هذا لفظ مسلم وفيه زيادة لم اذكرها وراى البخاري فقلت من هذا قالوا ابو ذر قال فقلت اليه فقلت ما شي سمعتك تقول قيل فقال ما قلت الا شي سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل **ان عذ الشهور عند الله اثنا عشر شهرا** وهي المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الاخر وجادي الاول وجادي الاخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهي شهور السنة القمرية التي هي مبنية على سير القمر في المازل وهي شهور العرب التي تعتد بها المسلمون في صياهم ومواقيت حجهم واعيادهم وسائر امورهم واحكامهم وايام هذه الشهور ثلثية وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن دوران الشمس في الفلك دولة تامة وفي ثلثية وخمسة وستون يوما وربع يوم فتتقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة ايام فبسبب هذا التقصات تدور السنة الهلالية فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة في الصيف قالوا المنسرون بسبب نزول هذه الاية من اجل النبي الذي كانت العرب تتعبد له في الجاهلية فكان يحجم تارة في وقتها وتارة في صفر وتارة في غيره من الشهور فاعلم الله عز وجل ان عذ الشهور عند الله يعني في علمه وحكمه اثنا عشر شهرا **في كتاب الله** يعني في الوحي المحفوظ الذي كتب فيه احوال جميع العالم الخالق وما ياتون وما يذرون وقيل اراد بكتاب الله القدران لانه فيه ايات تدل على الحساب وما رآه القوم وقيل اراد بكتاب الله الحكم الذي اوجب وامر عباده بالاحذ به **يوم خلق السموات والارض** يعني ان هذا الحكم حكمه وقضاء يوم خلق السموات والارض ان السنة اثنا عشر شهرا **منها** يعني من الشهور **اربعة** **حرم** وهي رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثه متواليه واما سميت حرما لان العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان احدهم لقتل ابيه وابنه واخيه في هذه الاشهر لم تهمجه ولما جاء الاسلام لم يزد لها الاحرمه وتعظيمها وان الحسنات والطاعات فيها تتضاعف وكذلك السيئات ايضا اشدهم غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الاشهر الحرم **ذلك الدين القيم** يعني ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوي فالدين هنا يعني الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الدين من دان نفسه يعني يحاسب نفسه وعمل لا بعد الموت وقيل اراد بالدين القيم الحكم الذي لا يغير ولا يبدل والقيم هنا يعني الدائم الذي لا يزول فالواجب على المسلمين الاحذ بهذا الحساب والعدد في صومهم وحجهم واعيادهم وبياناتهم واجل ديونهم وغير ذلك من سائر احكام المسلمين المرتبة على الشهور **ف** عن ابي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة

والحرم وتارة صفر
ان عدد شهور سنة المسلمين التي بعدوا بها النبي
على سائر الكفر وسبوا فيها وهو قوله عز وجل

ودو الحجة والمحرم ورجب مضربين بين جمادى وشعبان اي شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت
حتى ظنننا انه سيمس به بغير اسمه فقال لا ليس ذا الحجة قلنا بلى قال اي بلد هذا قلنا الله ورسوله
اعلم فسكت حتى ظنننا انه سيمس به بغير اسمه فقال لا ليس البلد الحرام قلنا بلى قال اي يوم هذا قلنا
الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظنننا انه سيمس به بغير اسمه فقال لا ليس يوم النحر قلنا بلى قال دناكم
واموالكم واعراضكم عليكم حرام طرفة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ركبكم فيساكنكم
عن اعمالكم الا فلا تزجوا بعدي لغا را يضرب بعصم رقاب بعضنا لبعض الشاهد الغائب فعمل
بعض من بلغه ان يكون او عي له من بعض من سمعه ثم قال الا هل بلغت الا هل بلغت قلنا نعم قال اللهم
اشهد وقوله تعالى **فلا تعظموا دينهم** انفسكم قبل الكايفة فيمن ترجع الي جميع الاشهر اي لا تظلموا
انفسكم في جميع اشهر السنة بفعل السيئة بفعل المعاصي وبترك الطاعات لان المقصود منع
الانسان من الاقدام على الطاعات المعاصي والفساد مطلقا في جميع الاوقات الى مات وقيل
ان الكايفة ترجع الى الاشهر الحرم وهو قول اكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح اكثر احب
في الاشهر الحرم والظلم فيها اعظم فيها سواهن وان كان الظالم على كل حال عظيما وقال ابن عباس
لا تظلموا دينهم انفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهم وقال محمد بن اسحق بن يسار لا تجعوا
حلالها حراما ولا حرامها حلالا كفعل اهل الشرك وهو النبي وقيل ان الانفس مجبولة بطبعها
على الظلم والفساد فالامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لجرم ان حصر بعض الاوقات
بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان في تلك الاوقات الشريفة من فعل الظلم والقبائح
والمنكرات فلزم ما تركها في باقي الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر الحرم
المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصي في غيرها من اشهر هذا وجه الحكمة في تخصيص
بعض الاشهر على بعض مزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة ايضا وقوله تعالى **فانظروا**
المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة يعني قاتلوا المشركين باجمعهم مجتمعين يقاتلهم كما انهم
يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى قاتلوا وتناصروا على قتالهم ولا تتجادلوا ولا تتدبروا
ولا تقبلوا ولا تخشعوا عن قتالهم وكونوا عباد الله اخوانا مجتمعين متوافقين في مقاتلة
اعدائهم من المشركين واختلف العلماء في تحديد القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كثر
كثيرا حراما ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في اشهر الحرم وفي غيرها وهو قول
قتادة وعطاء الخراساني والزهري وسفيان الثوري قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم
غزا هو اذن حنين وثقيف بالطائف وحصارهم في شوال وبعض ذي القعدة وقال آخرون انه
غير منسوخ قال ابن جرير حلف بالله عطا بن ابي رباح ما حمل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في
الاشهر الحرم وما نسخت الا ان يقاتلوا فيها **واعلموا ان الله مع المتقين** يعني بالنصر والمعونة
على اعدائهم قوله تعالى **انما النبي زيادة في الكفر** النبي في اللغة عبارة عن التأخير
في الوقت ومنه النسبة في البيع ومعنى النبي المذكور في الآية هو تأخير شهر الحرام الى
شهر اخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها وكان
ذلك ما تمسكت به من ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكان عامة معايش العرب من الصيد
والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة اشهر متوالية وربما وقعت حروب في

معهم

بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخير حرمهم الى اشهر الحلال ففسوا يعني اخروا اخر شهر الى شهر اخر
فكانوا يخرجون تحريم الحرم الى صفر فيستحلون الحرم ويخرجون صفر فاذا احتاجوا الى تأخير تحريم
صفر اخروه الى ربيع الاول وكانوا يصنعون هكذا يوحزون شهر بعد شهر حتى استدار التحريم
على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا
في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك باي شهر السنة فوافقت حجة ابي بكر في
السنة التاسعة قبل حجة الوداع في السنة الثانية في ذي القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه
وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافقت حجته في شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف
بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس اليوم العاشر يعني واعلم ان اشهر النبي قد تسانحت
باستدارة الزمان وعاد الامر الى موضع الله عليه حساب الاشهر الحرم يوم خلق السموات والارض
وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث
المتقدم واسمهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستانف الايام واختلاف فوائ اول من نسا
النبي فقال ابن عباس والضحك وقتادة ومجاهد اول من نسا بنو مالك بن كنانة وكان يليه
ابو ثامة جنادة بن عوف بن امية الكلابي وقال الكلابي اول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال
له بنو بن ثعلبة وكان يلون على الناس في الموسم فاذا هم بالصدر قام فخطب الناس فيقول لا مرد
لما قضيت انا الذي لا عاب ولا اجاب فيقول له المشركون ليبيك ثم يسالونه ان ينسبهم شهرا
يعززون فيه فيقول ان صغري في هذا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار وتزغوا الاسنة
والارجة من الرياح فان قال حللا عقدوا اوتار القسي وركبوا الاسنة في الرياح واغاروا وكان
من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جادة بن عوف وهو الذي ادرك النبي صلى الله عليه وسلم
قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القيس قال **شاعدهم**
وفينا ناسي الشهر القيس وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم وروي جوير عن
الضحك عن ابن عباس ان اول من نسى النبي عمرو بن لحي بن شعبة بن حذاف والذي صح من حديث
ابي هريرة وعائشة ان عمرو بن لحي اول من سيب السوايب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم
رايت عمرو بن لحي يحرق نفسه في النار فهذا ما ورد في تفسير النبي الذي ذكره الله في قوله انما
النبي زيادة في الكفر يعني زيادة كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم امروا بايقاع فعل
في وقت من اشهر الحرم ثم انهم بسبب اغراضهم الفاسدة اخروه الى وقت اخر بسبب ذلك
النبي فاوقوه في غير وقت من اشهر الحرم فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم **بفضلهم الذين**
كفروا فري يضل يضل اليا وكسر الضاد ومعناه يضل بالنبي الذين كفروا اتباعهم الناس
وهم ايضا ضلال في انفسهم وفري يضل يضل بضم اليا وفتح الضاد ومعناه ان جازم اصلوهم
وحلوم عليهم وفري يضل به الذين كفروا بضم اليا وكسر الضاد ومعناه يضل به الذين كفروا
وبفضل به الشيطان الذين كفروا فخرين ذلك ثم وقيل بمعناه يضل به الذين كفروا واتباعهم
والاخذين بافعالهم وهذا الوجه اقوي الوجهين في تفسير قراءة من قرأ يضل بضم اليا وكسر
الضاد **كفروا** **عاما** **ومحرمونه** **عاما** يعني كلون ذلك الانسا عاما ومحرمونه عاما والمعنى
يحلون الشهر الحرم عاما فيجعلونه حلالا ليغيروا فيه ومحرمونه عاما فيجعلونه محرما فلا

اسم

يعني ولا تقصروا الله شيئا لانه غني عن العالمين وانما تصدقون انفسكم بترككم الجاهل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضير راجع الى الله رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ولا تقصروا محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا فان الله ناصر على اعدائه ولا يخذه **والله على كل شيء قدير** يعني انه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصر نبيه ويجز دينه قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما كان للمؤمنين لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الآية محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كما ينقل عن ابن عباس وعلي هذا التقدير فلا يخفى قوله عز وجل **الانصروه فقد نصرتهم الله** يعني الانصروا محمدا صلى الله عليه وسلم اي المؤمنون هذا خطاب لمن تشاغل عن الخروج معه الى تبوك فاعلم الله عز وجل انه هو المتكفل بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم واعز ارضه ودينه واعلا كلمته اعانوه اولم يعينوه وانه قد نصرتهم عند قلة الاوليا وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد **اذ اخرجهم الذين كفروا** يعني انه تعالى ينصر في الوقت الذي اخرجهم كفار مكة من مكة حين مكروا به وارادوا قتله **ثاني اثنين** يعني هو واحد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر الصديق رضي الله عنه وارضاه **اذ هما في الغار** يعني اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر رضي الله عنه في الغار والغار غيب يكون في الجبل وهذا الغار هو في جبل ثور وهو قريب مكة **اذ يقول لصاحبه لا تحزن** يعني اذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق رضي الله عنه لا تحزن وذلك ان ابا بكر اخاف من الطلب ان يعلموا مكانها فخرج من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم **ان الله معنا** يعني بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل اهل الارض جميعا في هذه الآية الا ابا بكر وقال الحسن بن الفضل من قال ان ابا بكر لم يكن صاحب رسول الله فهو لا يراه في كتابه عز القرآن وفي سائر الصحابة اذا انكر يكون مبتدعا ولا يكون كما فرعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكرات صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار اخرجهم التزمذي وقال حديث حسن غريب **عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه** قال نظرت الى اقدام المشركين ونحن في الغار على رؤسنا فقلت برسول الله لو ان احدهم نظر الى قدسيه ابصرنا تحت قدميه فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محيي الدين النووي معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتشديد وهو داخل في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم تؤكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لابي بكر وهي من اجل مناقبه والفضيلة من اوجه منها اللفظ الدال على ان الله تعالى ثالثهما ومنه بدل نفسه ومعارفته اهله وماله ورياسته في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه ذكر عند ابي بكر فقال وددت ان علي كل عمل عمل به يوما واحدا من ايامه وليلة واحدة من ليلاته اما ليلته فليلة سارع النبي صلى الله عليه وسلم الي الغار فلما انتهيا اليه قال والله لا ندخله حتى ادخل قبلك فان كان فيه شيء اصابي دونك فدخل فكسحه ووجد في جانيه ثقبان فشق ازاره وسد هابه وبقي منها ثقبان فالتمها رجله ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم

يعني وانيه **ليواطوا** يعني ليوافقوا **عدة ما حرم الله** يعني انهم ما احلوا مكانه شهر من الحرم الا حرموا مكانه شهر من الحلال ولم يحرموا شهر من الحلال الا حلوا مكانه شهر من الحرم لاجل ان يكون عدد الاشهر الحرم اربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في العدد لاني الحكم فذلك قوله تعالى **فيحطوا ما حرم الله** **بينهم وبين المشركين** قال ابن عباس من لم الشيطان هذا العمل والله **لا يهدي القوم الا الذين آمنوا بالله** يعني ان الله تعالى لا يرشد من هو كافرا ثم لما سبق له في الارز انهم اهل النار قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا انكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انا قلتم** **الى الارض نزلت** هذه الآية في الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف اسرا للجهاد لغزوة الروم وكان ذلك في زمان عسق من الناس وشدة في الحربين طاب الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الاوراي غير حاجتي كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حشد يد واستقبل سفرا بعيدا ومفارا وعددا كثيرا فحلي المسلمين اسرهم ليتأهبوا اهبة غزوهم فشق عليهم الخروج وتناقلوا فارتل الله عز وجل هذه الآية يا ايها الذين آمنوا انكم اذا قيل لكم يعني قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا في سبيل الله اي اخرجوا الى الجهاد يقال استنفر الامام الناس اذا حتم على الخروج الى الجهاد وتجاهم اليهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واذا استنفرتم فانفروا والاسم النفي انا قلتم اي تناقلتم وتناطوا عن الخروج الى الغزوة الى الارض يعني ولزمت ارضكم ومساكنكم وانما استنقل ذلك الغزو وكثرة الزمان وضيق الوقت وشدة الحروب والمسافة والحاجة الى كثرة الاستعداد من العدد والارزاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار المدينة وطلب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستنقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله بقوله **ارضيتكم بالجنة الدنيا من الاخرة** يعني ارضيتكم بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعكم من نعيم الاخرة فامتناع **الحياة الدنيا** **الاخرة** **الاقليل** يعني ان لذات الدنيا ونعيمها فان زالا ينفد عن قليل ونعيم الاخرة باق على الابد فلما السبب كان امتناع الدنيا قليل بالنسبة الى نعيم الاخرة وفي الآية دليل على وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لان الله تعالى نص على ان تناقلهم عن الجهاد امر منكروهم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التناقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور في الآية الثانية وهي قوله تعالى **الانفروا** يعني ان لم تنفروا ايها المؤمنون الى من استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم **بعدكم** اي الله **عذابي** يعني في الاخرة لان العذاب الاليم لا يكون الا في الاخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر في الدنيا قال مجاهد بن قنيس سالت ابن عباس عن هذه الآية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا من اهل العرب فتناقلوا فاسك الله عنهم المطر فكان ذلك عذابهم **ويستبدل قوما غيركم** يعني خيرا منكم واطوع قال سعيد بن جبير هم ابنا فارس وقيل هم اهل اليمن وفيه تنبيه على ان الله عز وجل قد تكفل بنصر نبيه صلى الله عليه وسلم واعز ارضه ودينه فان سارعوا معه الى الخروج الى حيث استنفره واحصلت النصرة لهم ووقع اجرهم على الله عز وجل وان تناقلوا وتخللوا عنه حصلت النصرة بغيرهم وحصلت العنتي لهم وليا يتقوهوا ان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ولم ونصرته لا تحصل الا بهم وهو قوله تعالى **ولا تقصروا شيئا** قيل الضير راجع الى

ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع راسه في حجره ونام فلذغ ابو بكر في رجله من
الحجر ولم يتحرك خافة ان ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا ابا بكر فقال لذغت فداك ابي واميت فقتل عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذهب ما يجد ثم انتفض عليه وكان سبب موته رضي الله عنه وارضاه واما ابوسه
فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالت لا نودي الزكاة فقال لو منعوني
عقالا لجاهدتم عليه فقلت يا خليفته رسول الله تالفت الناس وارفق بهم فقال لي اجابرس
الجاهلية وخواريف الاسلام انه قد انقطع الوحي وترا لادن ابتصر واتاجي اخرجه في جبا مع
الاصول ولم يرق عليه علامة لاحد قال البغوي وروي انه حين انطلق مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى الغار جعل يثني ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مالك يا ابا بكر فقال اذكر الطلب فاستحي خلقك ثم اذكر الرصد فاستحي بين يديك
فلما انتهيت الى الغار فقال لك برسول الله حتى استبري الغار فدخل فاستبراه ثم قال انزل برسول
الله فترد وقال له ان اقبل فانزل واحد من المسلمين وان قتلت هلك الامة
ذكر سياق حديث الهجرة وهو من افراد البخاري عن عائشة قالت لم اعقل قط
الاوهام بينان الدين ولم يمر علينا يوم الا ياتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في طرفة الزهارة
وعشيا فلما ابتلي المسلمون خرج ابو بكر مهاجرا خوارض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغادق فيه ابن
الدغنة وهو سيد القارة فقال ابن نزيدي يا ابا بكر فقال ابو بكر اخبرني قومي فابعد ان اسبح
في الارض فاعبدوني فقال ابن الدغنة فان مثلك يا ابا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب
المعصوم وتصل الرحم وتخل الكل وتقوي الضيف وتعين على نوايب الحق فانك لاجار فارجع واعبد
ربك بيلدك فرجع وارتحله ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في اشراف كفار قريش فقال
ان ابا بكر لا يخرج مثله يخرجون رجلا يكسب المعصوم ويصل الرحم ويخل الكل ويقوي الضيف
وبعين على نوايب الدهر الحق فلما تكذب قريش بخوار ابن الدغنة وفي رواية فانقدت
قريش حمار ابن الدغنة واموا باني كرو قالوا لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه في داره
وليصل فيها ويقرب امانا ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن فاننا نخشى ان يغتن نسانا وابنا نا
فقال ذلك ابن الدغنة لا يكره ان يكره فابتناسجدا بغناداره فكان يصلي فيه فيتقصص عليه
ولا يفترا في غير داره ثم بدلا في كرو فابتناسجدا بغناداره فكان يصلي فيه فيتقصص عليه
نسا المشركين وابنا وم يعجبون منه وينظرون اليه فكان ابو بكر رجلا بكا لا يملك عينيه
اذا قرأ القرآن فانزع ذلك اشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم
عليهم فقالوا اننا كما اجرونا ابا بكر بخوارك على ان يعبد ربه في داره فقد جاور ذلك فابتناسجدا
بغناداره فاعلن بالصلاة والقرأة وانا قد حسبنا ان يغتن نسانا وابنا نا فاته فان احب
ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فليفعل وان لم يزل ان يعلن بذلك فسله ان يراد اليك
ذمتك فانا قد كرهنا ان نخشرك ولنا مقتدرين لا يكر الاستعلان قالت عائشة فاني
ابن الدغنة الي ابي بكر فقال قد علمت الذي عاهدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك
واما ان ترجع على ذمتي فاني لا احب ان تنزع العرب اني حفرت في رجل عفت له فقال ابو بكر

بكر بن ابي

ما دار

فاني ارد اليك جوارك وارضي بخوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم للمسلمين اني رايت دار هجرتم سحرة ذات خلين لاشين وهما الخرتان بها جرم من
ها جرم المدينة ورجع عامة من كان بارض حبه الى المدينة وخرج ابو بكر قبل المدينة فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو ان يوذني فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك
باني انت واميت قال نعم فحس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلف راحلتين كانتا
عنده من ورق السر هو الخط اربعة اشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن يوما
جلوس في بيت ابي بكر في غرة الظهر قال قال ليل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة وسلم
لم يكن ياتينا فيها فقال ابو بكر فدي له ابي واميت والله ما جابه في هذه الساعة الا امر قالت
فاجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يكر اخراج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك باني انت واميت برسول الله صلى الله عليه وسلم
يكر اخراج فقال ابو بكر الصعبة باني انت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم قال ابو بكر في ذبا باني انت برسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلعت هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالتمن قالت فخرجنا ها احث الجاهل ووضعنا لها سفر في جراب ففتحت اسمايت ابي بكر
قطعة من نظائرها فربطت به ثم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر فغار في جبل ثور فكننا ثلاث ليا ليبيت عندهما عبد الرحمن بن ابي بكر
وهو غلام شاب ثقف لقن ويدلج من عندهما نحو فيصبح مع قريش بمكة كبايت فلا يصح امدا
يكاد ان به الاوعاه حتى ياتيهما مخبر ذلك حتى يختلط الظلم ويرعي عليهما عامرين فقهر بغلس
ينعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رجلا
من بني الدليل وهو من بني عبد بن عدي هادي خريتا والحزيت الماهر بالهداية وقد غسر حلقا
في الالف صر بن ويل السهمي وهو يدين كفار قريش فامناه فدفعنا اليه راحلتيهما وواعداه غار
ثور بعد ثلاث ليا ل فاني بهما صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معا عامرين فقهيقة والدليل الذي
فاخذهم طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل قال ابن شهاب فاجبرني عبد الرحمن بن
مالك الحراعي المدلجي وهو ابن اخي سراقه بن جشم ان اباه اخبره انه سمع سراقه بن جشم
يقول جانا رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر دية كل واحد منهما
لمن قتله او اسر فبينما انا جالس في مجلس من مجالس قومي بين مدج اقبل رجل منهم حتى قام علينا
وعن جلوس فقال يا سراقه اني قد رايت انفا اسودة بالساحل اراها محمدا واصحابه قال
وفلانا انطلقوا با عيننا ثم لبث في المجلس ساعة ثم قلت فدخلت فامرت جاري ان تخرج اليهم
بغري وهي من ورا المكة فتحبسها واحذت رجلي فخرجت به من ظهر البيت فخطت بزجة
الارض وحففت عالية حتى اتيت فزيت فركبتها فرفعتها تقرب حية دنوت منهم فغثرت
في فزيت فخررت عن فزيت فاهويت بيدي الي كنانتي فاستخرجت منها الارلام فاستقيمت
بها اصبرهم ام لا فخرج الذي اكرم فركبت فزيت وعصيت الارلام تقرب بي حتى اذا سمعت فزاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكسر للالتفات ساخت يد افريسي

فقلت انهم
نقلت له انهم
رايت فلانا

الارض حتى بلغنا الركبتين فخررت عنهما ثم زجرتها فمضت فلم تكدها فخرج يدها فلما استوت قائمة
 اذا لا تريد يا عتات ساطع في السما مثل الدخان فاستقمت بالارلام فخرج الذي اكرم
 فناديتهم الامان فوقوا فركبت فزيت حتى جيتهم وقع في نفسي حتى لقيت ما لقيت من الحبس عنهم
 ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية واخبرتهم
 ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمناجع فلم يرزالي ولم يسالني الا ان قالوا اخف عتات
 ما استطعت فسالته ان يكتب لي كتاب امن فارعا من ثيبر فكتب لي رقة من ادم ومضي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب عن روم بن الربيع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لي الربيع بن ركب من المسلمين كانوا تجار افاقليين من الشام فلكي الربيع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وابا بكر شياب بيض وسمع المسلمون بالمدينة يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة
 فكانوا ينفذون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يبردهم حر الظهيرة فانقلبوا بوابا بعد
 ما اطالوا انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم او في رجل من اليهود على ظهر اطم من اطاهم لا مريظ
 اليه فبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيضين يزولهم التراب فلم يملك اليهودي ان قال
 يا علي صوته يا معشر العرب هذا جدم الذي تنتظرونه قال فثار المسلمون الى السلاح فلقوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعداهم ذات اليمين حتى نزلهم في بني عوف وعوف
 وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام ابو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
 صامتا فطفق من جامن الانصار ومن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيى ابا بكر حتى اصابته
 التشنج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه برداه فعرف رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عوف بضعة عشر ليلة واس
 المسجد الذي اسرى على التقوي وحيل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته التي
 مع الناس حتى يركب عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ
 رجال من المسلمين وكان مریدا للثمن لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حجر سعد بن زرارته فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت ناقته هذا ان شأ الله المتزلف دعا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الغلامين فساورهما بالمرء ليخذه مسجدا فقالا بل نصبه لك رسول
 برسول الله ثم بناه مسجدا فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه
 ويقول وهو ينقل اللبن هذا الاحمال اخير هذا ابرز بنا واظهور ويقول اللهم ان الاجر
 اجر الاخوة فارحم الانصار والمهاجرة فتشغل بشعر رجل من المهاجرين لم يسم لي
 قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تشل بيت شعر تام غير هذه
 الايات اخرجها البخاري بطوله شرح عنب الفاظ الحديث فوالله
 اعقل ابوي الا وهما يدنان يعني انها كانا يتقاران الى الطاعة وبرك الغداة بفتح الباء من بر
 وكسر الغين المعجمة اسم موضع بينه وبين مكة حمير ليا لم يلب ساحل البحر الى المدينة من بلاد
 عفار وقيل هو قليب ما لمجي ثقله قوله تكسب المعدوم فيه قوله احدها انه لقوة
 وحظه من الدنيا لا يعتد عليه كسب كل شيء حية المعدوم الذي يتعد ركبته على غيره

الناس

الذين

بكر النور

والقول الثاني

والقول الثاني انه يملك التي لعدو من المعتد لمن لا يعتد عليه فنيه وصنعه بالاحسان والكرم
 والكل ما يشغل حله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بامر العيال وقوي الضيف ونواب
 الحق ما ينوب الانسان من المغارم وقضا الحقوق لمن يقصد الحق لك جاري حام وناجرو ومدافع
 عنك والاستعانة والاعلان اظهار الحق وقوله تعصف الناس عليه اي يعني اذ حوا عليه والذمة
 العهد والامان واخفاوها نقصها واللاية الجبل والحررة الارض التي تعلوها حجارة سود
 يقال فعل التي على رسل بكسر الراء اي هينتك والراحلة البعير القوي على الجمل والسير والظهير
 وقت شد الحرو والنطاق جبل او نحوه تشد به المرأة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتعطف
 طرفا من اعلاها الى سفله ليلا يصل الى الارض وقولها ثقف لحن يقال ثقف الرجل ثقافة
 اذا صار حاذقا فطنا واللقن سريع الفهم والادلاج تخفيف الدال سير او الدليل ويشد بها
 سير اخره والبيحة الشاة ذات اللبن والرس بكسر الراء وسكون السين هو اللبن يقال
 نفق الراعي بالغنم اذا دعاها لتجتمع اليه والغنم ظلام اخر الليل والخزيت تقدم شرحه في
 الحديث وهو الماهر بالهداية واراد به هداية الطريق فهو الدليل وقد عمن حلفا يقال عمن
 فلان حلفاني الا فلان اذا اخذ نصيب من عهدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص والاكمة
 التل المرتفع من الارض يقال قرب القرس بعرب تقديرا اذا علا عدو وادون الاسراع والكمانية
 هي اللعبة التي تجعل فيها الارلام القدر التي كانوا يستقيمون بها عند طلب الحوامج كالقار
 والعتا الغبار يقال ما رزات فلانا شيئا اي ما اصبحت منه شيئا والمراد انهم لم يأخذوا منه
 شيئا وقوله او في اي اشرف والاطم البنا المرتفع كالخصن وقوله مبيضين هو كسر
 الباي هم ذو شيا بيفر المرء الموضع الذي يوضع فيه الثمر كالبندر وقوله هذا المال
 هو مال المهلة يعني هذا الحمل والمحمول من اللبن ابر عند الله والهمرو ابني ذخر او ادم
 منفعة وهي في الآخرة الاحمال خير يعني ما تحمل من خير من ثمر الزبيب والطعام المحمل
 منها والمعني ان ذلك الحمل الذي تحمله من اللبن لا حمل عارة المسجد افضل عند الله مما يحمل من
 خير وقد روي هذا الجمل بالجيم من الجاد والرواية الاولى اشهر واكثر والله اعلم قال
 الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الغار ارسلا الله تعالى زوجا من حمام
 حتى باضوا في اسفل الثقب ونجت العنكبوت بينا وقيل اتت بمائة على فم الغار وقال
 النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعل الطلب يضربون ميمنا وشمالا حول الغار
 يقولون لود خلا هذا الغار لكسر بيض الحمام وتفسح بيت العنكبوت ووجد في بعض التقار
 شعرا وقد نسبته الى ابي بكر الصديق

السهم

قال النبي ولم يخرج بوفدي • ونحن في شدة من ظلمة الغار
 لا تحس شيئا فان الله تالشنا • وقد تشغل لمنه باظهاره
 وانما كيد من تحشي بوا دهره • كيد الشياطين قد كادت لكفار
 والله مهلكهم طرا بما صنعوا • وجاعل المنتهي منهم الى النار

قوله تعالى فان الله مكين • عليه يعني فانزل الله الطائفة والسكون
 على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس علي ابي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت

عليه السكينة من قبل ذلك **فصل** في وجه المستنبطة من هذه الآية الدالة
على فضل أبي بكر الصديق **عليه السلام** ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى من الغار من الكفار كان مطلعا على
باطن أبي بكر الصديق في سره وأعلانه وأنه من المؤمنين الصادقين الصديقين المحاضرين فاختار
محبته في ذلك المكان الخوف لعله محال ومنه **ان** هذه الهجرة كانت بإذن الله تعالى فخر
الله بصحة نبيه صلى الله عليه وسلم أبابردون غيره من أهله وعشيرته وهذا التخصيص يدل
على شرف أبي بكر وفضله على غيره ومنه **ان** الله عاتب أهل الأرض بقوله لا تتصروه فقد نص
الله سوي أبي بكر الصديق وهذا دليل على فضله ومنه **ان** أبابكر لم يتخلف عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في غزوة بدر ولا في غزوة بدر من بعده وهذا دليل على محبته وصحة صحبته
له ومنه ما رواه الله للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبدر نفسه له وفي هذا دليل على فضله
ومنه **ان** الله تعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ثاني اثنين أذها في الغار وفي
هذا نهاية الفضيلة لأبي بكر وقد ذكر بعض العلماء أن أبابكر كان ثاني اثنين رسول الله صلى الله
عليه وسلم في أكثر الأحوال ومنه **ان** النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق إلى الإيمان بالله فكان
أبو بكر أول من آمن ثم دعا أبو بكر إلى الإيمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطهمة والزبير فأمروا
عليه أبي بكر فخرجهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومنه **ان** النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف
من غزواته إلا وأبو بكر معه في ذلك الموقف ومنه **ان** لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
قام مقامه في الإمامة فكان ثانيه ومنه **ان** الله تبارك وتعالى في نفسه وفي هذا دليل على فضل أبي بكر
ومنه **ان** الله تعالى نص على صحبة أبي بكر دون غيره بقوله أذ يقول لصاحبه لا تحزن ومنه
ان الله تعالى كان قال لهما من كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره ومنه **ان** الله تعالى
على أبي بكر واختصاصه بهما دليل على فضله والله أعلم بقوله تعالى **وايدكم بحجود لمرثروها**
يعني وأيد النبي صلى الله عليه وسلم بأمر الملائكة ليصروا وجوه الكفار وأبصارهم عن رويته
وقيل القوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجفوا وقالوا لجأه والكلبي غانه بالملائكة يوم بدر
فأخبر الله أنه نصرهم وصرف عنه كيد الأعداء وهو في الغار في حال القلة والخوف ثم نصره
بالملائكة يوم بدر **وجعل كلمة الذين كفروا البيعة** يعني كلمة الشرك في سبيل إلى يوم القيمة
وكلمة الله هي العليا قال ابن عباس في قوله لا اله الا الله يعني باقية إلى يوم القيامة عالية
وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قدروها فيما بينهم من الكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم
ليقتلوه وكلمة الله هي ما وعدوا بالتصديق والتطهر عليهم فلم تكن ما وعد الله تعالى حقا
وصدا **قال الله عز وجل** قوله تعالى **انفروا خفا وخفا لا يعني** انفروا على الصفة
التي تخفى عليكم لجهادهم على الصفة التي يتخلف عليكم وهذا ان الوصفان تدخل تحتها أقسام
كثيرة فلهذا اختلفت عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والفحام ومجاهد وقادة ن
وعكرمة يعني شبها وشيوخا وقال ابن عباس نشاطا وغير نشاطا وقال عطية العوفي وكان
ومشاة وقال أبو صالح خفا فاما الما لا يعني فقدوا وثقلا يعني اغنيا وقال ابن زيد الخفيف
الذي لا ضيعة له والثقل من له ضيعة يكره ان يدع ضيعته ويدوي عن ابن عباس قال
خفا فاما أهل الميسرة من الما وثقلا أهل العسيرة وقيل خفا فاما يعني من السلاح خفيل منه

وسالهم

وثقلا يعني مستكبرين منه وقيل شاغيل وغير شاغيل وقيل اصحاب مرضي وقيل عرايا ومناهلين وقيل
خفا فاما الحاشية والاتباع وثقلا مستكبرين منهم وقيل خفا فاما يعني سرعين في الخروج إلى الغزو
ساعة سماع التغير وثقلا يعني بعد التزوي فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه
الأحوال كلها داخل تحت قوله تعالى انفروا خفا وخفا لا يعني على أي حال كنتم فيها **فان**
قلت فاعلم هذا يلزم الجهاد لكل احد حتى المريض والضعيف والفقير وليس المراد ذلك فاعلم
هذا الامر **قلت** من العلم من حمله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخ هذه
الآية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية قال السدي نسخ بقوله ليس على الضعفا
ولا على المرضى الا يقتضونهم من حمل هذا الامر على الندب قال مجاهد ان لبا ايوب الانصاري شهد
بدر والمجاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف غزوة غزاها المسلمون بعد ن
فقتل في ذلك فثقل سمعت الله عز وجل يقول انفروا خفا وثقلا ولا احد من الاخفيين او قتيلا
وقال الزهري خرج سعيد بن السيب وقد ذهب احد ي عبينه فقيل له انا عليل صاحب
ثقال استغفر الله الخفيف والثقل فان لم يكن لي الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وقال
صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عيني من اهل دمشق
على راحته يريد الغزو فقلت يا عم انت معذور وعند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي
استغفر الله خفا وثقلا لا اله الا الله من حجه بينتليه والصحيح هو القول الاول وانما نسخ
ولان الجهاد من فروض الكفايات ويدل عليه ان هذه الآية نزلت في غزوة تبوك وان النبي صلى
الله عليه وسلم خلف في المدينة في تلك الغزاة النساء وبعض الرجال فدلك على ان الجهاد
من فروض الكفايات ليس على الاعيان والله أعلم وقوله تعالى **وتجاهدوا باموالكم وانفسكم**
في سبيل الله فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال وهو يرضى أو منع أو ضعيف
يتقوى به على تحصيل الآيات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد
والقول الثاني ان من كان له ولد وما وهو يرضى أو منع أو ضعيف لا يصلح للحرب فعليه
الجهاد بما له بان يعطيه غيره من يصلح للجهاد فينفروا بما له فيكون مجاهدا بما له دون نفسه
ذلكم يعني ذلكم الجهاد خير لكم يعني من القعود والتشاغل عند وقيل معناه ان الجهاد خير حاصل
لكم **تواجه ان كنتم تعلمون** يعني ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل في المنافقين الذين
تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قوله عز وجل **لو كان عرضا قريبا**
فيه اضرار تقدر به لو كان ما تدعوه اليه عرضا يعني غنية سهلة قريبة التناول والعرض ما عر
لكم من منافع الدنيا ومتاعها يقال لا تدبوا عرضا كثر منه البر والفاجر **وسفرا قاصدا**
يعني سهلا قريبا **لا تبغوا** يعني لا تخرجوا معكم **ولكن بعدت عليهم السقنة** اي المسافة والسقنة
السفرا البعيدة لا نه يثق على الانسان سلوكها ومعنى الآية لو كان العرض قريبا والغنية
سهلة والسفرا قاصدا لا تبغوا لظننا في تلك المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان السفر
بعيدا وكانوا يستعظمون غزو الروم جرم انهم تخلفوا لهذا السبب ثم اخبر الله عنهم انه
اذا رجع من الجهاد انهم يخلفون بالله وهو قوله **تسجدوا لله** يعني المنافقين الذين
تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة **لو استطعنا لخرجنا معكم** يعني الي

الي هذه الغزوة **سلكون انفسهم** يعني بسبب هذه الايمان الكاذبة والنفاق وفيه دليل على ان
الايمان الكاذبة فذلك صاحبها **والله يعلم انهم كاذبون** يعني في ايمانهم وايمانهم وهو قوله لو
استطعننا لخرجنكم لانهم كانوا مستطيعين للخروج فوله عز وجل **عفا الله عنك لم اذنت**
لهم قال الطبري هذا عتاب من الله عز وجل عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم اي في اذنه لمن اذن
لهم في التخلف عنه من المنافقين حين شخص الي تبوك لغزو الروم والمعنى عفا الله عنك يا كاذب
ما كان منك في اذنك لها ولا المنافقين الذين استاذنوك في ترك الخروج معك الي تبوك
قال عز بن ميمون الاودي اثنتان فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوسر فيها بشي اذنه
للمنافقين واحده الغدائن اساري بدر فغابته الله كما تسعون وقال سفيان بن عيينه
انظروا الي هذا اللطف بده بالعمو قبل ان يعيره بالذنب **فص** استدل هذه الآية
من يري جوار صدور الذنب من الانبياء وبيان من وجهين احدهما انه تعالى قال عفا الله عنك
والعمو يستدعي سابقه الذنب **الوجه** الثاني انه تعالى قال لم اذنت لهم وهذا استفهام
معناه الانكار والجواب عن الاول انا لانسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب صدور
الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة في التغطية والتوفيق فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان مغفلا
له عفا الله عنك ما صنعت في امري رضي الله عنك ما جاوزك ما جاوزك ما جاوزك ما جاوزك ما جاوزك
كل هذه الالفاظ في ابتداء الكلام وافتتاحه يدل على تعظيم المخاطب به وقال علي بن الجهم
مخاطب المتوكل عفا الله عنك لا تجوز بفضلك يا ابن العملاء
الم تر عبد اغدا طوره **م** ومولي عفا ورشيدا هدي **م**
م اقلني اقالك من لم يزل **م** يفتيك ويصرف عنك الردي **م**

والجواب عن الثاني انه لا يجوز ان يكون المراد بقوله لم اذنت لهم الانكار عليه وبيان
اما ان يكون قد صدر عنه ذنب امتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان هذا الانكار ممتنع في
حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضي عياض في كتابه الشفا في الجواب عن قوله عفا الله عنك
لم اذنت لم فانه امر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى فلي بعد معصيته ولا عفا
الله عليه معصية بل امر بعد اهل العلم معانبة وغلطوا من ذهب الي ذلك قاله نطوي وقد
حاشاه الله من ذلك بل كان خيرا في امري قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وجي
فكيف وقد قال الله له فاذن لمن شئت منهم فلما اذن الله لم اعلم الله بما لم يطلع عليه من سرهم
انه لو لم ياذن لم لغدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا معني غفر بل كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم يحجبهم قط اي لم يلزمكم ذلك وخوفه
للقشير قالوا انما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعني
عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي انها يلزمه وقال في هو استفتاح كلام
مثل اصلحك الله واعزك وحكي السر قندي ان معناه عفاك الله وقيل معناه ادام الله لك
العفو لم اذنب لهم يعني في التخلف عنك وهذا اجل على ترك الاول والاكمل لاسيما وهذه كانت
من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا **حتى يتبين لك الذين صدقوا** يعني في
اعتذارهم وتعلم الكاذبين يعني فيما يعتذر رواه قال ابن عباس لم يكن النبي صلى الله

وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى فزيت براه قوله تعالى **لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله**
واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي في ان يجاهدوا واما حسن هذا الحديث لظهور
والله اعلم بالمناقين يعني الذين يتقون مخالفتهم ويسارعون الي طاعته **الما يستأذنك** يعني
في التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر **الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر** وهم
المنافقون لقوله **وارتابت قلوبهم** يعني شكك قلوبهم في الايمان واما اضاف الشك والارتياب
الي القلب لانه محل المعرفة والايمان ايضا فاذا دخله الشك كان ذلك نقا فافهم **في ربهم**
يتزددون يعني ان المنافقين متحيزين لاعم الكفار ولا مع المؤمنين وقد اختلف
العلماء في النسخ والمسخ في هذه الايات وقيل انها مسبوقة في الآية التي في سورة التور
وهي قوله تعالى ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر فاذا
استاذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه
الايات ان المؤمنين كانوا يسارعون الي طاعة الله وجهادهم من غير استئذان فاذا
عرض لاحد هم عذر استاذن في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا في الاذن
لم بقوله تعالى فاذن لمن شئت منهم واسا المنافقين فكانوا يستأذنون في التخلف من غير
عذر فعبرهم الله بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر **ولو ارادوا والخروج** يعني الي الغزو
معكم **لاعدوا له عذر** يعني لتهنيوا له باعداد آلات السفر والالات القتال من الكراع والملاح
ولكن كره الله انبعاثهم يعني خروجهم الي الغزو ومعكم **فتبطلهم** يعني منهم وجبرهم عن
الخروج معكم والمعني ان الله تعالى كره خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم فبطلهم
عنه وههنا يتوجه سوال **وهو ان خروج المنافقين مع رسول الله صلى**
الله عليه وسلم اما ان يكون فيه مصلحة او مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال لو كن
كرم الله انبعاثهم فتبطلهم وان كان فيه مفسدة فلم قال عاتب بنبيه صلى الله عليه وسلم
في اذنه لم بالعود والحواد **عن هذا السؤال** ان خروجهم مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى اخبر بذلك المفسدة بقوله
لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبلا يعني فلم عاتب الله رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله لم
اذنت لهم فنقول النبي صلى الله عليه وسلم اذن لهم قبل تمام الفحص والكال التامل والتدبر في
حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم اذنت لهم وقيل انما عاتبه لاجل انه اذن لهم قبل ان
يوجه اليه في امرهم بالعود **وقيل انعدوا مع القاعد** يعني معناه انهم لما استاذنوا في
العود قيل لهم انعدوا مع القاعد ومن النساء والصبيان والمرضى واهل الاعذار
ثم اختلفوا في القاتل من هو فقتل بعضهم لبعض انعدوا مع القاعد وقيل
القاتل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما قال ذلك على سبيل التحريض الغضب لما استاذنوا
في العود فقال لهم انعدوا مع القاعد فاعتصموا ذلك وفعدوا وقيل ان القاتل
ذلك هو الله تعالى بان القاتل قلوبهم القعود لما كرم انبعاثهم مع المسلمين الي الجهاد ثم
يعني لو خرج هاهنا المنافقون معكم الي الغزو وما زادوكم الا خبلا واصل الخبر

اضطراب ومرض يوشن في العنق كالجنون قال بعض النحاة هذا من الاستئناس المنقطع والمعني
لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خالوا والمراد به هنا الافساد وايضا الجبن والفشل بين
المؤمنين شوق الامر وشدة السعير وكثرة العدو وقوتهم **ولا وضعوا خلاكم يعني**
ولا سراعوا فيكم وساروا بينكم بالنار القيمة والاخاديت الكاذبة فيكم **يعنونكم الفتنة**
يعني يطلبون لكم ما يقتنون به وذلك انهم يقولون للمؤمنين لقد جمع كذا وكذا ولا طاعة لكم بهم
وانكم ستهزمون منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي تحبس
وقيل معناه يطلبون العيب والشدة **فيكم سمعون لهم** قال مجاهد يعني وفيكم عيون لهم
يودون ايامهم اخباركم وما يصنعون منكم وهم الجواسيس قال قتادة وفيكم مطيعون لهم
يسعون كلام المناققين ويطيعونهم وذلك بانهم يلقوا اليهم انواعا من الشهات الموجبة
لضعف القلب فيقبلوها منهم **فان قلتم** كيف يجوز ان يكون في المؤمنين
المخلصين من يبيع ويطيع للمناققين **قل** يحتل ان يكون بعض المؤمنين
لم اقا رب من بعض الناس كبار المناققين وروايتهم فاذا قالوا قولنا انما الرذلة في القول في
كلوب ضعفه المؤمنين في بعض الاحوال **والله اعلم با الظالمين** وهذا وعيد وقيد
للمناققين الذين يلقون الفتنة والشهات بين المؤمنين وقوله تعالى **لقد ابتغوا الفتنة**
من قبل يعني لقد طلبوا صداصحابك يا محمد عن الدين ورواهم الى الكفر وتخذيل الناس عنكم
قبل هذا اليوم كما فعل عبد الله بن ابي سلول يوم احد حين انصرف باصحابه عنكم **وقلبوا**
لك الامور يعني واحالوا فيك امرك وفي ابطال دينك الراي وبالعولج تحذيل الناس عنك
وقضدتم تثبتت امرك **حيثما الحق وظهر امر الله** يعني النصر والظفر **وظهر امر الله**
وهو كان هو يعني ذلك قوله عز وجل **ومنهم من يقول ائذنا لي ولا نقفني** نزلت في الجدة
ابن قيس وكان من المناققين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال
لجدس قيس ابا وهب هل لك في جلا دني الا صغر يعني الروم تتخذ منهم سراري وصفنا
فقال الجدس رسول الله لقد عرفت قومي ابي رجل معرم بالنسب واني اختي ان رايت بنات بني
الاصغر ان لا اصبر عنهن ائذنا لي في القعود ولا نقفني هن وابعيك بمالي قال ابن عباس
اعتل الجدس قيس ولم يكن له علة الا النفاق فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال قد اذنت لك فانزل الله عز وجل فيه ومنهم يعني من المناققين من يقول ائذنا لي
يعني في التخلف والقعود في المدينة **ولا نقفني** يعني بنات بني الاصغر وهم الروم **الاتي**
الفتنة سفتوا يعني انهم وتعاونوا في الفتنة العظيمة وهي النفاق ومخالفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم والقعود عنه **وان جهنم لمحيطة بالكا فزين** يعني يوم القيامة
تخيطنهم ويجمعهم فيها قوله تعالى **ان تضيق حسنة فتوهم يعني** ان تضيق يا محمد حسنة
من نصر وغنية تحزن المنافقون **وان تضيق مصيبة يعني** من هزيمة او شدة يتولوا
يعني المنافقون **قد اخذنا امرنا يعني** اخذنا امرنا بالجد والحزم في القعود عن الغزو **ومن**
قبل يعني من قبل هذه المصيبة **ويتولوا ومن فرحون** يعني سرورون بما نالكم من
المصيبة وسلاهم منها **قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا يعني** قل يا محمد هو لا الذين يفرحون

ما يصيبكم

ما يصيبكم من المصائب والمكروه لن يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلينا وكثيره في اللوح المحفوظ لا ت
العلم جف بما هو كائن الي يوم القيامة من خير وشرا لا يقدر احد ان يدفع عن نفسه مكروها
نزل به او يجلب لنفسه نفعا ان اراده ما لم يقدر عليه **هو قولنا يعني** ان الله ناصرنا وحافظنا
وهو اولي بنا من انفسنا في الموت والحياة **ويل الله قليلا من الموت يعني** في جميع امورهم
قل هل يترصبون بنا يعني قل يا محمد هل المناققين هل تنتظرون بنا الا بها المنافقون **الا احدي**
المسيبين يعني اما النصر والغنية واما الشهادة والغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الغزو
والجهاد في سبيل الله اما ان يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنية والاجر العظيم في الآخرة
واما ان يقتل في سبيل الله فيحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى ويدل على ذلك ما روي عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله في رواية تضمن الله لمن خرج في سبيل
الله لا يخرج في الاجهاد في سبيل الله ان يوقد يوقر سبيل الله على منا من ان ادخله الجنة
او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نايلا ما نال من اجر وغنية اخرجاه في الصحبين وقوله
تعالى **ومن يترصبونكم يعني** ومن تنتظرونكم احدي السويين **ان يصيبكم الله بعذاب**
من عنده يعني فيهلككم كما اهلك من كان قبلهم من الامم الخالية او يائديننا يعني او يصيبكم
يايدي المؤمنين بان يظفروا بكم ويظفروا عليكم **فترصبوا انا معكم مترصبون** قال الحسن
فترصبوا مواعيد الشيطان انا مترصبون مواعيد الله من اظهار دينه واستيصاله من
خالقه **قل انفقوا طوعا او كرها** نزلت في الجدين قيس المنافق وذلك انه استاذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في التعود عنه وقال انا اعطيتكم مالي فانزل الله اراد عليه قل اي قل
يا محمد لهذا المنافق وامثاله في النفاق انفقوا طوعا او كرها يعني انفقوا طابعين من قبل انفق
او مكرهين بالاتفاق بالزلم الله ورسوله اياكم بالاتفاق **لن يتقبل منكم لان** هذا الاتفاق
انما وقع لغير الله وهذه الآية وان كانت خاصة في نفاق المناققين فهي عامة في حق كل
من اتفق ماله لغير وجه الله بل اتفق ربا وسعة فانه لا يقبل منه ثم علل بسبب منع القبول
بقوله **انكم اي لانكم كنتم قوما فاسقين** والمراد بالفسق هنا الكفر ويدل عليه قوله تعالى
وما منهم ان يتقبل منهم نفاقا لانهم كفروا بالله ورسوله اي المانع من قبول نفاقهم
هو كفرهم بالله ورسوله **ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى** جمع كسلان يعني متشاغلين في
الامتيان الى الصلاة وذلك انهم لا يرجون على فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا ولذلك
ذهب مع فعلها **ولا ينفقون الا وهم كارهون** لانهم كانوا يعتقدون الاتفاق في سبيل الله مغرا
ومنع ذلك الاتفاق مغرا فلا تقبل **يا محمد اموالهم ولا اولادهم** وهذا الخطاب وان كان
مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به جميع المؤمنين والمعني فلا تتجسسوا بالاول
المناققين واولادهم والاعجاب بالسرو والشي مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد انه
ليس لغيره مثله وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشيء ويكون سبب انقطاعه عن
الله عز وجل فينبغي للانسان ان لا يحب شي من امور الدنيا لما فيها فان العبد اذا كان
من الله عز وجل في استدراج كثر ماله وولده فلهذا عجا به ماله وولده فيبطر
ويلفرقة الله عليه ولهذا قال **انما يريد الله ليبتليكم في الحياة الدنيا فان قلتم**

كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا وفيها اللذة والسرو وفي الدنيا قل
قال المجاهد وقتادة وفي الآية تقدم وتأخير تقديرها فلا تنجك أموالكم ولا أولادكم في الحياة
الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وقيل إن سبب كون المال والولد عذابا في الدنيا هو
ما يحصل من المتاع والمشاغ في تحصيلها فإذا حصل ازداد النغب وتخل المشاق في حفظها
وزداد الحزن والغم بسبب المصائب الواقعة فيها فبما فعل هذا القول لا حاجة إلى التقدم والتأخر
في نظم الآية وأورد على هذا القول بأن هذا التعذيب حاصل لكل أحد من بني آدم موطنهم
وكافهم فما فائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا والخسب عن هذا
الأيراد بأن المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو أن المؤمن قد علم أنه
مخالف للآخر وأنه يصاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذابا
في الدنيا ولما المنافق فإنه لا يعتقد كون الآخرة وأنه ليس فيها ثواب فبقي ما يحصل له في
الدنيا من التبع والشغل والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه في الدنيا فثبت بهذا
الاعتبار أن المال والولد عذاب على المنافق في الدنيا دون المؤمن وقيل إن تعذيبهم
بها في الدنيا إحد الزكاة منهم واليقظة في سبيل غير متباين بل ذلك وربما قتل الولد في العزو
فلا يصاب الوالد المنافق على قتل ولد وذهاب ماله وقيل يعذبهم بالنغب في جمعه وحفظه
والغم في انفاقه والحرق على تخليفه عند من لا يحمله ثم يقدم في الأخذ على ملك لا يعذره
وتزهر أنفسهم أي وتخرج أنفسهم وهم كافرين والمعنى أنهم يقولون على الكفر فتكون عاقبتهم
بعد عذاب الدنيا عذاب الآخرة قوله عز وجل **وَيَحْلِفُونَ بالله** يعني المنافقين **أهم لمنكم**
يعني على دينكم وملنكم وما هم منكم يعني أنهم كاذبون في إيمانهم ولكنهم قوم بقدر قوتهم يعني أنهم
يخافون أن يظهروا على ما هم عليه من النفاق **لويجدون حلقا** يعني حرضا وحصنا ومعقلا ليلجأوا
إليه وقيل لو وجدوا مهربا هربوا إليه وقيل لو وجدون قوما يامنون عندهم على أنفسهم
منكم لصاروا إليهم ولما فؤكهم **أو مغارات** يعني غير أنافي الجبال جمع مغارة وهو الموضع الذي
يفور فيه الإنسان أي يستتر أو مدخلا يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في
الأرض كقوله البريوع وقال الحسن وجها يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا الله والمعنى أنهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة أو على أحد هذه الوجوه الثلاثة وهي
ستر الأمكنة وأصنفتها لولا الله أي لرجعوا إليه وتخرجوا فيه **وهم يحجون** يعني وهم
يسرعون إلى ذلك للكان والمعنى أن المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا منكم إلى أحد هذه الأمكنة لصاروا إليه لشدة بغضهم
أيكم أقوله تعالى **ومنهم من يلزك في الصدقات** نزلت في ذي الحويصر التيمي واسمه
حرقوص بن زهير وهو أصل الجزارح وت عن أبي سعيد الخدري قال بينما نحن عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماته ذوا الحويصر رجل من بني تميم فقال رسول الله
اعدل فتدارسوا الله صلى الله عليه وسلم ويلك من بعدك اعدل وفي رواية قد جئت
وخسرت إن لم اعدل فقال عمر بن الخطاب أيدي فيه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم دعها فان له أصحا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم

زاد في رواية يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يحرقون الإسلام وفي رواية من الدين كما عرق السم
من الرمية وقال الكلبي قال رجل من المنافقين فقال له أبو الجواظ نعم بالسوية فنزلت هذه الآية
وقال قتادة ذكر لنا أن رجلا من أهل المدينة حديث عهد بعرابية أتى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يقسم ذهباً وفضة فقال يا محمد والله إن كان الله امر أن تعدل فاعدت فقال النبي صلى الله
عليه وسلم من ذا بعدك عليك بعدي وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطينا محمد إلا من
أحب ولا يؤتونها إلا هواناً فأنزل الله ومنهم من يلزك في الصدقات يعني ومن المنافقين من
يعيبك في قسم الصدقات وفي قدرتها ويطلعن عليك امرئ يقال هزم ولمع معني واحد أي عابه
فإن أعطوا منه يعني من الصدقات **وضاوا** يعني رضوا عنك في قسمتها **وإن لم يعطوا**
منها إذا لم يحطون يعني وإن لم تعطهم منها عابوا عليك وسخطوا **ولو أنهم رضوا** يعني ولو
أن المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا **بما أنعم الله من فضله** وقالوا
حسبنا الله سبق نبينا الله من فضله **ورسوله** يعني ما تحتاج إليه **ثاني الله** لا غشون
يعني في أن يوسع علينا من فضله فيغنيينا عن الصدقة وعن غير هاتين أموال الناس وجواب لو
مخدوف تقديره كان خيرا لهم وأعوذ عليهم قوله عز وجل **إنما الصدقات للفقراء والمساكين** الآية
اعلم أن المنافقين للملأ والرسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات بين الله عز وجل
في هذه الآية أن المستحقين في الصدقات هم هؤلاء الأصناف الثمانية ومصدرها إليهم ولا تعلق
لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها شيء ولم يأخذ لنفسه منها شيئا فلم يلزمه ويعيبوا عليه فلا طعن
لهم فيه بسبب قسم الصدقات عن زيادة من الحارث الصدي قال أيت النبي صلى الله عليه وسلم
فيما يعتقه فأنه رجل فقال أعطني من الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم لم يرض
بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزاها ثمانية أجزاء فكت من تلك الأجزاء أعطيتك
خفك أخرجه أبو داود **فصل** في بيان حكم الآية وفيه مسائل المسئلة الأولى
بيان وجه الحكمة في إيجاب الزكاة على الأغنياء وصرفها إلى المحتاجين من الناس وذلك من
وجه الأول أن المال محبوب بالطبع وسببه أن القدرة صفة من صفات الكمال وصفة
الكمال المحبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع وإذا استقر
القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله تعالى وعن الاشتغال بالطاعات المقررة إلى الله
فاقتضت الحكمة الإلهية بإيجاب الزكاة في ذلك المال الذي هو سبب البعد عن الله فيصير
سببا للقرب من الله عز وجل بإخراج الزكاة منه **الوجه الثاني** أن كثرة المال
توجب قسوة القلب وحب الدنيا والميل إلى شهواتها ولذا أنها فوجب الله تعالى الزكاة
ليقل ذلك المال الذي هو سبب لقسوة القلب **الوجه الثالث** سبب وجوب
الزكاة استحقاق العبد المؤمن لأن التكليف البدنية غير شاقة على العبد وإخراج المال
مشق على النفس فوجب الله تعالى عز وجل الزكاة على العباد ليتمكن بأجور الزكاة أصحابها
الأموال ليميز بذلك بين المطيع المخرج لها طيبة منها نفسه من القاصي المانع لها الوجه
الرابع أن المال مال الله والأغنياء خزائن الله والفقراء عيال الله فامر الله تعالى خزائنه
الذين هم أغنياء بدفع طائفة من ماله إلى عياله فينتيب العبد المؤمن المطيع المسارع إلى أشغال

الامر المستحق على عياله ويعاقب العبد القاصي لما له من مال ف عن ابي موسى الاشعري
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم الامين الذي يتصدق وزمما قال يعطي ما امر به
فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذي امر له به احد المتصدقين الوجه
الحامس ان الفقراء بما تعلق قلوبهم بالاموال التي بأيدي الاغنيا فوجب الله عز وجل الزكاة
على العباد بصيبي الفقراء في ذلك المالا فليطعوا قلوبهم الوجه السادس ان المالا الفاضل
عن حاجة الانسان الاصلية اذا امسك بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المالا فاسر
بدفع الزكاة الى الفقراء حتى لا يصير ذلك المالا معطلا بالكلية المسئلة الثانية الامة تدل
على انه لا حق لاحد في الصدقات الا لهؤلاء الاصناف الثمانية وذلك جمع عليه لان كلمة اما
تفيد الحصر وذلك لان مركبة من ان وما كلمة ان الاثبات وكلمة ما للتفي فعند اجتماعها
يفيد الحكم المذكور وصره عما عداه فدل بذلك ان الصدقات لا تصرف الا الى الاصناف
الثمانية المسئلة الثالثة في بيان الاصناف الثمانية فالصنف الاول الفقراء والثاني
المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخلهم **مختلف** العلماء في الفرق
بين الفقير والمساكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير الذي
لا يسأل والمساكين السائل قال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى درهم والتمم الى خمسة
ولكن الفقير من اتقى نفسه وشيابه لا يقدر على شئ يحسنهم الجاهل اغنيا من التعتف وقال
قناة الفقير المحتاج الزمن والمساكين الصالح المحتاج وقال الشافعي الفقير من لا مال له
ولا حرفة تنفع منه موقعا زنا كان او غير زمن والمساكين من لا مال له او حرفة ولكن لا تنفع
موقع الكفاية سائلا كان او غير سائل فالمساكين عنده احسن حال من الفقير قال ابو حنيفة
واصحاب الراي الفقير احسن حالا من المساكين ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير والمساكين
حجه الشافعي ومن وافقه ان الله تعالى حكم بصرف الصدقات الى هاتولا الاصناف الثمانية
دفع حاجتهم وتخصيلا لمصلحتهم فبدأ بالفقير او بما يبدى ابالام فالام فلو لم تكن حاجتهم
اشد من حاجة المساكين لما بدأ بهم واصل الفقير المكسور الفقار قال البيهقي

لما راي لبد السور تطايرت رفع القوام كالفقير الا غزل

قال ابن الاعراب في الفقير في هذا البيت المسور الفقار فثبت بهذا ان الفقير انما ي
فقير الزمانته وحاجة شديدة وتمنع الزمانته من التقلب في الكسب ولان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يتعبد من الفقر وقال اللهم احبني مسكينا وامتنني مسكينا واحشني
في زمرة المساكين يوم القيامة روى الترمذي من حديث انس فلو كان المساكين اسو حالا
من الفقير لما تعود من الفقر وسال المسكنة فثبت بهذا ان المساكين احسن حالا من الفقير
ولان الله تعالى قال اما السفينة فكانت لمساكين يعلمون في البحر فثبت لهم ملكا مع اسم
المسكنة لان السفينة من سفن البحر تساوي دنانير كثيرة ولان الغني والفقير عند الله
فتم ثالث بينهما فثبت بهذا ان الفقير اشد حالا من المساكين **وحجة** ابو حنيفة ومن وافقه
على ان المساكين اسو حالا من الفقير قوله او مسكينا ذا منزلة وصف المساكين بكونه ذا منزلة
وهو الذي لصق جلد بالتراب وهذا يدل على غاية الضرر والشدة ولان الله تعالى جعل

الكفارات

الكفارات للمساكين فلو لم يكن المساكين اشد حاجة من غيره لما جعلها له واجتج ايضا بقول الراي
ان الفقير الذي كانت حلوسه وفق العيال فلم يترك له سبيل

واحتج ايضا بقول الاصمعي وابي عمرو بن العلاء ان الفقير الذي له ما ياكل والمساكين الذي لا ي
له وكذا قال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمساكين الذي لا يملك وقيل الفقير
الذي له السكن والحادم والمساكين الذي لا يملك له وقيل ان كل محتاج الي شئ فهو مقتدر اليه
وان كان غنيا عن غيره قال الله انتم الفقراء الى الله فثبت لهم اسم الفقير مع وجود المالا
ولجواب عن هذه الحجة ان قوله او مسكينا ذا منزلة في حجة لمذهب الشافعي لانه قيد المساكين
المذكور هناك بكونه ذا منزلة فدل على انه قد يوجد مسكين لا يملك الصفة والالم يبق لهذا
القيد فايده والجواب عن جعل الكفارات للمساكين انه هو الفقير الذي لصق جلد بالتراب
من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال بميت الراي انه ذكر الفقير وحده وكل فقير
اورد بالاسم جان اطلاق المساكين عليه فسقط الاستدلال به واما الروايات المذكورة فهي معارضة
بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين في الجملة ان الفقير والمسكنة عبارتان
عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمساكين
هو الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تمل الصدقة لغني ولا ذي مرة سوي اخرجته النسيان وابو
وله في رواية اخري ولا ذي مرة قوي عن عبيد الله بن عدي بن الحيار قال اخبرني رجلان
انما اتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسالاهما فرفع
فيما النظر وخففتة فزانا جلد من فقال ان شيئا اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي
مكتسب اخرجهم ابوداود والنسائي واخرجه الشافعي ولفظه ان رجلين اتيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسالاه عن الصدقة فقال ان شيئا اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا ذي قوة
مكتسب واحتجفت العيا في هذا الغني الذي تمنع من اخذ الصدقة فقالا لا ترون حله ان
يكون عنده ما يكتفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي قال اصحاب الراي حله ان
يملك ما ياتي درهم وقال قوم من ملك خمسين درهما او قيمتها لا تحل له الصدقة لما روي
عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم
القيامة ومساكنه في وجهه حموش او خدوش اوله وح قيل برسول الله وما يغنيه قال
خسوك درهما او قيمتها من الذهب اخرجهم ابوداود والترمذي والنسائي وهو قول
التوري وابن المبارك واحمد وابو حنيفة وقالوا لا يجوز ان يعطي الرجل اكثر من خمسين درهما
من الزكاة وقيل اربعون درهما لما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سأل وله قيمة او قيمة فقد الحف اخرجهم ابوداود وكانت الاوقية في
ذلك الزمان اربعون درهما الصنف الثالث **قوله والعاملين عليه** وهم السعاة
الذين يتولون جارية الصدقات وقبضها من اهلها ووضعها في جهتها فيعطون من مال
الصدقة فثبت بقدر اجور اعمالهم سواء كانوا فقرا او غنيا وهذا قول ابن عمر وبنه قال الشافعي
وقال الجاهل والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد الا ان الشافعي

يقول هو اجرة عمله فيقدر بقدر العمل والصحيح ان الهاشمي والمطلب لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لما روي عن ابي ارفع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة فاراد ابو ارفع ان يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخل لنا الصدقة وان موالي تقوم منهم اخرجهم الترمذي والنسائي **الصنف الرابع** قوله تعالى **والمولفة قلوبهم** وهم قلوب قلوبهم وسلمون وقسم كفارا فاما قسم المسلمين فقسم الاول هم قوم من اشراف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتلافون بها كذا ما اعطى عيينة بن بدر بن حصن بن حابس بن العباس بن مرداس السلمي فهو اسلموا وكانت بينهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوي رغبتهم في الاسلام وقوم اسلموا وكانت بينهم قوية في الاسلام وهم اشراف قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تلافيا لقومهم وترغيبا لمتألفهم في الاسلام فيجوز للامام ان يعطي امثاله من خمس الغنيمة والفي من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات ايضا **القسم الثاني** من مولفة المسلمين وهم قوم من المسلمين يكونوا بازا قوم كفاري موضع لا يبلغهم جيوش المسلمين الا بكلفة كبيرة ومونة عظيمة وهما كلا الذين ياتونهم من المسلمين لا يجاهدونهم اما لضعف نيته او لضعف حاله فيجوز للامام ان يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المولفة قلوبهم ومن هاهنا لا تقوم بازا جماعة من ما نفعي الزكاة فيأخذون منهم الزكاة ويخلونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم المولفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روي ان عدي بن حاتم جالبا لثلاث مائة من الابل من صدقات قومه فاعطاه ابو بكر منها ثلاثين بغير اموال مولفة الكفار فهم قوم يخشون شرهم او يرجون اسلامهم فيجوز للامام ان يعطي من يخاف شره او يعطيه رجلا اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الحسن كما اعطى صفوان بن امية لما كان يري من ميله الى الاسلام اما اليوم فقد اعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك واغناه عن ان يتلف عليه احد من المشركين فلا يعطي شيئا له قالوا فماذا قال فقال هذا اكثر من اهل العلم وراوا ان المولفة منقطع وسهمهم ساقت بروي ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري واصحاب الراي واسحاق بن راهوية وقال قوم سهمهم ثابت لم يسطر بروي ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وابي جعفر محمد بن علي وابي ثور وقال احمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك **الصنف الخامس** قوله تعالى **وفي الرقاب** قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فاء الرقاب وفي تفسير الرقاب اقوال الاول ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين فيدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي وهو قول اكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والبخاري والزهري والبيهقي بن سعد ويدل عليه ايضا قوله تعالى واتوا من مال الله الذي انكأ القوال الثاني وهو مذهب مالك واحمد واسحق ان سهم الرقاب موضوع لحرق الرقاب فيشتري به عبيد ويعتقون ويدل عليه ما روي عن ابن عباس انه قال لا بأس ان يعتق الرجل من الزكاة القول الثالث وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة

والاقرع

ولكن يغطي منها في عتق رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضي التبعيض القول الرابع وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصفان للمكاتبين ونصف يشتري به عبيد من صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال اصحابنا الاحوط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب ويدل عليه انه تعالى ثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام التثنية فقال اما الصدقات للفقراء وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد لهذا العرف من فائدة وهي ان الاصناف الاربعة المتقدمة ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفوا ذلك فيما شاؤوا اما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو وكذا في ابن السبيل فيصرف اليه ما يحتاج في سفره الى بلوغ غرضه **الصنف السادس** قوله تعالى **والغارمين** اصل الغرم في اللغة لزوم ما يثق ويميل اليه من غرما لكونه شاقا على الانسان والراد بالغارمين هنامديونون وهم قيمان قسم ادانوا لانفسهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذ الم يكن لهم مال يفي ديونهم فان كان عندهم وفاقلا يعطون قسم ادانوا في المعروف واصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات ما يقضون به ديونهم وان كانوا اغنيا لما روي عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تخل الصدقة لغني الخمسة لغا في سبيل الله او لعمال عليها او لغارم او لرجل اشترى اها ماله او لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدي المسكين للغني اخرجهم ابو داود مرسلان عطاء بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه عمر بن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه اما من كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات شي **الصنف السابع** قوله تعالى **وفي سبيل الله** يعني وفي النفقة في سبيل الله واراد به الغزاة فلهي من مال الصدقات فيعطون اذا ارادوا الخروج الى الغزو وما يستعينون به على اسراجهاد من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة فيعطون ذلك وان كانوا اغنيا لما تقدم من حديث عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله من اراد الحج عند اهل العلم وقال قوف مجوز ان يصرف سهم سبيل الله الى الحج بروي ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب احمد بن حنبل واسحاق بن راهوية وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا اجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتي وبتا الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفي سبيل الله وهو عام في الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع اهل العلم وعليه الصنف الثامن قوله تعالى **وابن السبيل** يعني المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمي المسافر ابن السبيل للازمته الطريق قال الشافعي

انا ابن الحرب رقبتي وليدا الى ان شئت واكتملت لذاتي

فكل مريد سفر اياها ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره فيعطى من الصدقات ما يكفيه

لونه غفره سوا كان له مال في البلد الذي يقصد اولى بل كان له وقال قتادة ابن السبيل هو
الضعيف وقال فقها العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع وقوله تعالى **فربضة من الله** يعني
ان هذه الاحكام التي ذكرها في هذه الآية ربضة واجبة من الله وقيل في هذه الاشياء
ربضة **والله اعلم** يعني بمصالح خلفه **حكيم** يعني فيما فرض لهما لا يدخل في حكمه وتدريبه وتصرفه وخل
المسئلة الرابعة في احكام متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق العلماء على ان المراد بقوله انما
الصدقات للفقراء هي الزكاة المفروضة بدليل قوله خذ من اموالهم صدقة واختلفوا في كيفية
قسمها وفي جواز صرفها الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقهاء الى انه لا يجوز
صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقي وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي
وقال الشافعي يجب ان يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سمانهم
ثمانية قسمة على السوا لان سهم المولغة ساقط وسهم العاقل ساقط اذا قسم زكاة بنفسه
ثم خصه كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان يصرف الى اقل من ثلاثة منهم ان وجد
منهم ثلاثة او اكثر فلو فوات بين اولئك الثلاثة جاز ان لم يجد من بعض الاصناف الا
واحدا دفع حصة ذلك الصنف اليه ما لم يخرج عن حد الاستحقاق فان انتهت حاجته فضل
في رده الى الباقي وذهب جماعة من العلماء الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه
الاصناف او الى شخص واحد منهم جاز لان الله تعالى لما سمي هذه الاصناف الثمانية اعلاما منه
ان الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا ايجابا منه لقسما بينهم جميعا وهذا قول عمر بن
عباس وبه قال سعيد بن جبير وعطاء اليه ذهب سفيان الثوري واصحاب الرأي واحد
ابن حنبل قال احمد بن حنبل ان يضعها في صنف واحد ويصرفها اولا وقال ابراهيم النخعي ان كان
المال كثيرا احتل الاجزاء فيه على الاصناف وان كان قليلا وضعه في صنف واحد وقال
مالك بخبري موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من اهل الخلعة والحاجة فان راي الخلعة
في الفقراء عام قدمهم وان رايها في عام في صنف اخر حو لها اليهم وكل من دفع اليه شيئا من
الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فان
حصل اذني اسم الفخيرة فلا يعطى بعده شي وان كان محترقا لكنه لا يجد له حرقته فيعطى قدر
ما حصل له من حرقته فالاعتبار عند الشافعي ما يدفع الحاجة من غير جد وقال احمد يعطى
الفقير اكثر من حين درهما وقال ابو حنيفة اكراه ان يعطى رجل واحد من الزكاة ما يبني
درهم فان اعطيته اجزا فان اعطا من يظنه فقيرا فبان انه غني فله ان يجزي فيه قولان
ولا يجوز ان يعطى صدقته لمن تلزمه نفقته وبه قال مالك والثوري واحمد وقال ابو حنيفة
والشافعي لا يعطى والدان علا ولا ولدا وان سفل ولا زوجة ويعطى من عداهم وتختم الصدقة
على ذوي القربى وهم بنوهما ثم بنو المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شي لقوله صلى الله
عليه وسلم **لا تاكل لنا الصدقة** وقال ابو حنيفة تخم على بني هاشم ولا تخم على بني المطلب
دليلنا قوله صلى الله عليه وسلم **انا وبنو المطلب** شي واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا الام
وتخم الصدقة على موالي بني هاشم وبني المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم **مواالي القوم** منهم
وقال مالك لا تخم واختلفوا في فضل الصدقة عن بلد المال الى بلد اخر مع وجود المستحقين

نقل

في بلد المال فله ان يكثر اهل العلم لتعلق قلوب فقرا ذلك البلد بذلك المال ولقوله صلى الله
عليه وسلم **لما عادوا علمهم** ان الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد في فقرائهم احدث
بطوله في الصحيحين واتفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد اخر واداه الى فقرا ذلك البلد
سقط عنه الفرض الا ما حكي عن عمر بن عبد العزيز فانه رد صدقة حملت من خراسان الى
الشام فردها الى مكاه من خراسان والله اعلم قوله تعالى **ومنهم الذين يؤذون النبي**
ويقولون هو اذن تزلت في جماعة من المناققين كانوا يؤذون رسول الله ويعيبونه ويقولون
ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانما نخاف ان يبلغنا ما تقولون فينتع بنا فقال الجلاس بن سويد
وهو من المناققين بل نقول ما شئنا من انية ما قلنا وخلف فيصد قنا بما نقول فانما محمد
اذن اي اذن سامعه كل ما يقال له فيقبله وقيل معنى هو اذن اي ذواذ سامعه وقال
ابن اسحاق تزلت في رجل من المناققين يقال له بنسب من الحرث وكان اذم شاعر الشعراء احمد
العينين اسنع الحسن مشوه الخلقة وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم **كلم من احب ان ينظر اليه**
الشیطان فليست لي بنسب من الحارث وكان يتم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المناققين فقبل
له لا تنقل ذلك قتالا انما هو اذن من حديثه شيئا صدقة فنقول ما شئنا من انية وخلف له
فيصد قنا فانزل الله هذه الآية ومقصود المناققين بقوله هو اذن انه ليس بعبد غور بل
هو سليم سريع الاعتذار بكل ما يسمع فاجاب الله تعالى عنه بقوله **قل اذن خير لكم** يعني هب
انه اذن لكنه اذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعني انه ستم خير وصالح
لا ستم شر وفساد وفري اذن خير لكم من نوعين مؤنين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم
خير لكم من ان يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بقوله **يومن بالله ويومن للمؤمنين** يعني انه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل
قول المناققين وانما عدي الايمان بالله بالايان للمؤمنين باللام لان الايمان بالله
هو فقيض الكفر فلا يعدي الا بالايان قال امتن بالله والايان للمؤمنين معناه تصديق
المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله انؤمن لك وقوله امتن له **ورحمة**
اي هو رحمة للمؤمنين امنوا منكم وانما قال منكم لان المناققين كانوا يزعمون انهم مؤمنون
فبين الله تعالى انه رحمة للمؤمنين المخلصين لا المناققين وقيل في كونه صلى الله عليه وسلم
رحمة لانه يحوي احكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن احوالهم ولا يفتك اسرارهم
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يعني في الاخرة قوله عز وجل **يخلفون بالله**
لهم ليرضوا قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المناققين فيهم الجلاس بن سويد وقوة
ابن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فحق شتم من
الحمير وكان عندهم غلام من الانصار واسمه عامر بن قيس ففقدوه وقالوا هذه المقالة
نغضب الغلام من قولهم وقالوا والله انما يقول محمد حق وانتم شتمون الحمير شرا في النبي صلى الله
عليه وسلم واخبره فدعا حمير فاسا لهما فافكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم
كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجعل عامرا يدعوا يقول اللهم صدق الصادق
وكذب الكاذب فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل والكلي تزلت في رهط من المناققين

صلى الله عليه وسلم
ونكره

تخلعوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوه بعثت ذرون التيه وتحلفون
فاترك الله هذه الآية والمعني تحلفون لكم اي المؤمنون هؤلاء المنافقون ليسوا بكم يعني فيما
بلغكم عنهم من اذي رسول الله صلى الله عليه وسلم **والله ورسوله احق ان يرضوه** اختلفوا في
معني هذا الضمير اي ماذا يعود فقيل الضمير على الله تعالى لان في رضا الله رضي رسول
صلى الله عليه وسلم والمعني **والله احق ان يرضوه** بالحقبة والالاخلاص وقيل يجوز ان يكون
المراد يرضوها فاكفي بذكر احدهما عن الآخر وقيل معناه والله احق ان يرضوه وكذلك روى
ان كانوا موثقين يعني ان كانت هاتوا المنافقين صدقين بوعده الله ووعده في الاخرة قوله
تعالى **الم يعلموا** قالوا اهل المعاني لم تعلم خطاب لمن علم شيئا من نبيه وانكره فيقال له لم تعلم انه كان
كذبا وكذا لما طالت طارمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهر المؤمنين والمنافقين
وعلم احكام الدين وما يحتاجون اليه مخاطب المنافقين بقوله لم يعلموا يعني شرايع الدين
الذي علمهم رسولنا **من حاد والله ورسوله** يعني انه من تخالف الله ورسوله واصل الحادة
في اللغة الحاة لغة والمجانبية والمعاداة واشتقاقه من اهدى اذ اذ صار
في غير حده وخالفه في امره وقيل معني حاد والله ورسوله اي حارب الله ورسوله **فان له نار**
جهم اي فحق ان له نار جهنم **خالدا فيها** يعني على الدوام **ذلك الخزي العظيم** يعني ذلك الخلود
في نار جهنم هو العنت العظيمة قوله عز وجل **حذر المنافقون** يعني تحي المنافقون
ان تزل عليهم سورة يعني على المؤمنين **تنبهم** يعني تحذر المؤمنين **بما في قلوبهم** يعني بما في
قلوب المنافقين من الحسك والعداوة للمؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم
يذكرون المؤمنين بسوء ويسبونه ويخافون العنتية ونزول القرآن في شأنهم قال
قتادة وهذه السورة كانت تسمى القاضية والمبعثرة **والتي تارة** يعني ايضا فضحت المنافقين
وبعثت عن اخبارهم وانارها وحفرت عن مخايرهم ومثايلهم وقال ابن عباس انزل الله
ذكر سبهم رجلا من المنافقين باسمهم واسم ابائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة منه على
المؤمنين لئلا يجيب بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مؤمنين **قل استهزوا** امرهم يدهو
كقوله اعلوا واشيعتم **ان الله يخرج** اي مظهر ما تخدرون والمعني ان الله تعالى يظهر لي
الوجود ما كان المنافقون يستترونه ويخفونه عن المؤمنين قال ابن كيسان نزلت هذه
الاية في اثني عشر رجلا من المنافقين وبقوا الرسول صلى الله عليه وسلم على العقبة لما
رجع من غزوة تبوك ليقتلوا وجه اذا علاها وتكرواله في ليلة مظلمة فاجبر جبريل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد اضروا امره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه
رواحلهم وكان معهم عمار بن ياسر يقولوا قد رقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديقة يسوقها
فقالت ليدفعه اضرب وجوه رواحلهم فضر بها حديقة حتى خاها عن الطريق فلما نزل قال
لحديقة من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانهم فلان وفلان حتى عد لهم كلهم فقالا حديقة هل بعثت اليهم من يقتلهم قالوا كره ان
تقول العرب لما ظفرا صحابه اقبل يقتلهم بل كفنناهم الله بالديلة **عن قيس بن عباد**
قال قلت لعلي بن ابي طالب قتلكم اربارا بتموه فان الرأي يحكي ويصيب ام عهد عهد اليكم رسول

الله على شاك

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالنا عهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهد الي الناس
كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في امي قال شعبة واحسبه قال احدثني حذيفة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في امي اثني عشر من لا يدخلون الجنة ولا يخرجون
منها حتى يسلح الجلي في سم الجياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة خراج من نار تظهر في اكافهم
حتى تجمر من صدورهم قوله تعالى **ولين سالتهم ليقولوا انما كنا نخوض ونلعب** الآية
وسب نزولها على ما قال زيد بن اسلم ان رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك
ما لقرائنا اربنا بطونا والكذبنا السنة واجمنا عند اللقاء فقال له عوف بن مالك لذيبت
ولخل منافق ولا خزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه قال زيد قال لعبد الله بن عمر فطعت اليه يعني الى
المنافق متعلقا بحقت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تتكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض
ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه ورسوله كنتم تستهزون ما يزيد
قال محمد بن اسحق الذي قال له هذه المقالة فيما بلغني هو وديعة بن ثابت اخو بني امية بن
زيد بن عمرو بن عوف وقال قتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين
يديه ناس من المنافقين فقالوا ليرجو هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيئات
هيئات فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم ففعل بني الله صلى الله عليه وسلم احبوا على
الركب فانهم فقالوا قلم كذا وكذا فقالوا يا بني الله انما كنا نخوض ونلعب فاترك الله فيهم
ما سمعون وقال الكلبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين
يديه ثلاثة نفر من المنافقين اشاد يستهزان بالقرآن والرسول والثالث يضحك فيل
كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدينتهم ما بعد من ذلك وقيل كانوا يقولون
ان محمدا يزعم انه نزل في اصحابنا قرآن انما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه
وسلم على ذلك فقال احسوا على الركب قدعاهم وقال لهم قلم كذا وكذا فقالوا انما كنا
نخوض ونلعب ومعني الآية **ولين سالتهم** هو المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم
ليقولون انما كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب ينقطعون
الطريق بالحدث واللعب واصل الخوض الدخول في ما يبع كالماء والطين ثم كثر استعماله حتى
صار يستعمل في كل دخول في تلويث واذا **قل اي لايامها ولا المنافقين اياه واياته**
ورسوله كنتم تستهزون فيه توبيخ وتقدير للمنافقين وانكار عليهم والمعني كيف
يقدمون على ايقاع الاستهزاء بالله يعني بقدر اضر الله وحدوده واحكامه والمراد باياته
كتابه ورسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فيحتل ان المنافقين لما قالوا كيف بقدر عهد
على اخذ حصون الشام قال بعض المسلمين يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما **الله**
يشعر بالقدح في قدرة الله وانما ذكر ذلك على طريق الاستهزاء قوله عز وجل **لا تقصدوا**
قد كفرتم بعد ايمانكم يعني قتلها ولا المنافقين لا تعتدروا بالباطل ومعني الاعتذار
محو اثر الوجوه من قلب المعتذر اليه وقيل معني العذر قطع الائمة عن الجاني قد
كفرتم بعد ايمانكم يعني ان الاستهزاء بالله كفر والاقدام عليه يوجب الكفر لهذا قال

م
ج

م
ج

تعالى لا تقتدروا وقد كفرتم بعد ايمانكم فان قلتم ان المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم قلتم معناه اظهرتم الكفر بعد ما كنتم قد اظهرتم الايمان وذلك ان المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستبعاد منهم وهو كفر قيل لهم قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين قوله تعالى **ان يخف عن طائفة منكم طائفة بائناهم كانوا مجرمين** ذكر المفسرون هنا ان الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة والاشان طائفة والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد فلما اطلق لفظ الطائفة على الواحد وقال محمد بن اسحاق الذي عني عنه رجل واحد وهو مخشي بن حبيب لا يخفى انما هو الذي كان يضحك ولا يخوض وقيل انه كان يمشي بجانبهم ويكلمهم بعض ما يسمع فكان ذنبه اخف فلما تزلت الآية تاب من نقاته ورجع الى الاسلام وقال اللهم اني لا ازال اسع اية تقري اعني لا تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفائي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غلبت انا كفت انا فنت فاما صيب يوم اليمامة ولم يعرف احد من المسلمين مضره قوله تعالى **المنافقون والمنافقات** بعضهم يعني انهم على امر واحد ودين واحد مجتمعون على النفاق والاعمال الخبيثة كما يقول الانسان لغيره انا منك وانت مني اي امرنا واحد لا مباينة فيه **يا مرون بالمنكر** يعني يا سر بعضهم بعضنا بالشرك والعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم **وينهون عن المعروف** يعني عن الايمان والطاعات وقصدوا الرسول صلى الله عليه وسلم **ويقبضون ايديهم** يعني عن الاتفاق في سبيل الله وفي كل خير **نسوا الله فنسيهم** هذا الكلام لا يمكن اجراؤه على ظاهره لاننا لو حملناه على النسيان الحقيقي لم يستحقوا الذم عليه لان النسيان ليس في وسع البشر دفعه وايضا فان النسيان في حق الله محال ولا بد من التأويل وقد ذكرنا فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا امر حجة صاروا بمنزلة الناسين له فجازاها بان صيرهم بمنزلة المنسيين ثوابه ورحمته فخرج على من اوجه الكلام فهو كقوله وجزا سيرة مثلها الوجه الثاني ان النسيان عند الذكور فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فمن ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيئا لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله والايمان به تركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في العقب **ان المنافقين هم الفاسقون** يعني هم الخارجون عن الطاعة وعد الله المنافقين والمنافقات **والكفار** يقال وعد بالخير وعد بالشر وعيدا فالوعيد يكون في الخير والشر **نار جهنم خالدين فيها** فيه حذف تقديره بان يصالونها خالدين يعني مقيمون فيها **هي حطبهم** يعني هي كافتهم جزا على كفرهم ونفاقهم وتركهم الايمان والطاعة **والنعم الله** يعني واعدهم من رحمته وطردهم عن بابه **ولهم عذاب عظيم** اي دايما لا ينقطع فان قلتم **قل** ليس ذلك تكرارا وبيان الفرق من وجهين الاول ان معناه ولهم نوع اخر من العذاب المقيم سوي الصلي بالنار ولقائل ان يقول هذا التاويل مشكلا لانه تعالى قال في النار هي حطبهم وذلك مجتمع من ضم شي اخر الى عذاب النار واجيب عن هذا الاشكال بان قوله هي حطبهم في الايلاء ولا يستنع

ان يحصل

ان يحصل نوع اخر من العذاب من غير حطب النار كالزهر وبر ونحوه ويكون ذلك زيادة في عذاب الوجه الثاني ان العذاب المقيم هو العذاب المحل لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف الطالع المسلمين عليهم ونام فيه من النفاق وكشف فضائهم وهذا هو العذاب المقيم وقوله تعالى **كالذين من قبلهم** هذا يرجع من الغيبة الى خطاب المصنوع والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كالذين من قبلهم فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمعروف والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة وقيل انه تعالى شبه المنافقين في عدوهم عن طاعة الله واتباع الامر لا جلا طلب الدنيا من قبلهم من الكفار وشبه الكفار بانهم كانوا اشد من هاهنا والمنافقين قوة واكثر اموالا واولاد اقوال **كانوا اشد منكم قوة** يعني بطشاً ومنعة **واكثر اموالا واولاد** **فاستمتعوا** **اخلاقهم** يعني فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بها عوضا من الآخرة والحلاق النقصيب وهو ما خلق للانسان وقدر له من خير كما يقال قسم له **فاستمتعتم** **اخلاقكم** وهذا خطاب للماضين يعني فتمتعتم اي الموصون بالمنافقون والكافرون بخلاقكم **كما استمتع الذين من قبلكم** **اخلاقهم** فان قلتم **ما الفائدة في ذكر الاستمتاع** بالخلق في حق الاولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم اعاد ذكره في حق الاولين ثالثا قلنا **و** فائدة ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاها هم بها وتركوا النظر في ما يصلحهم في الدار الآخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم ثم رجع الى ذكر حال الاولين ثالثا وهذا كما تريد ان تبكت بعد الظلمة على فتح ظلمة فيقول له انت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير حق وانت تفعل مثل ما كان يفعل فالتكرير هنا للتأكيد وتقييم فعلهم وفعل من شابههم في فعلهم وقوله **وحضنكم كالذي خاضوا** انعطوف على ما قبله ومستند اليهم يعني وسلتم في فعلكم مثل ما سلكتوا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستمرار بالمؤمنين **اولئك** **حيطت اعمالهم** يعني بطلت اعمالهم في الدنيا والآخرة **اولئك هم الخاسرون** والمعنى انه كما بطلت اعمال الكفار الماضين وخسروا تبطل اعمالهم اي المنافقون ويخسرون عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تتبعن سبيل من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتهم قلنا يرسل الله اليهود والنصارى قال لا فرق قوله تعالى **الم ياتهم** رجع الخطاب الى الغيبة يعني الميات هاهنا والمنافقين والكفار وهو استعظام المعنى التقدير يعني قد اتاهم **نبا** يعني خبر **الذين من قبلهم** يعني الامم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف اهلكناهم يعني خالفوا امرنا وعصوا رسالتنا ثم ذكرهم فقال تعالى **فومر نوح** يعني انهم اهلكوا بالطوفان **وعاد** اهلكوا بالريح العقيم **ونود** اهلكوا بالرجفة **وقوم ابراهيم** اهلكوا بسلب النعمة وكان هلاك نود وبعوضة **واصحاب مدائن** وهم قوم شعيب اهلكوا بعذاب يوم الظلة **والنقبات** يعني المنقبات التي جعل الله عاليها سافلها وهي مدائن قوم لوط واما ذكر الله هذه الطوائف الستة لان

انما هم باقية في بلادهم الشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من ارض العرب فكانوا يمشون عليهم
 ويعرفون اخبارهم **انتم وبنوهم بالبينات** يعني بالمعجزات الباهرة والبر الواضحات الدالة
 على صدقهم فكذبهم وخالفوا امرنا كما فعلتم ايها الكفار والمنافقون فاجدوا ان يصيبكم مثل
 ما اصابهم فتجمل لكم الثقة كما عجلت لهم **فكان الله ليظلمهم** يعني بتجمل العقوبة لهم **ولكن كانوا**
انفسهم يظلمون يعني ان الذي استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم انفسهم قوله عز وجل
والذين آمنوا والذين هادوا فماتوا قبل ان يبعث الله رسلنا اليهم فماتوا على ما كانوا على
والاوهال الفاسدة فذكر بعد ما اعد لهم من انواع الكرامات الوعيد في الدنيا والاخرة عقبه
 بذكر اوصاف المؤمنين واعمالهم الحسنة وما اعد لهم من انواع الكرامات والخيرات في الدنيا
 والاخرة فقال تعالى والمؤمنون والمومنات بعضهم اوليا لبعض يعني الموالاة في الدين واتفاق
 الكلمة والعون والتصرة فان قلت **انه تعالى قال في وصف المنافقين بعضهم من**
 بعض وقال في وصف المؤمنين بعضهم اوليا بعضهم الفائدة في ذلك قلت لما كان تفارق
 الاتباع وكفرهم انما حصل بتقليد المتبوعين وهم الروسا والاكابر وحصل مقتضى الطبيعة ايضا
 قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته
 لا بمقتضى الطبيعة وهو في النفس وصفهم بان بعضهم اوليا بعض فظهر الفرق بين الغريبين
 وظهرت الفائدة وقوله تعالى **يا مرون بالمعروف** يعني باليمان بالله ورسوله واتباع امره
 والمعروف كلما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة **وبنهون عن المنكر** يعني عن الشرك والمعصية
 كلما ينكر الشرع وينفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون وضده
وبيعون الصلاة يعني الصلاة المفروضة ويهتدون اركانها وحدودها **ويؤتون**
الزكاة يعني الواجبة عليهم وهي في مقابلة ما يقضون ايديهم **ويطيعون الله ورسوله**
 يعني فيما امرهم به وهو في مقابلة تسوا الله فسيهم **اوليك** يعني المؤمنين والمومنات
 الموصوفين بهذه الصفات **سبحهم الله** لما ذكر الله ما وعد به المنافقين من العذاب
 في نار جهنم ذكرنا وعد به المؤمنين من الرحمة والرضوان وما اعد لهم في الجنات والسين
 في سبيلهم **الله المباليغة والتاكيد** ان الله عز وجل حكيم وهذا يوجب المبالغة في الترغيب
 والترهيب لان العزيز هو الذي لا تمنع عليه شي اراده فهو قادر على ايصال الرحمة لمن
 اراد وايضا لا يعقوبة لمن اراد والحكيم وهو الذي يدبر عبادته على ما يقتضيه العدل
 والانصاف **وعند الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار** **خالدين فيها**
 لما ذكر الله في الايات المتقدمة وعيد المنافقين وما اعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر
 في هذه الآية ما وعد به المؤمنين من الخير والثواب والمراد بالجنات التي تجري من تحتها
 الانهار البساتين التي تجري فيها نهارا لانه تعالى قال **وساكن طيبة في جنات**
عدن والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه فتكون جنات عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات
 وما ظرهم الجنات التي هي البساتين فتكون جنات عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات
 الاخرى البساتين التي تنزهون فيها فائدة فائدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف
 عليه واغترق بينهما وساكن طيبة يعني ومنازل يسكنونها طيبة في جنات عدن يعني

بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به روي الطبري بسند عن عمران بن حصين وابي
 هريرة قال لا سبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية وساكن طيبة في جنات عدن قال قصر
 من لولة في ذلك القصر سبعون فراشا من كل لون وعلى كل فراش زوجة من المور العين في كل بيت
 سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطي المور
 في غداه من القوة ما ياتي على ذلك كله اجمع وروي بسند عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عدن داره يعني دار الله التي امر بها عين ولم تخطر على قلب بشر وهي مسكنة
 ولا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله عز وجل
 طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فان صحت هذه الرواية فلا بد من تأويلها فقوله عدن
 داره يعني دار الله هو من باب حذف المضاف تقديره عدن دار الله التي اعد لها اوليا به واهل
 طاعته والمقربين من عبادته عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة
 انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا اليهم
 الا ردوا الكبرياء على وجهه في جنة عدن اخرجها البخاري وسلم وقال عبد الله بن مسعود
 عدن بطنان الجنة يعني وسطها وقال عبد الله بن عمر بن العاص ان في الجنة قصرا يقال
 له عدن حوله البروج والروح له خمسة الاف باب لا يدخله الا النبي او صديق او شهيد
 وقال عطاء بن السائب عدن نهر في الجنة جنانه على خافيه وقال مقاتل والكلبي عدن على
 درجة في الجنة فيها عين التسنيم والجنات حولها محقة بها وهي مغطاة من حين خلقها الله اتي
 حتى ينزلها اهلها الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شأ الله وفيها قصور الدر
 والياقوت والذهب فيها من ربح طيبة من تحت العرش فتدخل كنيان المسك الابيض في
 الامام فخر الدين حاصر هذا الكلام ان في جنة عدن قولين احدهما انه اسم على موضع
 معين في الجنة وهذه الاخبار والاثر تقوي هذا القول الثاني صاحب الكتاب وعدن
 علم يدل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عبادته والقول الثاني انه صفة
 للجنة قال الازهري عدن مأخوذ من قولك عدن بالمكان اذا اقام به بعدن عدونا
 فهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن وقوله تعالى **ورضوان من الله اكبر**
 يعني ان رضوان الله الذي ينزله عليهم اكبر من كل ما سلف ذكر من نعيم الجنة والرضوان
 نعيم الجنة **وذلك القول العظيم** اشارة الى ما تقدم ذكر من نعيم الجنة والرضوان **وعن**
 ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول لا اهل
 الجنة يا اهل الجنة فيقولون ليك ربنا وسعديك والخير في يدك فيقول رضيتم فيقولون
 وما لنا لا نرضي يا ربنا وقد اعطينا ما لم نعط احد من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من
 ذلك فيقولون واي شي افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط بعدكم عليكم
 ابا قوله تعالى **يا ايها النبي جاهد الكفار** يعني بالسيف والحاربة والقتال **والمنافقين**
 يعني وجاهد المنافقين واختلفوا في صفة نجهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف
 ان المناقيل الذي يسطر الكفر ويظهر الاسلام ولما كان لا مركة لكم بحزب جاهدته بالسيف
 والقتال لاظهاره الاسلام فقال ابن عباس امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف

في جنة عدن
 روي الطبري بسند
 عن عمران بن حصين
 وابي هريرة
 قال لا سبل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 عن هذه الآية
 وساكن طيبة
 في جنات عدن
 قال قصر من لولة
 في ذلك القصر
 سبعون فراشا
 من كل لون
 وعلى كل فراش
 زوجة من المور
 العين في كل بيت
 سبعون مائدة
 على كل مائدة
 سبعون لونا
 من طعام في كل
 بيت سبعون
 وصيفة ويعطي
 المور في غداه
 من القوة ما ياتي
 على ذلك كله
 اجمع وروي بسند
 عن ابي الدرداء
 قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 عدن داره يعني
 دار الله التي امر
 بها عين ولم تخطر
 على قلب بشر وهي
 مسكنة ولا يسكنها
 معه من بني آدم
 غير ثلاثة النبيين
 والصديقين والشهداء
 يقول الله عز وجل
 طوبى لمن دخلك
 هكذا رواه الطبري
 فان صحت هذه
 الرواية فلا بد من
 تأويلها فقوله
 عدن داره يعني
 دار الله هو من
 باب حذف المضاف
 تقديره عدن دار
 الله التي اعد لها
 اوليا به واهل
 طاعته والمقربين
 من عبادته عن ابي
 موسى ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 قال جنتان من فضة
 انيتهما وما فيهما
 وجنتان من ذهب
 انيتهما وما فيهما
 وما بين القوم وبين
 ان ينظروا اليهم
 الا ردوا الكبرياء
 على وجهه في جنة
 عدن اخرجها البخاري
 وسلم وقال عبد الله
 بن مسعود عدن
 بطنان الجنة يعني
 وسطها وقال عبد الله
 بن عمر بن العاص ان
 في الجنة قصرا يقال
 له عدن حوله البروج
 والروح له خمسة
 الاف باب لا يدخله
 الا النبي او صديق
 او شهيد وقال عطاء
 بن السائب عدن نهر في
 الجنة جنانه على
 خافيه وقال مقاتل
 والكلبي عدن على
 درجة في الجنة فيها
 عين التسنيم والجنات
 حولها محقة بها
 وهي مغطاة من حين
 خلقها الله اتي حتى
 ينزلها اهلها الانبياء
 والصديقون والشهداء
 والصالحون ومن شأ
 الله وفيها قصور
 الدر والياقوت والذهب
 فيها من ربح طيبة
 من تحت العرش فتدخل
 كنيان المسك الابيض
 في الامام فخر الدين
 حاصر هذا الكلام ان
 في جنة عدن قولين
 احدهما انه اسم على
 موضع معين في الجنة
 وهذه الاخبار والاثر
 تقوي هذا القول
 الثاني صاحب الكتاب
 وعدن علم يدل قوله
 جنات عدن التي وعد
 الرحمن عبادته والقول
 الثاني انه صفة
 للجنة قال الازهري
 عدن مأخوذ من قولك
 عدن بالمكان اذا
 اقام به بعدن عدونا
 فهذا الاشتقاق
 قالوا الجنات كلها
 جنات عدن وقوله
 تعالى **ورضوان من
 الله اكبر** يعني ان
 رضوان الله الذي
 ينزله عليهم اكبر من
 كل ما سلف ذكر من
 نعيم الجنة والرضوان
 نعيم الجنة **وذلك
 القول العظيم** اشارة
 الى ما تقدم ذكر من
 نعيم الجنة والرضوان
وعن ابي سعيد
 الخدري قال قال رسول
 الله صلى الله عليه
 وسلم ان الله تبارك
 وتعالى يقول لا اهل
 الجنة يا اهل الجنة
 فيقولون ليك ربنا
 وسعديك والخير في
 يدك فيقول رضيتم
 فيقولون وما لنا لا
 نرضي يا ربنا وقد
 اعطينا ما لم نعط
 احد من خلقك فيقول
 الا اعطيكم افضل من
 ذلك فيقولون واي
 شي افضل من ذلك
 فيقول احل عليكم
 رضواني فلا اسخط
 بعدكم عليكم ابا
 قوله تعالى **يا ايها
 النبي جاهد الكفار**
 يعني بالسيف
 والحاربة والقتال
والمنافقين يعني
 وجاهد المنافقين
 واختلفوا في صفة
 نجهاد المنافقين
 وسبب هذا الاختلاف
 ان المناقيل الذي
 يسطر الكفر ويظهر
 الاسلام ولما كان
 لا مركة لكم بحزب
 جاهدته بالسيف
 والقتال لاظهاره
 الاسلام فقال ابن
 عباس امر الله نبيه
 صلى الله عليه وسلم
 بجهاد الكفار بالسيف

بالسيف والمنافقين باللسان واذهب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك ايضا وقال ابن مسعود ويده
فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلمه فان لم يستطع فليكن سري وجهه وقال الحسن وقتنا
باقامة الحدود عليهم يعني اذا تعاطوا اسبابها وهذا القول فيه بعد لان اقامة الحدود واجبة
عليهم ليس منافق فلا تغلق لا قامة الحدود على المنافق وانما قال المنافق الحسن وقتادة ذلك
لان غالب من كان يتعاطى اسباب الحدود فتقام عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والمنافقين
قال الطبري واولي الاقوال قول ابن عباس لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية
على وجوب جهاد المنافقين وليس في الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل متصل وقد
دلت الدلائل المنفصلة ان الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجية
عليهم تارة وبترك الرفق تارة وبالاتهام تارة وهذا هو قول ابن مسعود **واعظ عليهم** يعني
استد عليهم بالجهاد والارهاب **وما اوامهم جهنم وبئس المصير** يعني ان جهنم سكنهم وبئس
المصير مصيرهم اليها فان قل **كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين**
بين اظهر اصحابه مع علمهم وعما لهم قل **انما امر الله عز وجل بنبيه صلى الله عليه**
وسلم بقتال من اظهر كلمة الكفر واقام على اظهارها فاما من تكلم بالكفر في السر فاذا اطلع
عليه انكره ورجع عنه وقال ابو مسلم فانه يحكم باسلامه في الظاهر في حقن دمه وماله
وولده وان كان معتقدا غير ذلك في الباطن لان الله تعالى امر باجرا الاحكام على الظواهر فذلك
اجري النبي صلى الله عليه وسلم والمنافقين على ظواهرهم وكل سرايرهم الى الله تعالى العالم
باحوالهم وهو مجازيهم في الاخرة مما يستحقونه قوله عز وجل **يخلفون بالله ما قالوا ولقد**
قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اختلف المفسرون فمن نزلت هذه الآية
فقال عمرو بن الزبير نزلت في الجلاس بن سويد اقبل هو وابن امراته مصعب بن قبا فقال
الجلاس ان كان ما جاء به ممدوح لخصي اشترى من حميرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب اما والله
يا عدو الله لا خبرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت ان ينزل في القرآن وان
يصيبني قارعة او ان اخلط بخطية فاني انت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت برسول الله اقبلت
انا والجلاس من قبا فقال كذا وكذا ولولا مخافة ان اخلط بخطية او تصيبني قارعة ما اخبرتك
قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس اقلت ما قال مصعب فقلت ما قال فائز الله عز وجل
يخلفون بالله ما قالوا الآية وروي عن مجاهد ونحوه وقال ابن عباس كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال انه سياتيكم انسان فينظر اليكم يعني الشيطان
فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلتفتوا ان طلع رجل اذرق قد عاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يلاهم تستمعي انت واصحابك فاطلق الرجل تجا باصحابه فخلعوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز
عنهم فانزل الله عز وجل **يخلفون بالله ما قالوا ثم نعمت جميعا الى اخر الآية** وقال قتادة ذكرنا
ان رجلين اقتتلا احدهما من جهينة والاخر من غفار وكانت جهينة حلفا الانصار فظفر
الغفاري على الجهفي فقال لعبد الله بن مسعود لا اوس انصروا اخاكم فوالله ما شئنا ومثل محمد
الا كما قال الغفاري من كليك يا كلك وقال ابن رجعتا الى المدينة ليجرحن الاعز من الازل
فسيحارجل من المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسل اليه فساله فحلف بالله

ما قالوا

ما قاله فانزل الله هذه الآية هذه روايات الطبري وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بنبوك فذكر المنافقين وبنهم رجسا
وعظهم فقال الجلاس بن كان محمدا ذات الخ شمر من الجلاس فقال الجلاس كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة اتاه عامر بن قيس واخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله
ولقد كذب علي عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ولقد قاله وما كذبت عليه شمر
يرفع عامر يدك الى السماء فقال اللهم انزل علي نبيك تصديق الصادق منافقا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم والمؤمنون امين فانزل جبريل قبل ان يتفرقا هذه الآية حتى يبلغ فان يتوبوا يكفر الله
فقام الجلاس فقال لرسول الله اسع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله ولقد
قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه شرابا وحسنت
توبته فذكر قوله يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم يعني اظهروا
كلمة الكفر بعد الاسلام وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه وسلم فقبل في كلمة الجلاس بن سويد
لين كان محمدا ذات الخ شمر من الجلاس فقتل كلمة بن ابي ساول لين رجعتا الى المدينة ليجرحن الاعز
من الازل وستاتي القصة في موضعها في سورة المنافقين ان شاء الله تعالى قوله تعالى **ولقد**
قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم ان يفتشها عليه وقيل لعبد الله بن
ابي ساول وكان الذي هم قوله لين رجعتا الى المدينة فلم ينله وقيل لهم اثنا عشر من المنافقين
بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعوا على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجا جبريل
عليه السلام فاخبره وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه راحلهم فارسل حديفة فاخبره
لذلك وقال السدي قال المنافقون اذا رجعتا الى المدينة عقدنا على راس عبد الله بن ابي ساول
تاجا فلم يصلوا اليه **وما تقولون الا ان اغناهم الله ورسوله** يعني وما انكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم شيئا الا اغناهم الله ورسوله من فضله والمعني ان المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا
موضع شكر النبي صلى الله عليه وسلم ان نفوا عليه وقيل انهم بطروا النعمة فنقضوا الشرا وبطروا وقال
ابن قتيبة معناه ليس ينقون شيئا ولا يعتزفون من الله الا الصنع وهذا القول الشاعر
ما نغم الناس من امية الا انهم يحكمون ان غضبوا
وهذا ليس مما ينغم فانما اراد الناس لا ينقون شيئا فهو القول النابعة عليهم
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم فمن قول من فزع الكليب
اي ليس فيهم عيب وقال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في منكم من العشر فلما
قدم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم فبطل هذا القول يكون الكلام عاما وقال عمرو
كان الجلاس قتل مولى له فامر له النبي صلى الله عليه وسلم بدية فاستغنى وقال قتادة كانت
لعبد الله بن ابي ساول دية فاخر جهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعكرمة ان مولى النبي
عدي قتل رجلا من الانصار فقصي له النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر الفا وفيه

نزلت وما تقوا الا ان اغنام الله ورسوله من فضله **فان يتوبوا اليك خيرا لهم** يعني فان يتوبوا
من كفرهم ونفاقهم يكن ذلك خيرا لهم في العاجل والاجل **وان يتوبوا** يعني وان يعرضوا عن
الايان والتوبة ويصروا على النفاق والكفر **بعدهم عذابا الينا** يعني بالخير **الدنيا** يعني بالخير
والادلال **والاخرى** اي ويعذبهم في الآخرة بالنار **وما لهم في الاخرة من شيء** يعني وليس
لهم احد منهم من عذاب الله او ينصرون في الدنيا والآخرة قوله تعالى **ومنهم من عاهد الله لئن**
اتانا الله فضلا لننصه الآية روي البغوي بسند الثعلبي عن ابي امامة الباهلي قال اجابوا طرب
ثعلبة الانصاري الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يرسل الله ادع الله ان يرزقني مالا
فتادرسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل قودي شكره خير من كثيره فخطبته
ثم اتاه بعد ذلك فقال رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فتادرسول الله صلى الله عليه وسلم
امالك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير الجبال معي ففصة وذهب
لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا والذي بعثك بالحق ان
رزقني الله مالا لالا اعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق
ثعلبة مالا قال فاحذ عنما فتمت كما يجموا الدود فضاقت عليه المدينة فتخرج عنها فنزل
وايامن اوديتها وهي تسمى كايمن الدود فكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر
والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ومنت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد
الاجلعة ثم كثرت ومنت حتى تباعد عن المدينة ايضا حتى كان لا يشهد جمعة ولا جامعة فكان
اذا كان يوم جمعة خرج يتلقى الناس بينا لهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها واذ فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا وبع ثعلبة يا وبع ثعلبة فأتاه ثعلبة فأتاه الله اية الصدقة فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من بني جهينة وكتب لها انسان الصدقة وكيف
ياخذان وقالا لها امر علي ثعلبة بن خاطب ورجل من بني سليم فحذا صدقاتهما فخرجا حتي
اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الاجزية ما هذه
الاخت الجزية اء ما ختي اري قال فاقبل فلما راها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل ان يتكلم
يا وبع ثعلبة يا وبع ثعلبة يا وبع ثعلبة ثم دعا للسلح محبر فاخبراه بالذي صنع ثعلبة فانزل الله
فيه ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله الآية الي قوله وبما كانوا يلذبون وعند رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة سمع ذلك فخرج حتي اتاه فقال ويحك يا ثعلبة
لقد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتي اتى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسال له ان يقبل
منه صدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك صدقة ففعل حتي علي راسه التراب
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا علك قد امرتك فلا تطعني فلما اتى ان يقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة رجع الي منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتي ابا بكر فقال اقبل صدقتي فقال ابو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم

نصيرهم

ايح ثعلبه

رسول

هذا الحديث يدل على ان ثعلبة بن خاطب كان من المنافقين الذين عاهدوا الله على ان لا يخرجوا من المدينة فخرجوا منها فبغضهم الله ورسوله

ما لا احد

فانا لا اقبلها فقبض ابو بكر ولم يقبلها فلما ولي عمر اتاه فقال له اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر فانا لا اقبلها منك فلم يقبلها ولم يقبلها منه وهذا
في خلافة عثمان واخرجه الطبري ايضا بسند قال بعض اهل العلم انما لم يقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم صدقة ثعلبة لان الله تعالى منعني من قبولها منه مجازاة له على اخلافه ما عاهد
الله عليه واهانة له على قوله انما هي جزية او اخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت
صدقة عليه اهانة له وليعتبر غيره به فلا يمنع من قبول الصدقة عن طيب نفس باخراجها
ويري انها واجبة عليه وانه يثاب على اخراجها ويغاب على بيعها وقال ابن عباس ان ثعلبة اتى
بجلسا من مجلس الانصار فاشهدهم لئن اتاني الله من فضله اتيت منه كل ذي حق حقه وصدقت
منه ووصلت القرابة فأت ابن عمر له فورث منه مالا فلم يفت بما عاهد الله عليه فانزل الله
هذه الآية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف
خرجا على ملا فتود فقالا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلافه وقال
ابن السائب ان خاطب بن ابي ليثمة كان له مالا بالتمام فابطأ عليه فجهد لذلك جهدا شديدا
فخلف بالله لئن اتاني الله من فضله يعني ذلك المالا لاصدق منه ولا صلب فلما اتاه الله ذلك
المال لم يفت بما عاهد عليه فنزلت هذه الآية وحاصله ان ظاهرا لاية يدل على ان بعض المنافقين
عاهدوا الله لئن اتاه الله من فضله لصدقن ولينعلن فيه افعال البر والخير والصدقة فلما اتاه
الله من فضله ما سأل لم يفت بما عاهد الله عليه ومعني الآية ومن المنافقين من اعطا الله
لئن رزقنا من فضله بان يوسع علينا في الرزق لنصدقن يعني لنصدقن ونخرج من ذلك
المال صدقة ونكون من الصالحين يعني ولنعلن في ذلك المال ما يعمل اهل الصلاح باوهم
من صلاة الارحام والافتاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكاة وايضا لها
الي اهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذي يحل ما يلزمه في حكم الشرع وقيل
ان المراد بقوله لنصدقن اخراج الزكاة الواجبة وقوله **لنكونن من الصالحين** اشارة
الي كل ما يفعله اهل الصلاح على الاطلاق من جميع اعمال البر والطاعة **فلما اتاهم من فضله**
يخلو اوجبه يعني فلما رزقهم الله فلم يعملوا من اعمال البر شيئا **وتولوا** يعني عاهدوا الله
عليه **ولهم بقرضون** يعني من العهد **فما عاقبهم نفاقا في قلوبهم** يعني فاعقبتهم الله نفاقا بان
صبرهم منافقين يقال عاقبت فلانا ندما اذا صيرت عاقبة امره ذلك وقيل معناه انه
تعالى عاقبتهم بنفاق قلوبهم **الي يوم يلقونه** يعني انه تعالى جرهم التوبة الي يوم
القيامة فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه **ما اخلقوا الله ما وعطوه** يعني الصدقة
والافتاق في سبيله **وبما كانوا يلذبون** يعني في قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين
وقعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا
وعدا خلف واذا ائتمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة وفي رواية خصله منهن كانت
فيه خصلة من نفاق حتي يدعيها اذا حدث كذب واذا عاهد غدروا واذا وعدا خلف واذا

خاصم فخر قال الشيخ محي الدين النواوي هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء شكلا من حيث ان
هذه الخصال قد توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك وقد اجمع العلماء ان من كان
مصدقاً بقلبه ولسانه وفعله هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلد بين
النار فان اخوة يوسف عليهم السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد وجد لبعض السلف
ولبعض العلماء بعض هذا او كله قال الشيخ هذا ليس بحمد الله اشكال ولكن اختلف العلماء
في معناه فالذي قاله المحققون والاكثر هو الصريح المختار ان معناه هذه الخصال
خصال المتقين نفاق وصاحبها يشبه بالمنافقين في هذه الخصال ويختلف باختلافهم فان
النفاق هو اظهر ما يبين خلافه وهذا موجود في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه في حق
من حدثه ووعده وايتمه وخاصه وغاها من الناس لا انه منافق في الاسلام فيظهر وهو
يظن الكفر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم هذا انه منافق نفاقا كذا في المختار في الدرر
الاسفل من النار قوله صلى الله عليه وسلم كان منافقا خالصا معناه ان الله كان شديد الشبه
بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبية عليه
فاما من نذر ذلك قليلا من ذلك حاصل فيه هذا هو المختار في معنى الحديث وقالت جماعة من
العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانهم حدثوا في ايمانهم
فكذبوا وايتموا على دينهم فخانوا ووعده وفي امر الدين ونفسه فاخلعوا ونجسوا في خصلاتهم
وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء بن ابي رباح ورجع اليه الحسن البصري بعد ان كان علي
خلقه وهو مروى عن ابن عباس وابن عمر ورواه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي
عباس واليه مالا اكثر ايمنا وحكي الخطابي قوله اخر ان معناه التقدير للمسلم ان يعتاد
هذه الخصال وحكي ايضا عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي
صلى الله عليه وسلم لا يوافقهم بصدق القول فيقول فلان منافق وانما يشير اشارة كقول
صلى الله عليه وسلم ما بال قولهم يفعلون كذا والله اعلم وقال الامام فخر الدين الرازي ظاهر
هذه الآية تدل على ان نقض العهد وخلت الوعد بوردت النفاق فيجب على المسلم ان يبالغ في
الاحترار عنه فاذا عاهد امر اقل جتهد في الوفاء به وقوله تعالى **يُفْلِمُوا** يعني هؤلاء
المنافقين **ان الله يعلم سرهم** يعني ما تنطوي عليه صدورهم من النفاق **ونحوهم** يعني يعلم
ما ينافون به بعضهم بعضا فيما بينهم والنجوى هو الخفي يكون بين القوم والمعنى انهم يعلمون
ان الله يعلم جميع احوالهم لا يخفي عليه شيء منها **وان الله علام الغيوب** وهذا ما لفته في العلم
يعني ان الله علام بجميع الاشياء فكيف تخفي عليهم احوالهم قوله عز وجل **الذين يلزمون**
المطوعين من المؤمنين في الصدقات الآية عن ابي مسعود البصري قال لما نزلت
اية الصدقة كانوا على ظهورنا فجاء رجل فنقصد في بيتي كثير فقالوا سرا وجا رجل فنقصد
بصاع فقالوا ان الله لغني عن صاع هذا فنزلت الذين يلزمون المطوعين من المؤمنين
في الصدقات **والذين لا يجيدون الاجتهاد** الآية نزلت قال ابن عباس وغيره من المفسرين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف

اهم فليحفظ

درهم وقال رسول الله تعالى ثمانية الاف درهم جنتك باربعة الاف فاجعلها في سبيل الله
ولمستك اربعة الاف لعمري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيها اعطيت
وفيما امسكت فبارك الله في ما اعطاك الرحمن بن عوف حتى انه خلف اثرا من يوم مات فبلغ
ثم ماله ثمانمائة وستين الف درهم وقصدت يومئذ عاصم بن عدي الجعفي بمائة وسبق
من شروجا ابو عقيل الانصاري واسمه الجعفي بصلع من شروقا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى نلت صاعين من شروقا مسكت احدهما لعمري وايتيتك بالآخر فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يثبته في الصدقات فلم يزلهم المنافقون فقالوا لما اعطى عبد الرحمن وعاصم الاربعا
وان الله ورسوله لغنيان عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يترك نفسه ليعطي من الصدقة
فانزل الله تعالى الذين يلزمون المطوعين يعني المتبرعين من المؤمنين يعني عبد الرحمن
ابن عوف وعاصم بن عدي في الصدقات التطوع التتبع لما ليس بواجب عليه والذين لا يجدون
الاجهد هم يعني ابا عقيل الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة اهل الحجاز وبالقبح لغيرهم
قبل الجهد بالضم الطاقة وبالقبح المشقة وقد يكون القليل من المال الذي ياتي به فيصدق
به اكثر من ثمنه عند الله من الكثير الذي ياتي به فيصدق به اقل الغني اخرج ذلك المال الكثير
عن قدرة وهذا الفقير الذي اخرج القليل انما اخرج من ضعف وجهه وقد يوشك المحتاج الى
المال الغني رجاء ما عند الله تعالى كما قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان لهم حفاضة **فليسترون**
منهم يعني ان المنافقين كانوا يستترون بالمؤمنين في انفاقهم المال في طاعة الله وطاعة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو فو لهم لقد كان الله عن صدقة ها ولا غنيا وكانوا يعيرون التقيير
الذي يتصدق بالقليل ويقولون انه لفقر محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابهم ان كل
من يرجوا ما عند الله من الخير والثواب بيد الموجود لينا ذلك الثواب الموعود به وقوله تعالى
تَجَرَّ اللَّهُ مِنْهُمْ يعني انه تعالى جازاهم على سخطهم ثم وصف ذلك وهو قوله **وَهُمْ عَدَاؤُنَا**
الْبُيُوتِ يعني في الاخرة قوله تعالى **استغفر لهم أولا يستغفر لهم** **ان تستغفر لهم سبعين مرة**
قال المنصور لما نزلت الايات المتقدمة في المنافقين وبيان نفاقهم وظهر للمؤمنين جادوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون استغفر لنا فتركت استغفر لهم اولا
تستغفر لهم يا محمد وهذا كلام خرج مخرج الامر ومعناه الخبر تقديره استغفر لهم يا محمد اولا
تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم وانما اخبر السبعين من العدد في الذكر لان العرب كانت
تستكثر السبعين ولهذا كثر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عطي على عهد حنيفة رضي الله عنه
تكميلة ولان احاد السبعين شعبة وهو عدد شريف فان السموات سبع والارض سبع
والايام سبع والافايم سبع والبطر سبع والخمير السبعون سمع فلهم اخص السبعين بالذكر
للمبالغة في الياس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله قد رخص لي مساريدين على السبعين لعن الله ان يغفر لهم فانزل الله سوا
عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم ان يغفر الله لهم **عن ابن عمر** لما نزلت في عبد الله
ابن ابي سبلول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبنا له ان يعطيه ثيابه
يكن فيه اياه ثم سأل ان يصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم **ليصلي فقام** ثم اخذ ثوب

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فداكم ربك ان تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم لولا استغفرتهم لان شئت فقل فاستغفرتهم سبعين مرة وسأزيد على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تنقل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وما تواؤمهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم وقوله تعالى **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** يعني ان هذا الفعل من الله وهو ترك عفوهم ونزل المغفرة لهم من اجل انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله ورسوله **وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** يعني والله لا يوفق للايمان به ورسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله وقوله عز وجل **فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ** يعني فرح المخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتزكك منعتهم يعني منعهم في المدينة خلافا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بعدد وعلي هذا المعنى خلافا لمعني خلف فهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدومه من تركه خلفه فقد تركه بعد وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك واقاموا بالمدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد امرهم بالخروج الى الجهاد فاخاروا القعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى **وَلَا تَرْهَوْنَ** **نَجَاهَهُمْ** و**ابانوا لهم** و**انفسهم في سبيل الله** والمعني انهم فرحوا بسبب التخليف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك ان الانسان يميل بطبعه الى ايتار الراحة والقعود مع الاهل والولد ويكون ابتلاء النفس والمال وهو قوله تعالى **وَقَالَ لَا تَتَّبِعُوا فِي الْحَرْبِ** وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله **فَلَا تَارَ جَهَنَّمَ شَدَحُهَا لَوْ كَانُوا يَعْقِلُونَ** يعني قل يا أيها الذين اختاروا الراحة والقعود خلافا عن الجهاد في الحرفان نار جهنم التي هي موعدهم في الآخرة هي أشد حرًا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الناس ان ينشئوا معه وذلك في الصيف فقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع الخروج ولا يتبعني الحر فقال الله عز وجل قلنا رجعتم أشد حرًا لو كانوا يعقلون فامر الله بالخروج **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا** يعني فليضحك قلة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ترحل قلة في الدنيا الفانية منعهم خلافا **وَلْيَكُونُوا كَالنَّجْمِ** يعني مكان ضحكهم في الدنيا وهذا وان ورد بصيغة الامر لان معناه الاخبار والمعني انهم فرحوا وضحكوا طول اعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة الى بكاها في الآخرة لان الدنيا قانية والآخرة باقية والمنقطع المعاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل **جَاهِدُوا لَكُمْ دِينَكُمْ** يعني ان ذلك البكا في الآخرة جزاؤهم على ضحكهم واعمالهم الخبيثة في الدنيا **خ** عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وروي البغوي بسنده عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا ان تبكوا فنبأوا فان اهل النار يكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى ينقطع الدموع فتسيل الدماقتن في العيون فانوا سفن اجريت فيها لجوت قوله تعالى **فَان رَجَعَكَ اللَّهُ** يعني فان روك الله يا أيها من غزاة هذه

وار

إلى طائفة منهم يعني الى المتخلفين عنك وانما قال منهم لانه ليس كل من تخلف عن غزوة تبوك بالمدينة كان منافقا مثل اصحاب الاعداء **فَأَسْنَأْ ذُلُّوا الْحَرْبَ** يعني فاستأذنك المنافقون الذين تخلفوا عنك وتحققوا نفاقهم في الخروج معك الى غزوة اخرى **فَقُلْ لَنْ يَخْرُجُوا إِلَيْكُمْ** يعني فقل يا أيها الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم لن يخرجوا معي ابدا الى غزاة ولا الى سفر **وَلَنْ يَخْرُجُوا إِلَيْكُمْ** يعني لانكم **رَضِيتُمْ بِالْفُسُوقِ** يعني انتم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك **لَا تَعُدُّوا مَعَ الْحَالِقِينَ** يعني مع المتخلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمني وقال ابن عباس مع الذين اتهم الله تخلفوا بغير عذر وقيل مع الحالفين يقال صاحبه خالف اذا كان مخالفا كثيرا لخلاف وفي الآية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مضا حبه لانه تعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد مشعرا باظهار نفاقهم وفسادهم وطردهم وابطالهم بالمعالم من مكرهم وخداعهم واخرجوا الى العزوات قوله عز وجل **وَلَا تَقْصُصْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا** **أَنْكَرَ** الآية قال قتادة بعث عبد الله بن ابي بن سار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من بني ليانية قال فراه عمر بن ذلك فلما نهي الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك دخل عليه بنو الله صلى الله عليه وسلم قال اهل الكعب اليهود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم ابعث اليك لتوبتي ولكن بعثت اليك لتستغفر لي وسأله قميصه ان يكفن فيه فاعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث في جده ودلا في قبره فانزل الله ولا تنقل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الآية **خ** عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما مات عبد الله بن ابي بن سار دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم وثبت اليه فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني من سارول وقد قال لي يوم كذا وكذا وكذا عدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخرجني يا عمر فلما كثرت عليه قال اما اني خيرت فاخترت لو اني اعلم اني ان ردت على السبعين يغفر له لردت عليه قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تنصروا فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الايتان من بركة ولا تنقل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره اي قوله وهم فاسقون قال فنجت بعد من جرائي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بوميد والله ورسوله اعلم اخرجته الترمذي وزاد فيه **فَأَصْلَحَ** بعد على منافق ولا قام على قبره حتى قميصه الله عن جابر قال اني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بعدما دخل حفرته فامر به فخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه من ريقه واليسه قميصه قاله اعلم قال وكان كسا عباسا قميصا قال سفيان وابوهرون كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان فقال له ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم البر عبد الله قميصك الذي لي جلدك قال سفيان فيرون ان النبي صلى الله عليه وسلم البر عبد الله قميصه مكافاة لما صنع وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر اتي بالانساري واتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب منظر النبي صلى الله عليه وسلم لم يمتصا فوجدوا قميص عبد الله بن ابي بكر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلبس ذلك قميصا صلى الله عليه وسلم قميصه الذي اليسه **فَص** **لَا تَقْصُصْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا** في هذه الاطراف

رسول الله صلى الله عليه وسلم

التي تتغير موت عبد الله بن أبي ملوكة المناقش صوفى اختلاف في الروايات ففي حديث ابن عمر المتقدم انه لما توفي عبد الله بن أبي امية اتي ابنه عبد الله الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه وان يعطيه عليه فاعطاه قميصه وحيث عليه وفي حديث عمر بن الخطاب من افراد البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له ليصلي عليه وفي حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم انا بعد ما ادخل جفرت فامر به فخرج فوصفه على ركبته ونفث عليه من ريقه والبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم اعطاه قميصه فكفن فيه ثم انه صلى الله عليه وسلم ليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله اعلم انه صلى الله عليه وسلم اول ما في حديث عمر بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انا بعد ما ادخل جفرت فخرج منه وخرج عنه القميص الذي اعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم البسه قميصه بعد الكوفة فعمل هذا كله لعبد الله بن أبي تطييبا لقلوب ابنه عبد الله فانه كان يحيا صالحا صالحا مخلصا واما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد في مرضه وانه سأل ان يستغفر له وان يعطيه قميصه وان يعطيه عليه فاعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفث في جملته وكما في جفرت قبره جملته منقطعة عما قبلها يعني انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعد ما اعطاه القميص بعد ان صلى عليه والله اعلم وقال القدراني في شرح صحيح مسلم انه ان عبد الله بن أبي ملوكة كان سيد الخزرج في سعد اخراجا هليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداوة غير انه الاسلام على عليه فمات في مكانه واساني المناقش ولعظم نقا قاراشدهم كغفرا وكان المناقشون كثيرا حتى لقد روي عن ابن عباس انهم كانوا ثلاثا ليلة رجل وناصبه سبعين امرأة وكان ولد عبد الله يعني ولد عبد الله بن أبي من الفضل الصحابه واصدقهم اساما والكثير منهم عبادة واشرحهم صدر او كان ابن الناس بآبيه ومع ذلك فقد قال النبي يوم النبي صلى الله عليه وسلم لم ير رسول الله انك لتعلم اتي من ابر الناس لابي وان لم تاتي ان اشيك براسه فقلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يعفوه عنه وكان من احسن الناس على اسلام آبيه وعلي ان ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يثنى ولد ذلك لما مات ابوه سأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال من بركته فاعطاه وسأله ان يعطيه عليه فصلى عليه كل ذلك الرام لا ابنه عبد الله واسعا فاه ولطلبته وتول عمر اقبل عليه وقد فاك الله ان يفض عليه فاحتمل ان يكون قبل نزول ولا فصل على احد منهم مات ابد او يظهر من هذا السياق ان عمر وقع في خاطر ان الله ناه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديث الذي شدد له به النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحتمل ان يكون فهم من سياق قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم وهذا انما ويلان فيها بعد قال القدراني والذي يظهر لي والله اعلم ان البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وساقه سياقة هي ابر من هذا وليس في هذا اللفظ نقلا عن ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن أبي من ملوكة وعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ولم قال عمر وبثت اليه الحديث ابي قوله فضلي عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى انزلت عليه الايتان من براءة

قصته

صالحا

هذا الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم اعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفث في جملته وكما في جفرت قبره جملته منقطعة عما قبلها يعني انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعد ما اعطاه القميص بعد ان صلى عليه والله اعلم وقال القدراني في شرح صحيح مسلم انه ان عبد الله بن أبي ملوكة كان سيد الخزرج في سعد اخراجا هليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداوة غير انه الاسلام على عليه فمات في مكانه واساني المناقش ولعظم نقا قاراشدهم كغفرا وكان المناقشون كثيرا حتى لقد روي عن ابن عباس انهم كانوا ثلاثا ليلة رجل وناصبه سبعين امرأة وكان ولد عبد الله يعني ولد عبد الله بن أبي من الفضل الصحابه واصدقهم اساما والكثير منهم عبادة واشرحهم صدر او كان ابن الناس بآبيه ومع ذلك فقد قال النبي يوم النبي صلى الله عليه وسلم لم ير رسول الله انك لتعلم اتي من ابر الناس لابي وان لم تاتي ان اشيك براسه فقلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يعفوه عنه وكان من احسن الناس على اسلام آبيه وعلي ان ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يثنى ولد ذلك لما مات ابوه سأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال من بركته فاعطاه وسأله ان يعطيه عليه فصلى عليه كل ذلك الرام لا ابنه عبد الله واسعا فاه ولطلبته وتول عمر اقبل عليه وقد فاك الله ان يفض عليه فاحتمل ان يكون قبل نزول ولا فصل على احد منهم مات ابد او يظهر من هذا السياق ان عمر وقع في خاطر ان الله ناه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديث الذي شدد له به النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحتمل ان يكون فهم من سياق قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم وهذا انما ويلان فيها بعد قال القدراني والذي يظهر لي والله اعلم ان البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وساقه سياقة هي ابر من هذا وليس في هذا اللفظ نقلا عن ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن أبي من ملوكة وعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ولم قال عمر وبثت اليه الحديث ابي قوله فضلي عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى انزلت عليه الايتان من براءة

مجد

من الرظ

قالا القدراني وهذا منساق حسن وتنزل متقن ليس فيه شيء من الاشكال المتقدم فهو الاولي وقوله صلى الله عليه وسلم ما زيد على السبعين وعدا لزيادة وهو ما في حديث ابن عباس عن عمر فان فيه لو اعلم اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت وهذا تعبير لذلك الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضها ويعتد بعضها بعضها فلذلك قال لو اعلم اني اذا زدت على السبعين غفر له لزدت فقد علم انه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم اني اخبرت مشكل مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وهذا بينهم منه الذي عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على الاية التي فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال ان المنهي عنه استغفار من مات كافرا لا الكفر والشرك واما استغفار لهما ولا المناقشين المخير فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم انه لا يقع ولا ينفع وغايتهم ان وقع كان تطييبا لقلوب الاحياء من قراياتهم فان فصل الاستغفار عنه المنهي عنه من المخير فيه وارتفع الاشكال بحمد الله والله اعلم وقال رشد مجي الدين النواوي لما اعطاه قميصه ليكفنه فيه تطييبا لقلوب ابنه عبد الله فانه كان يحيا صالحا صالحا مخلصا فاجابه اليه وقيل بل اعطاه مكافاة لعبد الله بن أبي المناقش الميت لانه البس العباس حين اسروهم بد قميصا وفي هذا الحديث بيان مكافاة اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان هذا المناقش من الابد له وقام له بالحسن والبسه قميصه كغنا وصلى عليه واستغفر له قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال البغوي قال سيف بن عيينة كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاب ان يكافيه عمار يروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كلف فيها ثوبا لعبد الله بن أبي فقال صلى الله عليه وسلم وما يعني عنه قميصي وصلاي من الله والله اني كنت ارجو ان يسلم به القمن قومه فيري امه اسم القمن قومه لما راوه يتذكر بقميص النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ولا تقم على قبره يعني لا تقم على قبره ولا تتولي دفنه من قولهم قام فلان اذا كفاه امره وناصبه فيه انهم كفروا بالله ورسوله وما نواؤهم فاسقون وهذا لتقليل السبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما تزلت هذه الاية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره ولما تزلت هذه الاية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها فان قلتم الفسق ادني حال من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا الذي كونه كافرا فيدخل تحته الفسق وغيره فما الغاية في وصفه فاسقا بعد وصفه بالكفر قلتم ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه بان يودي الامانة ولا يضمرا لحدسوا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع واضرار السؤل للغير وهذا امر مستقيم عند كل احد ولما كان المناقش بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله تعالى بكونهم فاسقين بعد ان وصفهم بالكفر قوله تعالى ولا تقم على قبره ولا تقم على قبره ان بعد انهم كفروا في الدنيا وتوفوا في الكلام على هذه الاية في مقام الامين المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه ان تجدد النزول له شان في تغذير ما تزل اوله وتاكيد ارادة ان يكون الخاطبة على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وان يعتقد ان العمل به مأمور واما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه وهو ان اشتد الاشيا حاد بالقلوب والحواطر الاستغفال بالاموال

مطلب
اهم حجب

انهم كفروا بالله ورسوله وما نواؤهم فاسقون
ان بعد انهم كفروا في الدنيا وتوفوا في الكلام على هذه الاية في مقام الامين المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه ان تجدد النزول له شان في تغذير ما تزل اوله وتاكيد ارادة ان يكون الخاطبة على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وان يعتقد ان العمل به مأمور واما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه وهو ان اشتد الاشيا حاد بالقلوب والحواطر الاستغفال بالاموال

والاولاد وما كان كذلك بحسب التخيير منه مرة بعد اخرى وبالجملة فالتركيز يراد به التاكيد
والمبالغة في التخيير من ذلك الشيء الذي وقع الاهتمام به وقيل ايضا لما كرر هذا المعنى لانه
اراد بالآية الاولى قوما من المنافقين كان لهم اموال والاولاد عند نزولها وبالآية الاخرى قوما
احسن منهم المقام الثاني في وجه بيان ما حصل من التفاوت في هاتين الآيتين وذلك انه نقل
قال في الآية الاولى فلا تعجبك بالفاوقا لهن او لا تعجبك بالواو والعرف بينهما انه عطف
الآية الاولى على قوله ولا يفتقون الاوه كارهون وصغيرهم يكونهم كارهين للاتفاق لسد
المحبة للاموال والاولاد لحسن عليه العطف بالفاوقا قوله فلا تعجبك واما هذه الآية فلا
تتفق لها ما قبلها فلهذا اني محرف الواو قال تعالى في الآية الاولى فلا تعجبك اموالهم ولا
اولادهم واستقط حروفها هنا فقالوا اولادهم والسبب فيه ان حرف لا دخلت هناك
لزيادة التاكيد فيدل على انهم كانوا معجبين بكثرة الاموال والاولاد وكان اعجابهم باولادهم
اكثر وفي استقط حروفها هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين وقال تعالى في الآية
الاولى اما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال هنا ان يعذبهم بحرف ان والفاوقا
فيه ان التنبيه على ان التقليل في احكام الله تعالى وانه انما ورد حرف لا ليعناه ان
كقوله وما امروا الا لعباد الله معناه وما امروا الا بالان يعبدوا الله وقال تعالى في
الآية الاولى في الحياة الدنيا وقال تعالى في الدنيا والفاوقا في استقط لفظ الحياة تنبيها على
ان الحياة الدنيا بلغت في الحنة الى حيث انها لا تستحق ان تذكر ولا تفي حياة بل بحسب الاختصار
عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيها على كمال رفاتها فلهذا جلي في ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله
اعلم بمراده واسرار كتابه قوله عز وجل **واذا انزلت سورة** تحتل ان يراد بالسورة بعضها
لان اطلاق الجمع على البعض جائز ويحتل ان يراد جميع السورة فيعلم هذا المراد يكون بالسورة
سورة براءة لانه مشتبهة على الامر بالاسمان والامر بالجهاد **ان** اي بان **امونا بالله وجاهدوا**
مع رسولهم فان قلتم كيف يامرهم بالايمان مع كونهم مومنين فهون باب
تخصيل الحاصل قلتم **معناه** الامر بالدوام على الايمان والجهاد في المستقبل وقيل
ان الامر بالايمان متوجه على كل احد في كل ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهره العموم
لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى اخلصوا بالايمان بالله وجاهدوا مع رسولهم
وانما قدم الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الامر بالجهاد بغير ايمان لا يفيد اصلا لكانه
قيل للمنافقين الواجب عليكم ان تؤمنوا بالله اولاً وجاهدوا مع رسولهم ثانياً حتى يفيدكم
ذلك الجهاد فليدبرج عليكم فقها في الدنيا والاخرة قوله تعالى **استأذنك اولوا الطول**
منهم قال ابن عباس يعني اهل العنا وهم اهل القدرة والزرع والسعة من المار وقيل
هم رؤسا المنافقين وكبراهم وفي تخصيص اولوا الطول بالذكر قولان احدهما ان الذين لهم
الدم لكونهم قادرين على اهمة السفر والجهاد والقول الثاني انما خصوا اولوا الطول
بالذكر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستئذان **وقالوا** يعني اولوا الطول
ذنا **نك** **مع القاعد** يعني في البيوت من النساء والصبيان وقيل مع الرضي والزمي
دعوا بان يكونوا مع القواف قيل القواف النساء اللواتي يتخلفن في البيوت فلا يخرجن
منها والمعنى رضوانا يكونون في تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوفا لجمع خالفة وهم
ادنيا

ادنيا الناس وسئلهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم **وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون**
يعني وختم على قلوبها ولا المنا فقين فهم لا يفقهون مراد الله في الامر بالجهاد **لكن الرسول**
والذين اسوامه وجاهدوا بالمال اي ان تخلف ها ولا ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم
يعني الرسول والمومنين **واولئك لهم الجزاء** منافع الدارين النصر والغنية في الدنيا والجنة في
والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن جزاءات حسنات هي جمع جزية تحقيق جزية **واولئك**
هم المفسلون اي الغابرون بالمطالب قوله تعالى **اعد الله لهم جزاءات تجري من تحتها**
الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الجزاءات الاخرية قوله تعالى **وجا**
المعذرون من الاعراب ليؤذنهم يعني جازا المعذرون من الاعراب البوادي الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه في التخلف عن الغزو معه قال الضحاك هم رهط عامر
ابن الطفيل جازا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه دفعا عن انفسهم فقالوا يا بني
الله ان نحن نغزونا معك تغير اعرابنا على حلالنا واولادنا ومواسينا فقال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد انا في الله من اخباركم وسيغني الله عنكم وقيل هم نفر من بني غفار رهط
خفاف بن ايمان رخصه وقيل هم من اسد وعفان وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا
بعذر فاذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية وجازا المعذرون اي المقصرون
يعني انهم قصروا ولم يبالوا فيما اعتذروا به والمعذر من يري الله عذرا لا عذره وقيل هم
ان الاصل في هذا اللفظ عند الحاجة للمعذرون انتمت الثاني اذ لا لعزب مجزها والا
في كلام العرب على قسرين يقال اعتذرا اذا كذب في عذره منه وقوله تعالى يعتذرون اليكم
مراد الله عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على فساد عذارهم وكذبهم فيه ويقال اعتذر
اذا اتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد ومن يبيك حولا كاملا فقد اعتذر **يعني** فقد جاهد
صحيح وقيل هو من التذير الذي هو التقصير يقال اعتذر بغيره اذا قصده ولم يبالغ في فعله
هذا المعنى يحتل انهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من
قال انهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى لما ذكرهم قال بعدد وعد الذين كذبوا الله ورسوله
فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين ويبدو عن ابي عمرو
العلاء انه لما قيل له هذا الكلام فقال ان اقواما تخلفوا عذرا بباطل فهد الذين عناهم
الله تعالى بقوله وجازا المعذرون وتخلف احزون لا لعذرة ولا لبثمة عذرة جازا على الله
فهم المراد بقوله **وتعد الذين كذبوا الله ورسوله** وهم منافقوا الاعراب الذين ما جازا وما
اعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله يعني في ادعائهم الايمان **بمصيب الدين**
لقد ولعنهم عذاب البعير يعني في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار وانما قال لعنهم لانه تعالى
علم ان منهم من سبوا وخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين اصابهم البعد
والنفاق وما تواعليهم قوله عز وجل **لن ينفعك الضعفاء** لما ذكر الله تعالى المنافقين الذين
تخلفوا عن الجهاد واعتذروا باعذار باطلة عفا بذكر اصحاب الاعذار الحقيقية الصحيحة
وعذرهم واخبر ان نرضيهم ساقط فقال تعالى ليس على الضعفاء والضعيف هو الصحيح

وانفسهم

تكلفوا

في بدنه العاجز عن الغزو وتحتل المشانق السند والجهاد مثل الشيوع والصبيان والنساء من خلق في
اصل الخلقة ضعيفا وخيافا ويدرك علي ان هولا الاصناف هم الضعفاء الله تعالى عطف عليهم الرضي
فقال تعالى **وَلَا عَلَى الْمُنَافِقِينَ** والمعتدون مغاير للمعتوفين عليه فاما الرضي فيدخل فيهم اهل
العمى والعمى والزناكة وكل من كان موصوفا من منعة من التمكن من الجهاد وهو السفر للغزو
وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ يعني الغفرا العاجزين عن اهمة الغزو والجهاد فلا يجدون
الزاد والراحلة والسلاح ومونة السفر لان العاجز عن نفقة الغزو ومعية **وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ** اي ليس على
هؤلاء الاصناف الثلاثة جرح اي اشر في التحلف عن الغزو وقال الامام في خبر الرازي
ليس في الآية اية يحرم عليهم ان الواحد من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة
اما حفظ متاعهم او يتكثروا او يمشوا ان لا يحل في نفسه كذا وبالله عليهم فان ذلك
طاعة مقبولة ثم افترضنا في شرط على الضعفاء في جوار التحلف عن الغزو وشرطا معينا وهو قوله
يَتَّقُونَ اللَّهَ ومعناه انهم اذا اقاموا في البلد واحترزوا عن افشاء الاراجيف
واثارة الفتن وسعوا في ايجاد الجهاد في اهل الجهاد من الذين حرموا الى الغزو وقاموا بمصالح
بيوتهم واجلوا الامانة والعدل الله وتابوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جملة هذه الامور
تجوز مجرى النصيحة ورسوله **مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ** اي ليس على من احسن ونصح لله ورسوله
في تحلفه عن الجهاد بعد رقة اباحه الشارع طريق يتطرق عليه فيما يقبل عليه والمعني انه
سد باحسانه طريق العقاب عن نفسه ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل ان كل مسلم
يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله محمدا من قلبه بان ما عليه سبيل في نفسه وماله الا
ما اباحه الشرع بدليل منفصل **وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ** يعني لمن تحلف عن الجهاد بعد رقة اباحه الشرع
وَجَمْعٌ يعني اية تعالى رجم جميع عباد الله قال قتادة نزلت هذه الآية في عابدين عمرو واحطابه
وقال الضحاك نزلت في عبد الله بن ام مكتوم وكان ضريرا البصر لما ذكر الله عز وجل هذه الايات
الثلاثة من المعذورين اتبعه بذكر قسم رابع وهو قوله تعالى **وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتُّوْكَ** يعني
ولا يخرج ولا اثم في التحلف عنك على الذم اذا اتوك **لَتَجَاهِلُنَّهُمْ** يعني يما لونا لك الحلال ليلغوا
الى غزو وعدوك وعدوهم والجهاد معك يا محمد قال ابن حبان نزلت في البكايين وكانوا سبعة
ونقل الطبري عن محمد بن كعب وغيره قالوا لما اتوا ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يستأجلونه فقال لا اجدا احكم عليه فانزل الله هذه الآية وهم سبعة نفر من بني عمرو بن
عوف سالم بن عمرو بن بني واقف جرمي بن عمرو ومن بني مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب
يكنى ابا ليلى ومن بني الحلي سلمان بن عمرو ومن بني الحارث عبد الرحمن بن زيد ابو ربيعة وهو
وهو الذي يصدق بقرضه فقبل الله منه ذلك ومن بني سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن
عمرو المذني وقال البغوي هم سبعة نفر سموا البكايين معقل بن يسار ومخزوم بن خنساء وعبد
ابن كعب الانصاري وعليه بن زيد الانصاري وسالم بن عمرو وتغلبه بن عثمان وعبد الله
ابن معقل المذني قال انوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو ارسول الله ان الله عز وجل
قد تدبنا الى الخرج معك فاحلنا فقال لا اجدا احكم عليه وقال الجاهلهم بنو امقرن بن

مزينة

مزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان بنو مقدر وقيل نزلت في العدي بن مسارة
وتحتل انها نزلت في كل من ذكر قال ابن عباس بن مالوه ان محمدا صلى الله عليه وسلم قال
محمدا على الحفان المرقوعة والنعال المخصوصة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اجدا احكم
عليه تولوا وهم سيكون ولذا سموا بالبكايين وذلك قوله تعالى **ثَلَاثَةٌ لَا اجدا احكم عليه**
تَوَلَّوْا واعينهم **تَقْبِضُ مِنَ الدَّمْعِ** قال صاحب الكشاف هو كقولك تقبض دمعاً وهو الدمع من
يفيض دمعاً لان العين جعلت كالدمع فافيض ومن البكايين كقولك افيذك من رجل **حَسَنًا**
الاجيد واما **يَتَّقُونَ** يعني على انفسهم في الجهاد **أَمَّا السَّبِيلُ** لما قال الله تعالى ما على المحسنين
من سبيل قال في حق من يعتذر له ولا عذر له قال اما السبيل يعني انما يتوجه الطريق بالعقوبة
عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ يا محمد في التحلف عنك والجهاد معك **وَهُمْ اغْنِيَا** يعني قادرين على الخروج
معك **رَضُوا** بان يكونوا مع الخوارج يعني رضوا بالذلة والصنعة والاضطراب في جملة الخوارج
وهم النساء والصبيان والتعود معهم **وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ** يعني ختم عليهم **فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ما في
الجهاد من الخير في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فالغور بالغبية والظفر بالعدو واما في الاخرة
فالثواب والنعيم الدائم الذي لا يتقطع قوله تعالى **يَعْتَذِرُونَ** اليكم اذا رجعت اليهم يعني
يعتذروا ولا المنافقون المتحلفون عنك يا محمد اليك يا محمد وانما ذكره بلفظ الجمع تظليما له
صلى الله عليه وسلم ويحتل انهم اعتذروا اليه والي المؤمنين فلهذا قال يعتذرون اليكم يعني
بالاعذار الباطلة الكاذبة اذا رجعت اليهم يعني من سفركم **قُلْ** يعني قل يا محمد **لَا تَعْتَذِرُوا** قال
البغوي روي ان المنافقين الذين تحلفوا عن غزوه تنوكون كانوا بضعة وثمانين فقال الله
تعالى **لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنُوا** يعني لن تصدقكم فيما اعتذروا به **قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ**
يعني قد اخبرنا الله فيما سلف من اخبارهم **وَسِيرِي** الله علمكم **وَرَسُولُهُ** يعني في المستنات
اتقوا من نفاقكم ام تقيمون عليه فويل يحتل انهم وعدوا بان ينصروا المؤمنين في المستقبل
فلهذا قال وسيري الله علمكم ورسوله هل تقون مما قلتم ام لا **تُفَرِّدُونِ إِلَى يَوْمِ الْغَيْبِ**
وَالشَّهَادَةُ فينبهكم يعني فيخبركم **بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ** لانه المطلع على ما في ضمائرهم من الحيانة
والكذب واخلاق الوعد قوله عز وجل **سَيُخْلِفُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ** لَكُمْ اِذَا اتَّقَلَبْتُمْ يعني اذا رجعت
من سفركم اليهم يعني الى المتحلفين بالمدينة من المنافقين **لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ** يعني لتصفوا
عنهم ولا تنوهم ولا تتوهمهم بسبب تحلفهم **فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ** يعني فدعوهم وما اختاروا
لا نفسهم من النفاق وقيل يريد ترك الكلام يعني لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال اهل المعاني ان هاولا المنافقين
طلبوا اعراض الصنف ناعطوا اعراض المقت شرذمة العلة في سبب الاعراض عنهم فقال تعالى **انهم**
رَجِسٌ يعني ان بواطنهم خبيثة نجسة واعمالهم قبيحة **وَمَا وَاهُمْ** يعني في الاخرة جهنم
جَزَاءُ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يعني من الاعمال الخبيثة في الدنيا قال ابن عباس نزلت في الجاهل
قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن ابي جلف النبي صلى الله عليه
وسلم بالله الذي لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرشي

في سورة

سنة نضر اسعد بن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر وجابر بن
عبد الله بن ريان شرا أصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا شرا أصحاب
العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا من همدان وروى عبد الله بن عمرو بن حرام بن
ابو جابر وسعد بن عباد وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة فهو لسباق الانصار ثم بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الي اهل المدينة يعلمهم القرآن فاسلم على ابيده خلق كثير
من الرجال والنساء والصبيان من اهل المدينة وذلك قبل ان يجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الي المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الي الهجرة والنصرة والذي يدل
عليه ان الله تعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين لماذا سبقوا فبقي اللفظ مجازا قال تعالى من
المهاجرين والانصار وصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا فوجب صرف اللفظ المجمل اليه وهو الهجرة
والنصرة وايضا فان الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة شريفة عالية من حيث ان الهجرة امر شاق
على النفس لمارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصر فانه امر مرعبة عالية ومنقبة شريفة
لانهم نضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واووه وواسوه واووا واصحابه وواسهم
فلذلك اثني الله عن وجل عليهم ومدحهم فقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار **والذين اتبعوهم باحسان** قيل بغية المهاجرين والانصار سوي السابقين الاولين
في هذا القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار
في الايمان والهجرة والنصرة الي يوم القيامة قال عطاء بن السجستاني عن المهاجرين والانصار
فيتمرحون عليهم ويدعون لهم عن عثمان بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس
ثلاثي ثلثين يلوهم ثلثي الذين يلوهم قال عمران فلا ادري اذ كبره قوله ثلثين ام ثلاثة
عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي نلوا احدا
وفي رواية احدهم انفق مثل احد ذهب ما بلغ مداحهم ولا نضيفه اراد بالقرن بين
الحديث الاول واصحابه والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلوا في مدته
من الزمان فقبل من عشرين الى عشرين وقيل من مائة الي مائة وعشرين سنة والمد
المذكور في الحديث الثاني هو ربع صاع والضيف نصفه والمخج لوان احد عمل بها قد عليه
من اعمال البر والاتفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر لا يسير التافه من اعمال الصحابة
وانفاقهم لانهم انفقوا بن لواء اليهود في وقت الحاجة وقوله تعالى **رضي الله عنهم ورضوا عنه** يعني
رضي الله عما لهم ورضوا عنه ما جا زاهم عليه من الثواب وهذا لفظ عام يدخل فيه كل
الصحابة **واعدهم جنات تجري من تحتها الانهار رجال فيها ابداء لا يفتور العظيم**
قوله تعالى **ومن حولكم من الاعراب منافقون** ذكر جماعة من المفسرين من المتأخرين
كالبحري والواحدي وابن الجوزي انهم من اعراب من مينة وجهينة واجتمع وغار واسلم وكانت
منابر لهم حول المدينة يعني ومن هنا ولا الاعراب المنافق وما ذكر من شك لان النبي صلى الله
عليه وسلم دعا لها ولا القبايل ومدحهم فان صح نقل المفسرين فيجوز قوله تعالى ومن حولكم من الاعراب
منافقون على القليل لان لفظة من ليس بغير محمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لم على الاكثر
والاغلب وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه واما الطبري

فانه اطلق

فانه اطلق القول ولم يعين احدا من القبايل المذكورة في تفسير هذه الآية بل قال في تفسير هذه
الآية من القوم الذين حولكم منكم ايها المؤمنون من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة منكم
ايضا امثا لهم اقول منافقون وقال البغوي **ومن اهل المدينة** من الاسود والخزرج منافقون
من دواعي النفاق فيه تقديم وتأخير تقديره ومن حولكم من الاعراب ومن اهل المدينة منافقون
مردوا على النفاق يعني من اهل المدينة يقال يتردد فلان على ربه اذا عتا وتجر ومنه الشيطان
المارد ويتردد في معصيته اي من وثبت عليها واعتادها ولم يتب منها قال ابن اسحاق لجوابه
وابو غيره وقال ابن زيد اقاموا عليه ولم يتوبوا منه **لا تعلمهم** يعني انهم بلغوا في النفاق الي
حيث انك لا تعلمهم يا محمد مع صفا خاطرك والاطلاع على الاسرار **لكن تعلمهم** يعني لكن تعلمهم
لانه لا يخفي علينا خافية وان دقت **سعدتهم مرتين** اختلف المفسرون في العذاب
الاول مع اتفاقهم على ان العذاب الثاني هو عذاب القبر بل قوله **ثم يردون الى عذابهم**
وهو عذاب النار في الآخرة فثبت بهذا انه تعالى يعذب المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا
ومرة في القبر ومرة في الآخرة اما المرة الاولى وهي عذاب المرة الاولى التي اختلفوا فيها فقال
الكشي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك
منافق اخرج يا فلان فانك منافق فخرج من المسجد اثنا عشر نفر فها هو العذاب الاول
والثاني هو عذاب القبر فان صح هذا القول فيجوز ان يكون بعد ان علمه الله حاله وسامه له
لان الله تعالى قال لا تعلمهم نحن تعلمهم ثم بعد ذلك علمه الله وقال مجاهد العذاب الاول هو
القتل والسبي وهذا القول ضعيف لان احكام الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنافقين
فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية اخري انهم عبدوا بالجوع مرتين وقال قتادة المرة
الاولى هي الذبيلة في الدنيا وقد حقا تفسيرها في الحديث بانها خراج من نار تظهر في
اكافهم حتى يخرج من صدورهم يعني يخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاول هو المصائب
في الاول والاولى في الدنيا والاخرى عذاب الآخرة وقال ابن عباس الاولى قامة
الحدود عليهم في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحاق الاول هو ما يدخل عليهم
من عيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسيه والاخرى عذاب القبر وقيل الاول
احراق سجدتهم مسجد الضار والآخرى احراق قعر بنار جهنم فهو قوله ثم يردون الى عذاب
عظيم يعني عذاب جهنم يخلدون فيه قوله عن وجل **واخرى اعترقوا ابدا نوبهم** فيهم
قوله ان اخذها انهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم واطمأنوا وحجته هذا القول
ان قوله واخرى عطف على قوله ومن حولكم من الاعراب منافقون والعطف بهم
وبعضه ما نقله الطبري عن ابن عباس انه قال لم الاعراب والمنافقون وهو جمهورون
المفسرون لفما تزلت في جماعة من المسلمين من اهل المدينة تخلفوا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في عزوة تبوك ثم رددوا على ذلك واختلف المفسرون في عددهم فروي عن ابن
عباس انهم كانوا عشرة منهم ابولبابة وروي عنه انهم كانوا خمسة احدثهم ابولبابة وقال
سعيد بن جبيرة وزيدين اسلم كانوا ثمانية احدثهم ابولبابة وقال قتادة والضحاك كانوا
سبعة احدثهم ابولبابة وقيل كانوا ثلاثة ابولبابة بن عبد المنذر وواو من ثعلبة

احد من اعراب المدينة وهو من اعرابهم عطف
ارواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل امرهم

ووديعه بن حزام وذلك انهم تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوه تبوك ثم تلبسوا بعد ذلك وتابوا وقالوا نكون في الظلال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في الجهاد والافاق فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرى من المدينة قالوا والله لنوقفن انفسنا بالسواري فلا نطلعها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويغدرنا فربطوا انفسهم في سواري المسجد فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره فماتوا من هاهنا ولا فقالوا لها ولا تخلفوا عنك تعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت الذي تطلقهم وترضي عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعد لهم حتى اوامر باطلاقهم وغبوا عنه وتخلفوا عن الغزوة مع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الآية فانزل رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد لهم واطلقهم وعدهم فلما اطلقوا قالوا لرسول الله هذه اموالنا التي خلقتنا عنك خذها فنصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فانزل الله عز وجل اخذ من اموالهم صدقة فظهرهم لاية وقال قوم نزلت هذه الآية في ابوابه خاصة واختلفوا في ذنبه الذي تاب منه فقال المجاهد ابو بكر بن ابي لبابة حين قال لبي فريضة ان نزلتم على حكمه فهو الذنب وانشأوا في خلقه فندم على ذلك وربط نفسه بسارية وقال والله احل نفسي ولا ذوق طعاما ولا شرا باحتي اموت او يتوب الله علي فلك سبع ايام لا يذوق طعاما ولا شرا باحتي خرمغشيا عليه فانزل الله هذه الآية فتقبل له فدتبت عليك فقال والله احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو محلي في رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يخله بيد فقال ابو لبابة يا رسول الله ان من توبتي ان اخرج دار قومي التي اصببت فيها الذنب وان اخلص من مالي كله صدقة الى الله والي رسوله فقال لا تجزيك الثلث يا ابى لبابة قالوا جميعها فاحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث اموالهم وترك لهم الثلثين لان الله تعالى قال اخذ من اموالهم لم يقل اخذ اموالهم ولان لفظة من تقتضي التبعيض قال الحسن وقتادة وها ولا سوي الثلاثة الذين تخلفوا وسياتي خبرهم واما تفسير الآية فقوله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم قال اهل التقيا الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشئ ومعناه انهم اقرؤا بذنوبهم وفيه دققة وهي انهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعذار اطله كغيرهم من المنافقين ولكن اعترفوا على انفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة ام لا قلت مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقرت بالاعتراف الندم على المأثم من الذنب والعزم على تركه في المستقبل فيكون ذلك الاعتراف والندم توبة وقوله تعالى **خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرُ سَيِّئًا** قيل اراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيي هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر الغزوات والسي هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر الغزوات والسي هو تخلفهم عنه في غزوة تبوك وقيل ان الصالح يعم جميع اعمال البر والطاعة والسي ما كان ضده فعمل هذا يكون الآية في جميع المسلمين والحل على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا فمن تخلف

عمر بن الخطاب

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وروي الطبري عن ابي عثمان قال ما في القرآن اية ارجح عندي لهذه الامة من قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم الآية فان قلت قد جعل كل واحد من العمل الصالح والسيي مخلوطا فما المخلوط به قلت ان المخلوط عبارة عن الجمع المطلق فاما قولك خلطوا فانما يحسن في الموضع الذي يمتزج كل واحد من الخليطين بالآخر ويتغير به عن صفته الاصلية كقولك خلطت الماء باللبن وخلطت الماء باللبن فتتوب الواو عن الماء فيكون معنى الآية على هذا خلطوا عملا صالحا باخر سيي ذكره غالب المفسرين وانكره الامام فخر الدين الرازي وقال الايق هذا الموضع لجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيي اذا حصل معا بقي كل واحد منهما على حاله كما هو مدحنا فان القول بالاختياط باطل فان الطاعة تبقى موجبة للثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعقاب فتقوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيي فيه تنبيه على اني القول بالمخالطة وانه بقي كل واحد منهما كما كان من غير ان يتاثر احدهما بالآخر فليس له الجمع المطلق وقال الواحد من العرب تقول خلطت الماء باللبن وخلطت الماء باللبن كما تقول جمعت زيدا وعمرا والواو في الآية احسن من الباء لانه اريد معنى الجمع لاحقيقة الخلط الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسي كما خلط الماء باللبن لكن قد جمع بينهما وقوله تعالى **عَنِ اللَّهِ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ** قال ابن عباس وجمهور المفسرين عسي من الله واجب والدليل عليه قوله تعالى فغفر الله ان ياتي بالغفر وقد فعل ذلك وقال اهل المعاني لفظة عسي هنا تعيد الطمع والاشفاق لانه ابعد من التكلم والاهمال وقيل ان الله تعالى لا يحب عليه شي بل كل ما يتعلم على سبيل التقصير والتطول والاحسان فذكر لفظة عسي التي هي للتنزيح والطمع حتى يكون العبد بين التنزيح والاشفاق ولكن هو نيل ما يرجوه منه لانه ختم الآية بقوله **أَنْ اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ** وهذا يفيد انجاز العفو قوله تعالى **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ** قال ابن عباس لما اطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى لبابة وصاحبيه انطلق ابو لبابة وصاحبا فانابا اموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقلوا اخذ من اموالنا فتصدق بها عنا وصل علينا يقولون استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اخذ شيئا منكم حتى اوامر بقتل الله عز وجل اخذ من اموالهم صدقة الآية وهذا قول زيد بن اسلم وسعيد بن جبير وقتادة والصحاب اختلف العلماء في المراد بهذه الصدقة فقلنا بعضهم هو رجع اليها ولا الذين تابوا وذلك انهم بدلوا اموالهم صدقة فوجب الله تعالى اخذها وصار ذلك معتبرا في كمال توبتهم لتكون جارية مجري الكفارة واصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم بدلوا الزكاة اسرا لرسوله ان يأخذها منهم وقال بعضهم ان الآية كلام مبتدأ والمقصود منها انجاب اخذها من الاغنيا ودفعها الى الفقراء وهذا قول اكثر الفقهاء واستدلوا بها على انجاب اخذ الزكاة اما حجة اصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الايات لا بد وان تكون منتظمة متناسبة فلو حملناها على اخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الآية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها ولان جمهور المفسرين ذكروا في

يستحب تزولها الخاثرات في شأن التائبين ولما اصحاب القول الاخير فانهم قالوا المناسبة حاصلة
ايضا على هذا التقدير وذلك انهم لما تابوا وخلصوا واقرروا ان السبب الموجب للتحلل هو حجب
المال فامر باخراج الزكاة التي هي طهرة فلما اخرجوها علم صحة قولهم وصحة توبتهم ولا يمنع
من خصم النسب عموم الحكم فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد اخذ منهم
ثلث اموالهم قلت لا يمنع هذا صحة ما قلناه لانهم رضوا بذلك الثلث من اموالهم فلان يكونوا
راضين باخراج الزكاة او لا في هذه الآية احكام **الاول** قوله تعالى خذ من اموالهم
الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم اي خذ يا محمد من اموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه
وسلم ياحذها منهم ايام حياته ثم اخذ الامة من بعده فيجوز للامام او نايبه ان ياحذ الزكاة
من الاغنيا ويدفعها الى الفقراء **الحكم الثاني** قوله من اموالهم ولغظة من تقتضي التبعية
وهذا البعض لما هو ذو غير معلوم ولا مقدار ينفع الفقراء فلم يبق الا الصدقة التي بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم قدرها وصفتها في اخذ الزكاة **الحكم الثالث** ظاهر قوله
خذ من اموالهم صدقة تعيد العموم فوجب الزكاة في جميع المال حتى في الديون وفي مال الزكاز
الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم ان الزكاة انما وجبت لكونها طهرة من الاثم وصدور الامان
لا يمكن حصولها الا من البالغ دون الصبي فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون الصبي وهذا
قوله اي حنيفة اجاب اصحاب الشافعي انه لا يلزم من انتفا سبب معين انتفا الحكم مطلقا
للعلماني قوله تطهرهم اقوال **الاول** ان معناه خذ يا محمد من اموالهم صدقة فانها تطهرهم
باخذها من دنس الاثم **القول الثاني** ان يكون تطهرهم متعلقا بالصدقة وتقدرهم خذ
من اموالهم صدقة فانها طهر لهم وانما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء ان الصدقة او ساخ التا
فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ فكان ذلك الاندفاع جارا يجرى التطهير
في هذا القول يكون قوله تعالى وتزكيتهم استقطعا عن قوله تطهرهم ويكون التقدير
خذ يا محمد من اموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيتهم انتم بها القول **الثالث**
ان تجعل الثاني قوله تطهرهم وتزكيتهم ضمرا لمخاطب ويكون المعنى تطهرهم ان ياحذ
باخذها منهم وتزكيتهم بواسطة تلك الصدقة **القول الرابع** ان معناه تطهرهم
من دنسهم وتزكيتهم يعني ترفع من دنسهم من دنس المناقبين الى منازل الابرار المحاضين
وقيل معناه وتزكيتهم تنبي اموالهم ببركة اخذها منهم **الحكم الخامس** قوله تعالى
وتصل عليهم يعني ارفع لهم واستغفر لهم لان اصل الصلاة في اللغة الدعاء قال الشافعي
في السنن للامام اذا اخذ الصدقة ان يدعو للمتصدقين وقال بعضهم يستحب ذلك في كل
سنة على الاثم ويستحب للفقير ان يدعو للمعطي وقال بعضهم يستحب ان يقول اللهم صل على
ابي فلان ويد عليه ما روي عن عبد الله بن ابي اوفى وكان من اصحاب الشجرة قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فاناه ابي بصدقته فقال اللهم
صل على ابي اية اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **ان صلواتك** وتري صلواتك
على الجمع **صلواتك** يعني ان دعاك رحمة لهم وقال ابن عباس طائفة وسكن لهم وقيل ان الله
تفضل عليهم وقال ابو عبيدة تنبئت لقولهم وقيل ان السك ما سكنت اليه والمعنى ان

الصلوات هي الدعاء
والصلوات هي الدعاء
والصلوات هي الدعاء

صلواتك

ان صلواتك توجب سكون نفوسهم اليها وان الله قد قبل توبتهم لو قبل زكاتهم **والله سميع** يعني
لا قولهم اولد عاينك لهم **عليهم** يعني بنيتهم **ان الله هو يقبل التوبة عن عباده** في
وهذا صيغة استفهام الا ان المقصود منه التقدير فبشر الله عز وجلها ولا التائبين بقبول
توبتهم وصدقاتهم ومعنى الآية المراد بها ولا الذين تابوا ان الله يقبل التوبة الصادقة
والصدقة الخالصة وقيل ان المراد هذه الآية غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة وبذل
الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة ها ولا التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين ها ولا
كانوا معانا لا يملكون ولا يكلمون فاحذر اليوم فانزل الله هذه الآية ترغيبا لهم في
التوبة وقوله تعالى عن عبادة قيل لا فرق بين قوله عن عبادة او من عبادة اذ لا فرق بين قوله
اخذت هذا العلم منك او منك وقيل بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضع المبحر ان فيه تبشير
بقبول التوبة مع سهيل سبيلها وقوله تعالى **وياخذ الصدقات** يعني يقبلها ويتبشع عليها
وانما ذكر لفظ الاخذ ترغيبا في بذل الصدقة واعطائها الفقراء وقيل يعني اخذ الله الصدقات
يضمنه الجزاء عليها ولما كان هو المجازي عليها والمتبشع بها اسند الاخذ الى نفسه وان كان
الفقير والسائل هو الاخذ لها وفي هذا تعظيم امر الصدقات وتشريفها وان الله يقبلها
من عبده المتصدق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نصدق احد
بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت مثرة
فتزوي في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يري احكام فلو او فضيله لفظ مسلم
وفي لفظ البخاري من تصدق بعدل اكثر من كسب طيب ولا يصعد الى الله وفي رواية وكا
يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يريها لصاحبها كما يري احكام فلو جتي
تكون مثل الجبل واخرجه الترمذي ولغظه ان الله يقبل الصدقة وياخذها بيمينه
في ربيها لا احكام كما يري احكام فلو جتي اللقمة لتصير مثل احد وتصديق ذلك في كتاب
الله الميعون ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات وتحق الله الربا وتري
الصدقات وقوله من كسب طيب اي جلال وذكر اليمين والكف في الحديث كناية عن قبول
الصدقة وان الله تعالى قد قبلها من المعطي لان من عادة الفقير والسائل اخذ الصدقة
بكفه اليمين فكان المتصدق قد وضع صدقته في القبول والاثابة وقوله فتزوي اي
تكررها لربا التي يريها اذ اكبر وكراد والقلوب بضم الفاء فتحها لغتان المهنر والمنايول
والفضيل ولد الناقة الى ان يفصل عنها وقوله تعالى **وان الله هو التواب الرحيم**
تاكيد لقوله تعالى الميعون ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشير لهم بان الله هو
التواب الرحيم قوله عز وجل **وقل اعلموا اي قولي اجمعها ولا التائبين اعلموا يعني الله بطائفة**
واذا فر ايضاً فتبشع الله عليهم فيه ترغيب عظيم للمعطين ووعيد عظيم للمدثرين
فكانه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله يري اعمالكم ويجازيكم عليها **ورسوله**
والؤمنون يعني ويرى رسول الله والمؤمنون اعمالهم ايضا اما روية الرسول صلى
الله عليه وسلم باطلاع الله اياه على اعمالهم واما روية المؤمنين فيما يقذف الله في
قلوبهم من حبة الصالحين وبغضنة المضدين **وتسودون الى علم الغيب والشهادة**

صلواتك

يعني ويسترجعون يوم القيامة الى من سلم سرهم وعلايتهم ولا تخفي عليه شيء من بواطنكم وظواهركم
فنبيناكم اي نبيكم كما كنتم تقولون يعني في الدنيا من جبر وشرفنا نبيكم على انما لكم قوله تعالى
واحرزون مرجون اي موحزون والارجا التاجير **لا مراد الله** يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم
ان الله قسم المتكلمين على ثلاثة اقسام اولهم المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق
واستمدوا عليه والقسم الثاني التائبون وهم الذين ساروا الى التوبة بعد ما اعترفوا
بذنوبهم وهم ابوابا واصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث مؤمنون وموحزون
الي ان يحكم الله فيهم وهم المراد بقوله واحزون مرجون لا مراد الله والفرق بين القسم الثاني
والقسم الثالث ان القسم الثاني ساروا الى الاخابة التوبة فقبل الله توبتهم والقسم
الثالث توقفوا ولم يساروا الى التوبة فاخر الله امرهم نزلت هذه الآية في الثلاثة
الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وسنان في قصتهم عند قوله
تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك انهم لم يبالوا في التوبة والاعتذار كما فعل ابوليا
 واصحابه توقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من
اهل بدر ففعل بعض الناس يقولون هلكوا وبعضهم يقول عسى الله ان يتوب عليهم فغفر
لهم وهو قوله تعالى **اما بعد** **واما يتوب عليهم** يعني ان امرهم الى الله ان شاء عذبهم بسبب
تخلفهم وان شاغفرهم وعفي عنهم **والله اعلم** يعني بما في قلوبهم **حكيم** يعني فيما يقضي عليهم
قوله عز وجل **والذين اتخذوا مسجدا ضارا او مفرا** نزلت في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا
يضارون به مسجد بني وكانوا اثني عشر رجلا من اهل المقات ودعية بن ثابت وحذام بن خالد
ومطرب بن اخراج هذا المسجد وتعلبة بن حاطب وجارية بن عمرو ابنا جمع وزيد ومعتب
ابن قشير وعباد بن حنيفة اخو سهل بن حنيف وابوجبيرة بن الازغر وبتل بن الحارث
ومجاهد بن عثمان ولخرج بنوا هذا المسجد ضرارا يعني مضارة للمؤمنين **وكفرا** يعني ليكفروا بالله
ورسوله **وتغيرت ايمان المؤمنين** لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد فبنوا مسجدا ضرارا
ليصل فيه بعضهم فيؤدي ذلك الى الاختلاف واقتراق الكلمة وكان يصل فيهم فيه مجمع بن جارية
وكان شابا يقدر القرآن ولم يدري ما ارادوا بنيانه فلما فرغوا من بنيانه اتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يجتهد في عزوة بتوك فقالوا لرسول الله انا قد بنينا مسجدا الذي العلة
والحاجة والكيلة المطيرة والكيلة الساتية وانا نحن ان تاتينا وتصلينا فيه ونعوي بالبركة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفرو لو قد منا ان شئنا الله اتيانا لمصلينا
فيه وقوله تعالى **وارضوا لمن حارب الله ورسوله من قبل** يعني انهم بنوا هذا المسجد
للضداد والكفر وبنيوا ارضادا يعني انتظارا واعداد لمن حارب الله ورسوله من قبل
يعني من قبل بنا هذا المسجد وهو ابو عامر الراهب والدحنظلة عبد الملائكة وكان ابو عامر
قد ذهب في الجاهلية وليس الموح وتصدق فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له
ابو عامر هذا الذي جئت به قال النبي صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين
ابراهيم قال ابو عامر فانا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال ابو عامر
بلي ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت

تعاليم

ها ايضا

ها ايضا فقيه فقال ابو عامر انا والله الكاذب منا طريد او حيد اعز ما فقال النبي صلى الله عليه
وسلم امين وعما ابا عامر الفاسق فلما كان يوم احد قال ابو عامر الفاسق للنبي صلى الله عليه وسلم
لا احد قوما يقاتلونك الا قاتلتهم فمما يزل ذلك الي يوم خيبر فلما انهزمت هوان
ياس ابو عامر وخرج الى الشام وارسل الي المنافقين ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح
وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الي قيصر ملك الروم فاني تجد من الروم فاخرج بهم واصلح به
فبنوا مسجد الضدار في جنب مسجد قبا فاذ لك قوله تعالى وارضوا ليعني وانتظارا للمرجاب
الله ورسوله يعني ابا عامر الفاسق ليصل فيه اذا رجع من الشام من قبل يعني ان ابا عامر
الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بنوا مسجد الضدار **ويخلفن** يعني الذين بنوا **اردنا**
يعني ما اردنا بناه **اللافتي** يعني الا الفتنة الحسني وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة على
اهل الضعف والعجز عن الصلاة في مسجد قبا او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم **والله يشهد**
انهم لكاذبون يعني في قلوبهم وحلفهم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انصرف من تبوك
راجعا لذي اوان وهو موضع قريب من المدينة فاتاه المنافقون وسالوه ان ياتي مسجد
قد بناه فقصه ليلسه وياتهم فائتوا الله عز وجل هذه الآية واخبرهم خبر مسجد الضدار وما
هو اياه وقد عارضوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك من الدخيم ومعين عدي وعامر بن السكن
وحنيفة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدوهم واحرقوه فخرجوا
مسرعين حتى اتوا بني سالم بن عوف وهم رطط ما لك من الدخيم فقال ما لك انظر وفي حية
اخرج اليكم بنو اهل مكة فاجد من ضعف الخلف فاشعلوه فخرجوا يستدون حتى دخلوا المسجد
وفيه اهله فاحرقوه وهدموه ونفد عنه اهله وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يتخذ ذلك الموضع كاستسنة تلي فيه الجيف والنتن والقمامة ومات ابو عامر بالشام
عزبا وحيدا وروي ان بني عوف الذين بنوا مسجد قبا اتوا مسجد عمر الخطاب
في خلافة هشام لوه ان ياتوا لجمع بن جارية ان يامهم في مسجدهم فقال لا ونعمة عاب
اليس هو امام مسجد الضدار قال لجمع يا امير المؤمنين لا تجعل على قوا الله لقد صليت فيه
واني لا علم ما صدر واعليه ولقد علمت ما صليت معهم فيه وكنت غلاما قاريا للقران
وكانوا شيوخا لا يقرأون فصليت لهم ولا احسب الا انهم يتقربون الي الله ولم اعلم
ما في القسم فغدره عمر وصدقه وامره بالصلاة في مسجد قبا فاعطاه الله على عمر
ابن الخطاب امر المسلمين ان يبنوا المساجد وامرهم ان لا يبنوا في موضع واحد
مسجدين يضارا خدما الاخر قوله تعالى **لا تقم فيه** **انك** قال ابن عباس معناه
لا تصل فيه لئلا منع الله بنيه صلى الله عليه وسلم ان يصل في مسجد الضدار **للمسجد**
استش على التقوي من الله اللام فيها لام الابتداء وقيل لام القسم فقدره والله لاسجد
اسر يعني بني اصدله ووضع اساسه على تقوي الله عز وجل **من اول**
يوم بني اوضع اساسه كان ذلك على التقوي فقال ابن عمر وزيد بن ثابت وابوسعيد
الحذري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة ويدل عليه ما روي

قد ظم

عن ابي سعيد الخدري قال دخلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقال لي رسول
الله اي المسجد اسن علي التقوي فاخذ لفا من حصبا فغضب به الارض ثم قال هو مسجد كرم هذا
مسجد المدينة اخرجته مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي
ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري علي حوضي عن عبد الله بن زيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان قوام منبري هذا واثب في الجنة اخرجته النسائي قوله روات يعني ثوابت
يقال رتب بالمكان اذا قام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن
جبير وقادة انه مسجد قبا ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى **فيه رجال يحبون**
ان يتطهروا ويدل عليه انهم اهل قبا ما روي عن ابي هريرة قال نزلت هذه الآية في اهل قبا فيه
رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالما فترلت هذه الآية فيهم
اخرجته ابو داود والترمذي وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول من رواية
ابي داود والترمذي موقوفا على ابي هريرة ورواه البغوي من طريق ابي داود مرفوعا عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا
قالوا كانوا يستنجون بالما فترلت فيهم هذه الآية وما يد لعل فضل مسجد قبا ما روي عن ابن عمر
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قبا او ياتي قبا راكبا وما شيا زاد في رواية فضلي فيه
ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياتي مسجد قبا كل سبت راكبا
وما شيا وكان ابن عمر يفعله اخرج الرواية الاولى والزيادة البخاري ومسلم واخرج
الرواية الثانية البخاري عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حي
ياي هذا المسجد مسجد قبا فيصلي فيه كان له كعبلة عمرة اخرجته النسائي عن اسد بن ظهير ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قبا كعمرة اخرجته الترمذي وقوله تعالى فيه
رجال يحبون ان يتطهروا يعني من الاحداث والجنابات وسائر النجاسات وهذا قول اكثر
المفسرين قال عطاء كانوا يستنجون بالما ولا ينامون بالليل على الجنابة عن ابي هريرة قال
نزلت هذه الآية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قالوا كانوا
يستنجون بالما فترلت فيهم هذه الآية اخرجته ابو داود والترمذي وقال حديث غريب
هكذا ذكره صاحب جامع الاصول موقوفا عن ابي هريرة ورفعه البغوي في غيرهم فقالوا
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا
وكان من اهل بدرا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
احسن عليكم الشا في الطهور فما هذا الطهور قالوا رسول الله ما فعل شيئا الا ان جيرانا
لنا من اليهود رايناهم يغسلون اديبارهم من الغايط فغسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال
ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا هل قبا ان الله قد احسن عليكم الشا في الطهور
فما تصنعون قالوا اننا نغسل عننا اشر الغايط والبول قال الامام فخر الدين الرازي المراد من
هذه الآية الطهور الطهارة من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجه
الاول ان التطهر من الذنوب هو الموت في القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه

قاله

الوجه

الوجه الثاني ان الله تعالى وصف اصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والتقرب بينهم والكفر
بالله ولون هاء ولا يعني اهل قبا الضرار من صفاتهم وما ذلك الا لكونهم من الكفر والتناق
والمعاصي وهي الطهارة الباطنة الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما تحصل لها اثر
عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنة من الكفر والمعاصي وقيل يحتمل انه محمول على كلا
الامرين يعني طهارة الباطن من الكفر والتناق والمعاصي وطهارة الظاهر من الاحداث
والنجاسات بالما **والله يحب المطهرين** فيه مدح لهم وشا عليهم والرضاعنهم بما اثاروا
لانفسهم من المداومة على طهارة الطهارة قوله تعالى **ان اسئس شيئا على تقوي من الله ورضوان**
يعني طلب بناية المسجد الذي بناه تقوي الله ورضوانه والمعني ان الباقي لما بني ذلك البناء كان
مقتضى تقوي الله وطلب رضائه وثوابه **خير من اسئس شيئا على تقوي من الله ورضوان**
الشيء هو السغير والمثار وشفا كل شيء جوفه ومنه يقا لا شفي على ذلك اذا دني منه وقرب
ان يتبع فيه والجزء المكان الذي اكل الما حته فهو الما سقط قريب قال ابو عبيد الجوف
هو الهوم وما حفره السيل من الاودية فيحفر بالماء فيقوي واهيا هاراي هاراي وهو السا
فمن هار هور فهو هار وقيل هوم هار هار اذا اندر وسقط بالباقي وهو الذي
تداعي بعضه في اثر بعض كاهار الزل والشيء الرخو **فانها ربه** يعني سقط بالباقي **في ناز**
جهنم والله لا يقدي القوم الظالمين والمعني ان بناه هذا المسجد الضرار كالبنا على شفير
جهنم يثور باهله وهذا مثل ضرب الله للمسلمين مسجد الضرار ومسجد التقوي او مسجد قبا
او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فمعني المثل ان اسئس ببناء دينه على قاعدة قوية
محكمة وهي الحق الذي هو تقوي الله ورضوانه خير من اسئس دينه على اضعف القواعد
واقلها بقا وثباتا وهو الباطل والتناق الذي مثله مثلنا على غير اساس ثابت وهو شفا
جوف هار واد كان كذلك كان اسرع الى السقوط في نار جهنم ولا تباي الاول قصد بناية
تقوي الله ورضوانه فكان بناؤه اشرف البناء والباقي الثاني قصد بناية الكفر والتناق
واضرار المؤمنين المسلمين فكان بناؤه اضر البنا وكان عاقبته الى نار جهنم قال ابن عباس
صيرهم تقا قهم الى النار وقال قتادة والله ما تاهي نا وهم حتى وقع في النار ولقد ذكر لنا
انه حفره بقعة منه قراي الدخان يخرج منه وقال جابر بن عبد الله رايت الدخان يخرج
من مسجد الضرار **لا يزال البنا انهم الذين بنوا ريبه** يعني شكوا ونفاقا **في قلوبهم** والمعني ان ذلك
البناء صار سببا للحصول الرتبة في قلوبهم لان المناققين فرحوا ببنا مسجد هوم فلما امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه تغل ذلك عليهم وان دادوا غما وحزنا وبغض الرسول الله صلى
الله عليه وسلم فكان ذلك سبب الرتبة في قلوبهم وقيل انهم كانوا يحسبون انهم محسنون
في بناية كاجب الجهل الي بني اسرائيل فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه بنواشاكين
مترابين لا يسيب امر تخريبه وقال السدي لا يزال هدم بنيانهم ريبة اي حراره وعيظاني
قلوبهم **الا ان تخط قلوبهم** اي جعل قلوبهم قطعا وتغرق احزابا بالسيعة ولما بالموت
والمعني ان هذه الرتبة باقية في قلوبهم الى ان يموتوا عليها **والله اعلم** يعني باحوالهم
واحوال جميع عباده **حكيم** يعني فيما حكم به عليهم قوله عز وجل **ان الله اشرفي من الوثن**

انفسهم واثموا لهم الجنة الآية قال محمد بن كعب القرظي قال لما بايعت الانصار رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترطت
ولنفسك ما شئت قال اشترطت ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترطت نفسي ان تمنعوني
ما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك قال الجنة قالوا انما نبيعك
ولا نستقبل فترت ان الله اشترى من المؤمنين كل ما لهم الجنة قال ابن عباس الجنة
قال اهل المعاني لا يجوز ان يشتري الله شيئا في الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملك
والاشياء كلها ملكا لله فعاخر وجل ولهذا قال الحسن انفسنا هو خلقها واموالنا هو رزقنا
ايها لكن جري هذا مجري التلطف في الدعاء الى الطاعة والجهاد وذلك لان المؤمن اذا قاتل
في سبيل الله حتى يقتل او انفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الاخرة جزا لما كانوا يفعلون
في الدنيا فجعل ذلك استبدلا واشترى هذا معنى اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم لانه
لهم الجنة والمراد بالاموال الثقات في سبيل الله وفي جميع وجوه البر والطاعات **فَيَقْتُلُونَ**
وَيُقْتَلُونَ يعني فيقتلون الله ويقتلون الله في طاعة الله وسبيله **وَعَدَ عَلَيْهِ حَقًّا**
يعني ذلك الوعد بان لهم الجنة وعدا على الله حقا في **التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ** يعني ان
هذا الوعد الذي وعد الله المجاهدين في سبيله قد اثبتته في التوراة والانجيل كما اثبتته
في القرآن وفيه دليل على ان المدينا لجهاد موجود في جميع الشرائع ومكتوب على جميع
اهل الملل ومن **أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ** يعني لا احد اوفى بالعهد من الله **فَاسْتَبَشِرُوا**
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ يعني فاستبشروا ايها المؤمنون بهذا البيع الذي بايعتم الله به وذلك
يعني هذا البيع هو التوراة العظيم لانه راسخ في الاخرة قال عمر بن الخطاب ان الله بايعكم وجعل
الصعقتين لك وقال الحسن اسعوا الى بيعة راحة بايع الله بها كل مؤمن وعنه قال ان الله
تعالى عطاكم الدنيا فاشترى الجنة ببعضها وقال قتادة ثامنهم فاعلى لهم قوله تعالى **التَّائِبُونَ**
قال القرطبي استوفى لفظ التائبين بالرفع لتمام الآية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج
التائبون رفع بالابتداء وخبره ضمير المعني التائبون الي احوه لهم الجنة ايضا من لم يجاهد
غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد فله الجنة ايضا وهذا وجه حسن كانه وعد بالجنة لجميع
المؤمنين كما قال وكلا وعد الله الحسني ومن جعله تابعا للاول كان الوعد بالجنة خاصا
للمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبين على المدح يعني المؤمنين
الذين كورن في قوله ان الله اشترى واما التفسير فقوله تعالى التائبون يعني تابوا من
الشرك وبروا من النفاق وقيل التائبون من كل معصية فدخل فيه التوبة من الكفر
والنفاق وجميع المعاصي لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم ان التوبة
المقبولة انما تحصل بحصول اربعة امور اولها احتراق القلب عند صدق المعصية وثانيها
الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها ان يكون الحامل له
على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة لخصيص مدح الناس له
ودفع مدمتهم فليس يخلص في توبته **الْعَابِدُونَ** يعني المطيعين لله الذين يرون

انفسهم

عباده الله واولو

عبادة الله ولجة عليهم وقيل هم الذين اتوا بالعبادة على اقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهي ان
تكون العبادة خالصة لله تعالى **الْحَامِدُونَ** يعني الذين يمدحون الله على كل حال في السراء والضراء
وروي البغوي بغير سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اول من يدعى الى الجنة يوم
القيامة الذين يمدحون الله في السراء والضراء وقيل هم يمدحون الله ويقولون بسم الله
جميع بقره دنيا واخرى **الشَّاكِرُونَ** قال ابن سعد وابن عباس هم الصايحون قال سفيان
ابن عيينة انما سمي الصائم شاكرا لانه اذا شكر الله على ما اكله من الطعام والشراب والنكاح وقال
الان هري قيل للصائم شاكرا لان الذي يبيع في الارض يمدح لانه اذا اكله كان مسكنا عن الاكل
وكذا الصائم يمدح عن الاكل وقيل اصل الشياحة استمرار الذهاب في الارض كما الذي
يسمى والصائم يستمر على فعل الطاعة ونزل المنهي وقال عطاء السايحون هم الغزاة المجاهدون
في سبيل الله ويدل عليه ما روي عن عثمان بن مظعون قال قلت لرسول الله اريد ان
في الشياحة فقال ان شياحة امي الجهاد في سبيل الله ذكره البغوي بغير سند وقال علمية
السايحون هم طلبة العلم لا هم ينتقلون من بلد الى بلد في طلبه وقال ان الشياحة لها اثر
عظيم في طلب تذيب النفس وتحسين اخلاقها لان الشاكرا لا بد ان يلقي انواعا من الصبر واليقين
ولا بد له من الصبر عليها ولبلي العلم والصالحون في سياحته فيستفيد منهم ويعود عليهم
بركته وبري العجايب واتار قد الله تعالى فيتمتع في ذلك فيد له على وحدانية الله تعالى
وعظيم قدرته **الْمُتَّقُونَ** **التَّاجِدُونَ** يعني المتقين وانما عمن الصلاة بالزكوة
والجود لانه معظم اركانها وما يتميز المصل عن غير المصل بخلاف حالة القيام والقعود لانها
حالة المصلي وغيره **الْمُرُونَ** يعني يأمرون الناس باليمان بالله وحده **وَالْمُتَّقُونَ**
وَالْمُتَّقُونَ يعني عن الشرك بالله وقيل انهم يأمرون الناس بالحق في اديانهم واتباع
الرشد والهدى والعمل الصالح وينهونهم عن كل فعل وقول ينافي الله عبادة عنه او ينافي عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن اما انهم لم يأمروا الناس بالمعروف حتى كانوا امن
اهله ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه واما دخول الواو في **وَالْمُتَّقُونَ** عن المتكرفات
العرب فظفت بالواو على السبعة ومنه قوله تعالى وثامنهم كلامهم وقوله في صفة الجنة
ادخلت ابوابها وقيل فيه وجه اخر وهو ان الموصوفين بهذه الصفات الست هم
الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله التائبون الي قوله الناس
مستد اخبره هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر **وَالْحَافِظُونَ** **لِحُدُودِ اللَّهِ**
قال ابن عباس يعني القايين بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لغز الله وهم اهل الوفا
ببيعة الله وقيل هم المودون في ايض الله المنتهون الى امره ونهيه فلا يضيعون شيئا من
العمل الذي الزمهم به ولا يرتكبون ممينا منها هم عنه **وَالْمُؤْتِينَ** يعني واثموا بما
المصدقين بما وعدهم الله به اذا اوفوا الله تعالى بعهده فانه موف لهم وعدهم من
ادخالهم الجنة وقيل وبشر من فعل هذه الافعال التسع وهي قوله التائبون الي اخر الآية
فان له الجنة وان لم يفرز قوله عز وجل **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالنَّبِيِّ امْتِثَالُ** **يَسْتَفْعِرُونَ**
لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا اُولِي شَرْحٍ الآية اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه

الاية فقال قوم من شأن ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم والد علي كرم الله وجهه وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ويدل على ذلك
ما روي عن سعيد بن المسيب عن ابيه المسيب بن حزن قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده انا جهل وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة
فقال اي عم فلان اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية
انزع عن املة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعرضها عليه ويعودان
لتلك المقالة حتى قال ابو طالب احرمنا كلهم انا على املة عبد المطلب واني ان يقول لا اله الا
الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا استغفرون لك ما لمرأته عنك فانزل الله
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وانزل الله
في ابي طالب انك لا تقدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء اخرجه في الصحيحين فان قلت
قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الآية في شأن ابي طالب وذلك ان وفاته كانت بمكة
اول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهي من آخر القرآن نزولا قلت الذي نزل
في ابي طالب قوله تعالى انك لا تقدي من احببت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استغفرون لك ما لمر
انه عنده كافي الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له في بعض الاوقات الى ان
نزلت هذه الآية ومنع من الاستغفار والله اعلم بمراده واسرار كتابه مر عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنه عند الموت فلان اله الا الله اشهد لك بها يوم
القيامة فاني فانزل الله انك لا تقدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء الآية في رواية
قال لولا تعوي في قبري يقولون انما حله ذلك لخرج لا فترت بها عينك فانزل الله هذه الآية
ق عن ابي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه ابو طالب فقال
لعنه تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في صحاح من نار تبلغ كفيه كعبه يغلي منه
ام دماغه وفي رواية يغلي منه دماغه من حرارة نغليه ق عن العباس بن عبد المطلب
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت لرسول الله ما اغتيت عن عمك فانه كان يحوطك
ويغضب لك قال هو في صحاح من نار ولولا اني لكان في الدرك الاسفل من النار وفي
رواية قال قلت لرسول الله ان عمك ابا طالب كان يحوطك وينصر لك فقل ينفعه ذلك قال
نعم وحديثه في غزوات من النار فاخرجته الى صحاح وقال ابو هريرة وبريدة لما قدم
النبي صلى الله عليه وسلم مكة اتى قبر امه آمنه فوقف حتى حمت الشمس رجلا ان يودن
له فيستغفر لها فترلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الآية
وروي الطبراني بسنده عن مريد ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اتى رستم قال
واكثر ظني انه قال قبر فجلس اليه فجلس فحاطك ثم قام مستغفرا فقلنا برسول الله انا
راينا ما صنعت قال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في
الاستغفار لها فلم يودن لي فاذن لي بايها اكثر من يومئذ وحكي ابن الجوزي عن مريد ان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبر امه فتوضا وصلى ركعتين ثم بكى الناس لبكاية ثم
انصرف اليهم فقالوا ما بك قال مررت بقبر امي فصليت ركعتين ثم استاذنت ربي

رواه
سنن الترمذ

عيب

ان استغفر لها فنهيت فيكيت ثم عدت فصليت ركعتين واستاذنت ربي ان استغفر لها فنهيت
فترجت رجلا فاباها في شرفها راحلته تركها فاسار الالهية حتى قامت الناقة لتقتل الوحي
فترلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى الآية هي
اي هوس قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وبكى من حوله وقال استاذنت ربي في
ان استغفر لها فلم يودن لي واستاذنته في ان يورقها فاذن لي فزوروا القبر فانها
تذكر الموت وقال لقادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا استغفرون لك ما لمرأته عنك فانزل الله
لا اله الا الله هذه الآية وروي الطبراني بسنده عنده قال ذكر لنا ان رجلا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا النبي صلى الله عليه وسلم ان كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويملك
الغني ويوفي بالدم فلا استغفروا له فقل يا النبي صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله لا استغفرون
لا اله الا الله استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين الآية ثم روي الله ابراهيم فقال **ما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن سبق امر**
بني علقم وقالوا يا النبي صلى الله عليه وسلم قال استغفروا له ولا يستغفروا له يومه وهما مشركان
فقلت له استغفر لابيوك وهما مشركان فقال لا استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك فذكرت
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فترلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الآية
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واخرجه الطبراني وقال فيه فانزل الله
عن رجل ما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعده وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله
تبرأ منه الامة ومعنى الآية ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وليس لهم
ذلك لان الله تعالى لا يغفر للمشركين ولا يجوز ان يطلب منه ما لا يغفره فنهى عن
الاستغفار للمشركين ولو كانوا اولي قربى لان النبي صلى الله عليه وسلم لا يستغفر للمشركين عام فيستوي
فيه القريب والبعيد ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى من بعد ما سمعهم
اهم اصحابنا **الحجرات** يعني تبين لهم انهم لا يؤمنون على المشركين فنهى عن استغفارهم وايضا فقد
قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به والله لا يغفر له واما قوله تعالى وما كان استغفار
ابراهيم لابيه الا عن موعده وعدها اياه فغناه وما كان طلب ابراهيم لابيه المغفرة من
الله الا من اجل موعده وعدها ابراهيم اياه ان يستغفر الله له رجاء سلامه فقال علي بن ابي
طالب رضي الله عنه لما اتى الله خبرا عن ابراهيم انه قال سلام عليك ساستغفر لك
رني سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت استغفر لابيوك وهما مشركان
فقال اولي يستغفر ابراهيم لابيه فانبت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله
عز وجل قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الذي قال لا اله الا الله لا استغفرون لك
يعني ان ابراهيم ليس بقدر في هذا الاستغفار لانه انما استغفر لابيه وهو مشرك لكان
الوعد الذي وعد رجلا ان يبلغ فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فعلى هذا الها في اياه
راجعة الى ابراهيم والوعد كان من ابيه وذلك ان ابا ابراهيم وعدا ابراهيم ان يبلغ فقال
ابراهيم ساستغفر لك ربي يعني اذا سلمت وقيل ان الها راجعة الى الاب وذلك ان
ابراهيم وعدا اياه ان يستغفر له رجاء سلامه وبوك هذا قوله ساستغفر لك ربي يد

خرج

ينبغي

الاسم

ايضا وعندها اباه بالالموحدة فلما تبين له انه عدو لله تعالى عند ذلك يعني فلما ظهر له ابراهيم
وبان له ان اباه عدو لله يعني بموته على الكفر تبرأ منه عند ذلك وقيل لا يخفى ان الله اوحى
الي ابراهيم ان اباه عدو له تبرأ منه وقيل لما تبين له في الاحزة انه عدو لله تبرأ منه ويدل على
ذلك ما روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغني ابراهيم اباه اربعة ايام والقيامة
يطلع وجهه اربعة ايام فيقول ابراهيم الم اقل لك لا تعصني فيقول ابوه فاليوم لا اعصيك
فيقول ابراهيم رب انك وعدتني ان لا تخزي بي يوم يبعثون فاني خزي اخزي من ابي ابعد
فيقول الله تعالى اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول يا ابراهيم ما تحت رجلك فينظر فاذا هو
بنوع ملتصق فيؤخذ بقوائم فيلقى في النار اخرجها انظر ايزاد غيره فترأسهم يومئذ
العترة غيرة يعلوها سواد والذبح نذ الامعة ثوبا مشاة من تحت شراخ امجة وهو ذكر
الصباغ والاني ذبحة وقوله تعالى ان ابراهيم اولاه حليم جاء في الحديث ان الاواه
الخاصع المتضرع وقال ابن سعد الاواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما
هو المؤمن التواب وقال الحسن وقناة الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه المؤمن
وقال كعب الاجار هو الذي يكسر الناقه وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول
اوه من النار قبل ان لا يتقاع اوه وقال عقبه بن غنم الاواه الكثير الذكر لله عز وجل
وقال سعيد بن جبير هو المستجير وعنه انه المعلن بالخبر وقال عطاء هو الراجع عما كره الله
الخائف من النار وقال ابو عبيدة هو المتأوه شقفا وفرقا المتضرع يقينا وتزوما لطلاعة
قال الزجاج انتظم في قول ابي عبيدة جميع ما قيل في الاواه واصله من التأوه وهو ان يسمع
المصدر صوت يتنفس على الصعدا والفعل منه اوه وهو قول الرجل عند شدة خوفه
وحزنه اوه والسبب فيه ان عند الحزن تحمى الروح داخل القلب ويشد حرها فالانسان
يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة ولما الحليم فعناه
ظاهرا وهو الصوفع عن سبه او اتاه بمروره ثم يقابل بالاحسان والالطف كما فعل ابراهيم
مع ابيه حين قال له لين امرتته لا رجسك افا جابه ابراهيم بقوله سلام عليك ساسقندر
لك ربي وقال ابن عباس الحليم السيد وانما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام
بهذين الوصفين وهو شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله فينب
الله تعالى انه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة يتلوه ليلته لما ظهر له اصراره على الكفر
فاقتدوا انتم به في هذه الحالة ايضا وقوله تعالى وما كان ليضل عن امر الله يعني وما
كان الله ليقتضي عليكم بالاضلال بسبب استغفاركم لموتاكم المشركين بعد اذ رزقكم
الهداية وو قتلتم الايمان به ورسوله وذلك انه لما منع المؤمنين من الاستغفار
للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع خافوا ما صدر منهم فاعلم ان ذلك ليس
بصارهم حتى تبين لهم ما يتقون يعني ما يأتون ويدرون وهو ان يتقدم اليهم
بالله عن ذلك الفعل فلما قبل النبي فلا حرج عليهم في فعله وقيل ان جماعة من المسلمين
كانوا قد ما تواقبوا النبي عن الاستغفار للمشركين فلما سمعوا من ذلك وقع في قلوب
المؤمنين خوف على من مات على ذلك فانزل الله عز وجل هذه الآية وبين انه لا يؤاخذهم

هذا هم

بعمل الابرار

بعمل الابرار ان تبين انه يحجب عليهم ان يتقوه ويتكوه قال مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك
الاستغفار للمشركين خاصة وبيانهم في معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك
وما كان الله ليضل عن امر الله يعني ما يأتون ويدرون وقال مقاتل والكلمة
هذا في امر المنسوخ وذلك ان قوما قدسوا على النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا قبل تحريم
الخمر وصرفت القبلة الى الكعبة فرجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت
القبلة الى الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدسوا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت
والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا ليرسل الله قدسنا على دين ونحن على غيره فحسبنا
فانزل الله ما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعني وما كان الله ليضل قوما بعد
علوا بالمنسوخ حتى تبين الناس ان الله بكل شيء عليم يعني ان الله تعالى عليم بما خالط نفوسكم
من الخوف عندما كفتم عن الاستغفار للمشركين ويعلم ما بينكم لكم من امره ونواهيهم
ان الله له ملك السموات والارض يعني انه تعالى هو القادر على ملك السموات والارض
وما فيها عبيدكم وملككم فيهم بما يشاء يعني انه يحيي من يشاء على الايمان وبنيته
عليه ويحيي من يشاء على الكفر وبنيته عليه لا عزاء له احد عليه في حكمه وعبيدكم وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصيب يعني انه تعالى هو وليكم وما لكم ليس لكم غيره معكم
من عدو لكم وينصركم عليهم قوله عز وجل لقد ثاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
تاب الله معني تجاوز ومعني عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعني ثابته عليه باذنه لما تقرب بالطف
عنه في غزوة تبوك وهو كقوله عفا الله عنكم لما ذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لانه ذنب
يوجب عقابا وقال اصحاب المعاني هو مفتاح الكلام للنبي فهو كقوله تعالى فان لله خمسة
ومعني هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والانصار في ضم قوتهم الى توبة
النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فان لله خمسة وللرسول فهو
تشريف له واما معني توبة الله على المهاجرين والانصار فلا جلا ما وقع في قلوبهم من الميل الى
المنعوت عن غزوة تبوك لانها كانت في وقت شديد ورما وقع في قلوب بعضهم ان لا تقدر على
قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه
الخوار والوساوس النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلو من ذنوب وتباعد في مدغمه اما
من باب الصغار واما من باب ترك الافضل ثمران النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما
تحلوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدايد التي حصلت لهم في ذلك
السفر عفا الله عنهم وتاب عليهم لاجل ما تحملوه من الشدايد العظيمة في تلك الحولة الغزوة
مع النبي صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم
مرايتهم في الدين وانهم قد بلغوا الى الرتبة التي لا جلا ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم
الى ذكرهم الذين استغفروا في غزوة تبوك في تلك الغزوة من المهاجرين والانصار وغيرهم
من سائر القبائل في ساعة العسرة يعني في وقت العسرة ولهم مرد ساعه بعينها والعسرة
الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك غزوة العسرة والجيش الذي سار بهي جيش
العسرة لانه كان عليهم عسر في الظهور والزراد والما قال الحسن كان العسرة منهم مخزجون على

وقد ذكر بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين الفا من المشركين واليهود والنصارى من المهاجرين والانصار

بغير واحد يعتقونهم بركب الرجل ساعة ثم يترك صاحبه كذلك وكان زادهم التمر
 المسوس والشعير المتغير وكان الغنم يخرجون وما معهم الا الثمرات اليسير بينهم فاذا بلغ
 الميرع بينهم من اخدهم اخذ الميرع فلا لها حتى يحد طعما ثم يخرجها من فيه ويعطها صاحبه ثم
 يشرب عليها جرعة من الماء كذلك حتى ياتي على اخرهم ولا يبقى من الثمرة الا النواة فمضوا مع النبي
 صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسول الله صلى
 الله عليه وسلم الي تنول في قنيط شديد فتر لنا من اصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا
 ستقطع وحتى ان الرجل يجر بعيره فيعصر عنقه فيشربه ويجعل ما بقي على كعبه وحتى
 ان الرجل كان يذهب لتمر ولا يرجع حتى يظن ان رقبته ستقطع فقال ابو بكر الصديق رسول
 الله ان الله عز وجل قد عودك في الله فاحذر اذاع الله قال لا تخب ذلك قال نعم قال فرفع
 يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجع حتى قالت النساء يا ايها النبي انك قد اذاع الله ما
 قد عهدنا منكم فاجابوا في ذلك ما لا يرضون به الطري عن عمر ذلك **من بعد ما كان في**
قلوب قريش منهم يعني من بعد ما قارب ان تميل قلوب بعضهم عن الحق من اجل المشقة والشدة
 التي نالهم والزيغ في اللغة الامانة وقيل هم بعضهم ان يبارق الرسول صلى الله عليه وسلم
 عند تلك الشدة التي نالهم لكنهم صبروا واواخسبوا وندموا على ما خطر في قلوبهم فلا جاز ذلك
 قال الله **شرايب عليهم** يعني انه علم الاخلاص منهم وصدق توبتهم فزادهم الاثابة والتوبة
 فان قلت قد ذكر التوبة اول شدة كرها ثانيا فاما فائدة التكرار قلت انه تعالى ذكر
 التوبة اول قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطيبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك واراد
 بذكر التوبة مرة اخرى تظيما لثباتهم وليعلموا انه تعالى قد قبل توبتهم وعفى عنهم ثم اتبعه
 بقوله **انهم انهم روف وجيم** تأكيد لذلك ومعنى الروف في صفة الله تعالى انه الرقيق
 بعباده لانه لم يحلم بالابطال من العبادات وبين الروف والرحيم فرق لطيف
 وان تقارب في المعنى قال الخطابي قد يكون الرحمة مع الكرامة للمصاحبة ولا تكاد الرفة تكون
 في الكرامة قوله تعالى **وعلى الثلاثة الذين خلفوا** هذا معطوف على ما قبله فقد بين
 لقد ثاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وعلى الذين خلفوا وافاد هذا العطف بان
 قبول توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن امية وراية بن الربيع وكلم من الانصار وهم
 المرادون بقوله تعالى واخرون يرجون لاه الله وفي معنى خلفوا قولان احدهما انهم خلفوا
 عن توبة ابي لينة واصحابه وذلك انهم لم يخضعوا كما خضع ابو لينة واصحابه كتاب الله على
 ابي لينة واصحابه واخراهم ولا الثلاثة مدة ثبات عليهم بعد ذلك والقول الثاني انهم
 خلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها واما الحديث توبة
 كعب بن مالك وصاحبه فقد روي عن ابن شهاب الزهري قال اخبرني عبد الرحمن بن عبد الله
 ابن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب وكان قايده كعب من مبيته حين عمي قال وكان اعلم قومه
 واوعام حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك يقول حديثه حين
 تخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب لم اتخلف عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في غزوة غزاهما قط الا في غزوة تبوك غير اني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب

احد خلف عن

احد تخلف عنها اما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون غير قريش حتى جمع الله بينهم
 وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقتنا
 على الاسلام وما احب اني لها مشهد بدروان كانت يدركني الناس وكان من جبري حين
 تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اني لم اكن قط اقوي ولا ايسر مني حين تخلفت
 عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها واحلتيين فظننتي جمعتها في تلك الغزوة ولم يكن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة غيرها الا وري بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاهما
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في حشد يد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا واستقبل عدوا
 كثيرا اجمالا للمسلمين امرهم لينا هموا اهبة غزوهم واخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يحصى كتاب حافظ يريد بذلك الدعوى ان قال كعب
 فقل رجل يريد ان يتعيب الاظن ان ذلك سيجفي ما لم يزل فيه وحي من الله عز وجل ورسول الله
 صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثار والظلال وانا اليها اصغر فتجوز رسول الله صلى
 الله عليه وسلم والمسلمون معه وطفت اعذولي الجهم معهم فارجع ولم اقص شيئا واقول في نفسي
 اننا قد رجعنا على ذلك اذ اردت فلم يزل ذلك يتماوي في جني استمر بالناس الجدا فاصبح رسول الله صلى
 الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم اقص من جهاني شيئا ثم عدوت فزجعت ولم اقص شيئا فلم
 يزل ذلك يتماوي حتى اسرعوا وتعارط الغزو فجمعت ان ارجع فادركهم فنيا ليقيني فقلت ثم لم
 يقدر لي ذلك وطفت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحزني
 اني لا اري في سورة الا رجلا مغضوا عليه في النفاق اورجلا من عذر الله في الضعفا ولم يدركني
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يتوكل فقال وهو جالس في القوم يتبول ما فعل كعب بن مالك
 فقال رجل من بني سلمة برسول الله حيسه برده والنظير في عطفيه فقال له معاذ بن جبل
 يميننا فقلت والله برسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم وساجر
 فبينما هو كذلك اذ رجلا من بني النضير من بني النضير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وساجر
 كن اباحية فاذا هو ابو جهشة الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمز الماتقون
 قال كعب فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلنا من تبوك فحضر في بيوتنا فقلت
 ان ذكر اللذ وباقول ما اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من اهل فلما
 قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اضل قادمنا راج عني الباطل حتى عرفت اني لن اجد منه
 بشي ابدا فاجعت صدقه وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ولم قادما وكان اذا قدم من سفر
 بدا بالمسجد فركب فيه وكنت من شرجس الناس فلما فعل ذلك جاء المخلفون فطفقوا يعذرون
 اليه ويخلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل الله علانيتهم وباعيتهم واستغفرهم
 ووكلا سرايرهم الى الله تعالى حتى حيث فلما سلمت تبسم تبسم الغضب ثم قال فقال فييت
 امشي حتى جلست عند غيرك بين يديه فقال ما خلفك الهيك قد اتبعت ظمرك قلت رسول
 الله اني والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرايت اني ساخرج من سخطه بعد ولقد
 اعطيت حذلا ولكي والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضي به عني ليوثقن
 الله ان ليخطبك يا ولين حدثك حديث صدق تجد عليه في ارجو فيه عفي الله وني

منهم

رواية عن رسول الله عز وجل والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط اقوي ولا ايسر مني حين تخلفت
 عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا فقد صدق فقمت حتى يقضي الله فيك فممت
 وتار رجلا من بني سلمة فاتبوني فقالوا لي والله ما علمنا انك اذنت ذبا قبل هذا القدر عجزت في ان
 لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك
 استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوالله ما زالوا يفتونني حتى اردت ان ارجع الى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال قد نفسي قال ثم قلت لهم هل لي من هذا معي من احد قالوا نعم لغيره معك
 وجلان قال لا تشر ما قلت وقيل لها من اقل لك قلت من هاهنا قالوا من الربيع العامري
 وهلال بن امية الواقفي قال قد كروا لي رجلين صالحين قد شهدا بديار فغيرها اسوة قال
 ومضيت حين ذكر وهالي قال واني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا اياها الثلاثة من بين
 من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس او قال قد تغير والناحي تفكرت في نفسي الارض فاهي بالارض
 التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحبنا فاستكانا وقد اتيه بيوتهم بكميات
 ولما انا فكت اشب الغوم واجلد همر فكتب اخرج فاستند الصلاة والحرف في الاسواق
 فلا يكلمني احد واني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة
 فاقول في نفسي هل جزا شقيبه بر السلام امر لا سراجي في زمانه واستارته النظر فاذا اقبلت
 على صلاتي ينظروني فاذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال على ذلك من جفوة المسلمين مشيت
 حتى تسورت حمارا يط ابي قتادة وهو ابن عمي ولعب الناس الى فمكت عليه فوالله ما ارد
 السلام فقلت يا ابا قتادة استندك بالله هل تعلمني احب الله ورسوله قال انصبت فعدت
 فعدت فاشدته فمكت فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عينا ي وتوليت حتى تسورت الجدار
 فبينما انا امشي في سوق المدينة اذا بنطي من بطن اهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة
 يقول من يدرك على كعب بن مالك قال فطلق الناس يشيرون له الى جاني فذفع الي كتابا
 من ملك عسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه انا بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد
 جفاك ولم يجعلك بدار هوان ولا مضيق فالحق بنا نواسيك قال فقلت حين قرأته
 وهذه ايضا من البلا فتمت بها التور فخرجتها جي مضت اربعون من الحسين واستلبت
 الرحي واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه السلام فقلت ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يا امرؤ ان تغتر ابراك قال قلت اطلقها ام ماذا افعل قال لا بل اعترها ولا تغترها
 وارسل لصاحبي مثل ذلك قال قلت لا مراي الحق يا هلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا
 الامر قال فاجات امرأة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان
 هلال بن امية شيخ ضايع ليس له خادم فصل تكم ان اخذته قال لا ولكن لا يقربك فقالت انه
 والله ابه من حركة الي شي والله ما زال يبكي منذ كان من امره ما كان الي يومه هذا قال
 فقال لي بعض اهلي لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرائك فقد اذن للمرأة
 هلال بن امية قال قلت لا استاذن في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوالله ما
 الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشرين ليلة فمكت
 خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر

ارادة صلات

الله

بيت

بيت من بيوتنا فبينما انا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا قد ضاقت علي نفسي وضائق
 على الارض ما رجت سمعت صوت صراخ او في على سلم يقول يا علي صوتك يا كعب بن مالك ابشر
 قال فخررت ساجدا وعلت انه قد جاء فرج قال واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس ببيعة
 الله علينا حين صليت صلاة الفجر فذهب الناس يشيروننا فذهب قبلنا جابي مبشرون ولهم
 رجل الي فوسا وسعي ساع من اسلم قبلي واوتي على الجبل وكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاني
 الذي سمعت صوتة يبشر في فخرعت له ثوبي فكسوتهما اياه يبشارته والله ما امك غيرهما
 يرمين واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت اتا م رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكتا في
 الناس فوجا فوجا يهنوني بالبيعة ويقولون ليمنك ثوبة الله عليك حتى دخلت المسجد
 فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله هروا حتى صاغتني
 وتلقاني والله ما قام رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا يضاها لطلحة قال كعب
 فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم
 عليك منذ ولدتك امك قال قلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله فقال بل امن عند
 الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سراسنار وجهه حتى كان وجهه قطعة
 فمر قال وكان يعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من ثوبي ان اخلع
 من ماله صدقة الي الله والي رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امك بعض مالك
 فخرجت لك قال فقلت اني امك سهي الذي يخبر قال وقلت يا رسول الله ان الله انما يخاف
 بالصدق وان من ثوبي ان لا احذر الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت احد من المسلمين
 ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن ما ابلاني
 الله والله ما انعمت كذبة منذ قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني يوتي هذا راي لا رجو
 ان يحفظني الله فيما بقي قال فانزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصا
 الذين اتبعوه في ساعة العسرة فيبلغ انهم روف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا
 حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال
 كعب والله ما انعم الله علي من نعمة قط بعد ان هديت للاسلام اعظم من نفسي من صدق
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يكون كذبة فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز
 وجل قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شروا ما قال احد فقال الله سبحانه وتعالى يحلفون
 بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتقرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وما واهم جهنم جزا
 بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لتقرضوا عنهم فان الله لا يرضي عن القوم الفاسقين
 قال كعب كنا خلفنا ايا الثلاثة عن امر اوليك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم حين خلفوا له فبايعهم واستغفرهم وارجا رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى
 قضوا الله تعالى فيه بذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذي
 ذكرنا خلفنا حق التور واما هو تخليفتنا ايانا وارجاه امرنا عن حلف له واعتذر
 اليه في رواية ونبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامي وكلام صاحبي ولم يره
 عن كلام احد من المخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك طار على الامر

استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم

فان ترضوا عنهم

ما من شيء اكرم الى من ان اموت فلا يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم الموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون
من الناس تلك المنة فلا يكلمني احد منهم ولا يصلي على ولا يصلي على قال وارتل الله عز وجل فبينا
على نبينا حتى بقي الثالث الاخر من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عندهم سلمة وكانت لم سلمة حسنة
في شاني محتنية بامرني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمة كيب على لعب قالت افلا ارسل اليه
فابشره قال اذا خطبكم الناس فتمنعواكم التورم ساير ليلكم حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم صلاة الفجر اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبول الله علينا اخرجته البخاري وسلم
شرح غريب هذا الحديث قوله حين نوا اتقنا على السلام التوثيق تفاعل من الحيات
وهو العهد والراحة الجلاء والناقة القويان على الجمل والبهر وقوله وري بغيرها يقال
وري عن النبي اذا اخناه واظهر غيره والمعاراة البرية القفر سميت بذلك تقولوا لا يكون
والنظام منها قوله في لاهويا لتحقيق يعني كشف لغيره قصد هم واطهر والاهبة المفسار
وما يحتاج اليه المسافر قوله وانا اليها اصغر هو بالعين المهملة اي اميل والصغير الميل قوله
وتقارط الغزو اي يتعاد ما يعني بين الجيش من المسافة وطق مثل جعل والمفوض المعيب
المشار اليه بالعين يقال فلان ينظر في عطفيه اذا كان معيا بنفسه يقال له السرايب
بروز اذا ظهر شخص الانسان خيالا فيه من بعد السرايب هو ما يظن للانسان في البرية
في وقت لها حرة كانه ما والمبيض كسر الباء ليس لياض لئلا يحتمل معناه انت ايوخية
وقيل معناه اللهم اصله ابا حنيفة اي ليو حده هذا الشخص ابا حنيفة حقيقة الذي لزمه
المنافقون يعني عابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره الى وطنه قوله حضرتي
اليت اشد الحزن كانه لشدة يظن بينه صاحبه اي يظن راح عنى الباطل اي زال
وذهب عني واجعت صدقه اي غرمت عليه لقد اعطيت جدلا اي فصاحة وقوة في الكلام
حيث اخرج عن عهد ما اروت مما اشتمل الكلام والغضب بفتح الصاد هو الغضبان
قوله فان الوايونوني اي يلوموني اشد اللوم قوله حتى تكلمت في نفسي الارض فاهي الارض
التي اعرف معناه تعبر على كل شيء من الارض وتوحشت على وضارت كانهما ارض لا تعرفها
وقوله فاما صاحباي فاستكنا يعني حضعا وسكنا قوله فتورث حايط اي فتادة اي علوته
وصعدت سورة وهو اعلاه والانباط الفلاحون والزارعون وهم من العجم والروم
والمضيعة مفعلة من الضياع والاطراح قوله فتميت بها التور فميت بها اي نقصت
بالصحيحة التي ارسل بها ملك غسان فاحرقها في التور وبلغ جبل المدينة معروفة
وقوله فامطلقت انا ام اي افضد رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوج جماعة من
الناس يقال برق وجهه اذ الماع وظهر عليه امارات الفرح والسور قوله انحل من
مالي اي اخرج منه جميعه وانصدق به كما خلق الانسان قبيصة قوله ما علمت ان احد من
المسلمين ابلاه في صدق الحديث احسن مما ابلاي الهلا والابلا يكون في الخير والشد
واذا اطلق كان في الشر غالبا فاذا اريد به الخير قيد كما قيد هنا بقوله احسن مما ابلاي
اي انهم على قوله ان لا يكون كذبته هذا هو في جميع روايات الحديث بزيادة لفظ قال
العلم لفظ لا اريد ومعناه ان كون كذبه وقوله فاهلك هو كسر اللام وارجاه امرنا

ناخيس

تأخيره وقوله في الرواية الاخرى يحطكم الناس اي يطاؤكم ويتردحون عليكم واصل الطاء
الكسر وقوله ساير الليل اي باقي الليل قوله واذن بتوبة الله علينا اي علم والاذان الاعلام
وقوله عز وجل حتى قضاقت عليهم الارض بما رحبت يعني بما اتسعت والرجب سعة المكان
والعني انه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا وقضاقت عليهم انفسهم يعني من شدة الغم
والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم وظنوا اي وايقنوا وعلموا ان لا ملجأ اي لا مفرج
ولا مفر من الله الا اليه ولا عاصم من عذابه الا هو ثم تاب عليهم فيه اضرار وحذف تقديره
وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه فرحمهم وتاب عليهم وانما حسن هذا الحديث لانه لالة الكلام
عليه وقوله ثم تاب عليهم يؤكد لقبول توبتهم لانه قد تقدم ذكر توبتهم في قوله وعلى الثلاثة
الذين خلفوا كما تقدم بيانه وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والاضا
وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا وقوله ليتوبوا معناه ان الله تاب عليهم في الماضي ليكون
ذلك داعيا لهم الى التوبة في المستقبل ويدعوهم الى ان اصل التوبة الرجوع الى
ومعناه تترتاب عليهم ليرجعوا الى حالهم الاول وعادتهم في الاختلاط بالناس ومكالمتهم بتقل
نفوسهم بذلك ان الله هو التواب يعني على عباده الرحيم وهم وفيه دليل على قبول التوبة
لخص الرحمة والكرم والفضل والاحسان وانه لا يحب على الله شي قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
انقوا الله يعني مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكو نواع الصادقين يعني مع النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين بعدوا
في البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن جبير مع الصادقين يعني ابي بكر وعمر
وقال ابن جرير مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نبيا ثم واستقامت قلوبهم
واعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك ما خلاصية وقيل كونواع الذين
صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الآية تدل
على فضيلة الصدق لان الصدق يهدي الى الجنة والذنب الى الجور كما ورد في الحديث
وقال ابن مسعود الذنب لا يصلح في جده ولا هزل ولا ان يعد احدكم صاحبه شيئا ثم لا يخبر
له انزوا وان شئتم وكونواع الصادقين وروي ان ابا بكر الصديق اخرج هذه الآية على
الانصار في يوم السقيفة وذلك ان الانصار قالوا ما امير ومنكم لم يبق فقال ابو بكر
يا معشر الانصار ان الله تعالى يقول في كتابه للعقرب المهاجرين الى قوله اوليك هم الصادقون
من هم قالت الانصار انتم هم فقال ابو بكر ان الله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا اتقوا
الله وكونوا مع الصادقين فامركم ان تكونوا معنا ولم يامرنا ان نكون معكم نحن الامراء
الوزراء وقيل مع بمعنى من والمعنى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قوله
تعالى ما كان اهل المدينة يعني لسكان المدينة من المهاجرين والانصار ومن خوفهم
الاعراب يعني سكان البوادي من بيعة وجهينة واسلم وجمع وغفار وقيل هو عام في كل
الاعراب لان اللفظ عام وحله على العموم اولى ان تتخللوا عن رسول الله يعني اذا غزا
وهذا ظاهر خبر ومعناه النبي اي ليس لهم ان يتخللوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
يرغبوا يعني ولا ان يرغبوا بانفسهم عن نفسه يعني ليس لهم ان يتركوا ما اختار رسول

احتقار
الصدوق
عن النبي

البادية حتى دخلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا الله هذه الآية والعني هلا غفر من كل
فرقة طائفة وقد طائفة ليتفقوا في الدين ويبلغوا ذلك الى الناس من ليندروا قومهم اذا
رجعوا اليهم لعلمهم بخبر دينهم يعني باس الله وتقمته اذا خالفوا امر الله وفي الآية دليل على انه
يجب ان يكون المقصود من العلم والتقمة دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم
والصراط المستقيم فكل من تقمه وتعلم لهذا المقصد كان على المنهج القويم ومن عدل عنه
وقدم العلم لطلب الدنيا كان من الاخرين اعمالا الآية في عن معاوية قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من يريد الله به خيرا يلقه في الدين وانما انا قاسم ويعطي الله ولن يزدل
امر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة وحتى ياتي امر الله في عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يجدوا في الناس معادن خيرا هم في الجاهلية خيرا هم في الاسلام اذا اتفقوا
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الفقيه واحد شد على الشيطان من الف عابد
اخرجه الترمذي واصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فقه فقه فقاها اذا
صار فقيها وقيل الفقه هو التوصل الى علم غاي بعلوم شاهد فهو اخص من العلم وفي الاصطلاح
ان الفقه عبارة عن العلم باحكام الشرع واحكام الدين وذلك ينقسم في فرض عين وفرض
كفاية ففرض العين معرفة احكام الطهارة واحكام الصلاة والصوم فكل من مكلف معرفة
ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكر البغوي بغير سند ولكنه
كل عباد وجبت على المكلف بحكم الشرع بحسب علمه عليه معرفة علمها مثل علم الزكاة اذا صار له مال
يجب في مثله الزكاة وعلم احكام الحج الحاد واجب عليه وانما فرض الكفاية من الفقه فهو ان يتعلم
حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفقيه اذا تعد اهل البلد عن تعلمه عصوا جميعا واذا قام
من كل بلد واحد فتعلم حتى يبلغ درجة الفتوى سقط الفرض عن الباقيين وعليهم تقليد
فيما يقع لهم من الحوادث عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على
العابد كفضل علي على ابي طالب اخرجه الترمذي مع زيادة فيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له طريقا الى الجنة اخرجه الترمذي عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع اخرجه
الترمذي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة
وناسوي ذلك فهو في فضلية محكمة او سنة قديمة او فريضة عادية اخرجه ابو داود
الاية محكمة هي التي لا شبهة فيها ولا اختلاف في حكمها او ما ليس بمسوخ والسنة القديمة
هي المسمى بالدية التي العرف بها متصل لا يترك والفريضة العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف
في قضائها قال الفضيل بن عياض من عالم عامل معلم يدعي عظيما في ملكوت السما اخرجه
الترمذي موقوفا وقال الشافعي طلب العلم افضل من صلاة النافلة قوله تعالى يا ايها الذين
الذين ياتوا الى الله من كل فجوة وحيدة وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا
قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر وغوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا
سكان الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن
زيد كان الذين يلوونهم من كفار العرب فكانت لهم حية فرغ منهم امر يقتل اهل الكتاب

وجل قالوا لنفرون من أجل فرقة بينهم طلب يقية يستقون الخير وقد طاعة ليتفقوا وليسعوا ما انزل
 الله وليسندوا قومهم من الناس اذ ارجعوا اليهم لعلمهم بخذرون وقال ابن عباس ما كان المؤمنون
 لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلو انفرد من كل فرقة منهم طائفة
 يعني عصابة يعني السرايا ولايسيروا الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل بعد هزمه فدان
 تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد انزل على نبيكم بعدكم فدان
 وقد تعلمنا فتمثلت السرايا يتعلمون ما انزل الله على نبيهم بعد هزمه ويبحث سرايا اخري
 فذلك قوله ليتفقوا في الدين يقول ليتعلموا انما انزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذ رجعت
 اليهم لعلمهم بخذرون فقل هذه الاقوال كلها الطبري واما تفسير الآية فيمكن ان يقال انها
 من بقية احكام الجهاد ويمكن ان يقال انها كلام مستدل لا يتعلق بالجهاد فعلى الاحتمال الاول
 فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزو لم يخلف عنه الامناء او صاحب
 عدو فلما بالغ الله في الكشف عن عيون المنافقين وقضهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال
 المؤمنون والله لا يخلف عن شيء من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها
 فلما قدر للمدينة بعث السرايا نفد المسلمون جميعا الى الغزوات وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وحده فتمثلت هذه الآية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمؤمنين ولا يجوز لهم ان ينفردوا بكتبتهم
 الى الجهاد وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب ان يقتسموا اقتبان فطائفة تكون مع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وطائفة ينفروا الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى قسمة
 اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتقفة في
 الدين لان الاحكام والشرائع كانت تتجدد شيئا بعد شيئا فالملازمون لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم يحفظون ما نزل من الاحكام ويحدد من الشرايع فاذا قدم الغزاة اخبروه به فذلك فيكون
 معنى الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلو لا يعني فها لنفرون كل فرقة طائفة للجهاد
 وقد طائفة ليعتقوا في الدين وليسندوا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذا رجعوا اليهم
 من غزوه هزموا فقلهم بخذرون يعني مخالفة امر الله ورسوله وهذا معني قولنا قيادة وقيل
 ان النعقة صفة للطائفة النافرة قال الحسن ليعتقوا الذين خرجوا باميرهم الله من الظهور على
 المشركين والنصرة ويسندوا قومهم اذ ارجعوا اليهم ومعني ذلك ان العروقة النافرة اذا
 شاهدوا انصر الله لهم على اعدائهم وان الله يريد اعدائهم وتقوية نبيه صلى الله
 عليه وسلم وان الغينة القليلة قد غلبت جمعا كثيرا فاذا ارجعوا من ذلك النفير الى قومهم
 من الكفار اندرهم ما شاهدوا من دلائل النصر والفخ والظفر لعلمهم بخذرون
 فيتركوا الكفر والتفان واورد على هذا القول ان هذا النوع لا يبعد قهره في الدين ولكن
 ان يحجب عنه بانهم اذا علموا ان ناصرهم ومقومهم على عدوهم كان ذلك زيادة في ايمانهم
 فيكون ذلك قهرا في الدين ولما الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان هذه الآية كلام
 مستدل لا يتعلق بالجهاد وما ذكرناه من مجاهد ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
 خرجوا الى البوادي فاصابوا معروفا ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدي فقال الناس لهم
 ما نراكم الا وقد تركتم صاحبكم وحيثمونا فوجدوا في انفسهم من ذلك حرجا فاقبلوا كلامهم من

وجهادهم حتى يومئذ أو يعطوا الجزية يفلحوا قل من يملك يومئذ السماوات والأرض وما بينهما من الدينار والحبة من الغنم والشاة قل الله يعلم ما تفرقون
 من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ لأنه تعالى لما أمرهم بقتال المشركين كافة
 ارشدهم الطريق الاصح وهو ان يبدوا بقتال الاقرب فالأقرب حتى يصلوا الى الأبعد
 فالأبعد وهذا الطريق يحصل العزم من قتال المشركين كافة لأن قتالهم في دفعة واحدة
 لا يتصور ولهذا السبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم شرانتهم الى قتالنا سير
 العرب ثم لي قتال اهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وذلك شرانتهم الى غزو
 الروم وفي الشام فكان فتح الشام في زمن الصحابة ثم انهم انتقلوا الى العراق ثم بعد ذلك
 الى سائر الامصار لانه اذا قاتل الاقرب تقوي بما بينا منهم من الغناير على الأبعد وقوله تعالى
وليجدوا فيكم غلظة يعني شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبرا على
 جهادهم **واعلموا ان الله مع المتقين** يعني بالنصر والمعونة قوله عز وجل **واذا انزلنا سورة**
سورة فننزلها سورة يعني يقولون بعض المتقين يعني بالنصر والمعونة قوله عز وجل **واذا انزلنا سورة**
 فمن المتقين من يقولون انما يقول ذلك المناقشون لبعض المؤمنين فقال الله تعالى **فاما الذين**
امثوا فزادتهم ايمانا يعني تصدقوا وبقينا وقربة من الله ومعنى الزيادة ضم شيء الى
 جفته بما هو في صفته فالمؤمنون اذا قرأوا سورة من القرآن عن ثقه واعتزوا
 بها من عند الله عز وجل اذ هو ذلك الاقرار والاعتراف ايمانا وقد تقدم بسط الكلام
 على زيادة الايمان في سورة الانفال **وهم يستبشرون** يعني المؤمنين يعرجون بنزول
 القرآن شيئا بعد شيء لانهم كلما نزل اوردوا ايمانا وذلك يوجب مزيد الثواب في الآخرة
 وكما تحصل الزيادة في الايمان بسبب نزول القرآن كذلك تحصل الزيادة في الكفر وهو
 قوله **ولما الذين في قلوبهم مرض** يعني شك ونفاق سمى الشك في الدين مرضا لانه فساد
 في القلب يحتاج الى علاج كالمريض في البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج **فزاادهم** يعني نزول
 السورة من القرآن **رجسا الى رجسهم** يعني كفرا الى كفرهم وذلك كما تجدوا نزول سورة
 او استهزوا بها ازدادوا كفرا الى كفرهم الاول سمى الكفر رجسا لانه اقبح الاشياء واصل
 الرجس في اللغة الشيء المستقذر **وما نوا** يعني هاولا المناقشين **وهم كافرون** يعني وهم
 جاحدون لما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في هذه الآية الايمان
 يزيد وينقص وكان عمر بن الخطاب يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول تعالى **واحيى ترداد الايمان**
 وقال علي بن ابي طالب ان الايمان ان يبدا ولطمة بيضاء في القلب فكما اراد الايمان عظم
 اراد ذلك الياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو ولطمة سودا في القلب وكما
 اراد النفاق اراد السواد حتى يسود القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن
 لوجدتموه ابيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود قوله تعالى **اولا يبرون**
 فزي نزول بالنا على خطاب المؤمنين وقري بالايضا انه خير عن المناقشين المذكورين
 وقوله في قلوبهم مرض **انهم يقتلون** يعني يقتلون في كل عام مرة **او مرتين** يعني

ثم عظم الشك

والمؤمنون يستبشرون

السلام

بالعزم

بالامراض والشدايد وقيل بالخط والمخرب وقيل بالانزاع وقيل انهم يقتضون باظهار نفاقهم
 وقيل انهم يناقشون ثم يؤمرون ثم يفتقون وقيل انهم يقتضون عهدهم في السنة مرة او مرتين
ثم لا ينوون يعني من النفاق وتقص العهود ولا يرجعون الى الله **ولا هم يدركون** يعني
 ولا هم يعطون بما رزقوا من صدق وعده الله بالنصر والظفر للمسلمين **واذا انزلنا سورة**
 يعني انزلنا السورتين ونوحينهم **تظهر بعضنا لبعض** يعني اهل البيت المؤمنين يرأى ان قتم من جملتهم
 بعضهم لبعض بشارة **هل يراكم من احد** يعني اهل البيت المؤمنين يرأى ان قتم من جملتهم
 فان لم يره احد من جملتهم المجددان علموا انهم اقاموا وليا على تلك الحال **ثم انصرفوا**
 يعني عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسعون فيها ما يكرهون
حرف الله قلوبهم يعني عن الايمان وقال الزجاج اخضعهم الله بجازاة على تعلمهم **بانهم قوم**
لا يفقهون يعني لا يفهمون عن الله دينه واشيائه شعهم قوله عز وجل **لقد جاءكم رسول من انفسكم**
 يعرفون نبيه وجنته فانه ولد اسحق بن ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى
 الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شيء من ولد الجاهلية قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خرجت من تكاح ولم اخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكر
 البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولدني من سفاح
 اهل الجاهلية شيء ما ولدني من سفاح الجاهلية لا تكاح ككناح اهل الاسلام قال قتادة جسد
 الله من انفسهم ولا يحدونه ولا يعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء في تفسير قوله
 ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعني من نضرها
 وورعها وما من امة اخرجت من نضرها نبيا ولا نبي من نضرها نبيا ولا نبي من نضرها نبيا
 نسب الى العرب عرب اليمن وهم النخاطنة فان ائمتها لها نسب في الانصار وان كانت قريش
 والانصار اصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبا فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله
 لقد جاءكم رسول من انفسكم يعني العرب في نصره والايمان به فان شرفهم مشرفه وعزهم
 بعزته ونحوهم فخرو فانه من عشرين تكبره فخره بالصدق والامانة والصيانة والعفاف
 وطهارة النسب والاخلاق الحيدة وقرا ابن عباس والزهرري من انفسكم يعني القفاومعناه
 لانهم من اشرافكم وافضلكم خرج عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا بعثت من قبلي
 نبي ادم فانا قد نجا حتى كنت من العترة الذي كنت منه مر عن وانك من الاسقع قال
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسحق بن ابراهيم واصطفى
 قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاي من بني هاشم عن العباس بن عبد
 المطلب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت رسول الله ان قريشا جلسوا قد اكراموا
 احسانهم بينهم فجاءوا بشك كمثل خلة في كوة من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ان الله خلق الخلق فجعلني من خير قريشهم وخير القريشيين شر خيرا فجعلني في
 خير قبيلة من خير القبيل فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا اخرجنا
 التمهدي وقيل ان قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم يعني من جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان

معدن

هذا الحديث في الصحيحين
 في صحيح البخاري
 في صحيح مسلم

من الملايكه لصنعت قوي البشر عن سماع كلامه والاحذ عنه وقوله تعالى **عن يمينه عليه ما عنتم**
اي شدد عليه عنتكم يعني مكرهكم وقيل يثيق عليه صنلا لتكم **حريص عليكم** يعني علي
ايما تكم وايصال الخير اليكم وقال قتادة حريص على هدايتكم وان يهديكم الله **بالمؤمنين روف**
رحيم يعني انه صلى الله عليه ولم يوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين ق عن جبير بن مطعم
قال قال رسول الله صلى الله عليه ولم في حنسة اسمها انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يحو الله في
الغفر وانا الحاشي الذي يحشر الناس علي قدي وانا العاقب والقاقب ليس بعدني وبقدره
الله روفار جبارا قال الحسين بن فضل لم يجمع الله لاحد من انبيائه بين اسمين من اسمائه الا للنبى
صلى الله عليه وسلم فسماه روفار جبارا وقال ان الله بالناس لروف رحيم قوله تعالى **فان تولوا**
يعني فان اعرضوا هؤلاء القادر والمناقون عن الايمان بالله ورسوله وناصبوا الحرب **بقول**
حسبي الله يعني يكفيني الله وينصرتي عليكم **لا اله الا هو عليه بقل** يعني لا على غيره
وبه وثقت **وهو رب العرش العظيم** انما خص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات
فيدخل ما دونه في الذكر فيكون المعنى وهو رب العرش العظيم فادونه او يكون خصه
بالذكر تشريفا له كما يقال بيت الله روي عن ابي بن كعب انه قال هاتان الايتان لقد جاءكم
رسول من انفسكم الي اخر السورة اخذ القرآن نزولا في رواية عنه قال احدث القدران
عهما بالله هاتان الايتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الي اخر الايتين والله اعلم

الذي

يونس

نفس سورة يونس عليه السلام
تزلت مكة الاثلاث ايات وهي قوله فان كنت في شك ما ازلنا اليك الاخر ثلاث ايات قاله
ابن عباس وبه قال قتادة وفي رواية اخرى عن ابن عباس ان فيها من المديني في قوله ومنهم
من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الآية وقال مقاتل في مكية الايتين وهي قوله قل بفضل الله
وبرحمته والتي تليها وهي مائة وتسع ايات والف وثمان مائة واثنان وثلاثون كلمة وتسعة
الاف وتسعة وستون حرفا **سبح اسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **الراقا** ابن
عباس والضحاك معناه انا الله اري وقال ابن عباس في رواية اخرى الر وجر وون حرف
الرحمن مقطعة وبه قال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله وقال قتادة الر اسم من اسماء
القرآن وقيل هو اسم للسورة وتقدم الكلام في معنى الحروف المقطعة في اول سورة البقرة
بما فيه كفاية **تلك ايات الكتاب** يعني المراد من لفظ تلك الاشارة الى الايات الموجودة
في هذه السورة ويكون التقدير تلك الايات هي ايات الكتاب وهو القرآن الذي اترله
الله لمليك يا محمد وذلك ان الله وعد ان ينزل عليه كتابا بالحق الما ولا يغيره الدهور وقيل
ان لفظ تلك الاشارة الى ما تقدم هذه السورة من ايات القرآن والمعنى ان تلك الايات
هي ايات الكتاب الحكيم وفيه قول اخر ان المراد ايات الكتاب الكتب التي قبل القرآن وحكا
الطبري عن قتادة وروي عن مجاهد انها التوراة والانجيل فيل هذا القول يكون التقدير
ان الايات المذكورة في هذه السورة هي الايات المذكورة في التوراة والانجيل والمراد من
الايات القصص المذكورة في هذه السورة وهذا وان كان له وجه فهو ضعيف لان التوراة
والانجيل لم يحز لها ذكر قريب حتي يشار اليهما وقيل المراد من الايات حروف التهج التي منها

الرسم

الرسيت ايات لانها افتتحت السور والقرآن الحكيم يعني الحكيم بالحلال والحرام والحدود والاحكام
فيعمل معنى مفعول وقيل الحكيم يعني الحاكم فعيل بمعنى فاعل لان القرآن حاكم عبيد بين الحق والباطل
والحلال والحرام وقيل حكيم بمعنى الحكوم وفعيل بمعنى مفعول قال الحسن حكيم بالعدل والاحسان
وايتاذي الغزوي وقيل ان الحكيم هو الذي يفعل الحكمة والصواب فن حيث انه يدل على الاحكام
صار كانه هو الحكيم في نفسه قوله تعالى **اكان للناس عجبنا** سبب نزول هذه قال ابن عباس ان
الله عز وجل لما بعث محمدا صلى الله عليه ولم رسولا انكرت العرب ذلك ومن انكر منهم قال المشركون
الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا مثل محمد فقال الله اكان للناس عجبنا ان اوجينا الي رجل منهم
وقال وما ارسلنا قبلك الا رجلا والمرغ في اكان ثم استنهمام ومعناه الانكار والتوخي والمعنى
لا يكون ذلك عجبنا **ان اوجينا الي رجل منهم** والعجب حالة تعجز الانسان من روية شئ
على خلاف العادة وقيل العجب حالة تعجز الانسان عند الجهل بسبب الشئ ولهذا قال بعض
الحكا العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا اهل مكة من قريش يحرفون نسبة وصلة
واما الله **ان انا رب الناس** يعني خوفهم بعقاب الله ان اصرروا على الكفر والمخالفة والانتدار
اخيارهم تخوفت كما ان البشارة اخبار مع سرور وهو قوله تعالى **ونشر الذين امنوا ان**
لهم اجرهم **مصدق عند ربهم** اختلف عبارات المفسرين واهل اللغة في معنى قدم صدق
نقال ابن عباس اجرا حسنا مما قدموا من اعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق وقال الجاهد الاعمال
الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقهم وتسميهم وقال الحسن على صالح اسلفوه يقدمون عليه وفي رواية
اخرى عن ابن عباس انه قال سبقت لهم السعادة في الذكر الاول يعني في اللوح المحفوظ وقال
زيد بن اسلم هو شفاعة محمد صلى الله عليه ولم وهو قول قتادة وقيل له منزلة رفيعة عند
ربهم واضيف القدم الى الصدق وهو نفعته كقوله مسجد الجامع وصلاة الاولى وجه الحصيد
والفايدة في هذه الاضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لان كل شئ اضيف الي
الصدق فهو مدح وشبه في مقدم صدق ومدح صدق وقال ابو عبيدة كل سابق في خير
اوشرف فعند العرب قدم يقال فلان قدم في الاسلام وقدم في الخير ولفلان عندي قدم
صدق وقدم سرا قال حسان بن ثابت
لنا القدم العليا اليك وخلعنا لاولنا في طاعة الله تابع
وقال الليث وابو الهيثم القدم السابقة والمعنى انه قد سبق لهم عند الله خير قال ذو الرمة
وانت امر من اهل بيت ذوابة لهم قدم معروفة ومغاخر
والسبب في اطلاق لفظ القدم على هذه المعاني ان السعي والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمي السبب
باسم السبب كما سميت النعمة بدلا لها فغطى باليد وقال ذو الرمة
لهم قدم لا ينكر الناس انها مع السبب العالي طمت على الضم
معناه لهم سابقة عظيمة لا تنكرها الناس وقال اخذ
صل الذي العرش واتخذ قدما تحيك بومر العثار والزلزل
وقوله تعالى **قال الكافرون ان هذا الجحدر وقري لساحر مبين** وفيه حذف تقديره
اكان للناس عجبنا ان اوجينا الي رجل منهم فلما جاءهم بالوحي وانذرهم قال الكافرون ان هذا

ينصدم

تعرض

هذا السار يعنون محمد صلى الله عليه وسلم وانما نسبوه الى السحر لانهم بالمعجزات الباهرات التي لا يقدر
احد من البشر على مثلها ومن قرأه ليجزاهم عنوا به القرآن المتكلم عليه وانما نسبوه الى السحر
لان فيه الاخبار بالبعث والنشور وكانوا يتكلمون ذلك قوله عز وجل **ان ربكم الله الذي**
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش تقدم تفسير هذا في
سورة الاعراف بما فيه كفاية وقوله تعالى **يدبر الامر** قال مجاهد يقضيه وحده وقيل
معني التدبير تنزيل الامور في مراتبها وعلى احكام عواقبها وقيل انه تعالى يقضي ويقدر
على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر في ادباب الامور في مراتبها على احكام عواقبها وقيل
انه تعالى يقضي ويقدر لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي وقيل معناه انه تعالى يدبر احوال
الخلق وحوال ملكوت السموات والارض فلا يحدث حدث في العالم العلوي ولا في العالم
السفلي الا بارادته وتيسيره وقضايه وحكمته **ما من شئ الا عن عنده** يعني
لا يشئ عنده شئ من غير ان ياذن له في الشئ لانه عالم بمصالح
عباده ومواضع الصواب والحكمة في تدبيرهم فلا يجوز لاحد ان يساله ما ليس له به
علم فاذا اذن له في الشئ كان له ان يشئ في من ياذن له فيه وفيه رد على الكفار
قريش في قولهم ان الاصنام تشفع لهم عند الله يوم القيامة فاجاب الله انه لا يشئ
احد عنده الا بارادته لان له التصرف المطلق في جميع العالم **ذلكم الله ربكم** يعني
الذي خلق هذه الاشياء وبرها هو ربكم وسيدكم لا رب لكم سواه **فاعبدوه**
اي فاجعلوا عبادتكم له لا غيره لانه المستحق للعبادة بما انعم عليكم من النعم
العظيمة **افلا تدركون** يعني افلا تتقنون وتعتبرون بهذه الدلائل والايات التي تدل
على وحدانيته سبحانه وتعالى قوله تعالى **اليه مرجعكم جميعا** يعني الى ربكم الذي
خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعا اي الناس يوم القيامة والمرجع معني الرجوع **وعند**
الله حقا يعني وعدكم الله ذلك وعدا حقا **انه يبدؤ الخلق ثم يعيده** اي يحييهم
ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم وهذا معني قول مجاهد فانه قال يحييهم ثم يميتهم ثم يحييهم وفي
هذه الآية دليل على المكان الحشر والنشور ووقوعه ورد على منكري البعث ووقوعه
لان القادر على خلق هذه الاجسام المولقة والاعضاء المركبة على غير مثال سبق قادر على
اعادتها بعد تفريقها بالموت والي فترك تلك الاجزا المتفرقة تركيبا ثانيا وخلق الانسان
الاول مرة اخرى وكالم تمتع تعلق هذه النفس بالبدن في المرة الاولى لم تمتع تعلقها بالبدن
مرة اخرى فاذا شئت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود منه ايصال
الثواب للمطيع والعقاب للعاص وهو قوله تعالى **الذين آمنوا وعملوا الصالحات**
بالنسي يعني بالعدل لا ينقص من اجرهم شي **والذين كفروا والهم شراب من حميم**
هو ما حار قد انتهى حرقه **وعذاب اليم بما كانوا يكفرون** قوله عز وجل **هو الذي**
جعل الشمس ضياء يعني ذات ضياء **والقمر نورا** ذان نور واختلاف اصحاب الكلام
في ان الشعاع الفايز من الشمس هل هو جسم او عرض والحق انه عرض وهو كيفية مخصوصة
فالنور اسم لاصل هذه الكيفية والضو اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية

والمعاد

فهذا

فهذه اخص الشمس والضياء لانه اقوى واكثر من النور وحض النور لانه اضعف من الضياء ولا يراها
لو تساوى لم يعرف الليل من النهار وفلذلك على ان الضياء المختص بالشمس اقوى واكثر من النور المختص
بالقمر **وقدره** **منازل** قيل الضمير في وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمعني وقدرها منازل
لو قدر لسيرها منازل لا يحاوت انما في السير ولا يقصر وانما وجد الضمير في وقدره للانجاء
فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر فهو لقوله والله ورسوله الحق ان يرضوه وقيل الضمير في وقدره
يرجع الى القمر وحده لان سير القمر في المنازل اسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك
لان الشهور المعتمدة في الشرع مبني على رؤية الاهلة والسنين المعتمدة في الشرع هي السنة
القمريه لا الشمسية ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلا وهي الشريطين والبطيخ والثرثار
والدمرمان والمقعة والهنعة والدرع والنبوة والظرف والجبهة والخزتان
والضرفة والعوا والسماك والغفر والرباطة والاطليل والقلب والسولة
والنكاح والسيلك وسعد الداع وسعد بلع وسعد البعوض وسعد الاخيرة وفتح الدلو
المقدر وفتح الدلو الموض ووطن الموت **فقد** **منازل القمر** هي مقسومة على اثني
عشر برج وهي الحمل والثور والجوزاء السرطان والاسد والسنبلة والميزان
والعقرب والقوس والجدي والدلو والموت لكل برج منزلان وثلاث منزلات فيقول
القمر كل ليلة منزلا منها لاني انقضاء ثمانية وعشرين يوما ليلة ثم يستكمل ثلثين ان كان الشهر
ثلاثين وان كان تسعا وعشرين احتق ليلة واحدة **لتعلموا عدد السنين** يعني قدر
هذه المنازل لتعلموا عدد السنين ووقت دخولها وانقضاءها **والحساب** يعني وتعلموا
حساب الشهور والايام والساعات ونقصانها وزيادتها **ما خلق الله ذلك الا بالحق**
يعني للحق واظهار قدرته ودلائل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا **يقضل الايات**
لقوم يعلمون يعني بين دلائل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون على قدرة
الله وحدانيته **ان في اختلاف الليل والنهار ما خلق الله في السموات والارض**
الايات لقوم يتقنون تقدم تفسير هذه الآية في نظايرها **ان الذين لا يرجون لقاءنا**
يعني لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم مكذبون بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف
تقوا العرب فلا يرجون لقاءنا بمعنى لا يخافونه ومنه قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقار ومنه
قول لي قيس الهذلي اذا سمعته الخيل لم يرج لسمها اي لم يخفها والرجاء يكون بمعنى
الطمع فيكون المعني لا يطمعون في ثوابنا **ورحمتنا بالحياة الدنيا** يعني اختاروها وعملوا في
طلبها فمضوا رضون بزينة الدنيا وزخرفها **واطاعوا نواصيها** يعني وسلكوا اليها مطمئنين
فيها وهذه الطائفة التي حصلت في قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها انما هي التي
قلوبهم الوجه والخوف فاذا سمعوا الانذار والتحذير لم يصل ذلك الي قلوبهم **والذين هم**
عن اياتنا غافلون قيل المراد بالايات ادة التوحيد وقادرا من عما عن اياتنا يعني عن
محمد صلى الله عليه وسلم والقران غافلون اي معرضون **اولئك نواصيهم** **الذين آمنوا وعملوا الصالحات**
يهدى بهم يعني يهدى بهم الى الجنان ثوابا لهم بايمانهم واعمالهم الصالحة

عظام

والزئير

وقال الله لهم على الصراط الى الجنة يجعل لهم نور المشي به وقال قتادة بلغنا ان المؤمن اذا خرج من قبره يصور له عمله في صورة حسنة فيقول له من انت فيقول انا عبدك فيكون له نور واذا قيل الي الجنة والكافرا الضد فلا يزال عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانباري يجوز ان يكون المعنى ان الله يريد لهم هداية تخصايمهم ولطائف وبصائر ينور بها قلوبهم وبين يديها المشوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى ويثبتهم على الهداية وقيل معناه بايمانهم بهداهم وهم له منه اي ينصدهم بيقينهم هداية تجري من تحتهم الانهار يعني بين ايديهم ينظرون اليها من اعالي السموات وقصورهم فهو قوله قد جعل ربك ثغرك سر يا مكرود به انه تحتها وهي قاعدة عليه لاراد بين يديها وقيل تجري بامرهم في جنان النعيم يعني ذلك لهم في جنات النعيم **دعواهم** فيها اي قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوي بمعنى الدعاء اي دعاهم فيها **سبحانك اللهم** وهي كلمة تنزيه لله من كل سوء ونقيصة قال اهل التفسير هذه الكلمة علامة بين اهل الجنة والخدم في الطعام فاذا ارادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فانهم في الوقت بما يشتهون على الموائد كرمية مبليل فيميل على كل ما يدع سبعون الف صحيفة في كل صحيفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما اعطاهم فذلك قوله واخذ دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال اهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقدير لله عز وجل والشا عليه عما هو اهل له وفي هذا الذكر سرورهم وابتهاجهم وكال لذتهم ويدل عليه ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة يا كلون فيها ويشربون ولا يشغلون ولا يبطلون ولا يتفوتون ولا يمتحنون قالوا انما لا الطعام قال جابر وشيخ كثر من المسك يلهون التسبيح والتحميد كما يلهون النفس وفي رواية التسبيح والحمد اخرجهم من قوله جنتا اي يخرج ذلك الطعام جنتا وعرق وقوله تعالى **وتحيتهم فيها سلام** يعني يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييتهم الملايكة بالسلام وقيل تاتيهم الملايكة من عند ربهم بالسلام **واخذ دعواهم ان الحمد لله رب العالمين** قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين حملوا التسبيح والتحميد على احوال اهل الجنة بسبب المأكول والمشروب وانهم اذا اشتبهوا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء واذا فرغوا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عن ذلك وقال الزجاج اعلم الله ذلك ان اهل الجنة يبتدون بتعظيم الله وتترجمه وتختمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم يفتتحون كلامهم بالتسبيح وتختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهون ذلك كما ذكر في الحديث قوله تعالى **ولو يجعل الله للناس الشرا** يعني ولو يجعل الله للناس اجابة دعائهم في الشر فيما لهم فيه مضرة ومكره في نفس او مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل اهلكه وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعا الرجل على نفسه واهله وماله بما يكره ان يستجاب له فيه **استجابه** يعني كاستجابه الخير وكما يحبون ان يجعل لهم اجابة دعائهم بالخير **لقضي لهم اجلهم** يعني لغرض من اهل الهلاك ولما وافق جميعا والتجمل بتقديم الشيء قبل وقته والاستعجال لطلب العجلة وقيل يقتبحة ان الناس عند الغضب والفجر قد يدعون على انفسهم واهلهم واوطاهم بالموت وتجميل البلاء كما يدعون به بالرزق

والرحمة واعطى الشوق يقول لو اجابهم الله اذا دعوه بالشر الذي يستعملون به استعملوا الخير لقضي اليهم اجلهم يعني لغرض من هلاكهم ولكن الله عز وجل يفضله وكرمهم يستجيب للداعي الخير ولا يستجيب له في الشر وقيل ان هذه الآية نزلت في المنصرين لما رث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فليعلم هذا يكون المعنى ولو يجعل الله للكافرين العذاب كما يجعل لهم خير الدنيا والاخرة من المال والولد لمحل قضا اجلهم واهلاكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله تعالى **فندرا الذين لا يرجون لقاءنا** يعني فتدع الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت **في طغيانهم يعمهون** يعني في تمردهم وعتوهم **يعمهم يومئذ** يعني يترددون عن اي مبرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذ عندك عهدا ان تحلفني فانما انا بشر اعضب كما يغضب البشر فايمارجل من المسلمين سببته اولعنته او حلفته فاجعل له صلاة وزكاة وقربة تفرج بها اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة فقله عز وجل **واذا مس الانسان الضر** اي الشدة والجهد والمراد بالانسان في هذه الآية الكافر **دعانا نجيبه** اي على جنبه مضطجعا **اوقاعا او قايما** يريد جميع حالاته لان الانسان لا ينفك عن احدي هذه الحالات الثلاث والاضطر والمعنى ان المضرد لا يزال داعيا في جميع حالاته لي ان ينكشف ضره سواء كان مضطجعا او قائما او قاعا وقال الزجاج وجاز ان يكون المعنى اذا مس الانسان الضر لجنبه او مسه قاعا او مسه قايما وهذا القول فيه بعد لان ذكر الداء في هذه الاحوال اقرب من ذكر الضر **فلا تشفنا عنه ضره** يعني فلما ارانا عنه ما نزل به من الضر ودفعناه عنه **شئ** يعني على طريقه الاولى قبل من الضر **كان لك بشفنا** فيه حذف تقديره كانه لم يدعنا واستعطف الضمير على سبيل التخييل **الى ضره مسته** والمعنى انه استمر على حاله الاولى قبل ان يمس الضر ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والتعب **كذلك الذين للمسرفين وما كانوا يعلمون** يعني مثل ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح لذلك من للمسرفين والمنزى هو الله تعالى لانه ما لك الملك والمخاطب كلهم عبيد يتصرفون فيهم كيف شاؤوا وقيل المنزى هو الشيطان وذلك باقدار الله اياه على ذلك والمجمل والمراد هو المجاورين في كل شيء وانما سمي الكافر مسرفا لانه اتلف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام واتلف ماله وضيعه في البحار والسوايق وما كانوا يعلمون على الاصنام وسدتها يعني خذلها وقال ابن جرير في قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعلمون يعني من الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخا وقيل لانهم لم اعلموا كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم اعمالهم بينا معصود الية وهوان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعم والرخا فاذا مسه الضر اقبل على الدعاء والتضرع في جميع حالاته مجتهدا في الدعاء طالبا من الله ازالة ما نزل به من المحنة والبلاء فاذا كشف الله ذلك عنه اعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه او لا وهذا حاله العاقل الضعيف اليقين فاما المؤمن العاقل فانه خلاف ذلك فانه يكون صابرا عند البلائ لا الله عند الرخا والنعم كثير التضرع والدعاء في اوقات الراحة والرفاهية وهمس مقام اعلى من هذا وهوان المؤمن اذا ابتلي ببلية او نزل به مكره يكون مع صبره على ذلك راضيا بقضا الله غير معرض عن القلب

كل

انما

عنه بل يكون شاكر الله عز وجل في جميع احواله وعلم المؤمنين ان الله تبارك وتعالى لما لا ملك الاطلا
وحكيم في جميع افعاله وله التصرف في خلقه بما يشاء ويعلم انه ان ابي عليه تلك الجنة فتوعدت
وان ان لها عنقه فهو فضل قوله تعالى **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ** يعني اهلكنا الامم
الماضية من قبلكم يخوف بذلك كفار مكة **لَا تَأْتُوا** يعني لا اشركوا **وَأَن تَأْتُوا** يعني اهل مكة
فقد يوهون **فَمَا كَانُوا بِآيَاتِهِ** يعني هذه الامم برسلم ويصدونهم عما جاؤا به من عند الله **كذلك**
خِزْيَ الْقَوْمِ الْخَاسِرِينَ يعني كما اهلكنا الامم الحالية لما كان بوارسلم كذلك نهلككم ايها المشركون
بتكذيبكم رسول الله عليه وسلم **يُرِيدُ أَنْ يَمْلِكَا فِي الْأَرْضِ** يريد ان يملكوا في الارض
مكة الذين ارسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى يتم جعلناكم ايها الناس خلقا في الارض
من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم **لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَقُولُونَ** يعني خيرا او شرا فيما كنتم
على حسب افعالكم والنظر هنا بمعنى العلم يريد ان يمتحنوا اعمالكم وهو ما يعلم ما يكون قبل ان
يكون قالوا اهل المعاني معنى النظر هو طلب العلم وحاز في وصف الله تعالى اظهار العلم
لانه تعالى يعامل المنظر العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليحاسبهم بحسنة لقوله
ليسوا لكم انكم احسن عملا ذكره الواحد والرازي في تفسيره اني صلي الله عليه وسلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا خاوة خضرة وان الله يستخلفكم فيها فينظر كيف تقولون
فانقول للدنيا وانتموا النساء اخرجته سلم قوله فاقولوا الدنيا معناه احد رواه قتادة الذي احدثوا
فتنة النساء قوله عز وجل **وَإِذَا اسْتَأْذَنُوكُم مِّنَ الْبُيُوتِ فَاسْتَأْذِنُوا** يعني واذا اذني على اهلها والمشركون
ايات كتابنا الذي اترناه اليك يا محمد بينا في بعض واضحا في تدهيل على واحدنا بيننا وصحة نبوتك
قَالَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَاتِ يعني قالوا قوما ولا المشركون الذين لا يخافون عقابنا ولا يرجون
نوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فانه لا يرجون ابا ولا
يخاف عقابا **آيَاتِ بَقَرَانِ** غير هذا **أَوْ بَدَلَهُ** قال قتادة قال ذلك مشركوا مكة وقال مقاتل
هم حنيفة بن عبد الله بن ابي امية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكر بن حفص وعمر بن عبد
المنذر بن قيس العامري والعاقي بن عامر بن هشام قال هاشم قال هاشم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد
ان تؤمن بك فآيت بقران غير هذا اليسوية ترك عبادته الملائكة والجن والانس وملكه وليس فيها
غيرها وان لم ينزل الله عليك فقل انت من عند نفسك اوبدله فاجعل مكان آية عذاب آية
رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلالا حراما قال الامام في الدين الرازي اعلم ان اقل لم يكن
الكفار على هذا الايمان من اجل وجهين احدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل التجربة والاستدلال
وهو قولهم ولو حيننا بقران غير هذا القرآن اوبدله لكانت الامم بالكم وعرضهم التجربة
والاستدلال الثاني ان يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والاستدلال حتى انه لو فعل ذلك
علموا انه كان كذابا في قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله آيت
بقران غير هذا اوبدله محتمل ان آيات بقران اخبر وجود هذا القرآن والتبديل لا يكون
مع وجوده وهو ان يبدل بعض آياته بغيرها ما طلبوه ولما سألوا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم امره الله ان يحبسهم بقوله **قُلْ أَيُّ قَوْمٍ يَمْلِكُ أَنْ يَبْدِلَ آيَاتِ اللَّهِ** يعني اي قوم
يملك ان يبدل آيات الله التي طلبوه من التبديل ليس لي وما ينبغي لي ان اغيرون من قبل نفسي ولم
يغري يعني ان هذا الذي طلبوه من التبديل ليس لي وما ينبغي لي ان اغيرون من قبل نفسي ولم

اوربه

اوربه **إِنْ أَتَيْتُكُمْ بِبُرْهَانٍ** يعني فيها امر له وما اخبركم الا ما يخبرني الله به
وان الذي اتيتكم به هو من عند الله لا من عندي **إِنْ لَخَافْتُ أَنْ تُصِيبُوا رَأْسِي بِحِجَابٍ**
عَظِيمٍ اي قل له يا محمد اني اخشى من الله ان خالفت امره او غيرت احكام كتابه او بدلته فقصيته
بدلك ان يعذبني بعذاب عظيم يوم تدهل كل رصعة عما ارضعت قوله تعالى **قُلْ أَيُّ قَوْمٍ يَمْلِكُ**
لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله **أَوْ تَأْتُوا اللَّهَ بِبُرْهَانٍ**
يعني ولو شاء الله لم ينزل علي هذا القرآن ولم يامرني بقراءته عليكم **وَأَذْرُ الْأَرَبِ** قال
ابن عباس ولا اعلمكم به وقيل ولا ادركم الله به ولا اعلمكم به **فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا**
يعني فتدبكت فيكم قبل ان يوحى هذا القرآن مدة اربعين سنة لم ايتكم به بشي وجه
هذه الاحتجاج ان كفار مكة كانوا شاهدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وعلو احواله
وانه كان اميا لم يطالع كتابا ولم تعلم من احد مدة عم قبل الوحي وذلك اربعين سنة ثم بعد
الاربعين جاهد هذا الكتاب العظيم المشتمل على نقايس العلوم واخبار الماضين وفيه من
الاحكام والادب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما اعجز العلماء والفصحاء والبلغا
عن معارضته فكل كلام من له عقل سليم وفهم ثاقب يعلم ان هذا لم يحصل الا بوحى من الله
تعالى لا من عند نفسه وهو قوله **أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ** يعني ان هذا القرآن من عند الله او جاءه
الي من قبل نفسي ق عن ابن عباس قال انزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين
فكث ثلاثة عشرة ثمار بالحجر فهاجر الي المدينة فكث بها عشرة سنين ثم توفي صلى الله
عليه وسلم وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه
وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم اقام بمكة خمسة عشرة
سنة يسمع الصوت ويرى الضوء ولا يرى شيئا سبع سنين وثمان سنين يوحى اليه واقام
بالمدينة عشرة او ثمانية سنين وهو ابن خمس وستين سنة اخرجاه في الصحيحين عن عائشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة اخرجاه في الصحيحين عن ابن
قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وابوبكر وهو ابن ثلاث وستين
وعمر وهو ابن ثلاث وستين اخرجاه مسلم عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن قال ان ابن
يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقول ان ربيعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير
ان هراكلون ليس بالايض الابهق ولا بالادم ليس بجعد ولا قحط ولا سبط رجل انزل عليه
وهو ابن اربعين سنة فلبث بمكة عشرة سنين ينزل عليه الوحي وبالمدينة عشرة او ثمانية
الله عا راس ستين سنة وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة يبصا اخرجاه في الصحيحين
قال الشيخ محي الدين النواوي ورد في عمه ثلاث روايات احدها انه صلى الله عليه وسلم
توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستين والثالثة ثلاث وستين سنة وهي اصحها
واشهرها رواها مسلم من حديث انس وعائشة وابن عباس وانفق العلماء ان اصحاب ثلاث
وستون سنة وتناولوا الباقي عليه من رواية ستين اقتصر فيها على العقود وترك الكسر
ورواية الخمس متناولة ايضا وحصل فيها اشتباه قوله يسمع الصوت يعني صوت الها تف
من الملائكة ويرى الضوء يعني نور الملائكة او نور آيات الله حتى راي الملك بعينه وشافه

عن رسول
وخلفائه

التي يجوز ان لا يفقد كرمه قومه وجرمه قومه ومنهم من تناول الكفر كفر نعمة الله والله اعلم وسمي كرمهم
 ايات الله مكررات لان المكر عبادة عن صرف الشيء من وجهه الظاهر يتبع من الحيلة وكان كفار
 مكة محتالون في دفع ايات الله بكل ما يقدر دون عليه من المعاسد **قل الله اسرع مكر** اي قل
 لمكر الله اعجل عقوبة واشد اعداوا قد رتب الجزاء وان عذابه في هلاككم اسرع المكر
 ما ياتي منكم في دفع الحق ولما قابلوا نعمة الله بالمكر قايلا مكرهم بمراسد منه وهو الماكر
 الي يوم القيامة **ان رسلا يكتفون ما تكفرون** يعني للعظة الكرام الكاتبين يكتبون
 ويحفظون عليهم اعمالهم القبيحة السيئة الي يوم القيامة حين يفتضحون بها ويحجبون على
 منكرهم قوله تعالى **هو الذي يبين لكم في البحر والبر** يعني في الله الذي يبين لكم وجه البحر
 في البر على ظهر الماء واسبغ في البحر في الفلك وتبين معناه والله الهادي لكم الي الشيرج البر والبحر
 طلي اللعاش وهو الذي يبين لكم اسباب السيف في البر والبحر **حتى اذا انتم في الفلك** يعني
 السفن والعظة الفلك تطابق على الواحد في البحر والبر وتقدرها مختلفان فان اوله منه
 الواحد كان كذا فقل وان ان يذبح الجمع كان كذا خرم المراد به هنا الجمع لقوله تعالى **وجرت**
بمعني وجرت السفن فليكنها فان قلنا ما فائدة صرف الكلام عن الخطا
 الي الغيبة قل **قال اصحاب الكشاف** المقصود منه المبالغة كانه يذكر
 لغيرهم حالهم ليعلم منها ويستدعي منهم مريد الانكار والتبجح وقاربه ان مخاطبة الله لعباده
 هو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فهو بمنزلة الخبر عن الغائبة وكل من اقام الغائب مقام
 المخاطب حسن منه ان يردده الي الغائب وقيل ان الالتفات في الكلام من الغيبة الي الحضور
 وبالعكس هو من كلام العرب **ريح طيبة** يعني وجرت السفن بريح طيبة ساكنة **وفرحوا بها**
 يعني وفرح وكان الفلك تلك الريح الطيبة لان الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح
 الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع التام والمسرة العظيمة نزل لك **فما ترحع**
 قيل الضمير في جازها يرجع الي الريح فيكون المعنى جات الريح الطيبة بريح عاصف شديدة لها
 فاقطعتها وقيل الضمير في جازها يرجع الي الفلك يعني جات الفلك بريح عاصف يقال ربح عاصف
 وعاصفة ومعني عصف الريح اشتدت واصل العصف السريعة وانما قال عاصف لانه
 يراد ذات عصفوف او لاجل ان لفظ الريح قد تذكر **وجازهم الموج من كل مكان** يعني
 وجازهم تلك الموج وهو ما اوقع وغلا من غوارب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء
 واختلاطه وظنوا انهم احيطوا به **يعني وظنوا ان الهلاك قد احاط بهم واحرق**
 وقيل المراد من الظن اليقين اي وايقنوا انه الهلاك وقيل المراد منه المقارنة من
 الهلاك والدنوسه والاستراف عليه **يعني انهم اخطوا في**
 الدعا لله عز وجل ولم يدعوا احدا سواه من الهتهم وقيل في معنى هذا الاخلاص العلم الحقيقي
 لا اخلاص ايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لا يخفيهم من جميع الشدايد والبلايا الا الله
 تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وحزن وبلا اخلاصوا الله الداعين **اجتنبوا من هذه** يعني قائلين
 لن اجتنبوا يا ربنا من هذه يعني من هذه الشدايد التي نحن فيها وهي الريح العاصفة والأمواج
 الشديدة **لكن من الشاكرين** يعني من الشاكرين لك على انقاذك علينا بخلصنا ما نحن فيه

من هذه الشدة

نصيح 3

من هذه الشدة **فلما اجابهم** يعني فلما اجاب الله هاولا الذين ظنوا انهم احيطوا بهم من الشدة
 التي كانوا فيها **اذا هم يبنون في الارض بغير الحق** يعني انهم اخلفوا الله ما وعدوه وبغوا في
 الارض فكانوا فيها الي غير ما امر الله به من الكفر والعيا لمعاصي على ظهورها واصل البغي بجازرة
 الحد قال اصحاب العزوات والبغي على ضربين احدهما محمود وهو بجازرة العدل الي الاحسان
 والعرض الي التطوع والثاني مد تور وهو بجازرة الحق الي باطل او الي الشبهة قال اصحاب الكشاف
 فان قلنا **ما معنى قوله بغير الحق** والبغي لا يكون بحق قلنا **بلي قد يكون بحق** وهو
 استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يعني قريظة **يا ايها الناس انما بغيتكم على انفسكم** يعني ان وبالبغيتكم
 راجع عليكم **متاع الحياة الدنيا** قيل هو كلام مبتدأ والمعنى ان بغي بعضكم على بعض هو متاع
 الحياة الدنيا لا يصلح لراد الاخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا ايها الناس انما بغيتكم
 على انفسكم لا يمتيا بعضكم على بعض الا بما قليله وهي مدة حياتكم مع قصرها في سرعة
 انقضاءها والبغي من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بغي جبل على جبل لاندك الباقي
 وقد نظم بعضهم في هذا المعنى شعرا وكان المامون يمثله
 يا صاحب البغي ان البغي مصرة فارجع خير مقال المراد له
 فلو بغي جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله
 وقوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا انما نهيكم عن الفواحش** يعني يوم القيامة **فنبهكم** اي فنبهكم بما كنتم تقولون
 يعني في الدنيا من البغي والمعاصي فيجانبكم عليها قوله عز وجل **انما مثل الحياة الدنيا** يعني
 في فناءها وزوالها **كما انزلناه من السماء** يعني المطر فاختلط به اي بالمطر نبات
 الارض قال ابن عباس نبت الما من كل لون مما ياكل الناس يعني من الحبوب والثمار والافعال
 يعني وما ياكل الانعام من الحشيش وغوه **حي اذا اخذت الارض زخرفها** يعني حسنها
 ونضارتها ونجتها واظهرت الوان زهرها من ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من الزهور
وارزنت اي وزينت **وظن اهلها** اي اهل تلك الارض **انهم قادرون عليها** يعني على
 حيا ذهابها وقطاعها وحصادها والكافية الي الارض والمراد النبات اذ كان غصنوما وقيل
 رده الي التمر والغلة وقيل الي الزينة **انها امرنا** يعني فضا ناهلاكها ليللا او نهارا
 يعني في الليل والنهار **رجعناها حصية** يعني محصودة ممتطوعة **كان لم تغز بالامس**
 يعني كان لم تكن تلك الاشجار والنبات والزروع ثابتة قائمة على ظهور الارض واصلها
 من غني فلان بالمكان اذا اقام به وهذا مثل ضرب الله تعالى للثبوت بالدنيا الراغب
 في زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى لما قال يا ايها الناس انما بغيتكم على انفسكم متاع
 الحياة الدنيا اتبعه هذا المثل من بغي في الارض وتجريفها وركن الي الدنيا واعرض عن الاخرة
 لان النبات في اول بروزه من الارض ومبدا خروجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر
 واختلط به قوي وحسن والتي كالرقيق والنية وهو المراد من قوله **حي اذا اخذت**
 الارض زخرفها وارزنت يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشيء فجعلت الارض
 اخذة وزخرفها على التشبيه بالعرس اذا البست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من جرم

ان يبنو

وحضرة وصغرة وبياض ولا شك ان الارض منى كانت علي هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم
رجاؤه في الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله تعالى ارسل علي هذه الارض صاعقة او بردا او ريحا فجعلها
صعيدا كان لم تكن من قبل قال قتادة ان المتشبه بالدينيا ياتيه امر الله وعذابه اعقل ما يكون وجه
التمثيل ان غاية هذه الحياة الدنيا التي يتنعم بها المرفاية هذا النبات الذي لما عظم الرطاي لا انتفاع
به وقع الياس منه ولان المتشبه بالدينيا اذا اتانا منها بغيتها اناه الموت بغتة فسلبيه ما هو فيه
من تنعيم الدنيا ولد له لقطا وقيل يحتمل ان يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت
وذلك لان الزرع اذا انتهى وتكاثر في الحسن الي الغاية القصوي اناه افقة فتلف بالكلية ثم
ان الله تعالى قادر علي اعادته كما كان اول مرة فضررب الله هذا المثل ليدل علي ان من قدر علي
اعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادرا علي اعادة الاموات احيائي الاخرة ليجان بهم علي عالم
فيثيب الطاييع ويعاقب العاصي **كذلك تفصل الايات لقوم يتفكرون** يعني كما بينا لكم مثل الحياة
الدنيا وعرقا كحلمها كذلك بين حججنا وادلتنا لمن تفكروا اعتبر ليكون ذلك موجبا وسببا
لزواد الشك والشبهة من القلوب قوله تعالى **والله يدعو الي دار السلام** لما ذكر الله زهرة
الحياة الله لدنيا وانها فانية زائلة لا محالة دعا الي داره دار السلام قال قتادة الله هو السلام
وداره الجنة فعلم هذا السلام اسم من اسم الله عز وجل ومعناه انه تعالى سلم من جميع النقايص
والعيوب والفنا والغير وقيل انه تعالى يوصف بالسلام لان الخلق سلموا من ظله وقيل
انه يوصف بالسلام بمعنى ذوالسلام اي لا يقدر علي تحليص العاجز من المكارة والافات الا
هو وقيل دار السلام اسم للجنة وهو جمع سلامة والمعني ان من دخلها فقد سلم من جميع
الافات كالموت والمرض والخصايب والحزن والغم والنعيب والتكد وقيل سميت الجنة دار السلام
لان الله تعالى سلم علي اهلها او تسلم الملائكة عليهم وقيل ان من كمال رحمة الله وجوده علي عباده
ان دعاهم الي جنته التي هي دار السلام وفيه دليل علي ان فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر علي قلب بشر لان العظيم لا يدعوا الا الي عظيم ولا يصف الا عظيم وقد وصف الله الجنة في
ايات كثيرة من كتابه ويهدي من يشاء الي صراط مستقيم يعني والله يهدي من يشاء من خلقه
الي صراطه المستقيم وهو دين المستقيم عم بال دعوة اولها اظهار الجنة وخص بالدعوة ثانيا
استغناء الخلق واظهار القدرة فحصلت المغايرة بين الدعوتين ح عن جابر قال لجات ملائكة
الي النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب
يقظان فقالوا ان لصاحبكم مثلا فاصبروا له مثالا فقالوا امثلة كمثل رجل بني دارا وجعل فيها
مادة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادة ولم يحجب الداعي لم يدخل
الدار ولم ياكل من المادة فقالوا او لوها يفتنها فقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان
فالدار الجنة والداعي مهادن الطاع مهادن الطاع الله ومن عصي مهادن عصي الله ومهددت
بين الناس وفي رواية قال جابر خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزد قال للمهدي ذكر
ابو سعود اوله فقال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاني رايت في المنام كان جبريل
عند راسي وميكائيل عند رجلي يقول احدهما لصاحبه اضرب له مثالا وذكره عن النور بن سيمان
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثالا صراطا مستقيما علي كفتي الصراط لها زور
ها ابواب

لها ابواب مفتحة علي الابواب ستور وداع يدعو الي راس الصراط وداع يدعو فوته والله يدعو الي دار
السلام **وتهدي من يشاء الي صراط مستقيم** والابواب التي كفتي الصراط وداع الله فلا يفتح احد
في حدود الله حتي يكتشف السر والذي يدعو من فوته واعطى ربه اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب قوله عز وجل **للذين احسنوا الحسنى** قال ابن عباس للذين شهدوا ان لا اله الا الله
الجنة وقيل معناه للذين احسنوا عبادة الله في الدنيا من خلقه واطاعوه فيما امرهم به ونهاهم
عنه الحسنى قال ابن الانباري الحسنى في اللغة تانيث الاحسن والعرب تفتح هذه اللفظة علي
الحلة المحبوبة والخصلة المرقوبة فيها وقيل معناه للذين احسنوا المثوبة الحسنى **وريادة**
احتلت اهل التفسير في معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة علي اقوال القول الاول ان الحسنى
هي الجنة والزيادة هي النظري وجه الله الكريم وهو قول جماعة من الصحابة منهم ابو بكر الصديق
وحذيفة وابو موسى الاسعري وعبادة بن الصامت وهو قول الحسن وعكرمة والضحاک ومقاتل
والسدي ويدل علي صحة هذا القول المنقول والمعقول اما المنقول فاروي عن صهيب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم
فيقولون التبرير وجوهنا المردخلنا الجنة وتجننا من النار قال فيكشف الحجاب فاعطوا
شيئا احب اليهم من النظر الي ربه تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الآية للذين
احسنوا الحسنى وريادة اخرجه مسلم وروي الطبري بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وريادة قال الزيادة النظر الي وجه الله وجه
عن ابي بن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل للذين احسنوا
الحسنى وريادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الي وجه الله وجه عن ابي بكر الصديق للذين
احسنوا الحسنى وريادة قال النظر الي وجه الله وجه عن ابي موسى الاسعري قال اذا كان يوم
القيامة بعث الله الي اهل الجنة مناديا ينادي هل اخرجكم الله ما وعدكم فيظنون الي ان الله
الله لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين احسنوا الحسنى وريادة النظر الي وجه
الله الرحمن تبارك وتعالى في رواية رفعه ابو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
يبعث يوم القيامة وذكره معناه وبه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال اذا دخل اهل الجنة الجنة
قال لهم قد بقي من حقكم شيئا لم تعطوه قال فينجلي لهم جبريل وعز قال فيصغر عندهم كل شي اعطوه
ثم قال للذين احسنوا الحسنى وريادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الي وجه الله وجه
الاخبار والاثار قد دللت علي ان المراد بهذه الزيادة هي النظر الي وجه الله تبارك وتعالى
واما المعقول فتقول ان الحسنى لفظة معززة دخل عليها حرف التعريف فانصرف الي
المعهود السابق وهو الجنة في قوله تعالى والله يدعو الي دار السلام فتثبت بهذا ان المراد من
لفظة الحسنى هي الجنة واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد من الزيادة امر ما يرا الكراماتي
الجنة من التعميم والا لزم التكرار واذا كان كذلك وجب حمل هذه الزيادة علي روية الله
تبارك وتعالى وما يولد ذلك قوله تعالى وجهه يومئذ ناظرة الي ربه ناظرة ثابتة اهل
الجنة امر من احدها النصارة وهو حسن الوجه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الي
الله تعالى وايات القرآن يفسر بعضها بعضها فوجب حمل الحسنى علي الجنة ونعيمها وحمل الزيادة

الاسلام
عن ج

على روية الله تعالى وقالت المعتزلة لا يجوز حل هذه الزيادة على الروية لان الدلائل العقلية وك
على الروية الله تعالى متمتعة ولان الزيادة تجب ان تكون من جنس المزيد عليه وروية الله
ليست من جنس نعيم الاخرة الجنة ولان الاخبار التي تقدمت توجب التشبيه ولان جماعة من
المفسرين حملوا هذه الزيادة على غير الروية فاتفقوا على ان اجاب اصحابنا عن هذه الاعتراضات
بان الدلائل العقلية قد دللت على امكان وقوع روية الله في الاخرة واذ لم يوجد في العقل ان
يأمن من روية الله وجات الاحاديث الصحيحة باثبات الروية وجب المصير اليها واحرازها
على كل واحد من غير تشبيه ولا احاطة واجيب عن قولهم بان الزيادة تجب ان تكون من
جنس المزيد عليه فنقول المزيد عليه اذا كان مقدرا بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه
واذا لم يكن بمقدار معين وجب ان تكون الزيادة مخالفة لها فالمدكور في الآية لفظ الحبيب
وهي الجنة ونعيمها غير مقدور بمقدار معين وجب ان الزيادة عليها تكون سببا مغايرا للنعيم
الجنة وذلك المغاير هو الروية واجيب عن قولهم بان جماعة من المفسرين حملوا الزيادة
على غير الروية فنعارض بقول جماعة من المفسرين بان الزيادة هي الروية واجيب لمثبت
مقدم على الثاني والله اعلم والقول الثاني في معنى هذه الآية الزيادة ما روي عن علي بن ابي
طالب انه قال الزيادة تنكر من لولة واحدة لها اربعة ابواب القول الثالث ان
الحسين واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الي تمام العشرة الى سبع مائة قال ابن
عباس هو مثل صريحه قوله ولدينا مزيد يقولون بحزبهم يعلمهم ويزيدهم من فضله قال قتادة
كان الحسن يقول الزيادة بالحسنة عشرة امثالها الى سبع مائة ضعف القول الرابع ان
الحسين حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان قاله مجاهد القول الخامس
قوله ابن زيد ان الحسين في الجنة والزيادة ما اعطاه في الدنيا لانحاسهم به يوم القيامة
وقوله تعالى ولا يزهق وجوههم يعني ولا يفتني وجوه اهل الجنة **قصر** اي كابة ولا خوف
ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجوه **ذلة** يعني ولا هو ان قال ابن ابي ليلى هذا بعد
نظرهم الى ربه تبارك وتعالى **وليك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** يعني ان هاهنا الذين
وصفت صفتهم هم اصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها ابد قوله تعالى **والذين**
كسبوا السيئات جزا سيئة مثلها اعلم انه لما شرح الله احوال المحسنين وما اعد لهم من الكرامة
شرح في هذه الآية حال من اقدم على السيئات والمراد بهم الكفار فقال تعالى والذين كسبوا السيئات
يعني والذين عملوا الكفر والمعاصي جزا سيئة مثلها يعني فلهم جزا السيئة التي عملوها مثلها
في العقوبة من العقاب والمقصود من هذا التقييد التشبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات
والسيئات لان الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحدة الى العشرة الى سبع مائة الى
اصناف كثيرة وذلك تقضلا منه وتكرما واما السيئات فانه يجازي عليها بمثلها عدلا منه
سبحانه وتعالى **وترهقهم ذلة** قال ابن عباس ترهقهم ذلة وشدة وقيل ترهقهم ذلة
وهوان بعقاب الله اياهم **ما لهم من الله من عاصم** يعني ما لهم مانع منهم من عذاب
الله اذا تزلزلهم **كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلمة** يعني كما انما البت
وجوههم سوادا من الليل المظلم **وليك اصحاب النار هم فيها خالدون** قوله تعالى **ويوم نحشرهم**

جميعا

جميعا المحشر جميع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعني ويوم نجعل الخلائق جميعا الموقف للحساب
او هو يوم القيامة **وليك الذين استرواكم انكم اي الزعماء انكم وانبتوا فيه حتى تسالوا**
وفي هذا وعيد وتوبيخ للمعبدون والمعبدون **انتم واولادكم** يعني انتم اي الزعماء انكم وانبتوا فيه حتى تسالوا
والاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله **فويل للذين كفروا** يعني كفروا عن الفاعدين والمفتون
وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا فان قلتم **فويل للذين كفروا** يعني كفروا عن الفاعدين والمفتون
لفظ الماضي بعد قوله **وليك الذين استرواكم** وهو منتظر في المستقبل فاما وجهه **قلتم**
السبب فيه ان الذي حكم الله فيه انه سيكون صار كالظن لان اما قوله **وقال استرواكم** وهو
يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله وانما استرواكم وهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من
اموالهم اوله تعالى لما خاطب الفاعدين والمعبدون يقول لعلكم تفقهوا واسترواكم في هذا
الخطاب **ما كنتم ابا ناعبدون** تبارك المعبدون من الفاعدين فان قلتم **كيف صدر هذا**
الكلام عن الاصنام وهي جامدة لا تفهم ولا عقل لها **قلتم** محتمل ان الله خلق لها في ذلك
اليوم الحياة والعقل والنفوس حين قدرت على هذا الكلام فان قلتم **اذا احياهم الله**
ذلك اليوم فصل نفهم او يقيمهم **قلتم** الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شيء من افعاله
واحوال القيامة غير معلومة الخلفاء عليه الدليل من كتاب اوسنة فان قلتم **ان الاصنام**
قد انكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها **قلتم** قد تقدمت هذه
المسئلة وجوابها في تفسير سورة الانعام ونقول هنا قال مجاهد يكون يوم القيامة ساعة فيها
شدة تصعب لهم الالهة التي كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الالهة والله ما كنا نسبح ولا
نصور ولا نعقل ولا نعلم انكم تعبدون وتنافي قولون والله اياكم كنا نعبد فنقول لهم الالهة **كلني**
بالله شريدا بيننا وبينكم ان كنا من عبادكم لغافلين والمعني قد علم الله وكفى به
شريدا انا ما علمنا انكم كنتم تعبدون وتنافي ما كنا من عبادكم لغافلين والله الا غافلين
لا تشعر بذلك اما قوله تعالى **هناك تبلو كل نفس ما اسلفت** فهو كالتمه للآية المتقدمة
والمعني ان في ذلك المقام او ذلك الموقف او في ذلك الوقت على معنى استقارة اطلاق اسم المكان
على الزمان وفي قوله تبلو اقرا تبارين ولها معنيان احدهما انه من تلاء اذا تبعه اي تتبع
كل نفس ما اسلفت لان العمل الذي يهدي النفس الى الثواب او العقاب الثاني ان يكون من
التلاوة والمعني ان كل نفس تقر بصحيفة عملها من خير او شر وقرا تبلو ايا لتا والبا معناه تخبر
وتعلم والتلو الاختبار ومعناه اختبارها ما اسلفت انه قدم خيرا او شرا اقدم عليه وجوزي
به **وردوا الى الله مودعين** الودعية عن صرف الشيء الى الموضع الذي حلت
والمعني وردوا الى ما ينظر لهم من الله الى الله الذي هو مالكهم ومولي امورهم فان قلتم **قلتم**
قد قال الله تعالى في اية اخري وان الكافرين لا مولى لهم فانما الفرق **قلتم** المولى في
اللغة يطلق على المالك ويطلق على الناصر لعني المولى هنا المالك ومعني المولى هنا الناصر
فصل الفرق بين الاثنين **وصل عندهم ما كانوا يعبدون** يعني وبطل وذهب ما كانوا
يكذبون فيه في الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لهم قوله عز وجل **قل من يبرئكم**
من السما والارض اي قلا يخلصها ولا المشركين من برزخهم من السما يعني المطر والارض يعني

غيرهم الا اذا اهداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله والتسليم بعهديه او لم يتبعوا غيره
وقوله تعالى **فما لكم فيها كمون** قال الزجاج فمالكم فلا تراءى كما فعل الصري في الكمون
عبادة هذه الاضنام ثم قال كيف تخفون يعني على اي حال تخفون وفيما اعناه كيف تقصون
لا تفقدوا الجور حين ترعون ان مع الله شريكا وقيل معناه يسماحكم اذا جعلتم الله شريكا
من ليس بربك متفعة ولا مضرة ولا هداية **وما يتبع الشرك الا الضلال** وما يتبع الا الضلال
المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته لهم في شك منه ورية قيل المراد بالكثر الكمال ان
جميع المشركين يتبعون الطريق ودعواهم ان الاضنام تستمع لهم وقيل المراد بالكثر الروايات
الظن لا يعنى من الحق شيئا يعني ان الشك لا يعنى من اليقين شيئا ولا يقوم مقامه وقيل في
الآية ان قولهم ان الاضنام الهة وانها تستمع لهم ظنا منهم لم يزد به كتاب ولا رسول ان الظن
لا يعنى من الحق شيئا يعني لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئا **ان الله عليم بما يفعلون** يعني من
اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين قوله تعالى **وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله**
يعني وما كان ان يشي هذا القرآن ان يخلق ويفتعل لا يعنى الا فترا الاحلاق والمعنى ليس يفرق
القرآن وصفت شي يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذي يأتي به البشر وذلك ان
كفار مكة زعموا ان محمدا صلي الله عليه وسلم اتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافتعال
والاختلاق فاحضر الله عز وجل ان هذا القرآن وحى انزله الله عليه وانه مبرأ من الافتراء والذب
وانه لا يتدبر عليه احد الا الله ثم ذكر ما يوجب هذا بقوله **ولكن تصديق الذي بين يديه** يعني
ولكن الله انزله هذا القرآن مصداقا لما قبله من الكتب التي انزلها على انبيائه كالنورية والجيل
وتقدبر هذا ان محمدا صلي الله عليه وسلم كان اميا لا يقرأ ولا يكتب ولما اجتمع باحد من العلماء ثم اراه
صلي الله عليه وسلم اتى بهذا القرآن العظيم المعجز وفيه اخبار الاولين وقصص الماضين
وكل ذلك موافق لما في التوراة والجيل والكتب المتزلة قبله ولم يكن كذلك لغدواني
لعداوة اهل الكتاب له ولما لم يفتح فيه احد من اهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه من القصص
والاخبار مطابقة لما في التوراة والجيل مع القطع بانه ما علم ما فيها ثبت بذلك انه وحى من الله
انزله عليه وانه مصدق لما بين يديه وانه معجزة له صلي الله عليه وسلم وقيل في معنى قوله
ولكن تصديق الذي بين يديه يعني من اخبار الغيوب الآتية فانها جاءت على وفق ما اخبر
وتقصير الكتاب يعني وتبيين ما في الكتاب من الحلال والحرام والغرائب والاحكام **لا ريب**
فيه من رب العالمين يعني ان هذا القرآن لا شك فيه انه من رب العالمين وانه ليس مفترى
على الله ولا لا باعتراف احد من الشرع الا لبيان مثله وهو قوله تعالى **ما يقولون اقترام**
يعني امر يقولوا هوالة المشركون افترى محمد هذا القرآن واخلفه من قبل نفسه وهو استهزاء
انكار وقيل ام يعني الواو اي ويقولون اقترام **قل** اي قال لهم يا محمد ان كان الامر كما تقولون
فانوا بسورة مثله يعني بسورة شبيهة به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فاتهم عرب
مثلي في الفصاحة والبلاغة **فان قلتم** قال تعالى في سورة البقرة فانوا بسورة
من مثله وقال هانوا بسورة مثله فافادة ذلك وما العرف بينهما **قل** لما كان
محمدا صلي الله عليه وسلم اميا لا يقرأ ولا يكتب واتى بهذا القرآن العظيم كان مجرا في نفسه

غیر فہم

فقال لهم فانوا بسورة من مثله مع انسان امي مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم القراءة والكتابة
واما قوله فانوا بسورة مثله اي فانوا بسورة تساوي سور القرآن في الفصاحة والبلاغة وهو
المراد بقوله بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها معجزة فان الخلق لو اجتمعوا ليطع ذلك لم يقدروا
عليه وهو المراد من قوله **وانعو من استطعتم من دون الله** يعني وادعوا الاستعانة على ذلك
من استطعتم من خلقه **ان كنتم صاوقين** يعني في قولكم ان هذا اقتراه ثم قال تعالى **لذبول**
مالم يحيطوا بعلمه يعني القرآن اي لذبول ما لم يعلموه قال عطاء يريد انه ليس خلق يحيط بجميع علوم
القرآن وقيل معناه بل لذبول ما في القرآن من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب
والعقاب مالم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقيل انهم لما سمعوا ما في القرآن من
القصص والاحبار الام الخالية ولم يكونوا سمعوا قبل ذلك انكروها لجهلهم فزاد الله عليهم
بقوله بل لذبول ما لم يحيطوا بعلمه لان القرآن العظيم شتم على علوم كثيرة لا يقدر احد على
استيعابها وتخصيلها **ولما ياتكم تاويله** يعني انهم كذبوا به ولم ياتهم بعد بيان ما يؤول اليه
ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في القرآن به من العقوبة والمعني انهم لم يعلموا ما يؤول اليه من
عاقبة امرهم وقيل معناه انهم لم يعلموه تنزيلا ولا علوه تاويله فاذ بوايه وذلك لانهم جهلوا
القرآن وعلم تاويله **لذلك كذب الذين من قبله** يعني كما كذب قداما ولا بالقرآن كذب تكلم
الام الماضيه انبياءهم فيما وعدوهم به فانظر كيف كان عاقبة الظالمين الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم اي فانظروا كيف كان عاقبة من ظلم من الامم كذلك عاقبة من كذب من
توكل فقيه تسليته للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لكل فرد من الناس المعني
فانظروا الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر ان تفعل مثل فعله قوله عز وجل **ومنهم**
من يؤمن به يعني يا محمد من سيؤمن بالقرآن **ومنهم من لا يؤمن به** لعلم الله المتابع فيه انه
لا يؤمن **وزكركم اعلم بالفساد** يعني الذين لا يؤمنون **وان كذبوا** يعني وان كذبوا بيا محمد
توكل **فقل** اي فقل لهم لي عني يعني الطاعة وحزنا ثوابها **ولكنهم** يعني الشرك وحزنا
عقابها **انتم جديون بما تعملون** **وانا بريء مما تعملون** قيل المراد منه الزجر والرجوع وقال
مقاتل والكلبي هذه الآية مفسوخة بآية السيف قال الامام فخر الدين الرازي وهو بعيد لان
شرط النسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الآية اختصاص كل واحد بافعاله وثمرات
افعاله من الثواب والعقاب وآية القتال ما رفعت شيئا من مدلولات هذه الآية فكان
القول بالنسخ باطلا **ومنهم** يعني ومن ههنا ولا المشركين **من يشتمونك** يعني باستماعهم الظاهر
ولا ينفهم لسنا نفهمهم وعداوتهم لك **فانت شتم الصم** يعني كما انك لا تقدر على استماع
الصم فلذلك لا يقدر على استماع من اصم الله قلبه **ولو كانوا لا يعقلون** يعني ان الله صرف
قلوبهم عن الاستماع عما يسعوا ولما يوقفهم لذلك لئلا يفتنوا بالجهالة اذ لم يفتنوا بما لم
يسعوا وهم ايضا كالصم الذين لا يعقلون شيئا ولا يفهمونه لعدم التوفيق **ومنهم من ينظر**
اليك يعني يا بصير قلوبهم فلا يبصرون بها شيئا من الهدى وفي هذا تسليته من الله عز وجل
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله لا يبصرون **فانت تفدي العبي** يريد عبي القلوب **ولو كانوا لا يعقلون**
لان الله اعني بصير قلوبهم فلا يبصرون بها شيئا من الهدى وفي هذا تسليته من الله عز وجل
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله لا يبصرون **فانت تفدي العبي** يريد عبي القلوب **ولو كانوا لا يعقلون**

من قولهم

سمع

يغدر

ولا يتدبر ان قد ي من سلبته البصر ولا يقدر ان توفق للامان من حكمت عليه ان لا يؤمن **ان الله**
لا يظلم الناس شيئا **ولكن الناس انفسهم يظلمون** قال العلم الماختر الله عز وجل على اهل الشبهة بالشقا
لغضابه وقدرته السابق فيهم اخبر في هذه الآية ان يتقديروا الشبهة عليهم ما كان ذلك ظلما بسببه لا منه
يتصرف في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيد وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالما وانما قال ولكن
الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق فضا الله وقدره فيهم
قوله تعالى **فوقهم خمسمائة** يعني واذا كثر ايمانهم يوم يجمع ههنا المشركين لموقف الحساب واصل
الحشر اخرج الجماعة وان عاجهم عن مكانهم **كان لم يظنوا الا نعمة من النار** يعني كانوا لم يظنوا
في الدنيا الا قدر سعة من النار وقيل معناه كانوا لم يظنوا في قبولهم الا قدر سعة من النار
والوجه الاول اولى لان حال المؤمن والكافر سوا في عدم المصدقة بمقدار ليشتم في القبول الى وقت
الحشر فتعين حمله على ان يحضر حال الكفر وهو انهم لما لم ينتفعوا باعمالهم في الدنيا استقبلوها بالكون
انما استمتع بهم في الدنيا لم يستقله بسبب استقلال الكفار من مقامهم في الدنيا انهم لما ضيعوا
اعمالهم في طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كعدمه
فلذلك استقبلوه وقيل انهم لما شاهدوا احوال يوم القيامة وطال عليهم استقلالهم استقبلوا من
مقامهم في الدنيا لان مقامهم في الدنيا احرى في جنب مقامهم في الآخرة قليل جدا **سبحان قون بينهم**
يعني يعرف بعضهم بعضا اذا خرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة
بينهم اذا عاينوا احوال يوم القيامة وفي بعض الآثار ان الانسان يوم القيامة يعرف من تحبه
ولا يقدر ان يخله هيبته وخشيته وقيل ان احوال يوم القيامة مختلفة ففي بعضها يعرف
بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا لهول ما يعاينوا في ذلك اليوم **قد خسر الدين**
بلك الله يعني ان من باع آخرته الباقية بدنياه الغانية قد خسر لانه اثار الفاني على الباقي
وما كانوا انفسهم يعني الي ما يصلحهم ويخبرهم من هذا الحساب **واما نريكم** يعني يا محمد بعض
الذي نعدهم يعني ما نعدهم به من العذاب في الدنيا **او توفيتك** قيل ان تركك
ذلك الوعد في الدنيا فانك ستراه في الآخرة وهو قوله فالينا مرجعهم يعني في الآخرة وفيه
دليل على ان الله يري رسوله صلى الله عليه وسلم انواعا من عذاب الكافرين وذلهم وختهم في
حال حياتهم في الدنيا وقد اراه ذلك في يوم بدر وغيره من الايام وسيرهم ما اعد لهم من العذاب
في الآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم **شر الله شراهم على ما يفعلون** فيه وعيد وتهديد لهم
يعني انه تعالى شاهد على افعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله عز
وجل **ولكل امية رسول** لما بين الله عز وجل حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين ان حاله
الانبياء مع اممهم لذلك فقال تعالى ولكل امية يعني قد خلت وتقدمت قبل رسول يعني مبعوثا
اليهم يدعوهم الى الله والطاعة والايان به **فاذا جازوا سولهم قضى بينهم القسط** في هذا
الكلام اشارة بقدره فاذا جازوا سولهم ما ارسل به اليهم فلهذا قوم وصدة قوم اخرون قضى
بينهم بالقسط يعني حكم بينهم بالعدل وفي وقت هذا القضا والحكم بينهم لول ان احدهما
انه في الدنيا وذلك ان الله تعالى ارسل لكل امية رسولا لتبليغ الرسالة واقامة الحجة وازالة
العدو فاذا الذوار سولهم وخالفوا امر الله قضى بينهم وبين رسولهم في الدنيا فيهلك الكافرين

وتجى رسوله والمؤمنين ويكون ذلك عدلا ظاهرا لان قبل مجي الرسول لا يكون ثوابا ولا عقابا القول
الثاني ان وقت القضا في الآخرة وذلك ان الله اذا جمع الامم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم
والفصل بين المومن والكافر والطابع والفاصي جيا لرسول لتشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة
في اظهار العدل وهو قوله **وهو لا يظلمون** يعني من جزا اعمالهم شيئا ولن يجازي كل احد بعمله علي
قدر عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤخذون بغير حجة ولا يتقص من حسنتهم
ولا يزاد على سيئاتهم **ويقولون** يعني ها ولا الكفار **منى هذا الوعد** يعني الذي تعدنا به
يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وانما قالوا ذلك علي وجه التكذيب والاستبعاد
ان كنتم صادقين يعني فيما تعدونا به وانما قالوا بلفظ الجمع لان كل امة قالت لرسولها ذلك
او يكون للمعني ان كنتم صادقين انت واتباعك يا محمد اود كونه بلفظ الجمع عيا سبيل التعظيم
قل اي قل لهم يا محمد لا املك لنفسي عتقا ولا نفعا يعني لا املك لنفسي دفع ضرر او جلب نفع ولا
اقدر علي ذلك **الا ماشاء الله** يعني ان اقدر عليه واملكه والمعني ان اترا العذاب علي الاعدا
واظهار النصر للاوليا وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه الا الله فتعين الوقت الي الله حسب
مشيئته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذي وقته الله لحدوث هذه الاشيا فانه يحدث ما يحاله
وهو قوله تعالى **لكل امة اجل** اي مدة مضرورة ووقت معين **اداء اجلهم** يعني اذا
انقضت مدة اعمالهم **فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** يعني لا يتأخرون عن
ذلك الاجل الذي اجلهم ولا يتقدمونه **قل** اي قليا يا محمد لها ولا المستدكين من قومك **ارأيتم**
ان اتاكم عذابنا يعني ليلايقال مات كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان الانسان
في الليل لا يكون الا في البيت غالبا فجعل الله هذا اللفظ كناية عن الليل **او نزل** يعني في
النهار **ما اذا يستعجل منه المجرمون** يعني ما الذي يستعجل نزول العذاب بوقته وقبوعوا
فيه وحقيقة المعني انهم كانوا يستعجلون نزول العذاب كما اخبر الله عنهم بقوله اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم فاجابهم
الله بقوله ما اذا يستعجل منه المجرمون يعني اي شي يعلم المجرمون ما يطلبون ويستعجلون
كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ما ذا اجنبت علي نفسك **اشركوا** اي ما وقع يعني اذا
ما تزل العذاب ووقع **امنتم به** يعني امنتم بالله وقت نزول العذاب وهو وقت المأس
وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همة الاستفهام علي ثمر للتوبيخ والتوبيخ
الان فيه اشارة تقديره يقال لهم الان تؤمنون حين وقع العذاب **وقد كنتم يستعجلون**
يعني تكذبا واشهرا **اشركوا** يعني ظلموا انفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله
ذوقوا عذاب الجحيم اي جحيم النار **الانما كنتم تعلمون تكسبون** يعني في الدنيا من الاعمال قوله
تعالى **ويستنبئونك احق هو** يعني ويستخبرونك يا محمد احق ما تعدنا به من نزول العذاب
وقيام الساعة **قل اي وربي** اي قل لهم يا محمد نعم وربي **انه الحق** يعني ان الذي اعدكم
به حق لا شك فيه **وما انتم بتحذرون** يعني بقاتين من العذاب لان من عجز عن شي فقد
فاته **ولوان لكل نفس ظلمت** يعني اشركت **ما في الارض** يعني من شي لا تعدت به
يعني يوم القيامة والاقتداء بمعني ابدل بما يجوا به من العذاب الا انه لا ينفعه العذاب

سورة

ولا يقبل منه **واسرؤا الندامة** يعني يوم القيامة وانما جاء بلفظ الماضي والقيامة من الامور
المستقبله لان احوال يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضي
والاسرار يكون بمعني الاختفاء وبمعني اظهار قفوس الاصداد فلهذا اختلفوا في قوله
واسرؤا الندامة فقال ابو عبيدة معناه واظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم قصر
ونقص وقيل معناه اخفي يعني اخفا الروسا الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ملائمتهم
اياهم وتغييرهم لهم **ما في العذاب** يعني حين عابوا العذاب وانصروه **ونقصي بينهم**
بالنفس يعني وحكم بينهم بالعدل لقيل بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الروسا والاتباع
وقيل بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعض فيؤخذ للمظلوم من الظالم وهو قوله تعالى
وهو لا يظلمون يعني الحكم لهم وعليهم بان يخفف من عذاب المظلوم وينشد في عذاب
الظالم **الا ان الله ما في السموات والارض** يعني ان كل شي في السموات والارض لله ملك له
لا يشركه فيه غيره فليس للكافر شي يعتدي به من عذاب الله يوم القيامة لان الاشيا كلها
الله وهو ايضا ملك لله فكيف يعتدي من هو مملوك لغريمه بشي لا يملكه **الا ان وعد الله حق**
يعني ما وعد الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطابع وعقاب الفاصي حق
لا شك فيه **ولكن التوهم لا يعلمون** يعني حقيقة ذلك **هو يحيى ويميت** يعني ان الذي
يملك ما في السموات والارض قادر علي الاحياء والمماتة لا يتعدري ما اراد **والله**
ترجعون يعني بعد الموت للجزا قوله **يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم** قيل اراد
بالناس قريشا وقيل هو علي العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبري قد جاءكم موعظة من ربكم
يعني القرآن والوعظ حقا ومقترا بخلاف قول الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب
وقيل الموعظة الالائية عايدت عوالي الصلاح بطريق الرغبة والرغبة والقران داع الى كل
خير وصلاح بهذا الطريق **وشفا لما في الصدور** يعني ان القران دوا وشفا لما في القلوب
من قسا الجبل وظلم لان دال الجبل اضر للقلب من دال المرض لبدن وامراض القلب وهي
الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهلات المهلكة فالقران من يلهذه الامراض
كلها لان فيه المواعظ والزجر والتوبيخ والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو
الدوا والشفا لهذه الامراض القلبية وانما خسر الصدر بالذكر موضع القلب بخلافه وهو اعز
موضع في بيتك الانسان لما كان القلب فيه **وقدي** يعني وهو هادي من الضلالة **ورحمة**
للمومنين يعني ونعمة علي المؤمنين لانهم هم الذين استنصوا بالقران دون غيرهم **قل بفضل**
الله وبرحمته الباقي بفضل الله متعلق بضمير مستغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو
قوله قد جاءكم موعظة من ربكم والفضل هنا بمعني الافضال ويكون معني الآية علي هذا
يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفا لما في الصدور وهو القران يا فضل الله
عليكم ورحمته بكم وارادته لكم شفا قال تعالى **فبذلك فليفرحوا** اشارة الي القران
لان الراد بالموعظة والشفا القران فترك اللفظ و اشار الي المعني وقيل فبذلك اشارة
الي معني الفضل والرحمة والمعني فبذلك التطول والافعام فليفرحوا قال الواحدي القاني
قوله فليفرحوا زائدا لقول الشاعر **واذا هلكت تغد ذلك فاجزعي**

مرتبة وقيل انه راجع الى القرات لانه قد تقدم ذكره في قوله فليفضل الله وبرحمته فعلي هذا يكون المعنى وماتلوس القرآن من قرآن يعني من سورة وفيه منه لان لفظ القرآن يطلق على جميعه وقيل الضمير في منه راجع الى الله والمعنى وماتلوس الله من قرآن نازل عليك واما قوله تعالى **ولا تعلمون من عمل** خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وعلى بعضه وامته داخلون فيه ويرادون به لان من المعلوم انه اذا خطب به رئيس القوم وكبيرهم كان القوم داخلين في ذلك الخطاب ويدل عليه قوله **ولا تعلمون من عمل** على صيغة الجمع فدل على انهم داخلون في الخطابين الاولين وقوله تعالى **الا كما علمتم** **شهودا** يعني شاهدين لاعمالهم وذلك لان الله تعالى شاهد بكل شيء وعالم بكل شيء لانه لا محدث ولا خالق ولا يوجد الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود من احوال العباد واعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وشاهد عليه **ادققضون فيه** يعني انه تعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتحضون في ذلك والافاضة الدخول في العمل على جهة الانتصاب اليه والانبساط فيه وقال ابن الانباري معناه اذ تدعون فيه وتبسطون في ذلك وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج اذ تنشرون فيه يقال افاض القوم في الحديث اذا انتشروا فيه **وما يعزب عن ربك** يعني وما يسعد وما يغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شيء لانه عالم به وشاهد عليه واصل العزوب البعد يقال منه كلامك اذا كان بعيد المطلب **من مثقال ذرة** يعني وزن ذرة والمثقال الوزن والدرة النملة الصغيرة الحمراء وهي خفيفة الوزن جدا **في الارض ولا في السماء** فان قلت لم قدم ذكر الارض على السماء وقدم ذكر السماء على الارض في سورة سبا الا انه تعالى لما ذكر في هذه الآية شهادته على اهل المعاني الارض والسماء وعالمهم وشاهدهم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السماء في هذا الموضع لهذه العاقبة **ولا اصغر من ذلك** يعني من الذرة **ولا اكبر** يعني منها **الا في كتاب مبين** يعني في اللوح المحفوظ قوله عز وجل **الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** اعلم اننا نحتاج اولا في تفسير هذه الآية ان نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولي فتقولوا اختلف العلماء فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه الآية هم الذين يذكروا الله لرويتهم وروي الطبراني بسنده عن سعيد بن جبير مرسلا قال رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اوليا الله من اوليا الله فقال هم الذين اذا رآوا ذكر الله وقال ابن زيد هم الذين امنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالثقوي وقال قوم هم المتحابون في الله ويدل على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لانا سائهم بانبياء ولا شئدا يعظمهم الكهنة والانبيا والشهداء يوم القيامة فكانهم من الله قالوا رسول الله خبرنا من هم قال هم قوم نحاولو بروح الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتقاطعونها فوالله ان وجوههم لتتور وانهم لعل نور ولا يحزنون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزنت الناس وفرا هذه الآية الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اخرجهم ابوداود ومرو عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة ابن المتحابون بجلالي اليوم اظلم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي اخرجهم مسلم عن معاوية بن

الفا في قوله فاجزى راحة وقال اصحاب الكشاف في معنى الآية بفضل الله ورحمته فليفرحوا
فبذلك فليفرحوا والتأكيد للتدبر والتقدير بما يجب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح
دون ما عداها من فوائد الدنيا الخذف احدي الفعلين لدلالة المذكور عليه والفرح
داخله لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوها بالفرح فانه لا مفرح به احق منهما
والفرح لذة في القلب باذراك المحبوب والمتشهي بقا لا فرحت بكذا اذا ادركت المأمول
وكذلك اكثر ما يستعمل الفرح في اللذات البدنية الدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه
من الخيرات ومعنى الآية ليعفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته فان ما اتاهم الله من المواعظ
وشفا ما في الصدور وتلج اليقين بالايمان وسكون النفس اليه **هو خير مما يجمعون** يعني
من منافع الدنيا ولذا نقى الغاية هذا مذهب اهل المعاني في هذه الآية واما مذهب
المفسرين فغير هذا فان ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القرآن
وقال ابو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلنا من اهله وقال ابن عمر
فضل الله الاسلام ورحمته بزيته في قلوبنا وقيل فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل
فضل الله القرآن ورحمته السنن فغلب هذا البا في بفضل الله يتعلق بخدوف تفسير
ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله ورحمته **قل** اي قايلا بعد لكفار مكة **ارايتم**
ما اتوا الله من رزق يعني من رزق وضعه عبر عا في الارض بالاثرا لان جميع ما في الارض
من خير ورزق فانما هو من بركات السماء **فجعلتم منه** يعني من ذلك الرزق **حلالا وحراما**
يعني ما حرموه على انفسهم في الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة
والحامق الا الضحاك وهو قوله وجعلوا لله ما ذرا من الحرث والانعام نصيبا **قل الله**
اذن لكم يعني قل لهدى ايماد الله اذن لكم في هذا التحريم والتحليل **ام على الله تغفرون**
يعني بل اتم على الله تكذيبون في ادعائكم ان الله امرنا بهذا **وما ظن الذين بغفرون على**
الله الكذب يوم القيامة يعني اذا القوه يوم القيامة تحسبون انه لا يؤاخذهم
ولا يجازيهم على اعمالهم فواستفهام معنى التوبيخ والتقريع والوعيد العظيم لمن يغفري
على الله الكذب **ان الله ذو فضل على الناس** يعني ببعثة الرسل واتزال الكتب لبيان
الحلال والحرام **ولكن اكثرهم لا يعلمون يشكرون** يعني لا يشكرون الله سبحانه وكذا الفضل
والاحسان قوله تعالى **وما يتلون في شان وما ستلون منه من قرآن** الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم وحده والشان الخطب والحاد والامر الذي يتفق ويصلح ولا يفتال الا فيما يعظم
من الاحوال والامور والجمع الشئون تقول العرب ما شان فلان اي مما خاله والشان اسما
اذا كان بمعنى الخطب والحال يكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذي في هذه الآية
يجوز ان يكون المراد به الاسم فان ابن عباس قال معناه وما تكون يا محمد في شان تريد من اعمال
البر وقال الحسن في شان من شان الدنيا وحواليك ويجوز ان يكون المراد منه الغصده يعني
قصد الشئ وما ستلون منه من قرآن احتلغوا به الضمير في قوله منه الي ما ذا يعود فقيل يعود
للشأن لان تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم شأنه
يقول هذا يكون داخل تحت قوله وما تتلون في شان الا انه بعد خصه بالذكر لشرفه وعلو

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بخلايهم منا بمن نور
 يغبطهم للنبون والشهدا الخرجه الترمذي وروي البغوي بسند عن ابي مالك الاشعري
 قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم للنبون
 والشهدا بغبطهم ومنعدهم من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم اعزاني فخي على ركبته
 ورجلي يديه ثم قال حدثنا رسول الله عنهم من هم قال فرأيت في وجه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم ارحام يتو اصلون
 بها ولا دنيا ينتقلون بها يخابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منا بمن نور
 قد ادم الرحمان يفرغ الناس ولا يفرعون وكفات الناس ولا يخافون ويروى ان النبي صلى الله عليه
 وسلم قال قال الله تعالى ان اوليائي من عبادي الذين يدركون الله بكري واذا كرم كرم
 هكذا ذكر البغوي بخبر سنده وروي الطبراني بسند عن ابي هريرة قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبياء والشهدا قيل من هم رسول الله لعنا
 عنهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير اموال ولا انساب وجوههم نور على منا بمن نور ولا يخافون
 اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم
 يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا ان الحسد مدموم والغبطة محمودة والفرق بين الحسد
 والغبطة ان الحاسد يمتني والما على المحسود من النعمة ونحوها والغبطة ان يمتني الغايب
 مثل تلك النعمة التي هي على المغبوط من غير والاعنه قال ابو بكر الاصم اوليا الله هم الذين
 يتولي الله هدايتهم وتوليوا القيام بحق العبودية لله والدعوى اليه واصل الولي من الولد وهو
 القرب والنصرة فولي الله هو الذي يتقرب الى الله بكلاما اقرب من الله عليه ويكون مشغلا
 بالله مستغرق القلب في نور معرفة جلال الله فان راى راي دلة على قدرة الله وان سمع
 آيات الله وان نطق فطق يا لتأ على الله وان تحرك تحرك في طاعة الله وان اجتهد اجتهد
 فيما يقدره الى الله لا يفتقر عن ذكر الله ولا يري بقلبه غير الله فلهذه صفة اوليا الله واذا
 كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الله ولي الذين امنوا وقال
 المتكفون ولي الله من كان اثيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون اثيا بالاعمال الصالحة
 على وفق ما وردت به الشريعة واليه الاشتراك بقوله الذين امنوا وكانوا يتقون وهو ان
 الايمان مبني على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوي هو انه يبقى العبد كل ما في الله منه
 وقوله تعالى لا خوف عليهم يعني في الآخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون على شي فاتهم من نعم
 الدنيا ولذا اتهم قال بعض المحققين رواد الخوف والحزن عنهم انما يحصل لهم في الآخرة
 لان الدنيا لا تخلو من هم وهم وانكاد وحزن قال بعض الخائفين ان الولاية عبارة عن القرب
 من الله ودوام الاشتغال بالله وان كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شي ولا يحزن
 على شي لان مقام الولاية والمعرفة مائة من ان يخاف او يحزن وانما قوله **الذين امنوا**
وكانوا يتقون تقدم تفسيره وان صفة اوليا الله وقوله تعالى **هم البشرى في الحياة**
الآخرة في الآخرة اختلفوا في هذه البشرى فروى عن عباد بن الصامت قال سألت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرويا الصالحة براهها

المؤمن

او ترى له لخرجه الترمذي وله عن رجل من اهل مصر قال سألت ابا الدرداء عن هذه الآية
 لهم البشرى في الحياة الدنيا قال سألتني عنها احد منكم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها
 قال سألتني عنها احد غيرك منذ انزلت في الرويا الصالحة براهها المسلم او ترى له قال الترمذي
 حديث حسن خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدي من النبوة الا
 المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرويا الصالحة قال عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكذب روى المؤمن تكذب وروى المؤمن جز من ستة واربعين جزا
 من النبوة لفظ البخاري والمسلم اذا اقترب الزمان لم تكذب روى المؤمن تكذب واصدقكم روى
 اصدقكم حديثا وروى المسلم جز من خمسة واربعين جزا من النبوة والرويا ثلاث فالرويا
 الصالحة بشرى من الله ورويا تخزي من الشيطان ورويا ما يحدث المرئيه قال بعض العلماء
 ووجه هذا القول وهو ان اذا حملنا قولهم البشرى على الرويا الصالحة الصادقة فظاهر
 هذا النص يقتضي ان لا يحمل هذه الحالة الا لغيره وان ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب
 والروح بدكر الله عز وجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى في قلبه غير الله تعالى
 ومعرفة ومن المعلوم ان معرفة الله في القلب لا تغيب الحق والصدق فاذا راى الولي روى
 اوروت له كانت تلك الرويا بشرى من الله عز وجل لهذا الولي قال الخطابي في هذه الحاد
 تأكيد لمر الرويا وتحقيق منزلتها وانما كانت جزا من اجزا النبوة في حق الانبياء دون غيرهم
 وكان الانبياء عليهم السلام يوحى اليهم في مناسهم كما يوحى اليهم في البقطة قال الخطابي قال
 بعض العلماء معنى الحديث ان الرويا تأتي على موافقة النبوة لا انها جز من النبوة قال الخطابي وغيره
 في معنى قوله الرويا جز من ستة واربعين جزا من النبوة اقام النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة
 ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك ستة اشهر يري في المنام الوحي فهو جز من ستة
 واربعين جزا وقيل ان المنام لعل ان يكون فيه اخبار يغيب وهو احدي ثمرات النبوة وهو
 يسير في جنب النبوة لانه لا يجوز ان يبعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ليشرع الشرايع
 ويبين الاحكام ولا يخبر بغييب ابدا فاذا وقع لاحد في المنام الاخبار بغييب يكون هذا القدر
 جزا من النبوة لانه يبي واذا وقع ذلك لاحد في المنام يكون صدقا والله اعلم وقيل في
 تفسير الآية ان المراد بالبشرى في الحياة الدنيا هي الشا الحسن وفي الآخرة الجنة ويدل
 على ذلك ما روي عن ابي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم اربى الرجل يعمل العمل
 من الخير ويحمد الناس عليه قال ذلك عاجل بشرى المؤمن لخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين
 النووي قال العلماء معنى هذه البشرى المحجلة له بالخير وهي دليل للبشرى المؤخرة الي الآخرة
 بقوله بشرى اليوم جنات وهذه البشرى المحجلة دليل على رضي الله عنه ومحبة له
 وتخفيفه الى الخلق كما قال تعالى وضع له القبول في الارض هذا كله اذا حمد الناس من غير
 تعرض منه لخدمهم ولا فالعرض مدموم قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله
 عز وجل استثار قلبه وامتلا نورا فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه فيظهر
 عليه آثار الخشوع فيجبه الناس ويثنوا عليه فتلك عاجل بشرى لمحبة الله له ورضوانه
 عليه قال الزهري وقادة في تفسير البشرى هي نزول الملائكة بالبشارة وفي الآخرة

في الحديث
 عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال من كان لله
 قلبه مستغرقا
 في معرفته
 لم يبق في قلبه
 غير الله تعالى
 وقيل في قوله
 المستغرق القلب
 في نور معرفة
 جلال الله
 فان راى راي
 دلة على قدرة
 الله وان سمع
 آيات الله وان
 نطق فطق
 يا لتأ على الله

عند خروجه من المون يخرج بها الى الله تعالى ويدشوه برضوان الله تعالى قال الحسن هي ما بشر
الله به المؤمنين في كتابه من جنته وكان يقابله ويدل عليه قوله تعالى **لا تشد على الكلمات الله**
يعني لا تظن لو عد الله الذي وعد اوليائه واهل طاعته في كتابه وعلى السنة رسوله ولا تعيبن
لذلك الوعد **ذلك الفوز العظيم** يعني ما وعدهم به في الآخرة **ولا تحزنك قولهم** يقول
الله لتبنيهم محمد صلى الله عليه وسلم ولا تحزنك يا محمد قوله ها اولا المشركين لك ولا يفتك تحويفهم
اباك **ان العزة لله جميعا** يعني ان الفخر والعلوية والقدر لله جميعا هو المنفرد بالدون
غيره وهو ناصر لهم عليهم والمستقم بهم قال سعيد بن المسيب ان العزة لله جميعا فيعز من
يشاء وهذا كما قال تعالى في اية اخرى والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولا منافاة بين الايتين
فان عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المؤمنين باعتراف الله اياهم فثبت بذلك ان العزة
كلها لله جميعا وهو الذي يعز من يشاء ويدل من يشاء وقيل ان المشركين كانوا يعترفون
بكره اموالهم واولادهم وعبيدهم فاخبر الله ان جميع ذلك لله وفي ملكه فهو قادر على ان
يسلبهم جميع ذلك ويدلهم بعد العز **هو التبع** يعني لا تقول لكم وديناكم **العليم** يعني جميع
احوالكم لا تخفي عليه خافية قوله تعالى **ان الله من في السموات والارض الاكلية**
تبيينه معناه انه لا ملك الا في السموات ولا في الارض الا الله عز وجل فهو ملك من في السموات
ومن في الارض فان قلت **قال تعالى في الاية التي قبل هذه ان الله ما في السموات**
لمنطة ما قال في هذه الاية لمنطة من فافادة ذلك قلت ان لمنطة ما تدل
على من لا يعقل ومنطة من تدل على من يعقل مجموع الايتين يدل على ان الله عز وجل ملك
جميع شي في السموات وفي الارض من العقلاء وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل ان لمنطة
من لمن يعقل فيكون المراد من في السموات الملائكة العقلاء ومن في الارض الناس والجن
وهم العقلاء ايضا وانما خصهم بالذكر لشرهم وادانها ولا العقلاء المميزون في ملكه
وتحت قدرته فالجارات بطريق الاولى ان يكونوا ملكه اذا ثبت هذا فتكون الاصنام
التي تعبدها المشركون ايضا في ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكون ذلك قد خفي على
الاصنام شركا لله معبودة دون جميع الله **وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا**
لمنطة ما استكبرية معناه واي شي يتبع الذين يدعون من دون الله شركا والمقصود
تقبح فعلهم يعني انهم ليسوا على شي لا هم يعبدون على انما شركا لله يشفعون لهم وليس الامر
كما يظنون وهو قوله تعالى **ان يتبعون الا الظن** يعني ان فعلهم ذلك ظن منهم انما
تشنع لهم وانما تقربهم الى الله وذلك ظن منهم لا حقيقة له **وانهم الا يحزنون** يعني
انهم يكدون في دعوائهم ذلك قوله عز وجل **هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه** يعني هو
الله ربكم الذي خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه وليل ولا تعب واللال بالكون فيه
واصل السكون الثبوت بعد الحركة **والنار مبصرة** يعني جعل النار مضيا لتبصر بها
فيه لحواسكم واسباب معاشكم اضاف الابصار الى النار وانما يصدق فيه وليس النار مبصرة
يصدق ولكن لما كان مغموما في كلام العرب معناه خاطبهم بلغتهم وما يفهمونه قال جرير
لقد لمسا يا ام غيلان في السري ومنت وما لي لي المطي بنايم

ما فاف

فاضاف النوم الى الليل وصغفه به وانما عني نفسه وانما لم يكن نايما هو ولا يعبره وهذا من
باب نقل الاسم من السبب الى السبب قال قطرب تقول العرب اظلم الليل وابصر النهار ويعني صار ذا
ظلمة وذاضيا **ان في ذلك لآيات لقوم يشعرون** يعني يشعرون سم اعتبارا ونذكر في علمون بذلك
ان الذي خلق هذه الاشياء كلها هو الاله المعبود والمنفرد بالوحدانية في الوجود **قالوا** يعني
المشركين **اتخذ الله ولدا** يعني به قولهم الملائكة بنات الله سبحانه نزه الله سبحانه نفسه
عن اتخاذ الولد **هو الغني** يعني انه تعالى هو الغني عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ
الولد وانما اتخذ الولد من هو محتاج اليه والله تعالى هو الغني المطلق وجميع الاشياء محتاجة
اليه وهو غني عنها **له ما في السماوات وما في الارض** يعني انه مالك ما في السموات وما في
الارض وكلهم عبيده وفي قبضته وضرفته وهو محدثه وخالقه ولما نزه الله تعالى نفسه
عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال تعالى **ان عندكم**
من سلطان هذا يعني اجمعة لكم عندكم على هذا القول البتة نزلنا في الانكار عليهم بقوله
انقولون على الله ما لا تعلمون يعني انقولون على الله ما لا تعلمون حقيقة وصحة وتبصرون
اليه ما لا يجوز اضافته اليه جهلا منكم ما تقولون بغیر حجة ولا برهان **قل ان الذين يقولون**
على الله الكذب اي قايلا بجهلها ولا الذين يختلفون على الله الكذب فيقولون عليه الباطل
ويزعمون ان له ولدا **لا يعلمون** يعني لا يسعدون وان اغتروا بطول السلامة والبقائي
النعمة والمعني ان قايلا هذا القول لا يخفى سعيه ولا يفوت مطالوبه بل خاب وحسوا قال
الرحاج هذا وقف تامر يعني على قوله لا يعلمون ثرا ابتداء فقال تعالى **متاع الدنيا**
اصناف ثمة لهم متاع في الدنيا يتمتعون به مدة اعمارهم وانقضا اعمارهم في الدنيا
وهي ايام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم في العذاب وهو قوله تعالى **ثم انما هم فيها**
بعد الموت ثم يقيم العذاب الشديد عما كانوا يكفرون يعني ذلك العذاب بسبب
ما كانوا يجحدون في الدنيا نعمة الله عليهم ويصفونه بما لا يليق بجلاله قوله تعالى **والعليم**
بنا نوح لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة احوال كفار قريش وما كانوا عليه من
الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياء وما جري لهم مع امم ليكون في
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة بمن سلف من الانبياء وتسلية له ليخفف عليه
ما يلقي من اذي قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جري لكفار الامم
الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا لحقوت قلوبهم واداعيا لهم
الى الايمان ولما كان قوم نوح اول الامم هلاكا واعظم كفرا وجحودا ذكر الله قصتهم وانه
اهلكهم بالعزق لبصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال تعالى **واتل عليهم بنا نوح**
يعني واتل على قومك يا محمد خبر نوح اذ قال لقومه يا قوم وهو بنو قابيل **ان كان كبر**
يعني ثقل عليكم مقامي يعني فيكم وقيل وتذكيري بايات الله يعني وعظي بايات الله
معناه ان كان ثقل وشق عليكم طول مقامي فيكم وذلك انه عليه السلام اقام فيهم الفسنة
الاخمين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويذكرهم بايات الله وهو قوله **بايات الله** يعني
روعي بايات الله وحججه وبياناته فغزمت على قتل وطرد **تعالى الله** يعني هو حي

وتذكر

لامره وان فرعون لما في الارض يعني انه لما لم يستلم فيها **وانه لم يستلم فيها** يعني
 الجوار من الخدانة كان فيد افاد على ان يومية وكان كثير القتل والتعذيب لبي اسرائيل **قال**
موسى يعني لقومه يا قوم ان كنتم امنتم بالله فقلوا يعني فيه فتقوا ولا موه فسلوا
 فانه ناصر اوليايه ومهلك اوليايه **ان كنتم امنتم بالله** يعني ان كنتم مستسلمين لامره
 وقيل ان العبد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم امنتم بالله يعني ان كنتم موصوفين
 بالايان القلي والاسلام الظاهر ولت لا يظن ان التوكيل على الله والتوكيل على الله
 من كمال الايمان وان كان يؤمن بالله فلا يترك كل امر على الله لا غيره **قالوا** يعني قال قوم موسى
 مجيبين له **على الله** يعني كلفنا يعني عليه اعطانا لا لا على غيره **فرد عوارهم** فقالوا **ربنا**
لا تخجلنا فتنه للقوم **الظالمين** يعني لا تظلمهم علينا ولا تظلمنا ولا تظلمنا من قلوبهم فيظنوا اننا لم
 نكن على الحق فيزدادوا وطغيانا وكفرا **وقالوا** يعني لا تقدرنا بعد ان من عندك فيقول
 قوم فرعون لو كانا على حق لما عدونا ويظنوا انهم جبر منا فيقتنوا بذلك وقيل معناه
 لا تسلطهم علينا فيقتنونا **وتجنا** يعني **من القوم الظالمين** يعني وخطبنا من عندك من
 ايدي قوم فرعون الكافرين **ان كنتم امنتم بالله** يعني واستسلموا لهم في الاعمال الشاقة
 قوله عز وجل **واوحينا الى موسى واخيه هارون ان تبوءا لقومكم بميثاقنا** يعني
 اتخذوا لقومكم بيوتا للصلاة فيها يقاتلوا لان انفسهم بيتا اذا اتجدها ميثاقا اي وطننا والميثاق
 اجعلنا مصر لقومكم بيوتا لرحمتهم للصلاة والعبادة **واجعلوا بيوتكم قبلة** اخلف
 معني اهل التفسير في هذه البيوت والقبلة فتم من قال ارادوا بيوت المشاجد التي يصلي
 فيها ويسير والقبلة الجانب الذي يستقبل في الصلاة فكل هذا يكون معنى الكلام
 واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم القبلة
 واختلغوا في هذه القبلة وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها الا انه قد نقل عن ابن عباس انه
 قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهو قول مجاهد ايضا قال ابن عباس قالت بنو اسرائيل
 لموسى لا نستطيع ان نطهر صلاتنا مع الفراعنة فاذن الله لهم ان يصلوا في بيوتهم وان
 يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل اراد مطلق
 البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبله اي مقابلة يعني يقابل بعضها
 بعضها وقيل معناه واجعلوا في بيوتكم قبلة فقلون اليها فان قلت **انه تعالى**
 حض ويحسون موسى وهرون بالخطاب في اول الآية في قوله **واوحينا الى موسى وهرون ان تبوءا**
 لقومكم انتم انتم هذا الخطاب فقلوا واجعلوا بيوتكم قبله فاما السبب فيه قلت
 انه تعالى امر موسى وهرون بان يبوءوا لقومهم بيوتا للعبادة وذلك ما حض به الانبياء خصوصا
 بالخطاب لذلك لما كانت العبادة عامة تجب على كافة نعم الخطاب الجميع فقالوا واجعلوا
 بيوتكم قبله **واقبوا الصلاة** يعني في بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن امر معه
 من بني اسرائيل من فرعون وقومه اذا صلوا الى الكاين والبيع الجامعة ان يودعهم فامرهم
 الله ان يصلوا في بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل يصلون الى
 في الكاين الجامعة وكانت ظاهرة فلما ارسل موسى امر فرعون بتحريم البيوت تلك الكاين

ومنهم

ومنهم من الصلاة فيها فامروا ان يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان
 الله ارسل موسى وهرون والظهورها على فرعون امرها باتخاذ المساجد ظاهرة على رعي الامم وكفل
 الله لهم بصونهم من شرهم وهو قوله **وبشر المؤمنين** يعني بانه لا يصل اليهم مكروه قوله
 تعالى **وقال موسى ربنا انك انت فرعون وملاه زينة وامواله في الحياة الدنيا** لما اتى
 موسى بالمعجزات الباهرات وراي ان القوم مصرعون على الكفر والانكار لما جابه اخذ في الدعا
 عليهم ومن حق ان يدعو على الغير ان يتركوا سبب اقدارهم على الجرائم التي كانت سبب اصرارهم
 على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينة لا جرم ان موسى
 لما اخذ في الدعا قدم هذه المقدمة فقال ربنا انك انت فرعون وملاه زينة وامواله في
 الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس والدواب والعنان واثاث البيوت
 الفاخر والاشيا الجميلة والمال ما زاد على هذه الاشيا من الضامت وخوه ثم قال **ربنا**
ليصلوا عن سبيلك اختلغوا في هذا الالم فقالوا الفراهي لم كي فعل هذا يكون المعني ربنا
 انك جعلت هذه الاموال سببا لصلواتهم لانهم بطروا وطغوا في الارض واستكبروا عن
 الايمان وقالوا لا تخش انما هي يول اليه الامر والمعني انك انت فرعون وملاه زينة ففضلوا
 بغير هذا هي لم العاقبة يعني فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانباري هي لم الدعاء وهي لم
 مكسورة مخزما المستقبل ويفتح بها الكلام فيكون المعني ربنا انك لتبليتهم بالفضل عن سبيلك
ربنا اطرأ على اموالهم اطرأ الاثر الذي بالمحو ومعني اطرأ على اموالهم انزل صورها
 وهياكلها وقال مجاهد اهلكها وقال اكثر المفسرين اسحوا وغيروها عن هياكلها قال قتادة
 ان اموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم وصارت حجارة وقال مجاهد لعل القوم يصرحوا
 حجارة وكان الرجل مع اهله في فراشه فصار حجرين والمرأة قائمة فصار حجارة وهذا
 فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعي على اموالهم ولم يدع على انفسهم بالتمسح وقال ابن
 عباس بلغنا ان الدراهم والدرناب صارت حجارة منقوشة كهيئاتها صحاحا وانصافا واثلاثا
 وقيل ان عمر بن عبد العزيز دعا خزينة فيها شي من بقايا ال فرعون فاخرج منها البيضة
 مستوفقة وهي حجارة والحوزة مشقوقة وهي حجارة وقال السدي مسح الله لواءهم حجارة الخيل
 والتمار والرفيق والاطعمة وهذا الطمس **فقلوا** اي التبع التي اوتىها موسى عليه
 السلام **واشدد على قلوبهم** يعني اربط على قلوبهم والجمع عليها وقهرها حتى لا تلتفت
 للايمان ومعني الشد على القلوب المستبشاق منها حجة لا يدخلها الايمان قال الواحدي وهذا
 دليل على ان الله يفعل ذلك لمن يشاء ولوله ذلك لما جسر موسى عليه السلام على هذا السؤال
فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم يعني العزق قاله ابن عباس وقال ابن عباس في
 رواية اخري عنه قال موسى قبل ان ياتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا
 العذاب الاليم فاستجاب الله له فحال بين فرعون وبين الايمان حتى ادركه العزق فلم يسمع
 ينفعه الايمان قال بعض العلماء انما دعا موسى عليه السلام بهذا الدعاء علم ان سابق قضا الله
 وقد رده فيهم انهم لا يومنون وذلك ان الله كتب عليهم في الازل انهم لا يومنون فوافق دعاء موسى
 ما قدر وقضي عليهم قال الله عز وجل لموسى وهرون **قد اجيبتم دعوتكم** انما نسب الدعاء اليها

مطلب في ان اموال فرعون واهله
 صارت حجارة
 يقول مجاهد ان يكون المسجون
 حجارة من العبيد والامم فيضلون
 في الاموال المحرقة

مطلب
 يحفظ

وان كان الداعي هو موسى وحده لان هارون عليه السلام كان يؤمن والثامن دعاه طلب
وسواله ايضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى في الدعاء فذلك قال تعالى قد
اجبت دعوتكما **فاستجبنا لهما** يعني على تبليغ الرسالة وامضيا الامر الى ان ياتيهم العذاب **ولا**
تتبعناك سبيلا الذين لا يعلمون يعني ولا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي فان
وعدي حق لا خلف فيه ووعيدكم ان لا يفرعون وقومه فلا تستنجي لا قبل كان بين دعا
موسى عليه السلام وبين الاجابة اربعين سنة قال الامام محمد بن ابي اسحاق في هذا النبي
لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهرون كما ان قوله لئن اشركت ليحبط عملك
لا يدل على صدق الشرك منه قوله عز وجل **وجاؤنا بني اسرائيل بالبحر** اي وقطعنا
بني اسرائيل البحر وعبرناهم اياه حتى جاؤوه وعبروه **فاتبهم فرعون وجنوده** يعني
لحقهم وادركهم **تعبا وعدوا** اي ظمأ وعدوا وانا وقيل البغي طلب الاستيلاء بغير الحق والعدو
الظالم وقيل بغيا في القول وعدوا في الفعل قال اهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف
وهما اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر وهم ستمائة الف وذلك لما اجاب الله دعا
موسى وهرون امره بالخروج ببني اسرائيل من مصر في الوقت الذي امره ان يخرج فيه
ويسر لهم اسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم ومغادرتهم مملكته خرج
مجنوده في طلبهم فلما ادركهم فرعون قالوا لموسى ابن المخلص اخرج البحر امامنا وفرعون من
ورائنا وقد كنا نلقى من فرعون البلا العظيم فاجاب الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فصره
فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وكشف عن وجه الارض وايسر لهم البحر فحقهم فرعون
وكان على حصان ادهم وكان معه في عسكره ثمان مائة الف حصان على لون حصانه سوي
ساير الالوان وكان يقدمهم جبريل وهو على فرس ابيض وديق وميكائيل يسوقهم حتى لا يستد
منهم احد فلما خرج اخبر بني اسرائيل من البحر وناجى فرعون فلما وجد الحصان ربح انثى
لفرعون فرعون من امره شيئا ففر الى البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا في البحر وهم او طهر
بالخروج النظم البحر عليهم فلما ادرك فرعون الغرق ابي بكره الا خلا من ظنائه من اهل بيته
من الهلاك وهو قوله تعالى **حتى اذا اذركم العرق قال يعني فرعون امست انه لا اله**
الا الذي امست به بنو اسرائيل وانا من المسلمين قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه عند
خروجه العذاب به وقد كان في مهل قال العلماء ان الامان والتوبة عند معاناة الملائكة
والعذاب غير مقبولة ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقيل انه
قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الخاصة ولم يكن يقصد بها الاقرار
بوحداية الله والاعتراف له بالربوبية لا جرم لم ينفعه ما قال في ذلك الوقت وقيل ان
فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى فلما قال امست
لا اله الا الذي امست به بنو اسرائيل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك في ايمانه وانما رجع
الى الايمان والتوبة حين اعلق بابها حضور الموت ومغايبة الملائكة قيل **لان وقد**
عصيت قبل وكنت من المعبد يعني لان تتوب وقد اضعفت التوبة في وقتها
وانت ديناك القانية على الاخرة الباقية والمحاطة لفرعون هذا هو جبريل عليه السلام

وقيل

وقيل ان المقابل هو الله تعالى عرف فرعون فتح صنعه وما كان عليه من الفساد في الارض يدل
على هذا القول قوله فاليوم تنجيك بيدك والقول الاول اشهر وبعض هذا القول ما روي عن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما عرق الله تعالى فرعون قال امست انه لا اله الا
الذي امست به بنو اسرائيل قال جبريل يا محمد فلور ايتني انا اخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة
ان تدركه الرحمة اخرجته الترمذي وقال حديث حسن وفي رواية اخرى عنه عن عدي
ابن ثابت عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر احدهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه ذكر ان جبريل جعل يدس في فرعون الطين خشية ان يقول لا اله الا الله فيرحمه
الله او خشية ان يرحمه الله اخرجته الترمذي وقال حديث حسن صحيح **فصل**
في الكلام على هذا الحديث انه في الظاهر مشكل فيحتاج الى بيان وايضا فنقول قد ورد هذا
الحديث من طريقين مختلفين عن ابن عباس ففي الطريق الاول عن ابن زيد بن جندب عن ابن
قدضعة يحيى بن معين وغيره فانه كان شيخا ثيبا لاهدا وقفا ولكنه كان سي الحفظ ويغلط
وقد احتل الناس حديثه واما يحيى بن جندب فانه تابعه عليه او خالفه فيه الثقات
وكلاهما منتف في هذا الحديث لان في الطريق الاخر شعبة عن عدي بن ثابت عن سعيد
ابن جبير وهذا الاسناد على شرط البخاري ورواه ايضا عن شعبة عن عطاء بن السائب عن
سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد اخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان
عطا قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما يخاف منه ما انفرد به او حولف فيه وكلاهما
منتف فقد علم هذا ان لهذا الحديث اصلا وان رواه ثقات ليس فيهم منهم وان كان
فيهم من هو سي الحفظ فقد تابعه عليه غيره فان قلت **ففي الحديث الثاني**
شك في رفعه لا نه قال فيه ذكر احدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم **قلت** ليس بشك
في رفعه انما هو جنم بان احد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطاء بن
السائب او عدي بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه احدهما وشك في تعيينه لم يكن
هذا علة في الحديث وقوله من حال البحر كما في الرواية الاجري فصل
وجه اشكال ما اعترض عليه الامام محمد بن الرازي في تفسيره فقال هل ان جبريل
اخذ بملاصقه الطين ليلا يتوب غضبا عليه الجواب الا قرب انه لا يصح له نه في
ذلك الحال التكليف هل كان باقيا ام لا فان كان باقيا لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة
بل يجب عليه ان يعينه على التوبة وان كان التكليف رايا عن فرعون في ذلك الوقت
فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة وايضا لو منعه من التوبة لكان قد رضي
بتغايه على الكفر والرضا بالكفر كفر وايضا فكيف يليق بحلال الله ان يامر جبريل
بان يمنعه من الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله فهذا بيطله
قول جبريل وما تقول الا بامر ربك فهذا وجه الاشكال الذي اورد الامام على هذا الحديث
في كلام الترمذي هذا والجواب عن هذا الاعتراض ان هذا الحديث قد ثبت عن النبي صلى
الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد ولما قول الامام ان التكليف هل كان باقيا
في تلك الحال او لا فان كان ثابتا لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة فان هذا القول لا يستقيم

مع ما عليه
الكتاب

على اصل المتنين القدر القابلين لخلق الافعال وان الله يفضل من يشاء ويهدي من يشاء وهذا
قول اهل السنة والجماعة المتنين القدر فانهم يقولون ان الله يحول بين المكافاة والايان ويدل
على ذلك قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين الراوقية وقوله وقالوا قلونا غلب بل طبع الله على
بكرهم وقال تعالى ونقلب افيدهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة فاجبر الله تعالى
انه قلب افيدهم على تركهم الايمان به اول مرة وهكذا فعل فرعون منعه من الايمان عند
الموت جزا على تركه للايمان اول فدرس الطين في فرعون من جفن الطبع والطمع على القلب
ومنع الايمان وصرف الكاف عنه وذلك جزا على كفره السابق وهذا قوله طائفة من المتنين
للقدر القابلين لخلق الافعال الله ومن المنكرين لخلق الافعال من اعترف ايضا ان الله تعالى
يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق ورده للايمان لما هو اما فعل جبريل من دس الطين
في فيه فانما فعل ذلك بامر الله لا من تلقا نفسه فاما قول الانام لم يجز جبريل ان يمنعه
من التوبة بل يجب عليه ان يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبريل كتكليفنا
وجب عليه ما يجب علينا ولما اذا كان جبريل انما يفعل ما امره الله به والله تعالى هو الذي منع
فرعون من الايمان وجبريل منع لاسفاده فكم كيف يجوز له منع من منعه الله من التوبة
وكيف يجب عليه اعانة من لم يمنعه الله بل قد حكم الله عليه واخبر انه لا يؤمن حتى يبري
العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبريل لما ان يصرف بامر الله فلا
يفعل الا ما امر الله به واما ان يفعل ما يشاء من تلقا نفسه لا بامر الله وعلى التقديرين فلا
يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه منها لانه انما يجب عليه فعل ما امر به
ويحرم عليه فعل ما نهي عنه والله تعالى لم يخبر انه امره باعانة فرعون ولا حرم عليه منعه
من التوبة وليست الملازمة بكافيتين كتكليفنا وقوله وان كان التكليف زائلا عن فرعون
في ذلك الوقت فحينئذ لا ينبغي لهذا الذي نسب الي جبريل فائدة تجاوبه ان يقال للناس في
تعليل افعال الله قولان احدهما ان افعاله لا تقلل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السؤال
اصلا وقد رد الاشكال والقول الثاني ان افعاله تعالى لها غاية تحسب المصالح الاجلها
فعلها وكذا او امره ونواهيها لها غايات محمودة محبوبة لا جلا امرها وضمي عنها وعلى هذا
التقدير قد يقال لما قال فرعون امست انه لا اله الا الذي امست به بنو اسرائيل وقد علم جبريل
انه من حق عليه كلمة العذاب وانما ايمانه لا ينفعه فدرس الطين في فيه لتحقيق معانيته
لموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة فانه وان كان قد قالها في وقت لا ينفعه فدرس
الطين في فيه تحقيقا لهذا المنع والفائدة فيه تجميل ما قد مضى عليه وسد الباب
عنه سدا محكما بحيث لا يبقى للرحمة في فيه منفذ ولا يبقى من عمره من يتسع للايمان فان
موسى لما قال دعاربه بان فرعون لا يؤمن حتى يبري العذاب الاليم والايمان عند روية
العذاب غير نافع فاجاب الله دعاه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاناة العذاب استجمل
جبريل فدرس الطين في فيه لياس من الحياة ولا ينفعه تلك الكلمة وتحقيق اجابة الدعوة
التي وعد الله موسى بقوله قد اجيببت دعوتكما فيكون سعي جبريل في تكميل ما سبق في حكم
الله انه يفعل ما فيكون سعي جبريل في مرضات الله تعالى منفذا لما امر به وقدره وقضاء

هذا المتن من كتاب التفسير في تفسير سورة البقرة
التي فيها آيات كثيرة في بيان عقوبات الكافرين
والتوبيخ لهم على كفرهم وفسادهم

على فرعون

على فرعون وقوله لو منعه من التوبة لكان قد رضي بقاياه على الكفر والرضا بالكفر كفر وجوابه
ما تقدم من ان الله يفعل ما يشاء يفضل من يشاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء ويضل من يشاء ولا يفعل الا
ما امره الله به واذا كان جبريل قد فعل ما امر الله به ونفذ فاما رضي بالامر لا بالماور به فاي كفر
يكون هنا وايضا فان الرضا بالكفر انما يكون كفرا في حقنا انما مورون بان الله محسب الامكان
فاذا اقرنا الكافر على كفره ورضينا به كان كفرا في حقنا لمخالفتنا امرنا به واما من ليس بمور
كامرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما امره به ربه فاذا نفذ ما امر به لم يكن رضا بالكفر
ولا يكون كفرا في حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل لما دس الطين في فيه فرعون كان ذلك باخطا
لكفر غير راض به والله تعالى خالق افعال العباد خيرا وشرا وهو غير راض بالكفر فغاية
امر جبريل مع فرعون ان يكون منفذا لقضاء الله وقدره في فرعون من الكفر وهو ساخطا له
غير راض به وقوله كيف يليق لجلال الله ان يامر جبريل ان تمنعه من الايمان تجاوبه ان الله
ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وقوله وان قيل ان جبريل انما فعل ذلك من عند نفسه
لا بامر الله تجاوبه انما فعل ذلك بامر الله منفذا لامر الله والله اعلم بقوله تعالى **فالتوبة تحبب**
بيدك اي تلقيك على خيوة من الارض وفي المكان المرتفع قال اهل التفسير لما غرق الله تعالى
فرعون وقومه اخبر موسى قومه هلاك فرعون وقومه قالت بنو اسرائيل امات فرعون واما قال
ذلك لعظمته عندهم وما حصل في قلوبهم من الرعب لجله فامر الله عز وجل البحر فالتقى فرعون على
الساحل احمر فصيما كانه ثور فراه الناس بنوا اسرائيل فغرووه من ذلك الوقت لا يقبل المامتا
ابدا ومعني قوله بيدك يعني بقلبك وانت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل
التكبر والاستعزاز كانه قيل له تخيكن في هذه النجاة انما تحصل بيدك لا لروحك وقيل
اراد باليدك الذرع وكان لفرعون ذرع من ذهب مرصع بالجوهر يعرف به فلما راع في ذرعه ذلك
عرف **لنكون لمن خلقك آية** يعني عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت
فاظهر الله لهم حتى يشاهدوه وهو ميت لثروا الشهادة من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان
في غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والدلة ملقي على الارض لا يهابه احد **وان كثيرا من**
الناس عن اياتنا لما قالون ولقد رآنا بني اسرائيل امواتا يعني اسكانهم مكان صدق واتزان
من اصدق بعد خروجهم من البحر واعزاق عدوهم فرعون والمعني انزلناهم من لا يحمد واصلا
واما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق تقول
العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشيء اذا كان كاملا صلاحا لا بد ان
يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان بؤوا اقول ان احدهما انه مصدر فيكون المراد ان
الله اورث بني اسرائيل جميع ما كان تحت ايدي فرعون وقومه من ناطق وضامت وربع
وغيره والقول الثاني انه ارض الشام والقدس والاردن والبلاد المحصب والخير والبركة
ورزقناهم من الطيبات يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى **فما اخلوا**
جامع العلم يعني فما اختلف ما ولا يخالف الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل حتى جاءهم
ما كانوا عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين
على نبوته غير محتالين فيه لما جددونه مكنوا بعندهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم

الذي

اختلفوا فيه فممن فامن به بعضهم لعبد الله بن سلام واصحابه وكفر به بعضهم بغيا وحسدا فعلى
هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى يباينوا المعلوم الذي كانوا يعلمونه
حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القرآن الثاني ان علي بن ابي طالب عليه السلام وانما
سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالمسبب مجاز مشهور وفي كون القرآن سببا لحدوث
الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون سمعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وبعثته
ويخبرون بذلك على المشركين فلما بعثت له بوه بغيا وحسدا واشاروا اليها بالرياسة لهم فامن به
طائفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثاني ان اليهود كانوا ادنيا واحدا قبل نزول القرآن
فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم امن به طائفة وكفر به اخرون وقوله تعالى **ان ربك** يعني
يا محمد **يقضي بينكم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** يعني في امر نبوتك في
الدنيا فيدخل من امن بك الجنة ومن كفر بك ومحمد نبوتك النار قوله عز وجل **ان كنت في شك**
ما انزلنا اليك الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك اعتداله التقيض عند الانسان
لوجود امارتين اول عدم الامارة وللشك ضرب من الجهل وهو اخص منه فكل شك جهل وليس
كل جهل شك فاذا قيل فلان يشك في هذا الامر معناه انه توقف فيه حتى يكون يتبين له فيه
الصواب او خلافة وظاهر هذا الخطاب في قوله فان كنت في شك للنبى صلى الله عليه وسلم
والمعنى فان كنت يا محمد في شك ما انزلنا اليك يعني من حقيقة ما اخبرناك به وانزلناه
يعني القرآن **فاسال الذين يقرءون الكتاب** يعني علماء اهل الكتاب يخبرونك انك مكتوب
عندهم في التوراة والانجيل وانك تبي يعرفونك بصفتك عندهم وقد توجه هاهنا سؤال
واعترض وهو ان يقال لاهل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما انزل اليه او في نبوته حتى يسال
اهل الكتاب عن ذلك واذا كان شاكيا في نبوة نفسه كان غيره اوليا بالشك منه قلت الجواب
عن هذا السؤال والاعراض ما قاله القاضي عياض في كتابه الشفاء فانه اورد هذا السؤال
نقرا قال احد رتب الله قبلك ان تخطر ببالك ما ذكر فيه بعض المفسرين عن ابن عباس
او غيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحى اليه وانه من البشر مثل هذا
لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يسال وخوفا من سعيد بن جبير والحسن البصري وحكي عن قتادة انه قال بلغتنا ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين على هذا من كلام القاضي
عياض رحمه الله تعالى شتموا اختلفوا في معنى الآية من الخطاب هذا الخطاب على قولين
احدهما ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به غيره فهو كقوله لئن اشرت
بجبط عمرك ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك فثبت ان المراد به غيره
ومن امثلة العرب اياك اعني واسمعي يا جارة فعلى هذا يكون معنى الآية فلان يا محمد يا
الانسان الشاك ان كنت في شك ما انزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسال
الذين يعرفون الكتاب يخبرونك بصحته ويدل على صحة هذا التأويل قوله في اخر هذه السورة
فلان يا ايها الناس ان كنتم في شك في ديني فاني في شك في ديني ان المذكور في هذه الآية على سبيل الدلالة
هم المذكورون في هذه الآية على سبيل التفرغ وايضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكيا في نبوته

قبلكم

نار عزم

كان غيره اوليا لشك في نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل
ان الله تعالى علم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك فظن فيكون المراد بهذا التبيين فانه صلى الله عليه
وسلم اذا سمع هذا الكلام فانه يقول لا اشك برب ولا اسال اهل الكتاب بل اكنى كما انزلت علي من
الدلائل الظاهرة وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك
وهو شامل للمخالف فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلعت النساء وهذا وجه حسن لكن فيه بعد وهو ان
يقال لمي كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخل في هذا الخطاب كان الاعراض موجودا او السوال
وارد او قيل ان لفظة ان في قوله فان كنت في شك للنبى ومعناه وما انت في شك ما انزلنا اليك
حتى تسالوا تسالوا ولين سالت لان ردوت يقينا والقول الثاني وهو ان يقال ان هذا الخطاب
ليس هو للنبي صلى الله عليه وسلم البتة وهذا القول ان الناس كانوا في زمانه على ثلاث فرق
من قلة صمد قون وبه مومنون وفرقة على الصمد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون
في امره الشاكون فيه فخطبهم الله عز وجل هذا الخطاب فقال تعالى فان كنت يا ايها الانسان
في شك ما انزلنا اليك من الهدي على لسان محمد فسال اهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما
وجد الله الضمير في قوله فان كنت وهو يريد الجمع لانه خطاب لجنس الانسان فاني قوله
يا ايها الانسان ما عزرك بربك الكريم ليرد في الآية انسانا بعينه بل اراد الجمع واحتلوا
في السوال عنه في قوله تعالى واسال الذين يعرفون الكتاب من قبلهم فقال المحققون
من اهل التفسير هم الذين امنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه لانهم
هم الموثوق باخبارهم وقيل المراد به كل اهل الكتاب سواء مومنهم وكافرهم لان المقصود
من هذا السوال الاخبار بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه مكتوب عندهم وصحة
وبعته فاذا اخبروا بذلك فقد حصل المقصود والاول اصح قال الضحاك يعني اهل
التقوى واهل الايمان من اهل الكتاب من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم **لقد جاءك الحق**
من ربك هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره اقسم لقد جاءك
الحق اليقين من الخبر بانك رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا وان اهل الكتاب يعلمون
صحة ذلك **فلا تكون من المشركين** يعني من الشاكين في صحة ما انزلنا اليك **ولا تكون من**
الذين كذبوا بايات الله يعني بدلا ليه وبراهينه الواضحة **فثكون من الخاسرين** يعني الذين
خسر وانفسهم واعلم ان هذا كله على ما تقدم من ان ظاهر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وسلم والمراد به غيره ممن عند شك وارتباب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم
يرتب ولم يكذب بايات الله فثبت بذلك ان المراد غيره والله اعلم قوله تعالى **ان**
الذين حق عليهم يعني وجبت عليهم **كله ربك** يعني حكم ربك وهو قوله خلقت
ها والنار ولا اله الا انا وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما قدره عليهم
وقضاه في الاول انهم **لا يؤمنون** ولو جاءتهم **كل اية** فاتهم **لا يؤمنون** بها حتى يروا العذاب
عظيم لا ينفعهم الايمان لان الله تعالى قد حكم عليهم وصرفهم عن الايمان ولا ينفعهم شي قوله
عز وجل **فلولا** يعني فضلا **كانت قرية** وقيل معناه فاما كانت قرية وقيل لم تكن قرية
لان في الاستفهام معني الحجة والمراد هل كان قرية **امنت** عند معاينة العذاب **فمنعها**

وجه

انما يعني في حال الياس **الا قور يوش** هذا استئنا منقطع يعني لكن قور يوش فانهم امنوا
فتنعم ايما تم في ذلك الوقت وهو قوله **لما امنوا** يعني لما اخلصوا اليما **كشفت عنهم عذاب**
الحزبي في الحياة الدنيا وشغلهم الى يعني الى وقت انتضا اجالهم واختلوا اهل راوا العذاب عيانا
ام لا فقال بعضهم راوا دليل العذاب فامنوا وقال الاكثرون راوا العذاب عيانا دليل قوله كشفتا
عنهم عذاب الحزبي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع او اذا قرب وقوعه ذكر القصة في ذلك
على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا ان قور يوش كانوا
بقرية تبتوي من ارض الموصل وكانوا اهل كفر وشرك فارسل الله عز وجل اليهم يونس عليه السلام
يدعوهم الي الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فذاهم فابوا عليه فقتل له اخبرهم
ان العذاب مصبهم الى ثلاث فاحبرهم بذلك فقالوا اننا لم نجرب عليه كذا قط فانظروا فان
بات فيكم الملائكة الليلة فليس بشي وان لم يات فاعلموا ان العذاب مصبكم فلما كان جوف
الليل خرج يوش من بين اظهم فلما اصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال ابن
عباس ان العذاب كان اهبط على قور يوش حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ميل فلما دعوا
كشفت الله عنهم وقاموا كالميل وقال سعيد بن جبير عشي قور يوش العذاب
كما يقضي الثوب القبر وقال وهب غامت السما عينا اسودها لا يدرى خزان شديدا
فحبط حتى عشي مدبتهم واسودت اسطحهم فلما راوا ذلك ابتغوا الهلاك فطلبوا نبيهم
يوش فلم يجدوه فعدت الله في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحرا بانفسهم ونسايهم
ومصياهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة فزقوا بين كل والد
ولدها من الناس والدواب فخن البعض الى البعض فحثت الاولاد الى الامهات والامهات
الى الاولاد وعلت الاصوات وعجوا جميعا الى الله وقضوا اليه وقالوا انما جاءه يوش
وتابوا الى الله واخلصوا النية فزحمهم بهم فاستجاب دعاهم وكشف ما نزلهم من العذاب
بعدهما اظهروا وكان ذلك اليوم يوم عاشورا وكان يوم الجمعة قال ابن عباس بلغ من قوتهم
ان زادوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل ياتي الى الجور وقد وضع اساس بنيانه فيقلعه
فيرويه وروي الطبري بسنده عن ابي جلد جيلان قال لما عشي قور يوش العذاب مشوا
الي شيخ من بيعة علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فما نري قال فقولوا يا حيي
حيي ويا حيي الموتي ويا حيي الاله الاله انت فقالوا لها فكشف الله عنهم العذاب ومنتعوا
الي حين وقالت العفيل بن عياض الامم انهم قالوا ان ذنوبنا قد غطت وجلت واشاعظ
واجل فافعل بنا ما انت اهلكه ولا تتعل بنا ما نحن اهلكه قالوا اخرج يونس وجعل ينتظر
العذاب فلم ير شيئا فقتل له ارجع الي قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدوني كذا با وكان
من كذب ولا يبينه له قتل فاصرفت اليهم مغاضبا فالتفتهم الحوت وستاتي القصة
في سورة الصافات ان شا الله فان قلت كيف كشف العذاب عن قور يوش
بعد ما نزلهم وقبل قوتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين كرس ولم يقبل توبته
قلت اجاب العلماء عن هذا باجوبة احدها ان ذلك كان خاصا بقور يوش
والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الجواب الثاني ان فرعون ما كرس الا بعد ما شرع العذاب

حين

تلي

دمر

وهو وقت الياس من الحياه وقور يوش ذنا منهم العذاب ولم ينزلهم ولم يباشرهم فكانوا
كالمرجعات في الموت ويرجوا العافية **الجواب** الثالث ان الله عز وجل علم صدق
نياتهم في التوبة فقبل قوتهم بخلاف فرعون انه ما صدق في ايمانه ولا اخلص فلم يقبل
منه والله اعلم قوله تعالى **ولو شا ربك لامن من في الارض كلهم خبيثا** يقول الله عز وجل النبي
محمد صلى الله عليه وسلم ولو شا ربك يا محمد لامن بك وصدقك من في الارض كلهم خبيثا ولكن لا يشا
ان يؤمن بك ويصدقك الا من سبقت له السعادة في الاول قال ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يحرم ان يؤمن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبر الله عز وجل انه
لا يؤمن الا من سبق له من الله سعادة في الذكر الاول ولم يضل الا من سبق له من الله الشقا
في الذكر الاول وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان حريصا على ايمانهم كلهم فاخبر
انه لا يؤمن به الا من سبق له العناية الالهية فلا تنعجب نفسك على ايمانهم وهو قوله **فانك**
تلك الناس حتى يكونوا مؤمنين يعني ليس ايمانهم اليك حتى تكثرهم عليه او تحرم عليه انما ايمان
المؤمن واضلال الكافر عشية الله وقضايه وقدره ليس لاحد ذلك سواء **وما كان لنفس**
ان تؤمن الا باذن الله يعني وما كان ينبغي لنفس خلقها الله ان تؤمن ويصدق الا بقضاه
الله لها بالايمان فان هدايتها الي الله هو الهادي المضل وقال ابن عباس معنى باذن الله وقال
عطاء عشيته الله **ويجعل قري بالون** على سبيل التقدير اي ويجعل قري بالون معنى
ويجعل الله الرحمن يعني العذاب وقال ابن عباس يعني السخط **الرحمن على الذين لا يعقلون**
يعني لا يفهمون عن الله امر ونهيته قوله عز وجل **قل انظروا اي قل يا محمد لها ولا المشركين**
الذين يسألونك الايات انظروا يعني انظروا بقلوبكم منظر اعتبار وتفكر وتدبر
ما ذا في السموات والارض يعني ما ذا خلق الله في السموات والارض من الايات الدالة على
وحدانيته ففي السموات الشمس والقمر وهما دليلان على الليل والنهار والجوم منظرها طالعة
وغاربة وانزل المطر من السماء في الارض الجبال والبحار والمعادن والانهار والشجار
والنبات كل ذلك ايات دلالات على وحدانيته الله ولانه خالقها كما قال الشاعر

بار

وما تعني الايات والنذر يعني الرسل عن قور يوش **بومنون** وهذا في حق اقول علم الله
انهم لا يؤمنون مما سبق لهم في الارض من الشقا **فقل ينتظرون** يعني مشركي مكة
الامثال ايام الذين خلوا من قبلك يعني من مضى قبلهم من الامم السالفة المكذبة للرسل قال
قتادة يعني وقايح الله في قور يوش وعاد ولم يؤد والعرب تسمى العذاب اياما والنعيم اياما لقوله
وذكرهم بايام الله والمعنى فعل ينتظروها ولا المشركون من قومك يا محمد الا يوما ويعانيون
فيه العذاب مثل ما فعلت بالامم السالفة المكذبة اهلكهم جميعا فان كانوا
ينتظرون ذلك العذاب **قل فانتظروا** يعني قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب **اني معكم**
المنتظرون يعني هلاكم قال الربيع بن انس بنحوهم عذابه ونعمته ثم اخبرهم انه اذا وقع
ذلك هم الخي الله رسله والذين آمنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى **ننجيكم**
والذين امنوا يعني من الهلاك والعذاب **كذلك حقا علينا نجي المؤمنين** يعني كما انجينا رسلنا

والذين استوا معهم من الهلاك كذلك نجيك يا محمد والذين امنوا معك وصعدوا من الهلاك والعذاب
 قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقنا علينا الوجوب ان تخليص الرسول من المؤمنين من العذاب
 واجب واجيب عن هذا بان حق واجب بحيث الوعد والحكمة لانه واجب بسبب الاستحقاق لانه
 قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالفه شي قوله تعالى **قل يا ايها الناس اتقوا الله** الخطاب للنبي صلى الله عليه
 وسلم اي قل يا محمد لها ولا الذين ارسلت اليهم فشكوا في امرك ولم يؤمنوا بك **ان كنتم في شك من شيء**
 يعني الذي ادعواكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم في امره صلى الله عليه وسلم لما راي الايات
 التي كانت تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل لهم الاضطراب والشك فقال ان كنتم
 في شك من ديني الذي ادعواكم اليه فلا ينبغي لكم ان تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام
 وانتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه وانما ينبغي لكم ان تشكوا في عبادتكم لهذه الاصنام
 التي لا اصل لها البتة فان اصررت على ما انتم عليه **فلا اعبء الذين يعبدونك من دوني** يعني
 هذه الاوثان وانما وجب تقديم هذا النفي لان العبادات هي غاية التظيم للمعبود فلا
 تليق له خسر الاشياء وهي الحجارة التي لا تنفع لمن عبدها ولا تقصر لمن تركها ولكن تليق العبادات من
 يبد النعم والضر وهو قادر على الامانة والاحياء وهو قوله **ولكن اعبء الله الذي يوفى بالحق والحكمة**
 في وصف الله عز وجل في هذا المقام هذه الصفة لان الذي يستحق العبادات فاعبد انما
 وانتم هو الذي خلقكم اولاً ولم تكونوا شيئا ثم صيتم ثانياً ثم يحيىكم بعد الموت ثالثاً فاليوم
 يدرك الوفاة تنبيه على الباقي وقيل لما كان الموت اشد الاشياء على النفس فذكر في هذا المقام
 ليكون اقوي في الرجوع والروع وقيل انهم كانوا يستعملوا بطلب العذاب فاجابهم بقوله
 ولكن اعبء الله الذي هو قادر على اهلاككم ونصري عليكم **وامرث ان الوث من المؤمنين يعني**
وامرثي ربي ان اكون من المصدقين مما جاء من عنده وقيل لما ذكر العبادات وهي من اعمال الجوارح
 ابتغى بذكر الايمان لانه من اعمال القلوب **وان اقم وجهك للدين حنيفا** الواد في قوله وان
 وادعطف معناه وامرث ان اقم وجهك يعني اقم نفسك على دين الاسلام حنيفاً يعني مستقيماً
 عليه غير معوج عنه الى دين اخر وقيل معناه اقم عملك على الدين الحنيف وقيل اراد بقوله
 وان اقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيف غير ما يله عنه **ولا تكون من**
المشركين يعني ولا تكون من يشرك في عبادة ربه غيره وقيل ان الذي عبادة الاوثان قد تقدم فهاهنا
 في الآية للتقدمة فوجب حمل هذا النهي على معنى زائد وهو ان من عرف الله عز وجل وعرفنا
 جميع اسمائه وصفاته وانه المستحق للعبادة فلا ينبغي له ان يلتفت الى غيره بالكلية
 وهذا هو الذي سميته اصحاب القلوب الشرك الخفي **ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك** ان
 عبادة ودعوته **ولا تبتر** يعني ان تركت عبادته **فان تعملت** يعني ما هيئت عنه
 فبذلت غيري او طلبت النفع ودفع الضر من غيري **فانك اذا من الظالمين** يعني لنفسك
 لانك صنعت العبادات في غير موضعها وهذا الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه
 وسلم فالمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيئا البتة فيكون المعنى
 ولا تدع ايها الانسان من دون الله ما لا ينفعك الآية قوله عز وجل **وان ممسك الله بغير**
 يعني وان يصيبك بشدة وبلا فلا **شك** له يعني لذلك الضر الذي اتركه بك **الا هو**

الله

عن

وان بر دل بغير

وان بر دل بغير يعني بسعة ورخا **ولا ارا** **الفضل** يعني فلا ادفع لورقة **يصب** يعني بكل
 والحد من الضر والخير **من ايها من عباده** وقيل انه تعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر
 على ضر ولا نفع بين تعالى به هو القادر على ذلك كله وان جميع الكائنات محتاجة اليه وجميع الممكات
 مستعدة اليه لانه هو القادر على كل شيء وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى حتم الآية
 بقوله **وهو الغفور الرحيم** وفي الآية لطيفة اخرى وهي ان الله تعالى رجع جانب الخير على جانب
 الشر وذلك انه تعالى لما ذكر اساس القرين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على انه تعالى
 يزيل جميع المضار ويكشف بالان الاستثناء من النفي اثبات وما ذكر الخير قال فيه **ولا ارا** **الفضل**
 ان جميع الخيرات منه فلا يقدر احد على ردها لانه هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده
 وعنده بقوله **وهو الغفور** يعني الساتر لذنوب عباده **الرحيم** يعني هم قوله تعالى **قل يا ايها**
الناس قد جاءكم الحق يعني القرآن والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم كالتحقيق من الله
 عز وجل **فمن اعتدى** **فانما يعتدي لنفسه** نفع ذلك يرجع اليه **ومن ضل** **فانما ضل** اي على
 نفسه لان وبال له راجع اليه فمن حكم الله له باله هتد في الارل انتقم من حكم عليه بالاضلا
 ضل ولم يتنفع بشي **انما انا عليكم بوكيل** يعني وما انا عليكم بحفيظ احفظ عليكم اعمالكم
 قال ابن عباس هذه الآية منسوخة بآية السيف **وانت ما بوحى اليك** يعني الامر الذي يوجه
 الله اليك يا محمد **واصب** يعني على ذي من خالفك من كفار قومك **حتى يحكم الله** يعني ينصررك عليهم
 باظهار ربيك **وهو خير الحاكمين** يعني انه تعالى حكمه ينصرم بينه واطهار دينه وبقتل المشركين
 واحداً الجزية من اهل الكتاب وفيها ذلهم وصغارهم اخر تفسير سورة بونس والله اعلم امره
 واسرار كتابه

سورة هو وعليه السلام

وهي مكية في قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقادة وفي رواية
 عن ابن عباس انها مكية غير اية وهي قوله تعالى واقرأ الصلاة طرية الزاروعن قتادة نحو قال
 مقاتل هي مكية الا قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وقوله اوليك يومنون به وقوله ان
 الحسنات يذهبن السيئات وهي مائة وثلاث وعشرون اية والعن تسع اية وتسعة الاف
 وخمسمائة وتسعون حرفاً عن ابن عباس قال قال ابو بكر رسول الله قد شئت قال شيتني يهود
 والواقعة والمرسلات وعم يتسائلون واذا الشمس كورت اخرجه الترمذي وقال حديث
 حسن عزيب وفي رواية غيره قال قلت لرسول الله عجل اليك الشيب قال شيتني يهود واخوانهم
 الحاقة والواقعة وعم يتسائلون وهل انا كحديث القاشية قال بعض العلماء سبب شبهه صلى
 الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة في الحديث لما فيها من ذكر القيامة والبعث والجناب
 والجنة والنار والله اعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم **الرحمن الرحيم** قوله عز وجل
الرحمن الرحيم **احكمت اياته** قال ابن عباس لم ينسخها كتاب كما نسخت به الكتب والشرائع **نصبت**
 يعني بينت قال الحسن احكمت اياته بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وفي رواية عنه
 بالقرآن احكمت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة احكامها الله على الماظر
 بترفضها بعله بين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل احكامها الله فليس فيها

ربكم

عليها

تتأخر ثمرها وبينها وقيل معناه نظمت آياته نظما راضيا بحكامها بحيث لا يقع فيه نقص ولا خلل
 كاللبن المحكم الذي فيه خلل شرفضلت آياته سور سورة وسورة وقيل ان آيات الكتاب دالة على
 التوحيد وصحة النبوة والمعاد وحوال القيامة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدليل
 الاحكام والمواعظ والعقاصم والاعبار عن المعينات وقال بجاهد فضلت معني فسدت
 ولم في قوله ثم فصلت ليس في التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام
 ثم فصلت احسن التفصيل فان قلت كيف عم الايات هنا بالاحكام وفي قوله
 منه آيات محكمة قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي حضر به هناك فمعني
 الاحكام العام هنا انه لا يتطرق الي آياته التناقض في الفساد كاحكام البناء وان هذات
 الكتاب جميعه نسخ الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور به قوله منه آيات
 محكمة ان بعض آياته منسوخة لنسخها بايات منه ايضا لم ينسخها من غيره وقيل احكمت
 آياته ان معظم آيات محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فاجري الكل على البعض لان
 الحكم للما قبل واحكام الكل على البعض يستعمل في كلامهم تقول اكلت طعام زيد فاما اكلت طعام
 بعضه وتوله تعالى **لَنْ يَكُونَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ فَنَافِئَةٌ** يعني احكمت آيات الكتاب من عند حكم في جميع
خبر يعني باحوال عباد الله وما يصلحهم **ان لا تعبدوا الا الله** هذا معطوف على ما قبله
 معناه كتاب احكمت آياته ثم فصلت بان لا تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد
 وخلع الانداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله والى عبادته والدخول في
 دين الاسلام **انني لكم مبشّر** اي قل لهم يا محمد انني لكم من عند الله **بشر** ينذرهم عقابه
 وان ينتم على كفرهم ولم ترجعوا عنه **وليتبين** يعني والبشر بالثواب الجزيل لمن امن بالله ن
 ورسوله واطاع واخلص العمل له وحده **وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه** احتلغوا في بيان
 الفرق بين هذين المرتبين فتبين معناه اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا
 اليه لان الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرك
 او معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا
 ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال الفرائض معناها الوالدين الاستغفار
 والتوبة معني واحد فذكرها للتأكيد **ستعلمون مشاعرا حسنا** يعني انكم اذا فعلتم ما امرت
 به من الاستغفار والتوبة واخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم الرزق ما تقيسونه
 فيه في امن وسعة وخير قال بعضهم اللبس الحسن هو الرضي بالميسور والصبر على المعدور
الى اجل مسمى يعني تمتعكم متاعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء اجل الدنيا
 قلت قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن للمؤمن وجنة للكافر وقد يضيق على
 الرجل في بعض اوقاته حتى لا يجد ما ينفعه على نفسه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين قوله
 تمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى قلت اما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن للمؤمن
 فهو بالنسبة الى ما اعد له في الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم فانه سجن في الدنيا
 حتى يقضي الى ذلك المعدلة واما كون الدنيا جنة الكافر فهو بالنسبة الى ما اعد الله له في الآخرة
 من العذاب الاليم الدائم الذي لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يقضي الى ما اعد الله له في
 الآخرة

ليس

حضر

الله

من الدنيا
وايات

في الآخرة واما ما يضيق على الرجل المؤمن في بعض الاوقات انما ذلك لاجل رفع الدرجات وتكثير
 السيات وبيان الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن في جميع احواله في عيشة حسنة
 لانه راض عن الله في جميع احواله وقوله تعالى **يَوْمَ تَكُونُ كُلُّ ذِي نَفْسٍ لَّهِ** يعني ويعطى كل ذي
 صلاح في الدنيا اجره ونوابه في الآخرة قال ابو العالية من كثرت طاعته في الدنيا زادت
 درجاته في الجنة لان الجنة الدرجات تكون على قدر الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسنة
 على سيئة دخل الجنة ومن زادت سيئة على حسنة دخل النار ومن استوت حسنة وسيئة
 كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت له سيئة ومن
 عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوفت بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنة
 وان لم يعاقب بها في الدنيا اخذت من حسنة العشر واحدة وبقيت له سبع حسنات ثم
 يقول ابن عباس هذا من غلب احاده اعثاره وقيل معني الآية من عمل لله وثقه الله في
 المستقبل لطاعته **وان تولا** يعني وان اعرضوا عما جئتهم به من الهدي **فان طاعكم** اي نقل
 لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم **كبير** يعني عذاب النار في الآخرة **الى الله مرجعكم** يعني
 في الآخرة فينتيب المحسن على احسانه ويعاقب المسي على اسائه **وهو على كل شيء قدير** يعني
 من ايصال الرزق اليكم في الدنيا ونوابكم وعقابكم في الآخرة قوله تعالى **الانهم يتوبون**
صدورهم قال ابن عباس تزلت في الاحسن بن سديق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان
 يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء يحب وينطوي بقلبه على ما يكن فزلت الا انهم يتوبون
 صدورهم يعني يحضون ما في صدورهم من التشنج والعداوة من ثبوت التوب اذا طوبيت
 وقال عبد الله بن شداد بن عبد الحماد تزلت في بعض المنافقين كان اذا امر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بشيء ما صدره وظهر وطا طاراسه وغطا وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وقال قتادة كانوا يحضون صدورهم كي لا يسمعون كتاب الله ولا ذكره وقيل كان الرجل
 من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويخفي ظهرا ويتغشى بتوبه ويقول هل يعلم الله ما في
 قلبي وقال السدي يتوبون صدورهم اي يعرضون بقلوبهم من قولهم تنيت عني **الاستغفار**
منية يعني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بجاهد من الله عز وجل ان استطاعوا
الاجل تستغفروا يعني يعطون رؤسهم بشيائهم **يعلم ما يسرون وما يعلنون** ان الله يعلم بذات الصدور
 ومعني الآية قال الاموي ان الذين اصبروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفي
 علينا حالهم في كل حال وقد نقل عن ابن عباس هذا التفسير وهو ما اخرجه البخاري
 في افراد عن محمد بن عباس بن جعفر الخزوي انه سمع ابي يعقوب يقول انهم يتوبون صدورهم قال
 فسأله عنهما فقال كان انا س يستحبون ان يتحلوا فيغضوا الى السماء وان جامعوا تساهروا
 فيغضوا الى السماء فترد عليهم وقوله تعالى **وما من دابة الا عنده اسم لكل حيوان**
 دب على وجه الارض والاطلاق لفظ الدابة على كل ذي اربع من الحيوان على سبيل العرف والرد
 منه الاطلاق فيدخل فيه الادي وغيره من جميع الحيوان **اعلى الله رزقا** يعني هو المتكفل
 برزقها فضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو لا مشيئة ان شارزق وان لم يشأ لم يبرزق
 وقيل ان لفظه على معني من اي من الله رزقا قال بجاهد ما جاء من رزق فسر الله ورعا له

شياهم

برزخها فتوت جوعا ويعلم مستقرها مستودعها قال ابن عباس مستقرها المكاث الذي ناولي
اليه في ليل او نهار ومستودعها المكاث الذي تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود مستقرها
ارحام الامهات والمستودع المكاث الذي توت فيه وقيل المستودع الجنة والنار والمستودع القبر
كل في كتاب مبين اي كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها قوله عز وجل **هو الذي خلق**
السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء يعني قبل خلق السموات والارض قال لعب
خالق الله يا مؤنة خضر انظر اليها بالهنية فصادت ما برقت فخلق الزمخ لجعل الماء على
مشها ووضع العرش على الماء وقال ضمير ان الله تعالى كان عرشه على الماء فخلق السموات والارض
وخلق القلم فكنت ما هو خالق وما هو كائن من خلقه الي يوم القيامة نثران ذلك الكتاب
سبح الله ومجده الف عام قبل ان يخلق شيئا من خلقه وقال سعيد بن جبريل ابن عباس
عن قوله وكان عرشه على الماء اي شيء كان الماء على من الزمخ وقال وهب بن منبه ان العرش
كان قبل ان يخلق الله السموات والارض ثم فوض فضته من صفاء الماء ثم فتح القصة فارفع
فيها سبعة سموات في يومين ثم اخذ طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دعا الارض
من ثم خلق الارض في يومين والسموات في يومين والارض في يومين ثم فرغ لخلق الارض
اليوم السابع قال بعض العلماء في خلق الاشياء جعلها على الماء لعل كمال القدرة كان البناء الضعيف
اذ لم يكن له اساس على ارض صلبة لم يثبت فكيف هذا الخالق العظيم وهو العرش والسموات
والارض على الماء فزيد على كمال قدرة الله تعالى **خ** عن عمران بن حصين قال دخلت على
النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي بالباب فاني ناس من بني تميم فقالوا اقبلوا البشري
يا بني تميم قالوا ابشرتنا فاعطنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من اهل اليمن فقالوا
اقبلوا البشري يا اهل اليمن اذ لم يبقتم قالوا فقبلنا رسول الله ثم قالوا اجينا
لفنقة في الدين ولنا لك عن اول هذا الامر ما كان قال كان الله ولم يكن معه شيء قبله
وكان عرشه ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر الاول كل شيء ثم اتاني رجل فقال
يا عمران اورك ناقتك ففقدت ذهبت فاطلقت اطلها فاذا السراب يقطع دونه وايم
الله لو دوت انها ذهبت ولم اقم عن اي رزق العليل قال قلت لرسول الله اين كان
ربنا قبل ان يخلق خلقه قال كان في عمامة تحتها هو او ما فوقه هو او خلق عرشه على الماء اخرج
الترمذي وقال احمد قال احمد قال يريد العمامة اي ليس معه شيء قال ابو بكر الصديق في كتابه
الاستا والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء قبله لا المادة العرش ولا
غيرها فجميع ذلك غير الله وقوله وكان عرشه على الماء يعني وخلق الماء وخلق العرش على الماء
ثم ثبت في آله كل شيء وقوله في عمامة تحتها في كتابي عما يقيد بالمدفان كان في الاصل
مدودا اعناه سحاب رقيق ويريد بقوله في عمامة اي فوق سحاب مدبره وعاليا عليه كما قال
المنتم من في السما يعني من فوق السما وقال لا صلبكم في جدوع الخلق يعني على جدوعها
وقوله ما فوقه هو اي ما فوق السحاب هو او كما قوله ما تحتها هو اي ما تحت السحاب
هو وقد قيل ان ذلك في العمامة هو او كما اذا كان مقصورا اعناه شيء ثابت لا نهما
عني على الخلق لكونه غير شيء فكانه قال في جوابه كان قبل ان يخلق خلقه ولم يكن شيء غير الله

جميع

مراد الله

ما فوقه هو او ما تحتها هو اي ليس فوق العمامة الذي هو شيء موجود لا فوقه هو او لا تحتها هو لان
ذلك اذا كان غير شيء فليس يثبت له هو والله اعلم وقال الهروي صاحب الغرر قال لبعض اهل
العلم معناه ان كان عرش ربنا تحت المضاف اختصارا لقوله واسال القرية ويدل على ذلك قوله
وكان عرشه على الماء هذا اخذ كلام الصديق قال ابن الاثير العمامة اللغة السحاب الرقيق وقيل
الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد في الآية الحديث من حذف مضاف فقد مر ان كان
عرش ربنا تحت ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكي عن بعضهم في عمامة
مقصود هو كل امر لا يدركه العظم وقال الهروي قال ابو عبيد انما تناولنا هذا التفسير
الحديث على كلام العرب المعقول عنهم والاملا ندرى كيف كان ذلك العمامة قال الهروي في فخر يوميه
ولا يكتف بصفة من عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كتب الله مقادير الخلايق قبل ان يخلق السموات والارض بمائتين الف سنة قوله فرغ
يريد انما خلق المقادير لانه كان مشغولا ففرغ منه لان الله لا يشغله شأن عن شأن فاعلمنا
امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقوله تعالى **ليس له** يعني ليخبركم وهو اعلم بكم
انكم احسن عظاما يعني بطاعة الله واورع عن محارم الله **ولين** فقلت يعني ولين فقلت يا محمد
لهو القار من قومك **انكم مبعوثون من بعد الموت** يعني الحساب والجزاء **الذين كفروا**
ان هذا الاخر مبين يعنون القرآن **ولين اخرا نعلم العذاب الي امة معدودة** يعني الي
اجل محدود واصل الامة في اللغة الجماعة من الناس فكانه قال الي اقراض امة ومجي امة
اخرى **ليقولن ما يحبه** يعني اي شيء يحسن العذاب وانما يقولون ذلك استعجالا لعذاب
والاستهزاء يعنون انه ليس بشيء قال الله عز وجل **الا يؤمر يا ايها الذين آمنوا** يعني العذاب **ليس مفرقا**
عنكم اي لا يصرفه عنكم شيء **وحا ف** **هم** ما كانوا به **ليست** يعني ونزلهم وبالله استهزاهم قوله
تعالى **ولين اذ قنا الانسان متراجعا** يعني رجا وسعة في الرزق والعيش وبسطنا عليهم من الدنيا
شئ عناها يعني سلبناه ذلك كله واصابته المصائب فاجتاحته وذهب به **انه ليس**
كفور يعني يظن قاطنا من رحمة الله ايسا من كل خير كفور اي محمود لنعمتنا عليه اولا قليل
الشكر لربه قال بعضهم يا ابن ادم اذا كانت بك نعمة من الله من امن وسعة وعافية فاشكرها
ولا تجدها فان نزعته عنك فينبغي لك ان تقصر ولا تناس من رحمة الله فانه العواد على عبادته
بالخير وهو قوله تعالى **ولين اذ قناه تعابضا** يعني ولين نحن انعمنا على الانسان فبسطنا
عليه من العيش **ليقولن** يعني الذي اصابه الخير والسعة **ذهب السيات عني** يعني ذهبت السرايا
والعسر والصيق وانما قال ذلك عطف بالله عز وجل وجراة عليه لانه لم يصف الاشياء كلها الي
الله وانما احاطها الي العوايد ولهذا ذم الله تعالى فقال **انه لنزع تخور** اي انه اشترط
والفرح لانه حصل في القلب بنيل المراد والمشي والفخر والتطاوع على الناس بتعديده
المنافذ وذلك مني عنه ثم استغنى فقال تعالى **الا الذين صبروا وعلوا الصلوات** قال القرطبي
هذا استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا وعلوا الصلوات فانهم ليسوا بذلك فانهم ان
نالتهم صبروا وان قالوا نعمة شكر واعلموا **اولئك** يعني من هذه صفة **لهو مغفرة** يعني لغفونهم
واجر كبير يعني الجنة قوله عز وجل **فلعلك تار** بعض **ابوي** التار الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم

يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاعلمك يا محمد تارك بعض ما يوحى اليك ربك ان تبلغه الى
من امرتك ان تبلغ ذلك اليه **وصايا يوحى صدرك** يعني ويضيق صدرك بما يوحى اليك فلا تبلغه ايام
وذلك ان كفار مكة قالوا ليت نقران غير هذا ليس فيه سب الهتنا نعم النبي صلى الله عليه وسلم
ان يترك ذكر الهتهم ظاهر فاذل الله عز وجل تعالى فاعلمك تارك بعض ما يوحى اليك يعني من ذكر
الهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية واجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم
فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن بني منة بخلاف ما هو به لا قصد اولا عدا
ولا سهوا ولا غلطا وانه صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما انزل الله عليه الى امته ولم يكتم منه شيئا واحدا
على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي ولا نكار ولا يترك بعض ما وحي اليه لقول
احد ان يجوز ذلك يودي الى الشك في ادا الشرايع والتكاليف لان المقصود من ارسال
الرسول التبليغ اليه من ارسله اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فات فائدة الرسالة والنبي صلى الله عليه
وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد بقوله تعالى فاعلمك تارك
بعض ما يوحى اليك شيئا اخر سوي ما ذكره المفسرون وللعلماء في ذلك اربعة احدها قال
ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا مما يوحى اليه استفاقا
من موعدة احد وعرضه ولكن الله تعالى ادعى رسوله صلى الله عليه وسلم في متابعة البلاغ كما
قال يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك الاية الشاني ان هذا ادب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
وخصه على ادا ما انزل اليه والله تعالى من وراء ذلك في عصمة من يخافه وخشاه الثالث
ان الكفار كانوا يستنون بالقرآن ويضجون منه ويترأفون به وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يضيق صدره لذلك وان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويستنون به فامر الله تعالى بتبليغ
ما وحي اليه وان لا يلتفت الى استنواهم وان تحمل هذا الضرر اهلون من كتم شي من الوحي المقصود
من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفي الفعل والترك
مستل على ضرر عظيم يفرغ ان الضرر في باب الترك اكمل من الاقدام على الفعل وقيل ان الله
مع علمه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا من الوحي هججه له والرسالة وطرح المبالاة
باستنواهم وردهم الى قول قوله بقوله فاعلمك تارك اي عليك ترك ان تلقيه اليهم مخافة
ردهم واستنواهم به وصايا يوحى صدرك بان تتلوهم عليهم **ان يقولوا** يعني مخافة ان يقولوا
لولا انزل عليه كثر يعني يستغني به وينفعه **او جامعة ملك** يعني يشهد بصدقه وقابل
هذه المقالة هو عبد الله بن ابي لمية الخزومي والمعنى انهم قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان كنت صادقا في قولك بانك رسول الله الذي تصفه بالقدرة على كل شيء وانت عزير عند
مع انك تقتر فملا انزل عليك ما تستغني به انت واصحابك وهلا انزل عليك ملكا يشهد لك
بالرسالة فتزول الشبهة في امرك فاجزا لله عز وجل انه صلى الله عليه وسلم قد يترك قوله عز وجل **انما انت**
نذير تنذر بالعقاب لمن خالفك وعصى امرك وتبشرا بالثواب لمن اطاعك وامن بك وصدقك
والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى حافظ يحفظ افواههم واعمالهم فيحاسبهم على يوم
القيامة قوله تعالى **امر يقولون افترأه** يعني لا يقول كفار مكة اختلقه يعني ما وحي اليه من
القرآن **قل اي قل لهم يا محمد فانوا بعشر سور مثله** فاما قوله افترأه في القرآن واختلقه من

عندك

اهم

واهم

عند نفسك وليس هو من عند الله عز وجل وارجى لهم العنان وفاوضهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه
وسلم هبوا الي اختلقته من عند نفسي ولم يوح لي شيء وان الامر كما قلتم وانتم عرب مثلي من اهل
الصحابة وقرنان البلاغة واصحاب اللسان فانوا انتم بلام مثل هذا الكلام الذي جئتم به
مختلف من عند انفسكم فانكم تقدرون على مثله اقدر عليه من الكلام فلهذا قال فانوا بعشر
سور مغتريات في مقابلة قولهم افترأه فان قلتم **قد خذوا هديا** فانوا بسورة من مثله
فلم يقدروا على ذلك وعجزوا عنه فكيف قال فانوا بعشر سور مثله ومن عجز عن سورة واحدة فهو
عن العشرة اعجز **قل** قد قال بعضهم ان سورة هود تزل قبل سورة يونس وانه خذوا هديا
اولا بعشر سور فلما عجزوا خذوا بسورة يونس وانكر المبرد هذا القول وقال ان سورة يونس تزل
اولا ومعنى قوله في سورة يونس فانوا بسورة مثله في الاخبار عن الغيب والحكم والوعود والوعيد
وقوله في سورة هود فانوا بعشر سور مثله يعني في مجرد البلاغة والصحابة من غير جبر عن غيب
ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد ولما خذوا هذا الكلام امره بان يقول لهم **واذعوا من استطعتم**
من دون الله يعني يعينوكم على ذلك **ان كنتم صادقين** يعني في قولكم انه مغتر فان **لم يستحيوا**
اعلم انه لما اشتمك الاية المتقدمة على اربن وخطابين احدهما امر وخطاب النبي صلى الله عليه
وسلم وهو قوله قل فانوا بعشر سور مثله والشاني امر وخطاب للكفار وهو قوله واذعوا من
استطعتم من دون الله ثم اتبعه بقوله فان لم يستحيوا لكم احتل ان يكون المراد ان الكفار لم
يستحيوا في المعارضة لعجزهم عن واحتمل ان يكون المراد من تدعون من دون الله لم يستحيوا
للكفار في المعارضة فلهذا السبب اختلفت المفسرون في معنى الاية على قولين احدهما انه
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين معه
كانوا يتخذون الكفار بالمعارضة ليعين عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله لنبيه والمؤمنين
فان لم يستحيوا لكم فيما دعوتهم اليه من المعارضة وعجزوا عنه **فاعلموا انما انزل بعلم الله** يعني
فانتم تعلموا العلم الذي انتم عليه وان دادوا بيقينا وثباتا لانهم كانوا عالمين انه منزل عن
الله وقيل الخطاب في قوله فان لم يستحيوا لكم للنبي صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكر لم يلفظ
الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم والقول الثاني ان قوله تعالى فان لم يستحيوا لكم خطاب مع
الكفار وذلك انه تعالى لما قال في الاية المتقدمة واذعوا من استطعتم من دون الله قال الله
عز وجل في هذه الاية فان لم يستحيوا لكم ايا الكفار ولم يعينواكم فاعلموا فاعلموا انما انزل
بعلم الله وانه ليس مغتر على الله بل هو انزل على رسوله صلى الله عليه وسلم **وان الله الا هو** يعني
ان الذي انزل القرآن هو الله الذي لا اله الا هو لا تدعون من دونه **فقل انتم مسلمون** فبمعنى
الامر اياهم سلوا واخلصوا لله العبادة وان حملنا معنى الاية على انه خطاب مع المؤمنين كان معنى قوله
فقل انتم مسلمون الترغيب ليدعوا ما اعلم انتم عليه من الاسلام قوله عز وجل **من كان يريد**
الحياة الدنيا **وزيتها** يعني يعمل الذي يعمل من اعمال البر تزلت في كل من عمل عملا يجني به غير الله
عز وجل **وف اليهم اعمالهم** يعني اجور اعمالهم التي عملوا للطلب الدنيا وذلك ان الله تعالى يوسع
عليهم في الرزق ويدفع عنهم المكاه في الدنيا وما اشبه ذلك **وهم فيها لا يحسون** يعني انهم لا ينقصون
من اجور اعمالهم التي عملوا في الدنيا بل يعطون اجور اعمالهم في الدنيا كاملة موفقة **اولئك الذين ليس لهم**

فلا تترك في برية منه انه الحق من ربك فيه قولان احدهما ان معناه فلا تترك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نارا من عند الله فعلي هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى امر يقولون افتراه والقول الثاني انه راجع الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تترك في شك من ان النار موعده من الاحزاب والخطاب في قوله ولكن الشرائع الناس يومئذ يعني لا يصدقون بما اوحينا اليك او من ان يتوعد الكفار النار قوله عز وجل ومن اظلم من افترى على الله كذبا يعني اي الناس استبدت بها من اختلق على الله كذبا فكلدب عليه وزعم ان له شريكا او ولدا وفي الآية دليل على ان اللذنب على الله من اعظم انواع الظلم لان قوله ومن اظلم من افترى على الله كذبا يورد في معرض المبالغة اولى لك يعني المغترين على الله اللذنب يعرضون على يوم يعجزون يوم القيامة فيسا لهم عن اعمالهم في الدنيا ويقولون اننا كنا من الذين يحفظون اعمالنا بن آدم قال مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء والمرسلون قال العنكاك وقال قتادة الاستباده الخلق كلهم هاهنا الذين كذبوا على الله يعني في الدنيا وهذه القضية تكون في الآخرة لكل من كذب على الله الالهة الظالمين يعني يقول الله ذلك يوم القيامة فيلعنهم ويظلمهم من رحمة وعن صفوان بن محرز المازني قال سينا ابن عمر بطون ادعوا له رجلا يا ابا عبد الرحمن اجزي ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجوي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدين المؤمنين من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بن نوبه تعرق وب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترت عليك في الدنيا وانا اعفها لك اليوم ثم يعطي كتاب حسنة وفي رواية ثم يطوي صحيفة حسنة ولما اللغار والمناقض فيقول الاشهادوني رواية فينادي هم عياروس الخلاق هاهنا الذين كذبوا على الله الالهة الظالمين قوله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله هذه الآية متصلة بما قبلها والمعنى الا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم قال الذين يصدون عن سبيل الله يعني يمنعون الناس من الدخول فيه في دين الله الذي هو الاسلام ويغيثونها عوجا يعني ويطلبون القاذورات في قلوب الناس ويقعج الدليل الدالة على صحة دين الاسلام وهم يا احرزة هم كافرون يعني وهم مع صدهم عن سبيل الله يتحدون البعث بعد الموت منكرون له اولى لك يعني من هذه صفته لم يكونوا معجزين في الارض قال ابن عباس يعني سابقين وقيل هارين وقيل فائين في الارض والمعنى انهم لا يعجزون الله اذا ارادهم بالعقاب والانتقام منهم ولكنهم في قبضته ومملكه لا يقدر ان على الامتناع منه اذا طلبهم وما كان لهم من دون الله من اوليا يعني وما لها ولا المشركين من انصار تمنعونهم من دون الله اذا ارادهم سوا وعذابا يصانعهم لهم العذاب يعني في الآخرة يراودهم بسبب صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون قال قتادة ثم عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعوا به ولا يبصرون خيرا فيأخذوا به وقال ابن عباس اجر الله انه لجال بين اهل الشرك وبين طاعته في الدنيا وفي الآخرة اما في الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهي طاعته وما كانوا يبصرون واما في الآخرة فانه قال لا يستطيعون طاعة اباهم

اوليك

هذا الحديث يدل على ان الله تعالى لا يدين المؤمنين من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بن نوبه تعرق وب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترت عليك في الدنيا وانا اعفها لك اليوم ثم يعطي كتاب حسنة وفي رواية ثم يطوي صحيفة حسنة ولما اللغار والمناقض فيقول الاشهادوني رواية فينادي هم عياروس الخلاق هاهنا الذين كذبوا على الله الالهة الظالمين قوله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله هذه الآية متصلة بما قبلها والمعنى الا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم قال الذين يصدون عن سبيل الله يعني يمنعون الناس من الدخول فيه في دين الله الذي هو الاسلام ويغيثونها عوجا يعني ويطلبون القاذورات في قلوب الناس ويقعج الدليل الدالة على صحة دين الاسلام وهم يا احرزة هم كافرون يعني وهم مع صدهم عن سبيل الله يتحدون البعث بعد الموت منكرون له اولى لك يعني من هذه صفته لم يكونوا معجزين في الارض قال ابن عباس يعني سابقين وقيل هارين وقيل فائين في الارض والمعنى انهم لا يعجزون الله اذا ارادهم بالعقاب والانتقام منهم ولكنهم في قبضته ومملكه لا يقدر ان على الامتناع منه اذا طلبهم وما كان لهم من دون الله من اوليا يعني وما لها ولا المشركين من انصار تمنعونهم من دون الله اذا ارادهم سوا وعذابا يصانعهم لهم العذاب يعني في الآخرة يراودهم بسبب صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون قال قتادة ثم عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعوا به ولا يبصرون خيرا فيأخذوا به وقال ابن عباس اجر الله انه لجال بين اهل الشرك وبين طاعته في الدنيا وفي الآخرة اما في الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهي طاعته وما كانوا يبصرون واما في الآخرة فانه قال لا يستطيعون طاعة اباهم

اوليك الذين حسروا انفسهم يعني ان هاهنا الذين ههنا صفتهم هم الذين غبنوا انفسهم حظوظها من رحمة الله وصل عنهم ما كانوا يفترون يعني وبطل كذبهم وانكهم ومن يتهم على الله وادعاهم ان الملايكة والاصنام تستغ لهم لا جرم يعني حقا وقال الغزالي حاله انهم في الآخرة هم الاخسرون لانهم باعوا منازلهم في الجنة واشتروا عوضا من النار وهذا هو الحشران المبين قوله عز وجل ان الذين استنوا وعملوا الصالحات واختبوا الى ربهم لما ذكر الله عز وجل احوال الكفار في الدنيا وخسرانهم في الآخرة اتبعه بذكر احوال المؤمنين في الدنيا ورحمتهم في الآخرة والاختبات في اللغة هو الخشوع والخضوع وطاعة القلب ولغز الاختبات تنقدي بالي وباللام فاذا قلت اختب فلان الى كذا فمعناه خضع وخضع له فتقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جميع احوال الجوارح وقوله واختبوا اشارة الى اعمال القلوب وهي الخضوع والخشوع لله عز وجل وان هذه الاعمال الصالحة لا تستغ في الآخرة الا حصول اعمال القلب وهي الخضوع والخشوع فاذا استرنا الاختبات بالمعانيات كان معنى الكلام انهم ياتون بالاعمال الصالحة مطمئنين الى صدق وعد الله بالتواب والجزاء على تلك الاعمال او يكونوا مطمئنين الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرونا الاختبات بالخشوع والخضوع كان معناه انهم ياتون بالاعمال الصالحة خائفين وجلين ان لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع اولى لك يعني الذين ههنا صفتهم اصحاب الجنة هم في خالدون اخبر عن حالهم في الآخرة بانهم من اهل الجنة التي لا انقطاع لغيرها ولا زوال لقوله تعالى مثل الذين كفروا وما كانوا اعلمين من العمى عن طريق الحق ومن الصم عن سماعه وذكر احوال المؤمنين وما كانوا اعلمين من البصيرة وسماع الحق والالتفات للطاعة ضرب لهم مثلا فقال تعالى مثل الذين كفروا يعني فريق المؤمنين وفريق الكافرين كالاعمى وهو الذي لا يهتدي لرشد والاصم وهو الذي لا يسمع شيئا البتة والبصير وهو الذي يبصر الاشياء على ما هيته والسميع وهو الذي يسمع الاصوات فيجب الداعي فمثل المؤمنين كمثل الذي يسمع ويبصر وهو الكامل في نفسه ومثل الكفار كمثل الذي لا يسمع ولا يبصر وهو النافض في نفسه هل يستويان مثلا قال الغزالي لا يستويون لان الاعمي والاصم في حيز كانهما واحد وهما من وصف الكافر والبصير والسميع في حيز كانهما واحد وهما من وصف المؤمن اولا تذكرون يعني فتستعظون قوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لك اذن مبين يعني ان توطأ عليه السلام قال لقومه حين ارسله الله اليهم اني لك اذن القوم تدين يعني بين المذارة اخوت بالعقاب لمن خالف امر الله وعبد غيره وهو قوله ان تقبوا والاله الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم يعني مولد موجه قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه لتسع مائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمر الف سنة وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة مكث يدعو قومه لتسع مائة سنة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمر الف سنة واربع مائة وخمسين

فَقَالَ الْمَلَأُ اللَّهُ مِنْ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ يَعْني الأشراف والروسا من قوم نوح ما نراك يا نوح الأشراف
مَثَلًا يَعْني أديبا مثله لا فضل لك علينا لأن التفاوت الحاصل بين أحاد البشر يمنع إظهاره إلى
حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم وإنما قالوا هذه المقالة وتكلموا هذه
الشبهة جهلا منهم لأن من حق الرسول أن يباشر الأمة بالدعوة وإلى الله باقامة الدليل والبرهان
على ذلك ويظهر المعجزة الدالة على صدقه ولا يتأتى ذلك إلا من أحاد البشر وهو من اختصاص الله
بكرامته وشرفه بنبوته وأرسله إلى عباده ثم قال تعالى أخار عن قوم نوح **وَمَا نَرَا اتَّبَعَكَ**
إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لَنَا يَعْني سفلتنا والرذلة الذين من كل شيء قتلهم الحاقة والأسافكة واصحاب
الصنايع الخبيثة وإنما قالوا ذلك جهلا منهم أيضا لأن الرفعة في الدين ومنابعة الرسول
لا تكون بالشرف والمال والمناصب العالية بل بالفقرا الخاملين وهم اتباع الرسول ولا ينضم
خسة صنایعهم إذا حسنت سيرتهم في الدين **بِأَيِّ الرَّا يَعْني أنهم اتبعوك في أول الرَّا من**
غير تثبت وتكرير في أمرك ولوتفكر والماتبعوك وقيل معناه ظاهر الرَّا يَعْني أنهم اتبعوك
ظاهرا من غير أن يتفكروا باطنا **وَمَا نَرَا يَعْني فضل** يَعْني بالمال والشرف والجاه وهذا
القول أيضا جهل منهم لأن الفضيلة المستبشرة عند الله بالإيمان والطاعة لا بالشرف والجاه
بَلْ تَنْظُرُونَ كَذِبِينَ قِيلَ لَخَطَاب لَنُوحٍ وَمِنْ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ وَقِيلَ هُوَ لُوحٌ وَحْدَهُ فَعَلَى هَذَا
يَكُونُ لَخَطَاب بِلُغَةِ الْجَمْعِ لِلوَاحِدِ وَهُوَ عَلَى سَبِيلِ التَّكْثِيرِ **قَالَ نُوحٌ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ**
عَلَيَّ نَبِيَّةٌ مِنْ رَبِّي يَعْني على بيان ويقين من ربي بالذي أنذر نكمرة **وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِ**
يَعني هدي ومعرفة ونبوة تَعَيَّنَتْ عَلَيْكُمْ أي خفيت والتبت **إِن لَكُمْ لَهَا عَابِدَةٌ عَلَى**
الرَّحْمَةِ والمعنى أنكم لم تكملوا بها القوم فتبوا الرحمة يَعْني أنا لا أقدر أن نترككم ذلك من عند
انفسنا **وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ** وهذا استعظام معناه أنكارا يَعْني لا أقدر على ذلك والذي قد ر
عليه أن ادعوا إلى الله وليس لي أن اضطركم إلى ذلك قال قتادة وأنه لو استطاع نبي
الله أن يلزم قومه ولكنه لم يملك ذلك **وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا يَعْني ما أسألكم ولا**
أطلب منكم على تبليغ الرسالة جعلنا **إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِظَارِكِ الَّذِينَ آمَنُوا**
وذلك أنهم طلبوا من نوح أن يطرد الذين آمنوا وهم الأزدلون في زعمهم فقال ما يجوز لي
ذلك لأنهم يعتقدون أنهم ملائكة أو رسلهم فلا طرد لهم **وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ تَوَلَّيْتُمْ** يَعْني
عظمة الله ووجدانتيته وربوبيته وقيل معناه أنكم تجهلون أن هأول المؤمنين خير منكم
وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ يَعْني من منعتني من عذاب الله أن طردتم عني
لأنهم مومنون مخلصون أفلا تدرون يَعْني فتتظنون **وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ**
هو عطف على قوله لا أسألكم عليه مالا والمعنى لا أسألكم عليه مالا ولا أقول لكم عندي خزائن
الله يَعْني التي لا يغيرها شيء فادعواكم إلى اتباعي عليها لأعطيكم منها وقال ابن الأنباري الخزائن
هنا المعنى غيوب الله وما هو منطوي عن الخلق وإنما وجب أن يكون هذا جوابا من نوح
عليه السلام لهم لما قالوا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي فادعوا أن
هأول المؤمنين إنما اتبعوه في ظاهرها يبري منهم وهم في الحقيقة غير متبعين له فقال
مجييا لهم ولا أقول لكم عندي خزائن الله التي يعلم منها ما ينطوي عليه عباده وما يظفرونه

وإنما مد للغيث

اهم

عن علي بن أبي حمزة

للقوم خزائن لغو ضاع الناس واستقارها عنهم والقول الأول ليحصل الفرق بين قوله أقول لكم
عندي خزائن الله وبين قوله **وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ** ولا أدعي علم ما يغيب عني ما ليس رونه في نفوسهم فسيبلي قلوب
إيمانهم في الظاهر ولا يعلم ما في باطنهم إلا الله **وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنْ مَلِكٌ** هذا جواب لقولهم ما نراك
الأشرف أمثلنا إلى لا أدعي من الملائكة بل أنا بشر مثلكم ادعواكم إلى الله وبلغكم ما أرسلت به إليكم
فصل استدلال بعضهم بهذه الآية في تفصيل الملائكة على أن نبيا قالوا لأن نوحا عليه السلام قال ولا أقول أني ملك
لأن الإنسان إذا قال أنا الله ادعي كذا وكذا لا يحسن إلا إذا كان ذلك الشيء أشرف وأفضل من لحوال ذلك
القائل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب أن يكون الملك أفضل منه والجواب أن نوحا عليه
السلام إنما قال هذه المقالة في مقابلة قومه ما نراك إلا بشرا مثلهما كان في ظنهم أن الرسل لا يكونون من
البشر إنما يكونون من الملائكة فاعلم أن هذا الظن باطل وأن الرسل إلى البشر إنما يكونون من البشر فلهذا
قال ولا أقول لكم إني ملك ولم يرد أن درجة الملائكة أفضل من درجة الأنبياء والله أعلم وقوله **وَلَا أَقُولُ**
لِلَّذِينَ تَرَوْنَ دَرَجَاتٍ عَيْنَكُمْ يَعْني تحقروا وتستهزئوا بعينكم يَعْني المؤمنين وذلك لما قالوا أنهم أراذلنا
من الزارية وهي الخسة **لَنْ يُوَفَّى اللَّهُ الْخَيْرَ إِلَّا قَلِيلًا** يَعْني توفيقا وهداية وإيمانا وأجر الله **أَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِهِمْ**
يَعْني من الخير والشر **إِنْ أَرَادَ الْمَرْءُ الظَّالِمِينَ يَعْني أن طردتم تكذبا لظواهرهم ومبطلا لإيمانهم** يَعْني أني
أن فعلت هذا فأكون قد ظلمتهم وأتلا أفعله فما أنا من الظالمين **فَالْوَا يَأْتِي نُوحٌ قَدْ جَاءَهُ نَصْرٌ** يَعْني
تدخا صلتا **فَالَّذِينَ تَرَوْنَ كَذِبًا يَعْني خصومتنا** **فَأَنبَأْنَا نَعْدَتَ** يَعْني من العذاب **إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ**
يَعْني في دعواكم الملك رسول من الله **إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ يَعْني قال نوح لقومه حين استجابوه**
بأنزل العذاب أن ذلك ليس لي إنما هو إلى الله يتر له متى شاء وعلي من شاء **وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ** يَعْني وما
أنتم بفاعلين أن أراد أنزل العذاب بكم **وَلَا يَنْفَعُكُمْ تَعْمَلُونَ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْفَعَكُمْ** يَعْني ولا ينفعكم أنتم إذا
وتدبري أياكم عفوئته وتزول العذاب بكم **إِنْ كَانَ رَيْبٌ مِنْكُمْ** يَعْني أن يبريدكم يَعْني أن يضلكم وقيل
يهلككم وهذا معني وليس بتفسير لأن الغوي يودي إلى الهلاك **هَوْرَكُمْ** يَعْني أنه تعالى هو بملككم
فلا تقدر أن يخرج من سلطانه **وَالْيَهُ تَرْجِعُونَ** يَعْني في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم **أَمْ يَقُولُونَ**
أَفْتَنَاهُ إِيَّا خَلْقَهُ وجأ به من عند نفسه والضمير يعود إلى الوحي الذي جاءهم به **قُلْ إِنْ أَقْبَرْتُمْ إِيَّايَ**
أخلفته **فَعَلِ اجْرَامِي** أي أجمي واجرم اقترائي السيئة والسيئة لها يقال جرم واجرمي
أنه اكتسب الذنب واستعمله **وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ** يَعْني من الكفر والتكذيب والكثير المعصية
على أن هذا من محاوراة نوح قومه في قصة نوح وقال مقاتل لم يقولوا يَعْني المشركون من كفار
مكة افتراه يَعْني محمدا صلى الله عليه وسلم وأخلاق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون
الآية معترضة في قصة نوح ترجع إلى القصة فقال تعالى **وَإِذْ قَالَ نُوْحٌ إِنَّهُ لَمِنْ رُسُلِ رَبِّهِ**
تَوَكَّلْ عَلَى رَبِّكَ قال ابن عباس إن قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلقونه
في لبد ويلقونه في بيت يظنون أنه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوه إلى الله وروي
أن شيئا منهم جاء متوكيا على عضاه ومعه ابنه وقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ الجنون فقال
اسكن يا أبت من العصا فاحذها من أبيه وضرب برأ نوحا عليه السلام حتى شجحه شجة منكورة فادعى الله
إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن **فَلَا تَتَّبِعِهِ** يَعْني فلا تحزن عليهم فأننا هلكهم **فَمَا تَأْتُوا**
بِنِعْلُونَ يَعْني بسبب لغوهم وأفعالهم خيبيته دعا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تدركني

عجوبة

جدهم وقال الطبري والصواب من القول في ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما من امة الا قليل يؤمنهم
بالقلة ولم يجدوا دليلا على ان يجازوا ذلك صد الله تعالى اذ لم يرد ذلك في كتاب ولا خبر
صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما مثل نوح معه جسد ادم عليه السلام فجعله معترضا
بين الرجل والنساء وقصد نوح جميع الطيور والبهائم قال ابن عباس اول ما حمل نوح الدرة
واخر ما حمل الحمار فلما اراد ان يدخل الحمار داخل صدره فتعلق ابليس بذيئه فلم تستقل رحلاه وجعل
نوح يقول له ويحك ادخل فيمنض فلا يستطيع حية قال له ادخل وان كان الشيطان معك كلمة
ولست عن لسانه فلما قالها نوح على سبيل الحمار فدخل الشيطان معه فقال له نوح ماذا ادخلك
الله على اعدائه قال لم تقبل ادخل وان كان الشيطان معك فقال له اخرج عني يا عدو الله قال
مالك يد من ان تخلي معك وكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله القوي قال الامام
نوح الدين الرازي ولما الذي يروي ان ابليس دخل السفينة فبعده لانه من الجن وهو جسم
ناري او قولي فكيف يكون الغرق وايضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح
فالاولي ترك الخوض فيه قال بعضهم وريكان الحية والعقرب اثنا نوحا عليه السلام فقالا احلنا
معك فقالا انما سبب البلاء فلا احلنا معي فقالا احلنا فحق نعمن لك ان لا نضر احدا ذكر كركض
فرا حين يخاف مصيرهما سلام على نوح في العالمين لم يضر انه قال للمسلم ان يحمل معه نوح في السفينة الا
ما يلد ويبيض وما سوي ذلك مما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل شيئا
قوله تعالى **وقال اركبوا فيها** يعني وقال نوح لمن حمله اركبوا فيها في السفينة **بسم الله مجراها**
وسراها ان ربي غفور رحيم يعني بسم الله اجرواها وارساوها قال الفخاكا كان نوح اذا اراد
ان يخرج السفينة قال بسم الله فخرجي وكان اذا اراد ان ترسو يعني تقف قال بسم الله فترسوي
تقف وهذا تعليم من الله لعباده انه من اراد امر او فلا ينبغي له ان يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه
وقت الشروع حتى يكون ذلك سببا للخروج والفلاح في سائر الامور **وهي تجري بهم في موج كالجبال**
الموج ما ارتفع من الماء اشدت عليه الريح شبه الجبال في عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء بالسير
ارسل المطر اربعين يوما وليلة وخرج الماء من الارض فذلك قوله تعالى فتخا ابواب السماء فاستمر
وتجرت الارض عيوننا فالنقي الماء على امر قد تدبر يعني صار الماء نصفين نصف من السماء ونصف من الارض
وارتفع الماء على الجبل وطوله اربعون ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى اغرق كل شيء وروي
انه لما كثر الماء في السمك خافت ام صبي على ولدها من الغرق وكانت تحته حاشة بدا فخرجت
به الى الجبل حتى بلغت ثلثه لحقها الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها الماء ذهب حتى استوت
على الجبل فلما بلغ الماء الى رقبتهما رفعت الصبي بيدها حتى ذهب بها الماء فغرقتهما فلو رحم الله منهم اياهم
احد الرحم ام الصبي **ونادي نوح ابنة** يعني كنعان وكان كافرا وكان في معزل يعني عن نوح
ليركب معه **يا بني اركب معنا** يعني في السفينة **ولا تكن مع الكافرين** يعني فتهلك معهم
قال يعني قال كنعان **سأوي** يعني سألتجي واصير الى جبل **يعصني من الماء قال** يعني قال له نوح
لا عاصي يعني لا مانع **اليوم من امر الله** يعني من عذابه **الامن رحمة** يعني الامن رحم الله فينجيه من
الغرق **واظننا بالوح كان الغرق** يعني كنعان وقيل بعد ما تشاء الطوفان واغرق قوم نوح **يا ارض**
ابلي ما لي اي اشر به **ويا سما اقلعي** اي اسكي **وعرض الماء** اي ونقص ونضب يقال اغراضا

عبره
عجيبه

سعد وده

نقص وذهب **وقضي الامر** يعني وقضى من الامر وهو هلاك قوم نوح **واستوت** يعني واستقرت السفينة
على الجودي وهو جبل الجوزة بقرب الموصل وقيل **بهندا** يعني هلاك **القوم الظالمين** قال العلماء
بالسير لما استقرت السفينة بعث نوح الغراب لياتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فبعث
للمائة فاجاب بورق زيتون في منقارها ولحق رجلها بالطين فعلم نوح ان الماء قد ذهب فذاع على
الغراب بالحق فلك ذلك لا يالف البيوت وطوق الحمامة بالخنزيرة التي في عنقه وادعاه لها بالمال فمن
ثرتا لك البيوت وروي ان نوحا عليه السلام ركب السفينة لعشرين يوما من رجب وخرجت به
السفينة ستة اشهر ومرت بالبيت الحرام وفردعه الله من الغرق وبقي موضعها فطافت السفينة
به سبعة اودع البحر الاسود جبل ابي قبيس وهبط نوح ومن معه من السفينة يوم عاشوراء فاضا
نوح وامر جميع من معه بصيامه شكر الله ولبوا قرية بعرب الجبل فتميت سوق ثمانين نهي اول قرية
عربت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج احد من الكفار من الغرق غير عوج بن عقر وكان
لما يصل الى حجرته وسبب نجاة ان نوحا عليه السلام احتاج الى حشب ساج لا حل السفينة فاعلمه
نقله فحمله عوج من الشام الى نوح فجاه الله من الغرق لذلك فان قلبت كيف قضت الحكمة
الالهية والكرم العظيم عوجا من لم يبلغ الحرام من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم
قلت قد ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل اعظم احكام شأهم اربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك
المدّة وهذا الجواب ليس بقوي بل من عليه اغراق جميع الدواب والمواد والطيور وغير ذلك من الحيوان
وبرد عليه ايضا هلاك اطفال الامم الكافرة مع ابايهم غير قوم نوح والحوادث الشاذة في هذا
كله ان الله تعالى متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل
ولم يسألون قوله عز وجل **ونادي نوح ربه** اي دعاه وسأله **فقال رب ان ابني من اهلي** يعني
وقد وعدتني ان تتجي واهلي **وان وعدك الحق** يعني في الصدق الذي لا خلف فيه **وانت**
احكم الخالمين يعني انك حكمت لقوم بالنجاة وعلي قوم بالهلاك **قال** يعني قال الله يا نوح **انه**
يعني هذا ابن الذي سألني نجاة **ليس من اهلك** اخلف علما النفسير هلك كانه هذا
الولد بن نوح لصلبه امره فقال الحسن ومجاهد كان ولده من غير نوح ولم يعلم به ولذلك قال
انه ليس من اهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امرة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك قال من
اهلك لم يقل بينه وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبيرة والعماد والكلبي والمفسرين انه ابن نوح
وكان يعلمه نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان ويدل على
ضعفه قول الجمهور وما صح عن ابن عباس انه قال لما بعث امرأته نبي خطا والله تعالى يقول
ولا يحكي نوح ابنته من نوح ايضا فعليه بقوله يا بني اركب معنا وهذا نص في الدلالة وصرف الكلام
الحقبة الى الجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر من ظاهره انه استبعد ان
يكون ولد نبي كافرا وهذا خطأ من قاله الله خلق خلقه من نوح في الجنة وهم المؤمنون وذريته
في السعير وهذا الكفار والله تعالى يخرج الكافرين المؤمن والمؤمن من الكافرين فرق بين ذلك وبين
الانبياء وغيرهم فان الله اخرج قابيل من صلب ادم عليه السلام وهو نبي وكان قابيل كافرا
وكذلك اخرج ابراهيم وهو نبي من صلب ابراهيم وكان كافرا وكذلك اخرج كنعان وهو كافرا من صلب
نوح وهو نبي المتصرف في خلقه كيف شاء فان قلت فليقل هذا كيف ناداه نوح فقال

جواب
صواب

اركب معنا وسال له النجاة مع قوله رب لا تدرك علي الارض من الكافرين **ديارا اتكلم** قد ذكر بعضهم
 ان نوحا عليه السلام يكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه وعلي تقدير انه يعلم كفره انما حمل علي ان ناداه
 رقة الابوة ولعله اذا راي تلك الالهة ان يسلم فنجيه الله به من العرق فاجابه الله بقوله انه
 ليس من اهلك يعني ليس هو من اهل دينك لان اهل الرجل من جمعه واما من نسب او دين او ما يجري
 بحراهما ولما حكمت الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله تعالى
 لنوح انه ليس من اهلك **انه عمل صالح** قرأ الكسائي ويعقوب بن كيسان الم وقع اللام غير فتح الراء
 عود الفعل علي الابن ومعناه انه عمل الشكر والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وفترا الباقون
 من القدر اعلم بفتح الميم ورض اللام مع التووين غير بضم الراء ومعناه ان سواك اياي ان انجيحك من العرق
 عمل غير صالح لانه طلب نجاة الكافر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلذلك قال انه عمل غير صالح ونجور ان
 يعود الفمير في ان علي ابن نوح ايضا ويكون التقدير علي هذه القراءة ان ابنك ذوقا او صاحب عمل
 غير صالح فحذف المضاف كما قالت الخنساء فانما هي قبالة وادبار قال الواحدي وهذا قول ابي اسحق
 يعني الزجاج وابويكر الانباري واي علي الفارسي قال ابو علي ونجور ان يكون ابن نوح عمل غير صالح
 كما جعل النبي لنفسه للثرة ذلك منه كما يقال الشجر زهير والعلم فلان اذا لثمنه فعمل هذا
 لاحذ **فلا تسالني ما ليس لك به علم** وذلك ان نوحا عليه السلام سأل ربه انجاه ولد من العرق
 وهو من حال شفقة الوالد علي ولد وهو يعلم ان ذلك محظور ولا حرار ولد علي الكفر فنهاه الله عن
 مثل هذه المسئلة واعلم ان ذلك لا يجوز فكان الميع فلا تسالني ما ليس لك به علم مجوز لئلا يسهل
اعظك يعني انك ان تكون من الجاهلين يعني لئلا يسألني ما ليس لك به علم يعني قال نوح رب اني اعوذ
بك يعني لئلا يالك واعتذر اليك ان اسالك ما ليس لك به علم يعني انك انت علام الغيوب وانا
 لا اعلم ما غاب عني فاعتذر اليك من مسالتي ما ليس لك به علم **والا تغفري** يعني جلي اذ امرني علي مسالته
 ما ليس لي به علم **وترحمني** يعني برحمتك التي وسعت كل شيء **ان من الجاهلين** فصل استدل
 هذه الآية من لا يري عصمة الانبياء وبما منه ان قوله انه عمل غير صالح والمراد منه السؤال وهو محظور
 فلهذا نه عنه بقوله فلا تسالني ما ليس لك به علم وقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين وهذا
 يدل علي ان ذلك السؤال كان جهلا فغضب ربه وتكبر وطلب المغفرة والرحمة له يدل علي صدور
 الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بان نجيه واهله فاذ نوح
 ظاهر اللفظ واتبع الناس ما يقتضي هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك في وعد الله تعالى
 فاقدم علي هذا السؤال لهذا السبب فغضب الله عز وجل علي اسواله ما ليس له به علم وبين انه ليس
 من اهل الدين وعده بخاتم الكفر وعمله الذي هو صالح وقد اعلم الله انه مغترق مع الذين ظلموا
 ونهاه عن مخاطبتهم فاشفق نوح من اقدمه علي سوال ربه فيما لم يوزن له فيه فحان نوح من ذلك
 فلما الي ربه عز وجل وحش له وعاد به وساله المغفرة والرحمة لان حسنت الاراسيات المقربين
 وليس في الآية ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تاويله واقدمه
 علي سوال ما لم يوزن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله اعلم قوله عز وجل **تعالى قيل يا نوح اهبط**
 اي اتر من السفينة او من الجبل الالارض **سلام** اي بامن وسلامة **وكرامات عليك** البركة هي ثبوت
 الخير ومناؤه وزيادته وقيل المراد بالبركة هناك ان الله جعل ذريته هم الباقون الي يوم القيمة فكل العلم

وقد

منه

من ذرية اولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه في السفينة غيرهم **علي ام من معك** يعني علي
 ذرية امهم من كان معك في السفينة والمعني وكرامات عليك علي ذريته من بعدك من ذرية اولادك
 وهم المؤمنين قال محمد بن كعب القرظي دخل في هذا كل من آمن الي يوم القيامة **وامم** يعني هذا
 كلام اي وام كافر فمخدثون بعدك سمعهم يعني في الدنيا الي منتهاي ايامهم **يسمى** يعني في
 الآخرة **ذلك من ابا الغيب** هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان هذه القصة التي اخبرناك بها
 من قصة نوح وخبره وخبر قومه من ابا الغيب يعني من ابا الغيب **نوحا اليك ما كنت تعلم**
انت ولا قومك من قبل هذا يعني من قبل نزول القدران عليك فان قلت **انت** ان قصة
 نوح مشهورة معروفة في العالم فكيف قال ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا **ما كنت تعلم** ان
 يكون كما نوايلنا مما لا ندر الا للقران بتفصيلها وبما فيها وجواب اخر وهو انه صلى الله عليه وسلم
 كان اميالا بمقدار الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك كانت امته فصنع قوله ما كنت تعلمها ولا قومك
 من قبل نزول القدران **يا نوحا** يا نوح الذي مشركي قومك كاصبر نوح علي اذي قومه **ان القاقية**
 يعني بالنصر والظفر علي الاعداء والفوز بالسعادة الآخرة **للمتقين** يعني المؤمنين قوله عز وجل
والي عبادي يعني وارسلنا الي عباد **احا همر هوذا** يعني انه اخبره في النسب لاني الدين
قال يا نوحا يا نوح الذي صلى الله عليه وسلم **يا نوحا** يا نوح الذي صلى الله عليه وسلم
 انه تعالى هو الحكم لا هذه الاصنام التي تعبدونها فانها حجارة لا تضر ولا تنفع **انتم الامم**
 يعني ما انتم الا كاذبون في عبادتكم غير **يا نوحا** يا نوح الذي صلى الله عليه وسلم **يا نوحا** يا نوح الذي صلى الله عليه وسلم
 جعلنا اخاك منك **ان اجوري** يعني ما نواي **الاي الذي في طوري** يعني طريقي فانه هو الذي يرتقي
 في الدنيا ويصير في الآخرة **افلا تعقلون** يعني فتعقلون **يا نوحا** يا نوح الذي صلى الله عليه وسلم
 امنوا به والاستغفار هنا يعني الايمان لانه هو المطلوب اولا **فريقوا اليه** يعني من مشرككم
 وعبادكم وغيره ومن سالف ذنوبكم **يرسل السماء عليكم مدرارا** يعني ينزل المطر متتالجا مرة
 بعد مرة في اوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعيم فاستك الله
 عنهم المطر مدة ثلاث سنين فاحذبت بلادهم وتحتت بسبب كفرهم فاخبرهم هو عليه السلام
 انهم ان امنوا بالله وصدقوه ارسل الله عليهم المطر فاحسبهم بلادهم كما كانت اولا مرة **يزيدكم**
الي قوتكم يعني شدة مع شدتك وقيل انكم ان امنتم تقويكم بالاموال والاولاد وذلك انه تعالى
 اعظم ارحام النساء ثم لم يلدن فقال لهم هو عليه السلام ان امنتم ارسل الله المطر فتزدادون مالا
 ونعيم ارحام الاموات الي ما كانت عليه فتلدن فيزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون
 في الدين الي الدنيا والآيات **ولا تتولوا الجرمين** يعني ولا تعرضون عن قبول قولي ونصيحتي
 حال كونكم مشركين **قالوا يا هو دما جيتنا ببينة** اي برهان وحجة واضحة على ما تقول
وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك يعني وما نترك عبادة الهتنا لاجل قولك **وما نحن لك بمؤمنين** يعني
 بمصدقين **ان نقول الا اعتراكم بعض الهتنا بسوء** يعني يا هود انك لست تتعاطا متعاطاة
 من مخالفتنا بسبب الهتنا الا ان بعض الهتنا اصابك بخيل وجنون لانك سميتهم فاستقم امك بذلك
 ولا تحمل امرا الا على هذا قال يعني قال هود مجيبا لهم **اني استشهد الله** يعني علي نفسي **واشهدوا** يعني
 واشهدوا انتم علي ايضا **اني بري ما تشركون من دونه** يعني هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها **فليدعوا**

انت

لدي

جميعا يعني اخا لوائي كيدي وصري انتم واصنامكم التي تعتقدون انها تقدر وتنتفع فانها لا تقدر ولا تنتفع
من لا تنظرون يعني من لا تهملون وهذا فيه معجزة عظيمة لهُود عليه السلام وذلك انه كان وحيدا
في قومه وقال لهم هذه المقالة ولم تصبر ولم تحفظ عنهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الا لثقتهم
بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله **اني توكلت على الله ربي وربكم** يعني انه فوض امره الى الله
واعتمد عليه **ما من دابة** يعني تدب على وجه الارض ويدخل في هذا جميع بني آدم والحيوان لانهم يدبون
على الارض **الا هو اخذ بناصيتنا** يعني انه تعالى هو مالكها والقادر عليها ويقررها لان من اخذت
بناصيته فقد هزمته والناصية مقدار الراس وسمى الشعر الذي عليه ناصية المجاورة قبل الناصية
الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامهم فاذا وصفوا انسانا بالذكاء لمع غيره فيقولون
ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا اسروا اسيرا وارادوا الطلاقة جزا وناصيته ليمنوا عليه ويعتدوا
بذلك فخرا عليه فخاطبهم الله بما يعرفون من كلامهم **ان ربي على صراط مستقيم** يعني ان ربي وان كان
قادرا وانتم في قبضته كالعبد الذليل فانه سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف
والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بعصيانهم وقيل معناه ان دين ربي هو الصراط المستقيم
وقيل فيه انصار تقديره ان ربي محكم على صراط مستقيم **فان تولوا** يعني تتولوا يعني تعرضوا عن
الايمان بما ارسلت به اليكم **فقد ابلستم** ابلستم يعني اعمى لكم ابصاركم **فان تولوا** يعني تتولوا يعني تتصرف في تبليغ
ما ارسلت به اليكم انما التقصير منكم في قبول ذلك **ويستخلف ربي قوما غيركم** يعني انكم
ان اعرضتم عن الايمان وقبول ما ارسلت به اليكم يهلككم الله وليستبدل بكم قوما غيركم ليطوع منكم
يوحدونه ويعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستبصار وهو عيب وقد يد **ولا تضربوه شيئا**
يعني يتوليتكم انما تضربون انفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيئا اذا اهلككم لان وجودكم
وعدمكم عنده سواء **ان ربي على كل شيء حفيظ** يعني انه تعالى حافظ لكل شيء فيحفظني من ان
تتالوني بسوء قوله تعالى **ولما احكامنا** يعني باهلاككم وعذابهم **فجاءهم هودا والذين امنوا معه**
وكانوا الاربعة الاف **برحمة منا** وذلك ان العذاب اذا ارسل قد يعذب المؤمن والكافر فلما اخذ الله المؤمنين
من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه **وجاءهم من عذاب غليظ** يعني الرجز الذي اهلك
بها عاد وذلك ان الله تعالى ارسل على عاد رجلا شديدا سبع ليال وثمانية ايام حسوما وهي الايام
الخصات فاهلكهم جميعا واخذ الله المؤمنين فلم يضرهم شيئا وقيل للرادبا العذاب الغليظ هو عذاب
الآخرة وهذا هو الصحيح لخصم العزق بين العذابين والنجاة انه تعالى كما اخاهم من عذاب الدنيا كذلك
يخيم من عذاب الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظا لانه اعظم من عذاب الدنيا **وتلك عاد**
جحدوا بايات ربه وعصوا رسله لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب امته محمد صلى الله عليه وسلم
فقال **وتلك عاد رده الى القبيلة** وفيه اشارة الى قبورهم وانارهم كانه قال سيروا في الارض
فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم بقوله **وحدها ايات ربه** يعني المعجزات التي اتي
بها هود عليه السلام وعصوا رسله يعني هودا وحدها وانما اتي به بلغظ الجمع اما للتقدير
اولا من كذب برسول فقد كذب بكل الرسل **واتبعوا امر كل جاهار غبيط** يعني ان السفلة
منهم اتبعوا الروسا والمراد من الجاهل الرقيق في نفسه المتمرد على الله والعبد المعاند الذي
لا يقبل الحق ولا يتبعه **واتبعوا في هذه الدنيا لعنة** يعني اردفوا لعنة تحقهم وتتم معهم اللعنة

والله

والطرد والابعاد من رحمة الله **ويوم القيامة** يعني وفي يوم القيامة ايضا تنبهم اللعنة كما
تنبهم في الدنيا ثم ذكر السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال تعالى **الا ان عاد الكفر والاعمال**
كفر وايضا **الاعمال** يعني هلاكهم وقيل بعد اذن الرحمة فان قلت اللعنة معناها الابعاد
والهلاك فما الغاية في قوله **الا بعد العاد** لان الثاني هو الاول بقوله بعينه قلت الغاية فيه ان
الكر بعبارةين مختلفتين يدل على نهاية التاكيد وانهم كانوا مستحقين له يوم هود عطف بيان لعاد
فان قلت هذا البيان حاصل مع هود فما الغاية في قوله يوم هود قلت ان عاد كانوا قبيلتين عاد
الاولى القديمة التي هم قوم هود وعاد الثانية التي هي ادم ذات العاد وهم العالمين فاني بقوله يوم هود
ليزول الاشتباه وجواب اخر وهو ان المبالغة في التخصيص تدل على تقوية التاكيد قوله عز
وجل **والى ثود اخاهم صالحا** اي وارسلنا الى ثود وهم سكان الحجر اخاهم صالحا يعني في النسب
لا في الدين **قال يا قوم اعبدوا الله** اي وحدوا الله وخضوه بالعبادة **ما لكم من اله غيري** يعني هو الهكم
المستحق للعبادة لا هذه الاصنام ثم ذكر الدلائل على وحدانيته وكلال قدرته فقال **هو انشا لكم**
الارض يعني انه هو ابتداء خلقكم من الارض وذلك انهم من بني ادم وادم خلق من الارض **واستعملكم**
فيها يعني وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك اطال اعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش
ثلاثمائة سنة الى الف سنة وكذلك كان ثود عاد وقال مجاهد اكرم من العري جعلها لكم ما عشتهم
فاستغفروهم يعني من ذنوبكم **فقرئوا الله** يعني من الشكر **ان ربي قريب** يعني من المؤمنين
محب لدعائهم **قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا** يعني قبل هذا القول الذي جئت
به والمعني انا كنا نرجوا ان تكون فينا سيديا لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويعني فقيرهم
وقيل معناه كما نطعم ان تعود الى ديننا فلما اظهر دعاءهم الى الله وعاب الاصنام انقطع رجاءهم منه
انتم انان تعبدوا بعد ان اعلموا بالالهة **وانتالي في شك ما تدعون اليه** يعني من عبادة الله **مريب**
يعني انا مرتابين في قولك من ارايه اذا اوقفه في الرية وهي قاق النفس ووقوعها في الرية
والثمة قال يعني صالح يحيا لقومه **يا قوم ارايت ان كنت على بينة من ربي وبهان واناني منه**
يعني ثبوتة وحكمة **فمن ينصر في الله** اي فمن يصغي من عذاب الله **ان عصيته** يعني
ان خالفت امره **فما تزيده وتني غير تحسير** قال ابن عباس معناه غير مضارة في خسارتكم وقال
الحسين بن الفضل لم يكن صالح في حنارة حتى يقول فما تزيده وتني غير تحسير وانما المعني فما تزيده
غير تحسير بما يقولون الانسبي اياكم الى الحنارة **ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية** وذلك ان قومه
طلبوا منه ان يخرج لهم ناقة من حنارة كانت هناك اشاروا اليها فدعا الله عز وجل فخرج لهم من تلك
الحنارة ناقة عشرين ولدت فصيلا يشبهها وقوله **ها ناقة الله** اضافة تشريف كسيت الله وعبد
فكانت هذه الناقة لهواية ومعجزة دالة على صدق صالح عليه السلام **فذروها** يعني من
العشب والنبات في ارض الله يعني فليس عليكم موتها **ولكن تسوها** يعني يعفروا عنها **فاحذر**
يعني ان تقتلوهما **عذاب قريب** يعني في الدنيا **فغفروها** يعني فغفروا امرهم فغفروها
فقال يعني فقال لهم صالح **تمنعوا** يعني عيثوا في داركم اي في بلدكم **ثلاثة ايام** يعني
تمتعوا بكونكم في العذاب الذي وعدكم به بعد ثلاثة ايام **وعذبتهم** اي هو غير
كذب روي انه قال لهم يا ايكم العذاب بعد ثلاثة ايام تصبحون في اليوم الاول وجوهكم صفراء

رديم

وفي اليوم الثاني محرق وفي اليوم الثالث مسودة فكان كما قال وانهم العذاب في اليوم الرابع وهو قوله
تعالى **فلما جاء امرنا يعني بالعذاب عجبنا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا** اي بنعمة من ان
هديتهم الى الايمان فامتنوا **ومن خزي يومئذ** يعني وعجبناهم من عذاب يومئذ سمي خزيا لان فيه خزي
النفار **ان ربك** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان ربك يا محمد **القصوي** يعني هو القادر على انجا
المؤمنين واهلاك الكفار **هو القصوي** يعني القاهر الذي لا يقبله شيء ثم اخبر عن عذاب يومئذ صالح فقال
تعالى **واخذ الذين ظلموا** يعني انفسهم بالكفر **الصيحة** وذلك ان جبريل صاح بهم صيحة واحدة
فهللوا جميعا وقيل انهم صيحة من السما فيها صوت كل صاعقه وصوت كل شيء في الارض فقطعت
قاومهم في صدورهم ثم اتوا جميعا **فاصبحوا في ديارهم جاثرين** يعني صرعا هلكا **كان لم يقفوا** اي
كان لم يقفوا في تلك الديار ولم يسكنوها مرة من الدهر يقفوا غثيت بالمكان اذا اقيمت به **الان تقولوا**
كفر وارهم الا بعد التوراة وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة في تفسير سورة الاعراف قوله عز وجل
ولقد جاء رسلنا ابراهيم واراد بالرسالة الملائكة واختلجوا في عذبه فقال ابن عباس وعطاء كانوا
ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثني عشر ملكا وقال
محمد بن كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة املاك وقال السدي كانوا احدي عشر ملكا على صورة
الغلمان الحسن الوجوه وقول ابن عباس هو الاول لان اقل للبع ثلاثة وقوله رسلنا جمع جبريل على
الاقول وما بعد غير مقطوع به بالبشري يعني بالبقية باسحق ويعقوب وقيل باهلاك قوم لوط
قالوا اسلاما يعني ان الملائكة سلموا اسلاما **قال** يعني ابراهيم **سلام** اي عليكم **فالت ان جبريل**
يعني مشوي والخود هو المشوي على الحجارة المحماة في حفرة من الارض وهو من فعل اهل اليد
وكان سمينا سيل منه الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام القبر وقيل ملك ابراهيم
خمس عشرة ليلة لم يات به ضيف فاعتم لذلك وكان يحب الضيف ولا ياكل الا بعد فلما جاءه الملائكة
راي اضيا فالم ير مثلهم قط فنجل قراهم وجاهم بجلسين مشوي **فلما راي ايدهم** يعني ايدي
الاضيا **فانقل اليه** يعني الى الجبل المشوي **نكرهم** يعني انكرهم وانكر طهر وانما انكر طهرهم لقتلهم
من الطعام **واوجس منهم خيفة** يعني ووقع في قلبه خوفا منهم والوجس هو رعب القلب وانما
خاف ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم لانه كان يترد ناجية من الناس فخاف ان يتردوا به مكرها لانه
من طعامهم ولم يعرف انهم ملائكة وقيل ان ابراهيم عرف انهم ملائكة وانما خاف ان يكونوا اولوا عذاب
قومه فخاف من ذلك والاقرب ان ابراهيم عليه السلام لم يعرف انهم ملائكة في اول الامر ويدل
على صحة هذا انه عليه السلام قدم اليهم الطعام ولو عرف انهم ملائكة ما قدمه اليهم لعله ان
الملائكة لا ياكلون ولا يشربون ولا يلهوون ولا يلهوون ولا يلهوون ولا يلهوون ولا يلهوون ولا يلهوون
خوف ابراهيم عليه السلام **قالوا لا تخف يا ابراهيم** انا ملائكة الله **ارسلنا الى قوم لوط وامرنا**
يعني سارة زوجة ابراهيم وهي بنت هرون بن ناحور وهي ابنة عم ابراهيم **قائمة** يعني من وراء
الستر متع كلامهم وقيل كانت قائمة في خدمة الرسل وابراهيم جالس معهم **فصاحت** اصل الصياح
انسياط الوجس سرور وحصل للنفس والظهور الانسان عنده سمي مقدمات الانسان الضواك
وتستعمل في السرور والمجد وفي التعجب والمجد ايضا ثم اختلف **العلماني** تفسير هذا الضحك
قوله ان احدها انه الضحك المعروف وعليه اكثر المفسرين ثم اختلفوا في سبب هذا الضحك فقال

هو
العزيم

بالشري

السدي

السدي لما قرب ابراهيم الطعام الى ضيفه فلم ياكلوا خاف ابراهيم منهم فقال الا تاكلون فقالوا اننا ناكل
طعاما الا نحن قال فان له شئنا قالوا او ما شئنا قال تذكر ان اسم الله على اوله وتجدونه على اخوه فقطر
الي جبريل الى ميكائيل وقال وحق لهذا ان يتخذ ربه خليا فلما راي ابراهيم وسارة ايدهم لا تقبل
اليه ضحك سارة وقالت يا عجبا لاضيا فاختد بهم باغضبنا تكملة طهر وهول ياكلون طعامنا
وقال قتادة ضحك من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكافي ضحك من خوف
ابراهيم من ثلاثة وهو فيها بين خدمه وحسنه وخواصه وقيل ضحك من رواد الخوف عنها وعن
ابراهيم وذلك انها خافت لخوفه حين قالوا لا تخف ضحك سرورا وقيل ضحك سرورا لبشارة
وقال ابن عباس ووهب ضحك تقيما من ان يكون لها ولد على كبر سن وسرورها فلما فعل هذا
النور يكون في الالة تقديرا وتاخير انقذها فبشرناها بما بحق فضحك يعني تقيما من ذلك وقيل
انها قالت لابراهيم اضم اليك ابن اخيك لوطا فان العذاب نازل بقومه فلما جاءت الرسل
وبشرت بعد انهم سرت سارة بذلك وضحك لموافقهم ما ظنت القول الثاني في معنى قوله
ضحك قال عكرمة ومجاهد ايجاضت في الوقت وانكر بعض اهل اللغة ذلك قال الراغب
وقوله من قال احضت فليس ذلك تفسير القول فضحك كما قصوره بعض المفسرين فقال ضحك
معنى حاضت وانما ذكر ذلك تقصيصا حالها فان جعل ذلك اشارة لما بشرت به فخاضت في الوقت
لتعلم ان حملها ليس بمنكر اذا كانت المرأة ناديت تخيض فانها تحمل وقال الفراء ضحك بمعنى حاضت
لم تسع من ثقة وقال الزجاج ليس بشي ضحك بمعنى حاضت قال ابن الانباري قد انكر الفراء ابو
ان يكون ضحك بمعنى حاضت وقد عرفت غيرهم وانشد
فتحك الضبع لقتلي هذيل وتري الذيب بها يستهبل
قال اراد انها تخيض فركب وقال الليث في هذه الالة فضحك اي طشت وحكي الازهري عن بعضهم
في قوله فضحك اي حاضت قال ويقال اصله من ضحأ الطلعة اذا انشقت قال وقال الاخطل
فيه معنى الحيف فضحك الضبع من دما سليم اذا راها على الحراب تون
وقال في الحكم فضحك المرأة حاضت وبه فسر بعضهم قوله تعالى فضحك فبشرناها بما بحاف
وضحك الاربع ضحكا حاضت قال وضحك الاربع فوق الصفا كثر دم الخوف يوم القيا
يعني الحيف فيما زعم بعضهم واجاب عن هذا من ان انكره ان يكون الضحك بمعنى الحيف قال ابن
دريد يقول من شاهد الضبع عند حيضها فيعلم انها تخيض وانما اراد الشاعر انها تكثر كل اللحم
وهذا سمونه لانه جعل كثرها ضحكا وقيل لانه استبشر بالقتل اذا اكلتهم فبشر بعض
على بعض فجعل هذيل ضحكا وقيل لانه استبشر بالقتل اذا اكلتهم فبشر بعض
اصح في معنى الضحك قلت ان الله عز وجل حكى عن انا ضحك وكلي القولين محتلم في معنى الضحك
فانه اعلم اي ذلك كان وقوله تعالى فبشرناها بما بحق ومن وراء الحق يعقوب يعني من
بعد اسحق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بانها تعقش حتى تزي ولد لها فلما بشرت
بالولد ضكت وجهها اي مزيت وجهها وهو من مبيع النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تقيما
قالت يا ويلتي ندانبة واصلا يا ويلتاه وهي كلمة يستعملها الانسان عند روية ما ينج منه
مثلا عجا **وقتها بعلي** وكانت بنت تسعين سنة في قول ابن اسحق وقال مجاهد كانت بنت تسع
الدونان عجم

وتسعين سنة وهذا يعني زوجي والبعث هو المستعجل على غيره ولما كان ربيع المرأة مستعجلا
قائما بها هوها سمي بعلابك **سبحا** وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين سنة في قوله
ابراهيم وقال لهما هداية سنة وكان بين البشارة والولادة سنة **ان هذا النبي عجب** لكونه قدوة
الله تعالى واما نتيجته من كون النبي الكبير والحيوي والكبيرة بولد لها **ان هذا النبي عجب** قالت الملائكة لبشارة
انجبين من امر الله معناه انجبين من ذلك فان الله تعالى قادر على كل شيء فاذا اراد شيئا كان
سريعا **رحمة الله وبركاته عليه السلام** يعني بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء من
الملائكة لهدى الجبر والبركة وفيه دليل على ان ارجل الرجل من اهل بيته **انه عبيد** يعني هو الجود
الذي يهدي افعاله كلها وهو المستحق لان محمد في السرا والضر والشفعة والرضا وهو محمدا على كل حال
عبيد ومعناه النبي الذي لا يرام وقال الخطابي المجيد الواسع الكريم واصل الحمد في كلامه السعة
يقال لرجل ما جدد اكان شيخا كبيرا واسع العطاء وقيل الما جدد هو ذو الشرف والكرم قوله تعالى
ولما ذهب عن ابراهيم الروح يعني الفزع والخوف الذي حصل له عند امتناع الرسل من الاكل
وجاءه البشري يعني رايه الخوف بسبب البشري التي كانت به وهي البشارة بالولد **عاجلا** فيه
اشاره تقديرا من اخذ بجاد لنا وجعلنا لنا قتيلا معناه يكلمنا ويسا لنا **في قوم لوط** لان العبد
لا يقدر ان يجادل ربه وقال الجمهور المفسرين معناه جادل رسلنا في قوم لوط وكانت محادثة ابراهيم
مع الملائكة انه قال لهما ارايت لو كان في يدي ابراهيم قوم لوط احمسون رجلا من المؤمنين لقتلوه نعم قالوا لا
قال فاربعون قالوا لا قال ثلاثون قال لا قال اثنان قال لا قال واحد قال لا ارايت لو كان في يدي
رجل واحد مسلم لقتلوه نعم قالوا لا قال ابراهيم فان فيها لوطا قالوا نعم اعلم من فيها لنبيها واهله الامانة
كانت من الغابرين وقيل انما طلب ابراهيم تاخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنوا او يرجعوا عما هم فيه
من الكفر والمعاصي قال ابن جرير وكان في قوم لوط اربعة الاف **ان ابراهيم عليه السلام**
سبح تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت الملائكة يا ابراهيم يا ابراهيم **عرض عن هذا**
يعني اعرض عن هذا المعاد واترك هذا **انه قد جاء امر ربك** يعني ان ربك قد امر حكم
بعذابهم هو نارهم وهو قوله **انهم ايتهم عذاب غير مردود** يعني ان العذاب الذي تراد بهم غير
مصرف ولا مدفع عنهم قوله عز وجل **ولما جات رسلنا لوطا** يعني هاتوا الملائكة الذين
كانوا عند ابراهيم وكانوا على صور علمان مردحان الوجوه **سبح** يعني حزن لوط نجيم اليه وساطفه
يقومهم **وصاق لهم ذراعا** قال الاذهري الذراع بوضع موضع الطاقة والاصل فيه ان البعير
يذرع بيده في سيره ذراعا على قدر سعة خطوه كما اذا حمل عليه اكثر من طوقه صاف ذراعه عن ذلك
وضعت ومدعته فجعل صفيق الذراع عبارة عن صفيق الوسخ والطاقة تضعني قوله صاق بهم
ذراعا اذا لم يجد من المكروه في ذلك الامر مخلصا ذراعا غيره معنى صاق بهم قلبا وصدره ولا يعرف
اصله الا ان يقال ان الذراع كناية عن الوسخ والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنيون ليس
هذا في وسعي لان الذراع من اليد ويضاف فلانا ذراعا بلدا اذا وقع في مكروه ولا يطيق
للزج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم وطيب روائحهم اشتق عليهم
من قومه وخاف ان يقصدوه ويؤذيهم فافاحشه وعلم انه سيجتاح الى المداقة عنهم **وقال**
يعني لوط **هذا يوم عصيب** اي شديد كانه قد عصب به الشر والبلا اي شديد ما حوز من الضامة

البيت

قوي

الى

التي يشدها الراس قال قتادة والسدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم خوفا لوط فانوا لوطا نصف
المنار وهو لوط في ارض له وقيل انه كان خطب وقد قال الله للملائكة لا تقتلوهم حتى يشهد عليهم
لوطا اربع شهادات فاستضا قومه فاطلقهم فلما انتهى ساعة قال لوطا ما بانكم امر هذه القوم **وقالوا**
امرهم قال اشهد بالله انهم الشرف في الارض على ان يقول ذلك اربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا
منزله وقيل انه لما حمل الخطب ومعه الملائكة من على جماعة من قومه فتعاضوا وفيما بينهم فقال
لوط ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة فمضى على جماعة اخرى فتعاضوا فقال
سلكه من على جماعة اخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ما قال اولاه حتى قال ذلك اربع مرات
وكما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا وقيل ان الملائكة تجاوا الى بيت لوط فوجدوا
في داره فدخلوا عليه ولم يعلم احد نجيمهم الا اهل بيت لوط فخرجوا لمراته الخبيثة فاحترق قوما
وقالت ان في بيت لوط رجلا ما ريت مثل وجوههم فقطوا احسن منهم **فجاءه قومه يسرعون اليه**
قال ابن عباس وقاتل يسرعون وقال لوط لهما هداية سنة وقال الحسن الاشباه هراع هومي
بين مشيين وقال سمرهويين الهرولة والجهر **من قبل** يعني ومن قبل مجي الرسل اليهم وقيل
ومن قبل نجيمهم الى لوط **كانوا يعلمون السات** يعني الغلات الخبيثة والفاخشة القبيحة وهي
ايات الرجال في ادمارهم **ل** يعني قال لوط لقومه حين قضاوا اضيافه وظنوا انهم علمان
من بني ادم **يا قوم هو لا ياتي** يعني انوا جملوا ياهن وفي اضيافه سبانه قيل انه كان في ذلك
الوقت وفي تلك الشريعة مباحا تزويج المرأة المسلمة بالكافر وقال الحسن بن الفضل عرض ساته
عليهم بشرط الاسلام وقال الجاهل وسعيد بن جبير اراد بينانه ساقومه واذا فهم الى نفسه ان
كل بني هوا بواسته وكالوالدهم وهذا القول هو الصحيح واسبه بالصواب ان شاء الله تعالى والدليل
عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين وليسا بكا فيتين للجماعة وليس من المروءة ان يعرض الرجل بناته
على اعداءه ليزوجهن اياهم فكيف يليق ذلك لمنصب الانبيا ان يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل
انما قال ذلك لوط على سبيل الدعوى لقومه لا على سبيل التحقيق وفي قوله **من لوطا** سواد
وهو ان يقال قوله من لوطا من باب التفضيل فيقتضي ان يكون الذي يطلبونه من الرجال
ظاهروا ومعلوم انه محرم فاسد لجنس لا طهارة فيه البتة فليت قال من لوطا من لوطا والجواب عن هذا
السؤال ان هذا جار مجري قوله تعالى اذ لك خير منزلا ام شجرة الزقوم ومعلوم ان شجرة الزقوم
لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يا ابراهيم ابعثنا لوطا لعلنا نعلمه قال الله ابعثنا لوطا لعلنا نعلمه
الله عز وجل والصنم وانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة **وقوله فانقوا الله**
يعني طهروا وراقبوه واتركوا ما اثم عليه من الكفر والعصيان **والنحر وفي ضيبي** يعني ولا
تسوقوا في اضيافنا ولا تتخفوني معهم **ليس منكم رجل رشيد** اي صالح شديدا قويا قال
عكرمة رجل يقول لا اله الا الله وقال محمد بن اسحق رجل يامر بالمعروف وينهي عن المنكر حتى ينهي عن
هذا الفعل القبيح **قالوا قد علمت ما لنا فيك من نكر** يعني ليس لنا من حاجة ولا لنا من شدة وقيل
معناه ليس لنا بارواح ولا مستحقين نكاح من وقيل معناه ما لنا في نكاح من حاجة لانك
دعوتنا الى نكاح من بشرط الايمان ولا تزيد ذلك **وانك لتعلمنا نريد** يعني من اياتنا الرجال
في ادمارهم فعند ذلك **قال** لوط عليه السلام **لو اني لى بكر قومه** اي لو اني اقدر ان اتقوي عليكم

اولا في ذكر شديد يعني او انتم الي عشرة ينعوني منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة
لنا نلتكم او لو وجدت عشرة لا تقمتم اليها قال ابو هريرة ما بعث الله نبيا الا في خمسة من عشرة
ق من ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان ياتي الي ركن شديد ولو لبثت
في السجن مائة سنة لم يبعث الله نبي الا في خمسة من عشرة يعني النبي الذي بعث الله لوطا لوطا عليه السلام
بارك الله عليه هو الله عز وجل فانه لشدة الاركان واقواها واشنعها ومعني الحديث ان لوطا عليه السلام
لما خاف على اصابته ولم يكن له عشيرة ينتقم من الظالمين صاف ذريته واشتد حزنه عليهم فطلب
ذلك عليه فقال في تلك الحال لوان في كنفه في الدفء نفسي او ابي في عشيرة تمنح لمنعتكم قصد
لوط اطهارا والحدود غلظت اصابته وانه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعني ياتي بالحديث فيمن
يتعلق يوسف عليه السلام ياتي في موضعه من سورة يوسف عليه السلام ان شأ الله قال
ابن عباس واهل التفسير غلق لوط بابا والملائكة معه في الدار وجعلنا ظروقه وبناتهن
من وراء الباب وقومه يعالجون سور الحبار فلما رأت الملائكة ما يلقي لوط بسبهم **قالوا يا لوط**
ركبك شديد اننا نراك لم يصل اليك يعني مكروه فافتح الباب ودعنا ويا هو ففتح الباب
فذهوا فاشا ذن جبريل عليه السلام ربه وجعل في عقوبتهم قادن له فقول في صورته التي يكون
فيها ونشر حاحيه وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الشيا اجملي الجبين وراسه حكمة مثل
الرجان كانه كالثلج بيضا وقدماه الي الحضرة مضرب بخاحه وجوههم فطس اعينهم واعماهم
فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يفتدون الي بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة
في بيت لوط اسحق قوم في الارض قد سحرنا وجعلوا يقولون يا لوط كما انت حتى نصبح وسنري ما نرى
منا غدا يوعدونه بذلك **فاسر يا هلك** يعني يبيتك **نقطع من الليل** قال ابن عباس بطبيعة
من الليل وقال الضحاك بغيته من الليل وقال قتادة بعد مضي اوله وقيل انه السحر الاول **ولا**
يلتفت منكم احد يعني ولا يلتفت منكم احد الي درايه ولا ينظر للجمع **الامر انك** فانما
من الملتفات فتملك مع من هلك من قومه وهو قوله **ان مصيبا ما احب اليهم** يعني لوطية
يكون هذا العذاب قالوا **ان موعدهم الصبح** قال انه بعيد اريد اسرع من ذلك فقالوا
الليل الصبح بقرين فلما خرج لوط من قريته واحدا هلك معه وامرهم ان لا يلتفت منهم احد
فتبوا وسمعه الامراته فانما لما سمعت هذا العذاب وهو ان لا يلتفت منهم احد وصاحت واقوامها
فاخذتها حجارة فاهلكها معهم **فلما امرنا** يعني امرنا بالعذاب **جعلنا عالمنا** وذلك
ان جبريل عليه السلام ادخل خاخه تحت قري قوم لوط وهي جنس مدائن الكبرها سدوم وهي الموتكات
المذكورة في سورة براء ويقال كان فيها اربعة الف وقليل اربعة الف فرغ جبريل المدائن
كلها حتى سمع اهل السما صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفاهم انا ولم يتنبه نايبر ثم قلبا فجعل
عليها ساقها **وامطرنا عليها** يعني على شدة ادها ومن كان خارج عنها من مسافرها وقيل بعد ما قلبها
امطرنا عليهم **حجارة من جبريل** قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه سنك وكل فارسي معرب
لان العرب اذا تكلمت بشي من الفارسي صار لغة للعرب ولا يضاف الي الفارسي مثل قولهم استبر
وسندس ونحو ذلك فكل هذه الفاظ فارسية تكلم بها العرب واستعملتها في الفاظهم فصار
عربية وقال قتادة وعكرمة الجليلين دليلا قوله في موضع اخر حجارة من طين وقال الجاهل

اولها حجر

اولها حجر واخرها طين وقال الحسن كانت اصل الحجارة طينا فشددت وقال الضحاك يعني الحجر وقيل
يجعل اسمها الدنيا وقيل هو جبل في سما الدنيا **بنفوذ** قال ابن عباس متتابع يتبع بعضها بعضا مع
من النفوذ وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض **سومة عند ربك** صفة الحجارة يعني معلمة قال ابن
جبريل عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حمراء هيمة الخزع وقال
الحسن والسدي كانت محتومة عليها امثال الخواتيم وقيل كان مكتوبا على كل حجر اسم صاحبه الذي
يرى بها **وما هي** يعني تلك الحجارة **من الظالمين** يعني مشركي مكة **يسعبد** قال قتادة وعكرمة
يعني ظالمي هذه الامة والله ما اجار الله منها طالما بعث وفي بعض الآثار ما من ظالم الا وهو يعرض عليه حجر
يسقط عليه ساعة الي ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شدة قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم
فبقى الحجر معلقا في السما اربعين يوما حتى خرج ذلك الحجر الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فاهلكه قوله
عز وجل **والي مدائن** اي وارسلنا الي مدائن **اخاهم شعيبا** ومدائن اسم لابن ابراهيم الخليل عليه السلام
فرضنا راسا للقبيلة من اولاده وقيل هم اسم مدينة بناها مدائن بن ابراهيم فعيل هذا يكون التقدير
وارسلنا الي اهل مدائن فحدث للمضائق دلالة الكلام عليه **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره**
يعني وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره وهذا كان عادة الانبياء عليهم السلام يداون بالام فالكلام
ولما كانت الدعوة الي توحيد الله وعبادته ام الاشيا فلهذا قال شعيب اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره ثم بعد الدعوة الي التوحيد شرع فيها هروفيه ولما كان المعتاد من اهل مدائن البص في
الكيل والوزن دعاهم الي ترك هذه العادة القبيحة وهي تظنيف الكيل والوزن فقال **ولا**
تقصوا المكيال والميزان والنقص في الكيل والوزن عيا وجهين احدهما ان يكون الاستقصا
من قلمهم فيكيلون ويوزنون للغير ناقضا والوجه الاخر وهو استيفاء الكيل والوزن في نفسه
وايداع حقهم فيكون نقصا في مال الغير وكلا الوجهين من مومر فلهذا اخافهم شعيب عن ذلك
بقوله ولا تقصوا المكيال والميزان **اي ار الوخير** قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال
بجاهد كانوا في حصب وسعة فحذرهم من ذلك النعمة وغلا السعر وحاول النعمة لان لهم
يتوبوا ويومنوا وهو قوله **واي اخاف عليهم عذاب يوم يحيط** يعني يحيط بكرمهم ملككم جميعا وهو
عذاب الاستيعمال في الدنيا او حذرهم عذاب الاحزة ومنه قوله وان جهنم لمحيطة بالكاثرين
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان اي اوفوا ولا تطففوا فيها **بالنسط** اي بالعدل وقيل يتقوم
لسان الميزان وتعديل المكيال **ولا تحسوا الناس** اي ولا تقصوا الناس **اشيا هي** يعني
اموالهم فان قلت قد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة اوجه لانه قال ولا تقصوا
المكيال والميزان ثم قال اوفوا المكيال والميزان وهذا غير الاول ثم قال ولا تحسوا الناس اشيا هي
وهذا عين ما تقدم فذا القايده في هذا التكرار قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل
القيح وهو تظنيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتج في المنع الي المبالغة في التاكيد
والتكرير بشدة الاهتمام والعناية بالتاكيد فلهذا كرر ذلك ليعوي الزجر والمنع من ذلك
العمل ولان قوله ولا تقصوا المكيال والميزان نهي عن التنصيص وقوله اوفوا المكيال والميزان
امرا بيقا العهد وهذا غير الاول ومغاير له ولقائل ان يقول النبي صدد الامر فالتكرار لزم على
هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قد جاور ان ينهي عن التنصيص ولا يوجب ايقا المكيال والوزن

من

فلم يجمع بينهما فهو كقولك صل رحلك ولا تقطعها فترى المبالغة في الأمر والنهي وإنما قوله ثانياً
الناس يشبهون فلينسبوا أيضاً له تعالى لما خصص النبي عن التقصير والبر بآيها الحق في الكيل والوزن
عم المحكم في جميع الأشياء التي تحببها الحق فيها فيدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فظهر
هذا البيان فائدة هذا التكرار والله اعلم وقوله **ولا تعشوا في الأمان** يعني يتقصرون
الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم **بقية الله خير لكم** قال ابن عباس يعني ما أبقى الله لكم من المال
بعد الكيل والوزن خير لكم ما تأخذونه بالتقصير وقال مجاهد بقية الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل
بقية الله يعني ما أبقى الله لكم من التواب في الآخرة خير لكم مما تحصل لكم في الدنيا من المال الحرام **ان كنتم**
مؤمنين يعني مصدقين بما قلت لكم وامر بكم به ونهيتكم عنه **وما أنا عليكم بحفيظ** يعني لحفظ أعمالكم
قال بعضهم إنما قال لهم شعيب ذلك لأنه لم يؤمر بقضاهم **قالوا يا شعيب اهلكنا من ربك**
ان تتركنا ما يعبد أبائنا يعني من الأصنام **وان نعلم في أموالنا ما نقاسم الزيادة**
والتقصان قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا قيل لهم كانوا يؤمنون به فيروونه
يصلي فيستترون به ويقولون هذه المقالة وقال الأعشى قرأتك لأن الصلاة تطلق على القدرة
والدعاء وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعني أدبك يا مكرم ان تترك ما يعبد أبائنا وان نعلم في أموالنا
ما نقاسم الزيادة لأنهم كانوا يتقصون الدرهم والدينار فكان شعيب ينهاهم عن ذلك ويخبرهم أنه يحرم عليهم
وأما ذكر الصلاة لأنها من أعظم شعائر الدين **انك لانت الحليم الرشيد** قال ابن عباس أرادوا
السفيه الغاوي لأن العرب قد تصف الشيء بصدقه فيقولون للذي بلغه وسلم للعقلاء المهلكة معفارة
وقيل هو على حقيقته وأما قوله لك على سبيل الاستهزاء والسخرية وقيل معناه انك لانت الحليم الرشيد
في زعمك وقيل هو على ما به في الصحة ومعناه يا شعيب فبما حليم رشيد فلا تجعلك شق عصي قومك
وتخالفتهم في دينهم **قال** يعني قال لهم شعيب **يا قوم ارايت ان كنت على بينة من ربي** يعني على مصبره
وهذا بينك وبينك **ورزقني منه رزقا حسنا** يعني حلالاً وقيل شعيب كان كثير الكلام الماد للثمة
وقيل الرزق الحسن ما آتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة وجواب أن وهي الشريعة
محذوف تقديره ارايت ان كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال والهداية والمعرفة والنبوة
فهل يسعني مع هذه النعم العظيمة ان لخون في وجهه وان خالف أمره أو اتبع الضلالة أو أخرج الناس
أشياءهم وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك أنهم قالوا له انك لانت الحليم الرشيد يعني
فكيف يليق بالحليم الرشيد ان خالف أمر ربه وله عليه نعم كثيرة وقوله **وما أريد ان أخالفكم**
إلى ما أكرهه قال صاحب الكشاف يقال خالف فلان إلى كذا إذا قصدت أنت موافقته وخالفته
عنه أو أوجبه عنه وانت قاصده ويلقأ الرجل صا د راعن الما فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني
إلى ما أريد أنه قد ذهب إليه وأراد وأنا ذاهب عنه صا د راعن منته وقوله **وما أريد ان**
أخالفكم إلى ما أكرهه يعني ان أسبقكم إلى شئ أو أنكر التي هيتم عنكم لا يستبد بها ويكره
قال الإمام فخر الدين الرازي وتحقيق الكلام فيه ان القوم اعترضوا بأنه حليم رشيد وذلك بدله
على قال النفل وكان العقل محل صا حبه على اختيار الطريق الأصوب المصلح فكانه عليه السلام
قال لما اعترضتم بكرا عيلاً فاعلموا ان الذي اخترته لنفسه هو أصوب الطريق وأصلها وهو الدعوى
إلى توحيد الله وترك البخر والنقصان فاعلموا أن ما نواظب عليها يعني نازلها فاعلموا ان هذه الطريقة

خير الطرق

خير الطرق واشترها لئلا ما أتم عليه وقال الزجاج معناه اني لست انك من شئ وأدخل فيه وإنما اختار
لكم ما اختار لنفسه وقال ابن الأنباري بين ان الذي يدعوهم إليه من اتباع طاعة الله وترك البخر
والتقصير وهو ما يرضيه لنفسه ولا ينطوي الا عليه فكان هذا محض النصيحة **له ان يريد** يعني
بما يريد فيها المكره والها كرهه **الا الاصلاح** يعني فيما بيني وبينكم **استطعت**
يعني ما استطعت الاصلاح وهو الابداع والانداز فقط وله استطاعت اجازة على الطاعة لأن ذلك
إلى الله فانه تهدي من يشاء ويضل من يشاء **وما توفيقي الا بالله** التوفيق لتيسير سبل الخير والطاعة
على العبد ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى لذلك قالوا وما توفيقي الا بالله **عليه توكلت** يعني على الله
اعتدت في جميع اموري **والله انيب** يعني واليه ارجع فيما ينزل من الواي وقيل اليه ارجع في معادي
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر شعبياً قال ذا الخطيب الاشيا الحسن مراجعته قوله
وقوله تعالى **ويا قوم لا تحزنكم شئ في اي لا عملكم خلا في وعداوتي ان يصيبكم** يعني عذاب
العاجلة على كفركم وانما لكم الحبيشة **مثلنا اصاب قوم نوح** يعني الغرق **او قوم هود** يعني الرمح
التي اهلكتم **او قوم صالح** يعني ما اصابهم من الصيحة حيث هلكوا جميعاً **وما قوم لوط** يعني قوم لوط
انهم كانوا حديثي عهد بصلاتهم وقيل معناه وما ديار قوم لوط منهم بعيد وذلك أنهم كانوا جيران
قوم لوط وبلا دهر قريبة من بلادهم **ويا قوم استغفروا لكم** يعني من عبادة الأصنام **فترقبوا اليه**
يعني من البخر والنقصان في الكيل والوزن **ان ربي رحيم** يعني بعباده اذا تابوا واستغفروا
ودود قال ابن عباس الودود المحبين دعاه لعباده المؤمنين فمؤمن قومه وودود الرجل اوده اذا
احبته وقيل يحتل ان يكون ودود فعول بمعنى معول معناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه
لثمة افضا له واحسانه اليهم وقال الحارثي قد قيل هو الواو له طاعته اي الراضي عنهم بما عملهم
والمحسن اليهم لا جلا والملاحج لهم بها وقال ابو سليمان الخطابي وكان معناه ان يودهم الى خلفه
قالوا يا شعيب ما نفقتك كثير انا نقول يعني ما نفتم ما ندعونا اليه وذلك ان الله ختم على قلوبهم
فصارت لا تقي ولا نفهم ما ينفعها وان كانوا في الظاهر يسمعون ويفهمون **وانزالناكم في اصغياء** قال ابن
عباس وقادة كانوا في الزجاج ويقال ان جبريل يسمون المكفوف ضعيفاً وقال الحسن وابورق
ومقاتل يعني ذليلاً قال ابورق ان الله لم يبعث نبياً الا في ربيانية ريانة وقيل كان ضعيف البصر
وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذي يتعدى عليه المنع عن نفسه ويدل
على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله **ولو لا رهطك** يعني جماعتك وعشيرتك وقيل الرهط
ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى سبعة **لوخناك** اي لقتلناك بالحجارة والرمح بالحجارة اسوء
القتلات واشرها وقيل معناه لثمتناك واغلظنا لك القول **وما انت علينا بعون** يعني بكريم
وقيل يمتنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله انهم بينوا شعيب عليه السلام انه لا قوة
له عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسموه الكلام الغليظ الفاحش
لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وملتزم ولما قالوا لشعيب عليه
السلام هذه المقالة لجأهم بقوله **قال يا قوم اوهيتم علىكم** يعني اهيبت عندكم **من الله**
وامنع حيث تركتم قتلي لكان رهطاً عنده كما قالوا ولي التحفظوني في الله ولاجل الله لا رهي في الله
اعز واعظم **واخذتموه وراكم ظميرتيا** يعني وبذمتم امر الله وراخوكم وركم تركتموه كالنبي الملقب

الذي لا يلتفت اليه ان **يحيى** تعاون **حيط** يعني انه عالم باحوالكم جميعا لا يخفى عليه منها شيء فيجازيكم بها
يوم القيامة **ويا قوم اعلموا اني انما نزلتكم من عندكم** يعني على قلوبكم وتلككم من عندكم وقيل المكانة الطاهرة والمعنى
اعلموا ان كونهم موصوفين بقافية المكنة والقدرية من الشر **اني انما نزلتكم** يعني ما اقدر عليه من الطاعة
والخير وهذا الامر في قوله اعلموا فيه وعيد وحقد عظيم ويدل على ذلك قوله سوف تقولون يعني اينا
الجاتي على نفسه المحل في فعله فان قلنا **اي فرق بين ادخال الفاعل في قوله سوف**
تقولون وصل في تقديره بالاستنباط الذي هو جواب لسؤال المقدر كانهم قالوا فما يكون اذا علمنا نحن
على مكانتنا وعلمت انت فقال سوف تقولون يعني عاقبة ذلك فوصفنا به بالافتقار بالاستيناف
للمتقين في البلاغة كما هو عادة بلغا العرب واقتوي الوصلين وبلغها الاستيناف وهو بان من
ابواب علم البيان يتكاثر محاسنه والمعنى **سوف تقولون من ياتيه عذاب مخزبه** بسبب علمه الي اوان
الشي الذي ياتيه عذاب مخزبه **ومن هو كاذب** يعني فيما يدعيه **وارتقبوا** يعني واستظروا العاقبة
وما يولد اليه لمري وامر **كم ابي معكم رقيب** اي مستظروا الرقيب بمعنى المراقب **ولما جاء امرنا**
يعني عذابهم واهلنا **فجاءنا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة نيلغي** يعني نغسلنا بان هديناهم للايمان وود
الطاعة **واخرجت الذين ظلموا** يعني ظلموا انفسهم بالشر والبطح **الصيحة** وذلك ان جبريل عليه السلام
صاح بهم صيحة خرجت ارواحهم وماتوا جميعا وقيل انهم صيحة من السما فاهلكهم جميعا **فاصبحوا**
ديارهم جاني يعني ميتين وهو استقارة من قلوبهم جثم الطير اذا فقدوا لطبا بالارض **كان لم يغنوا فيها**
يعني كانهم لم يغنوا بديارهم مرة من الدهر فاحوذ من قلوبهم عن المكان اذا اقام فيه مستغنى به
عن غيره **الاعداء** يعني هلاك المدين **كما بعدت مشود** قال ابن عباس لم تغرب لثمان قطعت
واحد لا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم شعيب فاخذتهم
من فوقهم قوله عز وجل **ولقد ارسلنا موسى باياتنا** يعني نوحا والبراهين التي اعطيناها الدالة على
صدقه ونبوته **وسلطان مبين** يعني ومعجزة ظاهرة ظاهرة والله على صدقه ايضا قال بعض المحققين
سميت للحجة سلطانا لان صاحب الحجة يظهر من لجة معه كالسلطان يظهر غيروه وقال الزجاج السلطان
هو الحجة وسمي السلطان سلطانا لانه حجة الله في الارض **الي فرعون وملأه** يعني اتباعه واشراف
قومه **فاصبحوا افرعون** يعني ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم به موسى **وما ابر**
فرعون بشيد يعني وما طعن فرعون وما هو عليه بسيد ولا حيد العاقبة ولا يدعو الى خرم يقدم **يوم**
يوم القيامة فاوردكم النار يعني كما تقدم قومه فادخلهم الجحيم في الدنيا كذلك يقدم قومه يوم القيامة
فيدخلهم النار ويدخل هو امامهم والمعنى كما كان قدوتهم في الفير والفساد في الدنيا فذلك هو
قدوتهم وامامهم في النار **وبسبب الورد المورود** يعني وبسبب المدخل المدخول فيه وقيل شبه الله
فرعون في تقدمه على قومه الى النار من يتقدم على الوارد الى الماوشبه اتباعه بالوارد من بعده ولما
كان ورود الماوخودا عند الوارد من لانه يكسر العطش قال في حق فرعون واتباعه فاوردهم النار
وبسبب الورد المورود لان الاصل فيه قصد الما واستعمل في ورود النار على سبيل القطاعة **واصبحوا**
هذه يعني في هذه الدنيا **لعنة** طردوا بعد عن الرحمة **ويوم القيمة** يعني واتباع العنة اخري
يوم القيامة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا **بسبب الورد المورود** يعني بسبب اللون والمكان
وذلك ان اللعنة في الدنيا واللعنة في الآخرة وقيل معناه بسبب العطش المعطى وذلك انهم تراوحت

قلست
ادخال الثاني قوله
فمن قلوبهم ومن ظاهروهم
في قوله سوف تقولون

علم

عليهم لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة قوله تعالى **ذلك من انبا القري** يعني من اخبار اهل القري
وقهر الامم السالفة والعقرون الماضية **نقصه عليك** يعني تخبرك به يا محمد لتخبر قومك اخبارهم لعلمهم
باعتبارهم فيرجعون عن كفرهم ويتركهم ما تركهم من العذاب **منها** يعني من القري التي اهلكها اهلها
قائم وحصيد يعني من عامرونها حزاب وقيل منها قائم يعني الحيطان بغير سقوط وثما ما قد بقي اثره
بالكلية شبهها الله بالزرع الذي يعضه قائم على ساقه وتعضه قد حصد وذهب اثره وحصيد تعني
محصوله **وما ظلمناهم** يعني بالعذاب والاهلاك **ولكن ظلموا انفسهم** بالكفر والمعاصي **فاغت**
عنهم المحتشم التي يدعون من دون الله **من يظلمنا** يعني يظلمناهم **بما جازوا** يعني بما جازواهم
العذاب **وما زادهم غير تنبيذ** يعني غير تخيير وقيل غير تدمير **وكذلك اخذ ربك** يعني وهكذا اخذ ربك
اذا اخذ القري وهي ظالمة الضمير في وهي عائد على القري والمراد اهلها **ان اخذ اليه شديد** قمع اي
الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليظلم الظالم حتى اذا اخذه لم يتركه ثم قال وكذلك
اخذ ربك اذا اخذ القري وهي ظالمة ان اخذ اليه شديد وفي الآية الكريمة والحديث دليل على ان من اقدم
على ظلم فانه يجب ان يتدارك ذلك بالتوبة والاثابة ورد الحقوق الى اهلها ان كان المظالم للغير لا يتبع
في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية حكما مختصا بظلم الامم الماضية بل هو
عام في كل ظالم ويعضد الحديث قوله عز وجل **ان في ذلك لاية** يعني ما ذكر من عذاب الامم الخالية
واهلاكهم لعبرة وموعظة **لن خاف عذاب الآخرة** يعني ان هلاك اولئك حجة عبرة يعتبر بها وموعظة
تعيظ بها من كان يخشى الله ويخاف عذابه في الآخرة لانه اذا نظرنا اهل الله باولئك الكفار في الدنيا
من اليم عذابه في الآخرة وعظيم عقابه وهو كالا فتدبر ما اعد الله لهم في الآخرة اعتبر به فيكون زيادة
في خوفه وخشيته من الله **ذلك يوم يجمع له الناس** يعني يوم القيامة يجمع فيه الخلايق من الاولين والآخرين
لحساب والوقوف بين يدي رب العالمين **وذلك يوم مشهود** يعني يشهد اهل السما واهل الارض **وما**
نؤخره الا اجل معدود يعني وما يؤخر ذلك اليوم وهو يوم القيامة الا الى وقت معلوم محدود
وذلك الوقت لا يعلمه احد الا الله **يوم ياتي** يعني ذلك اليوم **لا تكلم نفس الا باذن الله** قبل ان يجمع الخلايق
يسكتون في ذلك اليوم فلا يتكلم احد فيه الا باذن الله تعالى فان قلنا كيف وجه الجمع
بين هذه الآية وبين قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وبين قوله اخبارا عن محاجة
الكفار وهو قوله والله ربنا ما كنا مشركين واخبارا ايضا عن الكلام في ذلك اليوم **قلست**
يوم القيامة يوم طويل وله احوال مختلفة وفيه احوال عظيمة ففي بعض الاحوال لا يتكلمون على
الكلام لشدة الهوال وفي بعض الاحوال يؤذن لهم في الكلام فيستكلمون وفي بعضه تخفف عنهم تلك
الاهوال فيجاءون بجناد كون وينكرون وقيل المراد من قوله لا تكلم نفس الا باذن الله الشفاعة يعني
لا تشفع نفس لنفس الا ان ياذن الله لها في الشفاعة **فمنهم** يعني من اهل الموقف **شقي وسعيد** الشقية
خلاف السعادة والسعادة هي معاونه الامور الالهية للانسان وساعده على فعل الخير والصلاح وسيرة
لها اثر السعادة على ضربين سعادة دينية وسعادة اخروية وهي السعادة القصوى لان نهايتها الجنة
وكذلك الشقاوة على ضربين ايضا شقاوة دينية وشقاوة اخروية وهي الشقاوة القصوى لان نهايتها النار
فمايتها النار فالشقي من سبق له الشقاوة في الارز والسعيد من سبق له السعادة في
الارز عن علي بن ابي طالب قال كما في جنازة في شيع الفرق فاننا نارسول الله صلى الله عليه وسلم

فقد وجدنا حوله ومعه محضره فأنس وجعل ينكت فحضرته ثم قال أما منكم من أحد لا وقد كتبته من النار ومعه من الجنة فقالوا ليس لمخلوق له لما من كان من أهل السعادة فيصير له السعادة ومن كان من أهل الشقاء فيصير له الشقاء ثم قال أما من أعطى وأتى وصدق بالحسن فيصير له اليسرى الآية يتبع الفرق وهو معتبر أهل المدينة الشريفة ومدتهم فيه والمحضرة كالسوط والعصا ونحو ذلك ما يسكه الإنسان بيده والنكت بالنون والثا المشاة من فوق ضرب الشئ تلك المحضرة أو باليد ونحو ذلك حتى يوثق فيه استدلال بعض العلماء هذه الآية وهذا الحديث على أن أهل الموقف قتان شقي وسعيد ثالثا لها وظاهر الآية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم آخر مسكوت عنه وهم من استوت حسناته وسيئاته وهم أصحاب الاعراف في قول والأطراف في الحديث الذي لا حسان لهم ولا سيئات لهم مسكوت عنهم وهو تحت مشية الله عز وجل يوم القيامة يحكم بينهم بما يشاء وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على نفي القسم الثالث **فاما الذين شقوا في النار لهم فيها** أي في النار العذاب والهوان **زفير وشهيق** أصل الزفير ترديد النفس في صدر حتى يتبع منه الصلوع والشهيق رد النفس إلى الصدر والزفير مدح وإخراجه من الصدر قال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضحاك ومقاتل الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره إذا رده في الجوف **خالد في النار** يعني لا يثيب فيها مقيمين في النار **مادامت السموات والأرض** قال الضحاك يعني مادامت السموات والأرض الجنة والنار وأرضها ولا بد لأهل الجنة وأهل النار من سماء تظلمهم وأرض تقلمهم فكل ما علاك فاطلك فهو سماء وكل ما استقر عليه فدمك فهو أرض وقال أهل المعاني هذا عبارة عن التأييد وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لا ينك مادامت السموات والأرض وما اختلف الليلين والنهار يريد بذلك التأييد وقوله تعالى **أما شاربك** اختلف العلماء في معنى هذين الاستثناء فقال ابن عباس والضحاك الاستثناء الأول المذكور في أهل الشقاء يرجع إلى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بنوب غيرهم فترفعها لم يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لأن الذين أخرجوا من النار سعدا في الحقيقة استثناءهم الله تعالى من الاستثناء ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يخرج قوما من النار بالشفاعة وفي رواية أن الله يخرج قوما من النار فيدخلهم الجنة أخرجه البخاري ومسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعد ما ستم منهم فندخلون الجنة فتنبه أهل الجنة الجهنيين وفي رواية ليصيبهم أقول ما سمع من النازد نوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته فيقال لهم اللهم يونس الجنة يسون الجهنيين وأما الاستثناء الثاني المذكور في أهل السعادة فيرجع إلى مدة لبث هاو في النار قبل دخوله الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الآية فاما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق خالد في النار مادامت السموات والأرض الأمن شاربك أن يخرجهم منها فيدخلهم الجنة ولما الذين سعدوا في الجنة خالد في النار مادامت السموات والأرض الأمن شاربك أن يدخله النار أو لا يخرجهم منها فيدخله الجنة فحاصل هذا القول أن الاستثناءين يرجع إلى قوم مخصوصين هم في الحقيقة سعدا أصابوا نوبا استوجبوا بها عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة ولما اجتمع الأئمة على أن من دخل الجنة لا يخرج منها أبدا وقيل أن الاستثناء يرجع إلى الفريقين السعدا

والاشقياء

والاشقياء وهو مدة تغيرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ وهو ما بين الموت إلى البعث ومدة وقوفهم في الحساب ثم يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيكون المعنى خالد في الجنة والنار وهذا المقدر وقيل معنى الأما شاربك سوى ما شاربك فيكون المعنى خالد في النار مادامت السموات والأرض سوى ما شاربك من الزيادة على ذلك كقولك لغلام على الف الف الفين أي سوى الف الفين اللتين تعدتا وقيل المعنى الواو يعني وقد شاربك خلودها ولا في الجنة فهو كقوله بل لا يكون للناس على الله حجة إلا الذين ظلموا إلى ولا الذين ظلموا وقيل معناه ولو شاربك لأخرجهم منها ولكنه لا يشاء لأنه حكم لهم بالخلود فيها قال الغزالي هذا استثناء استثناء الله ولا يفعله كقولك والله لا فتركه أريد به أن غير ذلك وعزمك أن نصربه فلهذا القول في معنى الاستثناء يرجع إلى الفريقين والصحيح هو القول الأول ويدل عليه قوله في آخر الآية أن ربك تعالى لما يريد يعني من أخرج ما يريد من النار وأدخلهم الجنة فلهذا على الأجل في حال الفريقين ولما على التخصيص فقول الأما شاربك في جانب الاشقياء يرجع إلى الزفير والشهيق وتقديره أن يعيد حصول الزفير والشهيق مع الخلود لأنه إذا دخل الاستثناء عليه وجب أن يحصل فيه هذا المجموع والاستثناء في جانب السعيد يكون معنى الزيادة يعني الأما شاربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل أن الاستثناء الأول في جانب الاشقياء معناه الأما شاربك أن يخرجهم من النار إلى البرزخ الزمهرير وفي جانب السعدا معناه الأما شاربك أن يرفع بعضهم إلى منار الأعلى من منار الجنان ودرجات القبول الأول هو المختار ويدل على خلود أهل الجنة في الجنة وهو أن الأمة مجمعة على أن من دخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالد فيها قوله تعالى في جانب السعدا **عطا غير مجد** يعني غير مقطوع قال ابن زيد أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء أهل الجنة فقال تعالى عطا غير مجد وذو لم يخبرنا بالذي يشاء أهل النار وروي عن ابن مسعود أنه قال لبيان على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وعن أبي هريرة نحوه وهذا أن صح عن ابن مسعود ولبي هدية فمخول عند أهل السنة على خلا ما كن المؤمنين الذين استحقوا النار من النار بعد أخرجهم منها لأنه ثبت بالدليل الصحيح القاطع إخراج جميع الموحدين وخلود الكفار فيها أو يكون محمول على إخراج الكفار من النار إلى النار الزمهرير كبراد وأعدا ما فوق عذابهم والله أعلم قوله تعالى **لا تملك في مريم ما يعبد هو** يعني فلا تملك في شك يا محمد في هذه الأصنام التي يعبد ها هو الكفار فافها لا تقص ولا تنفع **ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل** يعني أنه ليس لهم في العبادة هذه الأصنام مستند إلا أنهم راوا آباؤهم يعبدوها فعبدوها مثلهم **وأنما لنوفهم فصيهم غير مستقوص** يعني وأنما مع عبادتهم هذه الأصنام زرعهم الرزق الذي قدرناه لهم من غير نقص فيه ومحملة أن يكون المراد من توفية فصيهم يعني من العذاب الذي قدر لهم في الآخرة كما ملأوا فاعبر ناقص قوله عز وجل **ولقد آتينا موسى الكتاب** يعني التوراة **فاحتلقت فيه** يعني في الكتاب منهم بصدق به ومكذب به كما فعل قومك يا محمد بالقرآن ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم **ولو لا كلمة سبقت من ربك** يعني تأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة فكان الذي يستحقونه من تعجيل العقوبة في الدنيا على أقدارهم وتكذيبهم وهو قوله تعالى **لغني من حمير** يعني لعذبوا في الحال وقرع من عذابهم وأهلكهم **وأنهم لم يفتك منه** يعني من القرآن وترويه عليك يا محمد **رب** يعني أنهم قد وقعوا في الرب والتمة **وأن كلا** يعني من الفريقين المختلفين المكتذب

المذهب والمصدق لما يوفينهم **وبما علمهم** اللام القسم تقديره والله ليوفينهم جزاء عملهم في القيمة
فيجازي المصدق على تصديقه الجنة ويجازي المذنب على تكذيبه النار **انه بما يعلمون خبر** يعني انه
تعالى لا يخفي عليه شيء من اعمال عباده وان دقت فغيه وعد المحسنين المصدقين ووعيد وعقوبة
المذنبين الكاذبين قوله تعالى **فاستقم كما امرت** الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاستقم
بما عهد على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما امرك ربك والامر به واستقم للتأكيد لان النبي صلى الله
عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها ففوك قولك للعاير تفرحني انيك اي دم على ما است عليه
من القيام بجهتي انيك **ومن تاب معك** يعني ومن امن معك من امتك فليستقيموا ايضا على دين
الله والعمل بطاعته قاله عن الخطاب الاستقامة ان يستقيم على الامر والنهي ولا يفرغ
عنه زوغان الثعلب مر عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسلام
قولا لا اسأل عنه احدا بعدك قال قل لمنت بالله ثم استقم **ولا تطغوا** يعني ولا تجاوزوا والمري
الي غيره ولا تغصوني وقيل معناه ولا تغفلوا في الدين نتجاوز واما امركم بحسبه وفيه تكملة عنه
انه بما تعلمون بصير يعني انه تعالى عالم باعمالكم ايها الناس لا يخفى عليه شيء منها قال ابن عباس ما تركت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم امة هي اشد عليه من هذه الآية ولذلك قال شيبته هود واجازتها
ح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين سيرة ولن يشاد الدين احدا لغيره فشدوا
وقاربوا والبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشي من الدجة قوله ان الدين يسر اليسر ضد
العسر واراد به التيسر في الدين وترك التشدد فان هذا الدين مع يسره وسهولته قوي فلو
يغالى ولن يقاوي فتدوا اي اقصدوا الشداد من الامور وهو الصواب وقاربوا اي اطلبوا
المقاربة وهي القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصير والعذر والروح بكره والروح الرجوع عشا
والمراد منه اهلوا اطراف النهار وقتا وقتا والدجة سير الليل والمراد منه اهلوا بالليل والليل
بالليل ايضا وقوله واستعينوا بشي من الدجة اشارة الى تليقه وقوله تعالى **لا تركوا الى الذين طلبوا**
قال ابن عباس ولا يتناولوا والوكون هو المحبة والميل بالقلب وقال ابو الهيثم لا تركوا باعمالهم
قال السدي ولا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوه وهو قيل معناه ولا تشكوا الى الذين طلبوا
فتسكم النار اي فتصيبكم النار بحرها **وما لكم من دون الله** اي لا يعني اعوانا وانصارا لمنعكم
من عذابه **فلا تتصرون** يعني تتخذوا لكم من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله غدا في القبلة
ففيه وعيد لمن ركن الى الظلمة ارضى باعمالهم او اجهم فكيف حال الظلمة في انفسهم نفوذ بالله
من الظلم قوله عز وجل **واقم الصلاة** **طري في النهار** سب ترك هذه الآية ما رواه الترمذي عن
ابي اليسر قال اتيت امرأة تتابع من اقبلت ان في بيت تمر هو لطيف منه فدخلت معي البيت فاهويت
اليها فقبلتها فانيت ابكر فذكرت ذلك له فقال استري على نفسك وتب فانيت عرفت ذلك
له فقال استري على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فانيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت
ذلك له فقال اخلفت غازيا في سبيل الله في اهلته مثل هذا حتى تتي انه لم يكن اسلم الا تلك السا
حتى ظن انه من اهل النار قالوا طرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى اوحى الله اليها فتم
الصلاة طري في الليل الى قوله ذلك ذكر في الذكرين قال **ابو اليسر** فانتبه فقراها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال اصحابه رسول الله هذا خاصة لم الناس عامة قال ليل للناس عامة قال

المأزول لقام من

المرصد

الترمذي هذا حديث حسن غريب وقين بن الربيع ضعفه ووكيع وغيره وابو اليسر هو كعب بن عمرو
عن عبد الله بن مسعود ان رجلا اصاب من امرأة قنبلة فاتي النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فتركت
اقرا الصلاة طري في النهار وزلفا من الليل الا به فقال الرجل لرسول الله الى هذه قال ليس علي بها من امي وفي
رواية قال رجل من القوم يا نبي الله هذا له خاصة قال ليل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال اتي النبي صلى
الله عليه وسلم رجل فقال لرسول الله ارايت رجلا اتى امرأة ليس بينهما معرفة فليس بها في الرجل الى امراته
شيئا الا قد اتي هو اليها الا انه لم يجامعها فانزل الله عز وجل اقرا الصلاة طري في النهار وزلفا من الليل ان
الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكر في الذكرين فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضا ويصلي قال
معاذ فقلت لرسول الله افي خاصة المؤمنين عامة قال ليل للمؤمنين عامة هذا أخرجه الترمذي
وقال هذا الحديث ليس متصل عبد الرحمن بن ابي ليلى لم يسمع من معاذ اما التفسير فقوله تعالى واقم
الصلاة طري في النهار يعني صلاة العداة والعشي قال الحافظ طري في النهار يعني صلاة الصبح والعصر
وزلفا من الليل يعني صلاة المغرب والعشاء قاله معاذ صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر
والمغرب طرف وزلفا من الليل يعني صلاة العشاء وقال الحسن طري في النهار الصبح والعصر وزلفا
من الليل المغرب والعشاء قال ابن عباس طري في النهار العداة والعشي يعني صلاة الصبح والمغرب
قال الامام في الدين الرازي كثرت المذاهب في تفسير طري في النهار والاشهر ان الصلاة التي في
طري في النهار هي الفجر والعصر وذلك لان احدا طري في النهار هو طلوع الشمس والآخر غروبها فالاول
هو صلاة الفجر والآخر الطرف الثاني لا يجوز ان يكون صلاة المغرب لا فداخلة تحت قوله **ورق**
من الليل فوجب حمل الطرف الثاني على صلاة العصر وزلفا من الليل يعني واقم الصلاة في زلف
من الليل وهي ساعات واحدة زلفا من ليل ليل المتصلة والمراد صلاة المغرب والعشاء **ان**
الحسنات يذهبن السيئات يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرها عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن
زاده في رواية ما لم تغش الكبائر وزاد في رواية لحري ورمضان الى رمضان لمغفرات لما
بينهن اذا اجتنبت الكبائر **ق** عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انتم لو
ان قرأ باب احداكم يتسلى فيه كل يوم خمس مرات ما تقولون ذلك يبقى من درنه قالوا
لا يبقى من درنه شيئا قال فذلك مثل الصلوات الخمس تجو الله بها الخطايا فرعن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب احدا لم يغتسل منه كل
يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرر قال العلماء الصغائر من الذنوب يكفرها الاعمال
الصالحة مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار وكذا من اعمال البر وما الكبائر من
الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولهذا ثلاث شرائط الاول الاتباع عن الذنب
بالكلية الثاني التندم على فعله الثالث العزم التمام ان لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت
هذه الشرائط صحت التوبة وكانت مقبولة أي شأ الله قال مجاهد في تفسير الحسنات انما
توا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والقول الاول اصح ان الصلوات الخمس
وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن السبب ومجاهد في احادي الروايات عنه والقرطبي
والصفيان وجمهور المفسرين **ذلك** اشارة الى تقدم ذكره من ذكر الاستقامة والتوبة وقيل هو

الربك ايات الكتاب المبين الى قوله نحن نقص عليك احسن القصص القول الثاني رواه الضحاك عن ابي عاب
قالت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا احداثا عن ابي يعقوب وولد وسان يوسف فارتد
الله وجل الربك ايات الكتاب المبين الايات **سورة الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **الرحمن** تقدم
تفسيره في اول سورة يوسف **تلك** اشارة الى ايات هذه السورة اي تلك الايات التي ارتكز اليك
في هذه السورة المسماة بالرهدة **ايات الكتاب المبين** وهو القرآن الي البين طلاله وحرامه
وحدوده واحكامه وقال قتادة مبين والله بركته وهذه ورشد فهدى ابراهيم الى ظهوره وقال
الزجاج مبين الحق من الباطل وللانسان الحرام هذا من ابراهيم يعني اظهره وقيل انه من فيه قصص
الاولين وشرح لحوال المتقدمين **انا انزلناه** يعني هذا الكتاب **قرانا عربيا** اي انزلناه بلغتك
لكي تعلموا معانيه وتفهوا ما فيه وقيل لما قالت اليهود لمستري مكة وطلوا محمد صلى الله عليه وسلم
عن ابي يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبودية فارتد الله هذه السورة وذكر
فيها قصة يوسف بالعربية ليفهمها العرب ويعرفوا معانيها والتقدير انا انزلناه هذا الكتاب
الذي فيه قصة يوسف في حال كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القرآن على بعضه
لا انه اسم جنس يتبع على الكل والبعض اختلف العلماء هل يمكن ان يقال في القرآن شيء غير العربي
فقال ابو عبيد من زعم ان في القرآن لسانا غير العربية فقد اعظم خطا الله المكون واجه هذه الآية
انا انزلناه قرانا عربيا وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ان فيه من غير لسان العربية مثل
سجدة المشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح المختار لانها ولا اعلم من ابي عبيد
بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شاء الله ووجه الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما انفكت
بها العرب ودارت على السنن صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية في الاصل لكن سر
لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت لهم لغة فظهر هذا البيان صحة القولين وامكن الجمع بينهما
لعلكم تتقون يعني لكي يتقوه ايها العرب لانه نازل بلغتك قوله تعالى **نحن نقص عليك احسن**
القصص الاصل في معنى القصص اتباع الخبر بعينه بعضا والقاص هو الذي ياتي بالخبر على وجهه
واصله في اللغة من قص الاثر اذا تتبعته وانما سميت الحكاية قصة لان الذي يقص الحديث يذكر
تلك القصة شيئا فشيئا والمعنى نحن نبين لك يا محمد اخبار الامم السالفة والعبرون الماضية احسن
البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه السلام خاصة سماها احسن القصص لما فيها من العبر والام
والنكت والمواعظ التي تصلح للدين والدنيا وما فيها من سر الملول ولما ليك والعلماء ومكر النساء
والصبر على اذي الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقا وغير ذلك من المواعظ المذكورة في هذه
السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكها بها اهل الجنة في الجنة
وقال ابن عطاء الله بسورة يوسف مخزون الاستراح اليه وقوله تعالى **ما اوحينا** يعني يا ايها
اليك يا محمد **هذا القرآن وان كنت** اي وقد كنت **من قبله** يعني من قبل وحيانا اليك **للمتقنين**
يعني هذه القصة وما فيها من العجايب قال سعد بن ابي وقاص انزل القرآن على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتلا عليهم زمانا فقالوا لا يرسل الله لوحيدنا فانزل الله عز وجل انزل الله لخير الحديث
فقالوا يرسل الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص فقالوا يرسل

الله لودكر

الله لودكر تناقرا نزل الله الم بان للذين امنوا ان تحشوا قلوبهم لذكر الله فوله عز وجل **اذ قال يوسف لاهيه**
اي اذكر يا محمد لقومك قوله يوسف لاهيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم اجمعين ح عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكرم من الكرمين الكرم من الكرمين يوسف بن يعقوب بن
اسحق بن ابراهيم ويوسف اسم عربي وكذلك لا يجري فيه وقيل هو عن سبل ابو الحسن الاقطع عن يوسف
فقال الاسف الحزن والاسيف العبد واجتمعا في يوسف فتسمى به **يا ابت** اي راي احد عشر كوكبا
والشمس والقمر والنجم قال اهل التفسير اي يوسف في منامه كان احدهم
كوكبا نزل من السماء معها الشمس والقمر فجدوا له فكانت هذه الرواية ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر
وكان النجوم في ناول اخوته وكانوا احدهم رجلا يستضيئونهم كايستضيئون النجوم والشمس والقمر
ابوه والقمر امه في قول قتادة وقال السدي التمثال له لان امه راجل قد ماتت وقال ابن جرير
القمر ابوه والشمس امه لان الشمس موشاة والقمر كوكب وكان يوسف عليه السلام ابن اثني عشر سنة وقيل
سبعة عشر سنة وقيل سبع سنين وادوا بالجد فواضعهم له ودخولهم تحت امره وقيل اراد به
حقيقة السجود لانه كان في ذلك الزمان الخفية فيما بينهم السجود فان قلت الكواكب جاد
لا تعقل فكيف عبر عنها بكناية من يعقل في قوله لرايتهم في ساجدين ولم يقل ساجدات قلت
لما اخبرنا بنقل من يعقل وهو السجود وكنت عن بكناية من يعقل فقولك لاهيها النمل ادخلوا
مسالكهم وقيل ان الفلاسفة والمخمين يزعمون ان الكواكب احياء ناطقة حساسة فيجوز ان يعبر
عنها بعارة من يعقل وهذا القول ليس بشيء ولا ولا يصح فان قلت قد قال اني رايته احدهم
كوكبا والشمس والقمر شرعا لفظ الرواية مرة ثانية ففكر رايهم في ساجدين فما فائدة هذا التكرار
قلت معنى الرواية الاولى اجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى الرواية الثانية انه اخبرهم بها
له وقال بعضهم معناه انه لما قال اني رايته احدهم كوكبا وكنت عن الفم فكانه قيل له كيف رايته
قال رايته في ساجدين وانما افرد الشمس والقمر لذكر وان كانا من جملة الكواكب للدلالة على فضلها
وشرافها على سائر الكواكب قال اهل التفسير ان يعقوب عليه السلام كان شديد الحب ليوسف
عليه السلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما راي يوسف هذه الرواية
وكان تاويله ان اخوته وابويه يخضعون له فلما قال يعقوب **يا بني لا تقصص رويك**
على اخوتك يعني لا تخبرهم برويك فانهم يعرفون تاويلها **يكيدوا لك كيدا** يعني
يفتحوا لك اهلالك فامرهم بكتمان رويته لان رويته الانبياء وحق واللام في كيد والك
تاكيد للصلة لقوله فكذلك وضعت لك وشكرتك وشكرت لك **ان الشيطان للانسان قذير**
يعني انه بين العداوة لان عداوته قديمة فهم ان اقدموا على الكيد كان ذلك مصافا الى تزوير
الشيطان ووسوسته ق عن ابي قتادة قال كنت اري الرواية مرتين حتى سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الرواية الصالحة من الله والرواية التورس الشيطان فاذا راي احدكم صاحب
فلا يحدث بها الا من يحب واذ راي ما يكره فليشغل عن ساره ثلثا ويتعوذ بالله من الشيطان
وشترها فانها لن تقصه عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا راي
احدكم الرواية سحرا فاقصها من الله فاحمد الله عليه وليحدث بها واذ راي غير ذلك ما يكره فاما
هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لن تقصه عن جابر بن رسول الله

ولم يقل اني رايته

قول
الفضل

صلى الله عليه وسلم قال اذ اري احدكم الرويا يكرها فليصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان
الرجيم ثلاثا وليتوكل على جنبه الذي كان عليه عن ابي رزين العقيلي قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم روي المؤمن جز من اربعين وفي رواية جز من ستة واربعين جز من النبوة وهي على رجل طائر الر
تحدث بها فاذا حدثت بها استطت قال واحسبه قال ولا يحدث بها الا لبيبا او حبيبا اخرجه الترمذي
ولاي داود نحوه وقال الشيخ محيي الدين النووي قال المارني مذهب اهل السنة في حقيقة الرويا
ان الله تعالى خلق في قلب كل انبياء اعتقادات كما خلقها في قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى
يفعل ما يشاء لا يمنعه نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه الاعتقادات فكلها على علم على امور اخر
يجعلها في ثاني الحال والجميع خلق الله تعالى ولكن خلق الرويا والاعتقادات التي جعلها على علم على
ما ليس بغير حضرة الشيطان واذا خلق ما هو علم على ما يضر يكون يحضر الشيطان فيلجس الي
الشيطان مجارا وان كان لا فعل له في الحقيقة فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم روي من الله
والعلم من الشيطان على الشيطان يفعل ما يشاء والرويا اسم المحبوب والحلم اسم المكره وقال غيره
اصناف الرويا المحبوبة الى الله تعالى اضافة تشريف بخلاف الرويا المكرهه وان كانتا جميعا
من خلق الله تعالى وتديره وارادته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه يحضر المكره ويرفضه فيستحب
اذا راي الرجل في منامه ما يحب فليحدث به من يحب واذا راي ما يكره فلا يحدث به وليستعذ بالله من
الشيطان الرجيم ومن شرها وليتوكل ثلاثا وليتوكل على جنبه الاخر فاذا لا تقصره فان الله جعل هذه
الاسباب سببا لسلامته من المكره كما جعل الصدقة سببا لوقاية المال وغرض من البلاء والله اعلم
قوله تعالى **وذلك جنتيك ربك** يعني بقوله يعقوب ليوسف عليه السلام اي وكارنغ منزلتك
هذه الرويا الشريفة العظيمة كذلك تحتجيك يعني بصطفيك ربك واجتبا الله تعالى العبد
تخصيصه اياه بفيض المحي يحصل له منه من انواع الكرامات بلاسي من العبد وذلك مختص بالانبياء
او بعض من يقادهم من الصديقين والشهداء والصالحين **وعلمك من تاويل الاحاديث**
يعني به تفسير الرويا سمي تاويلا لانه يؤول امره الى ما راي في منامه يعني يعلمك تاويل احاديث
الناس فيما يروونه في منامهم وكان يوسف عليه السلام اعلم الناس بتعبير الرويا وقال الزجاج
تاويل احاديث الانبياء والامم السالفة والكتب المتروكة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة
ويتم نعمته عليك يعني بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب النبوة اعلم من جميع المناصب
وكل الخاق دون درجة الانبياء فهذا من اتمام النعمة عليهم لان جميع الخاق دونهم في الرب والمناصب
وعلى يعقوب المراد باليعقوب اولاده قائم كانوا انبياء وهو المراد من اتمام النعمة عليهم
كما انما على ابراهيم اي ابراهيم بن ابراهيم وهو المراد من اتمام النعمة عليهم
بالنبوة لانه لا شيء اعظم من منصب النبوة فهو من اعظم النعم على العبد **ان ربك عليم** يعني يعلم
خلقته يعني انه تعالى لا يفعل شيئا الا بحكمة وقيل انه تعالى حكمه بوضع النبوة في بيت ابراهيم
صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس كان بين روي يوسف هذه وبين تحقيقها عصر واختراع
بابه واخوته اربعون سنة وهذا قول لشر المفسرين قال الحسن البصري كان بينهما ثمانون
سنة فلما بلغ هذه الروية اخو يوسف حسدوه وقالوا ما رضى ان يسجد له اخوته حتى يسجد له
ابواه قوله عز وجل **كان في يوسف واخوته** يعني في خبره وخبر اخوته واسما وهو رقيب

هذا الحديث في تفسير الرويا
والمراد من اتمام النعمة
هو اتمام النعمة على
الانبياء والصالحين
والمراد من اتمام النعمة
هو اتمام النعمة على
الانبياء والصالحين

وهو ابراهيم

وهو ابراهيم وسعون ولاوي ويهوذا وريالون ويئحز وامين ليان وهي ابنة خال
يعقوب وولد ليعقوب من سبطين اسم احدهما زلفة والاخرى طمة اربعة اولاد وانما هو دان
ونفتالي وجاد وانيسر بن توفيت لنا فتزوج يعقوب اختا راحيل فولدت له يوسف وبنيامين
وهو لا يوي يعقوب وهم الاسباط وهم اثنا عشر نفرا **الاباء السبطين** وذلك ان اليهود سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سألوه عن سبب انتقاله ولما يعقوب من ارض
كفان الى ارض مصر فذكر قصة يوسف مع اخوته فوجدوا ما وافق لما في التوراة فوجدوا منه تعالى هذا
تكون هذه القصة دالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلم بغيره الكتب المتقدمة ولا بحال
العلماء واصحاب السبيل الاخبار ولما اخذ عن احدهم شيئا فدل ذلك على ان ما في به وحى ماوى وعلم
قدسي واحاه الله اليه وعرفه به ومعنى اباء السبطين اي عمرة المعتمدين فان هذه القصة تشتمل
على انواع من العبر والموعظ والحكمة منها روي يوسف وما حقق الله فيها ومنها احد اخوته له وما
الاله امرهم من الهة مصر ومنها يوسف على لواءه مثالا للقاء في الحب وبيعه عبدا وبجده بعد ذلك
وما الله امره من الملك ومنها ما تشتمل على حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما الله امره من
بلوغ المراد وغير ذلك من الايات التي اذا فكر فيها الانسان اعتبر وانظروا **قالوا يوسف** يعني
اخوة يوسف اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف **واخوه** يعني بنيامين وهما من ام واحدة
احب الي انيما وخر عصبه انما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ليوسف واخيه لما راي من ميل
يعقوب اليه وكثرة شفقتة عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قالوا العصب في العشرة
فكان اذ وقيل في ما بين الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاث الى العشرة وقال الجاهلي
العشرة الى خمسة عشر وقيل الى اربعين والاصل فيه ان كل جماعة يتعصب بعضهم لبعض ففما
عصبة والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرط والتفرا **انا باننا في قتلنا لمسين** يعني انه
لي خطابين في اشارة حب يوسف علينا مع صغره لا يقع فيه ونحن عصبة ننفعه ونقوم بصلاحه
من امر دنياه واصلاح امور واسباه وليس المراد من ذكر هذا الضلال هو الضلال عن الدين اذ لو ارادوا
ذلك لكانوا به لكن ارادوا به الخطا في تدمير امر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن انفع له من يوسف
فهو محط في صرف محبة اليه لانا اكرمته سننا ولشد قوة وأكثر منفعة وغاب عنهم المقصود
الاعظم وقوان يعقوب عليه السلام ما فضل يوسف واخاه على سائر الاخوة الا في المحبة المحضنة
ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها ويحتمل ان يعقوب انما خص يوسف بزيادة المحبة
والشفقة لان امه ماتت وهو صغير لو انه راي فيه من آثار الرشد والحجة ما لم يره في غير
اخوته فان قلت **الذي فعله اخوة يوسف** هو محض الحسد والحسد من امات
الكبار وكذلك نسبة ايهم الى الضلال هو محض العقوق وهو من الخبايا ايضا وكل قاذح في عصمة
الانبياء في الجواب قلت ان هذه الاعمال انما صدرت من لوعة يوسف قبل ثبوت النبوة لهر
والمعبر في عصمة الانبياء هو وقت حصول النبوة لا قبلها وقبلها كانت اوقات هذه الاعمال
مراهقين غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ ففعلوا ما لم تكن هذه الاعمال قاذحة في عصمة
الانبياء قوله تعالى في حكاية عن اخوة يوسف **اقتلوا يوسف واذا خجل المرحه اياكم**
لما نوى الحسد وبلغ الزاية قال اخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تعذيب يوسف عن ابيه وذلك ليحصل

للا باحظر يقين اما القلمرة واحدة او التعريب الى ارض كنعان يحصل الياس من اجتماعه بابيه بان
يقترسه السباع او يموت في تلك الارض البعيدة ثم ذكر العلة في ذلك وهو قوله عز وجل لكم رجا
ايكم والمعنى انه قد شغلته حب يوسف عنكم فاذا علمتم ذلك بيوسف اقبل يوسف يعقوب
بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم **وتكونوا من بعد** يعني من بعد قتل يوسف او ابعاده عن
ايه **وما صالحين** يعني تائبين فتقربون الى الله بعف الله عنكم فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم
لما علموا ان الذي عزموا عليه من الذنوب الذي يوفيه اذا قالوا اتوب الى الله من هذا الفعل ونكون
من الصالحين في المستقبل او قال مقاتل معناه يصلح لكم لئلا تتركوا فيما بينكم وبين ايكم فان قلت
كيف يلبس ان قصد هذه الافعال منهم وهم الايتام قلت الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا ايتاما في
ذلك الوقت حتى يكون هذا الفعل قادحا في عصمة الانبياء وانما اقدموا على هذه الافعال قبل النبوة
وقيل ان الذي اشار بقتل يوسف كان اجنيا شاوروه في ذلك فاشار عليهم بقتله **قال**
قابل منهم لا تقتلوا يوسف يعني قال قابيل من اخوة يوسف وهو دود او قال قتادة هور وبيبل
وهو ابن خالته وكان البربر واحسنهم رايافيه فتهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة
والاصح ان قابيل هذه المقالة هو يهودا لانه كان اقربهم اليه سنا **والقوة في غيابة الجب** يعني
القوة في اسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيئا وغيبة عن النظر والجبالير الكبيرة
غير مطوية سمي بذلك لانه جب اي قطع ولم يسطو واذا ذكر الغيابة مع ذكر الجب ان المشير اشار
بمخرجه في موضع من الجب منظم لاراه احدواختلفوا في مكان ذلك الجب فقال قتادة هو قبر
يبيت المقدس وقال وهب هو في ارض الاردن على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب وانما عيونا
ذلك الجب لليلة التي ذكرها وهي قوله **يلتقطه بعض السيارة** وذلك لان هذا الجب كان
معروفا يرد عليه كثير من المسافرين والالتقاط اخذ الشيء من الطريق او من حيث لا يحتسب
وسمه اللقطة بعض السيارة يعني ياخذ بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية اخدي
فستره بمخامفه **ان كنتم فاعلمين** فيه اشارة الى ترك الفعل فانه قال لا تفعلوا شيئا من ذلك
وان كنتم فاعلموا هذا القدر ان كنتم فاعلمين ذلك قال البغوي كانوا ابويهم
بالعين ولم يكونوا ايتاما بعد وقيل لم يكونوا ايتاما وليس يصحح بدليل انهم قالوا وتكونوا
بعد قوما صالحين وقالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا والصغيرة ذنب له قال يهودا استحل
فعلهم هذا على جرائم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالد وقلة الرافة بالصغير الذي
لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع ابيهم وعفا الله عن ذلك كله حتى لا يياس
احد من رحمة الله وقال بعض اهل العلم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا
ذلك لهلكوا جميعا وكل ذلك كان قبل ان ينام الله فلما اجعوا على التعريب بين يوسف وبين
والد مضرب من الحبل **قالوا** يعني قال اخوة يوسف ليعقوب **يا ابانا انك لا تأمننا على يوسف**
بدوا بالانكار عليه في ترك ارسال يوسف معهم كأنهم قالوا اتخافنا عليه اذا ارسلته معنا **واناله**
لنا حين المراد بالصحة هذا القيام بالصحة وقيل البر والعطف والمعنى اننا لما طعنوا عليه
قامون بمصلحته ونحفظه وقال مقاتل في الكلام تقدمنا وخبرنا ذلك انهم قالوا لا يياس ارسله معنا
فقال يعقوب اي اخوتي ان تذهبوا به تخشعوا قالوا لانا لك لا تأمننا على يوسف واناله لنا حين

ارسله

ارسله معنا يعني الى مصر **نؤمن** الرخ هو الاشعاع في البلاد يقال رنح فلان في ناله اذا انقعه في
شهوته والاصل في الرخ اكل اللحم في الحصب زمن الربيع ويستعار للانسان اذا اريد به اكل الكثير
ولعب اللعب معروف قال الراغب يقال فلان اذا كان مغله غير قاصده مقصدا صحيحا سبيل الترويح
ابن العلاء كيف قالوا للعب وهم ايتاما فقال لم يكونوا ابويهم ايتاما ويحتمل ان يكون المراد من اللعب هذا
الاقدام على المباحات لا جل الشراخ الصدر وسنه قوله صلى الله عليه وسلم لما بارهلا كرا تالعبها
وتلاعبها وايضا فان لعبهم كان للاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من الممارسة والاندفاع على الاقران
في الحرب بدليل قوله نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورة اللعب وقيل معناه ترويح وتلعب معهم
ونالوا ونلوا ونلوا ونلوا **واناله لحافظون** يعني يحمونه في حفظه غايه الاحتياط حتى نرده اليكم
سالما **قال** يعني قال لهم يعقوب **اي اخوتي ان تذهبوا به** اي ذهابكم به والحزن هنا لم القلب
بفراق المحبوب ومعنى الآية انه لما طلبوا منه ان يرسل معهم يوسف اعتذر يعقوب عليه السلام
بعذر من احدها ان ذهابهم به ومفارقة قلبه اياه حزنة لانه كان لا يقدر ان يصبر عنهم ساعدا
والثاني قوله **واخاف ان ياكله الذئب واشتم عنه غافلون** يعني اذا غفلوا برعيهم ولعبهم وذلك ان
يعقوب عليه السلام كان راي في المنام ان ذبياشد على يوسف وكان يعقوب يخاف عليه من ذلك
وقيل كانت الذئاب في ارضهم كثيرة **قالوا** يعني قال اخوة يوسف مجيبين لهم ليعقوب
لين اكله الذئب ونحن عصبة اي جماعة عشرة رجال **انا اذا خاسروا** يعني عجزوا وضعفا
وقيل انهم خافوا ان يدعو عليهم يعقوب بالخسار والبوار وقيل معناه انا اذا لم نقدر على حفظ اخينا
فكيف نقدر على حفظ مواشيها فنحن اذا خاسروا وقوله عز وجل **فلما ذهبوا به** فيه
اخبار واختصار بقدره فارسله معهم فلما ذهبوا به **واجمعوا ان يجدوه في غيابة الجب** يعني
وعزموا ان يلقيه في غيابة الجب ذكر قصصه ذهابهم بيوسف عليه السلام قال وهب
وغیره من اهل السير والاخبار ان اخوة يوسف قالوا له ما تشاق ان تخرج معنا الى مواشينا
فتصيد ونستبق قال بل قالوا فاسال اباك ان يرسل معنا قال يوسف افعل فدخلوا بها عنهم
على يعقوب فقالوا يا ابانا ان يوسف قد لعب ان يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب
ما تقول يا بني قال يوسف نعم يا ابة اي راي من اخوتي اللين واللطف فاجب ان تاذن لي
وكان يعقوب يكره مفارقتهم ويحب مرصاتهم فاذن له وارسله معهم فلما خرجوا من عند
يعقوب جعلوا يحلون على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعد واعنه وصاروا الى الصحرا
القوة على الارض واظهر والله ما في انفسهم من العداوة واغلظوا له القول وجعلوا يضربونه
فجعل فلما جا الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما نظر لما عزموا عليه من قتله جعل يبنا دي
يا ايتاه يا يعقوب لوراي يوسف وما تزل به من اخوته حزنك ذلك وابكاك يا ايتاه
ما اسرع ما نسوا عمداك وصنيعك وجعل يبكي بكاء شديدا فاحذره روييل فجلده
الارض مخرجهم على صدره واراد قتله فقال له يوسف مهلا يا اخي لا تقتلني قال له يا ابن
راحيل انت صاحب الاحلام قل لرويا يخلصك من ايدينا ولوي عنقه فاستغاث يوسف يهودا
وقال له انت الله في وحل بيني وبين من يريد قتلي فادركته رحمة له ورفقة فقال يهودا لانا
ما على هذا عاهدتوني الا اذ لم يلما هو اهلون لكم وارفق به قالوا وما هو قال تلقتونه في هذا

لعب

هنا

لجب اما ان يموت او يلتقطه بعض الشياكة فامطلقوا به اليه يبرهنا على غير الطريق واسم الاسفل
ضيق الراس فجعلوا يدونه في البير ويتعاقب بغير هافر بطوايد به وترعوا قبيصة فقالوا يا اخوتاه ردوا
عنا قبيصة لا تستغربه في الجب قالوا ارفع الشمر والقمم والكواكب تخالصك وتوسك فقالوا لي لاراشيا
قالوا فيه فبها وقيل جعلوه في دلوهم ارساوه فيها فلما بلغ بصرها القوة ارادة ان يموت وكان في البير
ما سقط فيه سراوي اليه فجعلته كالك في البير فقام عليها وقيل ان له ملكا يخدمه والخرجه له
صخرة في البير فاجلسه وقيل انهم لما القوه في الجب جعل يركب في فنادوه فكلن انفا رجعة اذ وكلن فاطام
فازاروا ان يرحموه بخصوة بخصوة ليقتلوه فتمهم هو دامن ذلك وقيل ان يعقوب لما بعثته مع اخوته
اخرج له ثمن ابراهيم الذي كساه الله اياه من الجنة حين الف في النار فجعل يعقوب في قضية فضفة
وجعلها في عنق يوسف قال له الملك اياه حين الف في الجب فاصاله الجب وقال الحسن لما الف يوسف
في الجب عذب ماوه فكان يعقوب عن الطعام والشراب وتزل عليه جبريل فاستبه فلما امسى فخص
جبريل ليدهب قال له انك اذ اخرجت استوحش فقال له اذ اخرجت شيئا فقل يا صريح المستعجبين
وباعوت المستعجبين ويا مغرور كرب المكر وبين قد تزي مكاني وتعلم حالي ولا تحفي عليك شي
من امري فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس في الجب وقال محمد بن مسلم الطائفي لما الف يوسف
في الجب قال يا شاة هذا غير غريب ويا قمر ساعير بعيد ويا غا لبا غير مغلوب اجعل لي قراجا انا فيه
مقامات فيه واخلفوا في قد رعرع يوسف يوم الف في الجب فقال الضحاك ست سنين وقال الحسن
اشا عشرين سنة وقال ابن السائب سبعة عشر سنة وقيل ثمانية عشر سنة وقيل مكث في الجب
ثلاثة ايام وكان اخوته يرمون حوله وكان يهودا ياتي به ما لطعام فذلك قوله تعالى **فلما ذهبوا**
به واجمعوا ان يحماه في غيابة الجب واوحينا اليه ليقبضهم بامرهم هذا يعني لتخرجن لوتك قال
الكثير المفسرين ان الله اوحى اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل بوشه وينشده بالخروج فخره
ان يقبضهم بما مغلوبه ويحاربهم عليه هذا قول طائفة عظيمة من المحققين من القائلين بهذا القول
اختلفوا هل كان ما لقائي ذلك الوقت او كان صيا صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغا وكان عمره
سبعة عشرين سنة وقال اخرون بل كان صغيرا الا ان الله عز وجل اكل عقله ورشدك وجعله كالطائر
لقبول الوحي والنبوة كما قال الحق عليه السلام فان قلت كيف جعله نبيا في ذلك
الوقت ولما لم يلقه رسالة ربه لان قايمة النبوة والرسالة بتليغها الي من ارسل اليه
قلت لا يستمع ان الله يشوقه بالوحي ويكرمه بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وقايمة ذلك
مطيب قلبه وازالة الحمر والغر والوحشة عنه بمرور ذلك بامره بتليغ الرسالة في
وقت وقيل ان المراد من قوله واوحينا اليهم الحيام كما في قوله ووحى ربك الى الخلد واوحينا
الى موسى والقول الاول وقوله **وهو لا يشعرون** يعني يا كينا الملك وانت في البير
ما انك سخرهم بضمهم هذا والقائلة في اخذ ذلك الوحي عنهم انهم اذا عرفوه اذ لو وجدوه
له وقيل ان الله اوحى الي يوسف لتخرجن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم ولم لا يشعرون
فانك انت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه السلام وانه مخلف ما هو
فيه من الحق وتصبر استويا عليهم وتصبرون تحت لمره وقهره قوله تعالى **وكانوا اياما غشا**
يكون قال القرون لما طرحوا يوسف في الجب رجعوا الى ابيهم وقت الغشا يكونوا في الظلمة احرار على
الاعتذار

فهم

الا عند اربا الكذب فلما قروا من منزل يعقوب جعوا ويكفون ويصرون فسمع اصواتهم فخرج لذلك فخرج
اليهم فلما راهم قالوا لهم يا بني اصابتكم شئ في غنمكم قالوا لا فقالوا انما اصابتكم وبن يوسف **قالوا يا ابانا انا ذهبنا**
فشتب قال ابن عباس يعني شتبا قال الزجاج يسابق بعضنا بعضا في الري والاصل في السبق
الري بالسم وهو الشاغل ايضا وسمى المترايمان بذلك يقال شتا بقاء واستبقا اذا فعل ذلك ليعتبر
ايها ابعد سها وقال السدي يعني شتد وتعذوا والمعنى يستبق على الاقدام ليعتبر ايها اسرع عدوا
واخذ حركه وقال مقاتل تنصيد والمعنى يستبق الى الصيد **وتركها يوسف عند متاعنا** يعني
عند ثيابنا **فاكله الذيب** يعني في حال استبقا وغفلت اعينه **وما انت بمومن لنا** يعني وما
انت بمصدق لنا **ولو كان صاد قين** يعني في قولنا والمعنى انا وان كان صاد قين لك لا تصدقنا
لشدك بحبك ليوسف فانك تتهمنا في قولنا هذا وقيل معناه انا وان كان صاد قين فانك لا تصدقنا
لانك لم تظن عند اماره نذرا على صدقنا **وجاوا على قميصه** يعني على قميص يوسف **بدم ذيب**
اي مكذوب فيه قال ابن عباس انهم ذهبوا فاجتمع يوسف فخرجوا اياهم وفي القصة
انهم لم يلقوا القميص بالدم ولم يشعروا فقال يعقوب لهم كيف اكله الذيب ولم يبق قميصه فاتهم بحر
بدله وقيل انهم اتوه بديب وقالوا هذا اكله فقال يعقوب ايها الذيب انت اكلت ولدي ولم
فوادي فانطقه الله عز وجل وقالوا ما اكلته ولا ريت ولدك قط ولا يحل لثان ناكل لحم الانبيا
فقال يعقوب فكيف وقعت بارض كتمان فقال رحت لصله قرابة فاخذوني واتواي اليك
فاطلعه يعقوب ولما ذكرت اخوة يوسف ليعقوب هذا الكلام واحتموا على صدقهم بالقميص الملمح
بالدم **قال** يعقوب **بل سولت لكم انفسكم امسرا** يعني بل زينت لكم انفسكم امسرا واصل القول
تقرير معني في النفس مع الطمع في ايمانهم وقال صاحب الكشاف سولت سلت من السؤال وهو الاسترخا
اي سلت لكم انفسكم امسرا عطيا بلبقوه من يوسف وهوته في اعينكم فاعلم هذا يكون معني قول
بل رد لقوله اكله الذيب كانه قال ليس الامر كما تقولون اكله الذيب بل سولت لكم انفسكم امسرا فغير
ما تصفون **فصبر جميل** اي فشاني صبر جميل وقيل معناه فصبري صبر جميل والصبر الجميل الذي
لا شكوي فيه ولا جزع وقيل من الصبر ان لا تحدث مصيبتك ولا تترك نفسك **والله المستعان على**
ما تصفون يعني من قول الذيب وقيل معناه والله المستعان على حمل ما تصفون وقوله تعالى **وجات**
سجارة وهم القوم المسافرين سوا سيرة لسيرهم في الارض وكانوا رفقة من مدين يريدون
مصر فاخطوا والطريق فزلوا فقام من الجب الذي فيه يوسف وكان في قعدة بعيد من العكارة
يرده الرعاة والمارة وكان ماوه ملحا فلما الف يوسف فيه عذب فلما نزلوا ارسلا رجلا من اهل
مدين يقال له مالك بن داغر الخزاز ليطلب لهم الما فذلك قوله **فارسلا واردهم فادى في لوه**
والوارد هو الذي يتقدم الرفقة الى ما ينهي الارشية والدلا يقال ادليت الدلو اذا ارسلت في البير
ودلوها اذا اخرجتها قالوا فتعلق يوسف عليه السلام بالجبل وكان يوسف احسن ما يكون من
العلماء وذكر البغوي غير سندان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطى يوسف شطر الحسن ويقال انه
ورث ذلك الجاهل من جدته سارة وكانت قد اعطيت سدر الحسن قال محمد بن اسحق ذهب يوسف
وامه بثلثي الحسن وحكي التعليل عن كعب الجار قال كان يوسف حسن الوجه جود خيبر العينين
مستوي الخاق ابيض اللون غليظ الساعدين والعصدين والساقين خميص البطن صغير

التي كانت تحت واثنا على النبي قيل هي العبرانية واصلا امتياح الي قال لغوت فقبل هيتك فمن قال لغوت لغوت
 العرب يقول ان العرب وافقت اصحاب هذه اللغة فنكلت بها على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغات
 العرب للروم في القسطاس ولغة العرب للفرس في اقليد ولغة العرب للترك في القساق ولغة العرب
 للحاشية في ناشية الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها وقري هيت لك بكسر اللام
 المعجمة ومعناه ثقيات لك **قال** يعني قال يوسف **معاذ الله** اي اعوذ بالله واعتصم به والجا اليه فيما
 فيها وعوتني اليه **انه ربي** يعني ان العزير فظفير سيد **احسن مثواي** اي اكرم منزلي فلا اخوته
 وقيل ان الها في انه راجعة الى الله تعالى يقول ان الله ربي احسن مثواي يعني انه اواني ومن يلا الحب
 تجاني **انه لا يفلح الظالمون** يعني ان فعلت هذا الفعل فان ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه انه
 لا يسعد للظالمين ولا يفلح الظالمين **وقد رقت به وهم لها لولة ان راي برهان ربه** الآية هذه الآية
 الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها في مقامين **الاول** في ذكر اقوال المفسرين في هذه
 الآية قال المفسرون المهر هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقيل المهر صدر رمت بالشئ اذا
 اردته وحديثك نفسك به وقاربته من غير دخول فيه فبقي قوله ولقد رقت به اي اردته وقصدته
 فكان مهرها عزمها على المعصية والزنا وقال الزمخشري مهرها اذا قصد وعزم عليه قال الشاعر
 وهو عمر بن صابي البرجي **همت ولم افعل وكدت وليتني** تركت على عثمان تنكي جلاله **معاذ الله**
 وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت لمخالطة وهمتها وهمتها لمخالطتها **الاول** ان راي برهان ربه
 جوابه محذوف تقديره لما لطها قال البغوي وامامهم بها فري عن ابن عباس انه قال حل الهيمان
 وجلس منها مجلس الخاين وقال مجاهد حل سراويله وجعل يحال ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين منهم
 سعيد بن جبير والسنن وقال الفطاح حري الشيطان بينهما ففرض يده الي جسد يوسف ويده
 الاحري جسد المرأة حتى جمع بينهما قال ابو عبيد القاسم بن سلام وقد انكر هذا القول قال البغوي
 والقول لما قاله قدما هذه الامة وهم كانوا اعلم بالله ان يقولوا في الانبياء من غير علم قال السدي وارتحق
 لما اردت امرأة العزير امرودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتبوقه الي نفسها
 فقالت يا يوسف ما احسن شعورك قال هو اول ما ينشئ من جنس ربي قالت ما احسن عينيك قال في
 اول ما تشيل علي خدي في قفري قالت ما احسن وجهك قال هو للتراب يا كله وقيل لها قال الله
 ان فراش الحرير مبسوط فمرفق فمرفق طحني قال اذا يدب نصيبي من الجنة فلم تزل قطعته وتدعوه
 الى اللذة وهو شاب مجذ من شق الشباب ما يجد الرجل وهي امرأة جميلة حسنة حتى لان لها ممسا
 بري من كل ما به فصرها ثم ان الله تعالى تدار لعبد يوسف بالبرهان الذي ذكره وسياتي الكلام
 على تفسير البرهان الذي راه يوسف عليه السلام فهذا ما قاله المفسرون في هذه الآية المعقولة
 الثاني في تنزيه يوسف عليه السلام عن هذه الرذيلة وبيان عصمة من هذه الخطية التي نسب
 اليها قال بعض المحققين المهر هان فمضت ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقيدة ورضا مثل
 هم امرأة العزير فالعبد ما خذ به وهم عارض وهو الخطر في القلب وحديث النفس من غير اختيار
 ولا عزم مثل هو يوسف فالعبد عن ما خذ به ما لم يتكلم او يعمله ويدل على صحة هذا ما روي
 عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا قم عبدي بسية فلا
 تكتبوها عليه فان علمها فكتبوها سية واحدة واذا قم بحسنة فلم يعلمها فكتبوها حسنة فان علمها

ربي

منهم

فكتبوها

فكتبوها عشرة لفظ مسلم والجاري بمعناه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما روي
 عن ربه عن رجل ان الله تبارك وتعالى كتب الحسنات والسيئات تقريين ذلك فمن هو حسنة فلم
 يعلمها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها وعلمها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعين ضعف
 الى اضعاف كثيرة ومن لم يبعث فلم يعلمها كتبها الله له عنده حسنة وان هو لم يعلمها كتبها الله له سية
 واحدة راد في رواية او محاهدا لا يعلمها على الله الاهاك قال القاضي عياض في كتابه الشفا فعلي
 مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس بواحدة وليست بسية وذكر الحديث المتقدم
 فلا معصية في هو يوسف عليه السلام اذا ما علم مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان
 المهر اذا وضعت عليه النفس كان سية ولما لم يوطن عليه النفس من قهرها وخوارها لم يفلح للعفو عنه
 هذا هو الحق فيكون ان شاء الله هو يوسف من هذا ويكون قوله وما ابري نفسي الا به اي ما ابريها
 من هذا المهر او يكون ذلك على طريق التواضع والاعتذار لمخالفة النفس لما رزق قيل وبري فكيف
 وقد حلي ابو حاتم عن ابي عبيد ان يوسف عليه السلام لم يهم وان الكلام فيه تقدم وناخري ولقد
 همت به ولولة ان راي برهان ربه لهم بها وقال تعالى حاكيا عن المرأة ولقد راودته عن نفسه
 فاستعصم وقال تعالى كذلك نصرت عنه السوء والفحشاء وقال تعالى غلقت الابواب وقال هيتك
 قال معاذ الله الآية وقيل في قوله وهم بها اي بزجرها وعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعها وقيل
 هم بها اي نظرها وقيل هم بها اي دفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال
 السامعين الي يوسف ميل شهوة حتى نباه الله فالتقى عليه هيبه النبوة فشغل هيبته كل من راه
 عن حسنه هذا اخر كلام القاضي عياض رحمه الله **واما** الامام فخر الدين فذكر في هذا المقام
 كلاما طويلا مبسوطا وانا اذكر بعضه مختصا فاقول قال الامام فخر الدين ان يوسف عليه السلام
 كان بريئا من العمل الباطل والمهر المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه تقول
 وعنه ندب فان الله يل قد دل على عصمة الانبياء عليهم السلام ولا يلتفت الى ما نقله بعض
 المفسرين عن الامة المتقدمين فان الانبياء عليهم السلام سي صدرت منهم زلة او همزة
 استعظوها وانبعوها باظهار الندامة والتوبة والاستغفار ولو اني بالتوبة لحكي الله عنه
 ذلك في كتابه كما ذكر عن غيره من الانبياء وحيث لم يحك شياعته علما برأيه ما قبل فيه ولم يصد عنه
 شيئا ما نقله اصحاب الاخبار ويبدل على ذلك ايضا ان كل من كان له تقابل هذه الواقعة فقد شهد
 ببراءة يوسف عليه السلام عائب اليه واعلم ان الذين هم يعلقون بهذه الواقعة يوسف
 والمرأة وزوجها والنسوة اللاتي قلعن ايديهن والشهود الذين شهدوا على القمصر الله تعالى
 شهد ببراءته من الذنب ايضا اما بيان ان يوسف ادعى براءته ما نسب اليه قوله في راودتي
 عن نفسي وقوله رب السجائب الى ما يدعونني اليه ولما بيان ان المرأة اعترفت على نفسها واعتز
 ببراءة يوسف ونزاهته بقولها انا راودته عن نفسه فاستعصم وقولها ان حصص الحق انا
 راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين واما بيان ان زوج المرأة اعترف ايضا ببراءة يوسف
 فقوله انه من كيد كنان كيدك عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفر لي ذنبك انك كنت
 من الخاطئين واما شهادة الشهود ببراءته فقوله وشهد شاهد من اهله الآية ولما شهادة الله
 له بذلك فقوله تعالى كذلك نصرت عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فشهد الله له

كما ذكر عن ابيه في قوله وانا ظلمنا انفسنا الآية
 وقال في حق يوسف عليه السلام فاستغفر ربه
 وصرا كما واناب واما يوسف عليه السلام
 فاجل عنه شيئا من ذلك في هذه الواقعة
 لو شهد عنه شيئا بالنبوة والاستغفار

في هذه الآية براءة من عباده المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بل
قوله لا يؤمنهم اجمعين الاعباد منهم المخلصين وبطل هذا قول من قال ان الشيطان جري بينهما حتى
احتجبه وجسد المرأة جمع بينهما فانه قول منكر لا يجوز لا حدان يقول ذلك وامامنا روي عن ابن
عباس انه جلس من مجلس الخائفين فحاشي ابن عباس ان يقول امثال هذا القول عن يوسف عليه السلام لعل
بعض القضاة اصحاب الاخبار وضعوه على ابن عباس ولذلك ما روي عن مجاهد وغيره ايضا فانه لا يكاد
يصح سند صحيح فبطل ذلك كله وشئت ما بيناه من براءة يوسف عليه السلام من هذه الرذيلة والله اعلم
بمراده واستكرار كتابه وما صدر من انبيائه عليهم السلام فان قلت فعلى هذا التقدير لا ينبغي
لقوله عز وجل لولا ان راي برهان ربه فائدة **قلت** فيه اعظم الفوائد من وجهين احدهما
انه تعالى علم يوسف انه لو هرب ففعلته فاعلمه بالبرهان ان الاستماع من صرختها اولي من صرختها
لنفسه عن الهلاك الوجه الثاني انه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلق به فكان في ذلك
ان يتفرق بغيره من قديم وكان في علم الله ان الشاهد يشهد بان ثوبه لو تمزق من قدامه لكان يوسف
هو الخائن واذا تمزق من خلفه كانت هي الخائنة فاعلمه بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عنه
بل ولى هارباً فثبت بذلك الشاهد حجة له لا عليه واما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون في قوله
تعالى لولا ان راي برهان ربه فقال قتادة واكثر المفسرين ان يوسف راي صورة يعقوب وهو
يقول له يا يوسف اتعمل عمل السفها وانت مكتوب في الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبيرة ومجاهد
وعكرمة والضحك انفرج له سقف البيت فزاي يعقوب عاضاً على اصبعه وقال سعيد بن جبيرة
عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب يده في صدره فخرجت شهوة من انامله وقال السدي يودي
يا يوسف انوا قمرها انما مثلك عالم فوافها مثل الطير في جوف السماء يطلق عليه ومثل ان واعتهما
لمثله اذا وقع على الارض لا يستطيع ان يدفع عن نفسه شيئا ومثل عالم نوا قمر مثل الطير الثور
الصعب الذي لا يطاق عليه ومثل ان واقعة كمثلها اذا مات ودخل النمل في ثورته لا يستطيع ان
يدفع عن نفسه وقيل انه راي معصماً بلا عصم عليه مكتوب وان عليك لحاظين كراما كائنين
يعلمون ما يفعلون فولي هارباً ثم رجع فغاد المعصم وعليه مكتوب لا تقر بوا الزنا انه كان
فاحشة ومقتوا سبيلاً فولي هارباً ثم عاد فزاي ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا يومنا
ترجعون فيه الى الله الاله ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل ادر عبيدي يوسف قبل ان يصيب
الخطية فاحط جبريل عاضاً على اصبعه يقول يا يوسف اتعمل عمل السفها وانت مكتوب عند الله
في الانبياء وقيل انه سمعه بخناحه فخرجت شهوة من انامله وقال مجاهد كعب القرظي رفع يوسف
راسه الى سقف البيت فزاي كتاباً في جايط ولا تقر بوا الزنا انه كان فاحشة وسبيلاً في
رواية عن ابن عباس انه راي مثل الخلك وعن علي بن الحسين قال كان في البيت صنم فقامت
المرأة اليه وسرته بتوب فقال لها يوسف لم فعلت هذا فقالت استحييت منه ان يراي
على معصية فقال لها يوسف استحييت مني لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه فانا احق ان استحي من
ربي وهرب فذلك قوله لولا ان راي برهان ربه ولما المحققون فقد فسروا البرهان بوجه
الاول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التي حبلا في قلبه حالت بينه وبين
ما يخط الله عز وجل الثاني البرهان حجة الله عز وجل على العبد في تحرير الزنا والعلم بما

ويانه

على الثاني

على الثاني من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبياء عليهم السلام من الاخلاق الذميمة
والافعال الرذيلة وجلبهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فذلك الاخلاق الطاهرة
الشريفة تجزهم عن فعل ما لا يليق فعله **كذلك** يعني كما ارنا البرهان كذلك **انصرف عنه السر** يعني
الام **والفحشا** يعني الزنا وقيل السوءمقدمات الفحشا وقيل السوا الشا القبيح فصرف الله عنه ذلك
كله وجعله من عباده المخلصين وهو قوله **انه** يعني يوسف **من عباده المخلصين** فزاي يفتح اللام
ومعناه انه من عباده الذين اصطفينا همرا لنبوة واختارنا همرا على غيرهم وفزاي بكسر اللام ومعناه
انه من عباده الذين اخلصوا همرا الطاعة لله عز وجل قوله تعالى **واستبقا الباب** وذلك ان
يوسف عليه السلام لما راي البرهان قام هارباً مبادراً الى الباب وتبعته المرأة لمساك عليه الباب
حتى لا يخرج والمساكة طلب سبق فسبق يوسف وادركته المرأة وتعلقت بقميصه من خلفه
وحذبت حتى لا يخرج فذلك قوله **وقد تمسكه من دبر** يعني شقته من خلف فغلب يوسف
فخرج وحزبت خلفه **والغيايد هالد الباب** يعني فلما خرجا وجدان وج المرأة قطعت
وهو العن بزعن الباب جالساً مع ابن عم المرأة فلما رآته المرأة هابته وخافت التهمة فضاقت
يوسف بالقول **قالت** يعني لزوجها **ما جاز من اراد بالهلك سوا** يعني الفاحشة ثم ضاقت عليه
ان يقتل وذلك لشدة حبها له فقالت **ان ليحس** اي يحس في التجن وتسمع النقر **اوئذا**
اليس يعني الضرب بالسياط وانما بدأت بذل السجن على العذاب لان الحب لا تشي ايلام
المحبوب وانما ارادت ان يحس عندها يوماً او يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهم
فلما سمع يوسف مقالها اراد ان يبرهن عن نفسه **قال** يعني يوسف **هي راودتني عن نفسي**
يعني طلبت مني الفاحشة فاييت وفترت وذلك ان يوسف عليه السلام ما كان يريد ان يذكر
هذا القول ولا يهتك سترها ولا يلمها قالت هي ما قالت ولطخت عرضه احتاج الى ان القهنة التهمة
عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي **شهد شاهد من اهلها** يعني وحكمها كمن اهل المرأة
واختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبيرة والضحك كان صبياً في المهد انطقه الله عز
وجل وهي رواية عن ابن عباس وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة
وهم صغار ابن ماشطة فزعون وشاهد يوسف وصاحب جريح وعيسى بن مريم ذكره البغوي
بغير سند والذي جاني الصبي ثلثة عيسى بن مريم وصاحب جريح وابن المرأة وقصته
مخرجة في الصحيح قيل كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة
وقتادة ومجاهد لم يكن صبياً ولكنه كان رجلاً حكيماً اذ راي قال السدي هو ابن عم المرأة فلم
يقال **ان كان قيصه قد من قبل** اي من قدام **فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قيصه**
قد من دبر اي من خلف **فكذبت وهو من الصادقين** وانما كان هذا الشاهد
من اهل المرأة ليكون اقوي في نفي التهمة عن يوسف عليه السلام مع ما وجد من لشم العاهات
الهالة على صدق يوسف ونفي التهمة عنه منها انه كان في الظاهر مملوك هذه المرأة والمملوك
لا تنسب اليه السيدنة ومنه انهم شاهدوا يوسف بعد ولجوا هرباً منه والظاهر انهم عرفوا
ومسح انهم راوا المرأة وقد ترتبت باكل الوجوه فكان الحاق التهمة بها اولي ومنه انهم عرفوا
يوسف في المدغ الطويلة فلم يبر واعليه حالة تناسب اقدمه على مثل هذه الحالة فكان مجموع

ابنه

هذه العلامات دالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه ايضا **فاما راي قتيبه** قد مر من دبر
يعني فلما راي قتيبة روح المرأة فحين يوسف عليه السلام قد سبق من خلفه عروجة امرأة وبسرة
يوسف عليه السلام **قال** يعني قال لها زوجها قتيبة **انه هذا الصنيع من كيدك** يعني من جيلك ويكره
ان كيدك عظيم فان قلت كيف وصف كيد الشايب لعظم مع قوله تعالى وخاف
الانسان ضعيفا وهلاكه ان مكر الرجال اعظم من مكر النساء قلت اما كون الانسان خاف ضعيفا
فهو بالنسبة الى خاف ما هو اعظم منه كخاف الملائكة والسموات والارض والجبال وبحر ذلك ولما عظم
كيد النساء ومكرهن في هذا الباب اعظم من كيد جميع البشر لان هن من المكر والحيل والكيد في انما
مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيدك ان كيدك عظيم من قول
الشاهد وذلك انه لما ثبت عند حياة المرأة وبراة يوسف عليه السلام قال هذه المقالة **يوسف**
يعني يا يوسف **اعرض عن هذا الحديث** فلان ذكره لا حد حتى لا يقشروا ويشيع وينشر بين الناس
وقيل معناه يا يوسف لا تذكر هذا الامر ولا تنم به فقد بان عذر دكر وربك انك التقت الى المرأة
فقال لها **واستغفري لذنبك** اي تقيني الى الله ما ربيت يوسف به من الخطية وهو بري منها
وقيل ان هذا القول من قول الشاهد يقول للمرأة سلمي زوجك ان يصيح عنك ولا يبا قبل بسبب ذنبك
انك كنت من الخاطئين يعني من الذين حين خنت زوجك وربيت يوسف بالتمه وهو بري
وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخطايات تعليبا لحسن الرجال على النساء وقيل انه لم يقصد به الخبر
عن السائل قصد الخصم عن من يفعل من هذا الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطئين فهو كقوله
وكانت من القاتلين قوله عز وجل **وقال بنوه في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها**
عن نعيم يعني وقال جماعة من النسوة كمن خشا وقيل هن اربع وذلك لما شاع خبر يوسف والمرأة في مكة
مصر وقيل هي مدينة عين الشمس وتحدث النساء فيما بينهن بذلك وهن امرأة حاجب الملك امرأة
صاحبه ووابه وامرأة خبازة وامرأة ساقية وامرأة صاحب سجنه وقيل نسوة من اشراف مصر **امرأة**
العزير يعني زليخا **ان تراها في ضلال مبين** يعني تراود عبيدها الكنعاني عن نفسه بانه
يتطلب منه الفاحشة وهو تمتنع من ذلك الفتي الشاب الحديث **قد شغفها حب** يعني قد غلبها حبا
والشفاف جلد محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حبه دخل الجلد حتى اصاب
القلب وقيل ان حبه احاط بقلبه كاحاطة الشفاف بالقلب قال الكاظمي حبه قلبه حتى لا تعقل
شيا سواه **ان تراها في ضلال مبين** يعني في خطاين ظاهرت تركت ما يجب على امثالها
من العفاف والستر واهتفت بها **فلا سمعت عكرهن** يعني فلما سمعت زليخا يقولن وما
تحدث به وانما سمى قولهن ذلك مكر لانهن ظلمن بذلك روية يوسف وكان يوسف لهن حسنة
وجماله فقصدن ان يرينه وقيل ان امرأة العزيز راقت اليهن سرها واستكتمت فافشيت
ذلك عليها فلذلك سماه مكر **الرسول البين** يعني ايضا لما سمعت بانهن ظلمن على محبتها
ليوسف ارادت ان تقيم عدلها عندهن قال وهب اتخذت مادية يعني صنعت لهن وليمة
وصنافة وودعت اربعين امرأة من اشراف مدينتها ففعلنها ولا اللائي غيرهن **واعتدت لهن**
مشا يعني وصنعت لهن منارق ومنازل يتكبن عليها وقال ابن عباس من الحسن وابن جبر وقادة
ومجاهد سكا يعني طعاما وانما سمي الطعام سكا لان كل من دعوته ليظهر عنده فقد اعدت

امرأة العزيز
فلا سمعت عكرهن

له وسابح مجلس ويتكلم عليها فسمى الطعام سكا على الاستعارة ويقال انك ناعند فلان اي طعنا عندك
والميت كما يتكلم عليه عند الطعام والشراب والحديث ولذلك كما التفتي عنه في الحديث وهو قوله صلى الله
عليه وسلم اكل ميتكيا وقيل الميتكيا لا ترج وقيل هو كل شيء يقطع بالسكين او يخرج بها يقال ان المرأة
زينت البهت بالوان الفواكه والاطعمة وضعت الوسايد ودعت النسوة التي غيرتها بحب يوسف
وات كل واحدة منهن سكين يعني واعطت كل واحدة من النساء سكينا لتاكل بها وكان من عادتهن
ان ياكلن اللحم والفواكه بالسكين **وقالت اخرج عليهن** يعني وقالت زليخا ليوسف اخرج علي
النسوة وكان يخاف من مخالتهن فخرج عليهن يوسف وكان قد ربيته واحبسته في مكان اخر
فلما راينه يعني للنسوة **البرقة** يعني اعطته ودهشن عند رويته وكان يوسف قد اعطى
شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس افضل القمليلة البدر على سائر النجوم وروي
ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري لي الى السما يوسف كالقمر
ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال المحقق بن ابي ثور كان يوسف اذا سار في ان قمصر يري
تلاها وجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن ادم يوم خلقه الله عز وجل قيل ان خرج من الجنة وقال
ابو القاليه ها هن امره وهن ابنة اليه وفي رواية عن ابن عباس قال اكرهه اي حصى ونحوه عن مجاهد
والفحاح قال حصى من الفرج وانكر اكثر اهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست
معروفة في اللغة والها في الكبرية تمتع من هذا لانه لا يجوز ان يقال لساقد حصنه لان حصن لا يتعد
الى اللغو قال الانهري ان صحت هذه اللفظة في اللغة فلما خرج وذلك ان المرأة اذا خاضت
اول ما تحيض فقد خرجت من جدار الصغار الى جدار الكبار فيقال لها كبرت اي خاضت على هذا المعنى قال
الانهري فان صحت الرواية عن ابن عباس سلم له وجعلنا الهاتين قوله اكرهه ها الوقت لها الكا
وقيل ان المرأة اذا خافت او فرغت فرما استعطت ولدها وتحيض فان كان ثم حيض فربما كان من
فرع من وما هاهن من امر يوسف حين راينه قال الامام فخر الدين الرازي وعندي انه اختارها
اخر وهو انهن انما اكرهه لان راي عليه نور النبوة وسما الرسالة واثار الخضوع والاحبات وسما
فيه مهابة وهيبه ملكيه وهي عدم الالتفات الى الطعوم والمناوح وعدم الاعتداد بهن وكانت
الجمال العظيم مغر وباتلك الهيبة والهيبة فتعجب من تلك الحالة فلا جرم اكرهه وعظمته ورفع
الرب والمهابة في قلوبهن قال رجل الاية على هذا الوجه الاولي **وقطعن ايديهن** يعني وجعلن
يقطعن ايديهن بالسكاكين اليه معهن وهن يحسن انهن يقطعن الاثر ولم يجدن الا لم لهن
وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد لما احسن الا بالدم وقال قتادة بن ابيديس حتى القينها
والاصح انه كان قطعا من غير ابانة وقال وهب مات جماعة منهن **وقلن** يعني النسوة **حاشا لهن**
بشرا اي معاذا لله ان يكون هذا بشرا **ان هذا الملك كريس** يعني على الله والمقصود
من هذا اثبات الحسن العظيم العزط ليوسف لانه قد ذكر في النفوس ان لا شيء احسن من الملك
قل ذلك وصغته يكونه ملكا وقيل لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجميع الافات والحوادث
التي تحصل للبشر وصفت يوسف بن يوسف بنك قوله تعالى **قال قد لئن الذي لتكني فيه** يعني قالت
امرأة العزيز للنسوة لما راين يوسف ودهشن عند رويته فذلك الذي لتكني فيه في محبته
وانما قالت لاقامة عدلها عندهن حين قلن ان امرأة العزيز قد شغفها فتاها الكنعاني جا

وما تدخرون في بيوتكم فقال لا يوسف عليه السلام هذا من علم العرافين والكهنة فمن ان لهذا العلم
فقال انما انا بياهن ولا عراف وانما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذي اجزه اياه **دلكما علمني ربي**
يعني ان الذي احبته بكاه وحسن الله احواله الى علم علمه **اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله** فان قلت
ظاهر قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه كان عليه السلام دخل في هذه الملة ثم تركها
وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم السلام من حين ولدوا واطهروا الى الوجود هم على التوحيد
مع هذا القول في قوله تركت قلت **الجواب** من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم
التعرض للشي والالتفات اليه بالمرء وليس من شرطه ان يكون قد كان داخل فيه ثم تركه
وخرج عنه **الوجه الثاني** وهو الاقرب ان يوسف عليه السلام لما كان عند العزيز وهو
كافر وجميع من عنده كذلك وقد كان بينهم ويوسف كان على التوحيد والايان الصحيح ان قوله
اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله **وهم بالاحرة هم كافرون** ترك ملة قوم وعرض عنهم ولم
يواقعهم على ما كانوا عليه ونكر برؤسهم في قوله **وهم بالاحرة هم كافرون** للتوكيد لشدة انكارهم
للعاد وقوله **وانت ملة اباي ابراهيم واسحق ويعقوب لما ادعى يوسف النبوة** واطهر المعجزة اظهر
انه من اهل بيت النبوة ليسعوا ويطيعوا امره فيما يدعونه من التوحيد **ما كان لنا ان نشرك**
بالله من شيء معناه ان الله تعالى لما اختارنا لنبوة واصطفانا برسالة وعصمنا من الشرك
ما كان ينبغي لنا ان نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التي احتصنا بها قال الواحد في لفظه من
في قوله من شيء زائدة مؤكدة لقولك ما جاني من احد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ما صح لنا
معشر الانبياء ان نشرك بالله اي شيء كان من ملك اوجي او اني فضلا ان نشرك به صملا لا يسع
ولا يصير ذلك من فضل الله يعني ذلك التوحيد وعدم الاشراك والعلم الذي رزقنا من فضل
الله **علينا وعلى الناس** يعني بما نصب لهم من الادلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق
الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على عباده **ولكن اكثر الناس لا يشكرون** يعني ان اكثرهم
لا يشكرون الله على هذه النعم اليه انهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهم الى
الاسلام فقال **يا صاحبي السجن** يريد يا صاحبي في السجن فاضافها الى السجن كما تقول يا سارق
الليله لان الليلة مسروقة وغير مسروقة ونحو ان يريد يا سارق السجن لقوله اصحاب النار
واصحاب الجنة **الرباب منقرقون** الى الهة شتى من ذهب وفضة وصغر وحديد وخشب وحجارة
وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة وهي مع ذلك لا تقهر ولا تنفع **خيرام الله**
الواحد القهار يعني هذه الاصنام اعظم صفة في المدح واستحقاق اسم الالهية والعبودية
والعبادة لم الله الواحد قال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل هو المنقطع عن
الغيرين والمعدوم والشريك والتظير ليس هو كساير الاحاد من الاحسام المولعة لان ذلك قد
يكثر بانضمام بعضها الى بعض ولو احد ليس كذلك فهو الله الواحد الذي لا مثله ولا يشبهه
شي في خلقه **القهار** قال الخطابي القهار هو الذي تهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وتقر الخلق
كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذي يترك كل شيء فذلكه فاستسلم وانقاد ودله والمعني
ان هذه الاصنام التي تعبدونها دليله مقبورة اذا اراد الانسان كسدها واهانتها فقدر عليه
والله هو الواحد في ملكه القهار لعباده الذي لا يغلبه شيء وهو الغالب لكل شيء سبحانه وتعالى

فانما هذا هو يوسف عليه السلام لما كان في السجن فذكر الله له ما كان عليه من التوحيد والايان الصحيح ان قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه كان عليه السلام دخل في هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم السلام من حين ولدوا واطهروا الى الوجود هم على التوحيد مع هذا القول في قوله تركت قلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشي والالتفات اليه بالمرء وليس من شرطه ان يكون قد كان داخل فيه ثم تركه وخرج عنه الوجه الثاني وهو الاقرب ان يوسف عليه السلام لما كان عند العزيز وهو كافر وجميع من عنده كذلك وقد كان بينهم ويوسف كان على التوحيد والايان الصحيح ان قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاحرة هم كافرون ترك ملة قوم وعرض عنهم ولم يواقعهم على ما كانوا عليه ونكر برؤسهم في قوله وهم بالاحرة هم كافرون للتوكيد لشدة انكارهم للعاد وقوله وانت ملة اباي ابراهيم واسحق ويعقوب لما ادعى يوسف النبوة اظهر انه من اهل بيت النبوة ليسعوا ويطيعوا امره فيما يدعونه من التوحيد ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء معناه ان الله تعالى لما اختارنا لنبوة واصطفانا برسالة وعصمنا من الشرك ما كان ينبغي لنا ان نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التي احتصنا بها قال الواحد في لفظه من في قوله من شيء زائدة مؤكدة لقولك ما جاني من احد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله اي شيء كان من ملك اوجي او اني فضلا ان نشرك به صملا لا يسع ولا يصير ذلك من فضل الله يعني ذلك التوحيد وعدم الاشراك والعلم الذي رزقنا من فضل الله علينا وعلى الناس يعني بما نصب لهم من الادلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على عباده ولكن اكثر الناس لا يشكرون يعني ان اكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم اليه انهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهم الى الاسلام فقال يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فاضافها الى السجن كما تقول يا سارق الليلة لان الليلة مسروقة وغير مسروقة ونحو ان يريد يا سارق السجن لقوله اصحاب النار واصحاب الجنة الرباب منقرقون الى الهة شتى من ذهب وفضة وصغر وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة وهي مع ذلك لا تقهر ولا تنفع خيرام الله الواحد القهار يعني هذه الاصنام اعظم صفة في المدح واستحقاق اسم الالهية والعبودية والعبادة لم الله الواحد قال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل هو المنقطع عن الغيرين والمعدوم والشريك والتظير ليس هو كساير الاحاد من الاحسام المولعة لان ذلك قد يكثر بانضمام بعضها الى بعض ولو احد ليس كذلك فهو الله الواحد الذي لا مثله ولا يشبهه شيء في خلقه القهار قال الخطابي القهار هو الذي تهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وتقر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذي يترك كل شيء فذلكه فاستسلم وانقاد ودله والمعني ان هذه الاصنام التي تعبدونها دليله مقبورة اذا اراد الانسان كسدها واهانتها فقدر عليه والله هو الواحد في ملكه القهار لعباده الذي لا يغلبه شيء وهو الغالب لكل شيء سبحانه وتعالى

ثم يخرج

ثم يخرج الاصنام وانما الاشياء البتة فقال **ما نقصد ومن دونه** يعني من دون الله وانما
قال نقصد ونبلغه الجمع وقد ابتدأ التثنية في مخاطبة لانه اراد جميع من في السجن من المشركين
الاستماعة يعني سمعوا الله واربابا وهي حجارة حماد خالصة عن المعنى الحقيقية
لها **انتم واباؤكم** يعني من قبلكم سموها الهة **ما انزل الله بها من سلطان** يعني
ان تثنية الاصنام الهة لا حجة لكم ولا كرهان ولا امر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله امرنا
بهذه التثنية فزاد الله عليهم بقوله ما انزل الله بها من سلطان **ان الحكم الا لله** يعني ان
الحكم والقضاء الامر والنهي لله تعالى لا شريك له في ذلك **امر ان لا تعبدوا الا اياه** لانه
هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي سمعوها الهة **فلك الدين القيم** يعني عبادة
الله هو الدين المستقيم **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ذلك ولما فرغ يوسف عليه
السلام من الدعاء الى الله وعبادته رجع الى تعبير رويها فقال **يا صاحبي السجن اما احببنا فيسقي**
به خمر يعني ان صاحب شرب الملك يرجع الى منزله ويسقي الملك خمر كما كان يسقيه اول مرة
والعناقيد الثلاثة هي ثلاثة ايام يسقي في السجن ثم يدعو اليه الملك ويرده الى منزله التي كان عليها
واما الاخر فيصطب يعني صاحب طعام الملك والسلال الثلاث ثلاثة ايام ثم يدعوه
الملك فيصليه **فما كل الطير من راسه** قال ابن مسعود لما سمع قول يوسف عليه السلام قال
ما راينا شيئا انما كان لعب قال يوسف **قضي الامر الذي فيه تستفتيان** يعني فرغ من الامر
الذي سالتما عنه ووجب حكم الله عليهما بالذي اخبركما به لانهما اولم تريا شيئا **قال** يعني يوسف
للذي ظن يعني علم وحقق والظن يعني العلم انه **ما جاني من احد** يعني ساقى الملك **اد لوي**
عند ربك يعني عند سيدك وهو الملك الاكبر فكل له ان في السجن غلاما محبوبا مظلوما طالجه
فانساه الشيطان ذكر ربه فيها الكاية في فاشاءه الى من يعود فقل ان احدهما ان رجع
الى الثاني وهو قول جماعة من المفسرين والمعني فاشى الشيطان الساقى ان يذكر يوسف عند
الملك قالوا لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقى حتى انساه ذكر يوسف اولى من
صرفها الى يوسف والقول الثاني وهو اثر المفسرين ان هذا الكاية ترجع الى يوسف والمعني
ان الشيطان الذي يوسف ذكر ربه عز وجل حتى انتهى العزج من غيره واستعان بالخلق مثله
وتلك عقلة عصفت ليوسف عليه السلام فان الاستعانة بالخلق في دفع الضرر جائز الا انه لما كان
مقام يوسف اعلى المقامات ورتبته اشرف الراتب وهي منصب النبوة والرسالة لا يجوز صار
يوسف مواخذا بهذا القدر فان حسنات الابراشيات المعترين فان قلت كيف
تمكن الشيطان من يوسف حتى انساه ذكر ربه قلت بشغل خاطر والعا الوسوسة فانه قد
صح في الحديث ان الشيطان يحري من ابن ادم محري الدم فاما النسيان الذي هو عبارة عن
ترك الذكر وان التمه عن القلب بالكلية فلا يتدر عليه وقوله تعالى **فلنبت في السجن سبع سنين**
اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث الى السبع وقال قتادة هو ما بين
الثلاث الى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة واثر المفسرين على ان البضع في
هذه الآية سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها في السجن خمس سنين فجملة ذلك اثنا عشرة سنة
وقال وهب اماب ايوبت الابل سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وقال ابي مالك بن

ديارها قال يوسف للتسائي اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتحدث من دوني وكلام لا يطعن عليك فبكى
يوسف وقال رب انساني قلبي كثرة المأوى فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله
يوسف لولا كلمته التي قالها ما كنت في السجن ما كنت في السجن يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال اذكرني
ثم لبنا امر فرغنا الى الناس ذكره البغوي في الثعلبي مرسل لا يغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف
في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يا يوسف يا اخا المذنبين مالي اراكم بين الخاطئين فقال
له جبريل يا طاهر بن الطاهر بن بقر عليك السلام رب العالمين ويقول لكم انما استحييت مني ان
استعنت الادميين فوعزني لا تشك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك عني اذكرني
نعم قال اذ انا ابائي وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل من خلقك قال الله قال كعب بن مالك
قال الله قال فمن حبك اليك قال الله قال فمن تحاك من كرب البر قال الله قال فمن علمك تاويل الرويا
قال الله قال فمن صرف عنك سوء الخسأ قال الله تعالى فكيف استعنت بادي مثلك قالوا فلما انقضت
سبع سنين قال للكلبي وهذه السبع سوي الخمس سنين التي كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف واراد الله
عن رجل اخر اوجه من السجن راي ملك مصر الاكبر روي عجيبة هائلة وذلك انه راي في منامه سبع بقرات
سمان قد خرجن من البحر فخرج عقيهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فاستلج العجاف السمان
ودخلن في بطونهن ولم ير منهن شيئا ولم يبين علي العجاف من شيء وراي سبع سنبلات خضر
قد انعدجها وسبع اخر يابسات قد استحصدن فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن
ولم يبق من خضرها شيء فجمع الحرة والكهنة والمعبرين فنقص عليهم روياء له رايها فذلك قوله
وقال الملك اني اري سبع بقرات سمان ياكلن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابس
يا ايها الملا فتوفي في يعني يا ايها الاشرف اخبروني بتاويل روياء ان كنتم للرويا مقبرون
يعني ان كنتم تحسنون علم العبارة وعلم التعبير تحقروا تفسير الرويا وسمي هذا العلم تفسير الانفس
لرويا عابرين ظاهرها الباطن ليسخرج معناها وهذا الحضر من التاويل لان التاويل يقال فيه
وفي غيره **قالوا** يعني قال جماعة للملا وهم الحرة والكهنة والمعبرون مجيبين للملك **اضغاث احلام**
يعني اخلاط مشبهة واحدا صغفت واصلة الخزمة المختلطة من انواع الحشيش والاحلام جمع
حلم وهو الرويا التي يراها الانسان في منامه **وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين** لما جعل
الله هذه الرويا سببا لخلاص يوسف من السجن وذلك ان الملك لما رايها قلق واضطرب وذلك
لانه شاهد ان قص الضعيف قد استولى على القوي الكاسل حتى غلبه وقهره فاراد ان يعرف
تاويل ذلك فجمع حرة وكهنة ومعبرين واخبرهم بما راي في منامه وسألهم عن تاويلها فحجز
الله بقدرته عز وجل جماعة الكهنة والمعبرين عن تاويل هذه الرويا ومنهم من الجواب
ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف عليه السلام من السجن فذلك قوله تعالى **وقال الذي كان من وراء**
يعني وقال التسائي الذي كان من السجن والفتل بعد هذا كصاحبه الخمار **واذكر بعد امة** يعني
انه تذكر يوسف اذكرني عند ربك بعد امة يعني بعد حين وهو سبع سنين سمي الحين من
الزمان لانه جماعة ايام وامة الجماعة **انا انبيكم** يعني اخبركم **بتاويله** وقوله انا
انبيكم بلغكم الجمع اما انه اراد به الملك مع جماعة الحرة والكهنة والمعبرين او اراد الملك وحده
وخطبه لبلغك الجمع على سبيل المقتضى وذلك ان النبي السائي حين بين يدي الملك وقال ان في السجن

قاله

روايه

رطلعا

رجلا علما يعبر الرويا **فارسلون** فيه اختصار تقدمه فارسلي ايها الملك فارسله فاني السجن قال
ابن عباس ولم يكن في المدينة **يوسف** اي يا يوسف **ايها الصديق** انما سماه صديقا لانه لم يحرب
عليه كذبا قط والصديق اكثر الصدق والذي لم يكن بقط وقيل سماه صديقا لانه صدق
في تعبير روياء التي رايها في السجن **اقتناي سبع بقرات سمان ياكلن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر**
فان الملك راي هذه الرويا **يعني ارجع الى الناس** يعني ارجع بنا ويل هذه الرويا الى الملك وعما
يعلم يعلمون يعني بنا ويل هذه الرويا وقيل العلم يعلمون من ترك في العلم **قال** يعني قال
يوسف معبر تلك الرويا اما البقرات السمان والسنبلات الخضر فضع سنين محاصيب واما
البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فضع سنين مجذبه فذلك قوله **ترعون** وهذا
جبر عني الامري ارجعوا **سبع سنين** **دايا** يعني عادتكم في الزراعة والاداب العادة
وقيل ارجعوا يجد واجتهاد **فاحصدتم فذرهم في سنبله** انما لم يترك ما حصده من الحنطة
في سنبله لئلا يفسد ولا يقع فيه السوس وذلك ليعلم على طول الزمان **الاقلاما ما تاكلون**
يعني ادرسوا قليلا من الحنطة للاكل بقدر الحاجة وانتم تحفظوا الاكثر لوقت الحاجة ايضا وهو
وقت السنين المجذبة وهو قوله **تقربا في من بعد ذلك** يعني من بعد هذه السنين المجذبة
المحصنة **سبع شداد** اي مطرون من الغيث الذي هو المطر وقيل هو من قولهم يعني سبع
سنين مجذبة محملة شديدة على الناس **يا كاس** يعني يقين **ما قدمت لكم** يعني توكلا من
كلما اعدتم وادخرتم لمن الطعام وانما اضاف الاكل الى السنين على طريق التوسيع في الكلام **الا**
قليلا مما تحصنوا يعني تحزنون وتذخرون البذر والاحصان المحارز وهو ابقا الشيء
في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع **شرا في من بعد ذلك** يعني من بعد هذه السنين المجذبة عام
فيه يعاثر الناس اي مطرون من الغيث الذي هو المطر وقيل هو من قولهم استعنت بفلان
فاغاثني من العوث **فيهم يعصرون** يعني يعصرون العنب حرا والزيتون زيتا والسم هنا
اراد به كثرة الخير والنعيم على الناس وكثرة الحصب في الزرع والثمار وقيل يعصرون معناه يحجون
الكرب والشد والجدب وقوله عز وجل **وقال الملك ايتوني به** وذلك ان التسائي لما رجع الى
الملك واخبره بغيا يوسف وما عبر به روياء استحسنته الملك وعرف ان الذي قاله كان لهالة
قال ايتوني به حتى ابصر هذا الرجل الذي قد عبر روياء هذه العبارة فخرج التسائي الى يوسف
وقال له اجب الملك فذلك قوله تعالى **فلما جاء الرسول** فابي ان يخرج معدي حتى تظهر براته للملك
وهو يراه بعين النقص **قال** يعني يوسف للرسول **ارجع الى ربك** يعني الى سيدك وهو الملك
فاحصا له ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولم يصحح يد امرأة العزيز زاديا واحتراما لها
عن اي هرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ولو كنت في السجن طول لبيت يوسف لاجت
الداعي اخرجه الترمذي وزاده فيه ثم قرأ فلما جاء الرسول قال ارجع الى ربك فسله ما بال
النسوة اللاتي قطعن ايديهن هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه السلام وبيان
قوة صبره وثباته والمراد بالداعي رسول الملك الذي جاء من عنده فلم يخرج معه سدا ولا اتيه
للمراحة ومعارفة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل لثبت في السجن وراسل الملك في كشف
امره الذي يحسن بسببه لظهور براته عند الملك وعينه فاشي رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف

روايه

وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلاء قوله تعالى ان ربي يهديني سواء السبيل
بصنيعه من وما اخبرني في هذه الواقعة من الجليل العظيمة فزجج الرسول الى ربه من عند يوسف اليه
الملك هذه الرسالة لجمع الملك النسوة وامرأة العزيز منهن **قال** هن **ما خطبك** يعني ما شانك وانزل
ادراودن يوسف **نفسه** انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والراودن تلك امرأة العزيز
وحدها ليكون استرها وقيل ان امرأة العزيز راودته عن نفسه وحدها وسائر النسوة امرته
بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب **قالن** يعني النسوة جميعا مجيبات للملك **حاشا لله** يعني
معاذ الله **ما علمنا عليه من سوء** يعني من خيانة في شئ من الاشياء **قالت امرأة العزيز** **ان حصص**
التي يعني ظمروا وتبين وقيل ان النسوة اقبلن على امرأة العزيز فقترنوا وقيل خافت ان يشهدن عليها
فاقرن وقالت **انا راودته عن نفسه** **وانه لمن الصادقين** يعني في قوله هي راودتني عن نفسي
واختلفوا في قوله **ذلك ليعلم اني لم اخنه** **بالغييب** على قولين احدهما انه من قول المرأة ووجه
هذا القول ان هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المرأة **ان حصص** التي اراودته عن نفسه
وانه لمن الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم اني لم اخنه **بالغييب** والمعنى ذلك ليعلم يوسف اني لم
اخنه في حال غيبته وهو في السجن ولم اكتب عليه بل قلت انا راودته عن نفسه **وانه لمن**
الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته ثم ما لفت في تأكيد هذا القول فقالت
وان الله لا يهدي كيد الخائنين يعني اني لما اقدمت على هذا الكيد والمكر لا جرم فقصت لان الله
لا يرشدني بوق كيد الخائنين والقول الثاني انه من قول يوسف عليه السلام وهو قول
الاكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول انه لا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان اخر
اذ اذلت الغريزة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية انه لما بلغ يوسف قول المرأة انا راودته عن
نفسه **وانه لمن الصادقين** قال يوسف ذلك اي ذلك الذي فعلت من ردي رسول الملك اليه
ليعلم يعني العزيز اني لم اخنه يعني في زوجته **بالغييب** يعني في حال غيبته فيكون هذا من كلام
يوسف كقصة كلام امرأة العزيز انا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامع
بذلك مع غموض فيه لانه ذكر كلام انسان ثم اتبعه بكلام اخر من غير فصل بين الكلامين ونظر هذا
قوله تعالى يريد ان يخرجكم من ارضكم هذا من قول الملائكة انما نزل من قول فرعون ومثله قوله
تعالى وجعلوا اعزة اهلهما اذلة هذا من قول سليمان ولذلك يتعاون من قول الله تصديقها فقل
هذا القول اختلفوا ان كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين احدهما انه كان في السجن
وذلك انه لما رجع اليه رسول الملك وهو في السجن واخبره بخواب امرأة العزيز للملك قال
حينئذ ذلك ليعلم اني لم اخنه **بالغييب** وهذه رواية ابي صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جريج
والقول الثاني انه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية عطاء عن ابن عباس
وبه قال ابن جريج **والقول الثاني** انه قال هذه المقالة **فان قلت** فعل هذا القول
خاطبهم بلغة ذلك وهي اشارة للغائب مع حضورهم عنده **قلت** قال ابن ابي شيبة قال
العزيزون هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع لقرب الخبر من اصحابه فصار كما شاهد الذي يشار
اليه هذا وقيل ذلك اشارة الى ما فعله يقول ذلك الذي فعلته من تردادي الرسول
ليعلم الملك اني لم اخنه **بالغييب** اي لم اخن العزيز في حال غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله وان الله

انهم

ذام

لا يهدي

لا يهدي كيد الخائنين يعني اني لو كنت خائنا لما خلاصني الله من هذه الورطة التي وقعت لان الله لا يهدي
اي لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين واختلفوا في قوله **وما اري نفسي** من قول علي قولين احدهما انه من
قول المرأة وهذا التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه **بالغييب** من قول المرأة فعل هذا
يلون المعنى وما اري نفسي من مرادني يوسف عن نفسه وكذا في قوله الثاني وقول
وعليه الش المفسرين انه من قول يوسف عليه السلام وذلك انه لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه
بالغييب قال له جبريل ولا حين همت بها فقال يوسف عند ذلك وما اري نفسي وهذه رواية عن ابن
عباس وهو قول الاكثرين وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه **بالغييب** خاف ان
يكون قد ركب نفسه فقال وما اري نفسي لان الله تعالى يقول ولا تزلوا انفسكم في قوله وما اري
نفسى هضم للنفس والكسار والتواضع لله عز وجل فان روية النفس في مقام العصاة والتركاة ذنب
عظيم فآراة ان الله ظلمك عن نفسه فان حسنات الابراشيات المقربين **ان النفس تارة بالسوء**
والتي لا يخلطها مع كل ما يعم الانسان من الامور الدنيوية والاحزوية والسيرة الفعلة القبيحة
واختلفوا في النفس **تارة بالسوء** ما هي الذي عليه الشر المحققين من المتكلمين وغيرهم ان النفس
الانسانية واحدة لها صفات منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطيعة فلهذا
الثلاث مرات هي صفات لنفس واحدة فاذا دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهي النفس
الامارة بالسوء فاذا اغلبتها انت النفس للوامة فلا تمرا على ذلك الفعل القبيح من ارتكابه الشهوات
فيحصل عند ذلك اللدامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المطيعة وقيل ان
النفس امارة بالسوء بطبعها فاذا تركت وضعت من اخلاقها الذميمة صارت مطيعة وقوله
الامارة بالسوء قال ابن عباس معناه الامن عصم ربي فتكون ما معني من قولك قوله ما طاب لكم من الناس
من طاب لكم وقيل هذا استثناء منقطع تقديره لكن من ربي فيعصيه من متابعة النفس الامارة
بالسوء **ان ربي يغفور** يعني لذنوب عباده **رجيم** هم قوله تعالى **وقال الملك ايتوني به استخلصه**
لنفسى وذلك انه لما بين للملك عند يوسف وعرف امانته وعلمه طلب حضوره اليه فقال ايتوني
به يعني بيوسف استخلصه لنفسي اي جعله خالصا لنفسي ولا يستخلص يوسف لنفسه لان عادة المولى ان
جميع شوايب الاشتراك وانما طلب الملك ان يستخلص يوسف لنفسه لان عادة المولى ان
يتقرب واما الاشياء النفيسة العزيزة ولا يشارك فيها احد من الناس وانما قال الملك ذلك لما
عظم اعتقاده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره في السجن واحسانه الى
اهل السجن وحسن ادبه وثباته عند المحن كلها فلما احسن اعتقاده الملك فيه واذا اراد الله
تعالى امرها اسبابه فاهو الملك ذلك فقال ايتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه فيه اختصا
تقديره فلما جاء الرسول الى يوسف فقال له اجب الملك لان بلا معاودة روي ان يوسف
عليه السلام لما قام ليخرج من السجن فعلا هله فقال اللهم اعطهم عليهم قلوب الاخيار وكما
تقم عليهم الاخبار فصر اعم الناس لاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على اية هدايت
المولى وقبور الاخيار وثم اتمه الاعداء وتجربة الاصدقا شرا عتقل وتظف من درن السجن
وليس ثابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهيب بن حنيفة فلما وقف الملك قال احب ربي من
ديناي وحبي ربي من خلقه عز طارك وجل ثناوك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما ابصر الملك

ايضا

باب

قال الله اني اسالك بخبر من خيره واعوذ بك من شره وشتر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالهرية
فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسعيل بن دعاله بالعبانية فقال له وما هذا اللسان
ايضا قال له يوسف هذا لسان ابي قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف هذين
اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان اجابه يوسف وزاد عليه العربية والعبرانية فلما راي
الملك ذلك منه اعجبه ما راي مع حداثة سن يوسف وكان له من العمر يومئذ ثلاثين سنة
فاجلسه الي جنبه فذلك قوله تعالى **فلما كلمه** يعني فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لا يحسن
لا حدان سيدا بالكلام فيها وانما يبدأ الملك بالكلام وفيه معنى فلما كلم يوسف الملك قال **اللساني**
ايها الملك هذا الذي علم تاويل روباك مع عجز الشجرة والكهنة عنها فاقبل عليه الملك وقال
انك اليوم الدينا مكيين امين يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة اي منزلة وهي الحالة التي يتكلم
بها صاحبها ما يريد وقيل مكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرف امانتك ومنزلتك وصدقك
وبرائك ما نسبت اليك وقوله مكيين امين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والناقب
في امر الدين والدنيا وي ان الملك قال ليوسف عليه السلام احب ان اسمع تاويل روباك منك
شغافا فقال نعم ايها الملك راي سبع بقرات سمان غر شرب حسان كشك لك غنم النسل
فطلعن عليك من شاطيه تنجب اخلائهن لبنا فبينما انت تنظر اليهن وقد اعجبك حسنهن اذ نصب
النيل فقاموا وبدا يسهن فخرج من حمانه سبع بقرات عجاف شعفت غير مقلصات البطون ليس
لهن صروع ولا اخلاق ولهن انياب واصراس واكف كالكف الكلاب وخراطيم خراطيم السباع
فاقرسن السماء اقراس السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطنن عظامهن ومشتن مخبرن
فبينما انت تنظر وتتعب اذا سبع سنبلات خضر وسبع اخر سود يابسات في منبت واحد وعروهن
في الشري والمافينا انت تقول في نفسك اي شيء هذا هو خضر سنبلات وقها ولا سود يابسات
والمنبت واحد اوصولهن في الما اذ هبت ريح فذرت اوراق اليابسات السود على الخضر المنبلات
فاشعلت فيهن النار فاحرقتهن فصرن سودا فها ما رايته ثم انتبهت مذعورا فقال الملك
والله ما لخطات منها شيئا فاشان هذه الرويا وان كانت عجبا فما هي عجب ما سمعت منك
وما تري في تاويل روباك ايها الصديق قال يوسف عليه السلام اري ان جمع الطعام وتوزع
رزعا كثيرا في هذه السنين المحصبة وتجعل ما يحصل من ذلك الطعام في اخراين بقصبة
وسنبله فانه ايقبله ويكون ذلك القصب والسنبل علقا للدواب وتامر الناس فيرفعوا الخن
من ذرعهم ايضا فلكفيك ذلك الطعام الذي جمعه هاهنا مصر ومن حولها ويأتيك الخاق من
سائر النواحي كثيرة وتجتمع عندك من الكنوز والاموال ما لم يجتمع لاحد قبلك قال الملك ومن
لي بهذا ومن يبيعه لي ويكفيني العمل فيه فعد ذلك **قال** يعني يوسف **اجعني**
على خراين الارض يعني على خراين الاموال والطعام واراد بالارض ارض مصر اي اجعلني على
خراين ارضك التي تحت يدك قال الربيع بن انس اجعلني على خراين خراج ارض مصر وخطها
اي حفيظ عليهم اي حفيظ الخراين عليهم بوجوه مصالحها وقيل معناه اني جاسب كاتب
وقيل اني حفيظ لما استودعني علمي بما وليتني وقيل حفيظ الحساب عليهم اعلم لغه من ياتني وقال
الكلبي حفيظ بتقديره في السنين المحصبة للسنين الجديدة عليهم بوقت الجوع حين يقع فعد

ذلك

ذلك قال الملك ومن احق بذلك منك وولاه ذلك روي البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل اجعلني على خراين الارض لا استعمله من
ساعته ولكنه اخذ ذلك سنة فان قلت كيف طلب يوسف عليه السلام الامارة والولاية
مع ما ورد من كراهية طلبها صح من حديث عبد الرحمن بن سمرق قال قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا عبد الرحمن لا تسال الامارة فانك ان اوتيتها عن مسألة وكلت اليها وان اعطيتا عن غير
مسألة اعنت عليها اخراجه في الصحيحين قلت انما يكره طلب الولاية اذا لم يتعين عليه
طلبها واذا اتعين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهة فيه فاما يوسف عليه السلام فكان
عليه طلب الامارة لا نهى رسول الله والرسول اعلم مصالح الامة من غيره واذا كان مكلفا برعاية
المصالح ولا يملكه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه يحصل له خطا
اما بطريق الوحي من الله او بغيره وربما افضى ذلك الى الحلال معظم الخلق وكان في طلب الامارة
ايصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه طلب الامارة لهذا السبب فان قلت
كيف مدح يوسف نفسه بقوله اني حفيظ عليهم والله تعالى يقول فلا تزلوا انفسكم قلت
انما يكره تركية التفرد اقصده بالرجل التطاول والتعاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا القدر
مدحوم تركية التفرد اقصده تركية التفرد ومدحها ايصال الخير والتفرد الى الغير فلا يلزم
ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثاله ان يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف اليه فانه يجب
عليه ان يقول انا عالم ولما كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين فطلب منه يوسف بقوله
اي حفيظ عليهم على انه عالم بما يحتاج اليه في مصالح الدنيا ايضا مع كماله بمصالح الدين قوله
عروجي **وكذلك مكنا يوسف في الارض** وكذا اشار الى ما تقدم يعني وكما انما على يوسف بان
اجتناه من الجب وظلمناه من السجن وزيناه في عين الملك حتى تزوجه وادنى منزلته كذلك مكنا له
في الارض يعني ارض مصر ومعنى التمكن هو ان لا يارعه منافع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله
ينبؤ منها حيث يشاء لانه تيسر للتكليف قال ابن عباس وغيره لما انقضت الولاية سنة من يوم ساءت
الامارة ودعا الملك فتوجه مرداه بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سرير من ذهب مكلل بالدر
واليافوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ووضع عليه ثلاثون فراشا وستون مقرمة
وضرب له عليه كلة من استبرق وامره ان يخرج فتخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يراى الناظر
وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض
الملك الابرار اليه ملكه وعزل قبطه عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن عباس قال
ابن زيد وكان للملك مصر خراين كثيرة فسلمها الي يوسف وسلم اليه سلطانه كله وجعل امره
وقضاهنا فذل في مملكته قالوا ثم هلك قبطه عزه وتصرف في تلك الليالي فزوج الملك يوسف
امراة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها اليس هذا خير اما كنت تريد
قلت له ايها الصديق لا تلمني فاني كنت امراة حسنا عمة لما تري في ملك ودنيا وكان صاحبي
له ياتي النساء وتكلمن بك في حسنك وهيتك فغلبتني نفسي وعصمتك الله قالوا فوجدتها
يوسف عندنا فاصابها فولدت له ذكرا بن اقرانهم وميثاوها انبا يوسف منها واستوثق
ليوسف ملك مصر واقام فيهم العدل واحبه الرجا لوالسنا فلما اطمان يوسف في ملكه دبر

يعلم انه عالم بمصالح الدنيا

جمع الطعام احسن التدبير في الحصون والبيوت الكبيرة وجمع فيها الطعام للسنين الجديدة وانفق
المال المعروف حتى خلت السنوات المحصنة ودخلت السنوات المجذبة بهول وشدة لم ير الناس مثله
وقيل انه دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة فضعف الناس فلما دخلت سنة القحط كان
اول من اصابه الجوع الملك فباع نصف الدار فباع يوسف الجوع فقال يوسف هذا اول
او ان القحط خصل في السنة الاولى من سنين القحط كلما اعدوه في السنين المحصنة فجعل اهل
مصر يتاعون الطعام من يوسف فباعهم في السنة الاولى بالثمن الذي لم يتصور درهم ولا دينار
الاخذ منهم وابعاهم في السنة الثانية بالخلي والواحد قلم يبق في ايدي الناس من شئ وابعاهم
في السنة الثالثة بالدواب والواحد حتى احتوي عليها كلها وابعاهم في السنة الرابعة بالعبيد
والجاري حتى لم يبق في ايدي الناس عبد ولا لغة وابعاهم في السنة الخامسة بالاضياء والعقار
حتى احتوي عليها كلها وابعاهم في السنة السادسة بالادوية حتى استقرهم وابعاهم في السنة
السابعة بالارباب حتى لم يبق مصر حرة ولا حر الا ملكه فصاروا كلهم عبيده جميعهم عبيد يوسف
عليه السلام فقال اهل مصر ما زينا كالبيوم ملكا اجلا ولا اعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف
رايت صنع الله بي فيما خولني فما زلت في هاهنا قال الملك الراي رايت وحين لك تبع قال فاني
اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر عن اخرهم وردت عليهم املاكهم وقيل ان يوسف
كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام ففعل له الخبز وبيد كخرابن الارض فقال الخاف ان شبع
انني الجائع وامر يوسف طباطبا حتى الملك ان يجعلوا اعداء نصف الزار واراد بذلك ان يذوق
الملك طعم الجوع فلا يفتني الجائع فمن جعل المولى اعداء نصف الزار قال مجاهد ولم يزل
يوسف يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى اسلم الملك وكثر من الناس فذلك قوله تعالى
ولذلك مكنا ليوسف في الارض ملبوسا حيث يشاء **نصيب برحمتنا من نشأ** يعني يختص برحمته
وهي النبوة من نشأ يعني من عبادنا **ولا نصيب اجر الحسنين** قال ابن عباس يعني الصابرين
ولا اجر الاخوة يعني ولثواب الاخوة **خير** يعني افضل من اجر الدنيا **للدن المتواضعين**
يعني يتقون ما نهي الله عنه وفيه دليل على ان الذي اعد الله عز وجل ليوسف في الاخوة من الاجر
والثواب الجزيل افضل مما اعطاه الله في الدنيا من الملك قوله تعالى **وحا اخوة يوسف قد خابوا**
فعرهم وهم لم ينكروا قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد
الشام فنقصدا الناس مصر من كل مكان للميرة فجعل يوسف لا يخطي احدا اكثر من جاريه وان كان
عظيما نقسها ومساواة بين الناس وترا باليعقوب ما تزل بالناس من الشدة فبعثه
الى مصر للميرة واسكنه عند بنيامين اخا يوسف لأمه وابيه وارسل عشرة فذلك قوله
تعالى **وحا اخوة يوسف وكان مسكنهم بالعبان** من ارض فلسطين بعور الشام
وكانوا اهل بادية ابل وشتاء فدعاهم يعقوب عليه السلام وقال بلغني ان مصر ملكا صالحا
يسبع الطعام فجهزوا اليه ولقدوه لكيشروا منه ما يحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى
قدموا مصر فظلموا ليوسف فعرفهم وقال ابن عباس ومجاهد باول نظرة نظر اليهم
وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم لم ينكروا يعني لم يعرفوه قال ابن عباس قال
بين ان قد فوج في الحب وبين دجوه عليه مدة اربعين سنة فذلك انكروه وقال

عطا

عطا المالم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان على راسه تاج الملك وقيل لانه كان قد لبس زي
ملوك مصر عليه ثياب حرير وفي عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول
المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يقع في القلب بخلق الله تعالى لها فيه وان الله
لم يخلق ذلك العرفان في تلك الساعة في قلوبهم تحقيقا لما اخبره سيديهم بامرهم هذا ولم يخلق
فكان ذلك معجزة ليوسف عليه السلام فلما نظر اليهم يوسف وكلوه بالعبانية كلمهم بالسام فقال
لهم اخبروني من انتم وما امركم فاني قد انكرت حالكم قالوا نحن قوم من ارض الشام رعاة قد صابنا
من الجهد ما اصاب الناس فحينئذ انما قال يوسف لعل جيتتم تنظرون عورات بلادنا قائلوا والله
ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب بن يئسا
الله قالوا لكم انتم قالوا اننا اثني عشر نذوب اخ لنا معنا الى البرية فهلك فيها وكان اخنا الى اينا
قالوا فكم انتم الان قالوا عشرة قالوا فاني اخرا قالوا هو عند اينا لانه اخ الذي هلك لانه
قالوا يتسليمه قالوا ان الذي يقولون حق قالوا ايها الملك انا بلاد غريبة لا يعرفنا فيها احد
قال فانوني يا خنكم الذي من ابيكم ان كنتم صادقين فانا راض بذلك منكم قالوا ان ابانا يحزن لفراقه
وسراوده عنه قال فدعوا بعضكم بعضا رهيته حتى تاتوني به فاقترعوا فيما بينهم فاجاب القرعة
شعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلعوه عنده فذلك قوله تعالى **ولما جهزهم بهم** يقال
جهزتهم القوم تجهزا اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون اليه في وجههم والجهان
بفتح الجيم هي اللغة العصبية الجيدة وعليها الاكثر من اهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست جيدة
فاجل لكل واحد منهم بعيرا من الطعام والارهم في الزول واحسن ضيافتهم واعطاهم ما يحتاجون
اليه في سفرهم **قالا يتوني باخ لكم من ابيكم** يعني الذي خلفتموه عنده وهو بنيامين **الانثرون**
اني اوف الكيل يعني اني اتمه ولا اخسر منه شيئا وان يدي لم يحمل غير اخرا جل لخيركم اكرمكم بذلك
وانا خير المترلين يعني خير المضيقين لانه كان قد احسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال
الامام محمد بن ابي حنيفة الرازي هذا الكلام يضعف قوله من يقول من المفسرين انه اكرمهم ولشبههم
الي انهم عيون وجواسيس ومن يشا ففهم هذا الكلام فلا يليق به الا نرون اني اوف الكيل
وانا خير المترلين وايضا يبعد من يوسف عليه السلام مع كونه صديقا ان يقول لهم انتم
جواسيس وعيون مع انه يعرف برائتهم من هذه التهمة لان البهتان لا يليق بالقصديق ثم قال
يوسف عليه السلام **فان لم تاتوني به** يعني يا خيكم الذي من ابيكم **فلا كيل لكم عندي** يعني
لست اكيل لكم طعاما **ولا تقربون** يعني ولا تزججون تقربوا بلادنا وهذا هو نهاية التحريف
والترغيب لانهم كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام ولا يملكون تحصيله الا من عنده فاذا منعهم
من العود كان قد ضيق عليهم فعند ذلك **قالوا** يعني اخوة يوسف **سراود عند اباهم** يعني
سجدهم وخنا حتى نرهم عنده **وانا لفاعلون** يعني ما امرتنا به قوله عز وجل **وقال**
لقتيته يعني وقال يوسف لقتيته وهم علمانه واتباعه **اجعلوا بضاعتهم لي** وكانهم اراد
بالبضاعة ثمن الطعام الذي اعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكي الضال عن ابن عباس
انها كانت النعال والادام والرجال جمع رجل وهي لاوعية التي تحل فيها الطعام وغيره **لعلمهم**
يعرفونها يعني يعرفون بضاعتهم **اذ التلبوا الى اهلهم** يعني اذا رجعوا الى اهلهم **لعلمهم**

يرجعون الياء وروي واختلوا في السب الذي من اجله رد يوسف عليهم بضاعتهم فتقبل انهم اذا
 فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت عليهم علموا ان ذلك من لرد يوسف وسخا به فيبعثهم ذلك
 على الرجوع اليه سرعيا وقيل انه خاف ان لا يكون عنده اي شيء اخر من المال لان الزمان كان زمانا
 قحط وشدة وقيل انه رآي ان اخذ من الطعام من ابيه واخوته لوم لشدة حاجتهم اليه وقيل
 اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم فيه منه ذلة عتب وقيل اراد ان يريهم بوه وكرمه واحسانه
 اليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك ادعى الي العود اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديارهم وامامهم
 تخلم على رد البضاعة اليه اذا وجدوها في رحالهم لانه لم يبق فيهم اثميا واولاد الانبيا وقيل اراد برده
 البضاعة اليهم ليكون ذلك عونا لايه واخوته على شدة الزمان **فلما رجعوا الي ابيهم قالوا**
يا ابانا انا قد منا على خير رجل اثر لنا والكرامة عظيمة لو كان من اولاد يعقوب لما اكرمتنا
 كرامته فقال لهم يعقوب اذا رجعت الى مصر فاقروا عني السلام وقولوا له ان ابانا يصلي
 عليك ويذكرك بما اوليتنا ثم قال لهم ان شعوب قالوا لرفقة مصر واخبروه بالقصة
 ثم قالوا يا ابانا **اسمع منا الكيل** وفيه قول ان احدها انهم لما اخبروا يوسف ياخيم من ابراهيم طلبوا
 منه الطعام لا يبيعهم واخبرهم المتخلف عندهم انهم من ذلك حتى يحضر فقوله منع منا الكيل
 اشارة اليه واراد بالكيل الطعام لانه يكال والقول الثاني انه سيمنع منا الكيل في المستقبل وهو
 اشارة الى قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وقال الحسن منع منا
 الكيل ان لم تحمل معنا اخانا وهو قوله تعالى اخبرنا عنكم **فارسل معنا اخانا** يعني بنيامين
 قري بالياء يعني كيل لنفسه وقري بالنون يعني بكل نحن جميعا واياه معنا **واناله لحافظه**
 حتى نرده اليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة **قال يعقوب هل اسكنكم عليه الا كما اسكنكم**
على اخيه من قبل يعني كيف اسكنكم على ولدي بنيامين وقد فعلتم يوسف ما فعلتم وانكم
 ذكرتم مثل هذا الكلام بعبية في يوسف وضمنتم في حفظه وقلتم واناله لحافظه فلما فعلتم فلما
 لم يحصل الامان والحفظ هناك فكيف حصلها هنا ثم قال **قال الله خير حفظا** يعني ان حفظ
 الله له خير من حفظكم له ففهم التقويض الى الله والاعتماد عليه في جميع الامور **وهو ارجح**
الراجح فظاهر هذا الكلام يدل على انه ارسله معهم وانما ارسله معهم وقد شاهد ما فعلوا
 يوسف لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من القدر والخدمه مثل ما كانت بينهم وبين
 يوسف او ان يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فارسله معهم او ان شدة الوقت
 اوجبه الى ذلك قوله تعالى **ولما فتحوا متاعهم** يعني الذي حملوه من مصر فيحمل ان يكون المراد
 به الطعام او اوعية الطعام **وجدوا بضاعتهم ردت اليهم** يعني انهم وجدوا في متاعهم من
 الطعام الذي كانوا قد اعطوه ليوسف قد ردت عليهم ودرج متاعهم **قالوا يا ابانا انما نبي**
هذه بضاعتنا ردت الينا يعني ما اذا نبي واي شيء نطلب وذلك انهم كانوا قد ذكروا ليعقوب
 احسان ملك مصر اليهم وحتوا يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم
 قد ردت اليهم قالوا اي شيء نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والكرامه اوفى لنا
 الكيل وروى علي بن ابي حمزة عن ابي عبد الله الكلام تطيب قلبهم **ونيراهما** يقال اماراهة غير
 سيرا اذا حمل احد الطعام وجلبه من بلد اخر اليه والمعنى انا اشتري لاهلنا الطعام ونحمله اليهم

رطب

ياخيم

المخاطب

مفسر

ونعظ **اخانا** يعني بنيامين ما تخاف عليه حتى نرده اليك **ونيراهما** يعني ونريه لاهل اخينا
 على اهلنا حمل يعقوب من الطعام **فارسل معنا اخانا** يعني ان ذلك الحال الذي توداد من الطعام ههنا على
 الملك لانه قد احسن الينا والكرامة اكثر من ذلك وقيل معناه ان الذي حملناه معنا كيل يسير قليل لا يكفينا
 واهلنا **قال** يعني قال لهم يعقوب **لن ارسله معكم حتى تاتيوني موثقا من الله** يعني لن ارسل
 معكم بنيامين حتى يعطوني عهد الله وميثاقه والموتق العهد الموكل باليمين وقيل هو الموكل باليمين
 الله عليه **لما نبي** دخلت الاله هنا لاجل اليمين وتقديره حتى تخلعوا بالله لتأتي به **انما نبي**
بكر قال بحاهد الا ان تخلصوا جميعا فلا تقدر ولا على الرجوع فيكون عذرا لكم عندي لان العرب
 تقول احيط بفلات اذا هلك او قارب هلاكه وقال قتادة الا ان تخلصوا جميعا فلا تقدر ولا
 على الرجوع **فلما اتوه موثقا** يعني فلما اعطوه عهدهم وحلفوا له **قال الله علي ما تقول وكيل** يعني قال
 يعقوب الله شاهد علي ما تقول لان الشاهد وكيل بمعنى انه موكل لاهل هذا العهد وقيل وكيل بمعنى
 حافظ قال لعب الاحبار لما قال يعقوب فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزني لاردن كلاهما
 بعد ما توفيت علي وفوت امر لي وذلك انه لما استندهم الامر وصاف عليهم الوقت وجهدهم
 اشده لم يجد لهم محمدا يعقوب بل من ارسال بنيامين معهم فارسله معهم متوكلا على الله ومقوصا لمراد
 اليه قوله عز وجل اخبرنا عن يعقوب **يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة**
 وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يا بني لا تدخلوا من باب واحد
 من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة فكان لمدينة مصر يومئذ اربعة ابواب وقال
 السدي اراد الطرق لا ابواب يعني من طرق متفرقة واما امرهم بذلك لانه خاف عليهم
 العين لانهم كانوا قد اعطوا اجمالا وقوع وامتداد قامة وكانوا اولاد رجل واحد فارسلهم ان
 يتفرقوا في دخولهم المدينة ليلا ايضا بوا بالعين فان العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد
 وقتادة وجمهور المفسرين **وت عن ابي هريرة** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين
 حق زاد البخاري ونحوه عن الوسم **مر عن ابن عباس** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين
 حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين واذا استفسلتم فاعقلوا عن عايشه قالت كان
 يومئذ العين فتيها ثم يقتل منه المعين اخبره ابوداود قال الشيخ يحيى الدين النواوي
 رحمه الله قال المازري اخذ العلم بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وانكم طوايف
 من المستدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى مخالف في نفسه ولا يودي الى قلب حقيقة
 ولا افساد دليل فانه من محاورات العقول واذا اخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز
 تكذيبه وانكاره وهل من فرق بين تلبيةهم بهذا وتكذيبهم بما خبرهم من امور الاخره قال
 وقد روى بعض الطابعين المشتهين للعين ان العاين ينبت من عينه قوة سمية تقتل
 بالمعين كخيلك او يفسد قالوا لا يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعاث قوة سمية من الاغوي والعقرب
 تقتل باللدغ فيملك وان كان غير محسوس لنا فكذلك العين قال المازري وهذا غير مسلم لنا
 بينا في كتب علم الكلام ان لا فاعل الا الله تعالى وبيننا فساد القول بالطابع وبيننا ان المحدث
 لا يفعل في غيره شيئا فاذا نقرر هذا بطل ما قالوه ثم نقول هذا المنبعث من العين امسا
 جوهر ولما عرض فباطل ان يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال وباطل ان يكون جوهر لان الجوهر
 متجانس فليس بعضها بان يكون مفسدا لبعضها باولي من عكس فبطل ما قالوه واقر

ابن عباس ان اباكم يعقوب اسلمكم
 من كل شيطان وبغية ومن كل من لا يهتدي
 بحسن الحسنة من حين كان يعقوب
 جماعهم

طريقة قاهرته تحمل الاسلام منهم ان قالوا لا يبعد ان تتبع جواهر لطيفه غير مربية من عين العاين
فتتصل المعين فتعلم انما جسمه بتخليق الله عز وجل الهلاك عند هاتما خالق الهلاك عند شرب السمور عادة
اجراما الله تعالى عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعة الجاهل العقل اليها قال ومذهب اهل السنة ان المعين
انما يقصد وسلك عند نظر العاين ينزل الله تعالى اجري الله القادة ان خالق الضرر عند مقابلة هذا
التحتم لتخلف اخر وهل جواهر ام لا هذا من محورات العقول لا تقطع فيه بواحد من الامرين وانما يقطع
بنفي النعل عنها واصا فته الى الله تعالى فمن قطع من اطبا الاسلام بانعانت الجواهر فقد اخطا في قطع
وانما هو من الجاهل ان هذا ما يتعلق بعلم الاصول وانما ما يتعلق بعلم الفقه فان الشرع قد ورد بالوضو
لهذا الامر من حديث سهل بن حنيف لما اصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك في الموطا واما صفة
وصنو العاين فلا كور في كتب شروح الحديث ومعروف عند العلماء في طلب من هناك فليس هذا
موضعنا والله اعلم وقال **وهب** في قوله لا تدخلوا من باب واحد واخرجوا من ابواب متفرقة
انه خاف ان يفتا لولا ما ظهر لهم في ارض مصر من العنة حكاية ابن الحوري عنه وقيل ان يعقوب عليه
السلام كان قد علم ان ملك مصر هو له يوسف الا ان الله لم ياذن له في اظهار ذلك فلما بعث ابناء
اليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد واخرجوا من ابواب متفرقة وكان عرضه ان يصل بنيا مين
الى اخيه يوسف في وقت الحاجة قبل اخوته والقول الاول اصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى
علمه وقول امره الى الله بقوله **وما اغني عنكم من الله من شيء** يعني ان كان الله قد قضى عليكم بقضا
فمؤي يصيكم بجمعين كنتم او متفرقين فان المقدور كائن ولا يمنع حد من قدر **ان الحكم الا لله**
يعني وما الحكم الا لله وحده لا شريك فيه وهذا تعويذ من يعقوب في اموره كلها الى الله تعالى عليه
توكل يعني على الله اعتمدت في ابوري كلها لا على غيره **وعليه فليتكلم المتكلمون ولما دخلوا من حيث امرهم اوبهم**
يعني من ابواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل هي مدينة الغرما اربعة ابواب فدخلوا من
ابوابها كلها **ما كان يغني عنهم من الله من شيء** وهذا تعويذ من الله ليعقوب فيما قال وما اغني
عنكم من الله من شيء **الحاجة في نفس يعقوب قضاها** هذا الاستثناء سقط ليس من الاول في
معناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو انه اشفق عليهم اشفاق الابا على الابناء وذلك
انه خاف عليهم العين او خاف عليهم حسدا اهل مصر او خاف ان لا يردوا عليه فاشفق من
هذا كله او بعضه **وانه** يعني يعقوب **لذو علم لما علمناه** يعني لتعليمنا
اباه ذلك العلم وقيل معناه **وانه** لذو علم الذي علمناه والمعنى اننا لما علمناه الاشياء حصل له العلم
بتلك الاشياء وقيل **وانه** لذو حفظ لما علمناه وقيل **انه** كان يعمل ما يعمل عن علم ولا جهل وقيل **انه**
لما علمنا علمناه قال سفيان من يعمل ما يعلم لا يكون عالما **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** يعني
لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون
بما اكرم الله اولياءه قوله تعالى **ولما دخلوا على يوسف اوي اليه اخاه** قال المفسرون لما دخل
بما اكرم الله اولياءه قوله تعالى **ولما دخلوا على يوسف اوي اليه اخاه** قال المفسرون لما دخل
اخوة يوسف على يوسف قالوا ايها الملك هذا اخونا الذي امرتنا ان ناتيكم به قد جئناكم به
فقال احسنتم واصبتم وسجدوا ذلك عندي ثم اتر لهم واكرمهم ثم انه اضافهم واجلس
كل اثنين على مائدة فلبني بنيامين وحيدا وقيل وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلسي معه فقال
لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له اخ فذلك قال لم فانا اطلبه معي فاحذ فاطسه
معه على ما يدته وجعل يواكله فلما كان الليل اكرمهم مثل ذلك وقال كل اثنين منكم مائدة على

تعالى

ابن مينا
قال النووي في كتاب الطب والارض والارض
وصفة وضوء العاين عند العلم ان ثوب
بعده في ماء ولا يوضع القدر في الارض في
منه غرة فينفضض بها ثم يجبرها في القدر ثم
ياخذ منه ما يغسل وجهه ثم ياخذ منه
ما يغسل بكماله ثم يمسح به في غسل مرفقه
الاربع ولا يغسل باليد المرفقة والكفيرة ثم ينزل
قوة اليمنى ثم اليسرى ثم يكتبه اليمنى ثم
على الصفة المتقدمة وكل من كان في القدر
ثم داخله ازاره وهو الطرز المتدلى الذي
صقوه الاعمى انتهى ثم قال ايضا ثم يمسح
الذي في يده القدر فيصير على رأس المعين ثم يورده
على جميع جسده ثم يغسل القدر وراؤه على كل
الارض انتهى

فراش واحد

فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا بنيا من عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف
على فراشه فجعل يوسف يمسح اليه ويضم روجه حتى اصبح فلما اصبح قال لهم اني اري هذا الرجل وحيدا
ليس معه ثاني فنام معه الى فيكون معي في منزلي ثم انه انهم ولحيه عليهم الطغار فقالوا وسيل ما رايانا
مثل هذا ذلك قوله اوي اليه اخاه يعني ضمه اليه وانزله معه في منزله فلما اظلم قال له يوسف
ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المتكلم وذلك انه لما ولدته امه هلكت قال وما اسم
امك راجيل قال نعم من ولد قال عشرة بنين قال فبذل لمن اخ لك قال كان لي اخ فذلك قال يوسف
الحب ان اكون اخا لك بدل اخيك الهالك قال بنيامين ومن بعد اخا مثلك ايها الملك ولكن لم يلدك
يعقوب ولا راجيل قيل يوسف عليه السلام وعاقبة **قال له اني انا اخوك** يعني يوسف **فلا**
تخبر يعني لا تخبر قال اهل اللغة بتخبر بتقتل من البور وهو الضرر والشدة والانتيار احتلاب الحزن
والبور **ما كانوا يفعلون** يعني فلا تخبرن بشي فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد احسن البنا وبخانا
من الهلاك وجمع بيننا وقيل ان يوسف عليه السلام صنع عن اخوته وصفا لهم فاراد ان يجعل اخيه
بنيامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لايه بنيامين لا تعلم اخوتك بشي ما اعلمتكم به ثم انه
اوي لايه الكيل وراو لكل واحد جعل بحير وبنيامين جعل بحير باسمه ثم لم يسقاية الملك فجلت في
رجل اخيه بنيامين قال السدي وهو لا يشترط قال كعب لما قال له يوسف اني انا اخوك قال بنيامين انا
لا افارقك قال يوسف قد علمت اعتمروا الذي بي واذا جئتكم عندي ان رادعته ولا يمكنني هذا
الابعد ان اشرك بامر فطيم وانسبك لي لا يحمل قال لا ابالي فانعل ما بدا لك فاني لا افارقك قال
فاني ادر صاع في رحلك ثم انا ادي عليكم بالسرقة ليهيالي روك بعد تسريحك قال فافعل ما شئت
فذلك قوله عز وجل **لما جهزهم بهم جعل السقاية في رجل اخيه** وهي المشربة التي كان
الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زرجد وقال ابن اسحاق كانت من فضة وقيل من ذهب
وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف ميلا لايلايك لا يغيرها
وكان يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لها واحد جعلت في وعاء اخيه بنيامين ثم ارجلوا
راجين الى بلادهم فامهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة
ثم ارسل خلفهم من استوتهم وجبهم **شر اذن مودت** يعني ناري مناد واعلم معلم والاذان في
اللغة الاعلام **ايها العير** وهي القافلة التي فيها الاحمال وقال لجاهد العير الخير وقال ابو الهيثم
كل ما سير عليه من الابل والخير والبغال فهو عير وقول من قال ان الابل خاصة باطل وقيل العير الابل
التي عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير اي تذهب وتجي وقيل هي قافلة الخير ثم كثرت ذلك سنة
الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير فقول **ايها العير ارا انا صاحب العير انكم لسارقون** فقفوا
والسرقة اخذ ما لم ير له اخذ في خفتا فان قلت **هل كان هذا الندابا من يوسف**
ام لا فان كان بامر فليكن يليق بيوسف مع علو منصبه وشراف رتبته من النبوة والرسالة
ان يسمت انوا ما ينسبهم الى السرقة ليرامع علمه بيرا تهم من ذلك وان كان ذلك الندابا بغير امره وهلا
اظهر انهم عن تلك العنة التي نسبوا اليها قلت **ذكر العلماء** عن هذا السؤال اجوبة احدها
ان يوسف لما ظهر لايه انه اخاه قال لست افارقك قال لا سبيل لي لك الا بتدبير حيلة انسبك
فيها الى ما لا يلق قال رصنت بذلك ففعل هذا التقدير لم يتلم قلبه بسبب هذا الكلام بل قد رجع

وقام اليهم

به فلا يكون ذنبا الثاني ان يكون المعنى انكم لست اوتون ليوسف من ابيه الا انهم ما اظهروا هذا
الكلام نفوسهم للمعارفين وفي المعارف من جهة الكذب الثالث **محتل** ان يكون المتناهي بما قال
ذلك المتناهي سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذا الرابع ليس في القرآن ما يدل على انهم قالوا
ذلك باسم يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم لما طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك احد منهم
غلب على ظنهم انهم هو الذي اخذوها فقالوا ذلك بناء على ظنهم **قالوا واقلوا عليهم ماذا تقدمون**
قال اصحاب الاجابة لما وصل الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم انكم مكرمون وخس حيا فتكروا ونوف لكم
الكيل ونعمل لكم ما لم نعمل بغيركم قالوا الى ما ذكرنا قالوا انفسنا سقاية الملك ولا نعلم غيركم
فذلك قوله واقلوا عليهم اي عطفوا على المودن واصحابه ماذا اي ما الذي تقدمون والعقد ان
صد الوجود **قالوا يعني المودن واصحابه نفقد صواع الملك** الذي يكال به وجهه اصوع والصوع
لغة فيه وجهه صبيعا **ولمن جابه** يعني بالصواع **حمل بغير** يعني من الطعام **وانا به رعيم**
اي كفيلا قال الكلبي الزعيم هو الكليل يسان اهل اليمن وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة
في شرعهم وقد حكى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله للميل غارم والميل الكفيل فان قلت
كيف يصح هذه الكفالة مع ان السارق لا يستحق شيئا قلت لم يكونوا سارقا في الحقيقة فيحمل ذلك
على مثل رد الصابغ فيكون جملة اول عمل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم في ذلك الزمان فيحمل
عليه **قالوا يعني اخوة يوسف تالله** التاب لمن الواو ولا تدخل الهمزة اسم الله تعالى اليهم خا
تقديره والله **لقد علمت ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا** قالوا لا المفسرون ان اخوة يوسف حللوا على
امر من احد ما جئنا لافساد في الارض والثاني انهم ما جئنا واسارقين وانما قالوا هذه المقالة
لانه كان قد ظهر من احوالهم ما يدل على صدقهم وهوانهم كانوا اطلب على انواع الحر والاطاعة والبر حتى
بلغ من امرهم شدة وفؤادهم ليلا يودى رزق الناس ومن كانت هذه صفته فالفساد في
حقه ممتنع واما الثاني وهوانهم ما كانوا سارقين لانهم كانوا قد ردوا البضاعة التي وجدوها في
رحالهم ولم يستحلوا اخذها ومن كان هذه صفته فليس يسارق فلاجل ذلك قالوا القدر علمت
ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فلما تبين برائتهم من هذه التهمة **قالوا يعني اصحاب يوسف**
وهو المتناهي واصحابه **فما جزاوه ان كنتم كاذبين** يعني فما جزا السارق ان كنتم كاذبين في قولكم
ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين **قالوا يعني اخوة يوسف جزاوه من وجد في رحله**
ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين **قالوا يعني اخوة يوسف جزاوه من وجد في رحله**
يعني جزا السارق الذي وجد في رحله ان يسلم برقبته الى المسروق منه فيسرقه سنة وكان
ذلك سنة اليعاقبة في حكم السارق وكان في حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويعمى
قيمة المسروق وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان مجري مجري القطع في شرعنا فاراد يوسف
ان ياخذ حكم ابيه في السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمعنى ان جزا السارق ان يستعبد سنة
جزا له على حرمه وسرقته **فجزاوه** يعني هذا الجزاوه **لذلك جزى الظالمين** يعني
مثل هذا الجزاوه وان يسترق السارق سنة جزى الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بنية كلام
اخوة يوسف وقيل هو من كلام اصحاب يوسف فعلم هذا ان اخوة يوسف لما قالوا لاجرا السارق
ان يسترق سنة قال اصحاب يوسف لذلك جزى الظالمين يعني السارقين قوله عز وجل **فبدا**
باعتهم قبل واما اخيه قال اهل التفسير ان اخوة يوسف لما اقر وان جزا السارق ان يسترق

ثلاثة

سارقين

سنة

سنة قال اصحاب يوسف لا بد من تقتيش رحالهم فزدهم الى يوسف فامر بتفتيشها بين يديه فبدا بتفتيش
او عيتم قبل واما اخيه لان التهمة فجعل يفتش او عيتم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان لا يفتح
متاعا ولا ينظر في متاعه الا استغفر الله تائما ما قد فهم به حتى لم يبق الا رحل بنيامين قالوا انظر
هذا اخذ شيئا قال اخوته والله لا تركك حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فلما انخوا
متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله **استخرجوا من واما اخيه** انما انت الكاذبة لانه
ردها الى السقاية وقيل ان الصواع كبر وكونت فلما اخذ الصواع من رحل بنيامين كس
اخوته ورسهم من الحيا واقلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له اي شئ الذي صنعت بنا ففصحا
وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما زال لنا منك بلا حتى اخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل
سوار ارحيل ما زال لهم منك بلا ذهبت يا بني فاهلكتموه في البرية ان الذي وضع هذا الصواع
في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم قالوا اخذ بنيامين رقيقا وقيل ان المتناهي واصحابه
ثم الذين تولوا تقتيش رحالهم وهم الذين اخذوا الصواع من رحل بنيامين فاخذوه برقبته
وردوه الى يوسف **لذلك كذا يوسف** يعني مثل ذلك الكيد كذا يوسف وهو اشارة
الى الحكم باسترقاق السارق اي مثل ذلك الحكم الذي ذكره اخوة يوسف حكما به ليوسف ولفظ
الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا في حق الله تعالى بحال فيجب تأويل هذه اللفظة مما
يليق بحلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد هنا جزا الكيد يعني كما فعلوا يوسف في الانبعا
فعلنا بهم فالكيد من الخاق الحيلة ومن الله التدبير بالحق والمعنى كما فعلنا اخوة يوسف بان حللوا
ارجل السارق ان يسترق وكذلك فعلنا يوسف حتى دس الصواع في رحل اخيه ليضد اليه على
ما حكم به اخوته وقال ابن الاعراب الكيد التدبير بالباطل وبحق فعلى هذا يكون المعنى كذا
دبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الانباري كذا وقع خبرا عن الله عز وجل على
خلاف معناه في اوصاف الخلق فان اذ اخبر به عن مخلوق كان تحت احتيال وهو في موضع
نعل الله معترى من المعاني المذمومة وتخلص انه وقع من يكيد تدبير ما يريد به من حيث
لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشيئة بالذي يكون من الخلق من اجل ان الخلق اذا
كاد الخلق ستر عنه ما ينويه ويضم له والذي يتبع به الكيد من الله تعالى فهو ستر ما ختم
الله عاقبته به والذي وقع باخوة يوسف من الكيد الله هو ما انتهى اليه شان يوسف من ارتفاع
المرتلة وتنام النعمة فيحتجري الامر على غير ما قدر وامن هلاكه وخلص ابيهم لهر بعد وكل
ذلك بتدبير الله تعالى وخفي لطفه سماه كيدا لما يشبه من كيد الخلق ففعل هذا كيد الله عز
وجل ليوسف عايد الى جميع ما اعطاه وانعم به عليه على خلاف تدبير اخوته من غير ان يشعروا
بذلك وقوله تعالى **ما كان لياخذ اخاه في دين الملك** يعني في حكم الملك وقضائه
لانه كان في حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم معنى قيمة المسروق فلم يكن يتمكن
يوسف من حبس اخيه عنده في حكم الملك فالتة تعالى لغفر يوسف ما دبره حتى وجد السبل
الى ذلك **لا ان يشاء الله** يعني ان ذلك الامر كان مشيئة الله وتدبيره لان ذلك لم يكن
الهاما من الله ليوسف واخوته حتى جرى الامر على وفق المراد **فخرج درجات من نسا** يعني بالعلم
بحار فغنا درجة يوسف على اخوته وفي هذه الآية دليل على ان العلم اشرف المقامات واعلى

الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على اخوته بالعلم وبما امله من وجه الهداية والصواب في الامور كلها **فوق كل ذي علم عليم** قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى فوق كل عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعليم وفي الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف اعلم منهم قال ابن الانباري يجب ان يتم العالم بنفسه ويستغفر التواضع لربه تعالى ولا يطع نفسه في الغلبة على العالم لانه لا يخلو عالم من عالم فوقعه قوله تعالى **قالوا** يعني اخوة يوسف **ان يسرق** يعني بنيامين الصواع **فقد سرقا** **له من قبل** يعني يوسف وظاهر الآية يقتضي ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ليس بعزيب منه فان اخاه الذي هلك كان سابقا ايضا وكان عزمهم من هذا الكلام ان السارق على طريقتهم ولا على سيرته بل هذا ولخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهم لم احرزوا غيرنا واختلوا في السرقة التي لبسوها الى يوسف عليه السلام فقال سعيد بن جبير وقناه كان لده ابي امهم وكان يعبد فاحذ يوسف سر افكره والقاه في الطريق لئلا يعبد وقال مجاهد ان يوسف جاء سائلا يوما فاخذ بيضة من البيت فناولها لثلاث وقال سفيان بن عيينه اخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فاعطاها سائلا وقال وهب كانت تجبا الطعام من المائدة للغفرا وذكر محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت امه راحيل فحسنته عمته واحبته حباً شديدا فلما تزعم وعبر وقت محبة يعقوب عليه فاحبه فقال لاخته يا اختاه سلمي الى يوسف فوالله ما اقدر على ان يغيب عني ساعة واحدة فقالت لا اعطيكه فقال والله ما انا بتاركة عندك فقالت دعه عندك يا ابا ما انظر اليه لعل ذلك يسليني عنه فتعل ذلك نعمت الى منطقة كانت لا سحق وكانوا يتوارثون فيها الكبر وكانت اكبر اولاد اسحق فكانت عندها فتدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو غير لا يشعر فقالت لقد فقدت منطقة اسحق ففتشوا اهلا البيت فوجدوه هامع يوسف فقال انه لسلام لي يعني يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فحسب لك فامسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال اخوة يوسف ان يسوق فقد سرق اخ له من قبل يعقوب هذه السرقة قال ابن الانباري وليس في هذه الافعال كلها ما يوجب السرقة ولكنها تشبه السرقة بغيره بها عند الغضب **فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لغيره** في هذا الكناية ثلاثه اقوال احدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التي بعدها وهي في قوله تعالى **قال** يعني قال يوسف **انتم سرقتم** روي هذا المعنى العوفي عن ابن عباس والثاني ان الضمير يرجع الى الكلمة التي قالوها في حقته وهي قوله فقد سرق اخ له من قبل وهذا معنى قول ابي صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فاسر يوسف بحجاب الكلمة التي قالوها في حقته ولم يجهر عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الحجة فيكون المعنى على هذا القول فاسر يوسف الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة ولم يبدها لغيره قال انتم سرقتم كما يعني منزلة عند الله ممن ربيتوه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة في الحقيقة وخيانته حقيقة **والله اعلم بما تقتضيه** يعني حقيقة ما تقولون قوله عز وجل **قالوا** يعني اخوة يوسف **يا ايها العزيز** مخاطبون بذلك الملك **ان له اباشيخا كبيرا** قال اصحاب الاخبار والسيرة ان يوسف عليه السلام لما استخرج الصواع من رجل بنيامين فمروا ولده الى اذنه ثم قال ان صواعي هذا بخير في انتم اشاعر رجلا بل واحد

دائم

وانكم انطلقتم باخ لكم من ايكم فبعتموه وقال ابن عباس بنيامين ايها الملك سل صواعك من جعله في رجله فتعززه ثم قال ان صواعي غصبات وهو يقول كيف شئت لي عن صناعي وقد رأت مع من كنت قالوا فعرض روي لذك وكانوا بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روي اذا غضب لم يقم لغضبه شي وكان اذا صاح الفتح كل حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه احد من ولد يعقوب يمسك غضبه وكان اقوي للاخوة واشدهم وقيل كان هذا صفة شعوب بن يعقوب وقيل انه قال لاخته كبر عدد الاسواق فصرفاوا عشرة ذل الكوفياتم الاسواق وانا الكيفكم الملك او الكوفياتم الملك وانا الكيفكم الاسواق قد خالو علي يوسف فقال روي ايها الملك لرد علينا اخانا اولاهن صيحة لا يبي مصر امراة حامل الاضعفت ولدها وقامت كل شعرة في جسده روي حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لان له صغير فخر لي حب هذا نسبه او خديده فاجتبه فلما مسه سكن غضبه فقال لاخته من سني منك فقالوا لم يصيبك منا احد فقال روي ان هذا يد من يد يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فزكله برجله واخذ ثيابه فوقع على الارض وقال انتم يا معشر العبرانيين ترعون ان لا احدا شدة منكم فلما راوا ما نزلهم وراوا ان لا سبيلا الى حلصه خضعوا وذلوا وقالوا يا ايها العزيز ان له اباشيخا كبيرا يعني في السن ويحتمل ان يكون كثيرا في العدد ولانه نبي من اولاد الانبياء **فاحذ** **نامكانة** يعني بدماسه لانه يحبه ويتسلى به عن احمه الهاك **انا** **والا من الحسنين** يعني في افعالك كلها ان وقيل من الحسنين اليساني توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة اليها وقيل ان روي بنيامين اليساني واخذت احدا نامكانة كنت من الحسنين **قال** **لما فاذ الله** يعني قال يوسف اعوذ بالله معاذ **ان لاخذ الامن** **وجهدنا متاعنا عنده** لم يقل من سرق تحز من الكذب لانه يعلم ان اخاه ليس سارق **انا اذا الظالمون** يعني ان اخذت برياءة ذنب فان قلت كيف استجاز يوسف ان يعمل هذه الاعمال بانيه ولم يخبره مكانه وحسن اخاه ايضا مع علمه يشدق وحده اليه عليه فقيه ما فيه من العفوق وطبيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علمه منصبه من النبوة والرياسة ان يزور اخوته ويرجع عليهم مثل هذا مع ما فيه من الايذاء لهم فكيف يليق به هذا كله قلت قد ذكر هذا السؤال اجوبة كثيرة احسنها واحصاها الله انما فعل ذلك لئلا يبرأ الله تعالى له لا عن امره وانما امره الله بذلك لئلا يد بلا يعقوب فيصاعف له الاجر على البلا ويحقه بدرجة ابايه الماخدين والله تعالى اسر لا يعلمها اخذ من خلقه فهو المستصرف في خلقه بما يشاء وهو الذي اخفى خبر يوسف عن يعقوب في طول هذه المدة مع قلة المسافة لما يريد ان يبره فيهم والله اعلم باحوال عباد الله قوله عز وجل **فاما استنسا سواسه** يعني استنسا من يوسف ان يجيهم الى ما سألوه وقيل استنسا من اخيه ان يرد عليهم وقال ابو عبيد استنسا سواسه استيقنوا ان الاخ لا يرد اليهم **خافوا** يعني خلا لغيرهم بعض يحتاجون ويتشاورون ليس فيهم غيرهم **قال كبيرهم** يعني في العقل والعلم لا في السن قال ابن عباس والكبير هو يهوذا وكان اعظمهم وقال مجاهد هو شعوب وكانت له الرياسة على اخوته وقال قادة السدي والضحاك هو روي وكان اكبرهم سنا واحسنهم رايانا في يوسف لانه ناههم عن قتله **الم تظن انهم قد اخذوا عليكم** **وقنا من الله** يعني عهدا ومن قبلنا **وطم**

خاف

العلماء

في يوسف يعني فصرم في امريوسف حتى ضيعتوه فلن ابرح الارض يعني لا انا في ارض مصر والمعنى فلن اخرج من ارض مصر ولا انا في ارض مصر حتى ياتي بي الى مصر يعني في الخروج من ارض مصر فيدعوني اليه او يحكم الله لي يعني يرد اخي علي او يخرجني معهم وتترك او يحكم الله لي بالسيف فاقتلهم حتى استرد اخي وهو خير الحاكمين لانه علم الحق والعدل ولا انصاف والمراد من هذا الكلام ان الله تعالى في اقامة عدله عند والد يعقوب عليه السلام ارجعوا الى ابيكم يعني يقول الاخ الكبير الذي عزم على اقامة مصر اخوته الباقين ارجعوا الى ابيكم يعقوب فتولوا له يا اباانا ان ابنك سرق انما قالوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة لانه شاهدوا الصواع وقد اخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم انه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر لاني حقيقة الحال ويدل على انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم وما شهدنا الا ما علمنا يعني اننا لم نعلم ذلك الا بعد ان راينا اخرج الصواع من متاعه وقيل معناه كانت منا شهادة في عمرنا على اننا علمنا وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك انه سرق بزعمه فيكون المعنى ان ابنك سرق في زعم الملك واصحابه لانه شهد عليه بالسرقة وقرا ابن عباس والضحك شترت بضم السين وكسر الراء وتشديد هاء اي نسب الى السرقة واتهم بها وهذه القصة لا تحتاج الى تأويل لان القوم نسبوه الى السرقة لان هذه القصة ليست مشهورة فلا تقوم بها حجة والقصة الصحيحة المشهورة هي الاولى وقوله وما شهدنا الا ما علمنا يعني ما قلنا هذا الا ما علمنا فاننا راينا اخرج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على اننا علمنا وليست هذه شهادة وانما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب وب انه سرق فما يدري ان السارق بوجد بسرقة الا يقولكم قالوا لما شهدنا عنده ان السارق يسرق الا ما علمنا من الحكم وكان الحكم لذلك عند الانبياء قبله ويعقوب وبنيه واراد على هذا القول وكيف جاز ليعقوب اخاه هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك واجيب عنه بانه محتمل ان ذلك الحكم كان مخصوصا بما اذا كانت السرقة منه مسلما فلماذا انكر عليهم اعلم الملك لهذا الحكم لظنه انه كان كافرا وما كان للغيب خافطين قال مجاهد وقادة معناه ما كان يعلم ان ابنك يسرق ويصير امرنا الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معناه وانما قلنا ونحفظ اخانا ما لنا الى حفظه سبل وقال ابن عباس ما كان لليلة ونهاره ومجيئه وذهابه حافطين وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله فلهذا الصواع في رجله ونحن لا نعلم ذلك واسأل القرية التي كان فيها يعني واسأل اهل القرية لانه حدث في المضاف للبحار ومثل هذا النوع من الحجاز مشهور في كلام العرب والاردن القرية مصر وقال ابن عباس هي قرية من قري مصر كان قد جري فيها حديث السرقة والتفتيش والغير التي اقبلنا فيها يعني واسأل القافلة التي كان فيها وكان معهم قوم من كنعان من جيران يعقوب وانا الصادقون يعني قينا قلنا وانما امرهم اخوهم الذي اقام بمصر هذه المقالة مبالغة في ان الاله الهمة عن انفسهم عند انبيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف قال بل سولتكم انفسكم امرا فيه اختصار تقدم به فرجعوا الى ابيهم فاجزوه بما جري لهم في سفرهم ذلك وما قال لهم كبيرهم وامرهم ان يقولوا له ابيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعني بل زينت لكم انفسكم

هنا

اسرا وهو رجل اخيك معكم الى مصر لطلب نفع عاجل قال امركم الى ما لا تريدون معناه بل اقبلتكم انفسكم انه سرق وما شوق نفسي جليل تقدم تفسيره في اول السورة وقوله عسى الله ان ياتيكم بهم يعني يعقوب يعني يوسف وبنيامين والاخ الثالث الذي اقام بمصر والما قال يعقوب هذه المقالة لانه لما طال احرزته واشتد بلاؤه ومحنه علم ان الله يجعل قسطا ويخرجنا من قريته فقال ذلك على سبل حسن الظن بالله عز وجل لانه اذا اشتد البلاء وعظم كان اسرع الى الخروج وقيل ان يعقوب علم بما جري عليه وعلم ان الله عز وجل لا يترك عبدا ولا يضيعه وقوله لا تقصصوا وقا له انك لو تكفينا فليكن ذلك كيدا فلما اتاه امره قال عسى الله ان ياتيكم بهم جميعا انه هو الخليل يعني حزقي ووجدى عليهم الحكيم يعني حزقياء وبنيامين وقوله تعالى في سورة يوسف يعني واعرض يعقوب عن بنييه حين بلغوه خبر بنيامين فبعد ستم حزنه واشتد بلاؤه وبلغ جهنم وهي حزنه على يوسف فعند ذلك اعرض عنهم وقال يا اسفا على يوسف والمساءلة الحزن وانما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة ان الحزن القديم اذا صادفه حزن اخر كان ذلك اوجع للقلب واعظم لهيكل الحزن الاول كما قال متمم بن نويرة لما راي قبرا جديدا جدد حزنه على اخيه ما لك فقال انك في قبري يا بنيته لعنن قري بين اللوا والداك ذلك قد عني فهذا كله قبرا لكث

فاجاب بالنا الحزن جدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من ام واحدة فكان يعقوب يتشلى عن يوسف وبنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه وجدد حزنه على يوسف لان يوسف كان اصل المصيبة وقد اعترض بعض الجاهل الجاهل يعقوب في قوله يا اسفا على يوسف وقال هذه شكايه واظهار جزع ولا يليق بعلم منصفه ذلك وليس الامر كما قال هذا الجاهل المعترض لان يعقوب عليه السلام شكى الى الله لانه فقوله يا اسفا على يوسف معناه يا رب ارحم اسفى على يوسف وقد ذكر ابن المنبر في بعض اللغويين انه قال نداء يعقوب للاسف في اللفظ من الجوار يعني به غير المظهر في اللفظ وتخصيصه باله ارحم اسفى وانت راي اسفى وهذا اسفى فاجاب الاسف في اللفظ والمنادي في المعنى كلاما ثم اذا لم ينطق اللسان بكلام موثر لانه لم يشك الله الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا اسفا على يوسف شكوى الى ربه كان غير ملوم في شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا اسفى يا يوسف الى اشكوا الى الله شدة اسفى على يوسف ولم يشك الى احد من الخلق بدليل قوله انما استكوا شي وحزني الى الله وايضا فيناه من الحزن اي عني من شدة الحزن على يوسف قال انما تاليم يصير شيائت سنين وقيل انه ضعف بصره من كثرة البكاء وذلك ان الدمع كثير عند غلبة البكاء فتصير العين كانهما يبضا من ذلك لما الخارج من العين هو نظير ما يكون في العين وهو المتشلى من الحزن المسك عليه لا يبيته قال قتادة هو الذي برود حزنه في جوفه ولم يقل الاخيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من جواريه الى حيث التقيا ثمانين سنة لم تحف عينا يعقوب وما على وجه الارض يومئذ اكرم على الله منه قال ثابت البناني وهو ابن منبه والسدي ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو في السجن فقال هل تترقبني اني املكك الصديق قال يوسف اري صورة ظاهرة قال اني رسول رب العالمين وانا الروح الامين

ان

فقال يوسف فادخله مدخل المذنبين وانت اطيع الطيبين واسلم المقربين وامين رب العالمين
 قال الم تعلم يا يوسف ان الله بطهر الارض بطهر النبيين وان الارض التي دخلوها هي اظهر الارضين
 وان الله قد طهر بك السجى وما حوله يا اظهر الطاهرين ومن الصالحين المخلصين قال يوسف لفتك
 باسم الصديقين وتعدني من المخلصين الطاهرين وقد ادخلت مدخل المذنبين قال لانه لم يفتك
 قلبك ولم يطعم سيدك في معصية ربك فلذلك سمى الله في الصديقين وعد الله من المخلصين
 والحقك يا ابيك الصالحين في يوسف فقبل ذلك علم من يعقوب ابا الروح الامين قال نعم فذهب
 بصره وانتلاه الله بالخرن عليك فوكلهم ووهب له الصبر الجميل قال فما قدر خزنه قال خزن
 سبعين ثكلى قال فالله من الاجر يا جبريل قال اجرامه شهيد قال افتراني لا تيه قال نعم فطابت نفس
 يعقوب يوسف وقال ما ابالي ما لغيت ان رايته قوله عن وجل قال يعني اخوة يوسف لا يسر
تاه تقوت ذكر يوسف يعني لا تزال تذكر يوسف ولا تنسى من جبهه يقال ما فتى بفعل كذا اي
 ما زال ولا محذوف في جواب القسم لان موضعها معلوم فحذفت للتخفيف لقوله امر لقيس
 فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لذيك واوصالي
 اي لا ابرح قاعدا وقوله **حي تكون حرضاً** قال ابن عباس وتفاوت المجاهد للعرض مادونه
 الموت يعني قريبا من الموت وقال ابن اسحق يعني فاسدا لا عقل له والجور الذي فسده جسده وعقله
 وقيل اذ ايمانهم لله واصل الحزن العنا وفي الجسم والعقل من الحزن والهوى ومعنى الآية حتى تكون
 ذنوب الجهم محمولة العقل يعني لا تتنفع بنفسك من شدة الحزن والهوى والاست **او تكون من الهاك**
 يعني من الاموات فان قلت كيف حلفوا على شيء لم يعلموا حقيقة فتطفا قلت بنوا الامر
 على الاعلى الظاهر اي فقله ظنا منا ان الامر يصير الى ذلك **قال** يعني يعقوب عنده ما راي
 قولهم له وغلظتهم عليه **انما اشكوبني وحرني الى الله** اصل البث اثاره التي وتغريقه وبث
 النفس ما انطوت عليه من الغم والسرقا لان قتيبة البث اشد الحزن وذلك لان الانسان
 اذا ستر الحزن وكتمه كان لها فاذا ذل لم يغيره كان بنا فالبث اشد الحزن والحزن الهوى فعلى هذا
 يكون انما اشكوبني وحرني العظيم وحرني القليل الى الله لا اليكم قال ابن الجوري روي الحاكم ابو عبد الله
 في صحيحه من حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان يعقوب اخ مواخه
 فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي اذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال لما الذي اذهب
 بصري فاليك اعمل يوسف ولما الذي قوس ظهري فالخزن عابيا من فاته جبريل فقال يا يعقوب
 ان الله يقربك السلام ويقول لك اما استحيي ان تشكو الي غيري فقال انما اشكوبني وحرني الى
 الله فقال جبريل الله اعلم ما تشكو قيل انه دخل على يعقوب جاره فقال ليعقوب ما لي اراك
 قد قشيت وقشيت ولم تبلغ من السن ما بلغ ابوك فقال له شني واقباني ما اتلاني الله به من هم
 يوسف فاجابني الله يا يعقوب اتشكو الى خلقي فقال لرب خطية اخطاها فاعفها لي قال
 قد عفاها لك فكان بعد ذلك اذا سئل يقول انما اشكوبني وحرني الى الله وقيل ان الله اوحى اليه
 وعزني وجلالي لا اكشف ما بك حتى تدعوني فعند ذلك قال انما اشكوبني وحرني الى الله ثم
 قال اي يرب لما رحم الشيخ الكبير اذهبت بصري وقوس ظهري فارود على رجلي استه شمة
 قبل ان اموت ثم اصنع ما شئت فاته جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقربك السلام ويقول البشر

فوزني

فوزني لو كانا ميتين لنشترتهما لك اندري لم وجدت عليك لانك لم تحتم شاة فقام على يديك فلا ت
 المسكين وهو صائم فلم تطعمه منها شيئا وان احب عبادي الى الانبياء المساكين اصنع طعاما وادع
 اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فلم يطعمه الليلة عند الربيعوب وكان بعد ذلك
 اذا تقدي ان من ينادي من اراد ان يتغدي فليات فاذا افطر امر من ينادي من اراد ان يطعم
 فليات يعقوب فكان يتغدي ويتغشى مع المساكين وقال وهب مني اوجي الله تعالى الى يعقوب
 اندري لم عاقبتك وجئت عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يرب قال لا لك شويت عنا قوت
 على جارك واكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلا يعقوب انه ذبح عجلا بين يدي امه وهي تخور
 فلم يجرها فان قلت هل في هذه الروايات ما يقيد في عصاة الانبياء قلت
 لا وانما عوقب يعقوب بهذا لرحسناات ابرار ريسات المقربين وانما يطلب من الانبياء من
 الاعمال على قدر منصبهم وشريعت رتبهم فيعقوب عليه السلام من اهل بيت النبوة والرسالة
 وجع ذلك فقد ابتلي كل واحد من انبيائه المحنة فصبر فابراهيم عليه السلام التي في النار فصبر ولم
 يشك الى احد واستعمل ابتلي بالذبح فصبر وفوض امره الى الله واشتق ابتلي العزم فصبر ولم يشك
 ويعقوب ابتلي بفقره ولده يوسف وبعل بنيامين ثم عجز بعد ذلك او ضمنت بصره من كثرة
 البكاء عليه ما هو مع ذلك صابر لم يشك الى احد شيئا ما تزل به وانما كانت شكايته الى الله بدليل
 قوله انما اشكوبني وحرني الى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم والشا الجميل في الدنيا
 والدرجات العلى في الآخرة نفع من سلف له من ابيه ابراهيم واسحق عليهم الهام والسلام واما
 دمع فلا يستوجب تدعينا ولا عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا بد من التكليف
 بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكره له ابراهيم عند موته وقال ان العيين تدمع وان القلب
 ليحزن وما تقول الاما يرضى ربنا بهذا القدر لا يقدر الانسان على دفعه عن نفسه فصار مباحا
 اخرج فيه على احد من الناس وقوله **واعلم من الله ما لا تعلمون** يعني انه تعالى من رحمته واحسانه
 ياتي بالقرآن من حيث لا احتسب وفيه اشارة الى انه كان يعلم جيا مع يوسف ويتوقع رجوعه
 اليه روي ان ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب ايها الملك الطيب رحمه المحصوره
 الكريم على ربه هل قبضت روح ابني يوسف في الارواح قال لا فطابت نفس يعقوب وطمأن
 روته فقلت لك قال واعلم من الله ما لا تعلمون وقيل معناه واعلم ان روي يوسف حق وصدق
 واني وانتم سجدتم له وقال السدي لما اخبر بنوه بسيرة ملك مصر وما احواله في جميع اقواله وافعاله
 احسنت تقبل يعقوب وطمأن ان يكون هو يوسف فعند ذلك قال يعني يعقوب **يا بني اذهبوا**
فاحسبوا من يوسف واخيه فاحسبوا طلب الخبر بالحاشة وهو قريب من الحسب الخيم وقيل
 ان الحسب الخا يكون في الخير والجمع يكون في الشر ومنه الحاسوس وهو الذي يطلب الكشف عن
 عورات الناس قال ابن عباس التمسوا قال ابن الانباري يقال تحسست عن فلان ولا يقال ان فلان
 وقال هنام يوسف واخيه لانه اقيم من مقام عن قال زحور ان يقال من التبعيض ويكون
 المعنى تحسبوا اخيرا من اخبار يوسف واخيه روي عن عبد الله بن يزيد عن ابي فزوه ان يعقوب
 كتب كتابا الى يوسف عليها السلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب اسرائيل الله برحق ذبح
 الله بن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر اما بعد فانا اهل بيت وكلنا البلاء اما جدي ابراهيم فشك

العين وحزن القلب

بداه ورجلاه والقي في النار فجعل الله عليه بردا وطلا واما اي فشدت بداه ورجلاه ووضع السكين
على قفاه ففداه ولما انا فكان لي ولد وكان لعب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوا في ثوبه
ملطخا بالدم وقالوا قد افله المذنب فذهب عناي ثم كان لي ابن اخر وكان اخاه من امه وكنت استلبي
وانك حبسته وزعمت انه سرق وانا اهل بيت لا نشرق ولا نلذس قافان ودوته على والادعوت
عليك دعوة تذكر السابغ من ولدك فلما فر يوسف كتاب ابيه اشتد بكده وعيل صبره واظهر نفسه
لاحوته على ما سنده ان شا الله تعالى فذلك قوله يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه
ولا تيسوا اي ولا تقتطوا من روح الله يعني من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل
من نزع الله لانه لا يباس من روح الله **الا التومر الكافرون** يعني ان المؤمنين على خير برجوه
من الله فيصبر عند البلا فبئلا به خيرا وخر عند الرضا فينال خيرا او الكافر يصد ذلك قوله تعالى
فلما دخلوا عليه فيه حذف واحتمار تقديره فخرجوا من عند ابيهم قاصدين مصدر
فلما دخلوا عليه يعني على يوسف **قالوا يا ايها العزيز** يعني يا ايها الملك والعزير القادر
المستعير كان العزيز كعب ملك يومئذ **مسما واهلنا الضراي** الشدة والفقر والجوع
وارادوا باهلهم من خلفوا وراهم من العيال **وجينا ببضاعة مزجاة** يعني جينا ببضاعة ردية
كاسدة لا تنفق فيمن الطعام لا يجوز من البايغ واصل الارجاء في اللغة الدفغ قليلا قليلا والرجية
دفع الشيء ليشاق كتر حبة الزرع الخاب ومعه قول الشاعر **وحاجة غير مزجاة من الحاج**
يعني في قليلة يسيرة وتملن دعها وسوقها لقللة الاعتداد بها وانما وصفوا تلك البضاعة بأنها
مزجاة لانه لا تقصاها اولادها او مجموعها فذلك اختلاف عبارات المفسرين في معنى هذه
البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم ردية ويوافقا قيل كانت خلق الغراب والخيال
وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والافط وقال الكبي ومقاتل كانت حبة الخضر وقيل
كانت سويق المقل وقيل كانت الامم والنعال قال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الردية
مزجاة لانها ردية مدونة غير مقبولة ممن بدعها **فاوف لنا الكيل** يعني اعطنا ما كنت
تقطينا من قبل يا نعم الجيد الوافي والمعني انا زبد ان تقم لنا الزايد مقام الناقص والجيد
مقام الردي **وقصدك علي** يعني وتفضل علينا يا ابن النعمين الجيد والردي ولا تنقصا
هذا قول اكثر المفسرين قال ابن ابي حنيفة وكان الذي يسالوه من المساحة يشبه الصدقة
وليس به واختلف العلماء كانت الصدقة حلالا للاشيا قبل نبينا لم لا فقال السفيان بن
عيينة ان الصدقة كانت حلالا للاشيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل هذه الآية وانكر
جمهور العلماء وقالوا ان حال الاشيا كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم لانهم ينفون من الخضوع
للخالقين والاحد منهم ان الصدقة لا وساخ الناس فلا تلتحل لهم لانهم مستغنون بالله
من سواه واجيب عن قوله وقصدك علينا انهم طلبوا منهم ان يجزئهم على عادتهم في المساحة
وايضا الكيل ونحو ذلك لما كان يفعلهم من الكرامة وحسن الضيافة لانفس الصدقة وكرم الحسن
ومجاهدان يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق علي فان الصدقة لا تكون الا ممتن يتبع الثواب وروي
ان الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق علي فقال ان الله لا يتصدق الا بما يتصدق من سعي الثواب
فلا اللهم اعطني وتفضل علي وقال ابن جرير والضحك وقصدك علينا يعني يرد اخينا البائس **انا الله**

وقوله وقصدك علي يعني يرد اخينا البائس

عليه والتصدقين يعني بالثواب الجزيل قال الضحاك لم يقولوا ان الله يحزبك لانهم لم يعلموا انه من قال
يعني قال يوسف لاحوته **ما تعلم يوسف** يعني ما تعلم يوسف **لحي** يعني لحي
وهي حبة على هذا القول فالجواب فقال ابن اسحق وذكر لي انهم لما كلوه بهذا الكلام ادر كنه رقة على اخوته
فباح بالذي كان بينهم وقيل انه اخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبوه ببيعته من مالك وفي اخره وكتب
يهودا انما قرأوا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا لا يا الملك انك ان كان لنا عبد فبعناه منه فعاظفك
يوسف وقال انكم لتستحقون العقوبة وامر بقتلهم فلما ذهبوا لم يعقلوا وقالوا ان كان يوسف
يبيكي يحزن لعقوب واحد منا فكيف اذا اتاه الخبر بقتل نبيه كليم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك
فابقت باستعتالي بيانا فانه مكان كذا وكذا فقال ذلك حين ادر كنه الرقة عليهم ورحمهم نبي
وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب ابيه اليه فلم يتمالك ان بكى وقال هل علمت ما فعلتم
يوسف واخيه وهذا استفهام بغيد تعظيم امر هذه الواقعة ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم من امر
يوسف وما افترع ما اقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتفرقة من ابيه وهذا كما يقال للذنب اهل
تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت لم يرد هذا نفس الاستفهام ولكن اراد تنظيعة الامر وتنظيمه
ويجوز ان يكون المعني هل علمت عني ما فعلتم يوسف واخيه من تسليم الله اياهم من المكره
واعلم ان هذه الآية تصديق لقوله تعالى واوجبا اليه لتعبينهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون
فان قلت الذي فعلوه يوسف معلوم ظاهر فما الذي فعلوه باخيه من المكره حتى يقول
له هذه المقالة فانهم لم يسعوا في حبسه ولا ارادوا ذلك قلت انهم لما فرقوا بينه وبين اخيه
يوسف تغصوا عليه عيشته وكانوا يودونه كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له لما انتم باخذ
الصواع ما راينا منكم يا بني را حيل خيرا **اذ انتم جاهلون** هذا يجري مجرى العذر لهم
يعني انكم انما اقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونهم جاهلين وقيل هو وقت الصبا وخالة
الجهل وقيل جاهلون بما يؤول اليه امر يوسف فقوله عز وجل **قالوا انك لانت يوسف** فري
على سبيل الاستفهام حجة هذه الرواة قال ابن عباس لما قال لهم هل علمت ما فعلتم يوسف
واخيه نعم فزادوا شيا كاللولوشية شيايا يوسف فشهوه يوسف فقالوا استفهاما
ايك لانت يوسف وفري على الخبر وحجته ما قال ابن عباس ايضا في رواية اخري عنه ان
اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن راسه وكان له في قريته علامة تشبه الشاة
وكان ليعقوب مثلها ولسان مثلها ولسان مثلها فعرفوه بها وقالوا انت يوسف وقيل
قالوه على التومر ولم يعرفوه حتى **قالا انا يوسف** قال بعض العلماء انما اظهر الاسم في قوله انا
يوسف ولم يقل انا هو نظيما لما تزل به من ظلم اخوته وما عوضه الله من الصدور والظفر
والملك فكانه قال انا يوسف المظلوم الذي ظلموني وقصدتم قتلي ان القينوني في
الحب ثم يعقوبني يا اخي الاثمان ثم نصرت للماترون فكان تحت ظمور الاسم هذه المعاني
كلها ولهذا قال **وهذا اخي** وهم يعرفونه لانه قصد به ايضا وهذا اخي المظلوم الذي ظلموني ثم
صرت انا وهو الى ماترون وهو قوله **قد من الله علينا** يعني بان جمعيتنا وقيل من
علينا بكل عز وخير في الدنيا والاخرة وقيل من علينا بالسلامة في الدنيا والآخرة **وقد من**
يقول يعني يقي الزنا ويصبر على العزوبة قال ابن عباس وقال مجاهد يقي المعصية ويصبر

على البحر وقيل يتق الله بأداء فرائضه ويصبر عاظم الله عليه **فان الله لا يضيع أجر المحسنين** يعني اجر من
كان هذا حاله **قالوا** يعني قالوا اخوة يوسف معتدرون اليه ما صدر منهم في حقهم **تالله لقد اتركنا الله**
اي اتركنا وفصلك علينا يقال اترك الله ايتار الى اتركه ويستعار الاثر للفضل والايثار للتفضيل
والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الصفا كعن ابن عباس بالملك وقال ابو صالح عنه
بالصبر وقيل بالحلم والصنع علينا وقيل بالحسن وسائر الفضائل التي اعطاها الله له دون اخوته وقيل فضله
عليهم بالنبوة واورع على هذا القول بان اخوته كانوا انبياء ايضا فليس له عليهم فضل واجيب
عند بان يوسف فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان افضل منهم هذا الاعتبار لان من جعله بالنبوة
والرسالة كان افضل من خصم بالنبوة فقط **وان كانا خاطيين** يعني وما كنا في ضيعتنا انما
خاطيين ولهذا اخير لفظ الخاطي على الخطي والفرق بينهما ان يقال خطي خطأ اذا تعدوا واحدا اذ كان
غير مستعد وقيل يجوز ان يكون اثر لفظ خاطيين على خطيين لموافقة رور لاي لان خاطيين اشبه
بما قبلها **قال** يعني يوسف **لا تثريب عليكم** يعني لا تغيير ولا توبيخ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
اذا رزقت امة احدكم فليجدها الحد ولا يزيب اي لا يغيرها بالربا بعد اقامة الحد عليها وفي قوله
اليوم قولان احدهما انه يرجع الى ما قبله ويكون التقدير لا تثريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا
اليوم هو يوم التثريب والتقدير والتوبخ وانا لا افرعكم اليوم ولا اوتخلكم ولا اترككم فليعلم
هذا بحسن الوقت على قوله لا تثريب عليكم اليوم ويبتدي بقوله **يعذر الله لكم** والقول الثاني
ان اليوم متعلق بقوله يعذر الله لكم فليعلم هذا بحسن الوقت على قوله لا تثريب عليكم ويبتدي اليوم
يعذر الله لكم كانه لما نفي عنهم التوبيخ والتقدير يعذر الله بقوله لا تثريب عليكم ثم بشرهم بقوله اليوم يعذر
الله لكم **وهو ارحم الراحمين** لما عرفهم يوسف بنفسه شاهدا عن حاله فقال ما حال ابي عدي
قالوا ذهب بصره من كثرة البكاء عليك فاعطاهم قميصه فقال **اذهبوا بقميصي هذا** قال الصفا
كان ذلك القميص من نسج الجنة وقال مجاهد امره جبريل ان يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص
ابراهيم وذلك لما جرد من ثيابه والقي في النار عر يانا اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه
ايه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحاق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب
يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قميصه من فضة وشدها راسها وعلقها في عنق يوسف
كالقارون لما كان يخاف عليه من العين وكانت لا تفارقه فلما القى يوسف في البئر عر يانا اتاه جبريل
واخرج ذلك القميص والبسه اياه فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل فامر به ان يرسل هذا القميص الى
ايه لان فيه ریح الجنة فلا يقع عليه حبل ولا يقيم الا عول في الوقت فذفع ذلك القميص يوسف الى
اخوته وذلك قوله **اذهبوا بقميصي هذا فالقوة على وجه ابيات بصيرا** قال المحققون انما علم
يوسف ان القميص على وجه يعقوب بوجوب رد البصر كان يوحى الله ذلك اليه وبمكن
ان يقال ان يوسف لما علم ان اياه لما عجز من كثرة البكاء وضيق الصدر نبعت اليه قميصه ليجد رحة
فرد البكاء ويشرح صدره ويعبر قلبه فعند ذلك نزول الصنع ويعقوب البصر لهذا القدر
بمكن معرفته من جهة العقل وقوله **وايتوني باهلكم اجمعين** قال الكلبي كانوا اخوان سبعين
انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين مابين رجل وامرأة **ولما فصلت العير** يعني خرجت
من مصر وقيل هرب من عريش مصر متوجهين الى لنعك **قال ابوهم** يعني قال يعقوب لولد ولده اني

عذر

لاجله يعني يوسف قيل ان ریح الصبا استأذنت ربي ان تأتي يعقوب بن يوسف قبل ان ياتيه
البشرى وقال مجاهد اصحاب يعقوب بن يوسف من مسيرة ثلاثة ايام وقال ابن عباس من مسيرة
ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ريح فاحتملت ريح القميص الى يعقوب
فوجد ريح الجنة فعلم ان ليس في الارض من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فعلم بذلك انه من
ريح يوسف فلهذا قال ابي لا جد ريح يوسف **لولا ان تغنيهم** ان اصل التغني من الغنى
وهو ضعف الراي وقال ابن الهيثم اني افند الرجل اذا خرج وضد اذا جهل ونسب ذلك اليه
وقال الاصمعي اذا لم تكلم الرجل من حرف فهو الغني والفقير فيكون المغني لولا ان تغنيهم
اي يتسبون الى الحرف وقيل السقون وقيل يلوون وقيل يخلون وهو قول ابن عباس وقال الصفا
فقرمون فتقولون شيخ كبير قد حرف وذهب عقله **قالوا** يعني اولاد يعقوب واهله الذين عند
من اولاده لصلبه كانوا غايين عنه **تالله انك لفي ضلالك القديم** يعني من ذكر يوسف ولا تنسا
من عندهم ان يوسف كانت قد مات وبرون ان يعقوب قد طعم بكم فلهذا قالوا تالله انك لفي
ضلالك القديم والضلال الذي هاب عن طريق الصواب **فما ان جاء البشير** وهو المبعثخبر يوسف
قال ابن سعود كما البشير بين يدي الهير قال ابن عباس هو يهودا قال السدي قال يهودا اني
ذهبت بالقميص الى اهلهم الى يعقوب فاجزته ان يوسف اكله الذيب وانا اذهب اليوم القميص واخبر
انني فافرحه كما امرته قال ابن عباس جله يهودا واخرج بها فاحسرا بعدو ومعه سبعة اربعة
فلم يستوف اكلها حتى اتي اياه وكانت المسافة ثمانين فرسخا **القاه على وجهه** يعني قال البشير
يوسف على وجه يعقوب **فارتد بصيرا** يعني فرجع بصيرا بعد ما كان قد عجز عادت اليه قوته بعد
الضعف وسروره بعد الحزن **قال لم اقل لكم اني اعلم ان الله ما لا تقبلون** يعني من جوع يوسف
وان الله يجمع بيننا وروي ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملكا مصر
قال يعقوب ما اصنع بالملك على اي دين تركته على دين الاسلام قال الان بنت النعمة **قالوا اياها**
استغفر لنا ذنوبنا يعني قال اولاد يعقوب حين وصلوا اليه واخذوا يعتذرون اليه
ما صنعوا به ويوسف استغفر لنا اي الملك لنا غفر ذنوبنا من الله **انا ها خاطيين** يعني في
صنيعنا **قال يوسف استغفر لكم** **ربي** قال اكثر المفسرين ان يعقوب اخر الدعاء والاستغفار
لهم الى وقت التحولنه اشرف الاوقات وهو الوقت الذي يقول الله فيه هل من داع فاستجب له
فلما انتهى يعقوب الى وقت الحرقام الى الصلاة متوجها الى الله فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال
اللهم اغفر لي جزئي على يوسف وقلة ضياعي عنه واغفر لولدي ما اتوا اليهم يوسف فاحس الله
اليه التي قد غفرت لك ولهم اجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه احرق الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة
لانها اشرف الاوقات وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيف وعشرين وقال طاووس
احرق الاستغفار الى وقت البحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء قال الشعبي سوف
استغفر لكم **ربي** **قال ارحمني** يوسف فان كان قد عجز عنكم استغفرت لكم **ربي** **هو الغفور الرحيم**
يعني لا يوب عباد الرحمن جميع خطيئته وقال عطاء الخراساني طلب الخواص الى الثواب اسهل منه الى الشيوخ
الذين ياتي في قول يوسف كاخوته لا تثريب عليكم وقوله يعقوب سوف استغفر لكم قال اصحاب
الاجناد ان يوسف عليه السلام بعث مع اخوته الى ابيه مايتي راحلة وحمارا كثيرا لياتون يستغفرون

اولاد

ثمانون فرسخا

ثمانون فرسخا

عشر

وجميع اهله الى مصر فلما اتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع اهله وهم يومئذ اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وقال لسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الأكبر يعني ملك مصر وعرفه بمجي ابيه واهله فخرج يوسف ومعه الملك في اربعة الاف من الجنود وركب اهل مصر معه يتلقون يعقوب عليه السلام وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يد ابنه يهوذا فلما نظر الى الخيل والناك قال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه اراد يوسف ان يبدا يعقوب بالسلام فقال له جبريل الاحي سيد يعقوب بالسلام فقال ليعقوب السلام عليك يا مذهب الاخزان وقيل اتما تلا وتقا وتقا وفلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده ويكا وقيل ان يوسف عليه السلام قال لايه يا ابت بكت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجتمعنا قال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحيا ليني وبينك فذلك قوله تعالى **ولما دخلوا مصر ليوسف اوتي اليه يعقوب** اليه **ابويه** يعني قال اكثر المفسرين هو ابوه يعقوب وخالته ليا وكانت امه قد ماتت في قفاس بنيامين قال الحسن هو ابوه وامه وكانت حية بعد وقيل ان الله احياها ونشرها من قبرها حتى لتجد يوسف تحقيقا لروايه والاول اصح **وقال ادخلوا مصر قتل** المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف ارض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعني البلد وقيل انه اراد بالدخول الاول وهو مصر واراد بالدخول الثاني الاستيطان بها اي ادخلوا مصر مستوطنين فيها **ان شاء الله لعنين** قيل ان هذا الاستثناء عائد الى الامن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا لمطهرين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك لمصر قبل ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثناء يرفع الاستغفار فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف استغفر لكم ربنا ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها احد الا خوفا منهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر امنين على انفسكم واهليكم ان شاء الله فعلى هذا يكون قوله ان شاء الله للترك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لا حقون مع علمه بانه لا حق بهم **ورفع ابويه على العرش** يعني الشرف الذي كان يجلس عليه يوسف ورفع النعل الى العلو وخر والله سبحانه يعني يعقوب وخالته واخوته وكان تحية الناس يومئذ السجود وهو الاخذ والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود من وضع الجبهة على الارض على سبيل العبادة فان قلت كيف امتحان يوسف ان يجهد له ابوه وهو الكبر منه واعلم من نصيب النبوته والنيبوحة قلت **يحمل** ان الله تعالى امره بذلك لتحقيق رويته ثم في معنى هذا التجرد قوله ان احدهما انه كان اخا على سبيل التحية كما تقدم فلا استكال فيه والقول الثاني انه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة بالارض وهذا مشكل لان السجود على هذه الصورة لا ينبغي ان يكون الا لله تعالى واجيب عن هذا الاشكال ان السجود كان في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف كالقابلة كما سجد الملائكة لادمر ويدل على صحة هذا التأويل قوله ورفع ابويه على العرش وخر واله سجدا وظاهر هذا يدل على انهم لما صعدوا على السرير خروا وسجدوا لله ولو كان ليوسف مكان قبل الصعود لان ذلك المبلغ في التواضع فان قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله رب انتم لي ساحدين وقوله وخر واله سجدا فان الصبر يرجع الى اقرب المذكورات وهو يوسف عليه السلام قلت **يحمل** ان يكون المعنى وخر والله سجدا لاجل يوسف واجتماعهم به وقيل **يحمل** ان الله امر يعقوب بتلك السجدة

مطلبه

الحكمة خفية وهي ان اخوة يوسف ربما احتملوا لافقة والتكبر عن السجود ليوسف فلما اراد ان اباهم قد سجد له سجدوا له ايضا فكان هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع على سبيل العبادة وكان ذلك جازيا في ذلك الزمان فلما جاء الاسلام نحت هذه المقالة القليلة والله اعلم مراده واسرار كتابه **وقال** يعني قال يوسف عند ما راي ذلك **يا ابت هذا تاويل رويته** يعني تصديق الرواية التي رايت في خال الصغر **قد جعلها في حقها** يعني في الحقيقة واختلغوا فيما بين رويته وتاويلها فقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد بن الهاد اربعون سنة وقال ابو صالح عن ابن عباس اثنان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبير وعكرمة والسدي ست وثلاثون سنة وقال قتادة حمس وثلاثون سنة وقال عبد الله بن ثوبان سبعون سنة وقال المنذرين عياض فانول سنة حكى هذه الأقوال كلها ابن الجوزي وزاد غيره عن الحسن ان يوسف كان عمر حين اليقين في الحب سبع عشرة سنة واقام في العبودية والحبس مدة ثمانين سنة واقام مع ابيه واخوته واقاربته مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله وهو ابن مائة وعشرين سنة وقوله **وقد احسن** يعني انتم على يقين احسن في والمعنى **ادخرني من النجى** انما ذكر انعام الله عليه في خروجه من السجن وان كان الحب اصعب منه استعلا للادب والكرم ليلا تحل اخوته بعد ان قال لهم لا تتريب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه في اخراجه من الحب كانت اعظم من اخراجه من الحب وسبب ذلك ان خروجه من الحب كان سببا لحصوله في العبودية والرق وخروجه من الحب كان سببا لوصوله الى الملك وقيل ان دخوله الحب كان لحسد اخوته ودخوله السجن كان لروا الله عنه فكان ذلك اعظم نعمة عليه **وحاكمكم من البد** يعني من البادية والبدو البسيط من الارض يد والنجس فيه من يغيره يعني يظهر البد وخلاف الحضرة والبادية خلاف الحضرة وكان يعقوب واواده اصحاب ماشية فسكنوا البادية **من بعد ان نزع الشغل** يعني وبين اخوتي يعني افسد ما بيننا بسبب الحسد واصل الترخي دخول في امر لفساده واستد هذه الآية من يري بطلان الخبر من المبتدعة قالوا لان يوسف اضاف الاحسان الى الله واصل الترخي الى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كافي الاحسان والنعمة وللجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان وامناقة اليه على سبيل المحار وان كان ظاهر اللفظ يقتضي اضافة الفعل الى الشيطان لا الى الحقيقة لان الفاعل المطلق المحار هو الله تعالى في الحقيقة قل لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فثبت بذلك ان الكل من عند الله وبفضله وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقول الوسوسة والتخريص فساد ذات البين وذلك باقدار الله اياه على ذلك **ان ربي لطيف لما يشاء** يعني انه تعالى ذو لطف عالم بد قايق الامور وحفايقها قال صاحب المفردات وقد يعبر باللفظ عما اندركه الحاسة ويصح ان يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وان يكون لمعرفته بد قايق الامور وان يكون لرفقه بالعباد وفي هذا انهم قوله ان ربي لطيف لما يشاء اي حسن الاستفراج تيسرها على ما اوصل اليه يوسف حيث اقامه اخوته في الحب وقيل ان اجتماع يوسف وابيه واخوته بعد طول الفارقة وحسد اخوته له وان الله ذلك مع طيبة الانفس شدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث حصل ذلك كله لازله اذا اراد امرها اسبابه **انه هو العليم** بمصالح عباده **الحكيم** في جميع افعاله قال صاحب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه السلام اقام عند يوسف بمصر اربعا وعشرين سنة في اهناء عيش وانعم بالواحد حال

فلما حضرته الوفاة اوصى الى ابنه يوسف ان يحمله معه الى ارض مصر ففعل يوسف ما امره به ابوه فحمل جثته في تابوت من ساج حتى قدمه الى الشام
فلما مات يعقوب عليه السلام حضره يوسف ما امره به ابوه فحمل جثته في تابوت من ساج حتى قدمه الى الشام
فوافق ذلك موت العيص اخو يعقوب وكان قد ولد في مصر واصدقته في قبر واحد وكان عمره مائة وسبعة
واربعين سنة فلما دفن يوسف اباه ورجع الى مصر قالوا فلما جمع الله شمل يعقوب يوسف عليه السلام
بابيه واخوته علم ان نعم الدنيا زائل سريع الفناء لا يدوم ومن الله حسن العاقبة والخاتمة الصالحة
فقال **رب ابي رب قد انتقم من الظالم** يعني ملك مصر ومن هذا المتبعين لانه لم يوت ملك مصر كله
بل كان فوكة ملك اخو الملك عبارة عن الانتقام في المقدر ومن له السيادة والتدبير **عظمتي**
من تاول الاخوات يعني تعبير الروايات **فطر الله السموات والارض** يعني خلقها وسد عنها على غير مثال
سبق واصل الفطر الشق يقال فطر ناب البعير اذا شق ظهره وفطر الله الخلق اوجده وابده **انت**
ولي يعني انت معيني ومتولي امري **في الدنيا والاخرة** **توفي مسلما** اي اقبضني اليك مسلما واقتلوا
هل هو طلب للوفاة في الحال ام على قولين احدهما انه سال الله الوفاة في الحال قال قتادة لم يسأل النبي
الي نبيا الموت الا يوسف قال اصحاب هذا القول وانهم يات عليه اسبوع حتى توفي والقول الثاني انه
سال الوفاة على الاسلام ولم يمتن الموت في الحال قال الحسن انه عاش بعد هذا سنين كثيرة فعلى هذا
القول يكون معنى الآية توفي اذا توفي فبقي على الاسلام فهو طلب كان يحمله الله وفاته على الاسلام وليس
اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة في الحال قال بعض العلماء وكلا القولين محتملان لان اللفظ صالح لجميع الارض
ولا يبعد من الرجل الناقل الكامل ان تمتي الموت لعلمه بان الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة الزوال
وان نعم الاخرة باقية دائمة لا يفادله ولا يروا ولا يتبع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا تمنين احدا
الموت لضرته ليه فان تمتي الموت عند وجود الضر وتزول البلاء المكروه والصبر عليه اولا وقوله
والحقني بالصالحين اراد بدرجة ابايه وهم ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام قال
علماء التاريخ عاش يوسف مائة وعشرين سنة وفي التوراة مائة وعشرين سنة وولد ليوسف
من امرأة العزى ثلاث اولاد افرام وميشا ورجة امرأة ايوب وقيل عاش بعد ابيه ستين سنة
وقيل اثنا عشر ولما مات يوسف عليه السلام دفنوه في النبل في صندوق من رخام وقيل من حجارة
المرمر وذلك انهم لما مات تشاح الناس فيه فطلب كل اهل الحلة ان يدفن في محلة من ركامه
حتى هو ان يقتتلوا اخر اوا ان يدفنوه في النبل بحيث يحرق الماعليه ويتفرق عنه وتصل
بركته الى جميعهم وقالوا كرمه انه دفن في الجانب الايمن من النبل فاخصب ذلك الجانب واجذب
الجانب الاخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب واجذب الجانب الايمن فدفعوه في وسط النبل
وقدروه بسلسلة فاخصب الجانبان فبقي الجانب الايمن اخضره موسى عليه السلام وحمله معه في دفنه
يقرب ابايه بالشام في الارض المقدسة قوله عز وجل **ذلك** يعني الذي ذكره الله من قصة
يوسف وما جرى له مع اخوته ثم انه صار الملك تعبد الرق **من انما العيب** اي ايجار العيب
توحيه اليك يعني الذي اخبرناك به من اخبار يوسف وحيا وحياه اليك يا محمد وفي هذه
الاية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلا لم يلق الكتب ولم يلق العلم
ولم يسافر الى بلد اخر غير بلد الذي نشأ فيه وانه صلى الله عليه وسلم لم يلق لمة لمة مثله ثم انه
صلى الله عليه وسلم اي هذه القصة الطويلة على احسن ترتيب واين معان وافصح عبارة علم بذلك

ان

ان الذي اتى به وحى بنور قدسي ساوي فهو محجزة له قائمة الى اخر الدهر وقوله تعالى **وما كنت لديهم** يعني
وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب **اذ اجمعوا امرهم** يعني حين عزوا على القايوسف في الحب **وهم يملكون**
يعني يسوف **وما اكثر الناس ولو حرصت** **تؤمنين** وذلك ان اليهود وقرشاسا لوارسول
الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما اخبرهم بها على وفق ما عندهم في التوراة لم يسلو الحزن
وسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقبل له انهم لا يؤمنون ولو حرصت على ايمانهم ففيه تشبيه له **وما**
نشا لهم عليه من اجر يعني على تبليغ الرسالة والدعاء الي الله من اجر يعني اجرا وحلا على ذلك **ان هو**
اي ما هو اي القران **الذكر** يعني عظة وتذكير **للعالمين** **وكان من انه** يعني ولم من اية دالة على
التوحيد **في السموات والارض** **عليها** يعني لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها **وهم عنها معرضون**
اي لا يلتفتون اليها والمعني ليس اعراضهم عن هذه الايات الظاهرة الدالة على وحدانية الله باعجب
من اعراضهم عنك يا محمد **وما يؤمن بالشرع بالله الا وهم مشركون** يعني ان من ايمانهم انهم اذا
سلبوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قيل لهم من يزر المطر قالوا الله وهم مع ذلك
يعبدون الاصنام وفي رواية عن ابن عباس انهم يفترون ان الله خالقهم فذلك ايمانهم وهم
يعبدون غيره فذلك شركهم وفي رواية اخرى عنه انما تزلت في تلبية مشركي العرب وذلك انهم
كانوا يقولون في تلييتهم ليك ليك لا شريك له الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقال عطاء
هذا في الدعاء وذلك ان الكفار يسوونهم في الرخا فاذا اصابهم البلاء اظلموا في الدعاء **انما هو ان**
تاتهم عاصية من عذاب الله يعني عقوبة مجللة نعمهم وقال مجاهد عذاب يقتلهم وقال قتادة
وقبعة وقال الصالح يعني الصواعق والفتور **او تاتهم الساعة بغتة وهم**
لا يشعرون يعني يقنأها قال ابن عباس تيج الصيحة بالناس وهم في اسواقهم **قل** اي قل يا محمد
لها ولا **هذه سبيل** اي طريقتي التي ادعو اليها وهي توحيد الله عز وجل ودين الاسلام وسمي الدين
سبيلا لانه الطريق المؤدي الى الثواب والجنة **ادعوا الى الله** يعني الى توحيد الله والامان به
على بصيرة يعني على يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل
انا ومن اتبعني يعني ومن امن بي وصدق بما جئت به ايضا يدعوا الى الله وهذا قول النبي
وابن زيد قال حق على من اتبعه وان من به ان يدعوا الى ما دعا اليه ويدكر بالقران ثم الكافر
عند قوله ادعوا الى الله ثم استأنفت على بصيرة انا ومن اتبعني يعني اني على بصيرة ومن اتبعني
ايضا على بصيرة قال ابن عباس يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على احسن طريقتة وافضل
هداية وهم معدن العلم وكثر الايمان وحيد الرحمن وقال ابن مسعود من كان مستنفا فليست
من قدمات اوليك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا اخبر هذه الامة ابرها قلوبا واعمقها
علما واقلمها تكلما فامر الله تعالى بالصحة بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فقتلوهوا
باخلاصهم وطريقهم فهو لا كانوا على الهدى المستقيم وقوله **وسبحان الله** اي وقل سبحان الله يعني
تزهوا الله عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والتقصير والشرك والاضداد والانداد **وما**
انما من المشركين يعني وقل يا محمد وما انما من الذين اشركوا بالله غير قوله تعالى **وما ارسلنا**
من قبلك الا رجالا يعني وما ارسلنا قبلك الا رجالا لا مثلك ولم يكونوا لايكة **بوحى اليهم**
هذه اجواب لاهل مكة حيث قالوا هل بعث الله ملكا والمعني كيف تعجبوا من ارسالنا لايك يا محمد

وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر أمثالك حالهم كما لك من **أهل القرى** يعني أنهم من الأمصار والمدن لأن أهل البوادي لأن أهل الأمصار أفضل وأعلم وأكل عقلا من أهل البوادي قال المسلم يبعث الله نبيا من بدو ولا من لحن ولا من النساء وقيل إنما يبعث الله نبيا من البادية لعظمهم وجهاهم **أهل يمين وإلى الأرض** يعني هؤلاء المشركين المكذبين **فينظروا كيف كان عاقبة** الذين من قبلهم يعني كان عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فليعتبر بها ولا يصح لهم من عذابنا **ولدار الآخرة خير للذين آمنوا** يعني فعلنا هذا بأوليائنا وأهل طاعتنا أن نجزيهم عند نزول العذاب بالأمم المكذبة وبما في الدار الآخرة لهم يعني الجنة لا نفاضلهم من الدنيا وإنما اضاف الدار إلى الآخرة وإن كانت هي في العرب تضيف الشيء إلى نفسه كقولهم حق القين والحق هو اليقين نفسه **أفلا يعقلون** يعني فيتفكرون فيعتبرون بهم فيؤمنون قوله عز وجل **حتى إذا استناب** **الرسول** قال صاحب الكتاب حتى متعلقة بخروج د عليه الكلام لأنه قيل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم حتى إذا استنابوا عن النصر وقال الواحد في هذا حرف من جوف الابتداء يتنافى بعد ها ومعنى استناب الرسل أي من إيمان قومهم **وظنوا أنهم قد كذبوا** أي أهل الكوفة وهم عاصم وجرم والكافي كذبوا بالتحريف ووجه هذه القصة على ما قاله الواحد أن معناه ظن أنهم أن الرسل قد كذبوا يومئذ أخبرهم به نصر الله إياهم وأهلك أعدائهم وهذا قول ابن عباس وابن سعد وسعيد بن جبير ومجاهد وقال أهل المعاني كذبوا من قولهم كذبك الحديث أي لم يصدقك ومنه قوله وقد صدق الله رسوله قال أبو علي والضيق في قوله وظنوا على هذه القراءة للرسل الذين المقدر وطن الرسل الذين أن الرسل قد كذبوا يومئذ أخبرهم به من أنهم لم يؤمنوا بهم نزولهم العذاب وإنما ظنوا ذلك لما شاهدوا من إيمانهم بالله لا يستعجل حمل الضمير وظنوا على الرسل الذين لم يتقدم لهم الذكر لأن ذكر الرسل يدل على ذكر الرسل الذين وأن شئت قلت أن ذكرهم قد جرى في قوله أفلا يسمعون وإلى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فيكون الذين من قبلهم مكرهين إلى الرسل وظن هنا على معنى التوهم والحسان وهذا معنى ما روي عن ابن عباس أنه قال حتى إذا استناب الرسل من قومهم الإحاطة وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا فمأ وعدوا من نصرهم وأهلك من كذبهم وقيل معناه ويتقن الرسل أن قد كذبوا في وعد قومهم إياهم الإيمان أي وعدوا أن يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال صاحب الكتاب وظنوا أنهم قد كذبوا أي كذبهم أنفسهم حين حديثهم بأنهم لا يصرون أو رجاءهم كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى أن مدع التلذيب والعداوة وانتظار النصر من الله وتأميله فدرتظارا وتعليم وتنادت حتى استعجزوا الفتور وبوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا فحاجهم نصرنا فجاءه من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد اخلعوا ما وعدهم الله من النصر فادعوا وكانوا يسرأوا تلا قوله وذر لنواحي يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكتاب فان صح هذا من ابن عباس فقد أراد بالظن ما يحط بالبال ولا يحسن في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس علينا عليه البشرية ولما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين أن يقول الله الذي هم أعلم الناس بربهم وأنه متعال عن خلق المعبود وحكي الواحد عن ابن عباس أنه قال هذا غير ما يقولون عليه من وجهين أحدهما

مسيح

اعرفهم

ان التفسير فيه

ان التفسير فيه ليس عن ابن عباس لكنه من متاول تناوله عليه والآخر ان قوله جاء نصرنا دالة على ان أهل الكفر لما ظنوا ما لا يجوز منكم واستضعفوا رسل الله نصر الله الرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم خطأ عظيما لا يستحقون ظفرا ولا نصرا وتزجيه الانبياء وتطهيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرا الباكون وهم نافع وابن كثير وأبو عمر ومن عامر وظنوا أنهم قد كذبوا بالتدبير ووجهه ظاهر وهو ان معناه حتى إذا استناب الرسل من إيمان قومهم وظنوا يعني وايقنوا يعني الرسل ان الامم قد كذبوا وهم تكذبا لا يرجي بعده إيمانهم والظن يعني اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى إذا استناب الرسل من كذبهم قومهم ان يصيد قومهم وظنوا ان من من قومهم قد كذبوا فلو هو رادع عن دينهم لشدة المحنة والبلاد واستبطا النصر فاناهم النصر وعلى هذا القول الظن يعني الحسان والتكذيب مظنون من جهة من آمنهم يعني وظنت الرسل ان من آمنهم قد كذبهم في وعد الظن والنصر بطايعه وتأخره عنهم وطول البلاء بهم لا أنهم كذبواهم كونه رسلهم وسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من اتباعهم المؤمنين لأنه لو حصل لكان نوع كفر ولكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطلوا النصر وعلى هذا القول الظن يعني اليقين والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفار وعلى القولين جميعا الكفاية في وظنوا الرسل تخ عن عروة ابن الزبير انه سأل عابشة عن قوله تعالى حتى إذا استناب الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا اولد بوقالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا ان قومهم كذبواهم وما هو بالظن فقالت يا عروة اقبل لقد استيقنوا بذلك فقلت اهلا قد كذبوا فقلت معاذ الله لم تكن الرسل تطعن ذلك من قبل فاما بعد هذه الآية قالت هم اتباع الرسل الذين امنوا بهم وصدقهم وطاعوا عليهم الملائكة وأشهر عنهم النصر حتى إذا استناب الرسل من كذبهم من قومهم وظنوا ان اتباعهم كذبواهم جاء نصر الله عند ذلك وفي رواية عبد الله بن عبيد الله بن ابي مليكة قال قال ابن عباس حتى إذا استناب الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا تحقيقه قال ذهب بها هناك وتلا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب قال فقلت عرو ومن الزبير فذكرت ذلك له فقال قالت عابشة معاذ الله والله ما وعد الله رسوله من شيء قط الا علم انه كان قبل ان يموت ولكن لم يزل الملائكة رسل حتى خافوا ان يكون من معهم من قومهم كذبواهم وكانت تقرأوها وظنوا أنهم قد كذبوا مشقة وقوله تعالى **جاء نصرنا** يعني جاء نصر الله النبيين **فستخرجون من هنا** يعني عند نزول العذاب بالكافرين فتخرج المؤمنين الطيبين **ولا يرد بأسنا** يعني عذابنا عن **القوم** **المجرمين** يعني المشركين قوله تعالى **لقد كان في قصصهم** يعني في خبر يوسف وأخوته **عبرة** أي موعظة **لاولى الباب** أي يتعظ بها أولوا العقول الصحيحة ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التي تتوصل بها الإنسان من معرفة المشاهد الى ما ليس بمشاهد والمراد منه التأمل والتفكر ووجه الاعتبار هذه القصة ان الذي قدر على اخراج يوسف من الحب بعد اقامته فيه وآخر له من السجن وتبليكه مصر بعد العبودية وجمع مثله بابيه وأخوته بعد المدة الطويلة والياس من الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلا كلمته واطهار دينه وان الاجار هذه العفة العجيبة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال في اول هذه السورة نحن نقص عليك احسن القصص وفي آخرها لقد كان في قصصهم عبرة

لا ولي الباب فدل على ان هذه القصة من احسن القصص وان فيها عبرة لمن اعتبر بها **ما كان حديثا**
يعني ما كان هذا القرآن حديثا يعني ان الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى
الله عليه وسلم لا يصح منه ان يغيره او يخلفه لانهم لم يقرأوا الكتب ولم يحاطوا بالعلماء **انه جاء بهذا القرآن**
المجيد فدل ذلك على صدقه وانه ليس بمغترى **ولكن قصد في ان الذي بين يديه** يعني ولما كان
صدوق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من السما والقرية والابجيل وفيه اشارة الى
ان هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذرقة يوسف **وتفصيل كل شيء**
يعني ان في هذا القرآن المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم تفصيل كل شيء يحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام
والقصص والموعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد في امر دنياهم ودينهم **وهدي** يعني
الى كل خير **واحدة** يعني اترناه رحمة **للقوم يؤمنون** لانهم هم الذين ينتفعون به والله اعلم امراده
واسرار كتابه

تفسير سورة الرعد وهي مكية

قال ابن الجوزي اختلفوا في قوله تعالى **انزلنا الرعد** رواه ابو طلحة عن ابن عباس وبه قال
الحسن وسعيد بن جبير وعطاء قتادة وروي ابو صالح عن ابن عباس انها مكية الا ان ابن ابي عمير
يزال الذين كفروا يصفهم بما صنعوا قارعة والآخر قوله ويقولون انهم لم يسمروا الا في
الغيب انما مدنية رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروي عن ابن عباس
انما مدنية الا ان ابن ابي عمير يزال قوله قوله ولوان قرأنا سيرته للجال الى اخر الايتين وقال
بعضهم المدني من قوله هو الذي يريكم البرق الى قوله دعوة الحق وقيل حشر اربعون امة وثمان
مائة وخمسون كلمة وثلاثة الاف وخمسمائة وستة اجوف **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **الرعد** قال ابن عباس يخناه انا الله اعلم واري وروي عطاء عنه انه قال معناه انا الله
الملك الرحمن **تلك الايات الكتاب** الاشارة بتلك الايات السورة المسماة بالمراد بالكتاب
السورة اي ايات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال تعالى **الذي انزل اليك** يعني من القرآن
كله هو الحق الذي لا مزيد عليه وقيل الاشارة في قوله تلك الايات والقصر التي قصصتها
عليك في ايات التوراة والابجيل والكتب الالهية المقدسة المنزلة والذي انزل اليك يعني
وهذا القرآن الذي انزل اليك **من ربك** يا محمد الحق اي هو الحق فاعلمهم به وقال ابن عباس
وقتادة اراوا ايات الكتاب القرآن والمعنى هذه ايات الكتاب الذي هو القرآن ثم قال والذي
انزل اليك من ربك الحق يعني وهذا القرآن الذي انزل اليك من ربك هو الحق الذي لا شك ولا
تناقض **ولكن اكثر الناس لا يؤمنون** يعني مشركي مكة تركت هذه الآية في الروايات حين
قالوا ان محمد يقولون نكلا نفسه ثم ذكر من ذلك بل يرويه وعجابه قدرته ما يدل على وحدانيته
فقال تعالى **الله الذي رفع السموات** يعني رفع السموات جمع عود وهي الاساطير والدعائم التي تكون
تحت السقف وفي قوله **ترونها** قولان احدهما ان الروية ترجع الى السماء يعني انتم ترون السموات
مرفوعة بغير عاين من تحتها يعني ليس من دونها دعامة تدعها وتلا من فوقها علاقة بمسكها والراد
نفي العهد الكلية قال اياس بن معاوية السامعية على الارض مثل القبة وهذا قول الحسن وقادة
وجمهور المفسرين واحدا الروايات عن ابن عباس والقول الثاني ان الروية ترجع الى العهد يعني

وهي ثلاث سو

المراد

ان لها عدا

ان لها عدا ولكن لا ترونها انتم ومن قال بهذا القول يقول ان عداها على جبل قاف وهو جبل من زمر
محيط بالديار السما عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس
والقول الاول هو الصحيح وقوله **ثم استوي على العرش** تقدم تفسيره والكلام عليه في سورة الاعراف
فيه كفاية **وعرشك والقدس** يعني ولله المنازع خلقه فقامت تورات عيسى بن مريم على ما يريد **كل شيء**
لا جلي يعني الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن عباس اراد بالاجل الميعاد
درجاتها ومنازلها يعني انها جرات في منازلها ودرجاتها الى غاية ينتهيان اليها **ولا يحا وزانها**
وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من السموات والارض والارض والارض والارض والارض والارض
من السرعة والبطء في الحركة **يدبر الامر** يعني انه تعالى يدبر امر العالم العلوي والسفلي ويصرفه
ويقضيه بمشيئته وحكمته على اكل الاحوال لا يشغله شأن عن شأن وقيل يدبر الامر بالاجل والامام
والاحياء والامانة فقيه دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره ورحمته
داخلون تحت قدره وقضائه وقدرته **ينزل الايات** يعني انه تعالى ينزل الايات الدالة على
وحدانيته وكما قدرته وقيل ان الدالة على وجود الصانع قمان الاول الموجودات المشاهدة
وهي خلق السموات وما فيها من العجايب واحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره
والقسم الثاني الموجودات الحادثة في العالم وهي الموت بعد الحياة والفرق بعد العتق والضعف بعد
القوة الى غير ذلك من احوال هذا العالم فكل ذلك ما يدل على وجود الصانع وكما قدرته **لعلكم**
تتقون يعني انه تعالى ذكر هذه الدلائل الدالة على وجوده وكما قدرته لكي توقنوا
وتصدقوا ببقائه والمصير اليه بعد الموت لان من قدر على ان يخلق الانسان بعد عدمه قادر
على ان يخلقه وحياته بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهي فوق المعرفة والذرية
وهي تكون الفهم مع ثبات الحكم ووزوال الشك بقا لثبته استيقنوا اي يقنعوا بما علمه الله تعالى
وهو الذي مد الارض لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكما قدرته وهي رفع السموات
بغير عمد وذكروا احوال الشمس والقمر ارفها بذكر الدلائل الدالة على الارضية فقال وهو الذي مد الارض
اي والله الذي مد الارض وسطحها على وجه الما وقيل كانت الارض مجتمعة فدها من تحت
البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض مسطحة لا كن وعند اصحاب الهبة ان
الارض كمنعوتها ان يقال ان الارض المكرة اذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها تشاهد
محدودة كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد اخبر انه مد الارض وانه
دحاها وانه بسطها وكل ذلك يدل على التشطير والله تعالى اصدق قائلوا اين دليلا من
اصحاب اهل الهبة **وجعل فيها** يعني الارض **روايت** يعني جلالا ثابته يقال رسي الشيء رسوا اذا
ثبت وارسائه غيره قال ابن عباس كان ابو قيس لولجبل ووضع على الارض **وانها رايت**
وجعل في الارض انهارا اجارية لمنافع الخلق **ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين**
يعني صنفين اثنين احمر واصفر وحلو وحامض **يقضي الليل النهار** يعني يلعب الليل والنهار
الليل ويلعب الليل والنهار **ان في ذلك** يعني الذي تقدم ذكره من عجائب صنعته وعجايب
قدرته الدالة على وحدانيته **لايات** اي لدلائل **للقوم يتفكرون** يعني فيستدلون
بالصنعة على الصانع وبالسبب على السبب والفكر هو بقرق القلب في طلب الاشياء وقال

صاحب المعززة ان الفكر قوة مطرقة للعلم اي المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك
 للاسباب ووقت الحيوان ولا يقا لا انما يمكن ان يحصل له صورة في القلب ولهذا تفكر وان لا الله ولا
 تفكر وان لا الله اذ كان الله منزها ان يوصف بصورة وقال بعض الادباء الفكر معقوب عن الفكر لكن يستعمل
 الفكر في طلب المعاني وهو فرك الامور وتجربها طلبا للوصول الى حقيقة قولها عز وجل **وفي الارض**
دلائل كثيرة يعني متقاربات يقرب بعضها من بعض في مختلف في الطباع فلهذا طيبة
 تنبت وهذه سجة ولا تنبت وهذه لشجرة الربيع وهذه قليلة الربيع **وجنات** يعني بساتين والجنة
 كل بستان ذي شجر من خيل واعناب وغير ذلك سمي جنة لانه يستعد باشجاره الارض واليه المشارة بقوله
من اعناب وزرعرع ونخل **والصنوان** وغيره **والصنوان** جمع صنوان جمع صنو وهي التخلات تجتمع في اصل واحد
 ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم الرجل صنوا ابيه يعني انما من اصل واحد وغير
 صنوان هي الغلة المعززة باصلها فالصنوان للجنة وغير صنوان المتفرق **يسقي** **بما في الارض من ماء** يعني اشجار
 الجنات وزرعها والملاجع **دقيق** ما يبعث به حيوة كل نام وقيل في حله جوهر سائل انه قول الارواح
وتفضل بعضا على بعض **في الاكل** يعني في الطعام ما بين الحلو والحامض والغض وغير ذلك من
 الطعوم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى **وتفضل بعضا على بعض في الاكل**
 قال الدقل والقاضي والحلو والحامض اخرجهم الترمذي وقال حديث حسن عريب قال مجاهد كمثل
 بني ارم صالحهم وخبيثهم وابوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضرب الله لقلوب بني ارم كانت الارض
 طيبة واحدة في يد الرحمن فسلطها فصارت قطعانها ورات فيز لعلها كما الساتح خرج هذه
 زهرتها وثمرها ونحوها فخرج نباتها وخرج هذه سبخها وملكها وحيثها وكل يسقي بها واحد
 فلو كان الما ملكا قتل انما هذا من قبل الما لذلك الناس خلقوا من ادم فيز لعلهم من الساتح لذلك
 فترك قلوب قوم فخشع وتخضع وتقسوا قلوب قوم قتلوا ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس
 القرآن احد الا قام من عنده بزيادة او نقصان قال الله تعالى وتتر من القرآن ما هو شفا
 ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقوله تعالى **ان في ذلك** يعني الذي ذكرت
آيات لتقوم بحقوق يعني في تدبرون ويتفكرون في الآيات الدالة على وحدانيته وقوله
 تعالى **وان تعجب تعجب قوه** العجب تغيير المعنى بمرورية المستبعد في العادة وقيل العجب
 حاله تعرض للاسنان عند الجمل بسبب ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل
 العجب في حق الله تعالى لانه تعالى ملأ الغيوب لا يخفى عليه خافية والخطاب في الآية للنبي صلى
 الله عليه وسلم ومعناه وانك يا محمد ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ان كنت تعلمهم تعرفون
 بالصادق الامين فحجهم وقليل معناه وان تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا
 ينفعهم الهة يعبدونكم مع اقراهم بان الله تعالى يخالق السموات والارض وهو بصير وينفع
 وقدر اومن قدرة الله وما ضرب لهم به الامثال فحجب قوههم وقيل وانك ان تعجب من
 انكارهم النشأة الاخيرة والبعث بعد الموت مع اقراهم بان الله تعالى يخالق السموات والارض وهو بصير
 وذلك ان المشركين كانوا يتكلمون بالبعث بعد الموت مع اقراهم بان الله تعالى يخالق السموات والارض وهو بصير
 بقرينة النفوس ان الاعادة اهون من الاستدعاء فوضع العجب وهو قوههم **انما**
 يعني بعد الموت **انما** **في خلق جديد** يعني نفاذ خلقا جديدا بعد الموت كما قاله الله تعالى

قال حاتم

قال في حقهم **اوليك الذين كفروا** وفيه دليل على ان كل من انكر البعث بعد الموت فهو كافرا بالله
 تعالى لانه من انكر البعث فقد انكر القدرة وان الله على كل شيء قدير ومن انكر فهو كافرا
واوليك الاغلا في اعناقهم يعني يوم القيامة والاغلا لجمع غل وهو طوق من حديد يجعل في
 العنق وقيل اراد بالاغلا ذلهم والقيادهم يوم القيامة كما يقاد الاسير بالدليل **واوليك**
اصحاب النار هم فيها خالدون يعني انهم يقيمون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون **ويستجلبونك**
بالسنة قبل السنة الاستجبال طلب تخيل الامر قبل مجي وقته والراد بالسنة هي العقوبة والجنة
 العافية وذلك ان مستركي مكة كانوا يطلبون العافية بدلا من العافية استترامنهم
 وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم
وقد جلت من قبلهم المثلثات يعني وقدمت في الامم المثلثة العنقيات بسبب تكذيبهم
 رسلكم والمثلة بفتح الميم وضم الثانية تتركب بالانسان فيجعل مثالا يزدع غيره به وذلك
 كالنكال وجمعه مثلثات ومثلثات بفتح الميم وضمها مع ضم الثانية فيها لقنات **وان ربك لذو نفوذ**
لناس على ظلمهم قال ابن عباس معناه انه لذو تحاور وعن المشركين اذا امنوا **وانه لشديد**
العقاب يعني للمصدقين على الشرك الذي ما تواعليهم وقال مقاتل انه لذو تحاور وعن شركهم في
 تأخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا عاقب **وبقول الذين كفروا** يعني من اهل مكة
لو اننا ازلناهم يعني على محمد صلى الله عليه وسلم **ايه من ربه** يعني مثل عصي موسى وناقته
 صالح وذلك انهم لم يمتنعوا بما راوا من الايات التي جاءها النبي صلى الله عليه وسلم **انما انت**
مذنب يعني ليس عليك يا محمد غير الانذار والتحذير وليس اليك من الايات شيء **ولكل قوم**
هاد قال ابن عباس الهادي هو الله وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحك
 والتخمي والمعنى انما اليك الانذار يا محمد والهادي هو الله تهدي من يشا وقال عكرمة في رواية
 احري عنه وابو الضحى الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انت منذر وانت
 هاد وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني ولكل قوم نبي هاديهم وقال ابو الفالية الهادي هو
 العمل وقال ابو صالح الهادي هو القاييد الى الخير والى الشر قوله عز وجل **الله يعلم ما تعلم كل انبي**
لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات اخبرهم عن عظيم قدرته وكما علمه وانه عالم بما تخمل
 كل انبي يعني من ذكر او انبي سوي الخلق او ناقص الخلق واحد او اثنين او اكثر **وما تنقص**
يعني وما تنقص الارحام وما تزداد قال اهل التفسير غرض الارحام الحبيب على الحمل فاذا حاضت
 الحمل كان ذلك نقصانا في الولد لان دم الحبيب هو غدا الولد في الرحم فاذا خرج الدم نقص
 الغدا فينقص الولد واذ الحاض يزاد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقه الولد يخرج الدم
 والزيادة تمام خلقه باستكمال الدم وقيل اذا حاضت المرأة في وقت حملها ينقص الحمل ويزداد
 مدة الحمل حتى تستكمل سبعة اشهر ظاهرة فان رات خمسة ايام وما وضعت لسبعة اشهر وخمسة
 ايام فالنقصان في الغدا والزيادة في مدة الحمل وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق
 وقال الحسن غيضا ينقصها من سبعة اشهر والزيادة زيادتها على سبعة اشهر فاقول
 الحارسة اشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش واحدا فواضع اكثره فقال قوم لا تزداد الحمل
 سستان وهو قول عايشة وبنه قال ابو حنيفة وقيل ان الضحاك ولد لستين وقال جماعة

الكرها اربع سنين واليه ذهب الشافعي قال احمد بن ابي سلة انما هي هروان جان هروا لانه بقي سبعة
بطن امه اربع سنين وعند مالك ان الترمذية اكلت خمس سنين **وكل يذبح عند مقتدر** يعني مقتدر
وحد كذا وزه ولا ينقص منه وقيل انه تعالى اعلم كمية كل شيء وكيفيته على اكل الوجوه وقيل معناه انه
تعالى حصر كل ما ورثه من الموات بوقت معين وحالة معينة وذلك بحسبته الذاتية وارادته وقد
الذي لا يقدر عليه غيره **عالم الغيب والشهادة** يعني الله تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما يشاهدوه
وقيل الغيب هو المعلوم والمشاهد هو المجهول وقيل الغيب ما غاب عن الحس والمشاهد ما حضر
في الحس **الكبر** الى العظم الذي يصغر كل كبير بالاضافة الى عظيته وكبريائه فهو يعود الى
كبر قدره وانه تعالى السميع لصفات الكمال **المتكامل** يعني المزه عن صفات النقص المتكامل
عن الخلق وفيه دليل على انه تعالى موصوف بالعلم الكائن والقدرة التامة وتزهره عن جميع
التفاني بقوله تعالى **سواء انكم من اهل القول ومن جهر بده** اي مستوسكين من اهل القول
وكتمه ومن اظهره واعلمه والمعنى انه قد استوى في علم الله تعالى المسبوق والمجاهر **والله اعلم**
سحق بالليل اي مستور وظلمته **وساربه بالليل** اي ذاهب في سره ظاهر او السرب
من السرب وسكون الالطريق وقال القتيبي السارب المتصرف في حوائجهم قال ابن عباس في
هذه الآية هو صاحب ربة سحق بالليل واذا خرج بالليل ارى الناس انه يرى من الاشر
وقيل سحق بالليل ظاهر من طولهم خفيت الشئ اذا اظهرته واخفيت اذا كتمته وسارب
بالليل اي متوار دخل في سره سحقا ومعنى الآية سواء اما اصرت به القلوب او سطفت به
الاستة وسواء من اقدم على الفباغ مستتر في ظلمات الليل او في ظاهرها في النهار فان علمه
تعالى محيط بالكل **له معقبات** يعني لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا اصبحت
ملائكة الليل عتبت ملائكة النهار والعقب العود بعد البد وانما ذكر معقبات ليعلم الناس
وجمع معقبات بجمع المعقبات كقيل اناوات سعد ورجلات بكرق عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة
الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو اعلم بهم ان كنتم عبادي فقولوا
نعم وان كنتم من غيري فقولوا لا بل ان مع كل واحد منكم مني اوم ملكان ملك عن يمينه وهو
صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيئات وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات
فاذا عمل العبد حسنة كتب الله بعشر اشاها واذا عمل سيئة قال صاحب الشمال لصاحب اليمين اكبتها
عليه فيقول انظره لعلمه يتوب او يستغفر فيستأذنه ثلاث مرات فان هواتب منها والاقال
له الكتبا عليه سبعة واصل وملك موكلنا صبيحة العبد فاذا تواضع العبد لله عز وجل رفعه بها
وان تجر على الله وضعه بها وملك موكل بعينه يحفظها من الاذى وملك موكل بغيره لا يدع عبدا خلت
فيه شئ من الهوام يورده فيها ولا خمسة املاك موكلون بالعبد في ليله وخمسة غيرهم في نهاره فانظر
الى عظمة الله تعالى وقدرته وكما شققت عليك اي العبد المستكين وهو قوله تعالى **من بين**
يدي ومن خلفه يحفظونه من امر الله يعني يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره
ومعنى من امر الله بامر الله واذنه عالم محي القدر فاذا خالوا عنه وقيل معناه انهم يحفظونه
بما امر الله به من الحفظ له قالوا جاهدوا من عند الله وملك موكل به يحفظه في يومه ويحفظه من الليل

عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدرى العبد الا بالليل والنهار

والاكثر والهوام فاعلم شئ يائنه يريد الا قال له الملك وراك الا شئ ياذن الله فيه فيصيبه وقال له الجاهل
لولا ان الله تعالى وكل كبر ملائكة يدون عنكم في مطعمكم وشرككم وهو انكم تحفظونكم الجن وقال ابن جرير
معنى يحفظونه اي يحفظون عليه الحسنات والسيئات وهذا على قول من يقول ان الملائكة في الملكين القاعدتين
عن اليدين والشمال يكتبان الحسنات والسيئات وقال عكرمة الآية في الامر وحسنهم يحفظونهم من
ايديهم ومن خلقهم والضمير في قوله له راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى هذه
الآية له جراس لمحمد صلى الله عليه وسلم جراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوائف
الليل والنهار وقال عبد الرحمن بن زيد ثلث هذه الآية في عامرين الطفيل واربد بن ربيعة وكانت
قصتهما على ما رواه الكلب عن ابي صالح عن ابن عباس قال اتبعنا عامرين الطفيل واربد بن ربيعة وهما
عامريان يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في نفر من اصحابه فدخلوا المسجد
فاستشرف الناس لما اقاموا وكان من اجل الناس وكان اعور فقال رجل يرسول الله هذا عامر
ابن الطفيل قد اقبل نحوك فقال ودعه فان برء الله به خيرا بعد فاقبل حتى قام على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال يا محمد مالي ان اسلمت قال لا لك ما المسلمين وعليك ما على المسلمين قال فجعل امر
لي بعدك فقال ليس ذلك الي انما ذلك الي الله تعالى فجعل حيث يشاء قال فتبعني على البوروات
على المدر قال لا قال فما جعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها قال اوليس ذلك لي اليوم
فقرني فلك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد اوصى الى اربدين ربيعة اذ اراني
اكله فدر من خلفي فاضربه بالسيف فجعل عامر خاضع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيل جعه واذا ار
اربدين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى
عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يوحى اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فزاي
اربدين وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله علي اربد صاعقة في يوم وهو
قايظ فاحرقته وولي عامر هاربا وقال يا محمد دعوتك ركب فقتل اربد والله لا ملائكة عليك
خيلا جرد او قتيانا مردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم منع الله من ذلك وانا فيله يريد الاوس
والخزرج فزك عامر بيت امرأة سلولية فلما اصبح هم عليه سلاحه فخرج له خراج في اصل
اذنه اخذ منه مثل النار فاشتد عليه فقال عدك كعداء المكر وموت في بيت سلولية ثم ركب
فرسه وجعل يركض في الصحراء يقول اذ ايا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول ان ابصر
محمد او صاحبه يعني ملك الموت لم يفتدني مما يحكي فارسل الله ملكا فاطمه فاردا في التراب شمر
عادر كبر واجراه حتى مات على ظهره واجاب الله عز وجل عامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في عامرين
الطفيل فمات بالطنع واربد بن ربيعة مات بالصاعقة وانزل الله عز وجل في شأن هذه
القصص **سواء امنتم من امر الله** ومن جهر بده الى قوله **له معقبات** من بين يديه ومن خلفه
يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الله اي
بامر الله وقيل ان تلك المعقبات من امر الله وفيه تقدير وناحية تقديره له معقبات
من امر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه قوله **ان الله لا يغير ما بقوم** خطاب لحد بن
عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة يعني لا يغير ما بقوم من الغافية والنعمة التي انعم الله بها
عليهم **حي يغيرون** اي يغيرون ما بقوم من الغافية والنعمة التي انعم الله بها عليهم

ان الله تعالى يدعي بتسجيب الدعوة ويعطي الداعي سوله ان كان مصلحه له فكانت الدعوة ملائمة للحق
لكنه حقيقة بان وجه الدعاء لما في دعوتهم من الخدوي والنفع خلاف ما لا نفع فيه ولا يجدي
دعاه الثاني ان يضاف الى الحق الذي هو الله على معنى الدعوة المدعول الذي ليس يجب على الحسن
الله هو الحق وكل دعاء اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه انما لهدى الموصفين بما قبله
قلت اما على وجه اريد فظاهر ان اصابت به الصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانه دعاء عليه وعلى صاحبه عامر بن الطفيل فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وانما على
قولهم وهم مجادلون في الله فوعيد للكفار على مجادلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه
ان دعاء عليهم وقيل في معنى الآية الدعاء بالاحسان والبر لا يكون الا لله تعالى **والله**
يدعون من دونه يعني والذين يدعونهم الهة من دون الله وفي الاصنام التي يعبدونها
لا يستجيبون لهم شي يعني لا يجيبونهم بشي يريدونه من نفع او دفع ضرر ان دعوتهم **الكا**
كفيه الى الما يبلغ فاه يعني الاستجابة كما استجابة الما لم يسقط لغيره اياه يطلب منه ان يبلغ
فاه والماجاد لا يشعر بسخط كفيه ولا يعطشه ولا يقدر ان يجيب دعاه او يبلغ فاه وكذلك
ما يدعونهم جماد لا يحسن بدعائهم ولا يستطيع اجابته ولا يقدر على نفعهم وقيل سبهم في قلة
جذوي دعائهم لا طقتهم من اراد ان يغترف الما يدعيه ليشربه فبسوطها ناسرا لثابتة فلم تلق
لغاه منه شي ولم يبلغ الى فيه منه شي كذلك الذي يدعوا الاصنام لثابتة لا تنفع ولا يبدع
من شي وقيل شبهه بالرجل العطشان الذي يري الما بعينه من بعيد فهو يشرب بكفيه الى
الما ويدعوه بلسانه ولا ياتيه ابد هذا معنى قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على شفير
البيرو وهو يمد يده الى البيرو فلا هو يبلغ الى قعر البيرو يخرج الما الى الما يرتفع اليه فلا ينفعه
بسوطه الكف الى الما ودعاه له ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم ذلك
وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط لغيره في الما لا ينفعه ذلك مالم يغترف بها من الما ولا
يبلغ الما فاه مادام بسط لغيره وهذا مثل ضرب الله تعالى للكفار ودعائهم الاصنام حين لا تنفعهم
البتة ثم ختم هذا بقوله **وما دعا الكافرون** يعني اصنامهم **الا في ضلال** يعني يضل عنهم اذا
احتاجوا اليه وقال ابن عباس في هذه الآية لان اصواتهم محجوبة عن الله تعالى قوله عز وجل
ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها في معنى هذا السجود قوله ان احدها المراد
منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول في معنى الآية وجهان
احدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه المخصوص بقوله ولله يسجد من في السموات
يعني الملائكة ومن في الارض يعني المؤمنين طوعا وكرها يعني من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم
المؤمنون المخلصون لله العباد وكرها يعني المنافقين الداخلين في المؤمنين وليسوا منهم
فان يسجد لله على كره منهم لانهم لا يرجون على سجودهم ثوابا ولا يخافون عاقبا بل
يسجدون وهم وعبادهم خوفا من المؤمنين الوجه الثاني وهو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا في
اللفظ اشكال وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من
يسجد كرها كما تقدم واما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا وجه

الاشكال

وما هو بالقد

الاشكال والجواب عنه انه يجب على كل من في السموات ومن في الارض ان يسجد لله فخر عن الوجوب والوقوع
والحصول وجوب لجزوه وان يكون المراد من هذا السجود الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من
في السموات من ملك ومن في الارض من انش او من فانهم يعبدون لله بالعبودية والتعظيم ويدعون عليه
قوله تعالى وليس سألتم من خلق السموات والارض ليقول الله والقول الثاني في معنى هذا السجود
وهو الاعتراف بالقدرة والقدرة نافذة في الكل فم خاضعون متقادون له وقوله تعالى
وطلا لهم العبد والاعمال العبد والاعمال جمع اصيل وهو العيشة والاصال العشايا جمع عيشة
بالضم من طوع العبد والطوع العبد والاعمال جمع اصيل وهو العيشة والاصال العشايا جمع عيشة
وهي ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ظل كل شئ يسجد لله سوا ظل المؤمن والكافر
وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وكرها وهو طابع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال
الرباط حاشي التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن المنذر لا يسجد ان خلق الله
تعالى للظلال عقولا وانها ما منجد بها وتخشع كاجعل لجمال انما حتى سجدت لله مع داود وقيل
المراد بسجود الظلال لانيلاها من جانب الى جانب اخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها
واما خص العبد والاصال بالذر لان الظلال تقف وتكسر في هذين الوقتين وقيل لانها طرفا
الهار فيدخل بسطه فيها بينهما **فصل** وهذه السجدة من عزائم سجود الثلاثة فيسجد
للقاري والمستمع ان يسجد عند قراءته واستماعه هذه السجدة والله اعلم بقوله تعالى **قل من رب**
السموات والارض اي قليا محمد لها ولا المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات
والارض يعني من مالك السموات والارض ومن مدبرها وخالقها فيقولون الله لانهم مقترون
بالله خالق السموات والارض وما فيها فاه الجواب لذلك فقالت يا محمد الله رب السموات
والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا اجب انت فامر الله ان
يجيبهم بقوله **قل اي قليا محمد الله** وقيل انما جابا السؤال والجواب من جهة واحدة لان المشركين
لا ينكرون ان الله خالق كل شئ فلما لم ينكروا ذلك واجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكأنهم
قالوا ذلك ايضا ثم الرهم الحجة على عبادهم الاصنام بقوله **قل اي قليا محمد للمشركين اف اتخذتم من**
دونه اي من دون الله **اوليا** يعني الاصنام والولي الناصر والمعني بوليهم غير رب السموات
والارض واتخذتموه انصارا يعني الاصنام **لا يملكون** يعني وهم لا يملكون **لا ينفعهم** **تقوا ولا ضر**
فكيف تقهرهم بغير صريح الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام والمؤمن الذي يعبد الله
تعالى **قل هل يستوي الاعمى والبصير** قال ابن عباس يعني المشرك والمؤمن **ام هل يستوي**
الظلمات والنور يعني المشرك والامان والمعني لا يستوي الاعمى والبصير لذك لا يستوي الكافر
والمؤمن وكالم تستوي الظلمات والنور كذلك لا يستوي الكفر والامان وانما شبه الكافر بالاعمى
لانهم لا يهتدون سبيلا كذلك الكافر لا يهتدي سبيلا **ام جعلوا الله شركا** هذا استفهام انكار
يعني اجعلوا الله شركا **خلقوا الخلق** يعني خلقوا سموات وارضين وشمسا وقمر وجبالا وخلقوا
وحاوانا **فهل يشابه الحق عليهم** من هذا الوجه والمعني هل راوا غير الله خلق شيئا فاشبهه
عليهم خلق الله خلق غيره وقيل انه تعالى ونظم بقوله ام جعلوا الله شركا خلقوا خلقا مثالا
خلقهم تشابه خلق الشركاء خلق الله عندهم وهذا استفهام انكار اي ليس الامر كذلك حتى شبه

وما فيها

عليهم الامر بل اذا تفكروا بحقهم وجدوا الله هو المنفرد بخلق الاشياء والشركاء محاقون له ايضا المخلوقون
شيئا حتى يشبهه خلق الله مخلوقا والشركاء اذا كان الامر كذلك فقد لم يتم الحجج وهو قوله **قل الله خالق كل**
شي اني قلنا بجهلها ولا المشركين الله خالق كل شيء ما يصح ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شيء من
العموم الذي يراد به الخصوص من الله تعالى شيء وهو غير مخلوق وهو الواحد يعني والله تعالى هو
الواحد المنفرد بخلق الاشياء كلها **القياس** لعباده حتى يدخلهم تحت قضايه وقدره وارادته قوله
عز وجل **انزل من السماء ماء** لما شبه الله عز وجل الكافر بالاعمى والمومن بالبصير وشبه الكفر
بالظلمات والايمان بالانوار ضرب لذلك مثلا فقال تعالى انزل من السماء ما يعني المطر **فما اودية**
بقدرها اودية جمع واد وهو العرج من الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فمالت اودية فيه امتاع
وحدت تقديره مالت في الوادي فهو كما يقال تجري الزهر والمراد تجري الماء في النهر فحدت المضاف
لذلك الكلام عليه بقدرها قال مجاهد مملها وقال ابن جرير الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل
منفردا بملها وانما اودية لان المطر اذا نزل لا يجمع الارض ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل في
ارض دون ارض ويسيل في واد دون واد فلهذا السبب خاضعا بالتكرير وقال ابن عباس انزل من
السماء ما يعني من انا وهذا مثل ضرب به الله تعالى فمالت اودية بقدرها يريد بالاودية القلوب
شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر اذا نزل لم ينفعه ذلك
القرآن وشبه القلوب بالاودية لان الاودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الهمة
والعرفان بنزول القرآن فيها وهذا خاص بالمؤمنين لانهم الذين استمعوا بنزول القرآن ف
عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم
كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طائفة طيبة ثبثت الما فانبتت الكلأ والعشب الكثير
وكان منها اجافة امتسكت المانع الله لها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وصاب طائفة
منها اخري انما هي قبيحة لا تمسك ما ولا تثبت كلافه ذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه
ما بعثني الله به ففهم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدي الله الذي ارسلت به
قال الشيخ يحيى الدين النواوي رحمه الله وغيره في معنى هذا الحديث وشروحه انما الخلافة المحمديّة
تبع على الرطب واليابس من الخشيش وقوله وكان منها اجاذب ضالجه والبالا كذا وقع في
التصحاح وهي الارض التي لا تثبت الخلاص جذب على غير قياس وقياسه اجاذب والحذب ضد
للحصب وقال الخطابي في التي تمسك الما وقوله ورعوا كذا هو في صحيح مسلم من الدعى ووقع في صحيح
البخاري ورعوا بزيادة زاي من الرزع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو الشهور وروي بكسرها
الارض وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله يروي بضم القاف وهو المشهور وروي بكسرها
ومعناه الفهم في الاحكام واما الحديث ومقصوده فهو ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما
نكاه من الهدى والعلم بالارض التي اصابها المطر قال العلماء والارض ثلاثة انواع اولها تلك
الناس منها خلقوا في انواع الارض من انواع الارض المقدسة الطيبة التي تنفع بالمطر
فثبتت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك وكذلك
النوع الاول من الناس من يجعله الهدى والعلم فيجيبه قلبه وتحفظه وعمله ويعلمه غيره
فينتفع به وينفع غيره قال مسروق صحبت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم توجد لهم
كالاجاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت اوعية العلوم بما رزقت من صفات النعم والنعيم

في قوله تعالى انزل من السماء ماء يعني المطر
في قوله تعالى فمالت اودية فيه امتاع يعني
الاجاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت اوعية العلوم

الثاني من انواع الارض من لا تقبل الامتناع في نفسها لكن فيها فائدة لغرضها وهي اسكان الما لغيرها
ليستفع به الناس والدواب وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة ولكن ليس لهم افهام تاقية فيبقى
ما عندهم من العلم حتى يحتاج اليه المنقطع لما عندهم من العلم فيأخذ منهم فينتفع به هو وغيره من
النوع الثالث من انواع الارض ارض سبخة لا تثبت مري ولا تمسك ماء ذلك النوع الثالث من الناس
ليس لهم قلوب حافظة وافهام تاقية فاذا بلغهم شيء من العلم لا ينتفعون به في انفسهم ولا ينتفعون
غيرهم والله اعلم وقوله تعالى **فاحتل السيل** يريد ما يغلو على وجه الما عند الزيادة كالجب
وكذلك ما يغلو على القدر عند غلبته والمعنى فاحتل السيل الذي حدث من ذلك الما بزيادة **السي**
يعني غاليا يرتفع فوق الماطاف عليه وهما هاتان المثلثان استدامتا مثل اخر فقال تعالى **وما توفروا عليه**
في النار الا يقاد جعل الخطب في النار لتقدمه جعل تلك النار تحت التي لا يدوب **التي** حطية يعني
تطلب رينة والصبيحة قوله عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورا في طلب
لا تطلب الامانة **الاحتيا** يعني او لطلب متاع اخر ما ينتفع به كالخشب والحطب والارصا وحجوه
ما يذاب ويختل منه الاواني وغيرها مما ينتفع به والمتاع كلما ينتفع به ويقال لكل ما ينتفع به في البيت
كالطبخ والقدور وحجوه ذلك من الاواني متاع **الري** يعني ان ذلك الذي يوقد عليه في النار
اذا ذاب فله ايضا ريد مثل ريد الما فالتعاني من الما من هذه الجوهر الذي ينتفع به وهو مثل الحق والرب
من الما من هذه الجوهر الذي لا ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى **ان الله يضرى الله الحق والباطل**
فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الريد الطافي الذي لا ينتفع به وهو قوله **فاما الريد فيضرب**
يعني ضايحا باطلا والجفا ماري به الوادي من الريد الى جنباته وقيل الجفا المنقرق يقال جفات
الريح الغيم اذا فرقت والمعنى ان الباطل وان علاني وقت فانه يصحل ويدهب **واما ما ينفع الناس**
يعني الما الصافي والجوهر الجيد من هذه الاجسام التي تداب **فيمسك في الارض** يعني تثبت
ولا يضيى ولا يذهب **كذلك يضرب الله الامثال** قال اهل التفسير والمعاني هذا مثل ضرب به
الله الحق والباطل فالباطل وان علاني الحق في بعض الاوقات والحوال فان الله يحفظه ويظله
ويجعل العاقبة للحق واهله كالريد التي يغلو على الما فيذهب الريد ويبقى الما الصافي الذي
ينتفع وكذلك الضعوف من هذه الجوهر يبقى ريد ذهب الغلو الذي هو الكفر وهو ما ينفيه
الكبير ما يذاب من جوهر الارض كذلك الحق والباطل فالباطل وان علاني وقت فانه يذهب
هو واهله والحق يظهر هو واهله وقيل هذا مثل المؤمنين واعتمادهم على الله تعالى بالامانة كمثل
الما الصافي الذي ينتفع به الناس ومثل الكافر وحجته اعتقاده كالريد الذي لا ينتفع البتة
وقيل هذا مثل ضرب به الله للنور الذي يحصل في قلوب العباد على ما قسم لها في الارض لان الوادي
اذا سال كمن كل شيء منه من الخسائر والمستغذرات كذلك النور اذا سال وادي القلب
العبد بالنور الذي قسم له على قدر ايمانه ومعرفة كمن كل ظلمة وغفلة فيه فاما الريد
فيذهب حيا واما ما ينتفع الناس في الارض فيمكث في الارض يعني يذهب الباطل وهي الاطلاق المذمومة
وتبقى الحقايق وهي الاخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الامثال وقوله تعالى **للذين استجابوا**
للدين الحسن قيل الدائم في الدين يضرى والمعنى لذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين
استجابوا لربهم يعني اجابوه الى ما دعاهم اليه من توحيد الله والامانة به ورسوله والكاثرين الذين لم

متعلقه

الذين لا يتبعون غير اعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس يعني صلح صدق وامر ووجد على قول
الزجاج معناه صلح في علمه قال الواحدي والصحيح ما قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب المجتبع
سروره بما يراه في اهل الجنة بشروه بدخوله الجنة معها ولا فدل على انهم يدخلونها كرامة للمطيع ولا
فايد في الوعد به اذ دل من كان صالحا في علمه فهو بدخول الجنة قال الامام في الدرس الرازي قوله تعالى
وان واجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين روجه وزوجه ولعل الاولى من مات عنها او ماتت
عنه وما روي انه لما كبرت سودة اراد النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها فساكتت ان يفعل او هبت
بومها لعائشة فامسكها رجا ان تحسب حيلة ان واجبة كالدليل على ما ذكرناه وقوله تعالى في الملائكة
باب في دخولهم من كل يعني من ابواب الجنة وقيل من ابواب القصور قال ابن عباس يريد بالجنة من
الله والتخف والهدايا **سلام عليكم** يعني يقولون سلام عليكم فامر القوم بالقول هاهنا الله الله الكلام
عليه **ما صبرتم** يعني يقولون لهم سلام الله من الافات التي كنتم تحافون منها وادخلكم ما صبرتم
في دار الدنيا على الطاعات بحكم المحرمات وقيل ان السلام قول الصبر على ما يكون القول ثوابا
للفعل فلهذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعني سلامكم الله بما صبرتم والمقاتل ان
الملائكة يدخولون عليهم في مغدركه يوم من ايام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتخف من الله تعالى
يقولون سلام عليكم بما صبرتم وروي البغوي بسند عن ابي امامة موقوف فاعليه قال ان المؤمن
ليكون متكيا على اركبته اذا دخل الجنة وعند ساطان من خدم وعند طرف الساطين باربعين
فيقبل الملك من ملائكة الله تعالى يستاذن فيقوم ادني الحدم الى الباب فاذا بالملك يستاذن فيقول
لذي يليه ملك يستاذن كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول اين نواله فيقول اقربهم الى المؤمن اين نواله
له ذلك حتى يبلغ اقضاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف **فتم عقي الدار**
يعني تتم عقي عقي الدار وقيل معناه فتم عقي الدار ما اتم فيه والذين ينقصون عهد
الله من بعد ميثاقه لما ذكر الله احوال السعد وما اعد لهم من الدار والخرات ذكر بعد احوال
الاشقياء وما اعد لهم من العقوبات فقال تعالى **والذين ينقصون عهد الله** ونقص العهد ضد
الوفاء وهذا من صفة الكفار انهم هم الذين نقصوا عهد الله من بعد ميثاقه وحالفوا امره
ومعني من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه على انفسهم من الاعتراف والقبول **ويقطعون ما امر الله**
ان يوصل يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم والعتراة **ويفسدون في الارض** يعني بالكفر
والمغاصي **او ليك** يعني من هذه صفته **لهم الجنة** يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيامة
ولهم سوا الدار يعني النار لان منقلب الناس في الغرف الى دورهم ومنارهم والمؤمنون
لهم عقي الدار وهي الجنة والفساد لهم سوا الدار وهي النار قوله تعالى **يسقط الرزق عن يثا**
ويقدر يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضييق على من يشاء من عباده
فيفقده ويقتير عليه وهذا امر اقتضته حكمة الله **وفرحوا بالحياة الدنيا** يعني مشركوا مكة
لما سبط الله عليهم الرزق اسروا وبطروا والفرح لانه يحصل في القلب بنيل المشتهى وفيه
دليل على انه الفرح بالدنيا والركون اليها حرام **وما الحياة الدنيا** يعني بالنسبة الى الآخرة
الامتاع اي قليل ذاهب قال الكلبي المتاع مثل السرجة والمصعة والكدر ويتبعها في
الدنيا ثم تذهب لذلك الحياة الدنيا لا تهاذأ به لا يخالها ويقول **الذين كفروا** يعني من اصل

الذين كفروا يعني من اصل
الذين كفروا يعني من اصل

وتركوه

مكة

مكة **لولا انزل عليه آية من ربه** يعني فلا انزل على آية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى
قل اي قول لهم يا محمد ان الله يفضل من يشاء فلا ينفعه ثبوت الامارات وكثرة المعجزات اذ الم محمد
الله عز وجل وهو قوله **ويهدي اليه من انا** يعني ويرشد الى دينه والامان به من انا
بقوله ورجع اليه بكليته **الذين امنوا** بدل من قوله انا **وتطمين قلوبهم** يعني وتسلن
قلوبهم **بذكر الله** قال مقاتل بالقران لانه طابينة لقلوب المؤمنين والطابينة والسلون
انما يكونان بقوة اليقين والاضطرار انما يكون بالشك **الذين امنوا** **تطمين قلوبهم** يعني بدكره
تسكين قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك ان
المسلم اذا حلف بالله على شيء سكن قلوب المؤمنين اليه فان قلت اليس قد قال الله تبارك
وتعالى في اول سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استعفا
لخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطابينة فكيف وصفهم بالوجل والطابينة انما تكون
عند الوعد والتاب فالقولون توجب اذا ذكرت عدل الله وشده حجاب وعقابه وتطمين
اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكلمه واحسانه **الذين امنوا وعملوا الصالحات** **طوبى لهم**
العلماني تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرعة عين وقال عكرمة فيهم وقال حسن لهم
وفي رواية اخرى عنده ان هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك اي اصبت خيرا وقال
ابراهيم التيمي خيرا لم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تاويلها الحال المستطابة
لهم وهو كما استطاب في الجنة من بقا بلا فناء وعز بلا ذل وغنا بلا فقر وصحة بلا سقم قال
الازهر ي يقول طوبى لك وطوبى لك لا تقول العرب وهو قول اكثر النحويين وقال
سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحديثة وروي عن ابي امامة وابي هريرة وابي الدرداء ان
طوبى اسم شجرة في الجنة تظل الجن كلها قال عبيد بن ربيعة شجرة في جنة عدن اصلها في دار
النبى صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها عصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا في
منها الا السواد وخلق الله فاهة ولا ثمر الا فيها منها ينبع من اصلها عينا الكافور والسلسيل
وقال مقاتل كل ورقة منها تظل امة عليها ملك يسبح الله بانواع التسبيح وروي عن ابي سعيد
الخدري ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال شجرة في الجنة مسيرة مائة
سنة ثياب اهل الجنة تخرج من ايامها وعن معوية بن قرة عن ابيه برفعه قال طوبى شجرة
عزها الله سيد ونفع فيها من روجه تنبت الحلل والحلوان اغصانها لثري من ورا سور
الجنة هكذا ذكر البغوي بسند وروي بسند موقوف عن ابي هريرة قال ان في الجنة
شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرأوا ان شتم وظلمه ودفع ذلك لعب الاحبار فقال صدق
والذي انزل التوراة على موسى والقران على محمد لوان رجل اركب حقة او جذعة ثم دار بارض
تلك الشجرة ما لمعها حتى يسقط هرا من الله شرها يد ونفع فيها من روجه وان اقام بها من ورا
سور الجنة وما في الجنة نهر الا وهو يخرج من اصل تلك الشجرة قال البغوي وهذا الاسناد عن عبد
ابن المبارك عن الاشعث عن عبد الله بن مهران بن جوشع عن ابي هريرة قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى
يقول الله لها تقنني لعبدي عما يشاء فتعق له عن فرس مسروحة بلجامها وهيئتها كاشا وتعتق له
عن الرحلة برجلها وزمامها وهيئتها كاشا وعن الثياب من عن سهل بن سعد ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام

قال ابن عباس
الطابينة والسلون

قادة

هذه من الحديث

الحمد لله الذي جعل الله عليه وسلم قائم في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام
 ما بين طمأنينة من ربه في هجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها
 مائة سنة من العيشة في رواية اخرى وان شتم وظلم ودود وقوله تعالى **وحسن ما به** يعني ولم
 حسن منقلب ومرجع رجعون اليه في الاخرة وهي الجنة قوله عز وجل **كذلك ارسلناك في امية قد**
خلت من قبل الامم يعني كما ارسلناك يا محمد في هذه الامية كذلك ارسلنا انبياء من قبلك بالام
 قد طيت ومضت **لننزلهم الذي اوحينا اليك** يعني لننزلهم على ما اوحينا اليك الذي اوحينا اليك من
 القرآن وشرايع الدين **وهو الذي اوحينا اليك** قلاد فتاوة ومقاتل وان يرجع هذه الآية مدينة
 نزلت في صلح الحديبية وذلك ان سبلان بن عبيد بن جراح لما جاهد المسلمين واتفقوا على ان يكتبوا كتابا
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقلن اي طالب الكتب اسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا
 نعرفون الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلة الكذاب الكلب كان كتب لهم باسمك الذي
 هذا معنى قوله وهو يظنون بالرحمن يعني انهم يذكرونه ويخبرونه بالمعروف ان الامة عليه
 وسبب نزولها ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجرة يدعو ويقول في دعائه يا الله
 يا محمد ان الرحمن الذي انكرتم معرفته هو **روى في الله هو عليه من كل** يعني عليه عذرت
 في انوار كمال **الدين من ان** يعني وروى في قوله تعالى **ولم ينزلنا من السماء** يعني
 الآية نزلت في نفر من مشركي مكة منهم ابو جهل بن هشام وعبد الله بن لحي امية تركوا
 جلسوا خلف الكعبة وارسلوا الي النبي صلى الله عليه وسلم فاتهم وقيل انه منهم وهم جالوس
 فدعاهم الي الله عز وجل فقال له عبد الله بن امية ان سررك ان تتبعك فسير جبال مكة بالقرآن
 فاذهب عنا حتى تنفس فاحنا ارض ضيقة لم نراها واحمل لنا في ارضنا وادعونا لتفترس الاشجار
 وتززع وتخذ البساتين فليست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخرت له الجبال
 ليسر معه او نحر لنا الرمح لنركبها الى الشام لمبرتنا وخوارجنا ونرجع في يومنا كما سخرت لسليمان
 كما زعمت فليست باهون على ربك من سليمان واحي لنا حبل قضبان ومن شئت من موتانا لنساله
 عن امرك احى ما تقول ام باطل فان عيسى كان يحيى الموتى وليست على الله منه فانزل الله هذه
 الآية ولوان قرانا سيرت به الجبال فاذهبت عن وجه الارض **او تطفئ به الارض** يعني
 شققت فجعلت ارضنا ووعونا **او طمر به الموتى** باحيائها واختلقت في جواب لو فقال
 ثور جواب لو تخدوت وانما حذف الكفا معرفة السامع مرادة وتقدم ولو ان قرانا
 فعل به كذا وكذا كان هذا القرآن فهو كقول الشاعر **فانزل الله من فوقه**
 فاقم الوحي انا انار سوله سواك ولكن لم يخذلك مدفعاه **فانزل الله من فوقه**
 اراد الوحي انا انار سوله سواك لردناه وهذا معنى قول قتادة فانه قال معناه لو فعل هذا
 بقرآن قبل ان يقر بقرآنكم وقال اخرون جواب اخر لو تقدم بقرآنكم وهو
 ليقرن بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال او طمرت به الارض او طمر به الموتى **لقد**

يقبلون وهم

باهون

بالرحمن

بالرحمن ولم يؤمنوا به لما سبق من علمنا فيهم فاقال ولواتنازلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى
 وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا ثم قال تعالى **بل الله الامم جميعا** يعني في هذه الاشياء
 وفي غيرها ان شافعل وان لم يشالم بفعل **افلم يياس الذين امنوا** قال اكثر المعسردين
 معناه افلم يعلم قال الكلبي في لغة النعم وقيل في لغة هو ازن واحتلت اهل اللغة في
 هذه اللفظة فقالوا الليث وابوعبيد لم يياس لم يعلم واستدلوا هذه اللفظة بقول الشاعر
 اقول لهم بالشعب اذ يأسروني الم يياسوا اني ابن فارس زهدم
 بمعنى لم يعلموا واستدلوا عليه ايضا بقول الشاعر **اخر**
 الم يياس الاقوام اني انا ابنه وان كنت عن ارض العتية نايبا
 بمعنى الم يعلم الاقوام اني انا ابنه اني انا ابنه اني انا ابنه اني انا ابنه اني انا ابنه اني انا ابنه
 ما وقع الياس في مكان العلم لان علمك بالشيء يبينك به يأسك من غيره وقيل ليريد ان الياس
 في موضع كلام العرب للعلم والما فاضد ان يياس الذين امنوا من ذلك يقتضي ان تحصل العلم
 بالتقاية فاذا معني ياسهم يقتضي حصول العلم وقال الكندي ما وجدت العرب تقول يستمعني
 علمت قال وهذا الحرف في القرآن من الياس المعروف لاسم العلم وذلك ان المشركين لما طابوا النبي صلى
 الله عليه وسلم هذه الايات اشرب المسلمون لذلك وارادوا ان يظهر لهم اية ليجتهدوا على الايمان
 فقال الله تعالى **افلم يياس الذين امنوا** ما يعلوا وعلما يقينا ان لو يشا الله لهدى الناس
 جميعا من غير ظهور اية وقال الزجاج القول عندي ان معناه افلم يياس الذين امنوا من ايمان
 ها ولا لان الله لو شاء لهدى الناس جميعا وحاصله ان في معنى الآية تولا ان احدها ان يياس يعني
 علم والقول الثاني انه من الياس المعروف وتقدم القولين ما تقدم ومثلك اهل السنة يقولون
ان لو يشا الله لهدى الناس جميعا على ان الله لم يشا هداية جميع الخلق **ولا يرا الذين كفروا**
فصيبهم بما صنعوا يعني من اللغو والاعمال الخبيثة **فانزل الله** اي نازلة واهية تقدمهم
 بانواع البلايا احيانا مرة بالحب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس ارادوا
 بالقارة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم **او تحل** يعني السرية
 او البلية **فمن يياس من دارهم** وقيل معناه او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم **حياتي وعبد الله** يعني
 بالنصر والغنى وظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل اراد بوعده الله يوم القيامة
 لان الله يجمعهم فيه فيجاءهم باعمالهم **ان الله لا يخلف الميعاد** والعرض منه تقوية قلب النبي
 صلى الله عليه وسلم وان الله لا يخون عنه لعلمه بان الله لا يخلف الميعاد قوله عز وجل **ولقد استشرنا**
برسل من قبلك وذلك ان لنا ومكة انما ساوا هذه الاشياء على سبيل الاستشهاد فانزل الله هذه
 الآية فتلى النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم كاطلبوا منك هذه الايات على سبيل الاستشهاد
 فانزل الله هذه الآية فكذلك قد استشرني برسل من قبلك **فامليت للذين كفروا** يعني
 فامليت لهم المدة **ثم اخذهم** يعني بالعذاب بعد الامهال فعدتهم في الدنيا
 بالخط والاسر والقتل وفي الاخرة بالناز فكيف كان عقاب **يعني فكيف كان عقابي لهم ان هو**
قام على كل نفس ما كسبت يعني اقمين هو حافظها ورازقها وعالم بها وما علمت من خير او شر وحاربها
 ما كسبت فيقضيها ان احسنت ويعاقبها ان اسأت وجوابه محذوف تقديره لمن ليس يتايم

قارئة

بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره عاجز وهو لا يصنام التي لا تنفع ولا تضر **وعلوا**
لله شركا يعني وهو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التي جعلوها شركا **قل سمعتم** يعني له
وقيل صنفهم بما يستحقون ثم انظروا هل في اهل الانس والنبات من يستحقون ان يعبدوا الله
بما لا يعلم يعني ان لا يعلم ان لنفسه شركا من خلقه وليست يكون الخلق شركا
لخالق وهو العالم بما في السموات والارض ولو كان لعلمه والمراد من ذلك نفي العلم بان يكون له شركا
ام يظاهرون القول يعني انهم يتعللون بظواهر من القول سمعوه وهو في الحقيقة باطل الاصله
وقيل معناه بل يظن من القول لا يعلمون حقيقته **بل من الذين كذبوا** قال ابن عباس
زين لهر الشيطان الكفر انما فسد المكر باللعن ان مكرهم رسول الله فخرهم والمزمن في الحقيقة
هو الله تعالى انه هو القائل على المختار على الاطلاق لا يقدر احد ان يتصرف في الوجود المادي فخرين
الشيطان القائل الوسوسة فقط ولا يقدر على اصلا ل احد وهديته الا الله تعالى وبذلك عليه
سياق الآية وهو قوله ومن يضلل الله فانه من هاد وقوله **وصدوا عن السبيل** يعني يصم
الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع وهو
الله تعالى وتري وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا عن الايمان **ومن يضلل الله فانه**
هاد الموقف على سكون الدال وحدف الياء في قراءة اكثر القراء **الهمزة عذاب في الجنة الدنيا** يعني
بالقتل والسير ونحو ذلك مما فيه عظيم **والعذاب الهمزة اشق** يعني اشد واغلظ لان المستقة
غلظ الامر على النفس وشدة ما يكاد يصنع القلب من شدة قهر الشق الذي هو الصنع
وما لهم من الله يعني من عذاب الله **من واق** يعني من مانع عنهم من عذاب الله قوله تعالى
مثل الجنة التي وعد المتقون اي صفة الجنة التي وعد المتقون **تجري من تحته الانهار اكهارا**
يعني لا ينقطع ابدا **وظلها** يعني انهم اديم ابد لا ينقطع وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل
ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الآية **وعلى جحيم** واحكامه يقولون لان نعم الجنة يعني وينقطع
وفي الآية دليل على حركات اهل الجنة لا ينتهي الى سكون دائم كما يقول ابو الهيثم بل لا يستدل
المعاني عبد الجبار المعتزلي بحدوث الاله في الجنة اخاف بعد قال ووجه الدليل ان الآية
انها لو كانت مخلوقة لوجب ان ينفذ في كل شيء هالك الاوجه فوجب حمل
ان لا تكون الجنة مخلوقة لقوله اكهارا اديم يعني لا ينقطع بل ولا ينكر ان يكون في السموات
خان كثيره تتمتع بها الانبياء والشهداء وغيرهم على ما روي في الامان الذي به هيلمة ان الجنة
المخلد مخلوق بعد والجواب عن هذا ان حاصل دليلهم مركب من اثنين احدهما قوله تعالى كل شيء
هالك الا وجهه والاخرى قوله اكهارا اديم وظلها فاذا ادخلنا التخصيص على هذين العمومين
سقط دليلهم فنحضر هذين الدليلين بالدلالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى
وجنة عرضها السموات والارض اعديت للمتقين وقوله تعالى **الذين اتقوا** يعني
ان عاقبة اهل التقوى هي الجنة **وعقبي الكافرين النار** يعني في الآخرة قوله عز وجل **والذين**
اتيناهم الكتاب يفرحون بما اتوا اليك في الراد بالكتاب قوله ان احدهما انه القرآن والذين
او ثمة المسجلون وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما يجحد من
الاحكام والنوع والنوثة والحشر بعد الموت بخير من قول القرآن **ومن الاحزاب** يعني

الملائكة ومن بعد
حياتهم

الجماعات

الجماعات الذين تخربوا عيار رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى **من ينكر**
بعضه وهذا قول الحسن وقادة فان قل **ان الكفار وغيرهم من اهل الكتاب ينكرون القرآن**
كله فكيف قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل **ان الاحزاب لا ينكرون القرآن جملة لانه**
قد ورد اثبات الله واثبات قدرته وعلمه وحكمته وهو لا ينكرون ذلك ابدا والقول فيه
الثاني ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل والراوا بهلم الذين اسلموا من اليهود والنصارى
مثل عبد الله بن سلام واصحابه ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا ان يعون من بحران
وثلاثون من الحبشة وعشرة ممن سواهم فحوال القرآن كونهم امنوا به وصدقوه ومن الاحزاب
يعني بقية اهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل كان
ذكر الرحمن قليلا في القرآن في الاستدلال فلما اسلم عبد الله بن سلام ومن معه من اهل الكتاب
سأهم قلة ذكر الرحمن مع كثرة ذكره في التوراة فلما ذكر الله تعالى ذكر لقطة الرحمن في
القرآن فرحوا بذلك فارتل الله الذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما اتوا اليك ومن الاحزاب
يعني مشركي مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح
يوم الحديبية كتب فيه لسم الله الرحمن الرحيم قالوا اما نعترف الرحمن الرحمن اليمامة يعنون
مسيلة الكذاب فارتل الله وهم يكفرون بالرحمن قتل هو دني وانما قال ومن الاحزاب من ينكر
بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن **قل** اي قليا **ما لم يرت ان اعد الله** يعني
وحد **ولا اشرك به** شيئا **اليد ادعوا** يعني الى الله والى الامان به ادعوا الناس **اليات**
يعني مرجعي يوم القيامة **وكذلك انزلنا حكما** اي كما انزلنا الكتب على الانبياء لمعانهم ولسانهم
انزلناه اليك يا محمد هذا الكتاب وهو القرآن عزيا بلسانك ولسان قومك وانما سمي القرآن
حكما لان فيه جميع التكليف والاحكام والحلال والحرام والنقص والابرار فلما كان القرآن سببا
لحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله احكم على جميع الخلق بقول القرآن والفعل
بمقتضاه ساء حكما لذلك المعنى **ولين اتبعتم اهو اهر** قال جمهور المفسرين ان المشركين
دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة ابايه فتوعد الله على اتباع اهو اهر في ذلك وقال
ابن الناب المراد به متابعة اباهم في الصلاة الى بيت المقدس **بعد ما جاز من العار**
يعني بانك على الحق وان قبلت في الكعبة وقيل ظاهرا لخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد به غيره وقيل هو حث النبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما امر به
ويتضمن ذلك تحذيره من المكلفين لان من هو ارفع منزلة واعظم قدرا واعظم رتبة
اذا حذر ركان غيره ممن هو دونه بطريق الاولى **يا لك من الله من ولي لا ورا** يعني من ناصر
ولا حافظ قوله تعالى **لقد ارسلنا رسلا من قبلك** روي ان اليهود وقيل المشركين قالوا ان
هذا الرجل يعنون النبي صلى الله عليه وسلم ليس له همة الا في التنا نعاوا عليه ذلك وقالوا لو
كان كما يزعم انه رسول من الله لكان مستغلا بالرهدة وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن
هذه الشبهة وعما عابوه به بقوله عز وجل ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يا محمد **يعلم الله اننا**
وذرية فانه قد كان سليمان عليه السلام ثلثماية امرأة حرة وسبع مائة سيرة فلم يلدح
ذلك في نبوته وكان لايه داود عليه السلام مائة امرأة فلم يلدح ذلك ايضا في نبوته

الاحزاب من

فكيف يعينوا عليك ذلك ويجعلوه قاذوا في بيوتك والمعنى انهم لا يكونون قاذوا في بيوتك
 ويكونون وما جعلناهم ملائكة لا يكونون ولا ينجون **وما كان رسول ان ياتي بانه الابرار**
 هذا جواب لعبد الله بن ابي امية وغيره من المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لما ماتوا واقرحوا عليه ان يبرئهم من هذه الجحيم ان المجرة الواحدة كافية في
 اثبات النبوة وقد اتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كثير من معجزاته عن مثلهما الشرفا
 لغير ان يعجزوا عليه شيئا وانما الرسول المعجزات ليس اليه بل هو مفيض اليه مشيئة الله
 وحل فان شاء اظهرها وان لم يشأ لم يظفرها **لكل اجل كتاب** وذلك ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم كان يحرفهم بقرآن العذاب عليهم فلما استنطاوا ذلك وقد كانوا يستجلبون بقرآنه
 ما خبر الله ان لكل عضا قضاء كتاب قد كتبه فيه ووقت يتبع فيه لا يتقدم ولا يتأخر والمعين
 ان لكل اجل الله كتاب قد كتبه فيه وقيل في الآية تقدم وتأخر بقرآنه لكل كتاب
 اجل وكتبه والمعنى ان الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت يترك فيه **فما يشاء ويثبت**
 وذلك انهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا امر اصحابه بامر اليوم ثم
 بامر غد فاجابوا بما سبب ذلك الا انه يقول من لهما نفسه فاجاب الله عز وجل عن هذا
 الاعتراض بقوله **فما يشاء ويثبت** قال سعيد بن جبير وقراءة فتح الله ما يشاء من الشرايع
 والعقوبات فيجوز ويبدل له ويثبت ما يشاء من ذلك فلا ينقض ولا يبدل له وقال ابن عباس نحو
 الله ما يشاء ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا التأويل ما روي
 عن جندب بن اسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا امر بالسطوة فثبات
 واربعون يوما ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها ووجدها وحملها
 وعظماها ثم قال رب اذكر لم اتى فيقضي ربك ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول رب اجله
 فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يا رب رزقه فيقضي ربك ما يشاء ويكتب
 الملك ثم يخرج الملك الضعيفة فلا يزيد على امر ولا ينقص اخرجه مسلما عن ابن مسعود
 قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم جثثا
 بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مصغره مثل ذلك ثم يبعث الله
 اليه ملكا باربع كلمات يكتف رزقه واجله وعمله وشئ او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله
 لا اله الا الله ان احدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه
 الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فان قل **هذا الحديث** والذي قبله
 صريح بان الاجال والارزاق مقدورة وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدره الله وعلمه
 في الاول فيحصل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل ان يتقلب السعيد شقيا او الشقي
 سعيدا وقد صرح في فضل صلة الرحم ان صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الاطوار
 وبين قوله تعالى **فما يشاء** قد تكرر الدليل القطعية ان الله عالم
 بالاجال والارزاق وغيرها حقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله ان
 زيدا يموت في وقت معين استحالة ان يموت قبله او بعده وهو قوله تعالى فاذا اجلهم
 لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على ان الاجال لا يتبدل ولا يتغير واطاب

هذا الحديث في فضل صلة الرحم
 رواه الشيخان في الصحيحين
 ورواه الترمذي في المعجم
 ورواه ابن ماجه في السنن
 ورواه البيهقي في الشعب
 ورواه الهيثمي في المستدرج

الصلوات

العلماء ورد في الحديث في فضل صلة الرحم يزيد في العمر اجوبة الصحاح منها ان هذه الزيادة
 تكون بالبركة في عمر بالتوفيق للطاعات وعما أوقاته مما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن
 الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها انه بالنسبة للمخوفين الى ما يظهر للمخوفين من تصور
 للملائكة في اللوح المحفوظ ان عمر يزيد ثلاثون سنة الا ان يصل رحمه فان وصلها زيد له اربعون
 سنة وقد علم الله في الاول ما يستفاد من ذلك وهو معنى قوله تعالى **فما يشاء** وثبتت في النسبة
 الى ما يظهر للمخوفين من تصور الزيادة واما انقلاب الشقي سعيدا والسعيد شقيا فيصور في
 الظاهر ايضا لان الكافر قد ييل من السقاوة الى السعادة ولذلك القاصي وخو
 يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد يتردد المسلم والعباد بالله فيموت على ردة فينقلب
 من السعادة الى الشقاوة والاصل في هذا الاعتبار بالحال عند الموت مما يحتم له وهو الراد من
 علم الله الذي لا يغير ولا يتبدل والله اعلم واصل المحذوب اثر الكتابة وضده الاثبات
 فمن العلماء من حمل الآية على ظاهرها جعلها عامة في كل شئ يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله
 ما يشاء في الرزق والاجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والايمان والكفر ونقل نحو هذا عن
 عمر بن الخطاب فيسعدون فانما قالوا الله السعادة والشقاوة ونحو الرزق والاجل ويثبت ما يشاء وروي
 عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يكي ويقول اللهم ان كنت كئيبا في اهل السعادة فانتبني
 فيها وان كنت كئيبا في اهل الشقاوة فانتبني فيها وانتبني في اهل السعادة والمغفرة فانك نحو
 ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب وروي مثله عن ابن مسعود وقد ورد في بعض الآثار ان
 الرجل يكون قد بقي من عمر ثلاثة ايام فيصل رحمه فيمد اليه ثلثين سنة هكذا ذكره البغوي
 بن مسعود وروي بسند عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل الله تبارك
 وتعالى في اخر ثلاث ساعات يقين من الليل فينظر في الساعة الاولى من في الكتاب الذي
 لا ينظر فيه احد غيره فيجوز ما يشاء ويثبت ومن العلماء من حمل معنى الآية على الخصوص في بعض
 الاشياء دون بعض فقال المراد من المحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم اخر عوضا
 عن الحكم المتقدم وقيل ان الحفظة يكتبون جميع اعمال بني ادم واقوالهم فيجوز الله من ديوان
 الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القائل اكلت شربة دخلت حرمت ونحو ذلك
 من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكلبي يكت
 القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه في ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو
 الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي نحو والذي يثبت هو
 الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن نحو الله ما يشاء
 يعني من جاء اجله فذهب به ويثبت من لم يجز اجله وقال سعيد بن جبير نحو الله ما يشاء
 من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها وقال عكرمة نحو الله ما يشاء من
 الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدي نحو الله ما يشاء يعني الغفر
 ويثبت الشمس وقال الربيع هكذا في الارواح يقبضها الله عند النوم من اراد توبته
 محاه وامسكه ومن اراد بقاءه اثبته ورده الى صاحبه وقيل ان الله يثبت في اول كل سنة
 حكمها فاذا مضت السنة محاه واثبت حكما اخر للسنة المستقبلة وقيل نحو الله

اهم
 فليحفظ

هو قري العوفي عن ابن عباس انهم تكلموا اليهود والنصارى والمجينة ان كل من كان عالما من اليهود والنصارى
ومن النصارى بالانجيل علم ان محمد امير من الله لما يجد من الدلائل الدالة على نبوته فيما شهد بذلك
من شهادته وانكره من انكره منهم وقيل انهم موثقا اهل الكتاب يشهدون ايضا على نبوتك قال
قنادة هو عبد الله بن سلام وانكر الشعبي هذا وقال هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام سلم
بالمدينة وقال يونس سعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب (هو عبد الله بن سلام) فقال كيف
يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله
تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى لعمري الذي يستحق العبادة والذي لا يعلم علمي في اللوح المحفوظ
الا هو شبيب ايمى ويحكم قال الزجاج الاشبه ان الله لا يشهد على صحة حكمه لغيره وهذا قول
مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جائزا الا انه خلاف الاصل فلا يقال يشهد هذا زيد
والفقيه بل يقال يشهد هذا زيد الفقيه لكن يشهد لصحة هذا القول قراءة من قرأ من عنده علم
الكتاب بكسر الميم والدال وهي قراءة ابن عباس وغيره على البناء للمفعول والمعنى ومن عنده علم الكتاب
ودليل هذه القراءة قوله وعلما من لدنا علما وقيل معناه ان من علم ان القرآن الذي جئتكم به بحمد
ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاحكام والعيوب وعن الامم الماضية فمن
علمه هذه الصفة كان شديدا يبنى وينكم والله اعلم بمراده واسرار كتابه
تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم
وهي مكية سورتين وهما قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى اخر الايتين وفي احد
وقيل اثنتان وحسبون ايقونمان ما به واحدي وسون كلمة وثلاثة الاف واربع مائة واربعة
وتلاتون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **الكتاب الزمناه الميك** يعني هذا
كتاب اترناه اليك يا محمد والكتاب هو القرآن المتر على محمد صلى الله عليه وسلم **الفرج الناصر**
الظلمات الى النور يعني هذا القرآن والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد
بالنور الايمان قال الامام جعفر الدين الرازي وفيه دليل على ان طرق الكفر والبدة كثيرة وطرق
الحق ليس الا واحدة قال الفخر الناس من الظلمات الى النور فكبر عن الجدل والكفر بالظلمات
وهو صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق
الكفر والجهل كثيرة وانما طريق العلم والايمان ليس الا واحدة **بازن وهم** يعني بامرهم وقيل
يعلم بهم **الى صراط العزيز الحميد** يعني الى دين الاسلام وهو دينه الذي امر به عباده والخير
هو القالب الذي لا يغلب والحميد المحمود وعلى كل حال المستحق لجميع المحامد **الله** قري بالرفع على
الاستئناف وخبره ما بعده وقري بالجر نعتا للعزيز الحميد قال ابو عمرو وهو قراءة المفضل على
التقديم والتأخير تقديره الى صراط الله العزيز الحميد **الذي له ما في السموات وما في الارض**
ملكاً وما فيهما عبيده **وويل للكاثرين** يعني الذين يركوا عبادة من يستحق العبادة الذي
له ما في السموات وما في الارض وعبدوا من لا يملك شيئا البتة بل هو مملوك لله لا من جملة
ما في السموات والارض **من عذاب عذابي** يعني عذابي بعد طهر في الآخرة ثم وصفهم فقال **الذين لا يحصون**
الحياة الدنيا الاخرى يعني محنتهم من الحياة الدنيا ويوترونها على الآخرة **ويعدون انهم سيل الله**
الى وتلقون الله من قول رب الله **ويسعون بها غواصا** يعني يطلبون بها ان يغواصوا لاختدق

الارض

اخار واصل

واصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله جازين عن المصدا وقيل الها في يسعون بها راجعة الى
الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق لكن يحسد الحرام **اوليك** يعني من هذه صفة
في ضلالهم يعني عن الحق وقيل يحسون ان يراد في ضلالهم الذي بعد اوفيه بعد لان الضال
يبتعد عن الطريق قوله تعالى **وما ارسلنا من رسل الا بالبينات** يعني بلغة قومه ليعرفوا
عنه ما يدعواهم اليه وهو قوله تعالى **اليس ان الله اعلم بما يقولون وما يدرون ان الله قد علم**
لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا بليل قوله
يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث الى الثقلين الجن والانسان وهم على السنة
مختلفة ولغات شتى وقوله بلان قومه وليس قومه سوى العرب وذلك يقتضي بظاهره انه
مبعوث الى العرب خاصة فليكن يكون وجه الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
العرب والانسان والناس مع العرب فكان مبعوثا الى الثقلين لانهم تبع للعرب ثم ان الله اراد بقومه اهل
الارض فبينهم من نصر الله منهم ومن عادى الله تعالى فبعثهم الى الله تعالى فبعثهم وبقيل ان الرسول
لكم وفيهم العرب وغير العرب فبدل معهم غيرهم من جنسهم في عموم الدعوي وقيل ان الرسول
اذا ارسل اليك قومه وكانت دعوتهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وكان كتابه بلان قومه
كان اقرب لقومهم عنده وقيام الحجة عليهم في ذلك فاذا فهمه وتوكل عنهم انتشر علمه وقامت الترام
بينهم وتقررت الحجة اليك من قومه غير العرب واذا كان الكتاب واحد بلغة واحدة مع
اختلاف الامم وتباين اللغات كان ذلك بالغ في احتيا والمجتهدين في تعليم معانيه وتقديم قوله
وعنه صفة واسرارها وعلومه وجميع حدوده واحكامه **فيصل الله بيننا وبينكم** يعني بيننا وبينكم
يعني ان الرسول ليس عليه الا التبليغ والبيان والله هو الهادي المفضل ليعمل ما يشاء وهو العزيز
الذي يغلب ولا يغلب **الحليم** في جميع افعاله قوله عز وجل **ولقد ارسلنا موسى باياتنا المراد**
بالايات المعجزات التي جاء بها موسى عليه السلام مثل العصا واليد وقلع الجبل وغير ذلك من المعجزات
الظلية الباهرة **ان اخرج قومك من الظلمات الى النور** يعني ان اخرج قومك بالدعوة من ظلمات
الكفر الى نور الايمان **وذكرهم بايام الله** قال ابن عباس واي بن كعب ومجاهد وقنادة يعني بنم
الله وقال مقاتل يوقايح الله في الامم السالفة يقال فلان عالم بايام العرب اي بوقايحهم وانما
اراد عما كان في ايام الله من النعمة والنعمة فاجترأ بذلك الايام عن ذلك لان ذلك كان معلوما عند
وعلى هذا يكون المعنى عظم بالترغيب والترهيب والوعيد والوعيد فالترغيب والوعيد
يذكرهم ما انعم الله عليهم وعلى من قبلهم من امن بالرسول فيما مضى من الايام والترهيب والوعيد
ان يذكروا ما اساءوا له وشدة انتقامه من خالف امره وكذب رسله وقيل بايام الله في حق
موسى ان يذكر قومه بايام المحنة والشدة والاباحين كانوا تحت ايدي القبط ليسومونهم
حوال العذاب في خصم الله ذلك وجعلهم مملوكا بعد ان كانوا مملوكين **ان في ذلك لآيات لكل**
متدبر وشكور الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وانما حصل الصبور والشكور باعتبار
الآيات وان كان فيها عبرة للكافة لانهم هم المتفعون لا دون غيرهم فليد اخصم بالآيات فكانا
ليست غيرهم فلو قوله هدي للمتقين ولان الانتفاع بالآيات لا يمكن حصوله الا لمن يكون مابرا
شاكرا اما من لا يكون كذلك فلا ينتفع بها البتة **واذا قال موسى لقومه اذروا فاعلموا ان الله اعلم**

وقوله

ومعجزة تدل على صدق الالاباذن الله لنا في ذلك **وعلى الله فليتكلموا للمؤمنين** يعني في دفع شرور اعدائهم
عنهم **وعلى الله فليتكلموا للمؤمنين** يعني ان الانبياء قالوا ايضا قد عرفنا انه لا يصيبنا شيء الا بقضاء الله وقد
فحن نثوبه وتوكل في دفع شرور اعدائهم **وقد هذا اناس** يعني وقد عرفنا طريق النجاة وبين
لنا الرشدا **ولنصبرن** ايام القسمة تقديره والله لنصبرن **على ما اذ بتونا** يعني به من قول او فعل
وعلى الله فليتكلموا للمؤمنين فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل وهل من فرق بين التوكليين
قلت نعم التوكل الاول اشارة الى استحداث التوكل والتوكل الثاني في اشارة الى السعي
التثبت على استحداث التوكل من توكلهم وابقايه وادامته لحصل الفرق بين التوكليين قوله تعالى
وقال الذين كفروا لرسولهم اخرجنا من ارضنا اولئك قدوت في ملتنا يعني ليكون احدا
الامر من اما اخر اجابهم اياهم الرسل من بلادنا وارضا واما عودكم الى ملتنا فان قلت
هذا يوم مظاهره انهم كانوا على ملتهم في اول الامر حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله بكرر العود
هنا معنى الصيرورة وهو كالتجديد في كلام العرب وفيه وجه اخر وهو ان الانبياء عليهم السلام قبل
الرسالة لم يظهر واخلاف امهم فلما ارسلوا اليهم اظهروا انما لقتهم ودعوم الى الله قالوا لهم
لتعودن في ملتنا منهم انهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم واجاع الامم على ان الرسل من اول
الامر انما نشاوا على التوحيد لا يعرفون غيره **فارجي اليهم** يعني ان الله اوحى الى رسوله
وانبيائه بعد هذه المخاطبات والمخاورات **لنملكن الظالمين** يعني ان عاقبة امرهم الى
الهلاك فلا تخافوهم **ولننزلنكم الارض من بعدهم** يعني من بعد هلاككم ذلك يعني ذلك
الاسكان **لن خاف بقاي** يعني خلف مقامه بين يدي يوم القيامة فاضاف قيام العبد الى
نفسه لان العرب قد يصف افعاله الى انفسها فتقول لم ندمت على صنعي اياك وندمت على
صنعي مثله **خاف وعيدي** اي وخاف عقابي قوله عز وجل **واستغفروا** يعني واستنصروا
قال ابن عباس يعني الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هذا الرسل صادقين فغذينا وقال
مجاهد وقادة واستغفر الرسل على امهم وذلك انهم لما يسوا من ايمان قومهم استنصروا
الله ودعوا على قومهم بالعذاب **وخاب** يعني وخسر وقيل هلك **كل جبار عنيد** والجبار في
صفة الانسان يقال لمن تجبر نفسه بادعاء منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم في حق
الانسان وقيل الجبار الذي يري نفسه ارضا وقيل الجبار المتكبر في نفسه المتكبر على اقرانه
والعنيد المعاند للحق ومجانبة قوله مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل
هو المتكبر وقال قتادة هو الذي ياتي ان يقول لا اله الا الله وقيل العنيد المعجب بما عنده وقيل
العنيد الذي يعاند ويخالف **من ورايه جهنم** يعني هي امامه وهو صاير اليها قال ابو عبيدة
هو من الاصداد يعني الذي لا يخالع ولا يخلف والمعنى انهم قالوا لا اخفش هو كايقال هذا الامر من
ورايد يعني انه سيأتيك **ويبي** يعني في جهنم **من ماصد يد** وهو ما سال من الجلد والحم من
الفتح جعل ذلك شراب اهل النار وقال محمد بن كعب القرظي هو ما يسيل من فم زوج الزناة يسقاه
الانكار وهو قوله **تجرعه** اي يحساه ويشربه لاعم واحدة بل جرعة بعد جرعة لمرارته
وحارته وكرهته وفتنه **ولا يكاد يسيغه** اي لا يقدر على ابتلاعه بقا لاساغ الشراب في
الحلق اذا سها **ايه** فيه قال بعض المفسرين كاد صله المعنى يخرجوه ولا يسيغه وقال

تتالي

صالح

صاحب الكشاف دخل كالمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف يكون الاساغه وقال بعضهم ولا يكاد
يبيغه بعد ابطال ان العرب تقول لما كدت اقوم ايتها بعد ابطال هذا كاد على اصلها وليس بصله
وقال ابن عباس معناه لا يجزيه وقيل معناه يكاد لا يسيغه ويبيغه ليعلي في جوفه عن ابي امامة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ويبيغ من ماصد يد يخرجوه قال يقرب الي فيه فيكرهه
فاذا ادرك منه شوي وجهه ووقعت فزرة راسه فاذا شربه قطع امعاه حتى يخرج من ذره قال
وسقوا ما جيبا فقطع امعاهم وقالوا ان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب
وسات مرتقا اخرجوه الترمذي وقال حديث عن عبيد بن جراح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شبهها بالعرقة للشعر الذي عليها وقوله تعالى **ويا ايها الموت من كان** يعني ان الكافر يجد
الموت وشدة من مكان من اعطاه وقال ابراهيم التيمي حتى من تحت كل شجرة من خيل وقيل
يايه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن ثماله **وما هو ميت** يعني
وقال ابن جرير تعاق نفسه عند هجرته فلا يخرج من فيه فهو ميت ولا يرجع الى مكان من جوفه فتنبه
الحياة **ومن ورايه** يعني امامه وقال **عذاب عظيم** اي شديد وقيل هو الخلود في النار قوله تعالى
الذين كفروا واربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف هذا كلام يستأنف
منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما يقصر وفيما ينجلي عليك
مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التي فيها عذابه وقوله اعمالهم كرماد حلة مستأنفة
على تقدير رسوال سائل يقول كيف مثلهم فقتل اعمالهم كرماد وقال الغزالي مثل اعمال الذين كفروا
بنهم كرماد محذوف المضاف اعتمادا على ذكره بعد المضاف اليه وقيل محتمل ان يكون للمعنى
صفة الذين كفروا بنهم اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرسه مصون وماله مبدول
والرماد معروف وهو ما يسقط من الحطب والجم بعد احرقة بالنار اشتدت به الريح يعني
نفسه وطيرته ولم تق منه شي في يوم عاصف **وهي** اي اليوم بالعصوف والعصوف من صفة
الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وجار و ليلة ماطرة لان البرد والحار والمطر يوجد
فيه وقيل معناه في يوم عاصف الريح تحرق الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضرب
الله لاعمال الكفار التي لا ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الاعمال هو ان
الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتقرق اجزاه بحيث لا يبقى منه شيء وكذلك اعمال
الكفار تطير وتذهب بسبب لغوهم وشركهم حتى لا يبقى منها شيء ثم احسنوا في هذه الاعمال في
تفصيل هي ما علموه من اعمال الخير في حال اللغو كالصدقة وصلة الاطامر وفك الاسير واقر الضيف
وبر الوالد ونحو ذلك من اعمال البر والصلاح فلهذا الاعمال وان كانت اعمالهم لا يستتبع بها طاعة
يوم القيامة بسبب لغوهم لان كفره احبطها وبطلانها كلها وقيل المراد بالاعمال العبادات التي
ظنوا انها تنفعهم ففطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسارتهم انهم اتبعوا ابدانهم
في الدهر الطويل لكي ينفعوا بها فاضارت وبطلت عليهم وقيل اراد بالاعمال الاعمال التي علوها في
الدنيا واشتروا فيها غير الله فانها لا تنفعهم فاضارت كالرماد الذي ذرته الريح وصارها
لا ينتفع به وهو قوله تعالى **لا يقدر روك** يعني في الدنيا **على ما كسبوا** يعني من تلك الاعمال
والمعنى انهم لم يجدوا ثواب اعمالهم في الآخرة **ذلك هو الضلال البعيد** اي ذلك الخسران

كلام

الكبير لان اعمالهم ضلّت وهلكت فلا يرجع عودها والبعيد هنا الذي لا يرجع عوده **الم تر ان الله خلق**
السموات والارض بالحق يعني لم يخلقها باطلا ولا عبثا وانما خلقها لامر عظيم وعرض صحيح **ان يشاء**
ينهبكم يعني ايها الناس **ويأت خلقا جديدا** يعني سواكم اطوع لله منكم والمعني الذي قد رجا
خلق السموات والارض فيان يقدر على ان يات قوم واما تتم واما خلق اخر سواهم كان الاول
لان القادر لا يصعب عليه شيء قبل هذا خطاب للكفار مكة يريد امتكم يا معشر الكفار واخط
نوما غيركم جبر امتكم واطوع **وما ذاك على الله بعزيز** يعني يمتنع لان الاشياء كلها سهلة على الله
وان جلت وعظمت قوله عز وجل **وبرزوا لله جميعا** يعني وخرجوا من قبورهم الى الله ليحكم
وبجائهم على قدر اعمالهم والبراز الفضا وبرز حصل في البراز وذلك ان يظهر بذاته كله وفي
وخرجوا من قبورهم وظهروا الى الفضا واورد بلفظ الماضي وان كان معناه الاستقبال كان كذا الخبر
الله عنه فهو حق وصدق وكان لا محالة فصار كانه قد حصل ودخل في الوجود **فقال الضعفاء**
يعني الاتباع للذين استكبروا وهم القادة الروسا **انا كنا لكم تبعا** يعني في الدين والاعتقاد **فهل**
انتم يعني في هذا اليوم مقتولون عنا يعني واضعون عنا **من عذاب الله من شيء** من هنا للتبعض
والمعني هل تقدر ان تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذي حل بنا **قالوا** يعني الروسا والقادة
والمتبوعين للتابعين **لو هدانا الله لهديناكم** يعني لو ارشدنا الله لارشدناكم وادعوناكم الى
الهدى ولكن لما اضلنا دعوناكم الى الضلالة **سواء علينا اجرنا ام صبرنا** يعني سنؤتيان علينا
الجزع والصبر والجزع البغ من الحزن لانه يصرف الانسان عما هو يصدده ويقطعه عنه **فاننا**
من محيص يعني من مهرب ولا حاجة عما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون في النار فقالوا
نخرج فنجزون حسنة عام فلا يتفهم الجزع فيقولون نعالوا نصبر فيصبرون حسنة عام
فلا يتفهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا اجرنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال محمد بن
كعب القرظي بلغنا ان اهل النار يستغيثون بالخرقة كما قال الله وقال الذين في النار لخرقة
جمعهم ادعوا ربكم يخفف عنا يومنا من العذاب فزودت لخرقة عليهم اولم تك تاتيتكم رسلكم
بالبينات قالوا فزودت لخرقة ادعوا وما دعا الكافرين الا في ضلال فلما يبسوا امام عند لخرقة
نادوا يا مالك لي قبض علينا ربك سالوا الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والستة ثلثمائة وتكون
يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله انكم ما كنون فلما يبسوا امام عند قال
بعضهم لبعض نعالوا فلنصبر كما صبر اهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا نصبر واقطال صبرهم
فلم ينفعهم فجزعوا فلم يتفهم فعند ذلك قالوا سواء علينا اجرنا ام صبرنا ما لنا من محيص
قوله **تقالي وقال الشيطان** يعني ابليس **لما اتني الامر** يعني فرغ منه وادخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار اخذ اهل النار في قوم ابليس وتقربوه وتوجهه فيقوم فيها خطيبا قال
مقاتل يوضع له مشربة في النار فيجتمع اليه اهل النار بلومونه فيقول لهم ما اخبر الله بقوله
ان الله وعدكم وعد الحق فيه اضمارة تقديره تصدق بي وعده **وعدتكم فاخلفتكم** يعني
الوعد وقيل يقولون لعلهم اتوني قلت لكم لا بعث ولاجنة ولا نار **وما كان لي عليكم سلطان**
يعني من ولاية وقهر وقيل لما اتكم بحجة فيما وعدتكم به **الا ان دعوتكم هذا استنساخ**
معناه لكن دعوتكم **سجنتكم لي فلا تلووني ولو موافقكم** يعني ما كان مني الا الدعاء

والقنا

والقنا الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله قد جاءكم الرسل فكان من الواجب ان لا تلتفتوا الي ولا تسمعوا اقوي
فلما رجعت قولي على الدلائل الظاهرة فكان اليوم بكم اولى باجائي ومتابعي من غير حجة ولا دليل **انا انما نطق**
يعني بمغيباتكم ولا استقدر انما انما في ما انا فيه **ان كبرت بما اشركتم**
من قبل يعني كبرت بجهلكم اياي شريكا له في عبادته وتبرأت من ذلك والمعني ان ابليس محمدا
يعتقد الكفار فيه من كونه شريكا لله وتبرأت من ذلك **ان الظالمين لهم عذاب اليم** روي البغوي
يسنده عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة وذكر الحديث اني قوله
فيا نوتي فبذل ان الله في ان اقوم فينبور بجلي من اطيع ربه ثم احدثني اني ربي فيشعني ويجعل
لي نور ان شعور ربي لي ظن قد يثر يقول الكفار ولولا المؤمنين من يشفع لهم من يشفع لنا فيقولون
ما هو غير ابليس هو الذي اضلنا فبذل ان الله فيقولون قد وجدوا المؤمنين من يشفع لهم ففترأت
فاشفع لنا فانك انت اضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه انت ثم رجع ثم احدثني بطلهم ويقول
عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق الآية وقوله تقالي **واصلوا الذين امنوا وعملوا الصالحات**
جنات تجري من تحتها الانهار لما خرجوا من جحيمهم يعني من النار والاشقياء ما تقدم من الآيات الكثيرة
شرح احوال المؤمنين السعداء وما وعد لهم في الآخرة من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك ان
الثواب منفعة خالصة دائمة معرونة بالتقوى والمنفعة الحاصلة اليها الاشارة بقوله وادخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ولو نها دابة اشهر اليه بقوله **خالدين**
فيها والتعظيم حصل من وجهين احدهما قوله **باذن ربهم** لان تلك المنافع انما كانت تقضلا من
الله وانعامه الثاني قوله **يحييهم فيها سلام** فيختل ان بعضهم يجي بعضا هذه الكلمة او الملائكة
يحييهم بها والارب سبحانه وتعالى يحييهم باوحيهم ان يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع
المقات لان السلام مشتق من السلامة قوله عز وجل **الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة**
كشجرة طيبة لما شرح الله عز وجل احوال الاشقياء وحوال السعداء ضرب مثلا فيه حكمه هذين
القسين فقال تقالي الم تر اي بعين قلبك فتعلم علم يقين باعلاي اياك تعالى هذا احتمال ان
يكون الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم وايدخل معه غيره فيه فيحتمل ان يكون الخطاب
لكل فرد من الناس فيكون المعني الم تر ايها الانسان كيف ضرب الله مثلا يعني بين شجرة والمثل
عبارة عن قول في شيء يشبه قول في شيء اخر بينهما مشابهة ليعتبر احدهما من الآخر ويصوره
وقيل هو قول سائر لقشبي شيء في اخر كلمة طيبة هي قول لا اله الا الله في قول ابن عباس جمهور
المفسرين لخرقة طيبة هي لخرقة طيبة الم قال ابن عباس هي الخلة وبه قال ابن مسعود وابن
عجاجة وعكرمة والضحاک عن ابن عمر قال فعند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
احبروني من شجرة شبه او قال كالحل المسلم لا تحاك ورقها ولا ولا توتي اكلها فلحين
قال ابن عمر فوقع في نفسي انها الخلة ورأيت البكر وعمر بن الخطاب فكرهت ان اتكلم فلما يقولوا
شيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الخلة فلما تمنا قلت لعمر ايها الله لعذركم وتبع
نفي ان الخلة فقال ما منعك ان تتكلم قال لم ارم لتكلم ففكرت ان اتكلم او اقول شيا
فقال لعمر ان تكون قلنا احب الي من كذا وكذا في رواية ان من الشجرة لا يسقط ورقها
وارها مثل السلم فحدثني ما في موضع الناس في شجر البواقي قال عبد الله وقع في نفسي انها

القول الثابت والقول الثابت هو الكلمة الطيبة وفي تنها ان لا اله الا الله في قول جمهور المفسرين ولما
وصفت الكلمة الخبيثة في الآية المتقدمة وفي كلمة الشرك قال في هذه الآية ويفضل الله الظالمين يعني
بالكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين وقوله **في الحياة الدنيا** يعني في القبر عند
السؤال **وفي الآخرة** يعني يوم القيامة عند البعث والحساب والقول الاول الذي عليه الجمهور اوضح
ويذكر عليه ما روي عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقول المسلم اذا سئل في
القبر يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله ثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فزا يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فقالوا نزلت
في عذاب القبر راد في رواية يقال له من ربك فيقول ربي الله وينبئ محمد صلى الله عليه وسلم اخرج
التجاري ومسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد في قبره وفي
وذهب عنه اصحابه انه ليسم فرع فقال له اذا انصرفوا انا ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت
تقول في هذا الرجل محمد فاما المؤمن فيقول استشهد ان عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك
من النار اريد لك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهما جميعا قال قتادة ذلك لما
انه يفسح في قبره ثم رجع الى حديث انس ان الكافر او المنافق في رواية واما الكافر والمنافق
فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من
حديد فخرقة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين لعن التجاري ومسلم عن
رازي رواية انه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملا عليه حضرا الى يوم يعثون واخرجه ابو
داود عن انس وهذا لعنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا وضع في قبره انا ملك
فيقول ما كنت تقعد فان هذا الله قال كنت اعبد الله فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول
هو عبد الله ورسوله فما يسألني بعد هذا فيسألني به الى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان
لك ولكن عصمتك الله فابذل بك به بيتا في الجنة فيراه فيقول دعوني حتى اذهب فابشر اهلي
فيقال له اسكن وان الكافر او المنافق اذا وضع في قبره انا ملك فينهضه فيقول ما كنت تقعد
فيقول لا ادري فيقال له لا دريت ولا تليت فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت
اقول ما يقول الناس فيضربه بمطرقة من حديد بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير
الثقلين واخرجه النسائي ايضا عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبر
الميت او قال اذا قبر احدكم انا ملكان اسودان ازرقان يقال لاهلها المنكر وللآخر النكير
فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله استشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كانا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون
ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له ثم فيقول ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقولون من لئيمة العروس
الذي لا يوقظ الا احب اهلها اليه فلا يزال المنعاج حتى يبعثه الله تعالى من مصححه ذلك وان
كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا ادري فيقولان قد كانا نعلم انك
تقول ذلك فيقال للارض النبي عليه فكتبت عليه فكتلت اصلاعه ولا يزال المنعاج حتى
يبعثه الله من مصححه ذلك اخرج الترمذي عن البراء بن عازب قال اخرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فاستميت الى القبر ولما لحق به مجلس رسول الله

القلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي برسول الله قال هي النخلة وفي رواية عن ابن عباس انها شجرة
في الجنة وفي رواية اخرى عنها انها المؤمن وقوله **اصلها ثابت** يعني في الارض **وفرعها** يعني اغصانها
في السماء يعني ذاهبة في السماء **توقى اكلها** يعني ثمرها **كل حين باذن ربها** يعني بامر ربها والذين
في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا في مقداره هنا فقال مجاهد وعكرمة للذين
هنا ستة كاملة لان النخلة تثمر في كل سنة مرة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة اشهر
يعني من وقت طلوعها الى حين صرامها وروي ذلك عن ابن عباس ايضا وقال علي بن ابي طالب
ثمانية اشهر يعني ان مدة حملها باطنوا ظاهرا ثمانية اشهر وقيل اربعة اشهر من حين ظهور
حملها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعني من وقت يوكل منها الى صرامها وقال الربيع بن
انس كل حين يعني كل غدوة وعشية لان ثمر النخل يوكل ابدا لا يلاوذا راصيفا وشتا فيؤكل منها
الجوار والطلع والبلح والحلال والبسر والنصف والربط وبعد ذلك يوكل الثمر اليابس الى حين
الطري الرطب فاكلها دايما في كل وقت قال العلماء وجه الحكمة في تشييل هذه الكلمة التي هي
كلمة الاخلاص واصل الايمان بالنخلة من اوجه احدها ان كلمة الاخلاص شديدة الثبوت في قلب
المؤمن كشوت اصل هذه النخلة في الارض الوجه الثاني ان هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن الى السماء كما
قال تعالى اليه يصعد الظلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع هذه النخلة غالي في السماء
الوجه الثالث ان ثمر هذه النخلة تاتي في كل حين ووقت ولذا لما يسبه المؤمن من الاعمال
الصالحة في كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالمؤمن كلما قال لا اله الا الله صعدت الى السماء وجاء
بركتها وثوابها وخيرها واستغفرها الوجه الرابع ان النخلة تشبه بالانسان في غالب الامور فانها
خلقت من فضلة طينة ادم وازا اذا قطع راسها تموت كالادي بخلاف سائر الشجر فانها اذا قطع
تت وازا لا تحل حتى تلق بطلع الذكر الوجه الخامس في وجه الحكمة في تشييل الايمان بالشجر
على الاطلاق ان الشجرة لا تسمى شجرة الا بثلاثة اشياء عرق راسخ واصل قائم وفرع عال ولذلك
لا يتم الايمان الا بثلاثة اشياء تصدق بالقلب وتقول باللسان وعمل بالابدان وقوله تعالى **ويضرب**
الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون يعني ان في ضرب الامثال زيادة في الاذهان وتصويرها
للعاني وتذكيرا ومواعظ لمن تذكر وانقظ وقوله تعالى **ومثل كلمة خبيثة** وهي الشرك **الشجرة**
خبيثة يعني الخنثى قاله انس بن مالك ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس انها الكشوت وعنه
ايضا انها الثوم وعنه ايضا انها الكافور لانه لا يقبل عمله فليس له اصل ثابت ولا يصعد الى السماء
اجتث يعني استوصلت وقطعت **من فوق الارض بالها من ثمران** يعني بالهذه الشجرة من ثمرات
في الارض لانها ليس لها اصل ثابت في الارض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا
يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا اعتقاده اصل ثابت فهذا وجه تشييل الكافر بهذه الشجرة
الخبيثة عن انس قال اني رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتاع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة
كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء توقى اكلها حين باذن ربها قال هي النخلة ومثل
كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار قال في المبطل اخرج
الترمذي مرفوعا موقوفا وقال للموقوف اصح قوله تعالى **يثبت الله الذين امنوا**
الثبات لما وجد . الكلمة الطيبة في الآية المتقدمة اخبر في هذه الآية انه يثبت الذين امنوا

اذا وضع

الله صلى الله عليه وسلم وحطنا حوله كما نأكل من ريسنا الطير ويعد عود نيكث به في الارض فرفع راسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين او ثلاثا راد في رواية وقال ان الميت ليسع خفق ناله اذا اولوا مدبرين حيث يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك وفي رواية يا نبيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له وما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله وامت به وصفت راد في رواية فذلك قوله ثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم اتفقوا قال فينادي مناد من السماء صدق عبدي فافرشوه من الجنة وافخوا له بابا الى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويقسم له في قبره مد بصره وان كان الكافر فذكر موته قال فينادي من روحه فيجسد ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول هاهاه لا ادري فيقولان ما دينك فيقول هاهاه لا ادري فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاهاه لا ادري فينادي مناد من السماء قد كذب عبدي فافرشوه من النار والبسوه من النار وافخوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويقسم عليه قبره حتى تختلف فيه اضلا راد في رواية ثم يقبض له اعمى انكم معه من ربه من جديد لو ضرب بها جلا لصارت اربا فيضربه بها ضربا يسمع منه بين المشرق والمغرب الا الثقليين فيصير ترابا ثم يعاد فيه الروح اخرجه ابو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج من دفن الميت وقف عليه وقال استغفر والاكلم واسألوا له التثبيت فانه ان يسأل اخرجه ابو داود عن عبد الرحمن بن شماس المري قال حضرنا عمر بن العاص وهو في سياق الموت فبكي بكاء طويلا وحول وجهه الى الممدار فجعل ابنه يقول ما يبكيك يا ابا عبد الله انما بشرتك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا قبل بوجهه فقال ان افضل ما نعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله وذكر الحديث بطوله وفيه فاذا اتاقت فبكي بياحه ولا نار فاذا دفنتموني فشقوا على التراب شتما ثم اقيموا حول قبوري قدر ما يخرج من رديتم ثم احثي استانكم وامنظروا اذا ارجع به رسول الله صلى الله عليه وسلم من زيادة طويلة فيه فيقول الراد من التثبيت بالقول الثابت هو ان الله تعالى انما شتمتم في القبر بسبب كثرة مواظبتكم على الشهادة الحق في الحياة الدنيا وجمعهم لها من كان مواظبا على شهادة الاخلاص اكثر كان رسوخا في قلبه اعظم فينبغي للعبد المسلم ان يكثر من قول لا اله الا الله محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكونه ففعل الله عز وجل ان يرزقه ميركة مواظبته على شهادة الاخلاص التثبت في القبر ويسهل عليه جواب الملئ كما فيه خلاصه من عذاب الآخرة نسال الله التثبيت في القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه واحسانه انه على كل شيء قدير وقوله تعالى **ويضل الله الظالمين** يعني ان الله لا يهدي المشركين الى الجواب بالصواب في القبر **ويجعل ما يشاء** يعني من التوفيق والتخذلان والهداية والاصلا والالتثبت وترك التثبت لا اعتراض عليه في جميع افعاله لا ينال عما يفعل وهم يسألون قوله عز وجل **المرتل الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا** ح عن ابن عباس في قوله المرتل الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا راحل مكة وفي رواية قال هم والله كفار قريش قال هم قريش ومحمد نعمة الله واحلوا قومهم دار البوار قال النار يوم يردون

تعالى

على رضي الله عنه قال هم كفار قريش فجزوا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الا فخران من قريش بنو النخيلة وبنو امية اما بنو النخيلة فقد كفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فقد شتموا الى حين فقتله بدلوا نعمة الله كفرا معناه ان الله تعالى لما انعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فاسلما اليهم واترك عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان فاختاروا الكفر على الايمان وغيروا نعمة الله عليهم وقيل يحتمل ان يكون بدلوا شكر نعمة الله عليهم كفرا لانه لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة انزلوا الكفر فكانهم غيروا الشكر وبدلوه بالكفر **واحلوا قومهم** يعني من تبعهم على دينهم وكفرهم **دار البوار** يعني دار الهلاك ثم فسرهاب قوله تعالى **جهنم يضلونها** يعني **يضلونهم** يعني المستقر **وجعلوا لله اندادا** يعني امثالا واشباها من الاصنام وليس لله تعالى ند ولا شبه ولا مثل تعالى الله عن التدوير والشبه والمثاقيل والكيبر **ليضلوا عن سبيله** يعني ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق **قل تمتعوا** اي قليا تمهلوا ولا الكفار عيشوا في الدنيا اياما قليلا **فان مصيركم الى النار** يعني في الآخرة قوله تعالى **قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة** يعني اقيموا او ليقيموا الصلاة يعني الواجبة واقامتها اتمام اركانها **وينفقوا امارا** قيل اراد هذا الانفاق اخراج الزكاة الواجبة وقيل اراد به جميع الانفاق في جميع وجوه الخير والبر وحمله على العموم اولى لانه يدخل فيه اخراج الزكاة والانفاق في جميع وجوه البر **سرا وعلانية** يعني ينفقون اموالهم في حال السر والعلانية وقيل اراد بالسر صدقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة **من قبل ان ياتي يوم لا يسع فيه** قال ابو عبيدة السبع هنا الفدا يعني لا فدا في ذلك اليوم **ولا خلاص** يعني ولا خلة وفي المودة والصدقة التي تكون اثنين وقال مقاتل انما هو يوم لا يسع فيه ولا شرا ولا خلاص ولا قرابة انما هي الاعمال اما ان يتاب بها او يعاقب عليها فان قلت كيف نفى الخلة في هذه الآية وفي الآية التي في سورة البقرة وانتهى في قوله الاخلاص سيد بعض لبعض عدو والمؤمنين قلت الآية الدالة على نفى الخلة محمولة على نفى الخلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والآية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله الاتراة اثبتها للمؤمنين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل ان ليوم القيامة احوالا مختلفة نفى بعضها يشغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتعاطف الاخلاص بعضهم على بعض اذا كانت المحالة لله في محبته قوله عز وجل **الله الذي خلق السموات والارض وازوال** **من السما** **فاخرجهم به من الثمرات** **رزقا لهم** اعلم انه تقدم تفسير هذه الآية في مواضع كثيرة وتذكرها هنا بعض نوادر هذه الآية الدالة على وجود الصانع المختار القادر الذي لا يعجزه شيء اراده فقوله الله الذي خلق السموات والارض نمايد كخالق السموات والارض لانها اعظم المخلوقات المشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وانزل من السما ما يعني من السحاب سمي السحاب سما لا ارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السما الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرج به اي بذلك للامان التملات رزقا لكم **الثمار اسم** يقع على ما يحصل من الشجر وقد يتبع على الزرع ايضا بدليل قوله كلوا من ثمره اذا اثمر واوقافه يوم حصاده وقوله لبيان للرزق اي اخرج به رزقا هو من الثمرات **وخرج لكم الثمرات** **لتجزي في البحر يامره** لما ذكر الله انعامه بانزال اخرج الثمرات لاجل

تلك

الرزق والاستغفار بها ذكر نعمته على عباده بتجديد السفن للمازلة على الملاحة الاستغفار بها في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيره من بلد الى بلد اخر في من تمام نعم الله على عباده **وتحريمكم الانهار** يعني دلتها لكم بحر ونهر حيث شئتم ولما كانت البحار لا ينتفع به في سقي الزروع والثمار ولا في الشرب ايضا ذلت نعمته على عباده في تسخير الانهار وتغيير العيون لاجل هذه الحاجة فهي من اعظم نعم الله على عباده **وتحريمكم الشمس والقمر** **دايين** الداب القادة المستمرة دايما على حالة واحدة وداب في السير دايما عليه والمعنى ان الله يحرم الشمس والقمر بحريان دايما فيما يعود الى مصالح العباد لا يغيران الى اخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس ودونها في طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه يدان في سيرها وانما في ان الله الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وما تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتجديد الله عز وجل وانعامه على عباده **وتحريمكم الليل والنهار** يعني يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وكل ذلك من انعام الله عز وجل على عباده وتجيده لم **وانا لكم من كل ما سألتموه** لما ذكر الله النعم العظيمة التي انعم بها على عباده وتجرها لغيره بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل اعطاه عباده من المنافع والمرادات ما لا ياتي بغيرها العبد والحصر والمعنى وانا لكم من كل شيء ما سألتموه شيئا لم يحد في الثاني اكتفا به لالة الكلام على التبعيض وقيل هو على التخصيص يعني وانا لكم من كل شيء ما سألتموه وما لم تسالوه لان نعمه علينا اكثر من ان تحصر **وان قد والله لا تحصى** يعني ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر احد على حصرها ولا عدّها **لكنها ان الانسان** قال ابن عباس يريد ابا جهل وقال الرجاء هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر **ظالم كفار** يعني ظالم لنفسه كفار سنة ربه وقيل الظالمون الشاكر لغيرهم انعم عليهم فيضع الشكر في غير موضع كفار جحد لنعم الله عليه وقيل يظلم النعمة بافعال شكرها كفار يستد يد الكفران لها وقيل ظالمون في الشدة يشكروا ويخرج كفار في النعمة يجمع ومعنى قوله تعالى **واذا قال ابراهيم ربي اجعل هذا البلد آمنا** يعني ذا امن بومن فيه واراد بالبلد مكة فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا هذا الامن وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا قلت الفرق بينهما انه سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يامن أهلها فيها ولا تخافون وسأل في الثاني ان يخرج هذا البلد من صفته كان عليها من الخوف الى صفتها من الامن كانه قال هو بلد يخوف فاجعله آمنا **واجنبني وبني ان نعبد الاصنام** يعني ابعدني وبني ان نعبد الاصنام قلت قد توجه على هذه الآية استكالات وهي من وجوه الاول ان ابراهيم دعى ربه ان يجعل مكة امنة من طاعة من الجابرة وغيرهم قد اغاروا عليها واخافوا أهلها الوجه الثاني ان الانبياء عليهم السلام معصومون من عبادة الاصنام واذا كان كذلك فالقائده في قوله واجنبني وبني عن عبادة الاصنام الوجه الثالث ان ابراهيم سأل ربه ايضا ان يجنب بنيته عن عبادة الاصنام وقد وجد كثير من بنيته عبد الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينسب الى ابراهيم عليه السلام قلت الجواب عن الوجه المذكور من وجوه فاجوب عن الوجه الاول من وجهين احدهما ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعاهم هذا الدعاء والمراد منه جعل مكة امنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله فلم يقدر احد على خراب مكة واوردها هذا ما ورد في الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحرب الكعبة ذو السقيتين من الحبشة اخرج كعبه الصفيين واجيب عنه بان قوله اجعل هذا البلد آمنا يعني الى قرب

عليه

فان

القيامه

القيامه وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذي السويقتين فلا تغاير بين السقيتين الوجه الثاني ان يكون المراد اجعل أهل هذا البلد امنين وهذا الوجه عليه اكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الامن في بلدهم كما أخبر الله تعالى بقوله ويحفظ الناس من حولهم وأهل مكة امنين من ذلك حتى ان من التجأ اليه لمكة امن على نفسه وماله وحتى ان الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت الحرم استأنست لعلها انه لا يهاجم احد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها واما الجواب عن الوجه الثاني من وجوه ايضا الوجه الاول ان دعا ابراهيم لنفسه لزيادة العصمة والتثبيت لقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام وان كان يعلم ان الله تعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا انه دعا بهذا الدعاء لضلالتهم واظهار الحج والعمرة والحاجة والفاقة الى فضل الله ورحمته وان احدا لا يقدر على منع نفسه في شيء ينفعه الله به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء ولما دعاوه لنبيه وهو الوجه الثالث من الاستكالات فالجواب عنه من وجوه الوجه الاول ان ابراهيم دعا لنبيه من صلبه ولم يعبد احد منهم الا صنما وصنما فقط الوجه الثاني انه اراد اولاده واولاد اولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك ان ابراهيم عليه السلام قد لجب فيهم الوجه الثالث قال الواحدي دعاهم اذن الله في ان يدعو له فكانه قال وبني الذين اذنت لي في الدعاء لم كان دعا الانبياء مستجاب وقد كان من نسله من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام المحصور الوجه الرابع ان هذا مختص بالمؤمنين من اولاده والدليل عليه قوله انه قال في آخر الآية فمن تبني فانه سي وذلك يفيد ان من لم يتبعه على دينه فليس منه والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقوله تعالى **رب اني اتيتك من ضلال الناس** وهذا الجان لان الاصنام جمادات وحجارة لا تفعل شيئا حتى تقبل من عبدها الا انه لما حصل الضلال لعبادها اضيف اليها كما تقول فقتلهم الدنيا وغرتهم وانما فقتلوا بها وغرر بسببها **فان تبني فانه سي** يعني فمن تبني على ديني واعتقادي فانه سي يعني من المتدينين يدعي المتسكين بحبلي كما قال الشاعر اذا حاولت في اسجوراه فاني لست منك ولست مني اراد ولست من المتسكين بحبلي وقيل معناه فانه سي حكمه حكمي جار مجازي في القرب والاختصاص **ومن عصاني** يعني في غير الدين **فانك غفور رحيم** قال السدي وشرح ابو بكر بن الانباري هذا فقال من عصاني في غير الدين في بعض الشرائع وعقد التوحيد فانك غفور رحيم ان شئت ان تغفر له غفرت اذا كان مسلما وذكر وجهين احدهما ان كان هذا قبل ان يعلم الله انه لا يغفر للشرك كما استغفر لابيويه وهذا يقتدر ان ذلك غير محذور فلما عرف انها غير مغفورة لها تبرأ منها والوجه الاخر قوله ومن عصاني باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعني انك قادر على ان تغفر له وترحمه بان تنقله من الكفر الى الاسلام وتدينه الى الصواب قوله عز وجل اجاز عن ابراهيم **وبنا الى اسكت من ذريتي بولد غير ذري ربي عندي** المخرج عن ابن عباس قال اول ما اتخذ النسا المنطق من قبل اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاءها ابراهيم وابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم وادعى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ما نوضعها هناك ووضع عندهما من زمزم وسقا فيهما

ثم بقي ابراهيم مطلقا فبعثته ام اسحق فقلت يا ابراهيم ان تذهب وتركن هذا الوادي الذي
ليس فيه انيس ولاي فقلت ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت الله امرك بهذا قال نعم قال اذا
لا يضيعنا فترجعت فانطلق ابراهيم ثم دعا بها ولا الدعوات فرفع يديه فقال رب اني اسكنت من
ذريتي بوادي غير ذي زرع حتى بلغ يشكر وند وجعلت ام اسحق يزرع اسعيل وشرب من ذلك الماء
حتى اذا تقدم ما في السقا عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يكتوي او قال يتلطف فانطلقت
كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض عليها فقامت عليه ثم استقبلت
الوادي تنظر هل تري احدا فلم تر احدا فنهبط منه حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها
ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم انت الروة فقامت عليها فنظرت هل تري
احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينها فلما
اشرفت على الروة سمعت صوتا فقال اصبه زيدا نفسها ثم سمعت ضجعت ايضا فقالت قد اسعيت
ان كان عند الدعوات فاذا بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال ليخاضه حتى ظهر لها
فجعلت تخوضه وتقول بيد ها هكذا وجعلت تعرف من الماني سقاها وهو يغور بعد
ما تعرف وفي رواية قد رما تعرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يرحم الله ام
اسعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تعرف من المالكات زمزم عنا معينا قال فترسنت
وارضعت ولدها فقال الملك لا تخافوا الضيعة فان الله بها هاتين بيته هذان الغلام
وابوه وان الله لا يضيع اهلها وكان البيت مرتعنا من الارض كالراية تاتي به السبل فقا
عن بيته وعن شاله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرم او اهل بيت من جرم متبلين من
طريق كذي فتر لولي اسعيل مكة فزادوا طابرا غايبا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ما عهدنا
هذه الوادي وما فيه ما فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالما فزجوا فاحزروهم فاقبلوا وامر
اسعيل عند الما فقالوا اتانين لنا ان تر لعندك قلت نعم ولان لا حق لكم في الما فقالوا نعم
قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالتقي ذلك ام اسعيل وهي تحب الانس فتر لولا
فارسلوا الي اهلهم فتر لولا معهم حتى اذا كانوا اهل بيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم
وانقسموا واعجبهم حين شب فلما ادركه زوجه امراته منهم وماتت ام اسعيل فابراهم بعد
ما تزوج اسعيل يطالع تركته اخرجه البخاري بالجول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله
في تفسير سورة البقرة واما تفسير الآية فقوله ربنا اني اسكنت من ذريتي من السبعين
اي بعض ذريتي وهو اسعيل عليه السلام بوادي غير ذي زرع يعني ليس فيه زرع ومكة واد
بين جبلين جبل ابي قيس وجبل احياد ومكة في وادي بينهما عند بيتك المحرم سماه محرم لانه
يحرم عنده ما يحرم عنده غيره وقيل لان الله حرمه على الجارية فاني لوه تسبوه وحرم التفرص له
والنهارون به وحرمته وجعل ما حوله محرم المكانة وشرقه وقيل لانه حرم على الطوفان
بمعنى استنع منه وقيل سمي محرم لانه محرم عنده ما لا يحرم لان الزايرين له محرمون على انفسهم
اشيا كانت مباحة لهم من قبل سمي غنينا ايضا لانه اعتق من الجارية او من الطوفان فان قلت
كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هناك بيت جنيته واما بناءه ابراهيم بعد ذلك قلت
يحتل ان الله عز وجل اوحى اليه واعلمه ان له هناك بيتا فكان في سالف الزمان وانه سيعمر فذلك

قال عند بيتك المحرم وقيل يحتل ان يكون المعنى عند بيتك الذي كان ثم رجع ايلهم الطوفان وقيل
يحتل ان يكون المعنى عند بيتك الذي جري في سابق ملك انه سيجد في هذا المكان **ربنا ليقيمنا**
الصلاة اللام في ليقيمنا متعلقة باسكنت يعني اسكنت فقاما من ذريتي وهما اسعيل واولاده وهذا
الوادي الذي لان رجع فيه ليقيموا الي لاجل ان يقيموا او لكي يقيموا الصلاة **فاجعل افئدة من الناس**
قال البغوي جمع الوقت **توحي اليهم** اي تخن وتشتاق اليهم قال السدي امل قلوبهم الي هذا الموضع وقال
ابن الجوزي افئدة من الناس اي قلوب جماعة من الناس فجعله جمع فواد قال ابن الانباري واما غير
عن القلوب بالافئدة لقرب القلب من الفواد فجعل القلب والفواد جارين وقال الجوهري
الفواد القلب والجمع افئدة فجعلها جارية واحدة ولغظة من في قلوبهم من الناس للتبعيض قال
مجاهد لو قال افئدة الناس لراحتكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبلة
اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال افئدة من الناس فهم المسلمون توحي اليهم قال الاصمعي قال
هو يهوي هو يها اذا سقط من علو لي اسفل وقال الفراء توحي اليهم تريدهم كما تقول رايت فلانا
يهوي نحوكم معناه يريدك وقال ايضا توحي تسرع اليهم وقال ابن الانباري معناه تحط اليهم وتحذر
وتتردد هذا قول اهل اللغة في هذا الحرف واما اقوال المفسرين فقال ابن عباس يريد عن اليهم
لزيارة بيتك وقال قتادة تنزع اليهم وفي هذا بيان ان حنين الناس اليهم انما هو لطلب جح البيت
لا عيانهم وفيه دعا المؤمنين بان يبرزهم حج البيت ودعا السكان مكة من ذريته لانهم يرتفعون
بمن ياتي اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع ابراهيم عليه السلام في هذا الدعاء من امر الناس
والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركته **وارزقهم من الثمرات** يعني كارت رقت سكان القرى ذوات
الما والزروع فيكون المراد غارة فري بقرب مكة ليحصل تلك الثمار وقيل يحتل ان يكون المراد
جلب الثمرات الي مكة بطريق النقل والتجارة فهو لقوله يجي اليه ثمرات كل شيء وقوله **لعلمهم**
يشكرون يعني لعلمهم يشكرون هذه القصصة النعم التي انعمت بها عليهم وقيل معناه لعلمهم
يوجدونك ويعظمونك وفيه دليل على ان تحصيل منافع الدنيا انما هي ليستعين بها على اداء
العبادات واقامة الطاعات **ربنا لك تعلم ما نخفي وما نعلن** يعني انك تعلم السر كما تعلم العلن علنا
لاتفاوت فيه والمعنى انك تعلم احوالنا وما يصح لنا وما يغيبنا واناوات ارحم بنا فلا حاجة بنا الي
الدعاء والطلب انما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتحشما لعظمتك وتذلالا لعزتك وامتقارا
الي ما عندك وقيل معناه تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة اسعيل واهله حيث اسكنهما بوادي غير
ذي زرع وما نعلن يعني من الهلاك وقيل ما نخفي يعني من الحزن المتكلم في القلب وما نعلن
يعني ما جري بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لا ابراهيم الي من تكلمنا قال الي الله
قالت اذا لا يضيعنا **وما يخفي على الله من شيء الا في الساع** قيل هذا من تمة كلامه
ابراهيم يعني وما يخفي على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل شيء مكان وقال الانباري
انه من قول الله بقوله ابراهيم فيما قال فلو كنت قوله وكذلك يفعلون **الحمد لله الذي هبنا**
عليه الكبر اسعيل واسحق قال ابن عباس ولد اسعيل لاهرام وهو ابن سبع وستين سنة وولده
اسحاق وهو ابن مائة واثنى عشر سنة وقال سعيد بن جابر بشر ابراهيم باسحق وهو ابن
مائة وسبع عشرة سنة ومعنى قوله عليه الكبر مع اليمان لان هبة الولد في السن من عظم

المشرك من الياس من الولد فلما شكر الله تعالى على هذه المنة فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
اسمعي واسمعي فان قلت **كيف جمع بين الحق واسماعيل في الدعاء في وقت واحد وما بشر**
باسمعي بعد اسماعيل بزمان طويل قلت محتمل ان ابراهيم عليه السلام انما اتى بهذا الدعاء لما بشر
ناصح وذلك انه لما غطيت المنة عليه نصبة ولد من عظمي عنده كبره قال عند ذلك الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر اسمعي واسمعي ولا يريد على هذا ما ورد في الحديث انه دعاء ما تقدم عنده فارقته
اسمعي واسمعي لان الذي سمع في الحديث انه دعاء به اني اسكنت من ذريتي بي في قوله لعلمهم يشكرون
اذ اثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعي واسمعي في وقت اخر والله اعلم
بحقيقة الحال **ان ربي لسميع الدعاء** كان ابراهيم عليه السلام قد دعاه به وسأله الولد بقوله رب
هب لي من الصالحين فلما استجاب الله دعاه ووهبه ما سأله شكر الله على ما اكرمه به من اجابه دعاه
فعند ذلك قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعي واسمعي ان ربي لسميع الدعاء وهو من قوله
سمع الملك كلامه فلان اذا اعتد به وقبله **رب اجعلني مقيم الصلاة** يعني من بغير الصلاة ما ركانها
ومحافظ عليها في اوقاتها ومن ذريتي اي واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة وانما ادخل لفظة من
التي هي للتبعية في قوله ومن ذريتي لانه علم باعلام الله اياه انه قد يوجد في ذريته جمع من
الكتاب لا يقيمون الصلاة فلما قال ومن ذريتي اراد بهم المؤمنين من ذريته **وسأوتقبل دعائي**
قال ابراهيم عليه السلام به ان يتقبل دعاه فاستجاب الله لبراهيم وقيل دعاه بفضله وسنه
وكرمه **رب انظر لي** فان قلت **طلب المغفرة من الله انما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى**
يطلب المغفرة له من ذلك الذنب وقد ثبت عصمة الانبياء من الذنوب فما وجه طلب المغفرة
له قلت **المقصود منه الا لطلب الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شيء الا من فضله**
وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والانتكال على رحمته ولو الذي فان قلت
كيف استغفر ابراهيم لابويه وكانا كافرين قلت اراد انما اسألهما ونابا وقيل انما قال
ذلك قبل ان يبين لهما انهما من اصحاب الحيم وقيل ان امته اسلمت فدعاهما وقيل اراد ابواه
ادم وحوي **والمؤمنين** اي واغفر للمؤمنين كلهم **يوم يقوم الحساب** يعني يوم يبد ويظهر
فيه الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس فيه الحساب كلهم فالتفتي بك كالحساب للونه مغشوا
عند السامع وهذا دعا للمؤمنين بالمغفرة والله لا يريد دعاء خلية ابراهيم فبشارة عظيمة
لجميع المؤمنين بالمغفرة قوله تعالى **ولا تخشون الله عافلا عما يعمل الظالمون** الغفلة معنى منع الانسان
من الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة هو يعتري الانسان من فلة التخطو والسيوط
وهذا في حق الله حال فلا بد من تاويل الآية فالمقصود منه انه تعالى يتق من الظالم المظالم بغيره
وعيد وتقدير للظالم واعلام له بان لا يعامله معاملة العاقل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا عنه
قال سفيان بن عيينه فيه تلبية للمظالم وتقدير للظالم فان قلت **كيف في الله عن السهو**
والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل له ولا تخش الله
غافلا عما يعمل الظالمون قلت ان كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف لم يقيه وجبان
احدها التثنية على ما كان عليه من انه لا يجب الله غافلا هو كقولهم ولا تكون من المشركين وانزع
من الله الها اخر ولا يبارها الذين امنوا اي اثبتوا على ما اتمم عليه من الايمان **الوجه**

الثاني

انه

عنه

الثاني ان المراد بالذي عن حسبه غافلا الاعلام بانه تعالى عالم بما يعمل الظالمون لا يخفى عليه شيء وان
يتق من يوم يقيم الحساب والوعيد والتهديد طهر المعنى وتخصبه معاملهم معاملة العاقل عنهم وكبره
يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم الحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب غير النبي صلى الله عليه
وسلم فلا اشكال فيه ولا سوال لان اكثر الناس غير عارفين بصفات الله من جوارحه حسبه غافلا فكيف
بصفاته **انما يؤخرهم ليوم تتخبر فيه الابصار** يقال تخبر بصر الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحة
لا يطرفها وتخبر البصر بدلالة الحيرة والذهشة من هول ما يري في ذلك اليوم **مطهرين** قال قتادة
مسرعين وهذا قول ابي عبيدة فيلعب هذا القول المعنى ان الغالب من حال من بقي بصره شاخصا من شدة
الخوف فانه يسرع واقفا باهتافين الله تعالى في هذه الآية ان احوال اهل الموقف يوم القيامة
تختلف لحال المعنات فاحذر انهم يكونون مع تخوض الابصار يكونون مطهرين يعني مسرعين بخوار
وقيل المظلم المظلم الدليل التاكيد **مقتني** **روسم** الاقتناع ورفع الراس الى فوق فاهل الموقف
من صفتهم انهم راغبون في راسهم الى السماء وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلاء فانه يطرق ببصره
الارض قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء ينظر احد الى احد وهو قوله **لا ينظر اليهم** **مطهرين**
اي لا ترجع اليهم ابصارهم من شدة الخوف فهي شاحصة لا ترتد اليهم قد شغلهم ما بين ايديهم **واقيدتم**
هوا اي خالية قال قتادة ذكر لنا خرجت قلوبهم عن صدورهم فصاروا في حاجرهم فلا يخرج من
افواههم ولا تعود الى اماكنها ومعنى الآية ان اقيدهم ثم خالية فارعة لا تقي شيئا ولا تثقل من شدة الخوف
وقال سعيد بن جبيرة واقيدتم هواي متروكة هوى من اجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى
الآية ان القلوب يومئذ زائلة عن اماكنها والابصار شاحصة والروء مرفوعة الى السماء
هول ذلك اليوم وشدة **وانك والناس** يعني وحزف الناس يا محمد يوم القيامة وهو قوله
يوم يا ايها العذاب فيقول الذين ظلموا انفسهم بالشرك والمعاصي **وسأاخرنا الى اجل قريب**
يعني لعلنا نمد بسمية قال بعضهم طلبوا الرجوع الى الدنيا حتى يومئذ فينبغهم ذلك وهو قوله **جب**
دعوتكم وتبين الرسل فاجيبوا بقوله **اولم تلتونا** **اقصمتم من قبل** يعني في دار الدنيا **ما لكم من روال**
يعني ما لكم عنها اتقال ولا بعث ولا تشور **وسلتم** **وسأاخرنا الى اجل قريب** يعني بالكنوز والمعاصي من
كان قبلكم من كفار الامم الخالية لقوم نوح وعاد وموود وغيرهم **وتبين لكم كيف فعلنا بهم** يعني وقد
عرفتم كيف كان عقوبتنا اياهم **وصنمنا لكم الامثال** يعني الامثال التي ضربها الله عن وجل في
القرآن ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب على كل من شاهد احوال الماضين من الامم الخالية والقرن
الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف اهلكوا ان يعتن بهم ويعمل لا خلاص نفسه من العقاب والهلاك
قوله عن وجل **وقدمنا لكم امثالهم** **اختلفوا في الضمير** الى من يعود في قوله وقد مكروا فقتل
يعود الى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده
الى قرب الطرق مدلول وقيل ان المراد بقوله وقد مكروا افكارهم الذين مكروا ورسول
الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله واذا مكركم الذين كفروا الآية والمعنى وانذر
الناس يا محمد يوم يا ايها العذاب يعني بسبب مكرهم بك وقوله **وعند الله مكرهم** يعني جزاء مكرهم
وقيل ان مكرهم ثبت عند الله ليجازيهم به يوم القيامة **وان كان مكرهم لئلا** يعني
وان مكرهم لا ضعف من ان تزول منه الجبال وقد حكى في الآية عن علي بن

في قوله
مكرهم

اخر وهو انما تزلزل في نمرود الجبار الذي حاج ابراهيم في ربه فقال نمرود ان كان ما يقول ابراهيم حقا
فلا اتري حجة اصعد الي السما فاعلم ما فيها فعد الي اربعة افخ من النور من باطن حتى شئت وكبرت
واخذ تابوتا من خشب وجعل له بابا من اعلى وبابا من اسفل فخرج النور وضرب خشب اربع سبيل
اطراف التابوت وجعل على دروس تلك الخشب طائر اخر وقعد هو في التابوت واتقدمه رجلا اخر
وامر بالشمس فربطت في اطراف التابوت من اسفل فجعلت الشمس كما رأت الاطراف اليه فطارت
النور يوما اجمع حتى عدت في الهواء فقال نمرود لصاحبه افخ الباب الاعلى وانظر الي السما هل ترى
منها افخ ونظر فقال له ان السما كهيئة قنطرة له افخ الباب الاسفل فانظر الي الارض كيف
ترى اها فتعجب فقال اري الارض مثل الجنة والجبال مثل الدخان فقال طارت النور يوما اخر
وارتفعت حتى طالت الزمان بيننا وبين الطير ان فقال نمرود لصاحبه افخ الباب الاعلى ففتحه فاذا
الارض سودا مظلمة فتودى اليها الطائفة اين تريد قال عكرمة وكان معه في التابوت غلام قد
حمل القوس والنباح فاخذ منه القوس ورمى بهم فعاد اليه السهم ملطحا بدم سمكة قد ذقت
بنفسها في بحر في الهواء فقبل طيرا اصابه السهم فلما رجع اليه السهم ملطحا قال لغيت اله السما
ثم امر نمرود صاحبه ان يصوب الخشب الي اسفل وينكس السهم فيخطف النور بالتابوت
صنعت الجبال خفق التابوت والنور ففرغت وظنت ان قد حدثت حدث من السما وان الساعة
قد قامت فكانت تروى عن اما كذا فذلك قوله وان كان مكرهم لتروى منه الجبال استبعد بعض
العلماء هذه الحكاية وقال لان الخطر فيه عظيم وما يكاد ان يقدم على مثل هذا الامر العظيم
وليس فيه حرج عظيم عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بنا واولاها البتة **فلا تحسب الله مخلفا**
وعنه رسله يعني فلا تحسب الله يا محمد مخلفا ما وعد به رسله من النصر واعلا الكلمة والظهار
الدين فانه ناصر رسله واوليائه ومملك اعداء وفيه تقدم وتاخير تقديره فلا تحسب الله
مخلف رسله **وعنه ان الله عن نبي** اي غالب **ذواتهم** اي من اعدائهم قوله عز وجل **يوم تبدل**
الارض غير الارض والسموات ذكر المفسرون في معنى هذا التبدل قولين احدهما انه تبدل اصفى
الارض والسموات لا ذاتها كما تبدل الارض فتغير صفتها وهيتهما مع بقا ذاتها وهوان تذكر
حبالها وتستوي وهادها واوديتها وتذهب اشجارها وجميع ما عليها من غارة وغيرها لا يبقى
عليه وجهها شي الا زهوب ومتمم الاديم واما تبدل السما فمع ان تتشركوا كبرها وتطير سمها
وتزهرها ويكوران وكواكبا تارة كالدهان وتارة كالمهل وهذا القول قال جماعة من العلماء
وبدل على صحة هذا القول ما روي عن سهل بن سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحشر
الناس يوم القيامة على ارض بها عذرة القرصنة التي ليس فيها علم الا حاد اخر جاء في الصحيحين
المعنى انما لعين الممثلة وهي البيضاء التي حمر ولها شبهة بقرصة البقي وهو الخبز اليابس الجيد
الفايق للملح الى حمره كان النار تبتلت بياض وجهه الى حمره وقوله ليس فيها علم احد يعني ليس فيها
علامة لاحد لتبدل هيتهما ورواها جميع نياتهم فلا يقع فيها اثر يستدل به والقول
الثاني هو تبدل ذوات الارض والسما وهذا قول جماعة من العلماء اختلفوا في معنى هذا
التبدل فقال ابن مسعود في معنى هذه الآية قال تبدل الارض من كالفضة بفضة ايضا فتيقن انك
فيها دم ولم يعمل عليه خطية وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الارض من فضة والسما من

ذهب

ذهب وقال ابي بن كعب في معنى التبدل بان تصير الارض نيرا نارا والسما جنانا وقال ابو هريرة وسعيد بن
جبير ومحمد بن كعب القرظي تبدل الارض خبز يبيضا ياكل المؤمن من تحت قدميه عن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيمة خبز واحدة يتكفها الجبار يد
كما يتلج احدكم خبزته في السفر فلا لاهل الجنة اخراجه في الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ
محمي الدين النواوي في شرح هذا الحديث اما النزل فبعض النون والزاوي ويحجر اسكان الزاوي
وهو ما بعد للضعيف عند نزوله واما الخبز فبعض الخافاك اهل اللغة هي الظلمة التي في موضع
في المله ويتكفها بالحق بيده اي يميل من يدي الي يد حتى تجتمع وتستوي لانها ليست بمنسطة
كالرقاقة وقد حققنا الكلام في اليد في حق الله تعالى ونأولها مع القطع باستحالة الحاجة
ليس كمثل شي ومعنى الحديث ان الله تعالى جعل الارض كالظلمة او العنيفة العظيمة ويكون طعاما
تلا اهل الجنة والله على كل شي قدير فان قلست اذا فترت التبدل بما ذكرت فكيف
الجمع بينه وبين قوله تعالى يوم تبدل اجسادهم هوانا خذت بكل ما عمل عليها قلست
وجه الجمع بين الايتين ان الارض اولا تبدل صفتها مع بقا ذاتها كما تقدم فيوم تبدل اجسادهم
ثم تبدل ذلك تبدل بلا ثانيا وهو ان تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم ايضا ويدل على صحة هذا
التاويل ما روي عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله يوم تبدل الارض
غير الارض والسماوات فابن يكون الناس يومئذ رسول الله فقال علي الصراط احرجه مسلم
وروي ثوبان ان حبرا من اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون الناس يوم تبدل
الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الحبر ذكره البغوي بغير سند وفيه حديثين الحديثين
دليل على ان تبدل الارض ثلثي مرة يكون بعد الحساب والله اعلم بمراده واسرار كابه وقوله تعالى
يعني وخرجوا من قبورهم لله يعني لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب
صفتان لله تعالى في الواحد الذي لا ثاني له ولا شريك معه المنة عن الشبه والصد والند
والغفار الغالب الذي يفر عباده على ما يريد ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقوله تعالى
يعني مشدودين بعضهم الي بعض يقال قننت الشيء انما شدته معه في رباط
يعني في القيود والاعلال قال ابن عباس يقرن كل كاف مع شيطان في سلكة
قال ابن زيد تقرن ابيهم واجلم الي رقابهم بالاصفاء وهي القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم
الي بعض يعني بعضهم واحدا سريرا وقيل السر بالكل البس القطار
وهن محلب من شجر الابل والعمر والنبوت كالزنت يدهن به الابل اذا جربت وهو الهنا يقال
هنات البعير اهتوه بالهنا وهو القطار قال الزجاج واما جعل لهم القطار سرايل لانه يبالغ
في اشتعال النار في الجلود ولو اراد الله المبالغة في احراقهم بغير ذلك لغدر ولكنه حذرهم
ما جرفون وفرا عكرمة وبعثوب من قنطرة ان علي كلمتين كمونتين فالقنطرة الخاس المذاب
والان الذي انتهى حره يعني تغلوا وتخللها
يعني من خيرا وشر
يعني هذا القرآن فيه تبليغ وموعظة للناس
ولينجو بالقران ومواعظه وزواجره
يعني اذا حسب عباده يوم القيمة
يعني
يسند لواءه

الآيات على وحدانية الله تعالى
المواعظ اولوا العقول والافهام الصحيحة فانها موعظة لمن انقظ والله
اعلم بماده واسرار كتابه والحمد لله وحده

على يد العبد المذنب الى الله تعالى الشيخ الدرر عثمان بن

المسي السافعي ز راني

الابيع والعدس من

دعاه محمد بن محمد



Suleyn	Huseyin
Kisr	AMCA ZADE
Yeni	Huseyin P.
36	
Eski Kayit No.	